

أعيان العصر وأعيان النصر

لصالح الدين خليل بن أبيك الصفي

توفي ٧٦٤ هـ

حقَّقه

الدكتور علي أبو زيد

الدكتور محمود الم محمد

الدكتور محمد موعد

الدكتور نبيل أبو عشة

قدم له

مازن عبد القادر المبارك

الجزء الخامس

دار الفكر
دمشق - سورية

دار الفكر المعاصر
بيروت - لبنان

الرقم الاصطلاحي: ١١٥٠, ٠١١-٥

الرقم الدولي للسلسلة: 1-57547-494-8 ISBN:

الرقم الدولي: 1-57547-499-9 ISBN:

الرقم الموضوعي: ٩١٠

الموضوع: التراجم والسير والأنساب

العنوان: أعيان العصر وأعوان النصّر

التأليف: صلاح الدين خليل بن أبيك الصّفي

التحقيق: د. علي أبو زيد، د. نبيل أبو عمشة،

د. محمد الموعد، د. محمود سالم محمد

قدم له: مازن عبد القادر المبارك

الصف التصويري: دار الفكر - دمشق

التنفيذ الطباعي: المطبعة العلمية - دمشق

عدد الصفحات: ٦٩٢ ص

قياس الصفحة: ٢٥×١٧ سم

عدد النسخ: ٢٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع هذا الكتاب أو جزء منه بكل طرق الطبع

والتصوير والنقل والترجمة والتسجيل المرئي

والمسموع والحاسوبي وغيرها من الحقوق إلا بإذن

خطي من

دار الفكر بدمشق

برامكة مقابل مركز الانطلاق الموحد

ص.ب: (٩٦٢) دمشق - سورية

برقياً: فكر

فاكس ٢٢٣٩٧١٦

هاتف ٢٢١١١٦٦، ٢٢٣٩٧١٧

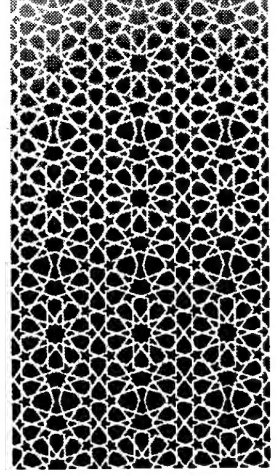
<http://www.fikr.com/>

E-mail: info @fikr.com



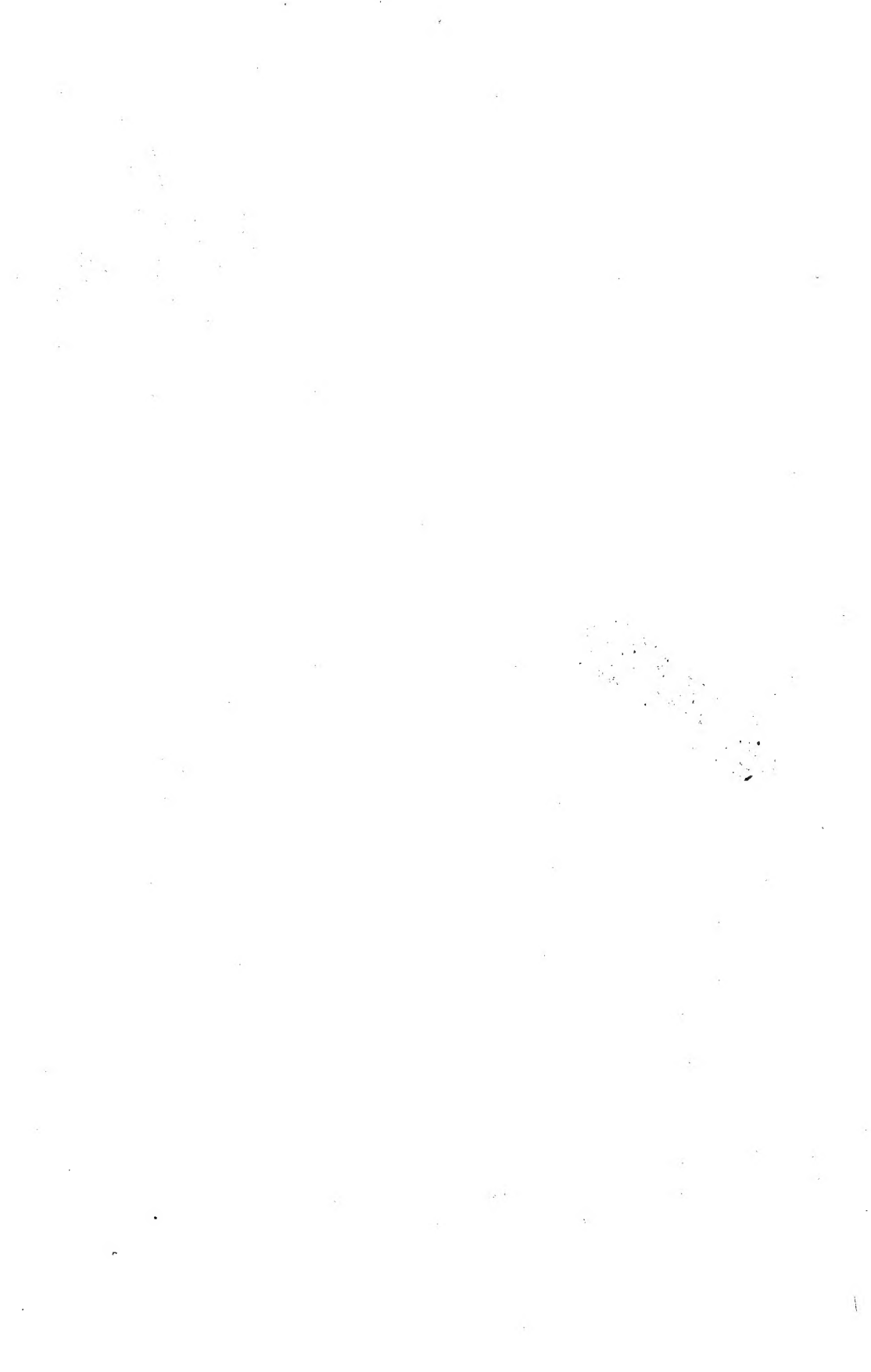
الطبعة الأولى

1418 هـ = 1998 م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَعْيَانُ بَعْرٍ وَأَعْوَانُ بَعْرٍ



١٧٠٠ - محمد بن عمر بن مكي*

ابن عبد الصمد بن عطية بن أحمد ، القرشي الأموي العثماني ، الشيخ الإمام المفسر المحدث ^(١) الأصولي النحوي الأديب الفاضل المفتن :

علامة العلماء واللّج الذي لا ينتهي ولكل بحر ساحل

صدر الدين أبو عبد الله الشافعي الأشعري المعروف بابن الوكيل وبابن المرحّل وبابن الخطيب .

أفتى وهو ابن اثنتين وعشرين سنة ، وتفقه بوالده وبالشيخ شرف الدين المقدسي ، وبالشيخ تاج الدين عبد الرحمن الفزاري ، وقرأ الأصولين على الشيخ صفى الدين الهندي ، والنحو على بدر الدين بن مالك .

وكان له عدّة محافظ ، وحفظ (الْمُفْصَل) ^(٢) في مئة يوم ، وكتب له عليه الشيخ شرف الدين : قرأه في مئة لا أراي [الله] ^(٣) له يوماً ، وحفظ (ديوان) المتنبي في جمعة ، و (المقامات) في خمسين يوماً ، وكان لا يمر بشاهد من كلام العرب إلا حفظ القصيدة التي ذلك البيت منها .

وسمع الحديث من القاسم الإربلي ، والمسلم بن علان . وسمع الكتب الستة على أشياخ عصره .

ولما باشر مشيخة دار الحديث روى قطعة كبيرة من (صحيح) مسلم عن ^(٤) الأمين

* الوافي : ٢٦٤/٤ ، والبداية والنهاية : ٨٠/١٤ ، والدرر : ١١٥/٤ ، وبتائع الزهور : ٩١٨/١ ، والشذرات : ٤٠/٦ ، والدارس : ٢١/١ ، وذيل العبر : ٩٠ ، والنجوم الزاهرة : ٢٣٣/٩ .

(١) : (س) : « المحدث الفقيه » .

(٢) في الأصل : « المحصل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ومصادر ترجمته ، وفي الوافي : « مئة يوم ويوم » .

(٣) زيادة من (س) والدرر .

(٤) (س) : « من » .

الإربلي^(١) والعامري^(٢) والمزي^(٣) .

وكان ذكياً نظّاراً حافظاً ، يسرد في كل فن أسفاراً ، لا يقوم أحد^(٤) لجداله ، ولا يرى في عصره أحد من رجاله ، مكثراً من جميع الفنون ، يستحضر الأسانيد والمتون . ولم يكن يقوم بمناظرة العلامة تقي الدين بن تيمية سواه ، ولا يعترض كالشجى في حلقه فيما أورده ورواه ، ولما بلغته وفاته قال : « أحسن الله عزاء المسلمين فيك يا صدر الدين » . وتناظرا يوماً بالكلاسة خلف العزيزية ، فأخذ الشيخ تقي الدين يستشهد ببعض الحاضرين ، فقال الشيخ صدر الدين :

إن انتصارك بالأجفان من عجب وهل رأى الناس منصوراً منكسر
ولم يقم أحدٌ بعده بمناظرته ، ولا قام إلى منافرته .

أما التفسير : فابن عطية عنده مَبْخَلٌ ، والواحدى شارك العيَ لفظه فتَبِيلٌ .

وأما الحديث : فلو رآه ابن عساكر لانهزم وانضم في زوايا (تاريخه)^(٥) وانجزم ، أو ابن الجوزي لبس من الغيرة غياراً ، وانكسر قلبه لما خرج من قُشوره ولم يجد الله عياراً^(٦) .

وأما الفقه : فلو أبصره الحاملي محاً ما تحمل من غرائب فاضَ النقلُ عنه وما نضب ، ورجع عما قال به من استحباب الوضوء من الغيبة وعند الغضب ، أو القفال لما فُتِحَ له

(١) في الأصل : « الإربلي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والدرر والدارس ، وهو : أبو القاسم بن أبي بكر (ت ٦٨٠ هـ) ، الشذرات : ٣٦٧/٥ .

(٢) محمد بن أبي بكر (ت ٦٨٢ هـ) ، الشذرات : ٣٨١/٥ .

(٣) في الأصل : « وليري » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

(٤) في الأصل : « لأحد » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) في الأصل : « زوايا ريخه » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) في الأصل : « عبارا » ، وما أثبتناه أشبه . والعيار : الوزن أو القيمة .

من الفقه باب ، ولرجع من أول الأمر إلى الاعتدال عن الاعتزال وتاب ، أو الروياني لما عبر له رؤيا ، ورأى أن مجره قد صار وشلا واستحيا :

كَمْ مُقْفَلٍ ضَلَّ فِيهِ الْعَقْلُ فَأَنْفَرَجَتْ أَرْجَاؤُهُ لِحْجَاهُ عَنْ مَعَانِيهِ
يَفِي فَيُرَوِّي غَلِيلَ الدِّينِ مِنْ حَصْرِ أَدْنَاهُ تَقْلًا وَقَدْ شَطَّتْ مَرَامِيهِ
وَمُونِقٍ قَدْ سَقَاهُ غَيْثَ فُطْنَتِهِ مُزْنًا أَيْيَادِي رِيَّاحِ الْفِكْرِ تَمْثَرِيهِ

وأما الأصول : فلو رآه ابن فورك^(١) لفرك عن طريقته ، وقال بعدم المجاز إلى حقيقته ، وإمام الحرمين لتأخر عن مقامه ، ورأى الرجوع عن الإرشاد من كلامه .

وأما النحو : فلو عاصره عنيسة الفيل^(٢) لكان مثل ابن عصفور ، أو أبو الأسود لكان ظالميا^(٣) ، وذنبه غير مغفور .

وأما الأدب : فلو رآه الجاحظ لأمسى لهذا^(٤) الفن وهو جاحد ، أو الثعالبي لراغ عن تصانيفه ، وما اعترف منها بواحد .

وأما الطب : فلو شاهده ابن سينا لما أطرب (قانونه) ، أو ابن النفيس لعاد نقيساً قد ذهب^(٥) نونه .

وأما الحكمة : فالنصير الطوسي عنه مخذول ، والكاتب ديبران أدبر عنه [وحده]^(٦) مفلول .

(١) (س) : « فوك » ، سهو ، وهو أحد بن موسى بن مردويه (ت ٤١٠) السير : ٣٠٨/١٧ .

(٢) من أوائل النحويين ، وهو من تلاميذ أبي الأسود . انظر : البغية : ٢٣٣/٢ .

(٣) يشير إلى اسم أبي الأسود الدؤلي ، وهو : ظالم بن عمرو .

(٤) (س) : « بهذا » .

(٥) (س) : « ذهب » .

(٦) زيادة من (س) .

وأما الشعر : فلو جاره ابن سناء للملك فنيثُ ذخيرة مجاراته وحقائقه ، أو ابن الساعاتي ما وصل إلى درجه ، وانتهى ^(١) إلى دقائقه .

وأما اللوشحات : فلو وصل خبره إلى الموصلي لأصبح مقطوع الذنب ، أو ابن زهر لما رأى له في السماء نجماً إلا هوى ، ولا برجاً إلا انقلب .

وأما البلاليق : فابن كلفة عنده يتكلف ، وابن مُدغليس يغلس للسعي في ركابه وما يتخلف .

هذا إلى غير ذلك من معارف وفنون كان لحواصلها عنده مصارف .

وكان رحمه الله تعالى محظوظاً ، وبعين الحبة ملحوظاً ، قلّ أن وقع بينه وبين أحد وما عاد له ولياً ، وأصبح لمسامرته نجياً . وقع بينه وبين الأعسر ، وكان ^(٢) إذا رآه ينسر ، ووقع بينه وبين الأقرم ، ثم أصبح عنده وهو الأعزّ الأكرم ، وغضب السلطان الملك الناصر محمد عليه غضباً لا يقوم له غيرُ سفك دمه ، ثم أصبح عند رؤيته وهو لا يمشي إلا على قدمه .

ولم يزل على حاله إلى أن رحل ابن المرحّل إلى دار القرار ، وأصبح سيف ^(٣) لسانه وهو مفلول الغرار ^(٤) .

وتوفي رحمه الله تعالى في بكرة نهار الأربعاء رابع عشري ذي الحجة سنة ست عشرة وسبع مئة ، ودفن بالقرب من الشيخ محمد بن أبي جمرّة ^(٥) بتربة القاضي فخر الدين ناظر الجيش بالقرافة .

(١) (س) : « ولا انتهى » .

(٢) (س) : « ثم كان » .

(٣) (س) : « سيف » .

(٤) غرار السيف : حدّه .

(٥) في الأصل : « حمزة » تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) والدرر والدارس ، وانظر ، الوافي : ١٨١/١١ .

ومولده في شوال سنة خمس وستين وست مئة بدمياط ، وقيل : بأشوم .

ورثاه جماعة من الأفاضل ^(١) ، وتأسف الناس عليه .

وأنشدني من لفظه لنفسه القاضي شمس الدين محمد بن داود ابن الحافظ ناظر جيش صفد ^(٢) يرثيه :

مَامَاتِ صَدْرُ الدِّينِ لَكِنَّهُ لَمَّا غَدَا جَوْهَرَةً فَاخِرَهُ
لَمْ تَعْرِفِ الدُّنْيَا لَهُ قِيَمَةً فَجَعَلَ السَّيْرَ إِلَى الْآخِرِهِ
قُلْتُ : وَهُوَ مَأْخُودٌ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

قَدْ كَانَ صَاحِبُ هَذَا الْقَبْرِ جَوْهَرَةً غَرَاءَ قَدْ صَاغَهَا الْبَارِي مِنَ النُّطْفِ
عَزَّتْ فَلَمْ تَعْرِفِ الْأَيَّامَ قِيَمَتَهَا فَرَدَّهَا غَيْرَةً مِنْهُ إِلَى الصَّدْفِ

ونشأ الشيخ صدر الدين رحمه الله تعالى بدمشق ، ونبغ وظهر واشتهرت فضائله ومناظراته ، ودرّس بالمدارس الكبار ، واشتهر صيته . ولمّا دخل الناس في الجفل أيام ^(٣) غازان وعلماء الشام كبارهم وصغارهم ، فلم يقعد صدر الدين ثلاثة أيام حتى أعطي تدريس المشهد فيما أظن .

وكانت له وجاهة وتقدير عند الدولة ، ونادم الأفرم وغيره ، وركب ^(٤) البريد إلى مصر في أيام الجاشنكير ، واجتمع هو وابن عدلان ^(٥) وأفتوا بأنّ الملك الناصر محمد لا يصلح للملك ، ورُمي بأنّه نظم قصيدة هجا بها السلطان ، ومن جملتها :

(١) (س) : « من الناس الفضلاء » .

(٢) سلفت ترجمته في موضعها .

(٣) في الأصل : « إلى مصر أيام » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) (س) : « وركب على » .

(٥) (س) : « وابن عدلان وغيرهما » .

ماللصبي ومالملك يطلبه إن المراد من الصبيان معلوم

وعمل أعداؤه إلى أن أوصلوا القصيدة إلى السلطان ، فكانت في سولفه ^(١) يخرجها كل يوم ، ويقرؤها ، وأراد صاحب فخر الدين بن الخليلي القبض عليه تقريباً إلى الملك الناصر ، فلما أحسّ بذلك هرب هو إلى السلطان ، وجاء إليه وهو على غزّة ، حكى قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، قال : « بينا أنا جالس عند السلطان بغزّة فإذا بالأمير سيف الدين بكتر الحاجب قد دخل ، وقال : يا خوند صدر الدين بن الوكيل فقال : يحضر فلماً دخل به بكتر الحاجب قال له : بُس ^(٢) الأرض ، فقال : مثلي [ما] ^(٣) ييوس الأرض إلا الله تعالى . فقال ^(٤) : فجمعت ثيابي لئلا تلحقني طراطيش ^(٥) دمه ، لما نعلمه من أنفاس السلطان فيه ، فقال له : والك ، أنت فقيه تركب على البريد ، وتروح من دمشق إلى مصر لتدخل بين الملوك وتغير الدول وتهجوني ؟ فقال : حاشى لله يا خوند ، وإنما أعدائي وحسادي نظموا ما أرادوا على لساني ، ولكن هذا الذي قلته أنا ، وأخرج قصيدة تجيء مئة ^(٦) بيت ، وأنشدها في وزن تلك ورويها ، فأعجب السلطان وعفا عنه ^(٧) .

قال جلال الدين : ولما أصبحنا وسارت العساكر والجيش والسلطان رايح وإلى جانبه صدر الدين بن الوكيل ، فتعجبنا من ذلك ، ولما عاد إلى مصر ، وطلبه ^(٨) من

(١) كذا في الأصل ، وفي (س) : « سواقه » ، ولم نهد إلى مراده .

(٢) (س) : « يوس » .

(٣) زيادة من (س) ، وفي الدرر : « لا » .

(٤) (س) : « قال » .

(٥) أي رذاذ عامية .

(٦) (س) ، والدرر : « مئتي » .

(٧) قوله : « فأعجب ... عنه » ليس في (س) .

(٨) (س) : « وطلبه السلطان إلى مصر » .

حلب ، عظّمه السلطان^(١) ، كان إذا رآه وعليه الخلعة يقول : الله ! إن هذا صدر الدين إلا^(٢) شكل مليح مجمل^(٣) التشاريف التي يلبسها .

وقد جرى له مع السلطان في قضية البكري^(٣) ما جرى ، وخلصه منه بعدما أمر بقطع لسانه . وقد ذكرت ذلك في ترجمة البكري .

وباشر بدمشق مدارسها الكبار ، ودار الحديث الأشرفية والشامية البرّانية والجوانية والعدراوية ، والخطابة بالجامع الأموي ، ولكنه لم يَصِلْ في المحراب إلا يومين ، حتى قام الشيخ تقي الدين بن تيمية وغيره من المتعصبين عليه حتى عزل ، وأثبت قاضي القضاة شمس الدين الحريري محضراً بعدم أهليته للخطابة .

وكان الشيخ صدر الدين في القاهرة لما توفي زين الدين الفارقي خطيب الجامع الأموي في تاريخ وفاته على ما يأتي في ترجمته ، وكان الأفرم غائباً في الصيد ، فلما عاد عيّن الشامية ودار الحديث للشيخ كمال الدين بن الشريشي ، وعيّن الناصرية للشيخ كمال الدين بن الزملكاني عوضاً عن ابن الشريشي ، وعيّن الخطابة للشيخ شرف الدين الفزاري ، وأمره بالإمامة والخطابة ، فباشروا وخطب جمعتين ، ولزم الإمامة عشرة أيام ، فوصل البريد يوم الاثنين منتصف شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبع مئة^(٤) ومعه توقيع بجميع جهات الشيخ زين الدين للشيخ صدر الدين بن الوكيل مضافاً إلى ما بيده من المدرستين ، فشق على الناس خروج الشيخ شرف^(٥) الدين من الخطابة بعد مباشرته وكاله وصلاحه وجودة قراءته وحسن أدائه^(٦) ، ووصل الشيخ صدر الدين بعد ذلك على البريد ، وسلّم على الأفرم بالقصر ، وحضر إلى الجامع ، ودخل إلى دار الخطابة ، وهناك

(١) ليست في (س) .

(٢) ليست في (س) .

(٣) في (س) والدرر : « مجمل » .

(٤) علي بن يعقوب بن جبريل (ت ٧٢٤ هـ) .

(٥) البداية والنهاية : ٢٨/١٤ .

(٦) في الأصل : « زين » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، والبداية والنهاية ٢٨/١٤ .

الناس على العادة ، وصلى بالناس العصر ، وبقي يومين يباشر الإمامة ، فأظهر جماعة التألم من خطابه ، واجتمعوا بالأفقرم ، فنعمة من الخطابة ، وأقره على المدارس الثلاثة . ثم إنه وصل ^(١) توقيع بالخطابة للشيخ شرف الدين من القاهرة . ثم إن الشامية البرانية انتزعت منه أيضاً للشيخ كمال الدين ابن الزملاكي .

وفي أيام قراسنقر ونيابته على ^(٢) دمشق قام على صدر الدين جماعة من الفقهاء ، ونازعه في المدارس التي بيده ، وحصل له من قراسنقر أذى كثير ^(٣) ، وخاف على نفسه منه ، فتوجه إلى قاضي القضاة تقي الدين الحنبلي ، وطلب منه الحكم بإسلامه ، وحقق دمه ، وإسقاط التعزير عنه ، والحكم بعدالته واستحقاقه المناصب [فحكم له بذلك] ^(٤) ، ثم ورد المرسوم من مصر بعزله من سائر جهاته ، وبقي ^(٥) بطالاً .

ولمّا فرغ شهر رمضان سنة عشر توجّه إلى حلب ، وأقبل عليه أسندمر نائب حلب إقبالاً زائداً ، وطلبه يوماً قبل صلاة الجمعة ، وسأله عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ ^(٦) فقال : الوقت يضيق عن هذا ، لأن هذه الآية يحتمل تفسيرها ثلاثة أيام ، فوهبه نسخة مليحة (بأسد الغاب في ذكر الصحاب) لابن الأثير ^(٧) ، وأقام بحلب عشرة أشهر فقال : الذي حصل لي من مكارمات الحلبيين في هذه المدة أربعون ألف درهم . ولمّا جاء أرغون الدوادار إلى حلب كان عنده ربعة مليحة إلى الغاية ^(٨) فقدمها له ، فقال أرغون ^(٩) : يا شيخ هذه ما تصلح إلا للسلطان ، وإذا عدت إلى مصر

(١) (س) : « ثم عاد وصل » .

(٢) (س) : « في » .

(٣) في الأصل : « كثيراً » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) زيادة من (س) ، وعبرة الدرر : « ففعل » .

(٥) في (س) زيادة : « بدمشق » .

(٦) النجم : ١/٥٣ .

(٧) في الأصل : « لابن الزبير » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) .

(٨) في (س) زيادة : « وهبها له أسندمر » .

(٩) ليست في (س) .

ذكرتها للسلطان الملك الناصر^(١) ، وطلبتك فوفي له بما وعده ، ودّرس بمصر بالمشهد الحسيني وبالأزاية المعروفة بابن الجيزي ، ولَمّا قدم مصر [في الجفل]^(٢) أفهم أمراء الدولة أنّه ليس في مصر مثله ، وادّعى علماً كبيراً^(٣) ، وأطلب المناظرة ، وحضر الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، وكان صدر الدين قد رتب شيئاً ، فلما شرع فيه قال الشيخ تقي الدين ابن دقيق العيد : هذا كلامٌ مَعْبَأٌ^(٤) ، وقال : يقرأ شخص آية فقرأ شخص آية ، وذكر الشيخ سؤالاً ، فشرع صدر الدين يتكلم ، فانتدب له عز الدين النراوي ، فقال له الشيخ تقي الدين : التزم^(٥) هذا يا غرّ ، هذا جيد . وانفصل المجلس ، والشيخ صدر الدين مغلوب .

ولما عاد إلى القاهرة بعد مجيء الناصر من الكرك ولآه السلطان الملك الناصر تدريس الناصرية بين القصرين ، وهو^(٦) أول من درّس بها ، وجّهه السلطان الملك الناصر رسولاً إلى مهنّا ، فقال : حصل لي في هذه السفرة ثلاثون ألف درهم . وأظنه توجه إليه مرتين في سنة ثلاث عشرة^(٧) ، وجع كتاب (الأشباه والنظائر)^(٨) ومات ولم يحرره ، فلذلك ربما وقعت فيه أغلاط . قال مولانا قاضي القضاة تاج الدين السبكي مثل حكايته عن بعض الأئمة وجهين فيما إذا كشف عورته في الخلاء زائداً على القدر المحتاج هل يأثم على كشف الجميع أو على القدر الزائد . وهذا لم نره في كتاب ويشبه أن تكون زلة قلم إلى غير ذلك .

(١) قوله : « الملك الناصر » ليس في (س) .

(٢) زيادة من (س) ، وفيها : « الجفل » ، تصحيف ، وقد مرّت .

(٣) في (س) : « كثيراً » .

(٤) أي : مهياً ومجهّز .

(٥) (س) : « أكرم » ، والذرر : « الزم » .

(٦) (س) : « فهو » .

(٧) (س) : « وسبع مئة » .

(٨) في الفقه ، كما في الوافي .

وكان شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي رحمه الله تعالى يثني^(١) عليه ويقول : فاضل عصره^(٢) . قال : دخلت عليه في المرض الذي توفي فيه رحمه الله تعالى ، فقلت له : كيف تجدك ؟ وكيف حالك ؟ فأنشدني :

ورجعت لأدري الطريق من البكا رجعتُ عدك المبعضون كرجعي^(٣)

وكان ذلك آخر عهدي به .

وقال القاضي شهاب الدين بن فضل الله : كان ابن الوكيل عارفاً بالطب^(٤) علماً لا علاجاً ، فاتفق أن شكا إليه الأفرم سوء هضم ، فركب له سفوفاً ، وأحضره ، فلما استعمله أفرط به الإسهال جداً ، فأمسكه بماليك الأفرم ليقتلوه ، فأحضر أمين الدين سليمان الحكم لمعالجة الأفرم ، فعالجه باستفراغ بقية المواد التي اندفعت ، وحركها الشيخ صدر الدين ، وأعطاه أمرار الفارياج ، ثم أعطاه المُقَبَّضَات حتى صلت حاله . ولما عاد الأفرم إلى وعيه سأل عن الشيخ صدر الدين بن الوكيل ، فأخبره المماليك ما فعلوه به ، فأنكر ذلك عليهم ، وقال : أحضروه ، فلما حضر قال : يا شيخ صدر الدين جئت أروح معك غلطاً^(٥) ، وهو يضحك . فقال له سليمان الحكيم : يا صدر الدين اشتغل بفقهك ، ودع الطب فغلطُ المفتي يُستدرك ، وغلطُ الطبيب ما يستدرك ، فقال الأفرم : صدق لك لا تخاطر . ثم قال للماليكه : مثل صدر الدين مايتهم : والله الذي جرى عليه منكم أصعب من الذي جرى عليّ ، وما أَرَادَ اللهُ إلا الخير . فقبل يده ، وبعث إليه الأفرم لَمَّا انصرف جملة من القماش والدرهم .

(١) (س) : « يعظمه ويثني » .

(٢) قوله : « ويقول ... عصره » ليس في (س) .

(٣) (س) : « ورجعت » ، وفي الأصل : « المبعضين » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وفي السدر : « المعضون » .

(٤) (س) والوافي : « بالطب والأدوية » .

(٥) عبارة الوافي : « جئت تروحن غلطاً » .

وأخبرني أيضاً قال : كان الشيخ تقي الدين بن تيمية يقول عنه : ابن الوكيل ما يرضى ^(١) لنفسه أن يكون في شيء إلا غاية ، ثم يُعدّد أنواعاً من الخير [والشر] ^(٢) فيقول : كان في كذا غاية ، وفي كذا غاية . انتهى .

قلت ^(٣) : وكان فيه لعب ^(٤) وهو ، ومع ذلك فحكى لي عنه جماعة من صحبه ونادمه في خلواته أنهم إذا فرغوا من حالهم قام وتوضأ ولبس قاشاً نظيفاً وصلى وبكى ومرغ وجهه على الأرض والتراب ، وبكى حتى بل ^(٥) لحيته بدموعه ، واستغفر وسأل الله ^(٦) التوبة والمغفرة ، حتى قال بعضهم : لقد رأيته قد قام من سجوده ولصق بجدار الدار كأنه أسطوانة ملصقة . وكان إذا مرض غسل ديوانه .

وكان قادراً على النظم من القريض والموشح والزجل والبليق والدوييت والمواليا والكان وكان ، لا يفوته شيء ولا يعجزه ، وهو في جميع هذه الأنواع مطبوع ، له غوص على المعاني ، ومع ذلك فكان ينتحل أشياء ويدعيها .

حكى لي شيخنا الحافظ ابن سيد الناس ، أنشدني مرّة قصيدة عينية منها قوله ^(٧) :

ياربّ جفني قد هجاه هجوعه

ومنها :

ياربّ بدّر الدين غاب عن الحمى فتي يكون على الخيام طلوعه ^(٨)

(١) في (س) والوافي : « ما كان يرضى » .

(٢) زيادة من (س) والوافي .

(٣) في الأصل : « قال » . وأثبتنا ما في (س) وما يتفق مع مصادر ترجمته .

(٤) (س) : « علم » .

(٥) (س) والوافي : « يبل » .

(٦) في الوافي : « ويستغفر ... ويسأله » .

(٧) في (س) زيادة : « أولها » .

(٨) (س) : « التم » .

قال : ثم إني اجتمعت بالشهاب العزّازي ، وأنشدته إياها ، فقال : هذه لي ، وأنشدني إياها من أولها إلى آخرها . انتهى .

قلت : ولما عمّر السلطان الملك الناصر محمد القصر الأبلق بقلعة الجبل دخل إليه الشيخ صدر الدين ، وأنشده :

لولاك ياخير من يمشي على قدم خاب الرجاء وماتت سُنّة الكرم
منها :

بَنَيْتَ قَصْرًا قَضَى بالسعد طالعُه قامت لهيبته الدنيا على قَدَم

وهذه القصيدة بمجموعها لابن التعاويذي ، وهي في (ديوانه) ، وإنّا ابن التعاويذي قال : « بنيت داراً » ، فغيّره ابن الوكيل ، وقال : « بنيت قصرًا » .

وشاع عنه أنه كان ينظم الشاهد على ما يدّعيه في الوقت وينشده ، من ذلك قال شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى عن أخيه قال : ادعى ابن الوكيل يوماً في الطائفة المنسوبة إلى ابن كرام أنهم الكرامية - بتخفيف الراء - فقال الحاضرون : المعروف فيهم بتشديد الراء ، فقال : التخفيف ، والدليل عليه قول الشاعر :

الفقه فقهٌ أبي حنيفة وحده والدين دين محمد بن كرام

واستمرت هذه الحكاية في ذهني ، وأنا لأشك في أنه وضعه ، فما كان بعد مدة^(١) ظفرت ببيتين من شعر المتقدمين وأولها :

إن الذين بجهلهم لم يقتدوا في الدين بآب كرام غير كرام^(٢)

(١) (س) : « مدّة مديدة » .

(٢) في الوافي : « لا يمتدوا في الدين » .

فاستغفرت الله تعالى من ذلك الخاطر ، وسألت الله تعالى له المغفرة والرحمة ، وكان ظفري بهذين البيتين في سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وما يبعد أنه كان يجازف في النقل وأخذه .

قيل : إنه دخل إلى الأفرم يوماً ، وقال : يا خوند أنا أتقل للأسد ثلاثة آلاف اسم .

قلت : وهذا مبالغة عظيمة ، والذي وقفت أنا عليه في مجموع للأسد خمس مئة اسم ، ولولده الشبل ثلاث مئة اسم الجملة ثمان مئة اسم .

والجيد من شعره طبقة عليا ، على أن شعره يقع فيه اللحن الخفي ، على أنه بلغني عن مجد الدين التونسي أنه قال يوماً : ما اجتمعت بالشيخ صدر الدين إلا واستفدت منه فائدة في العربية ، ولمّا توجه إلى حلب وجد شيخنا علم الدين طلحة^(١) مستحضراً للعربية جيداً ، لكنه كان يعرف (الحاجية) و (شروحا) ، وهي دائرة ضيقة ، فأخذ الشيخ صدر الدين (شرح السيرافي) (لكتاب سيبويه) ، وأخذ يطالعه وينقل منه ما طمّ طلحة ، وغطاه . وسبب اللحن الخفي الذي كان يقع له إنما اشتغل بالنحو وهو كبير السن ، والنحو علم صغر يحتاج إلى أن يمتزج باللحم والدم ، وأنشدني كثيراً من شعره^(٢) الشيخ شهاب الدين العسجدي^(٣) ، وقال : كنت معه . وكانت ليلة عيد ، فوقف له فقير ، وقال : شيء لله ؟ فالتفت إليّ وقال : إيش معك ؟ فقلت : مئتا درهم . فقال ادفعها إلى هذا الفقير . فقلت له : ياسيدي الليلة العيد ، وما معنا ما ننفقه غداً . فقال لي : امض إلى القاضي كريم الدين ، وقل له : الشيخ يهنئك بهذا العيد . فدفع إليّ ألفي درهم ، وقال : هذه للشيخ ، وكأنّه يعوز نفقة في هذا العيد ، ولك أنت

(١) سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « شعر » ولا تستقيم ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٥٧ هـ) . الشذرات : ١٨٤/٦ .

ثلاث مئة درهم ، فلما حضرت بالدرهم من عند كريم الدين إلى الشيخ ، قال : صدق رسول الله ﷺ ، الحسنه بعشرة ، هذه ^(١) مئتان بألفين .

وكان هذا شهاب الدين العسجدي والقاضي علم الدين سليمان بن إبراهيم المستوفي ، وكانا به خصيصين ، وحكى لي عن مكارمه وعن صدقاته وبره للفقراء والصالحين أمراً عظيماً ^(٢) ، وحكى لي عن أوائل عشرته أنها تكون في غاية اللطف والإقبال الزائد على صاحبه ، ثم إذا طالت استحال ، ولهذا قال فيه بعضهم :

وداد ابن الوكيل له مثال كلبا دين جَلَّقَ في المسالك ^(٣)
فأولاه حليّ ثم طيباً وآخره زجاج مع لوالك

وجع موشحاته ، وسماه (طراز الدار) ، وهذه تسمية بديعة ، قلب فيها [تسمية] ^(٤) موشحات ابن سناء الملك ، لأنه سمي ديوانه (دار الطراز) .

ومن شعره - وهي من غرر قصائده :

ليذهبوا في ملامي أيتة ذهبوا في الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب
والمال أجمل وجه فيه تصرفه وجه جميل وراح في الدجى لهب ^(٥)
لا تأسفن على مالٍ تمزقه أيدي سقاءِ الطلا والخرد العرب

(١) ليست في (س) والوافي .

(٢) ما وقع في الأصل من قوله : « وكان هنا شهاب .. » حتى هنا بادي الركاقة واضطراب العبارة . والذي في (س) هو : « وأنشدني كثيراً من شعره الشيخ شهاب الدين العسجدي والقاضي علم الدين سليمان بن إبراهيم المستوفي ، وكانا به خصيصين ، وحكى لي عن مكارمه وعن صدقاته وعن بره للفقراء واعتقاده في الصالحين أمراً عظيماً » ، ووقع كذلك اختلاف بين الأصل و (س) في ترتيب بعض أجزاء النص هنا .

(٣) (س) والوافي : « له شبيه بلبادين » .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) هنا البيت ليس في الوافي .

فما كسوا راحتي من راحها حللاً
 راح بها راحتي في راحتي حصلت
 أن ينبع الدر من حلوي مذاقته
 وليست الكيما في غيرها وجدت
 قيراط خمر على القنطار من حزن
 عناصر أربع في الكأس قد جليت
 ماءً ونار هواء أرضها قدح
 ما الكأس عندي بأطراف الأنامل بل
 شججت بالماء منها الرأس موضحة
 إلا وعروا فؤادي الهم واستلبوا
 فتم عجبني لها وازداد لي العجب
 والتبر منسبك في الكأس ينسكب^(١)
 وكل ما قيل في أوصافها كذب^(٢)
 يعود في الحال أفراحاً وينقلب^(٣)
 وفوقها الفلك السيار والشهب^(٤)
 وطوفها فلك والأنجم الحبيب
 بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب
 فحين أعقلها بالخمس لا عجب

قلت : لو لم يقل الشيخ صدر الدين من الشعر إلا هذا البيت لكان قد أتى بشيء غريب نهاية في البديع ، لقد غاص فيه على للمعنى ، ودق تحيئه فيه ، وهذا شعر فقيه .

وما تركت بها الخمس التي وجبت
 وإن أقطب وجهي حين تبسم لي
 وإن رأوا تركها من بعض ما يجب
 فعند بسط الموالي يحفظ الأدب

قلت : وهذا البيت أيضاً بديع المعنى دقيقه ، وقد اعتذر عن تقطيعه بأحسن عذر ، وأوضحه ، وقد أشار إلى ذلك الشعراء وقبحوا فعله قال ابن أبي الحديد :

بــالراح رح فهي المنى
 لا تلقها إــلا ببش
 وعلى جــاع الكاس كس
 ريك ، فالقطوب من الدُّنس
 ضحكت إليه وقد عبس
 ما أنصف الصهباء من

(١) في الوافي : « منسكب » .

(٢) في الوافي : « في أبوابها » .

(٣) (س) والوافي : « يعيد ذلك أفراحاً » .

(٤) (س) والوافي : « قد جمعت » .

وإذا سكرت فغنّ لي : « ذهب الرقاد فما يحسن »^(١)
وما أحسن قول ابن رشيق :

أحب أخي وإن أعرضت عنه وقلّ على مسامعه كلامي
ولي في وجهه تقطيب راضٍ كما قطبتُ في وجه المُدام^(٢)
رجع القول إلى تمة أبيات ابن الوكيل :

عاطيتها من بنات الترك عاطية لحاظها للأسود الغلب قد غلبوا
هيفاء جارية للراح ساقية من فوق ساقية تجري وتنسكب
من وجهها وتشيها وقامتها تُخشى الأهلة والقضبان والكشب
يا قلب أردافها مهما مررت بها قف لي عليها ، وقل لي هذه الكشب^(٣)
تريك وجنتها ما في زجاجتها لكن مذاقته للريق تنتسب
تحكى الثنايا الذي أبدته من حبّ لقد حكيت ولكن فاتك الشنب^(٤)
قلت : في هذه الأبيات تضمين أعجاز أبيات من القصيدة البائية التي لابن
الخيبي ، وأولها :

يا مَطلباً ليس لي في غيره أرب إليك آل التقصي ، وانتهى الطلب^(٥)
وقد ذكرت القصيدة وما قيل في وزنها ، وواقعتهما بين ابن الخيبي وابن إسرائيل في

(١) إشارة إلى مطلع قصيدة للأسود بن يعفر :

نام الخبيّ فما أحسن رقادِي والهمّ محضر لـديّ وساري
انظر ، المفضليات : ٢١٦ .

(٢) في الأصل : « رأس اللدام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) بعده زيادة في (س) ، والوافي :

وإن مررت بشعر فوق قامتها بالله قل لي كيف البان والعذب
في الأصل : « التي أبدته » ، وأثبتنا ما في الوافي . والبيت ليس في (س) .

(٥) في الأصل : « التقصي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي في ترجمة ابن الخيبي ، واسمه محمد بن عبد النعم
(ت ٦٨٥ هـ) .

ترجمة ابن الخيمي في (تاريخي الكبير)^(١) .

ومن شعره صدر الدين رحمه الله تعالى :

| | |
|---|---------------------------------|
| وساكن وجدي بالغناء يُحرك | سرى وسُتور الهمّ بالكاس تُهتِكُ |
| ومازج ذاك الفضل ريق مُمسِكُ | فعاطيته كاساً ، فحياً بفضلها |
| رأيت صليباً فوقه ، فهو مشرك | أرقتُ دم الراوق جِلاً لأتني |
| بكي بالدماء مما جرى منه أضحك | وسالت دموع العين منه وكلما |
| فصحّ على التعليق والشرط أملك ^(٢) | وزوّجت بنت الكرم بابن غمامة |

وهذه القصيدة طويلة ، ولكن هذا أحسن ما فيها .

وقال أيضاً :

| | |
|--------------------------------------|---------------------------|
| وكلماً أطلبه تهياً | ياليلة فيها الأمان والمنى |
| مدامة عنقودها الثرياً ^(٣) | لا تقصري فالصبح قد شربته |

وقال أيضاً :

| | |
|-------------------------|------------------------------|
| منشور دمع كلهنّ نظام | غازلُ وخُذ من نرجس من لحظه |
| نبت العذار فإنّه نَمَام | واحذر إذا بعث السلام إليك من |

قلت : أخذه من قول الأول :

| | |
|--------------------|--------------------|
| سببُ والناس لُؤَام | لافتضاحي في عوارضه |
| والذي أهواه نَمَام | كيف يخفى ما أكابده |

(١) الوافي : ٥٠/٤ وما بعدها . وانظر فوات الوفيات : ٤١٣/٣ - ٤١٥ .

(٢) في الأصل : « غدامة » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في الأصل : « عنقودها » ، وأثبتنا ما في (س) .

وقال دوبيت :

كم قال معاطفي حكتهما الأسْلُ
الآن أوامري عليها حكت
والبيض سَرَقْنَ ماحوته للقل
البيض تُحَدِّدَ والقنا تُعْتَقِلُ^(١)
وقال أيضاً :

عانت وبالعناق يُشَفِّى الوجود
من أخصه لثا إلى وجنته
حتى شَفِّى الصبَّ ومات الصَّدُّ
حتى اشتكت القضب وضجَّ الورد
وقال أيضاً :

بكفَّ الثريا وهي جَذْمًا تقاس لي
ولو ذرعوها بالذراع لما انتهت
شفاق دجى مَدَّتْ من الشرق للغرب
فا تنقضي ياليل أو ينقضي نحي
قلت : أخذه من قول الأول :

كأن الثريا راحة تشبُّ الدجى
فلْيُـلِّ تراه بين شرق ومغرب
ليعلم طال الليل أم قد تعرضًا
يُقاس بشبر كيف يُرجى له انقضا
وقال :

راح بها الأعمى يرى مع العمى
الخمر للاقْداح قلب دائماً
وهاك بُرْهاناً على هذي المنح^(٢)
والحدق انظرها تجد قُلْبَ القدح^(٣)
وقال :

كأنما البدر خلال السما
طراز تبث في قبا أزرق
من فوق غيم ليس بالكاب
من تحته فروة سنجاب

(١) في الوافي ، والنجوم : « عليهم » .

(٢) في الوافي : « للدح » .

(٣) (س) : « دائم » . وقلب أي مقلوب كلمة (قدح) .

وقال :

وعارضٌ قد لام في عارض وطاعنٌ يطعن في سنّه
وقائلٌ قد كبرت ذقنه فقلت : لا أفكر في ذقنه^(١)

وقال :

شب وجدي بشائب من سنا البدر أوجّه
كلما شاب ينحني بيض الله وجهه

وقال في مليح به يرقان :

رأيت في طرفه اصفراراً سبى فؤادي فقلت : مهلاً
أيا مليك الملاح حسناً العفو من سيفك المحلاً^(٢)

قلت : هو مثل قول الوداعي ، وفيه زيادة :

قال قوم : قد شأنه يرقان قلتُ : أخطأتم وحاشى وكلاً
إنما الخدّ واللواحظ منه مصحفٌ مذهب ، وسيفٌ محلى

ذكرت أنا هنا باليرقان ماقلته ، وقد حصل لي يرقان ، وطول في مدته في سنة

خمس وخمسين وسبع مئة :

يا يرقاناً زاد في مكثه أمرضتُ مني الجسم والنفسا
أبدلني بالبدال سيناً وما أقبح ورداً قد غدا ورساً^(٣)

وقلت أيضاً :

(١) (س) : « قد طلعت » .

(٢) (س) والوافي : « ملك الأنام » .

(٣) في الأصل : « بالبدال شيئاً » ، وأثبتنا ما في (س) .

صَفَّرَني ذَا الِيرْقَانِ الَّذِي بَمَثَلِهِ الْأَسْقَامُ لَمْ تَظْهَرْ
يَنْفَرُ مِنْ يَبْصُرِنِي مُقْبِلًا حَتَّى كَأَنِّي مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ
وَقُلْتُ :

تَصَدَّقْ خِلَانِي عَلَيَّ بِصَحَّةٍ تَسَّرَ وَأَعْفَانِي زَمَانًا وَعَافَانِي
وَمَرَّ عَلَى غَيْرِي سَقَامٌ وَصَحَّةٌ وَلَمْ يُرْقَانِ مِثْلَ ذَا يِرْقَانِي
وَقُلْتُ مِنْ أَيْيَاتِ :

مَا تَرَى عَلَيَّ الَّتِي قَدْ عَرَّتْنِي وَبِرَّتْنِي بَرِي الْأَذَى الْقَاطِعَاتِ
فَصْفَارِي هَذَا وَأَبْيَضَ شَيْبِي نَرَجِسُ لِلنَّفْسِ غَيْرَ مَوَاتِ
ثُمَّ عِنْدِي تَشْبِيهِهُ شَيْبِي بَتَمٍ قَدْ غَدَا نَاطِرًا بَعِينَ الْبُرَاةِ
وَمِنْ شَعْرِ الشَّيْخِ صَدْرِ الدِّينِ - وَهُوَ عَجِيبٌ - :

وَبِي مَنْ قَسَا قَلْبًا وَلَانَ مَعَاطِفًا إِذَا قُلْتُ أَذْنَانِي يَضَاعِفُ تَبْعِيدِي
أَقَرَّ بَرْقًا إِذْ أَقُولُ أَنَا لَهْ وَكَمْ قَالَهَا أَيْضًا وَلَكِنْ لَتَهْدِيدِي
قُلْتُ : مَنْ أَعْجَبَ مَا مَرَّ بِي أَنَّ الْبَاخِرَزِي فِي (دُمِيَّةِ الْقَصْرِ) لَمَّا ذَكَرَ فِي تَرْجُمَةِ
الْفَقِيرِ أَبِي نَصْرِ عَبْدِ الْوَهَّابِ الْمَالِكِيِّ أَوْرَدَ فِيهَا قَوْلَ الشَّيْخِ أَبِي عَامِرِ الْجَرَجَانِيِّ :

عَذِيرِي مِنْ شَادَنٍ أَغْضَبُوهُ فَجَرَّدَ لِي مَرْهَفًا فَاتَكَ^(١)
وَقَالَ أَنَا لَكَ يَا بَنَ الْوَكِيلِ وَهَلْ لِي رَجَاءٌ سِوَى ذَلِكَ

أَيُّهَا الْوَاقِفُ أَنْعَمِ النَّظَرُ فِيمَا أَوْرَدْتَهُ ، وَتَعْجَبُ مِنْ هَذَا الْإِتْفَاقِ ، كَوْنِ صَدْرِ
الدِّينِ بْنِ الْوَكِيلِ أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الَّذِي لَهُ مِنْ قَوْلِ الْجَرَجَانِيِّ ، وَالْجَرَجَانِيُّ أَتَى بِالْقَوْلِ
الْمَوْجِبِ فِي بَيْتِهِ خَفِيًّا ، لِأَنَّهُ قَالَ : « غَضِبَ ، وَجَرَّدَ الْمَرْهَفَ » ، وَقَالَ : « أَنَا لَكَ

(١) فِي الْوَاقِفِ : « بَاتَكَ » .

يابن الوكيل ، وهذا^(١) بقرينة تجريد المرفف تهديد^(٢) ، فقلب الجرجاني ، وقال بموجبه ، ونقله إلى التمليك ، فأخذه صدر الدين ، وأتى به واضحاً جلياً صريحاً ظاهراً ، ومحل التعجب قوله : « أنا لك يابن الوكيل » ، كأن هذا المعنى قال : « أنا لك يابن الوكيل » تنظمي فتجنيء أحسن وأبين ، وتكون أنت أحق بي من الجرجاني ، وهذا اتفاق غريب^(٣) إلى الغاية ، مامر بي مثله ، والظاهر أن الشيخ صدر الدين لمّا وقف على هذا المعنى تنبّه له^(٤) [فكان له]^(٥) ، وهو به أحق ، وهذا المعنى قد ابتكره الجرجاني أبو عامر ، وترك فيه فضلة ، فجاء الشيخ صدر الدين رحمه الله تعالى ، وأخذه وجوده ، ولم يبق لأحد معه مطمع إلى زيادة ، ولا مطمح^(٦) في إفادة ، وما بقي إلا الاختصار فقط^(٧) ، فلماذا قلت أنا فيه مختصراً :

قال حبي أنالهُ ولكم قلتُ سَرمُدا
أنا للملك قلتها وهو للغيط هَدّدا

وقال الشيخ صدر الدين رحمه الله تعالى :

معطّف على مهجة ظاميه وتقذفها عبّرة هاميه
فقد طال سقمي ، فقل لي متى تجيء إلى عبدك العافيه
وأرخصتَ دمعِي يوم النوى لأجل سؤالك الغاليه
فصبراً على ما قضي لم أقل فيا « ليتها كانت القاضيه »^(٨)

(١) (س) : « وأخذ » .

(٢) في الوافي : « لفظ تهديد » .

(٣) (س) والوافي : « عجيب » .

(٤) في الأصل : « به » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) زيادة من (س) والوافي .

(٦) (س) والوافي : « مطمح ... ولا مطمح » .

(٧) (س) والوافي : « إلا اختصار ألفاظه فقط » .

(٨) اقتباس من سورة الحاقة : ٢٧/٦٩ .

ونحن عبيدك ذُبْنَا أَسَى فرفقاً على رقة الحاشيه
فقال: بعيني أقيك الردى فقلت: على عينك الواقيه
فشَنَّفَ سمعي بهذا الحديد ث فما ذكرت قرطها ماريه^(١)
فيا عاذلي لو دعاك الهوى لقد كنت تسمع ياساريه^(٢)

واشتهر شعر الشيخ صدر الدين في حياته كثيراً ، وتناقله الناس ، وتداولوه ،
ومَّا اشتهر له من الموشحات قوله يعارض السراج المحار ، وهو :

ما أخجل قدَّه غُصُونُ البانِّ بين الورق إلَّاسْلَب المِهامع الغزلان سود الحدق^(٣)
قاسوا غلطاً من حاز حُسْن البشر
بالبدر يلوح في دياجي الشَّعر
لا كيد ولا كرامة للقمر

الحبَّ جمَّاله مدى الأزمان معناه بقي وازداد سناً وخصَّ بالنقصان بدر الأفق
الصحة والسقام من^(٤) مقلته
والجنة والجحيم في وجنته
مَنْ شاهدَه يقول من دهشته :

هذا وأبيك فر من رضوان تحت الغسق للأرض يُعيذه من الشيطان ربُّ الفلق
قد أنبته الله نباتاً حسناً^(٥)

(١) مارية بنت الأرقم بن ثعلبة ، أو بنت ظالم بن وهب ، يضرب للثل بقرطيهما ، يقال : خذه ولو بقرطي مارية ، ولاتبعه ولو بقرطي مارية ، انظر : تاج العروس (قرط) ، وجمع الأمثال : ٢٣١/١ .

(٢) يشير إلى القول المأثور للخليفة عمر رضي الله عنه : « ياسارية الجبل الجبل » .

(٣) (س) والوافي : « حسن الحدق » .

(٤) في الوافي : « في » .

(٥) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتاً حَسَنًا ﴾ [آل عمران : ٢٧/٢] .

وازداد على المدى سناء وسنا

من جاذلة بروحه ما غينا

قد زين حسنه مع الإحسان حسن الخلق لو رمت لحسنه مليحاً^(١) ثاني لم يتفق

في نرجس لحظه وزهر الثغر

روض نضر قطافه بالنظر

قد دبج خده نبات^(٢) الشعر

فالورد حماه^(٣) ناعم الريحان بالطل^(٤) سقي والقديميلة الأغصان للمعتق

أحيا وأموت في هواه كذا

من مات جوى في حبه قد سعدا

يا عاذل لا أترك وجدي أبدا

لا تعذلني فكما تلحاني زادت حرقى يستأهل من يهم بالسلوان ضرب العنق

القد وطرفه قناة وحسام

والحاجب واللاحاظ قسي^(٥) وسهام

والثغر مع الرضاب كاس ومدام

والدر منظم مع للرجان في فيه تقي قد رصع فوقه عقيق قاني نظم النسق

قلت : لا يخفى على الفطن ما فيه من اللحن الخفي والألفاظ النازلة ، وقد

تكررت من لفظة « ثان » . ولما وقف الشيخ تقي الدين بن تيمية على هذا الموشح

وانتهى إلى قوله : يستأهل من يهم بالسلوان ضرب العنق قال : لا يا شيخ

صدر الدين ، يستأهل من يقول بالصبيان .

(١) في الوافي : « شبيها » .

(٢) في الوافي : « نبات » .

(٣) في الوافي : « حواه » .

(٤) في الوافي : « بالطل » .

(٥) في الوافي : « قوس » .

وأما موشحة السراج المحار فهي :

مَذْشِمْتُ^(١) سنا البروق من نعمان باتت حديقي تذيكي^(٢) بمسيل دمعها الهتان نار الحرق
ما أومض بارق الحمى أو خَفَقَا
إِلَّا وَأَهَاجُ لِي الْبُكَاءُ وَالْأَرْقَا^(٣)
هذا سبب لمحتني قد خُلِقَا

أَمْسِي لَوْمِيضُهُ بِقَلْبِي الْعَانُ^(٤) بادي القلق لا أعرف^(٥) في الظلام ما يغشان غير الأرق
أَضَى جَسَدِي فِرَاقُ إِلْفٍ نَزَحَا
أَفْنَى جِلْدِي وَدَمَعُ عَيْنِي نَزَحَا
كَمْ صَحْتُ وَزَنْدُ لَوْعَتِي قَدْ قَدَحَا

لَمْ تَبْقَ^(٦) يد السقام من جمثاني غير الرمق ما أصنع والسلو مني فان والصبر^(٧) بقي
أَهْوَى قَرَأَ حَلْوِ مَذَاقِ الْقُبَلِ
لَا^(٨) يَكْحَلُ طَرَفُهُ بِغَيْرِ الْكَحَلِ
تَرْكِي اللَّحْظِ^(٩) بَابِلِي الْمَقْلِ

زَاهِي الْوَجَنَاتُ زَائِدُ الْإِحْسَانِ حُلُو الْخُلُقِ عَذْبُ الرِّشْفَاتِ سَاحِرُ الْأَجْفَانِ سَاجِي^(١٠) الْحَدَقِ
مَاحِظٌ لثَامُهُ وَأَرْخَى شَعْرَهُ

(١) في الأصل : « شعثت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « تظفي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) (س) والوافي : « إِلَّا وَأَجِدُ لِي الْأَسَى وَالْحَرْقَا » .

(٤) (س) والوافي : « بقلب عان » .

(٥) (س) والوافي : « لا أعلم » .

(٦) في الوافي : « تَبْدِ » .

(٧) (س) والوافي : « والوجد » .

(٨) في الوافي : « لم » .

(٩) في الوافي : « اللحظات » .

(١٠) (س) : « ساهي » .

أو هزّ معاطفاً رشاقاً نضره

ألا ويقول كلّ راءٍ ^(١) نظره

هذا قبر بدا بلا نقصان تحت الفسق أو شمس ضحى في غُصْنٍ قَيْنَانٍ غُضَّ الورق

ما أبدع معنىً لاح في صورته

إيناع عذاره على وجنته

لما سقى الحياة من ريقته

فأعجب لبنات خدّه الرّيحاني من حيث سقى يضحى ويبيت وهو في النيران لم يحترق

قلت : « لا يخفى على الناظم أن هذا أجزلُ ألفاظاً ، وأحكم من موشحة صدر

الدين .

والسراجُ الحار عارض بموشحته موشحة أحمد بن حسن الموصلي صاحب الموشحات

المشهورة ، وهي :

مُدْغَرَدَتِ الْوُورِقُ عَلَى الْأَغْصَانِ بَيْنَ الْوُورِقِ أَجْرَتُ دَمْعِي وَفِي فَوَادِي الْعَانِي أَذْكَتُ حَرْقِي

لَمَّا بَرَزْتُ فِي الدَّوْحِ تَشْدُو وَتَنُوحُ

أَضْحَى دَمْعِي بِسَاحَةِ السَّفْحِ سَفُوحُ

وَالْفَكْرُ نَدِيمِي فِي غُبُوقٍ وَصَبُوحُ

قَدْ هَيَّجَتِ الَّذِي بِهِ أَضْنَانِي مِنْهُ قَلْقِي وَالْقَلْبُ لَهُ مِنْ بَعْدِ صَبْرِي الْفَانِي ^(٢) وَالْوَجْدُ بَقِي

مَا لَاحَ بِرَيْقٍ رَامَةٍ أَوْ لَمَعَا

إِلَّا وَسَحَابَ عِبْرَتِي قَدْ هَمَعَا

وَالْجِسْمُ عَلَى الْمَزْمَعِ هَجْرِي زَمَعَا

بِالنَّازِحِ وَالنَّازِحِ عَنْ أَوْطَانِي ضَاقَتْ طَوْقِي مَا أَصْنَعُ قَدْ حَمَلْتُ مِنْ أَحْزَانِي مَا لَمْ أَطُقْ

قَلْبِي لَهْوَى سَاكِنِهِ قَدْ خَفَقَا

(١) في الوافي : « راء » .

(٢) في الأصل : « الغاني » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

والوجد حبيسٌ واصطباري طلقا

والصامت من سرّي بدمعي نطقا

في عشقٍ منعّمٍ من الولدان أصبحْتُ شقي من جفوته ولم يَزُرْ أجفاني غيرُ الأرق

فالورد مع الشقيق منْ خَدَّيه

قد صانها النرجس منْ عينيه

والآس هو السياج من صدغيه

واللفظ وريقُ الأغيد الروحاني عند الحدق حلوان على غصن من المران غصٌّ رشقٍ

الصاد من المقلة من حقّقه

والنون من الحاجب من عرقه

واللام من العارض من علقه

قد سطره بالقلم الريحاني ربُّ الفلق . بالمسك على الكافور كالعنوان فوق الورق

الملحة لمع الصلت بالإيضاح

والغرة بالتبيان كالمصباح

والمنطق نثر الدرّ بالإصلاح

والشعر هو الصحاح كالعقبان كالعقد بقي^(١) والرّد مع الخلاف كالسلوان^(٢) عنه خلقي

ما أبدع وضع الحال في وجنته

خطّ الشكل الرفيع من نقطته

قد حير إقليدس في هيئته

كالعنبر في نار الأسيل القان المنتشق فاعجب لعبير وهو في النيران لم يحترق

قلت : في هذه الموشحة ألفاظ تحتاج معانيها إلى مشاحّة ، وموشحة الشيخ

صدر الدين على كل حال خير منها ، وموشحة الحارّ خير من الاثنين .

(١) في الوافي : « نقي » .

(٢) (س) والوافي : « للسلوان » .

وقد خطر لي أنا نظم موشحة في هذه المادة ، وقد زدت الحشوات توشيحاً ، وهي :

ما هزّ قضيب قدّه الرّيان للمُعْتَنِقِ إلا استترت معاطف الأغصان بين^(١) الورق
أفدي قرأ لم يُبق عندي رَمَقاً لما رَمَقَا
قد زاد صباقي به والحرقا شوقاً وشقّا
لو فوق سهم جفنه أو رشقا في يوم لقّا
أبطال وغى تيس في غُدران نسج الخلق أبصرتهم في معرك الفرسان صرعى الحدق
بدرٌ منعتهُ قسوة الأتراك رُحى الشاكي
من ناظره جائل الأشرار والإشراك
كم ضلّ بها قبلي من النُّسّاك والفتّاك
قاني الوجنات ينتمي للقان صعب الخلق إن قلت أموت في الهوى ناداني هذا يسقي^(٢)
كم جا جبينه الدجا فاقترضا صبحاً فأضا
كم جرد جفنه حساماً ونضى والصبّ قضى
كم أودع ريقه فؤاداً مريضاً من جمر غضا
فاعجب لرضابه شفا الظمان يذكي حرقى واخذ به الخال على النيران لم يحترق
يا خجلة خدّ النور في جنته من وجنته
يا كسرة غصن البان في حضرتيه من خطرته
يا حيرة^(٣) بدر التّم من عزّته في طرّته
لا تعتقد الأقمار بالبهتان وسط الأفق أن تشبهه فليس في الإمكان ما لم تطيق
ما أسعد من أصابه بالحور سهم النظر

(١) (س) والوافي : « تحت ».

(٢) أي : هذه شريعتي ، واليسق تعني القانون في المغولية .

(٣) في الوافي : « يا حيرة » ، وفي الوافي و (س) : « بدر الأفق » .

ما أنعم من يصليه نار الفكر طول العمر
 أوقيته الحب بقيد الشجر عند السحر
 أوطقه بذلك الثعبان فوق العنق أوبات بقفل صدغه الرياحي تحت الغلق
 قلت : والشيخ صدر الدين رحمه الله تعالى قد عارض الحار في أكثر موشحاته ،
 فيندّر له المطلع أو حشوه ، ثم إنه يسقط من الثريا إلى الثرى كقوله :
 قالوا : سلا واستردّ مضناه قلباً أخذنا لا والذي لا إله إلا هو ما كان كذا
 عشقه كوكباً من الصغر
 أترك الوجد وهو كالقمر
 ديباج ديباجته بالشعر
 زيدت طرازاً كالرقم بالإبر
 لا والذي زانه وأعطاه حسناً وشذى على البرايا وإنه ^(١) الله ما كان كذا
 ولو تقاس الكؤوس بالشعر
 وبالثنايا الحباب كالدرر
 لفضل الثغر صحة النظر
 والصرف في مطعم وفي عطر
 لو قيس ما فاق من حمّياه أو ما نبذا إلى رُضاب حوته عيناه ما كان كذا
 كل دمّ الناس فوق وجنته
 قد سفكتها سهام مقلته
 العفو من نبلها وحدته
 لو صبّ بهرام كل جعبته

(١) (س) : « إنه » .

واختار من نبلها ونقاه سهماً نقذاً في الأرض من خرّقه رماياها ما كان كذا
 وسودّها يا حكيم^(١) خذ بيدي
 أمض من البيض مع بني أسد
 لو قيس ما فكّ مُحكم الزرد
 من كل ماضي الغروب^(٢) غير صد
 إلى حسام نضته عيناه ماضٍ شحذاً على مسنٍّ أبدته صدغاه ما كان كذا
 قد سلب الظبي حسن لفتته
 كما سبى الغصن حسن^(٣) خطرته
 والشمس خجلى من نور طلعتة
 والبدر في حسنه وبهجته
 لو قيس أيضاً إلى عيّا في الحسن إذا خُفت به هالة عذاراه ما كان كذا

١٧٠١ - محمد بن عمر بن إلياس *

شمس الدين أبو العز الرّهاوي ، ثمّ الدمشقي الكاتب .

سمع بمصر (صحيح) مسلم ، بقوّت من ابن البرهان ، وسمع من النجيب ،
 ومن ابن أبي اليسر ، وابن الأوحّد ، وطائفة . ودار على الشيوخ ، وكتب
 الطباق ، وسمع الكتب وروى عنه شيخنا الذهبي في (المعجم) .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر رجب الفرد سنة أربع وعشرين وسبع
 مئة ، وحضر جنازته قاضي القضاة جلال الدين القزويني وغيره من الأعيان .

(١) (س) : « يا حلیم » .

(٢) (س) : « الغروب » .

(٣) (س) : « بحسن » .

* الوافي : ٢٨٨/٤ ، والدرر : ١٠٣/٤ .

١٧٠٢ - محمد بن عمر بن سالم*

العدل الفاضل ناصر الدين بن المشهدي المصري .

سمع من غازي الحلاوي ، وخلق ، وعُني بذلك ، وكتب الطباق ، وبرع في كتابة السجلات ، وحصل منها جملة ، وأقام بدمشق مدة .

قال شيخنا الذهبي : وقد تكلموا في عدالته .

وتوفي رحمه الله تعالى كهلاً سنة بضع وعشرين وسبع مئة^(١) .

١٧٠٣ - محمد بن عمر بن محمد**

الشيخ الإمام المفسّن شمس الدين بن الخباز .

قرأ بدمشق قليلاً على الشيخ مجد الدين التونسي ، ثم قرأ على القحفازي وعلى ابن قاضي شهبة . وعلى الشيخ برهان الدين ، ثم توجه إلى حلب ، وقرأ على الشيخ فخر الدين قاضي القضاة بن خطيب جبرين شيخنا ، وعلى شيخنا علم الدين طلحة ، ثم على الشيخ كمال الدين بن الزملكاني ، وحفظ (التنبيه) و (المختصر) و (ألفية ابن مالك) و (الجرجانية) ، وباحث^(٢) وناظر ، وأذن له ابن خطيب جبرين في الإفتاء .

كان جيد المناظرة ، فكه المحاضرة ، يستحضر كثيراً من المعقول ، ويورد جملة من المنقول ، وبحوثه متقنة محررة ، ونقوله بالأصول رياضها مزهرة .

وكان والده بدمشق خبازاً فسمت همته ، وعلت عزّمته إلى أن دخل في عداد

* الوافي : ٢٨٨/٤ ، والدرر : ١٠٦/٤ .

(١) في الدرر أنه توفي سنة (٧٢٨ هـ) .

** الدرر : ١١٤/٤ .

(٢) (س) ، (خ) : « وبحث » .

الفضلاء ، وحشر في زمرة النبلاء ، وكانت يده شلاءً ، وعن البطش زلاءً . ولم يزل مصفراً من أفواه العروق ، ووجهه كأنه الأصيل عند الغروب لا الضحى عند الشروق ، وكانت له قدرة على المحاكاة وقوة على التكيف^(١) بمن خاصه أو شاكاه^(٢) .

لم يزل على حاله إلى أن جاء سيل المنية على أفواه عروقه ، وسد منه مجاري خروقه .

وتوفي رحمه الله تعالى بدمشق في ثاني عشري ذي الحجة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وتسعين وست مئة .

وكان يُعرف في دمشق بالحلي ، وفي حلب بالدمشقي ، اجتمعت به غير مرة بدمشق وحلب ، وجرت بيني وبينه مباحث عديدة ، وهو رفيقي في الاشتغال رحمه الله تعالى .

١٧٠٤ - محمد بن عمر بن محمد بن عمر*

ابن الحسن ، الشيخ الجليل الفاضل الصدر العدل إمام الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شرف الدين أبي حفص بن خواجا إمام ، الفارسي الأصل ، الدمشقي .

سمع من جده وعمّ والده أبي بكر بن عمر ، والرضي بن البرهان التاجر الواسطي ، والشيخ جمال الدين بن مالك ، وابن أبي اليسر ، وشمس الدين بن أبي عمر ، وجماعة .

(١) في الأصل : « وقدرة على التكلف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) : « بمن خاصه أو جادله أو شاكاه » .

* الدرر : ٢٠٤/٤ ، وفيه : « محمد بن محمد بن عمر » .

وحدث (بصحيح) مسلم و (موطأ) مالك رواية أبي مصعب عن [ابن]^(١) البرهان .

وكان معروفاً بالكفاءة والخبرة ، وخدم في عدة جهات ، وكان كثير [التلاوة]^(٢) .

توفي رحمه الله تعالى في سابع شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة .

١٧٠٥ - محمد بن عمر بن عبد العزيز*

ابن ...^(٣) .

الصدر النبيل الرئيس قاضي القضاة ناصر الدين ابن قاضي القضاة كمال الدين ابن قاضي القضاة عز الدين بن العديم الحنفي .

كان أولاً بحجة قاضي القضاة ، ثم إنه نقل إلى حلب ، وتولى حمة^(٤) في شعبان سنة إحدى عشرة وسبع مئة عوضاً عن جدّه .

وكان صدرأً واسع الصدر ، ورئيساً يجلس من سيادته في هالة البدر ، قد وسع الناس إحسانه ، وملك قلوبهم بلسانه ، يخدم الأكابر والأصاغر ، ولا يزال [فوه]^(٥) بالشكر لهم يرى وهو فاساغر ، يكارم الزائرين بأنواع القماش والحلوى ، ويغدق

(١) زيادة من (س) .

(٢) زيادة من (س) والدرر .

* الدرر : ١٠٦/٤ ، والذيل التام : ١٢١ ، وذبول العبر : ٢٨٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥١/١٠ .

(٣) كذا بياض في الأصل . وتمّ صاحب الدرر نسبه وفيه : ... ابن عبد العزيز بن محمد بن أحمد بن

هبة الله بن محمد بن هبة الله بن أحمد بن يحيى بن زهير أبي جرادة العقيلي . . وكذلك في النجوم .

(٤) (س) : قضاء حمة .

(٥) زيادة من (س) ، (خ) .

عليهم^(١) ، فلا يرون لمنه سلوى ، وطالت مدته في حلب ، وساق إليه كلّ شاعر نفائس أمداحه وجلب .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل ابن العديم في العدم ، وانهدّ طُود حياته وانهدم .

وتوفي رحمه الله تعالى في العشر الأول من شوال^(٢) سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وثمانين وست مئة .

وكان قد طلب إلى مصر ليُجعل بها قاضي القضاة عندما أخرج القاضي حسام الدين الغوري ، فوصل إلى دمشق ، ثم إنه جاء المرسوم بعوده إلى حلب على حاله .

وحدّث عن الأبرقوهي وغيره .

وكتب إليه شهاب الدين أحمد بن المهاجر الوادي آشي الحنفي ، ومن خطه نقلت :

| | |
|--|------------------------|
| قريضه مثله رقيق | فذاك قاضي القضاة عبْدُ |
| أشبهه ببيتته العتيق | يكابد البرد في قشاش |
| عطف كغصن النقا رشيّق | له إذا ما الريحاح هبّت |
| نضواً سوى السلم لا يطيق ^(٣) | غزا ابن ماء السماء منه |
| بيت مع القبح فيه ضيق | ليس يرد الشتاء عنه |
| قد سُدّ من دونه الطريق | والصبر مع أنه بعيْدُ |
| من غرّ أوصافه الشفيق | فانظر إليه بعين مولّى |
| من دوحة غصنها وريق ^(٤) | واعطف عليه فأنت فرع |

(١) في (س) ، (خ) زيادة : « بجوده » .

(٢) (س) : « شعبان » .

(٣) المنذر بن امرئ القيس الثالث ابن النعمان ، وماء السماء أمّه . الأعلام : ٢٩٢/٧ .

(٤) (س) : « دوحه » .

لازلت مــــــــــــــــاعشت في نعيم أنت بإنعامه حقيق
مَجْلاً مذهباً أتانا منك لِنُعَانِهِ شقيق

١٧٠٦ - محمد بن عمر *

الأمير ناصر الدين ابن الأمير ركن الدين البُتْخَاصِي الصفدي .

كان أميراً بطبلخاناه^(١) في الديار المصرية ، وله مكارم ومروءة ، وفي طباعه
حرية . يخدم أصحابه ، ويعرف حق من^(٢) لازم بابه ، يخدم الوُزَاد ، ويكرم الرُواد ،
ويتجمل بين الناس ، ويُرْضَى من يُقدم عليه ، ويسقط له الإيناس . تنقل في
الممالك ، وصَرْفَةُ الدهر بين صَبْحِهِ النَّيِّر ، ودَجَاءِ الحالك ، وقبض وسجن وامتلاً قلب
الدهر عليه وشحن ، وهو صابرٌ للأقدار فيما تنوبه ، عالمٌ أن الزمان لا تدوم حرُوبه .

ولم يزل بالديار المصرية في آخر أمره ، إلى أن انصرفت مدّة عمره .

وتوفي رحمه الله تعالى بالديار المصرية ، وجاء الخبر بوفاته إلى دمشق في شهر ربيع
الآخر سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، وعمره ما يقارب الحسين سنة .

كان الأمير ناصر الدين قد نشأ بصفد في حياة والده ، وكان والده ركن الدين
يتصرف في المباشرات السلطانية من الولايات والشد وغير ذلك ، وكان من أعيان أهل
صفد ، وفي آخر عمره^(٣) ولي الحجة الصغرى بصفد يامرة عشرة ، فلما خرج الأمير ركن
الدين بيبرس الأحدي نائب صفد هارباً منها طالباً دمشق تبعه عسكرها وركن الدين
معه ، فناوشوهم القتال ، فجاءته طعنة حمل منها إلى صفد ، ومات بها . وتقلّبت

* الدرر : ١٢٦/٤ ، وفيه : « الشجاعي » .

(١) في الأصل : « طبلكاناه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) : « كلّ مَنْ » .

(٣) في (س) ، (خ) : « أمره » .

الأيام بولده هذا الأمير ناصر الدين ، وترقى إلى أن تولى الحجة بصفد ، ثم إنه أمسك واعتقل يأسكندرية ، في ^(١) واقعة بيبغاروس لما كان صحبة الأمير علاء الدين الطنبغا برناق نائب صفد ، ثم إنه أفرج عنه ، وأخرج إلى طرابلس ، ثم طلب إلى مصر ، وجعل حاجباً صغيراً بحلب ، وفوض إليه الأمير سيف الدين شيخونبابة ديوانه بحلب ، فاجتهد في خدمته ، وعمر الخان المليح ^(٢) والحمام بحب السقاين ^(٣) بين المعرة وحماة ، ثم أضيف إليه شد ^(٤) الخاص وشد الأوقاف بحلب .

ثم إنه رسم له إمارة الحجة الكبرى عوضاً عن الأمير ناصر الدين بن شهري ، وأقام على ذلك إلى أن طلب إلى مصر صحبة علاء الدين علي البشيري ، فأعطاه السلطان بمصر إمارة طبلخاناه ، وجعله مشدّاً في العمائر ^(٥) السلطانية بالقاهرة ، ثم إنه جهّزه في سنة إحدى وستين وسبع مئة إلى منفلوط لقبض مغلها ، فقبضه وعاد إلى القاهرة على شد العمائر .

ثم إنه مرض مرضة طويلة في ذلك الوباء العام ، ووصل الخبر إلى دمشق بموته رحمه الله تعالى .

وكان رحمه الله باراً بوالدته وإخوته وأخواته ، عفيفاً أميناً في مباشراته ، عارفاً درياً بما يتحدث فيه ، فيه كرم ومروءة زائدة ^(٦) .

(١) في الأصل و (خ) : « وفي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) ليست في (س) .

(٣) (س) ، (خ) : « بحب السقا » .

(٤) (س) : « مشد » .

(٥) (س) ، (خ) : « مشد العمائر » .

(٦) (س) : « ومروءة زائدة وخير ، رحمه الله تعالى » .

١٧٠٧ - محمد بن عمران بن عامر القطناني*

المقرئ الحراني البغدادي ، الشيخ الصالح الملقن^(١) عند البرادة بالجامع الأموي بدمشق .

كان مقرئاً فاضلاً عارفاً بالتجويد ، حسن الأداء ، حفظ (التيسير)^(٢) و (الشاطبية) وبعض (المقنع) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة عشر وسبع مئة^(٣) .

١٧٠٨ - محمد بن عنبرجي**

القان المغلي بن النوين عنبرجي المذكور .

كان صبيّاً من أبناء العشرين ، من أهل توريّز ، لما قتل القان بوسعيد عنبرجي زعمت سرّيته^(٤) أنها حبلى منه . فولدت محمداً هذا ، فلما أقبل النوين الشيخ حسن الكبير من البلاد ، وهزم جمع الملك موسى قان^(٥) ، وقتل موسى ، عمّد الشيخ حسن^(٦) إلى محمد هذا وأقامه في الملك ، وناب له هو وابن جوبان وزوجة جوبان ساطي^(٧) بك ، وهي ابنة القان خربندا ، وتماسك الأمر أشهراً . ثم أقبل من الروم

* الدرر : ١٠٢/٤ ، وغاية النهاية : ٢٢٢/٢ ، وفيها : « الوطائي » .

(١) (س) : « المجيد الملقن » .

(٢) في الأصل : « التفسير » ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

(٣) ذكر في الدرر أنّ وفاته سنة (٧٢٠ هـ) .

** الوافي : ٢٩٣/٤ ، والدرر : ١٢٦/٤ .

(٤) في الوافي : « سرّية » ، وفي الدرر : « سرّية له » .

(٥) موسى بن علي بن يبيسو (ت ٧٣٧ هـ) ، وستأتي ترجمته في موضعها .

(٦) (س) : « حسن الكبير » .

(٧) في الأصل : « شاطي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والدرر .

ولدا تمرتاش ، وأوهما أن أباهما حيّ معها ، وجعلاه في خرّكة ، فهرب الشيخ حسن الكبير إلى خراسان ، ثم أهلك هذا محمد . وماج الناس واشتد البلاء والظلم والنهب ببلاد أذربيجان وافتقر من الجوّر جماعة ، وذلك في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

١٧٠٩ - محمد بن عيسى بن مهنا*

الأمير أخو مهنا .

كان من أعيان أمراء آل فضل . وكان حسن الشكل ، له معرفة ودُرّة .

توفي رحمه الله تعالى بسلاميّة في يوم السبت سابع شهر رجب سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، وصلى عليه قاضيهما .

ولما كان قراسنقر قد وصل إلى بيوت أخيه مهنا ، كان محمد هذا غائباً ، فلما جاء وبصره قال لمهنا : أبشر يا مهنا بالإنعامات والإقطاعات من السلطان ، ففهم قراسنقر الغدر منهم ، فقام إلى كاملة زوج مهنا وشال ذيلها ودخل تحتها ، فقالت : يا أبا محمد إن الله قد أبارك^(١) وجاءت إلى مهنا . فقالت له : إيش يتحدث عنك العربان ؟ إن هؤلاء الملوك جاؤوا إليك ونزلوا عليك ، وإنك غدرت بهم لأجل الدنيا ، فقال : الله الأحد إن الله قد أجارهم فقال محمد لأخيه مهنا : الله بيننا وبينك حرمتنا^(٢) هواء الشام وطيبه .

* البداية والنهاية : ١١٦/١٤ ، والدرر : ١٣١/٤ ، والشذرات : ٦٦/٦ ، وذيل العبر : ١٣٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦١/٩ .

(١) (س) : « جارك » .

(٢) في الأصل : « أحرمتنا » ، وأثبتنا ما في (س) .

١٧١٠ - محمد بن عيسى بن عيسى *

ابن محمد بن عبد الوهاب بن ذؤيب بن مُشَرَّف الأسدي الغاضري ^(١) الرِّبَاني ،
القاضي البليغ الناظم الناصر المفوّه شمس الدين ابن القاضي شرف الدين ابن قاضي
شبهة .

رجل اتقّاذ له الكلام ، ونزل على حكم نثاره والنظام ، له النظم المطبوع والنثر ^(٢)
الغزير الينبوع ، كتب الإنشاء وترسّل ، وتوصل إلى مآربه بذلك وتوسّل ، إلا أن
خطّه كان مرجوفاً ، ولم يُعَبه ^(٣) ذلك لأنّه كان يُودعه من إنشائه قلائد وشنوفاً ^(٤) .
كتب للسرّ بمحصّ وغزّة ، ونال فيها شرفاً وعزّة ، وتولى الخطابة في غزّة ، فصّح على
منبرها حمّامه ، وأقام بمواعظة المبكيات على الناس القيامة .

ولم يزل على حاله إلى أن توارت شمسّه بالحجاب ، ودعا الحركة بعدما سكن
فسكت وما أجاب .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شهر رمضان سنة أربع وستين وسبع مئة عن ثلاث
وخمسين سنة في طاعون غزّة .

حرص عليه أهله ، وشغّلوه بالعلم ، فرأى أن رزق الفقهاء ضعيف ، فرجع إلى
صناعة الكتابة ، وقال لي : أخذت كتاب (التنبيه) و (العمدة في الأحكام) وكتاباً
في النحو وألقيتها في قدر والماء يغلي ، وهجرت الاشتغال بالعلم ، واشتغلت بصناعة
الحساب ، وكان موجب ذلك أنّي حضرت العزيزية سنة فحصل لي منها خمسة دراهم في

* الدرر : ١٢٩/٤ ، وبدائع الزهور : ٥٨٥/١/١ ، وقد خلت (س) من ترجمته .

(١) في الدرر : « الغضاري » .

(٢) في الأصل : « والنظم » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) في الأصل : « يعنه » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٤) (خ) : « وسيوفا » .

تلك السنة . وباشر في جهات ، ثم إنه تعلّق بالإنشاء ، وكان النظم والنثر فيه طباعاً ، فتوجه إلى مصر ، وسعى في توقيع حمص ، فتولاه من مصر ، وباشره مع نيابة الأمير سيف الدين قلاوون في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة ، فأقام بها قليلاً ، وانفصل منها ، وعاد إلى مباشرة الحساب ، فتولى نظر نابلس ، ولما توجه الأمير سيف الدين يلغا نائب الشام إلى القدس خدمة هناك ، وبقي أمره على ذهنه ، وحضر إلى دمشق ، وامتدحه وامتدح عز الدين طقطاي الدّوادر ، فقال يلغا : ماتريد ؟ فقال : ياخوند أكون كاتب إنشاء في دمشق بمعلومي الذي على نظر نابلس ، وتوفر معلوم ناظر نابلس ، فرسم له بذلك .

ولم يزل يكتب بديوان الإنشاء إلى آخر وقت ، ثم إنه جهّز في سنة إحدى وستين وسبع مئة إلى غزة موقعاً في أيام الأمير سيف الدين أسندمر الزيني ، عيّنه لذلك القاضي أمين الدين بن القلانسي كاتب السر بالشام لما عزل الشريف كمال الدين موقع غزة ، ولما كتب الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي في معنى أولاد رزق الله^(١) وغزّلوا من صفد ، رُسم بأن يكون كاتب سر بصفد في سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، فأقام قليلاً ، وأعيد إلى غزة . فأقام على كتابة سرّها والخطابة بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى في طاعون غزة في التاريخ المذكور .

وكان قادراً على الهجوم المقتدع ، وبينه وبينه مكاتبات كثيرة ، وهي مودعة في (التذكرة) التي لي في أماكنها ، ومنها شيء في كتابي (ألحان السواجع) .

كتب إلي وهو بدمشق قرين جبن صرخدي أهداه لي :

ياشجاع الوجود في العلم والفض ل شيخ الأنام في كلّ فن^(٢)
قد تجاسرت في الهدية فاسمح بالتفاضي واستر بحلمك جُبنِي

(١) رزق الله بن عبد الله للصري ، تاج الدين اللّوَقع ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الدرر : « ياشجاع العلوم والجود والفضل ... وشيخ الوجود » .

فكتبت أنا الجواب إليه :

ومعاليك قد حَوّت كل حُسْن
والبخيل الذي تردى لجبن

حاش لله أن يرى منك جبن
وكرم الأقوام فهو شجاع
وكتبت إلي قرين ماء وردٍ أهده :

لظامئ الأكبَاد برداً من بَرْدِ^(١)
جر الغضا من الندى الغمر برد
وعدّ بَاء الورد، لكن ماورد
بالجبر لا ينجل إن جاء ورد
تصلح من حال الأنام ما فسد
تكتب فيها بالبقاء من حسد
كم أنعشت للمكرمات من جسد^(٢)

ياسيداً تجلو ثنايا لفظه
ومَنْ إذا ما لَمَسْت يمينه
كان لك عندي فيما قد مضى
والآن قد وافى فقابِل كسره
وعش مدى الدهر صلاحاً في الوري
في نعمة وافرة مديدة
ياخير روح للعلا طاهرة

وكتب إلي ، وقد نظمت قصيدة في مديح سيدنا رسول الله ﷺ :

بابه ينقاد في أرسانه
مُثَبِّتاً فُقَّتِ على حَسَّانه
بعد ما جاء فقي غَسَّانه
ناظر أنت ضياءَ إنسانه
كيف مولانا على إحسانه^(٣)

يا إماماً قد أتى العزُّ إلى
لـو رآكَ المصطفى في عصره
بمديح فيه قد جئت به
إن دهرأ سُدَّت فيه سيدي
عبدك الشاكر وافى سائلاً

وكتب^(٤) إليّ ملغزاً :

- (١) (خ) : « فضله » .
(٢) في الأصل : « طاهرة للعلا » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٣) في الأصل : « فكيف » ، وأثبتنا ما في (خ) .
(٤) (خ) : « وكتب هو » .

أيها الفاضل الذي هو في الفضد والبليغ الذي له لطف معنًى والإمام الذي له لطف خطّ ما اسم ثاوي في الأرض بين البرايا وهو عارٍ ومكتسٍ ثوباً حُسن لم تحكْ ثوبه يدٌ ولم تحُدْ قام بالعرفِ أمراً وعلى العا فأنبه ياذا الرئيس المفدى وابقَ ماغنت الصوادح في الصب

لإمام والناس جمعاً وراء عجزت عن مثاله الفصحاء لم تطق وصف نوره الشعراء^(١) وله صاحبٌ حوته السماء عنده الصيف والشتاء سواء^(٢) أو نظيراً لنسجه صنعاء دة يجري وليس فيه رياء لأنّأت عن مقرك النغاء ح ولاح الضحى وولى المساء

فكتبت أنا الجواب عن ذلك ، وهو في « ديك » :

يا فصيحا عنت له البلغاء والبليغ الذي إذا ما بدا البدّ نظمك المستلذ في كل سمع أنت ألفزت في مسمى عجيب وهو يمشي مثل الملوك بتاج ليس تحصى أشخاصه وهو يحصى وتحاشى من عكسه فهو أمر وإذا ما صحتفه يتبدى فابق واسلم لكل لغز بديع

وبليفاً ونّت له الفصحاء رلديه اعتراه منه حياء^(٣) هو والدرّ والأغاني سواء طائر ما حواه قطّ الهواء وعلى رأسه يشال لواء فعجيب لما يراه القضاء يتبرأ من فعله الكرماء حيواناً وقد حواه المساء^(٤) فهو فنّ تحبه الأدباء

(١) (خ) : « نمل خط » ، وهي أشبه .

(٢) في الدرر : « وهو عارٍ ملبس » .

(٣) (خ) : « والرئيس » .

(٤) يريد : « دُئِل » ، وهو ابن آوى ، والذئب .

وكتب هو إلى من غزة :

ذكرتك والجو في خلابة
وبرق الدجى خافق ومضة
وعرف الصبا كزمان الصبا
وللبحر أفواج موج حكّت
ورمل الكتيب بتويجه
وكأس المدام مدام الصفا
فهاج لذكراك عندي هوى
وأضعف من همّي قسوة
وبات حديثك لي مؤنساً
فجادك صوب سلام امرئ
سقيم إذا شاف ريّاكم

مكللة بلالي النجوم
كقلب معنّى عديم الهجوم
ريق الحواشي نديّ النسيم
تزاحم خيل الكفاح العقيم^(١)
يحاي البرود حسان الرقوم
كوّك لو كنت فيها ندي
رمى نار حرّ الأسى في صميم
لفقدك تغزى بجيش الموم^(٢)
يعلّني بالرحيق القديم
مقيم على وده المستقيم
رجا بالعليل شفاء السقيم

يقبل الأرض وينهي مالم يخف من^(٣) العلوم الكريمة من مضاعفة شوقه ،
ومضاعفة أسفه الذي أحاط به من تحته وفوقه ، وما يجده من التألم لانتقطاع مراسيم
مولانا التي تقلّ حدّ الغربة بغيرها ، وتحجب عن الأنفس المكروبة والحزونة كرّ كريها :

وقد غضبت حتى كأنني مذنب
أروم الرضا منها وياليتها ترضى
أنهي ذلك إن شاء الله تعالى .

فكتبت أنا الجواب عن ذلك :

(١) (خ) : « حلت تزاحم » .

(٢) في الأصل و (خ) : « تغزى » ، ولعلّ الوجه ما أثبتناه .

(٣) (خ) : « عن » .

أتاني كتابك والجو قد
فهذا يجود بدر الحيا
وما الدر كالدر بين الوري
ويا حسنه وافدا قد غدا
ويوقفني اللفظ منه على
بخط ترفع في وضعه
وولي الولي لإقباله
وأنت حلاوته شهدة
أيها عربي القريض افتحر
ومثلك مآدار في دارم
هز نظامك أعطافنا
وتحكي الرياض بأسطارها
وبعد فإني في وحشة
توشع من بارقات الغيوم
وهذا يجود بدر العلوم
ولا الزهر فيهم كزهر النجوم
ينفس عني خناق الهموم
نديم لكل سرور مديم
أويت إلى كهفه والرقم^(١)
كما ابن هلال غدا في النجوم^(٢)
ورقت حواشيه لابن العديم^(٣)
فكم في معانيك من ابن رومي^(٤)
ولاتم ما قلت في تيم
كأن قوافيك بنت الكروم
نسبك فيها نسب النسيم^(٥)
سميري أذكاري وصبري حمي^(٦)

يقبل الأرض وينهي ورود المشرف الكريم ، فوق المملوك^(٧) لوروده ، وقبل
من سطره وطرسه عذار أسه ووجنة وروده ، ومتع ناظره من جنته الناضرة بمحذائق

(١) اقتباس قوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ﴾ ، إذ أوى الفتية إلى الكهف ... ﴿ [الكهف : ١٨ - ١٠] .

(٢) في الأصل و (خ) : « التخوم » ولا وجه لها . وابن هلال هو عبيد الواحد بن محمد بن المسلم ، أبو المكارم الحديث (ت ٥٦٥ هـ) ، السير : ٤٩٩/٢٠ ، والدارس : ١٣٧/١ . وفيه تورية .

(٣) شهدة بنت أحمد بن فرج ، فخر النساء (ت ٥٧٤ هـ) ، السير : ٥٤٢/٢٠ .

(٤) كذا ، ولا تستقيم ، وهي في (خ) أقرب إلى رسم : « جن » .

(٥) (خ) : « بأسطارها » .

(٦) (خ) : « ودمعي » ، وهي أشبه .

(٧) ليست في (خ) .

ذات بهجة ، وفداه لما رآه بسواد العين وسويداء اللهجة ، وتحقق أن أبا ذر حديثه أصدق لهجة ، فلم يرتب فيما ادعاه من المحبة ، وقال لاشبهة في وداد ابن قاضي شبهة :

قلبي لـديـك أظنـه يُملي عليـك وتكتب

فكتب هو الجواب عن ذلك :

| | |
|-------------------------------|--|
| ساق الحمام إلى لقاءك نائحاً | صبّ تذكّر نازحاً أوطانه ^(١) |
| فاهتز قلبي باهتزاز أراكه | طرباً ، وهيجّ شجوه أشجانه |
| ودعا وقد بلّ الندى أذياله | صباحاً ، ورصفت الصبا أفنانه ^(٢) |
| وشكا كما أشكو الحمام وإنما | لم يُجّر مثلي بالبكا أجفانه |
| لكن أعان على الجوى وأخو الهوى | إن عاين العاني الكئيب أعانه |
| ومع الإعانة أذكر العيش الذي | مازلت أفدي بالحياة زمانه |
| حق إذا حَسِر الصباحُ قنّاعة | وجد النهار سوره وأبانه |
| غنى وصفّق طائراً بقوادم | تدنيه إن أنأت نوى جيرانه |
| فبكيت محزوناً ، وقلت تغللاً | ليت الحمام أتم لي إحسانه |

يقبل الأرض وينهي ورود الجواب الكريم عما كان تهجم المملوك من العبودية ،
والآيات التي بان بتلك المراجعة قصورها ، وتضع بتلاوة سور تلك العوذ الصلاحية
سورها وصورها^(٣) ، فقابل العبد ذلك الفضل الخليلي مسلماً إليه وعليه ، ووقف سيف
ذهنه الكالّ عنده ، فإنه ينفق مستجدياً ، ومولانا ينفق مما أفاء الله وأفاض من سعة
فضله عليه ، يا ألفت مولاي قد تجاسر العبد ، ولكن والله مقتبساً من أنوار فضائلك ،
وتهجم ولكن ملتبساً من مبارّ شائلك ، ومع هذا فعين الله على ميم منطقتك ، وحاء

(١) في الأصل : « نائحاً » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) (خ) : « أعطافه صباحاً ورغمت » .

(٣) في الأصل : « وسورها » ، وأثبتنا ما في (خ) .

حمايته على راء روتقك ، فإنك ، فداك الأعداء ، حرّ غمر بالجود ، ومولى بزيّه^(١)
 مزيدّ شأنه الحسود ، ومازال المملوك من ورود^(٢) ذلك المثال العالي يتحلى بألفاظ
 شهدته^(٣) ، ويتأنّس بمعاينة الوارد عن وحيد العصر . فما يشكو ألم وحدته ،
 يا مخدومي ، من أين للقائل سواك أن يقول :

وأنست حلاوته شهدة ورقت حواشيه لابن العديم
 وأن يقول :

أيها عربيّ القريض افتخر فكم من معانيك من ابن روميّ
 وإنما سبحان من جعل مفاتيح كنوز الأدب بيدك ، وصرفك فيما صرفك عن
 قبول ما أنعم به عليك ، وسؤال المملوك من الصدقات إدامة الجبر الكريم ، فإن المملوك
 إذا رأى كتاب سيدي شاهد معانيه من مثاله ، وتذكر مواصلة الخيرات الحسان بين
 يديه بالنشر الفائح من طيّ أوصاله .

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

وافي قريضك فاستمال أخا الهوى
 هاجت بلبله بلبل صبوتي
 فكأن رقم سطوره روض غدت
 أخلت منه خمائل الشعراء وال
 أما السراج فما لشعلة نظمه
 وابن النقيب عصت عصاه فلم تسق
 وثني إلى ذكرى صباه عيانه^(٤)
 قدماً وذكرني العقيق وبائه
 ثني نسيات الحمى أغصانه
 كتاب لما عاينوا عنوانه
 نور وسود في الطروس دخانه
 جند القريض وعطلت ميدانه

(١) كذا ، ولزّي : الظريف .

(٢) في (خ) : « من يوم ورد » .

(٣) (خ) : « شهديّة » .

(٤) كنا في الأصل و (خ) ، والأشبه : « غنانه » .

وكذلك الجزار ليس لشعره والفاضل المشهور أصبح خاملاً
وكذلك الجزري أنبت نثره وكذلك ابن الصيرفي لم ينتقد
يامن قطعت به زماناً بالحمى عصر متى أملى النسيم حديثه
سجع الحمام يلذ لي لاسيما فيجسد لي ذكراك في تغريده
ياحسرتا ليت الحمام أعاد لي شعر وأغلق في الورى دكانه
في نثره ورأى الورى نقصانه روضاً فلم يرض الورى بستانه
شيئاً، وعطل بعدها ميزانه سقي الحمى ورعى الإله زمانه
في الروض فتح زهره آذانه إن حركت أيدي الصبا عيدانه
وأروح ريان الحشا نشوانه إحسانه فأعارني طيرانه

يقبل الأرض ، وينهي ورود الجواب الكريم على من ورد ، الجسم الفضل الذي
دخل باب الأعجاز ورد ، العميم الإحسان الذي يروي صدى من صدر عنه أو ورد ،
فتلقاه بكلتا يديه ، وضمه وشم أنفاسه ، ووضع على رأسه لابل أتخف بالتاج رأسه ،
وفضه عن فضل نظم رأى ملائكة البلاغة حراسه ، واستجلى من طرسه ياسمينه ومن
سطره آسه ، وبهت لرقم طروسه ، إلى أن قاس بالمسك الأذفر^(١) أنفاسه ، ونظره فإذا^(٢)
هو قد اختبأ له فيه اختبأله ، وما احتفى له احتماله ، وخلط جسده بجسده^(٣) ، وعقل
لسانه بجبل من مسده ، وصرفني عن معارضته بالجواب ، وقال : الاعتراف بالقصور
أولى وأليق بالصواب ، فمأنت ومكاثرة الغمام^(٤) ومكابرة هذه السمام ومنافحة هذه
الكمام ، ومناوحة هذه الحمام ، أدخل تحت ذيل الاعتراف وقل تبخثري ياديباجة
البحثري ، وفوقي النظارة يانضارة المشتري ، واخلي القلوب يا أقلامه التي نفتت السحر
في العقد ، وصولي على كتاب هذا الزمان فقد نبهت من هذا الفن ما أغفى ورقد .

(١) مسك أذفر : جيد إلى الغاية .

(٢) في الأصل : « وإذا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٣) الجسد : الزعفران .

(٤) : « هذه الغمام » .

والمملوك فقد اعترف ، ووقف على الشاطئ ولو أمكنه لاغترف ، ولكنه يدعو ببقاء هذه الفضائل ، ودوام هذه التحف التي أمسى بها فنّ الأقدمين^(١) وهو متضائل ، إن شاء الله تعالى .

وفي (التذكرة) التي لي في أماكن متفرقة أشياء كثيرة مما دار بيني وبينه .

١٧١١ - محمد بن غالب بن سعيد*

الشيخ الإمام الزاهد الصالح البركة المحدث شمس الدين أبو عبد الله الأندلسي الجياني .

ارتحل في طلب الحديث ، وسمع من الرضي بن البرهان ، وابن عبد الدائم ، وطبقتهما .

وجاور بمكة ، إلى أن توفي رحمه الله تعالى سنة اثنتين وسبع مئة .
ومولده بعد العشرين وست مئة^(٢) .

١٧١٢ - محمد بن أبي الفتح**

ابن أبي الفضل بن بركات ، الإمام المفتي المحدث المتقن النحوي البارع شمس الدين أبو عبد الله شيخ العربية البعلبي^(٣) الحنبلي .

سمع من الفقيه محمد اليونيني ، وابن عبد الدائم ، والعز حسن بن المهير^(٤) ، وابن أبي

(١) (خ) : « في الأقدمين » .

* الدرر : ١٣٣/٤ .

(٢) في الأصل : « سبع مئة » ، سهو .

** الوافي : ٣١٦/٤ ، والدرر : ١٤٠/٤ ، والبغية : ٢٠٧/١ ، والشذرات : ٢٠/٦ ، وذيل العبر : ٤٧ .

(٣) الوافي وذيل العبر : « البعلبي » .

(٤) توفي سنة (٦٦٦ هـ) ، كما في الإعلام للذهبي : ٢٧٨ .

اليسر ، ومن بعدهم . وعني بالرواية ، وحصل الأصول . وجمع وخرّج ، وأتقن الفقه ، وبرع في العربية ، وصنف شرحاً كبيراً (للجرجانية)^(١) ، وجوّده ، وأخذ عن ابن مالك ولازمه .

وحدث بدمشق وطرابلس وبعليّك ، وتخرج به جماعة ، وكان إماماً^(٢) متواضعاً متزهداً ، ريّض الأخلاق حسن الشّائل على الإطلاق ، جيّد الخبرة بألفاظ الحديث ، مشاركاً في رجاله أهل القديم والحديث .

ولم يزل على حاله إلى أن توجه إلى القاهرة ، وانتقل منها إلى الآخرة .

وتوفي رحمه الله تعالى بالمنصورية ليلة السبت ثامن عشر المحرم سنة تسع وسبع مئة ، ودفن بمقبرة عبد الغني .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

وكان قد توجّه من دمشق إلى القدس ، ومن هناك توجه إلى الديار المصرية ، ففرض^(٣) أياماً يسيرة ، ومات رحمه الله تعالى .

١٧١٣ - محمد بن فضل الله*

القاضي بدر الدين الموقع ، أحد الإخوة ، شرف الدين عبد الوهاب ومحيي الدين

يحيى .

كان قد أسره التتار في أيّام غازان ، ودخل معهم البلاد ، ومنّ الله عليه بالخلاص من أسرهم ، ووصل إلى دمشق في يوم الأربعاء ثالث عشري جمادى الآخرة سنة أربع وسبع مئة .

(١) وهي كتاب الجمل في النحو ، للإمام عبد القاهر الجرجاني . انظر : الكشف : ٦٠٢/١ .

(٢) (س) والوافي : « إماماً متعبداً » .

(٣) في (س) : « فرض بها » .

* الوافي : ٢٢٨/٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٧ ، والدرر : ١٣٧/٤ .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وروى لنا (الأربعين الثقيفة) عن العراقي بإجازته من السلفي ، وسمع أيضاً من فرج الحبشي والشرف الإربلي . وكان لَيْن الكلمة ، لطيف الجانب ، من أعيان الكتّاب المتصرفين .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع جمادى الأولى سنة ست وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وثلاثين وست مئة بطبرية .

١٧١٤ - محمد بن فضل الله*

القاضي الكبير الرئيس الشهير فخر الدين ناظر الجيوش بالديار المصرية .

كان عند أستاذه وجيهاً إلى الغاية ، ومكيناً من خاطره إلى النهاية ، لا يمكن السلطان في الغالب من فعل ما يريد ، ولا يدع أحداً يجتمع به من أهل السر السريد^(١) ، ومن اجتمع به بغير علمه راحت روحه ، وأثنت جروحه ، فكان للناس رحمة ، وبه كانت كل بيضاء شحمة^(٢) ، والناس في أمان على أموالهم وأرواحهم ، وسمات القبول والإقبال تهبّ عليهم في غدوهم ورواحهم ، نصل^(٣) عنده خضاب ابن حنا^(٤) ، والوزير الفائز مافاز مثله بما تمنى ، وابن السلعوس مابلق وجاهته ، ولا رأى طول مدته ولا حصل تفرّجه ونزاهته :

جمال وزارة وشهاب دسّتِ وسائس دولة وسعيد قال

* الوافي : ٢٢٥/٤ ، والبداية والنهاية : ١٥٩/١٤ ، والدرر : ١٢٨/٤ ، وذيول العبر : ١٧٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٥/٩ .

(١) في الأصل : « السريد » ، وأثبتنا ما في (س) . والسريد : الأشقى .

(٢) يشير إلى المثل : ماكلّ سوداء قمره ، ولا كلّ بيضاء شحمة .

(٣) نصل ، أي : زال وسقط .

(٤) أحمد بن محمد بن محمد ، سلفت ترجمته في موضعها .

تَحْمَلُ لِلْمَالِكِ كُلِّ عَبْدٍ فَمَا خَصَّيْتَ الْمَالِكَ بَعْدَ جَدِّ
فَقَامَ لَهُ قَدَمَ الْكَمَالِ ^(١) وَأَنْشَطْتَ الْمَالِكَ مِنْ عَقَالِ ^(٢)
فَإِنْ يَكْ أَمْرَ الْوَزَرَاءِ عَصْرًا فَقَدْ خُتِمَتْ بِهِ الرَّتْبُ الْعَوَالِي
وَمَا بَرَحَ الْحَيَا قَطْرًا وَوَبَلًا أَوَاخِرُهُ تَنْيِفٌ عَلَى الْأَوَالِي

ولم يزل في نصرة مظلوم وإنالة محروم ، إلى أن حوّمت عليه المنية ، وعظّمت فيه الزرية .

وتوفي رحمه الله تعالى في نصف شهر رجب [سنة ^(٣) اثنتين وثلاثين وسبع مئة .
وكان عمره ثلاثاً وسبعين ^(٤) سنة .

وكان قد سمع من الأبرقوهي ^(٥) ، وانتفع [به] ^(٦) خلق كثير في الدولة الناصرية
من الأمراء والنواب والعلماء والقضاة ^(٧) والفقراء والأجناد وغيرهم من أهل الشام ومصر
لوجاهته عند مخدومه ، وإقدامه عليه ، لم يكن لأحد من الترك ولا من للمتعممين مثل
إقدامه عليه .

حكى لي القاضي عماد الدين بن القيسراني أنه قال له يوم خدمة ونحن جلوس في
دار العدل : يا فخر الدين تلك القضية طلعت فاشؤش . فقال ^(٨) : ما قلت لك إنها

(١) في الأصل : « غب » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (س) : « وأنشطت المكارم » .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) في الأصل : « سبعاً وثلاثين » سهو ، وأثبتنا ما في (س) وذيول العبر . وفي الدرر أن ولادته سنة
(٦٥٩ هـ) .

(٥) في الأصل : « ابن الأبرقوهي » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) زيادة من (س) .

(٧) في (س) : « والقضاة والصلحاء والفقراء » .

(٨) عبارة الوافي : « فقال له » .

عجوز نحس وتكذب . قال عماد الدين : يريد بذلك بنت كوكاي زوج السلطان ، لأنها كانت ادّعت أنها حُبلى .

وأما أنا فسمعت السلطان الملك الناصر يقول يوماً في خاتقاه سرياقوس الجندي وقف بين يديه يطلب إقطاعاً : لا تطوّل ، والله لو أنك ابن قلاوون ما أعطاك القاضي فخر الدين خبزاً يعمل أكثر من ثلاثة آلاف درهم^(١) .

وكان قد غضب عليه في وقت عندما حضر من الكرك في المرة الثانية ، وطلب القاضي قطب الدين ابن شيخ السلامة من الشام ، وولّاه مكانه ، وأخذ منه أربع مئة ألف درهم ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة وسبع مئة ، فأفرج عنه ، وأعيد إلى نظر الجيش شريكاً لقطب الدين في جمادى الأولى من السنة المذكورة . ولما رضي بعد قليل عليه أمر بإعادتها عليه ، قال^(٢) : يا خوند أنا خرجت عنها لك ، فابن^(٣) بها جامعاً ، فبنى بها الجامع الذي في موردة الحلفاء^(٤) .

وكان في آخر عمره يباشر بلامعلوم ، وأعرض عن الجميع ، وترك الكماجة الحمراء تحضر إليه من الخابز السلطانية ، ويقول : أتبرّك بها .

وحكى عنه أنه من يوم إسلامه تسمّى^(٥) بمحمد ، وأعرض عن النصارى جملة كافية ، فلا يقربه نصرائي ولا تحوي داره نصرائياً .

وحكى لي شيخنا الحافظ فتح الدين قال : قال القاضي شرف الدين بن زنبور - وكان خال القاضي فخر الدين هذا : ابنُ أختي عمره مُتَعَبِّدٌ متألّه لأننا كنّا^(٦) نجتمع على

(١) ذكره في النجوم الزاهرة عن الصفدي .

(٢) (س) : « فقال له » .

(٣) في (س) والوافي : « فابن لك » .

(٤) (س) : « الحلفاء » ، تصحيف .

(٥) (س) : « ومن حين إسلامه تسمّى » .

(٦) في النجوم الزاهرة : « لما كنا » .

الشراب في ذلك الدين ، فتركنا وينصرف ونفتقده إذا طالت غيبته ، فنجدته واقفاً يصلي ، ولما ألزموه بالإسلام امتنع ، وهمّ بقتل نفسه بالسيف ، وتغيّب أياماً ، ثم إنه أسلم وحسن إسلامه إلى الغاية .

وحجّ غير مرة ، وزار القدس غير مرة ، وفي بعض المرات أحرم من القدس ، وتوجّه إلى مكة مُحَرَّمًا من هناك ، وبنى مساجد كثيرة بالديار المصرية وعمر أحواضاً كثيرة في الطرق ، وبنى بنبلس مدرسة ، وبنى بالرملة بيارستاناً ، وأكثر^(١) من أفعال البر .

وقال لي القاضي شهاب الدين : إنه كان حنفي المذهب .

وكان إذا خدمه الإنسان في العمر مرة واحدة كفاه مؤونة أمره ، وصحبه إلى آخر الدهر ، وقضى أشغاله^(٢) ، ونقله إلى وظائف أكبر^(٣) مما في يده ، فكانت^(٤) فيه عصبية شديدة لأصحابه . وقيل : إنه كان يتصدق^(٥) في كل شهر بثلاثة آلاف درهم .

وكان في أول أمره كاتب الممالك إلى أن توفي القاضي بهاء الدين بن الحلي ، فولاه السلطان مكانه في نظر الجيوش ، وكان الأمير سيف الدين أرغون النائب يكرهه كثيراً ، وإذا قعد للحكم أعرض عنه ، وأدار كتفه إليه ، ولم يزل فخر الدين يعمل عليه إلى أن توجّه^(٦) إلى الحجاز ، ف قيل : إنه أتى يوماً بذكره ، وقال له : يا خوند ، ما يقتل الملوك إلا نوابهم ، هذا يبئذرا قتل أخاك الأشرف ، ولاجين قتل بسبب نائبه منكوتر ، فتخيّل السلطان من أرغون ، ولما جاء من الحجاز جهزه إلى حلب نائباً . وهو الذي حسن

(١) (س) والوافي : « وكثر » .

(٢) (س) : « شغله » .

(٣) في الأصل : « أكثر » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) (س) والوافي : « وكانت » .

(٥) في (س) والوافي : « .. كان في آخر مرة يتصدق » .

(٦) عبارة الوافي : « إلى أن توجّه أرغون » .

للسلطان أن لا يكون له وزير بعد الجمالي ، ولذلك بقيت أمور المملكة ترجع إليه ، وهي متعلقة به من الجيش والأموال والعزل والولاية .

وسمعت أنا من قرمان^(١) شخص كان كاتباً بصفد ، أنه جاء مرة إلى القدس وكتب هناك وتوجه إلى « قمامة »^(٢) ، وكنت خلفه ، وهو لا يراني ، وهو يمشي وينظر إلى تلك الآثار والمعابد ، ويقول : ﴿ رَبَّنَا لَا تَزِرْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ﴾^(٣) .

وعلى الجملة فكان للزمان جمال ورؤنق ، ولما قيل للسلطان إنه مات لعنه وسبّه ، وقال : له خمس عشرة سنة ما يدعني أعمل ما أريد . ومن بعده تسلط السلطان على الناس ، وصادر وعاقب وتجراً على كل شيء . وأوصى عند موته للسلطان بأربع مئة ألف درهم ، فأخذ منه ما يزيد على الألف ألف درهم .

وكتب إليه شيخنا العلامة شهاب الدين محمود ما أنشدنيه إجازة :

| | |
|-------------------------------|--|
| في دعاء الإله في كل عام | لك فخر تسمو به في الأنام |
| وحجيج البيت المحرم أنى | شئت من أسنى المزايا الجسام |
| كلّ حول تعود عن كعبة الله | ه تقيّاً من سائر الآثام |
| عارياً من ملابس الذنب قدما | رافلاً في حلى القبول الوشام ^(٤) |
| مع ماتبتنيه ثم من الطبا | عات ما بين زمزم والمقام |
| قد ألفت السرى فلو رمت في اليق | ظة مثوى لسرت في الأحلام ^(٥) |
| هويتك الشاعر الزهر تحتها | ل بها في ملابس الإحرام |
| فهي تشاقتك اشتياقك إيا | ها فسيان أنتم في الغرام ^(٦) |

(١) في الوافي : « قرمان » .

(٢) هي كنيسة القيامة اليوم في القدس .

(٣) آل عمران : ٨٧ .

(٤) جمع وشم ، وهو غرز الإبرة في البدن .

(٥) في الأصل : « ألفت » ، وقد طمست في (س) .

(٦) (س) : « اشتياقك معناها » .

لك وجدّ بالبيت والعروة الوثقى ولا وجدّ عروة بن حزام
فجزاك الإله عن سعيك المبدّرور خيراً حمّاً عن الإسلام
فلكم قد سهرت في حرّم الهادي عليه السلام ليل التّام
في حمى لو يُسعى إليه على الراس لقدّمته على الأقدام
حيث تُغني عبارة العبرات البكم في الشوق عن فصيح الكلام
وتُراح الشكوى ويستطر البُررويعنى العانية ويُروى الظامي^(١)
وتجازى عنّ بذلك الرّفد للوفسد وإكرامهم جزاء الكرام
وإذا عدت عنه عدت خفيف الحاد إلا من الأجور العظام
فلك الله حافظٌ ومثيبومعين في رحلة ومقام
ومجازٍ بالعز في دار دنياك وعز الأخرى بدار السلام

١٧١٥ - محمد بن فضل الله بن أبي الخير*

ابن غالي ، الوزير الكبير غياث الدين خواجا ابن الوزير رشيد الدولة الهمداني .

كان من أجل الناس صورة ، وصفاتُ الخير فيه محصورة ، والمحاسن على ذاته مقصورة ، لم يتلّ أحد رتبته في الممالك القانيّة ، ولا وصل إلى محلّه من قلب مخدومه في تدبير الأمور السلطانية ، وكان له عقلٌ وافر ، وذهنٌ في تدبير الأمور متضافر ، وفكرٌ صبح عقباه إلى النجاة والنجاح سافر ، داهية ذَا عَوْر^(٢) ، يتطور في بلوغ مقاصده طوراً بعد طور ، مع حسن إسلام وكرم يخجل منه الغمام ، ويسجع^(٣) بوصفه الحمام ، أثر الآثار الجميلة ، وخرّب كنائس بغداد ، وجعلها ديمنة ، والعيون من أهلها كليله .

(١) (س) : « العافي » .

* الوافي : ٣٢٩/٤ ، والدرر : ١٣٥/٤ .

(٢) في الأصل : « ذا وعور » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) في الأصل : « وسجع » ، وأثبتنا ما في (س) .

وهو كان السبب في صلح الإسلام مع التتار ، وبه صارت سنة باقية إن شاء الله إلى يوم
تُكشف فيه الأستار :

هو العارض الشَّجَّاجُ أخضل جَوْدَهُ وطارت حواشي برقه فتلهَّبا
إذا ما تلقَى في الوغى أصعق العدى وإن فاض في أكرومة غمر الربا

ولم يزل على حاله إلى أن توفي بوسعيد رحمه الله تعالى ، فأخذ سعدُه ، ومأطال
بعده أمرُه إلى أن سكن لَحْدَه .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رمضان سنة ست وثلاثين وسبع مئة .

وكان هذا الوزير غياث الدين قد وُلِدَ في الإسلام ، ولَمَّا نُكِبَ والده وقتل سَلِمَ
هو ، وقد تقدم ذكر والده في حرف الفاء مكانه ، واشتغل مُدَّةً ، وصحب أهل الخير .
ولما توفي الوزير علي شاه ^(١) طلبه السلطان بوسعيد ، وفوَّض إليه الوزارة ، ومكَّنه وردَّ
الأُمُور إليه ، وألقى إليه مقاليد الممالك ، وحصل له من الارتقاء والملك ما لم
[يبلغه] ^(٢) وزيرٍ غيره في هذه الأزمان ، وكانت رتبته من رتبة ^(٣) نظام الملك .

وكان جميل الصورة ، وأمه تركية ، وله عقل ودهاء وعُور ، وكان خيراً من
والده ، خرَّب كنائس بغداد ، وردَّ أمر المواريث إلى مذهب أبي حنيفة ، فورث ذوي
الأرحام ، وكان إليه تولية نيابة الممالك وعزلهم لا يخالفه القان في ذلك . وخدم
السلطان الملك الناصر محمدأ صاحب مصر كثيراً ، وراعى مصالحه وحقن دماء الإسلام ،
وقرر الصلح ، ومشى الأمور على أجمل ما يكون .

ولَمَّا توفي القان بوسعيد رحمه الله تعالى نهض الوزير غياث الدين إلى شاب من

(١) سلفت ترجمته .

(٢) زيادة من (س) والوافي .

(٣) في (س) والوافي : « من نوع رتبة .

بقايا النسل يُقال له : « أربكوون » وقد تقدم ذكره في حرف الهمزة ، فسلطنه ، وأخذ له البيعة على الأمراء واستوسق له الأمر ، فخرج عليهما علي باشا خال بوسعيد وابن ييدو فانقلّ الجمع ، وقتل أرباكوون والوزير في التاريخ المذكور .

١٧١٦ - محمد بن فضل [الله] بن أبي نصر*

ابن أبي الرضا السديد المعروف بابن كاتب المرج .

قرأ النحو والأدب والأصول على نجم الدين بن الطوفي^(١) البغدادي الحنبلي بقوص ، ثم قرأ (التقريب)^(٢) على مؤلفه الشيخ^(٣) العلامة أثير الدين ، وتأدّب على تاج الدين أبي الفتح محمد بن الدّشناوي ، والأمير مجير الدين عمر بن اللّمطي ، وشرف الدين محمد النصيبي بقوص ، وغيرهم .

أديب كامل ، ولبيّب لأنواع اللطف شامل ، كأنّما خلق من سمات السحر ، أو تكوّن من شمائل أعيد إن نطق سلب ، وإن رنا^(٤) سحر . حسن الصورة ، عليه ملامح الجمال مقصورة ، مع فصاحة لسان وسماحة بنان^(٥) ، وحسن كتابة ، وكثرة وقوع على الإصابة ، وصدق لهجة ، وسيّر سيرة سلك فيها^(٦) أوضح محجة ، ونظم ما للسراج معه إضاءة ، ولا للجزار به لحاق ، ولو قطع أعضائه ، ولا للبوصيري ولو صار في سكر دانه

* الوافي : ٢٢٩/٤ ، والطالع السعيد : ٦٠٢ ، والدرر : ١٣٥/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من (خ) ، (س) ومصادر ترجمته .

(١) هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الطوفي المصري (ت ٧١٦ هـ) . (ذيول العبر : ٨٨) .

(٢) هو تقريب للقرّب ، وللقرب كتاب في النحو لابن عصفور .

(٣) (س) : « شيخنا » كما في الطالع .

(٤) (س) ، (خ) : « أو رنا » .

(٥) في (س) ، (خ) زيادة : « وإحسان » .

(٦) (س) ، (خ) : « منها » .

صيراً^(١) ، ولا للنصير الحمّامي ولو كان ابن النقيب له نصيراً ، وهيهات ، هذا في علوّ ورفعة ، يضيء وأين النجم ممّن يحاوله .

ولم يزل في بلاد الصعيد يتنقل ، ويقرع هضبات الولايات ويتوقّل ، إلى أن فُتح سدّ المنايا على ابن السديد ، وأصبح في الصعيد من تحت الصعيد .

وتوفي رحمه الله تعالى في^(٢) .

وتقلب في الولايات السلطانية ، وهو في كلها محمود السيرة . وتولى وكالة بيت المال بقوص ، وجلس بالورّاقين بقوص .

وقال الفاضل كمال الدين الأفودي : كان والده قد أعطى في سعة العطاء ما يعزّ الآن وجوده ، فجازاه الله بما أسلف من خير ، إسلام أبنائه أجمعين ، وهداهم إلى اتّباع سيّد المرسلين ، وانتقلوا من شريعة [عيسى]^(٣) إلى شريعة محمد المختار ﷺ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ^(٤) .

وله مشاركة في النحو والأصول والحكمة والطب وغير ذلك ، وجرى على مذهب أهل الآداب في أنهم يَسْتَجْلُون محاسن الشباب ، ويستحلّون التشبب في الشراب^(٥) ووصف الحباب . انتهى .

أنشدني من لفظه القاضي صدر الدين سليمان بن داود بن عبد الحق قال : أنشدني من لفظه القاضي سديد الدين ابن كاتب المسرح :

(١) الصّير : الماء .

(٢) كذا بياض في الأصول ، ولم يذكر في الوافي سنة وفاته أيضاً ، ولكن وقع في الدرر مانصّه : قال الصفدي : مات سنة بضع وأربعين وسبع مئة .

(٣) زيادة يقتضها السياق ، ثابتة في مصادر ترجمته .

(٤) القصص : ٦٨/٢٨ .

(٥) في الأصل : « السبب » ، وفي (خ) : « السراب » . وأثبتنا ما في (س) والطالع .

تحاول عيني جهدها أن تراكم
أيا جيرة الوادي ولم أدر طيبه
فبالسك مالي حاجة إن أتيتكم
ومابي^(٢) فقرّ إن وقفت بأرضكم
أسير إليكم والسقام مسايري
وإن فات تفديكم من سوء مهجتي
هويتكم والناس طرّاً فا الذي
وفيم يعاديني الأنعام عليكم
كفاني إليكم أن مالي وسيلة
وكان شبابي إن غضبت تجتّباً
وكنت أظن الشيب ينهي عن الهوى

وكيف وفيها للدموع تراكم؟^(١)
أمن شجرات فيه أم من شذاكم!
ولا لكم إن طيب ذكرى أتاكم^(٢)
لأنّ ثرائي وقفة في تراكم^(٣)
فإما حامي دونكم أو حماكم^(٤)
وما مهجتي حق تكون فداكم^(٥)؟
خُصت به حق ولاء هواكم^(٦)
وكلهم أحبابكم لا عداكم
ولو شئتم أن تحسنوا لكفام
شفيعاً إلى ما أرتضي من رضاكم^(٧)
فلم ينهني عنكم، ولكن نهامكم

قلت : البيت الأول مأخوذ من قول شمس الدين محمد بن العفيف :

في دمع عيني تراكم لعلهم أن تراكم
وبه قال : أنشدني لنفسه :

وقالوا: لم صحبت شرار قوم ولا مؤني ولومهم حاقه
وكيف أميّز الشرير منهم ولم أعرفه إلا بالصدقة

(١) في الطالع : « ترى هل لعيني حيلة أن تراكم » .

(٢) في الطالع : « ما لي حيلة » .

(٣) في الأصل و (خ) : « ومالي » ، وأثبتنا ما في (س) ، والطالع ، وفي الطالع : « إن حلت » .

(٤) في الطالع : « والسقام يقودني » .

(٥) في الطالع : « فإن قلت تفديكم ... فا » .

(٦) في الطالع : « حق ولا هواكم » .

(٧) في الطالع : « إلى ما أبتغي » .

قلت : أبو الطيب كان أحكم بقوله ^(١) :

أخالط نفس المرء من قبل جسمه وأعوفها من فعله والتكلم ^(٢)
وبه قال : أنشدني لنفسه :

ولي في الهوى العذري عذراً وإنما عذار الذي أهواه لي فيه أعذار
أيحسن أن أسلو وخداه جنّة وقد كنت لأسلوها وهما نار
قلت : وقد لهج الناس بهذا المعنى كثيراً ، ومن أحسنه قول ... ^(٣) وبه قال :
أنشدني لنفسه :

أوصيك يا مرثلاً بقلب من قد ودّعك
إن عاش أو مات فلا تفض عليه أدمعك
واردّده لي مصبراً فالقلب والصبر معك

ومن شعراين كاتب المرح :

إذا حمّلت طيب الشذا نسمة الصبا فذاك سلامي والنسيم فمين رُسلي
وإن طلعت شمس النهار ذكرتكم بصاحبة الشيء يُذكر بالمثل ^(٤)

قلت يريد : « طيب الشذا » : سلامه ، والنسيم نفسه رسول ، فلا يتوهّم أن
الاثنين واحد ، والثاني والأول مأخوذ من قول :

إذا طلعت شمس النهار فسلمي فأية تسلي عليك طلوعها

(١) (س) ، (خ) : « كان أحكم منه لقوله » .

(٢) ديوان المتنبي : ١٣٥/٤ ، وفيه : « أصادق .. في فعله » .

(٣) كذا بياض في الأصول وهو بمقدار بيتين في (س) .

(٤) في الأصل : « وللثل » ، وكذلك في الطالع . وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وسيأتي ما يؤيد هذه
الرواية من قول المؤلف . والبيتان في الطالع السعيد .

وقوله : « والشيء يذكر بالمثل » أصل المثل : والشيء بالشيء يذكر .
ولو قال : والمثل يذكر بالمثل [لكان أحسن]^(١) .

ومنه :

أقول لجَنَحِ الليل لا تحكِ شعْر مَنْ
فقد رام ضوء الصُّبح يحكي جبينه
هويت وهذا القول من جهتي نُصَحُ
مراراً فما حاكاه وافترض الصُّبح^(٢)

ومنه :

برقَ بدا من دارِ علوه
فيها قلوبُ العاشقين
إنني اجتهدتُ فصرتُ في العُشْدِ
لو أن قيساً مُدْرِي
لا عيش من بعد الصِّبا
بمُهْفَهف يسبي العقُـو
أبدأ قضيبُ القـد من
قد أسكرتُ رشفاتُه
أو قلبُ صبَّ صار جذوه
نَ تَصْرَمْتُ صَداً وجفوه
شاقِ قُدوة كل قُدوه
لمشي على نهجي وعروه
يخلو سواي بجنون صـوه
لَ كَأَنَّ في جَفْنَيْهِ قَهـوه
هـ يميل من لين ونشوه^(٣)
لكنها كالشَّهدِ خلوه

ومنه :

ورد الكاسَ فهي نـار إذا كا
وتخذ الذين لم يردوها
نَ ولا بُدَّ من دخول النار^(٤)
بضروبٍ من معجزات الكبار^(٥)

(١) زيادة من (س) ، (خ) .

(٢) في (س) ، (خ) : « وانفضح » . والبيتان في الطالع .

(٣) في الأصل : « البان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي ، والطالع .

(٤) في الأصل : « إذا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والطالع .

(٥) في الأصول ما عدا الطالع : « وتحكى » ، والصيغة طلب .

فاجُلْ في اللَّيْلِ مِنْ سَنَاهَا شُمُوساً وأدِرْ في النَّهَارِ مِنْهَا الدَّرَارِي^(١)
وَأَرِ الدَّرَّ مَنْ يَغُوصُ عَلَيْهِ عَائِماً مِنْ حَبَابِهَا فِي النَّضَارِ^(٢)
إِنَّمَا لَذَّةُ الْمُدَامَةِ مِلْكٌ لَكَ فَاشْرَبْ وَمَا سِوَاهَا عَوَارِي

قلت : قوله : « وأدِرْ في النَّهَارِ مِنْهَا الدَّرَارِي » استعمل هذا المعنى مجير الدِّين بن تميم^(٣) أحسن من هذا ، ومن خطُّه نقلت :

أَمْوَلَايَ أَشْكُو إِلَيْكَ الْخُمَار وما فَعَلْتَهُ كُؤُوسُ الْعُقَار
وَجَوْرُ السُّقَاةِ الَّتِي لَمْ تَزَل تَرِينِي الْكَوَاكِبَ وَسَطَ النَّهَار
ومن شعرا بن كَاتِبِ الْمَرْج :

لَعَنَ أَشْتَكِي الْبَرِغوثَ يَأْقُومُ إِنَّهُ أَرَاكَ دَمِي ظُلماً وَأَرْقُ أَجْفَانِي
وَمَازَالَ بِي كَاللَّيْثِ فِي وَثْبَاتِهِ إِلَى أَنْ رَمَانِي كَالْقَتِيلِ وَعَرَانِي
إِذَا هُوَ أَذَانِي صَبْرَتْ تَجَلُّدًا وَيَخْرُجُ عَقْلِي حِينَ يَدْخُلُ أَذَانِي^(٤)

قلت : ذكر أصحاب الخواص [أن البرغوث]^(٥) إذا دخل في أذن أحد ووضع الإنسان يده على سُرَّتِهِ أو أصبعه في سُرَّتِهِ وقال : « سَبَقْتُكَ » فإن البرغوث يخرج منها .

وقال علاء الدين الوداعي في الْبَرَاغِيثِ ، ومن خطُّه نقلت :

بَرَاغِيثُنَا فِيهِمْ جَرَاءَةٌ فَبِالْأُسْرِ وَالْقَتْلِ لَا يَرْجِعُونَا

(١) الدراري : جمع الكواكب . وفي الطالع : « واجل » .

(٢) (س) : « في حبابه » .

(٣) في (س) ، (خ) : « محمد بن تميم » ، وهو محمد بن يعقوب بن علي (ت ٦٨٤ هـ) ، الوافي : ٢٢٨/٥ .

(٤) الطالع السعيد .

(٥) زيادة من (س) ، (خ) .

كثيروا الأساة مع أنهم
ونقلت من خطه له مضمناً :

براعيث تسري في الظلام كأنها
«قوارض تأتيني فيحتقرونها»
ونقلت منه أيضاً له :

براعيث فيها كثرة فكأنها
تقولون لي فيها فقلت أعينكم
علينا من الآكام يحتقرونها^(١)
«قوارض تأتيني فيحتقرونها»
وما أحسن قول الصاحب جمال الدين بن مطروح :

ربّ برغوث ليلة بت منه
أمكنت قبضة الثلاثين منه
وفؤادي في قبضة التسعين
فسقتُـه الحيام في سبعين
وقال آخر :

للبراعيث صار جسي مقيلاً
طفح السكر والشراب عليهم
ففؤادي من شرهم في عذاب
فتقايوا دمي على أثوابي^(٢)
ومن شعر ابن كاتب المرج :

أما وطيب عشياتٍ وأسحارٍ
بها أذكر دهرٍ كي يجود بها
لأنّ تلك من الأيام عدت بها
من بعدها أفلت شمسٍ وأقمارٍ
فلا يجود ولا يأتي بأعذار
أو الليالي ولم تحتج لـتذكاري^(٣)

(١) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون ﴾ . [الذاريات : ١٧/٥١] .

(٢) في الأصل : « يحقرونها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) تقايوا : من القيء .

(٤) في الأصل : « من الآثار ... أو الليالي ... ولا تحتج » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والطالع .

لله ليلاتها البيض القصار فكُم
أنكرت إفتاء سِرُّ كنت أكتُمه
يا للعجائب ليل ما هجعتُ به
إن الضنى عن جميع الناس ميّزني
فلا تقولوا إذا استبطأتم خبري
فلو يمر نسيمٌ بي لَسارَ إلى
سَطَوْتُ منها على دهري ببتار^(١)
فيها ولكِنني أنكرتُ إنكاري^(٢)
لنُوره كيف تُخفى فيه أسراري^(٣)
فكانَ علّة إخفائي وإظهاري^(٤)
أما النَّسيمُ عليه سائر ساري
مغناكم بي كما يسري بإخباري

ومن نظم ابن كاتب المَرَج موشح كتبَ به إلى كمال الدين الأدفوي^(٥) :

لي^(٦) مَرَبَعٌ قَدْ خَلا مِنْ أَهْلِهِ فِي السَّبَبِ : عَمْران
فإِنْ يَكُنْ أُمَحْلا فَمَدْمَعِي كَالسُّحْبِ : هَتَان
سَرَوْا قَطْـطَابَ النَّسِيمِ^(٧) وَكُلَّ وادٍ عَاطِرٍ
ولي فـفـوَادٌ يَهيمُ بِالْعِشْقِ وَهُوَ شَاعِرُ
حَكَّوْا ظِبَاءَ الصَّرِيمِ^(٨) لَوْصِيدٍ مِنْهُمْ نَافِرُ
خَـذَرْتُ أَنْ لَا يَرِيْمُ فَرَامَ مَا أَحْـحَازِرُ
فـإِنْ سَرَى فِي بَهِيمٍ^(٩) لَيْلَ فَبَدْرٍ سَافِرُ
وَإِنْ يَسْرِ عَجِـلَا فَالظَّبِيُّ عِنْدَ الْهَرَبِ عَجْلان

(١) في الأصل : « ببتار » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والطالع .

(٢) في الأصل : « إفتاء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) (خ) : « بنوره » .

(٤) (خ) : « الصبا » .

(٥) الطالع السعيد : ٦٠٩ .

(٦) (س) والوافي : « بي » .

(٧) (س) والوافي والطالع : « الشيم » .

(٨) الصريم : القطعة من معظم الرمل .

(٩) في الوافي : « فإن سري » . وفي الطالع : « فإن سري » .

أَوْ حَلَّ وَسَطَ الْفَلَاحِ فَقَوْمُهُ مِنْ عَرَبٍ غَزَلَانِ
يَقُولُ خَلَّ أَنْطِلَاقُ الدَّمْعِ قَصْدَ السُّمْعَةِ
فَمَا لِأَهْلِ النَّفْثَاقِ وَوَجْنَةٍ كَالْجَنَّةِ
فَقُلْتُ دَمْعٌ يُرَاقُ هَلْ رُدُّهُ فِي الْحِيلَةِ
كَلَّفْتُ مَا لَا يُطَاقُ فِي شِرْعَةِ الْمَحَبَّةِ
وَلَا وَعَدْتُ الْعِنَاقَ وَقَهْوَةَ الرِّيقِ الَّتِي
مِنْ حَاسِدِيهَا الطَّلَا وَحَسَنَ نَظْمِ الْحَبِّ خَجْلَانِ
لَا لَغَوْ فِيهَا وَلَا^(١) يَحْرُسُهَا مِنْ شَنْبِ^(٢) رِضْوَانِ
لَيْسَتْ كِرَاحٌ يُطَافُ بِهَا حَرَامًا لَا حَلَالِ
تَدَقُّ عِنْدَ اخْتِطَافِ عَقُولِ قَوْمِ كَالْجِبَالِ
كَمْ أُمْنْتُ مِنْ^(٣) يَخَافُ إِمَّا بِحَقٍّ أَوْ مُحَالِ
وَهَوْنَتْ مِنْ تَلَافٍ عَرَضٍ وَدَيْنٍ بَعْدَ مَالِ
فَدَعَ كُؤُوسَ السُّلَافِ وَاسْتَجَلَّ أَوْصَافَ الْكَمَالِ
فَإِنَّمَا يُجْتَلَى عَلَى الْكِرَامِ النَّجْبِ إِحْسَانِ
مَنْ عِنْدَهُ بِالْقَلَا يُسْتَعْبَدُ الْحَرُّ الْأَبْيَ إِيْمَانِ
أَثْنْتُ عَلَيْهِ الْعِدَا وَعَدَدْتُ مَأْثِرَهُ
مَرَكَزَ بَذْلِ الْجَدَى وَمَنْ سِوَاهُ السِّدَائِرَةِ
بِلا حُرُوفِ النَّدَا لَبَّتْ لَهَا^(٤) الْغَامِرَةِ
أَسْلَفَ كَلَا^(٥) يَدَا حَتَّى السَّحَابِ الْهَامِرَةِ

(١) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ لَا لَغَوْ فِيهَا وَلَا تَأْتِي ﴾ [الطور : ٢٣/٥٢] .

(٢) في الأصل : « سيب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي ، لا الطالع .

(٣) (س) : « مَن » .

(٤) في الوافي : « لها » .

(٥) (س) : « كل » .

وقد ملا بالندا كل بقاع القاهره
حتى رأينا الملا لفضله والأدب قد دانوا
إذ هم رعايا العلا وجعفر بن^(١) تغلب سلطان
منه يفاد^(٢) الكلام فما يقول الناظم
في العلم خبر^(٣) إمام وفي السخاء حاتم
فيا أبا الفضل دام لي ببقاك العالم
فأنت عين الأنعام يقضى وكل نعام
بك الجدود الكرام تسر حتى آدم
أنت لمن قد تلا على صميم النسب عنوان
يا أخراً وأولاً كأنه في الكتب قرآن
وغداة تنجلي فينجلي القلب الحزين
ها تحلى الحلي ويسحر السحر المبين
قلت لها والخلي لم يدر ما الداء الدفين
بـالله من ينطلي عليك أو تالفين
ابن علي بعلي قالت نعم يا مسلمين
لولا علي أنطلا تركت أمي وأبي من شانو
كفاية الله البلا^(٤) يبيت سوى ذا^(٥) الصبي في أحضانو
ومن موشحاته أيضاً :

- (١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي .
(٢) في الأصل : « فغاد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي . وفي الطالع : « يعاد » .
(٣) في الأصل : « خير » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، والوافي ، والطالع .
(٤) في الطالع : « كفاه » .
(٥) في الوافي : « وذا » .

أَفْتِكُ بِنَا فِي السَّقَمِ وَالْهَمَّ كُلَّ فَتْنٍ كِ
بِخَمْرَةٍ كَالْعَنْدَمِ أَوْ مَرَشَفٍ بِنِ تَرْكِ
فَلَوْ نَهَا لَوْنُ الدَّمِ وَالرَّيْحَ رِيحُ الْمُسْكِ
كَمْ صَيَّرَتْ^(١) ذَا أَلَمٍ مِنْ كَدَرٍ وَضَنْبِكِ
وَالْعَيْشَ مِنْهُ يَصْفُو وَالطَّيْشَ يُسْتَخَفُّ وَلِلسَّرورِ زَخْفُ
مِنْهُ الْهَمُومُ تَهْرُبُ وَلَوْ أَتَتْ فِي أَلْفِ

ومنه في الخرجة :

يَا مَرْحَباً بِالْفَائِبِ إِذَا جَاءَ فِي الْعِذَارِ
يُزْرِي بِكُلِّ كَاعِبِ تَزْوَرُّ فِي الْإِزَارِ
فَلَمْ أَكُنْ بِخِصَائِبِ عَلَيْهِ فِي انْتِظَارِ
وَلَمْ أَقُلْ كَالْعَائِبِ أَبْطَأَتْ فِي مَازَارِ
إِلَّا التَّفَتُ لَخَلْفُو وَقَالَ يُشِيرُ بِكَفُّو وَحَاجِبُو لِرَدْفُو
هَذَا الثَّقِيلُ حَقًّا اعْتَبُوا^(٢) عَلَى انْقِطَاعُو خَلْفِي

١٧١٧ - محمد بن أبي القاسم بن جميل*

الشيخ الإمام العالم الفاضل المقتي شمس الدين أبو عبد الله الربيعي المالكي التونسي .

سَمِعَ بِدَمَشْقَ سَنَةَ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ وَسِتْ مِائَةً وَبَعْدَهَا مِنْ ابْنِ جَعْوَانَ ، وَالْحَارِثِي ، وَغَيْرِهِمَا ، وَحَدَّثَ ، وَكَانَ مِنَ الْفَضْلَاءِ الْمَشْهُورِينَ . وَوَلِيَ الْقَضَاءَ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ مَدَّةً .

(١) في الوافي : « صَيَّرَتْ » .

(٢) في الطالع سقطت كلمة « حَقًّا » .

* الدُّرَرُ : ١٤٩/٤ ، وَذِيُولُ الْعَمْرِ : ٨٤ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في حادي عشري صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة بالقاهرة .

ومولده سنة تسع وثلاثين وست مئة .

وكان فاضلاً في فنون^(١) النحو والأصول ، واللغة ، ودرّس وأفتى وصنّف واختصر (تفسير ابن الخطيب)^(٢) ، ودرّس بالمنكوتريّة ، وناب في الحكم بالحُسَينية ، ولم تحمّد سيرته في الإسكندريّة .

قال كمال الدين الأديوي : ذكروا عنه أنه كان يأخذ الدراهم في قضاء الحاجات ويقول : أنا أعرف كيف آخذ . وتكلّم فيه وصرف^(٣) ، وكان قبل القضاء يُظنُّ به الخير ، وكانت [دروسه]^(٤) فصيحة في غاية الجودة ، وكان إماماً بالمدرسة الصّاحية في إيوان المالكيّة .

١٧١٨ - محمد بن أبي القاسم بن محمد*

ابن يوسف بن محمّد بن يوسف بن محمد ، بهاء^(٥) الدين أبو الفضل ابن شيخنا علم الدين البرزالي .

قال شيخنا والده : ختم القرآن العظيم في السنّة الثامنة ، وصلّى به التّروايح سنتين ، وجوّد قراءته ، وقرأ بالسّبع^(٦) ، وحفظ (الشّاطبية) و (الرّائية) وكتاب (التّنبية) في الفقه و (الجرجانيّة) و (مختصر النووي) في علوم الحديث . ولازم

(١) (س) : « فنون من » .

(٢) هو الخطيب التبريزي . انظر : الكشف ٤٤٦/١ .

(٣) (س) : « ... وأتكلّم فيه ، فصرف » .

(٤) زيادة من (س) والدّرر .

* الوافي : ٣٥٢/٤ ، والدّرر : ١٤٢/٤ .

(٥) في الأصل : « ابن بهاء » ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

(٦) (س) : « وقرأه بالروايات السبع » .

زكيّ الدّين زكريّا مدّة سنتين ، وقرأ الفقه عليه ، ولازم كآل الدّين بن قاضي شهبة مدّة وقرأ عليه في النّحو ، وجوّد الخط مدّة على الشّهاب غازي ، ثم بعده على النجم الكاتب . وجاد خطّه ونسخ (الشّاطبيّة) وقطعة من أول (تفسير البغوي) إلى قوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾ ^(١) ، و (علوم الحديث) للنووي . وسمع على خلق كثير عدّتهم تسع مئة شيخ وسبع من الرّجال والنّساء . وزار بيت المقدس ، وحجّ مع والده سنة عشر وسبع مئة ، وسمع بالحرّمين ، وتزوّج بعد ذلك .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - ليلة السّبت ثامن شهر الله المحرم سنة ثلاث عشرة وسبع مئة ، ودُفن بتربتهم بقبرة الباب الشرقي .

ومولده العشرون من المحرم سنة خمس وتسعين وست مئة ، عاش ثماني عشرة سنة .

١٧١٩ - محمد بن قايماز بن عبد الله*

الشيخ الصالح المسند شمس الدّين ابن الصّارم .

شيخ مبارك قرأ القراءات السّبعة على السّخاوي ، وسمع من ابن الزبيدي ، وابن اللّتي ، وابن صباح ، والفخر الإربلي ، وغيرهم . وتفرد بالسماع من ابن ماسويه المقرئ ومحمّد بن نصر بن ناصر بن قوام الرّصافي ^(٢) ، وحدث بـ (صحيح البخاري) كاملاً عن ابن الزبيدي بسنده ، قال شيخنا البرزالي : قرأته عليه .

توفّي - رحمه الله تعالى - في سابع عشري ذي الحجة في أوائل ^(٣) سنة اثنتين وسبع مئة .

(١) سورة آل عمران : ٣٧/٣ .

* الدّرر : ١٤٢/٤ ، وذيول العبر : ٢٢ ، والشّدرات : ٧/٦ .

(٢) كفا ، وفي الشّدرات ٤٢٠/٥ : « أبو محمد عبد الله بن محمد بن نصر بن قوام بن وهب الرصافي ثم الدمشقي ، توفّي سنة (٦٩٥ هـ) ، وعاش ثمانين سنة » .

(٣) ليست في (س) .

ومولده سنة عشرين وست مئة بدمشق . وكان أبوه طحاناً بدمشق .

١٧٢٠ - محمد بن قطلوبك بن قراسنقر*

الأمير الكبير بدر الدين ابن الأمير الكبير سيف الدين المعروف بابن الجاشنكير .

كان شاباً ظريفاً لطيفاً ، تأمر بعد والده وتقرّب بالخدمة إلى الأمير سيف الدين تنكز ، فولّاه ولاية البرّ في ثامن عشر شوال سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ولبسَ تشريفة ، وباشر الوظيفة وكان عنده مكرماً معظماً .

ثم إنه في أيام الأمير علاء الدين أطنبنا حصل تقدمة ، وتوجّه إلى باب السلطان وكاتب بجملة ، وسعى في الحجويّة ، فرسم له بها ، وكان في نفسه منها أمر عظيم ، وحضر إلى دمشق مريضاً .

توفي - رحمه الله تعالى - يوم الأضحى سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ولم يباشر الوظيفة ، ولعله كان لم يصل إلى الأربعين ، وأظنه تولّى نيابة جعفر في أيام الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى .

١٧٢١ - محمد بن قلاوون**

السلطان الأعظم الملك الناصر ناصر الدين ابن السلطان الملك المنصور سيف الدين الصّالحي .

من أعظم ملوك الأتراك ، ومن دانت [له الأقدار]^(١) ودارت بسعوده الأفلاك ،

* الدُرر : ١٤٣/٤ .

** الوافي : ٣٥٣/٤ ، وفوات الوفيات : ٣٥/٤ ، والبداية والنهاية : ١٩٠/١٤ ، ووفيات رافع : ١٤٧/١ ، والدُرر : ١٤٤/٤ ، وبدائع الزهور : ٤٨٢/١/١ ، والشذرات : ١٣٤/٦ .

(١) زيادة من (س) .

لم يرَ الناسُ مثلَ أيّامه ، ولا أسعدَ من حَرَكَاتِهِ ، في رَحِيلِهِ ومُقَامِهِ ، تجرّع في مَبَادئِ أمره كؤوس الصَّبْرِ ، وتجلّد إلى أن وَاَرَى أعاديهِ القبر^(١) .

وَلِيَ الملك ثلاث مَرَّات ، وخرَجَ إلى الكرك وعادَ إلى مصرَ كَرَّات ، وفي الثالثة صفّاهُ الوقت ، واختصَّ بالِمَقَّةِ مِنْ رَعَايَاهُ كما اختصَّ عِداهُ بِالْمَقْتِ ، فحصدَ من كان حَسَدَهُ ، وأراحَ قَلْبَهُ وجَسَدَهُ ، وختَلَّتْ له الأرض من المَعَارِضِ ، وأكلتهم القوارع والقوارض ، وضَمَّنَ بعضهم لِحودِ السُّجُونِ ، ووقَّعوا من سَطَوَاتِهِ في الحدِّ وكانوا يَظُنُّونَ أَنَّهُ مجنون^(٢) ، ولَمَّا استوسقَ له الملك وفازَ أوليائُوهُ بالنِجاةِ^(٣) ، وحازَ أعدائُوهُ الهلكَ ، صفت له الأيام من الكدر وسابق السَّعد مرادَّةً وبَدَرٌ ، وضاق بعدوُّهُ السَّهْلُ والجَبَلُ ، وحلَّ به من الخذلان ما لم يكن له به قَبْلُ :

وقد سارَ في مَسَرَّةٍ قبلَ رُسُولِهِ فَمَا سارَ إِلَّا فَوْقَ هَامٍ مُفْلِقِ
ولَمَّا دَنَا أخفى عَلَيْهِ مَكَانَهُ شُعاعُ الحَديدِ البَارِقِ المُتَالِقِ
وأقبلَ يَمْشِي في البِساطِ فَمَا ذَرَى إلى البَحْرِ يَمْشِي أَمْ إلى البَدْرِ يَرْتَقِي

واقْتَصَرَ بما اغْتَصَرَ ، وانفردَ بالملك فيما اختلَّ عَلَيْهِ فَمَا اختصَّ ، وقالت السعود الخبوءة : خُذْ ، وقالت الأقدار : تحصَّنْ بِالطَّافِ الله وَعِذْ . ودانت له مَلُوكُ الأرض ، وأصبحَ كُلُّ مَنْ مهابته يَرْمِقُ العَيشَ على بَرُضٍ^(٤) . وهادنه الفرنج والتتار ، وساطه حتى زنج الليل وروم النَّهار ، وأصبحَ سيفه^(٥) :

على عاتِقِ الملكِ الأَعْرَ نِجَادُهُ وفي يَدِ جَبَّارِ السَّمَوَاتِ قَائِمُهُ
تَقْبَلُ أَفْوَاهُ المُلُوكِ بِساطُهُ وَيَكْبُرُ عَنْهَا كُفُّهُ وَبِرَاجُهُ

(١) في (س) : « في القبر » .

(٢) (س) : « مجنون » .

(٣) في الأصل : « النجاة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) البرض : القليل .

(٥) الأبيات الآتية للمتنبي ، وهي في الديوان على ترتيب يخالف ما هنا . انظره : ٣٣١/٣ ، وما بعدها .

تَحُولُ رِمَاحُ الْخِطِّ دُونَ مَحْلِهِ وَتُسْبَى لَهُ مِنْ كُلِّ حَيٍّ كَرَائِمُهُ^(١)
 لَهُ عَسْكَرَا خَيْلٍ وَطَيْرٍ إِذَا زَمَى بِهَِا عَسْكَرًا لَمْ يَيْتَقِ إِلَّا جَبَاجِمُهُ
 تُحَارِبُهُ الْأَعْدَاءُ وَهِيَ عِبَادُهُ وَتُدْخِرُ الْأَمْوَالَ وَهِيَ غَنَائِمُهُ
 وَيَسْتَكْبِرُونَ الدَّهْرَ وَالدَّهْرُ دُونَهُ وَيَسْتَعْظِمُونَ الْمَوْتَ وَالْمَوْتُ خَادِمُهُ
 وَأَصْبَحَ النِّيلُ عَلَى إِثْرِ النِّيلِ ، وَالْخَصْبُ يَسِيرُ عَلَى إِثْرِ الْخَصْبِ [وَيَسِيلُ]^(٢) ،
 وَرُخَاءُ الرِّخَاءِ تَهَبُّ نَسِيمًا ، وَوَجْهَ الْأَمْنِ قَدْ أَسْفَرَ وَسِيمًا ، وَمُحَيَّا^(٣) الدَّعَاةِ وَالسَّكُونِ عَلَيْهِ
 مِنْ الْإِقْبَالِ طَلَاوَةٌ وَسِيمًا ، وَالْغَنَى أَصْبَحَ لِلنَّاسِ غَنَاءً ، وَلَكِنْ زَيْدٌ يَاءُ وَمِيمًا ، وَالْإِنْعَامَاتُ
 تُفَاضُ فَتَخْجَلُ الْبَحَارُ الزَّخَارَةُ ، وَيَدْرُهَا إِذَا فُضَّتْ اسْتَحْيَا مِنْهَا الْبَدْرُ ، وَلَمْ يَخْرُجْ عَنْ^(٤)
 الدَّارَةِ ، أَغْرَقَ خَوَاصَّهُ بِالْجَوَائِزِ وَعَمَّهُمُ بِالْهَبَاتِ الَّتِي يَتَحَدَّثُ بِشَأْنِهَا عَلَى الْمَغَازِلِ الْأَبْكَارِ^(٥)
 وَالْعَجَائِزِ . لَمْ نَسْمَعْ لِمَلِكٍ^(٦) بِمَثَلِ عَطَايَاهُ ، وَلَا لَجَوَادٍ غَيْرِهِ بِمَا وَهَبَ حَتَّى أَثْقَلَ جِيَادَهُ
 وَكَلَّتْ مَطَايَاهُ :

تَمْشِي خَزَائِنُهُ مِنْ جُودِ رَاحَتِهِ بَيِّدَاءَ لَا ذَهَبَ فِيهَا وَلَا وَرَقَ
 وَتَحَسَّبُ الْوَفْرُ غَنِيًّا وَالْعَلَا أَفْقًا إِذَا أَنْجَلَى الْغَيْمُ أَبْدَى حُلِيِّهِ الْأَفْقَ^(٧)
 وَلَمْ يَزَلْ فِي سَعَادَةِ مَلِكِهِ وَرِيحُ السَّعُودِ تَجْرِي بِهَا مُوَاخِرَ قُلُوكِهِ ، إِلَى أَنْ هَلَكَ عَنْهُ
 سُلْطَانُهُ^(٨) ، وَمَا أَغْنَى عَنْهُ أَنْصَارُهُ وَلَا أَعْوَانُهُ .

(١) فِي الدِّيَوَانِ : « دُونَ سَبَاءٍ » .

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ (س) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَوَجْهٌ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، وَالْوَافِي .

(٤) (س) : « مِنْ الدَّارَةِ » .

(٥) (س) : « الْأَكْبَرُ » .

(٦) فِي (س) زِيَادَةٌ : « لِلْمَلِكِ قَبْلَهُ » .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « غَنِيًّا » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) .

(٨) يَشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ هَلْكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴾ [سُورَةُ الْحَاقَّةِ : ٢٩/٦٩] .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم الأربعاء تاسع عشر ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومولده في صفر أو في ربيع الأول سنة أربع وثمانين وست مئة .

كان والده المنصور إذ ذاك على المرقب^(١) محاصراً ، ودُفِنَ ليلة الخميس بالمنصورية^(٢) . تولى دفنه بعد عشاء الآخرة الأمير علم^(٣) الدين الجاولي ، وكان لما قتل أخوه الأشرف خليل في عاشر المحرم سنة ثلاث وتسعين وست مئة وقُتِلَ مَنْ قُتِلَ من قاتليه وقَعَ الاتفاقُ بعد قتله يیدراً على أن يكون الملك الناصر مُحَمَّدُ أخو الأشرف هو السلطان ، وأن يكون زين الدين كتبغا نائباً ، وعلم الدين الشجاعى وزيره استادار^(٤) ، واستقر ذلك ووصل إلى دمشق الأمير سيف الدين ساطمش والأمير سيف الدين بهادر التتري على البريد في رابع عشرين المحرم ومعها كتاب عن الأشرف أننا^(٥) قد استتبنا أخانا الملك الناصر محمداً وجعلناه وليَّ عهدنا ، حتى إذا توجهنا للقاء العدو يكون لنا من يخلفنا ، فحلف الناس على ذلك وخطب الخطيب به ، ودعا للأشرف ثم لوليَّ عهده الناصر ، وكان ذلك تدبير الشجاعى . وفي^(٦) ثاني يوم ورد مرسوم بالحوطة على موجودٍ يیدراً ولاجين وقراسنقر وطرنطاي الساقى وسنقرشاه وبهادر رأس نوبه ، وظهر الخبر بقتل الأشرف واتفاق الكلمة على أخيه الناصر مُحَمَّد ، واستقل^(٧) كتبغا نائباً والشجاعى مدبّر الدولة ، وقبض على جماعة من الذين اتفقوا على قتل الأشرف وهم الأمير سيف الدين نوغاي ، وسيف الدين الناق ، وألطنبغا الجمدار ، وأقسنقر مملوك لاجين ، وطرنطاي الساقى ، وأروس ، وذلك في خامس صفر .

(١) المرقب : حصن للمسلمين على ساحل جيلة . (معجم البلدان) .

(٢) في الوافى : « بالمدرسة المنصورية بين القصرين » .

(٣) (س) : « علاء » ، سهو ، وهو : سنجر ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٤) (س) : « وزيراً واستادار » ، وفي الوافى : « وهو الوزير وأستاذ الدار » .

(٥) في الوافى : « من الأشرف ومضمونه أننا » .

(٦) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (س) والوافى .

(٧) في الأصل : « واستغل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافى .

فأمر السلطان الناصر بقطع أيديهم وتسميرهم أجمع ، وطُيِفَ بهم مع رأس بيدرا ثم ماتوا .

ولَمَّا كان في عَشْرِي صفر بلغ كتبغا أَنَّ الشجاعِي قد عامل جَمَاعَة في الباطن على قَتْلِهِ ، وَلَمَّا كان في خامس عَشْرِي صفر ركب كتبغا في سوق الخيل [وقتل في سوق الخيل] ^(١) أمير يقال له البندقداري لأنه جاء إلى كتبغا وقال له : أين حسام الدِّين لاجين أحضره ؟ فقال [ما هو عندي ، فقال] ^(٢) : بل هو عندك ، ومدَّ يَدَهُ إلى سيفه ليسلَّهُ فضربه الأزرق ^(٣) مملوك كتبغا بالسَّيف حلَّ كتفه ، ونزل مَمَالِيكَ كتبغا فأنزلوه وذبحوه ، ومَالَ العسكر من الأمراء والمُقَدِّمين ^(٤) والتَّار والأكراد إلى كتبغا ومال البرجيَّة ^(٥) وبعض الحاصكيَّة إلى الشجاعِي ، لأنه أنفق فيهم في يوم ثمانين ألفَ دينار ، وقرَّر أنَّ كلَّ مَنْ أَحْضَرَ رأس أمير فإقطاعه له ، وحاصر كتبغا القلعة وقطع عنها الماء ، فنزل البرجيَّة ثاني يوم من القلعة إلى كتبغا على ^(٦) حِمَّة وقاتلوه وهزموه إلى بئر البيضاء ، فركب الأمير بدر الدِّين بيسري والأمير بدر الدِّين بكتاش أمير سلاح وبقية العسكر نصرةً لكتبغا وردُّوهم وكسروهم إلى أن أدخلوهم القلعة ، وجدَّوا في حصارها ، فطلعت الستَّ والدة السلطان الملك الناصر إلى أعلى السُّور وقالت : إيش المراد ؟ قالوا ^(٧) : مالنا غرض غير الشُّجاعِي ^(٨) ، فاتَّفَقَتْ مع الأمير حسام الدِّين لاجين الاستادار ^(٩) وأغلقوا بابَ القلعة ، وبقي الشُّجاعِي محصوراً في داره . وتسرَّب الأمراء

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) زيادة من (س) والوافي .

(٣) في الوافي : « بليان الأزرق » .

(٤) في الأصل : « والمتقدمين » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) في الأصل : « الرحبة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٦) في الأصل : « إلى » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) في الأصل : « قالت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٨) في الوافي : « إمسك الشجاعِي » .

(٩) في الأصل : « استادار » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

الذين معه واحداً بعد واحد ونزلوا إلى كتبغا ، فطلب الشجاعى الأمان ، فطلبوه إلى الست وإلى لاجين استأدار ليستشيروه فيما يفعلونه ، فلمّا توجه إليهم صرّبه الآقوش المنصوري بالسيف قطع يده ، ثم صرّبه أخرى برأسه ، ونزلوا برأسه إلى كتبغا ، وجرت أمور ، وغلقت أبواب القاهرة خمسة أيام .

ثم طلع كتبغا إلى القلعة سابع عشرين صفر ودقّت البشائر وفتحت الأبواب^(١) وجدّدت الأيّان والعهود للسّلطان الملك الناصر ، وأمّسك جماعة من البرجيّة كانوا مع الشجاعى ، وجاءت الحوطة إلى دمشق على ما يتعلّق به ، وخطب الخطيب في يوم الجمعة حادي عشرين شهر ربيع الأول للسّلطان الملك الناصر استقلالاً ، وترحم على والده المنصور وأخيه الأشرف .

وفي عشرين شهر رجب وردّ البريد بالحلف للناصر ووليّ عهده كتبغا .

وفي سلخ رجب وردّ البريد أنّ السّلطان ركب في شعار الملك وأبّه السلطنة وشقّ القاهرة ، دخل من باب النصر وخرج من باب زويلة عائداً إلى القلعة ، والأمراء وكتبغا يمّشون في ركابه ، وفرح الناس بذلك ودقّت البشائر .

ولم يزل مستمراً في الملك إلى حادي عشر المحرم سنة أربع وتسعين وست مئة ، فتسلطن كتبغا وتسمّى بالعادل ، وحلف له الأمراء بمصر والشام ، ودقّت البشائر وزيّنت البلاد ، وجعل أتابكة الأمير حسام الدّين لاجين ، وتولى الوزارة الصّاحب فخر الدّين [ابن]^(٢) الخليلي ، وصرف تاج الدّين بن حنا ، وحصل الغلاء الزائد المُفْرِط في أيّامه حتى بلغ الإردب بمصر إلى مئة وعشرين ، ورطل اللحم بالدمشقي إلى سبعة دراهم ، ورطل اللّبن بدرهمين ، والبيض ستاً^(٣) بدرهم ، ورطل الزيت بثمانية ،

(١) في الأصل : « الأيام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) زيادة من (س) . وفي الوافي : « عمر بن الخليلي » .

(٣) في الأصل : « ستة » .

ولم يكن الشَّام^(١) مرخصاً ، وتوقفت الأمطار ، وفزع الناس ، وذلك في سنة خمس وتسعين وست مئة . وتبع ذلك وباء عظيم ، وفناء كثير ، ثم إنَّ الغلاء وَقَعَ بالشام وبلغت الغرارة مئة وثمانين .

وقدم كتبنا بالعساكر إلى الشَّام في ذي القعدة سنة خمس وتسعين ، ولما عاد إلى مصر من^(٢) نوبة حمص في سلخ المُحَرَّم سنة ست وتسعين وست مئة ووصل إلى اللُّجون جرى له ما جرى مما تَقَدَّمَ ذكره في ترجمة كتبنا ، وهرب كتبنا إلى دمشق ، ودخل لاجين بالخزائن وتسلطن بالقاهرة وتسمى بالمنصور ، ولم يختلف عليه اثنان ، كما تقدم في ترجمة لاجين .

واستتاب قراسنقر بمصر مدة ، ثم إنه قبض عليه واستتاب منكوثر مملوكه ، على ما تقدم ، وجعل قبجق نائب دمشق ، وجهز الملك الناصر إلى الكرك ، وقال^(٣) : لو علمت أنهم يخلون للملك لك والله تركته ، ولكنهم ما يخلونه ، وأنا مملوكك ومملوك والدك ، أحفظ لك الملك ، فأنت^(٤) تروح إلى الكرك إلى أن تترعرع وترجل وتتخرج وتدرّب^(٥) الأمور وتعود إلى ملكك ، بشرط أنك تعطيني دمشق وأكون بها مثل صاحب حياة ، فقال له السلطان : فاحلف لي إنك^(٦) تبقي عليّ نفسي وأنا أروح ، فحلف كلُّ منهما على ذلك ، وتوجّه السلطان وأقام بالكرك إلى أن قُتِلَ لاجين ، على ما تقدم في ترجمته ، في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين وست مئة ، فحلف للسلطان الملك الناصر جميع الأمراء وأحضروه من الكرك وملكوه . وهذه سلطنته الثانية . وجعل سلاّر نائباً بمصر ، وحسام الدين أستاذار أتاكباً .

(١) في الأصل : « بالشام » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « حمص في » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) عبارة الوافي : « وقال له المنصور » .

(٤) (س) والوافي : « وأنت الآن » .

(٥) في الوافي : « وتجرب » .

(٦) (س) : « على أنك » .

وفي جمادى الأولى من السنّة المذكورة^(١) ركب السُلطان بأبّهة الملك وشعار السّلطنة والتقليد الحاكمي^(٢) أمامه ، وعُمّرهُ يومئذٍ خمس عشرة ، ورُتّبَ الأفرم نائباً بدمشق .

وفي عود السّلطنة إلى الملك الناصر قال علاء الدّين الوداعي ، ومن خطّه نقلت :

الملكُ الناصرُ قدْ أَقْبَلْتُ دَوْلَتُهُ مشرِقةَ الشَّمْسِ
عَادَ إلى كُرْسِيِّهِ مثلاً عَادَ سُلَيْمَانُ إلى الكُرْسِيِّ

ولم يزل بمصر إلى أن حضر غازان إلى الشام ، فخرج بالعساكر في أوائل سنّة تسع وتسعين وست مئة ، ودخل دمشق في ثامن شهر ربيع الأول بعدما طوّل الإقامة على غَزّة ، وأقام في قلعة دمشق تسعة أيام ، وعدى التّنازُّ الفرات ، فخرج السُلطان وساقَ إلى حصص ، وركبَ بكرةَ الأربعاء سابعَ عشري الشهر المذكور ، وساقَ إلى وادي الحَزَندار ، وكانت الوقعة ، والتحم الحرب ، واستحرَّ^(٣) القتل ، ولاحت أمارات النصر للمسلمين ، وثبتوا إلى العصر ، وثبتَ السُلطان والخاصكيّة ثباتاً كلياً ، فانكسرت مينة المسلمين ، وجاءهم ما لا قبِلَ لهم به ، لأن الجيش لم يكن بكامل يومئذ ، وكان جيش الإسلام بضعة وعشرين ألفاً ، وكان جيشُ التّناز يقارب المئة ألف ، فيما قيل ، وشرع المسلمون في الهزيمة ، وأخذ الأمراءُ السُلطانَ وتحيزوا به ، وحمّوا ظهورهم وساروا على دَرْبِ بعلبك والبقاع ، وبعض العسْكر المكسور دخل إلى دمشق ، واستشهد جماعة من الأمراء ، وخطبَ بدمشق للملك المظفر غازان محمود ، ورفع في ألقابه ، وتولّى قبجق النيابة عن التّناز ، وملكَ غازان دمشق خلا القلعة فإن قبجق في الباطن لاحظ أميرها مع أرجواش [وأبان أرجواش]^(٤) عن همة عظيمة في حفظها^(٥) ، على ما تقدّم في

(١) ليست في (س) والوافي .

(٢) (س) : « الحاكي » .

(٣) في الأصل : « واستجر » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ، واستحرَّ : اشتدَّ .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) عبارة الوافي : « خلا القلعة فإن أرجواش قام بحفظها ، وأبان عن حزم عظيم ، وعزم قويم » .

ترجمته ، وجبى التتار الأموال من الدماشقة ، وقيل : إن الذي حُمِلَ إلى خزانة غازان ثلاثة آلاف ألف ألف وست^(١) مئة ألف درهم ، والذي أطلقه لمقدمي المغل نحو آلات^(٢) على الناس بوصولات وأخذوا^(٣) أكثر مما كُتِبَ لهم فهو أكثر من ذلك . وأخذ شيخ الشيوخ لنفسه مبلغ ست مئة ألف درهم . وأخذ قبجق أكثر من ذلك ، وأخذ يحيى وإسماعيل أكثر من ذلك ، وعزم الناس أكثر من ذلك ، وجبوا على الرؤوس أكثر من ذلك ، وجبوا على البيوت أكثر من ذلك ، وجبوا على الأوقاف أكثر من ذلك ، وأخذوا جميع ما وجدوه^(٤) من الخيل والبغال والجمال والدواب^(٥) . وأحرقوا جامع التوبة بالعقبة ، وجميع^(٦) ما حول البلد وخيار منتزهاتها^(٧) ، وأجود عماراتها مثل الدهشة ، وصفة أبقرط ، وصفة العافية ، وناصرية الجبل ، وبپارستان الصالحية ، وترب كثيرة ، وغالب الجواسق التي بالبساتين ، وغالب ما حول القلعة . وأما شبابيك الصالحية وما قدروا عليه من الرخام فإنهم أخذوه وأفسدوه . وقتلوا من أهل الصالحية أربعة آلاف نفس ، وأبشروا ما شاء الله . وأما الذي قتلوه من الضياع البرانية وأسروه فشيء لا يعلمه إلا الله تعالى . وكانوا^(٨) إذا قرروا على الإنسان عشرة آلاف درهم ينوبه ترسيم للمغل ألفان^(٩) . ولم يزل وجهه الدين ابن المنجى يجي^(١٠) من الناس إلى أن كَمَلَ المبلغ وحمله إلى غازان ، وجُمِلَتْه ما تقدم ذكره .

(١) في الأصل : « ست مئة » من دون الواو ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) كذا ولم نتيين مراده .

(٣) (س) : « وأخذوا » .

(٤) في الأصل : « وجده » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) في (س) زيادة : « والغلال » .

(٦) في الأصل : « التولعيقية ! » ، وأثبتنا ما في (س) ، وفي (س) : « وغالب » ، وجامع التوبة يعرف

بجامع العقبة قرب مقبرة باب الفراديس . انظر : الثارس ٣٢٨/٢ . وهو بهذا الاسم إلى اليوم .

(٧) (س) : « منتزهاتها بها » .

(٨) (س) والوافي : « وكان » .

(٩) في الوافي : « ألقان » .

(١٠) (س) : « يخفي » .

وأقام غازان بالغوطة نازلاً إلى ثاني عشر جمادى الأولى ، ورحل طالباً بلاده وخلف نائبه خطلو^(١) شاه بالقصير في فرقة من الممّل .

وفي شهر رجب جمع قبجق الأعيان والقضاة إلى داره وحلفهم للدولة الغازانية بالنصح وعدم المداجاة ، ثم إن قبجق توجه هو والصاحب عز الدين ابن القلانسي إلى مصر في نصف رجب ، وقام بحفظ المدينة وأمر الناس أرجواش .

وفي يوم الجمعة سابع عشر رجب أعيدت الخطبة للسلطان الملك الناصر ، وكان مدة إبطال ذلك مئة يوم .

وأما السلطان الملك الناصر فإنه دخل إلى مصر بعد الكسرة^(٢) وتلاحق به الجيش ، وأنفق^(٣) في العساكر ، واشترى الخيل وآلات السلاح بالأثمان الغالية .

وفي يوم عاشر شعبان قدم الأفرم نائب دمشق بعسكر دمشق ، وقدم أمير سلاح بالمیسرة للصريّة ، ثم دخلت المدينة ، ثم دخل القلب وفيهم سلاّ بالجیوش إلى القاهرة ، وكثرت الأراجيف بمجيء التتار ، وانحفل الناس إلى مصر وإلى الحصون ، وبلغ أجرة الحارة إلى مصر خمس مئة درهم ، ثم فترت أخبار التتار في شهر ربيع الأول سنة سبع مئة . ثم دخل التتار إلى حلب وشرع الناس في قراءة البخاري ، وقال الوداعي في ذلك ، ومن خطّه نقلت :

بَعَثْنَا عَلَى جِيشِ الْعَدُوِّ كِتَاباً بُخَارِيَّةً فِيهَا النَّبِيُّ مُقَدَّمٌ
فَرَدُّوا إِلَى الْأُرْدُو وَيَغِيْظُ وَخِيَّةٍ وَأُرْدُوا وَجِيشُ الْمُسْلِمِينَ مُسَلَّمٌ
فَقُولُوا لَهُمْ : عُودُوا نَعُدُّ ، وَوَرَاءَكُمْ إِذَا مَــــأْتَيْتُمْ أَوْ أَبَيْتُمْ جَهَنَّمُ

ووصل السلطان إلى العريش ووصل التتار إلى حلب .

(١) في الأصل : « خطلو » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) . وانظر ذيول العبر : ١٩ .

(٢) في الأصل : « الكسر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في الوافي : « ونفق » .

ودخل شهر جمادى الأولى والناس في أمر مَرِيح ، ووصل بكثر السلاح دار بألف فارس ، وعاد السلطان إلى مصر ، فانجفل^(١) الناس غنيهم وفقيرهم ، ونودي في الأسواق بالرحيل^(٢) ، وضج النساء والأطفال ، وغلقت أبواب دمشق ، واقتسم الناس قلعة دمشق بالشبر ، ووقع على غيابة التتار عسكر حِمص فكسروهم وقتلوا منهم نحو مئة ، وصحّت^(٣) الأخبار برجوع غازان نحو حلب ، فبلغ الناس ريقهم ، وأطفأ السكون^(٤) حريقهم ، وهلك كثير من التتار تحت الثلج بحلب ، وعمّ الغلاء ، وعزّ اللحم بدمشق وبيع الرطل بتسعة دراهم ، ثم دخل الأفرم والأمراء من المرج بعدما أقاموا به أربعة أشهر ، واستقرّ حال الناس بعد ذلك .

وفي شهر شعبان أليس النصارى الأزرق واليهود الأصفر والسامرة الأحمر ، وسبب ذلك أن مغريباً كان جالساً بباب القلعة^(٥) عند سَلار والجاشنكير ، فحضر بعض الكتاب النصارى بعمامة بيضاء ، فقام له المغربي يتوهم أنه مسلم ، ثم ظهر له أنه نصراني ، فدخل إلى السلطان وفاوضه في تغيير زي أهل الذمة ليمتاز المسلمون عنهم . وفي ذلك يقول علاء الدين الوداعي ، ومن خطّه نقلت :

لقد ألزم الكفار شاشات ذلّة تزيدهم من لَعْنَةِ اللهِ تشويشا
فقلت لهم : ما ألبسوكم عماماً ولكنهم قد ألبسوكم براطيشا^(٦)

ونقلت منه له :

غَيَّرُوا زِيَهُمْ بِمَا غَيَّرُوهُ
مِنْ صِفَاتِ النَّبِيِّ رَبِّ الْمَكَارِهُ

(١) في (س) والوافي : « وانجفل » .

(٢) في (س) والوافي زيادة : « إلى مصر » .

(٣) (س) : « وضجت » تصحيف .

(٤) في (س) زيادة : « والفرار » .

(٥) في الوافي : « القلّة » .

(٦) في الوافي : « قد ألزموكم » .

فَعَلَيْهِمْ كَمَا تَرَوْنَ بَرَاطِيْدَ شُ وَلَكِنَّهُمَا تَسْمَى عَمَائِمُ
وَتَقَلْتُ مِنْهُ لَهُ :

لَقَدْ أَلْبَسُوا أَهْلَ الْكِتَابَيْنِ ذُلَّةً لِيُظْهَرَ مِنْهُمْ كُلُّ مَنْ كَانَ كَامِنًا
فَقُلْتُ لَهُمْ مَا أَلْبَسُوكُمْ عَمَائِمًا وَلَكِنَّهُمْ قَدْ أَلْبَسُوكُمْ لَعَائِنًا
وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ شَمْسُ الدِّينِ الطَّيْبِيُّ :

تَعَجَّبُوا لِلنَّصَارَى وَالْيَهُودِ مَعًا وَالسَّامِرِيِّينَ لَمَّا عُمِّمُوا الْخَرْقَا
كَأَنَّا بَاتَ بِالأَصْبَاحِ مُتْسَهِّلًا نَسْرُ السَّمَاءَ فَأُضْحَى فَوْقَهُمْ ذَرْقَا

وَفِي جُمَادَى الأُولَى سَنَةِ إِحْدَى وَسَبْعٍ [مِئَةً] ^(١) تَوَفَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ
أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ وَدُفِنَ عِنْدَ السَّيِّدَةِ نَفِيسَةَ ، كَمَا تَقَدَّمَ فِي ذِكْرِهِ ، وَتَوَلَّى الْخِلَافَةَ وَلَدُهُ
أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَكْفِي بِاللَّهِ أَبُو الرَّبِيعِ سُلَيْمَانَ ، وَقُرِئَ تَقْلِيدُهُ بِوَلَايَةِ الْعَهْدِ بَعْدَ الْعَزَاءِ .
وَفِي ^(٢) سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَسَبْعٍ مِئَةً فَتَحَتْ جَزِيرَةُ أَرْوَادٍ وَهِيَ بِقَرَبِ أَنْطَرَسُوسِ ^(٣) وَقُتِلَ
بِهَا عِدَّةٌ مِنَ الْفَرَنْجِ ، وَدَخَلَ الْأَسْرَى إِلَى دِمَشْقَ وَهُمْ قَرِيبٌ مِنَ الْمِائَةِ وَخَمْسِينَ ^(٤) .

وَفِي شَعْبَانَ مِنَ السَّنَةِ عَدَى التَّتَارُ الْفَرَاتَ وَانْجَفَلَ النَّاسَ ، وَخَرَجَ السُّلْطَانُ بِجُيُوشِهِ
مِنْ مِصْرَ . وَفِي عَاشِرِ شَعْبَانَ كَانَ لِلصَّافِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالتَّتَارِ بَعْضُ ^(٥) ، كَانَ الْمُسْلِمُونَ
أَلْفًا وَخَمْسَ مِئَةٍ ، وَعَلَيْهِمْ أَسْنَدُمِرُ وَأَغْرَلُو الْعَادِلِيَّ وَبِهَادِرَ آصَ ، وَكَانَ التَّتَارُ نَحْوًا مِنْ
أَرْبَعَةِ آلَافٍ ، فَانْكَسَرَ التَّتَارُ ، وَأُسِرَ مَقْدَمُهُمْ وَقُتِلَ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ دَخَلَ دِمَشْقَ مِنْ

(١) زِيَادَةُ مِنْ (س) وَالْوَاقِي .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فِي » مِنْ دُونِ وَاوْ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « أَنْطَرَسُوش » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَاقِي . انْظُرْ : مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ ٢٧٠/١ . وَتَعْرِفُ
الْيَوْمَ بِطَرطُوسَ .

(٤) عِبَارَةُ الْوَاقِي : « وَهُمْ مَا يِقَارِبُ الْخَمْسِينَ » .

(٥) بَلِيدٌ فِي بَرِيَّةِ الشَّامِ يَدْخُلُ فِي أَعْمَالِ حَلَبَ ، وَهُوَ بَيْنَ تَنْمَرٍ وَالرَّصَافَةِ . (مَعْجَمُ الْبُلْدَانِ) .

جيش مصر خمسُ تقدم وعليهم الجاشنكير والحُسام أستاذ الدار ، ثم دخل بعدهم ثلاثة آلاف مقدمهم أمير سلاح وبعقوبا وأيبك الخزاندار ، ثم أتى عسكر حلب وحماة متقهقراً من التتار ، وتجمعت العساكر إلى الجسورة بدمشق ، واختبط الناس ، واختنق في أبواب دمشق من الزحام غير واحد ، وهرب الناس ﴿ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾ ^(١) ، ووصل السلطان إلى الغور ، وغلقت أبواب دمشق ، وضج الخلق إلى الله تعالى ، ويأس الناس من الحياة . ودخل شهر رمضان ، وتعلقت آمال الناس ببركاته ، ووصل التتار إلى المرج ، وساروا إلى جهة الكسوة ، وبعَدوا عن ^(٢) دمشق بكرة السبت ثاني شهر رمضان المعظم ، وصعد النساء والأطفال إلى الأسطحة ^(٣) وكشفوا رؤوسهم وضجوا وجأروا إلى الله تعالى ، ووقع مطر عظيم ، ووقعت الظهر بطاقة بوصول السلطان واجتماع العساكر المحمدية بمرج الصُفَر ، ثم وقعت بعدها بطاقة تتضمن طلب الدعاء وحفظ أسوار البلد ، وبعد الظهر وقع المصاف والتحم الحرب ، فحمل التتار على المينة من المسلمين فكسروها ، وقُتل مقدمها الحُسام أستاذ الدار ^(٤) ومعه جماعة من الأمراء المقدمين ، وثبت السلطان ذلك اليوم ثباتاً زائداً عن الحد ، واستمر القتال من العصر إلى الليل ، ورَدَّ التتار من حملتهم على المينة بغلس ^(٥) وقد كَلَّ حُدْمُ فتعلقوا بالجبل المانع .

وطلع الضوء بكرة يوم الأحد والمسلمون مُحْدِقُونَ بالتتار ، فلم يكن ضحوة من النهار إلا وقد ركن التتار إلى الفرار وولَّوا الأدبار ، ونزل النصر ، ودَقَّت البشائر ، وزَيْنَ البلد ، وكان التتار نحواً من خمسين ألفاً وعليهم خطلو ^(٦) شاه نائب غازان ،

(١) سورة الأحزاب : ١٠/٣٣ .

(٢) (س) : « من » .

(٣) (س) والوافي : « السطوح » .

(٤) (س) والوافي : « استاد الدار » .

(٥) (س) : « بمكس » ، تحريف . والغلس : الليل .

(٦) في الأصل : « خلطو » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

وَرَجَعَ غَازَانُ مِنْ حَلَبَ ضَيْقَ الصَّدْرِ مِنْ كَسْرٍ^(١) أَصْحَابِهِ يَوْمَ عُرْضَ ، وَبِهَذِهِ الْكُسْرَةِ سَقَطَتْ قَوَاهُ ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَعِدْ^(٢) إِلَيْهِ مِنْ أَصْحَابِهِ غَيْرَ الثَّلَاثِ ، وَتَخَطَّفَهُمْ أَهْلُ الْحُصُونِ ، وَسَاقَ سَلَّارٌ وَقَبْجَقٌ وَرَاءَ الْمُنْهَزِمِينَ إِلَى الْقَرِيَتَيْنِ ، وَلَمْ يَنْكَسِرِ التَّتَارُ مِثْلَ هَذِهِ الْمَرَّةِ .

حَكَى لِي جَمَاعَةٌ مِنْ دِيرٍ^(٣) بَشِيرٌ أَنَّهُمْ كَانُوا يَأْتُونَ إِلَيْنَا عَشْرِينَ عَشْرِينَ وَأَكْثَرَ وَأَقْلَ^(٤) ، وَيَطْلُبُونَ أَنْ نَعْذِي بِهِمُ الْفَرَاتَ فِي الزَّوَارِيقِ إِلَى ذَلِكَ الْبَرِّ ، فَمَا نَعْذِي بِمَرْكَبٍ إِلَّا وَنَقْتُلُ كُلَّ مَنْ كَانَ^(٥) فِيهِ ، حَتَّى إِنْ النِّسَاءَ كُنَّ يَضْرِبْنَ بِالْفُؤُوسِ وَنَحْنُ نَذْبَحُهُمْ فِي إِثْرِ ذَلِكَ ، فَمَا تَرَكْنَا أَحَدًا مِنْهُمْ يَعْيشُ .

وَهَذِهِ الْوَاقِعَةُ إِلَى الْآنَ فِي قُلُوبِهِمْ ، وَكَانَ قَدْ جَاءَ كِتَابُ غَازَانَ يَقُولُ فِيهِ : مَا جِئْنَا هَذِهِ الْمَرَّةَ إِلَّا لِلْفُرْجَةِ فِي الشَّامِ ، فَقَالَ عِلَاءُ الدِّينِ الْوِدَاعِي فِي ذَلِكَ ، وَمِنْ خَطِّهِ تَقَلَّتْ :

| | |
|--|---|
| جَاءُوا فَفَرَّجْنَاهُمْ بِالشَّامِ | قُولُوا لَغَازَانَ بَأَنَّ جُيُوشَهُ |
| مَنْشُورَهَا وَشَقَائِقَ الْأَجْسَامِ | فِي سَرَحَةِ الْمَرْجِ الَّتِي هَامَاتْهُمْ |
| غَمَّتْ وَأَبْرَكَهَا عَلَى الْإِسْلَامِ | مَا كَانَ أَشَامَهَا عَلَيْهِمْ فُرْجَةٌ |
| وَقَالَ لَمَّا انْهَزَمَ : | |

| | |
|---|--------------------------------------|
| عَلَى أَخْذِ الْبِلَادِ غَدَا حِرَاصَا | أَتَى غَازَانَ عَدُوًّا فِي جُنُودِ |
| وَأَعْطَوْهُ بِحِصَّتِهِ حُصَا ^(٦) | فَمَا كَسَبُوا سِوَى قَتْلِ وَأَسْرِ |

(١) (س) وَالْوَاقِي : « كُسْرَةٌ » .

(٢) (س) : « سَقَطَتْ قَوَاهُ وَلَمْ يَعِدْ » .

(٣) (س) : « مِنْ أَهْلِ دِيرٍ » ، وَفِي الْوَاقِي : « دِيرٌ يَسِيرٌ » ، وَأَشَارَ صَاحِبُ مَعْجَمِ الْبُلْدَانِ إِلَى جَبَلِ سَمَاءِ (الْبَشَرِ) يَمْتَدُّ مِنْ عُرْضِ إِلَى الْفَرَاتِ .

(٤) فِي الْوَاقِي : « أَوْ أَقْلَ » .

(٥) لَيْسَتْ فِي (س) وَالْوَاقِي .

(٦) حِصَاصٌ : مِنْ مَعَانِيهَا الْمَرْبُ .

وقد نظم الناس في هذه الواقعة كثيراً ، ومن أحسن ما وقفت عليه قولُ
شَـمْسِ الدِّين الطَّيِّبِ - رحمه الله تعالى - وهو يقارب ^(١) المئة بيت ، وهذا الذي وقع لي
منها وهو :

بَرَقَ الصَّوَارِمُ لِلْأَبْصَارِ يَخْطِيفُ وَالنَّقْعُ يَحْكِي سَحَاباً بِالْدِّمَا يَكِفُ
أَحْلَى وَأَعْلَى وَأَعْلَى قِيَمَةً وَسَنَا مِنْ رَيْقٍ ثَغْرِ الْغَوَانِي حِينَ يَرْتَشِفُ
وَفِي قُدُودِ الْقَنَا مَعْنًى شَغِفْتُ بِهِ لَا بِالْقُدُودِ الَّتِي قَدْ زَانَهَا الْهَيْفُ
وَمَنْ غَدَا بِالْخُدُودِ الْحُمْرِ ذَا كَلَفٍ فَإِنِّي بِخُدُودِ الْبَيْضِ لِي كَلَفُ
وَلَا مَةَ الْحَرْبِ فِي عَيْنِي أَحْسَنُ مِنْ لَامِ الْعَذَارِ الَّتِي فِي الْخَدِّ تَنْعَطُفُ ^(٢)
كِلَاهُا زَرْدَةً هَذَا يُقِيدُ وَذَا يُرْدِي فَشَأْنُهَا فِي الْفِعْلِ يَخْتَلِفُ ^(٣)
وَالْخَيْلُ فِي طَلَبِ الْأَوْتَارِ صَاهِلَةٌ أَلْذُ لَحْنًا مِنَ الْأَوْتَارِ تَأْتَلِفُ
مَا مَجْلِسُ الشَّرْبِ وَالْأَرْطَالِ دَائِرَةٌ كَمَوْقِفِ الْحَرْبِ وَالْأَبْطَالِ تَزْدَلِفُ ^(٤)
وَالرُّزْقُ مِنْ تَحْتِ ظِلِّ الرَّمْحِ مُقْتَرِنٌ بِالْعَزِّ ، وَالذَّلُّ يَأْبَاهُ الْفَقَى الصِّلَفُ ^(٥)
لَا عَيْشَ إِلَّا لَفْتَيَانٍ إِذَا اتَّسَدِ بَا ثَارُوا وَإِنْ نَهَضُوا فِي غَمَةٍ كَشَفَا
يَقِي بِهِمْ مِلَّةَ الْإِسْلَامِ نَاصِرُهَا كَمَا يَقِي الدَّرَّةَ الْمَكْنُونَةَ الصَّدْفُ
قَامُوا لِقَوَّةِ دِينِ اللَّهِ مَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِيهِ وَلَا ضَعُفُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاثْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ ظُلْمٍ وَمِمَّا سَاءَ هُمْ أَنْفُوا
لَمَّا أَتَتْهُمْ جُيُوشُ الْكُفْرِ يَقْدُمُهُمْ رَأْسُ الضَّلَالِ الَّذِي فِي عَقْلِهِ جَنْفُ ^(٦)
جَاؤُوا وَكُلَّ مَقَامٍ ظَلَّ مُضْطَرِباً

(١) (س) والوافي : « وهي تقارب » .

(٢) اللامة : الدرع ، والألف مخففة عن الهمزة . وفي الوافي : « الذي في ... ينمطف » .

(٣) في الأصل : « يقيد » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « والأوتار دائرة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وهو أشبه . وفي (س) : « لموقف » .

(٥) في الأصل : « الغنى » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٦) في الوافي : « جموع الكفر » . والجنف : الميل والجور .

فَشَاهِدُوا عِلْمَ الْإِسْلَامِ مُرْتَفِعاً
لِقَاهُمْ الْفَيْلَقُ الْجَرَارُ فَانْكَسَرُوا
يَا مَرْجَ صَفْرَ يَبُضَّ الْوُجُوهَ كَمَا
أَزْهَرَ رَوْضِكَ أَزْهَى عِنْدَ تَفْحَتِهِ
غَدْرَانُ أَرْضِكَ قَدْ أَضَحَتْ لَوَارِدِهَا
زَلَّتْ عَلَى كَتِفِ الْمِصْرِيِّ أَرْجُلُهُمْ
أَوُوا إِلَى جَبَلٍ لَوْ كَانَ يَعْصِمُهُمْ
دَارَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ الشُّجْعَانِ دَائِرَةٌ
وَنَكَسُوا مِنْهُمْ الْأَعْلَامَ فَانْهَزَمُوا
فَفِي جَمَاعِهِمْ بَيْضُ الطَّيْرِ زُبْرٌ
فَرَوْا مِنَ السَّيْفِ مُلْعُونِينَ حَيْثُ سَرَوْا
فَمَا اسْتَقَامَ لَهُمْ فِي أَعْوَجِ نَهْجٍ
وَمَلَّتِ الْأَرْضُ قَتْلَاهُمْ بِمَا قَذَفَتْ
وَالطَّيْرُ وَالْوَحْشُ قَدْ عَاقَتْ لِحُومَهُمْ
رَدُّوا فَكُلَّ طَرِيقٍ نَحَوُ أَرْضِهِمْ
وَأَذْبَرُوا فَتَوَلَّى قَطْعَ دَابِرِهِمْ
سَاقَوْهُمْ فَسَقَوْا شَطَّ الْفَرَاتِ دَمًا
وَأَصْبَحُوا بَعْدَ لَا عَيْنٍ وَلَا أَثَرٍ

بِالْعَدْلِ فَاسْتَيْقَنُوا أَنْ لَيْسَ يَنْصَرِفُ
خَوْفُ الْعَوَامِلِ بِالتَّائِيثِ فَانْصَرَفُوا^(١)
فَعَلَتْ مِنْ قَبْلِ بِالْإِسْلَامِ يُؤْتَنَفُ
أَمْ يَانِعَاتُ رُؤُوسَ فَيْكٍ تَقْتَطِفُ
مَمْزُوجَةً بِدِمَاءِ الْمَغْلِ تُرْتَشَفُ^(٢)
فَلَيْسَ يَدْرُونَ أَنِّي تُوَكَّلُ الْكَتِفُ
مِنْ مَوْجِ فَوْجِ الْمَنَايَا حِينَ يَخْتَطِفُ^(٣)
فَمَا نَجَا سَالِمٍ مِنْهُمْ وَقَدْ زَحَفُوا
وَنَكَصَوْهُمْ عَلَى الْأَعْقَابِ فَانْقَصَفُوا
وَفِي كِلَاكِلِهِمْ سُرُّ الْقَنَا قِصَفُ^(٤)
وَقُتِّلُوا فِي الْبَرَارِيِّ حَيْثُمَا تُقْفُوا
وَلَا أَجَارَهُمْ مِنْ مَانِعٍ كَيْفُ^(٥)
مِنْهُمْ وَقَدْ ضَاقَ مِنْهَا الْمَهْمَةُ الْقَذْفُ^(٦)
فَفِي مَزَاجِ الضُّوَارِيِّ مِنْهُمْ قَرَفُ
تَدَلُّ جَاهِلُهَا الْأَشْلَاءُ وَالْجَيْفُ^(٧)
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ قَوْمٌ لِلْوَعَى الْفُؤَا
وَطَمَّهْمُ بَعْجَابِ السَّيْلِ فَانْغَرَفُوا
غَيْرَ الْقِلَاعِ عَلَيْهَا مِنْهُمْ شَعْفُ

(١) في الأصل : « حرف » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وفي البيتين تورية بمصطلحات النحو .

(٢) (س) والوافي : « تغترف » .

(٣) في الوافي : « فرج المنايا » .

(٤) في الأصل : « ففي جماعتهم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) في الوافي : « ولا أجارهم » .

(٦) المهمة القذف : الغلاة الواسعة البعيدة .

(٧) في الأصل : « الأعلاء » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

يَا بَرَقْ بَلِّغْ إِلَى غَازَانَ قِصَّتَهُمْ
بَشِّرْ بِهِلَكِهِمْ مَلِكَ الْعِرَاقِ لَكَ
وَإِنْ تَسَلَّ عَنْهُمْ قُلْ قَدْ تَرَكَتَهُمْ
مَا أَنْتَ كَفَوُ عُرُوسِ الشَّامِ تَخْطِبُهَا
قَدْ مَاتَ قَبْلَكَ آبَاءُ بِحُسْرَتِهَا
إِنَّ الَّذِي فِي جَحِيمِ النَّارِ مَسْكَنُهُ
وَإِنْ تَعُودُوا تُعَدُّ أَسْيَافُنَا لَكُمْ
ذُوقُوا وَبِالْ تَعَدِّيَكُمْ وَبَغْيَكُمْ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ مُعْطِي النَّصْرِ نَاصِرُهُ
وَصِفُ فَقِصَّتَهُمْ مِنْ فَوْقِ مَا تَصِفُ
تُعْطِيكَ حُلُوتَهَا حُلُوتَانِ وَالنَّجْفُ
كَالنَّخْلِ صَرَعِي فَلَا تَمُرَّ وَلَا سَعَفُ^(١)
جَهْلًا وَأَنْتَ إِلَيْهَا الْهَائِمُ الدَّنِفُ
وَكُلُّهُمْ مُغْرَمٌ مُغْرَى بِهَا كَلِفُ
لَا تُسْتَبَاحُ لَهُ الْجَنَاتُ وَالْعُرْفُ
ضَرْبًا إِذَا قَابَلَتْهَا رَضَّتِ الْحَجَفُ^(٢)
فِي أَمْرِكُمْ وَلِكَاكِسِ الْخُزْيِ فَارْتَشِفُوا^(٣)
وَكَاشِفُ الضَّرِّ حَيْثُ الْحَالُ يَنْكَشِفُ

وفي ذي الحجة من السنة المذكورة كانت الزلزلة العظيمة ، بمصر والشام ، وكان تأثيرها بالإسكندرية أعظم ، ذهب تحت الرُّدْمِ عَدَدٌ كثير ، وطلُع البحر إلى نصف البلد وأخذ الجمال والرجال وغرقت^(٤) المراكب وسقطت بمصر دُورٌ لا تحصى ، وهدمت جوامع ومآذن وانتدب^(٥) سَلَّارٌ والجلالينكي وغيرهما من الأمراء ، وأخذ كل واحد منها جامعاً وعمره وجدَّد له وقوفاً^(٦) .

وفي سنة ثلاث وسبع مئة توجه أمير سلاح وعسكر من دمشق وقبحق في عسكر^(٧) من حماة وأسندمُر في عسكر الساحل وقراسنقر في عسكر حلب ، ونازلوا تل

(١) في الوافي : « يسل » .

(٢) الحجف : القرس إذا كان خالياً من الخشب .

(٣) في الوافي : « وبغيتكم » .

(٤) في الأصل : « وعرفت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) في الوافي : « فانتدب » .

(٦) انظر النجوم الزاهرة : ٢٠١/٨ .

(٧) ليست في (س) والوافي .

حَمَلُون وأَخْنَوْهُ^(١) ، ودخل بعض العسكر الدربند وأغاروا ونهبوا وأسروا خلقاً ، ودقت البشائر .

وفي^(٢) هذه السَّنة توفي غازان ملك التتار^(٣) ، وملك بعده أخوه الملقب خربندا .

وفي سنة خمس وسبع مئة نازل الأفرم بَعَاكِر دِمَشَق جبل الجُرْد ، وكسر الكسروانيين لأنهم كانوا روافض ، وكانوا قد آذوا المسلمين وقتلوا للنهزمين من العساكر المصرية في نوبة غازان الأولى الكائنة في سنة تسع وتسعين وست مئة .

وفي سنة ثمان وسبع مئة في سادس عشري شهر رمضان توجه السلطان الملك الناصر إلى الحجاز وأقام بالكرك متبرماً من سلاّر والجاشنكير وحجرها عليه ومنعها^(٤) له من التصرف ، قيل : إنه طلب يوماً خروفاً رميساً^(٥) فنع منه ، أو قيل : يجيء^(٦) كريم الدين ، لأنه كاتب الجاشنكير ، وأمر نائب الكرك بالتحوّل إلى مصر ، وعند دخوله القلعة انكسر به الجسر فوقع نحو خمسين مملوكاً ، ومات منهم أربعة وتَهَشَّم منهم جماعة وأعرض السلطان عن أمر مصر ، فوثب للسلطنة بعد أيام الجاشنكير وتسلطن ، وخطب له ، وركب بخلعة الخلافة ، وذلك عندما جاءتهم^(٧) كتب السلطان من الكرك باجتماع الكلمة فإنه ترك لهم الملك .

وفي سنة تسع وسبع مئة في شهر رجب خرج السلطان من الكرك قاصداً دمشق ، وكان قد ساق إليه من مصر مئة وسبعون^(٨) فارساً فيهم أمراء وأبطال ، وجاء مملوك

(١) في الوافي : « وأخنوها » .

(٢) في (س) والوافي زيادة : « وفي شوال من » .

(٣) النجوم الزاهرة : ٢١٢/٨ .

(٤) في الوافي : « وحجرهم ... ومنعهم » .

(٥) الرُّمَس : النِّقَن .

(٦) عبارة الوافي : « قيل له : حق يجيء » .

(٧) (س) : « بعدما جاء » .

(٨) (س) : « وسبعين » ، وساق هنا بمعنى قصده ومشى إليه .

السُّلطان إلى الأفرم يخبره بأن السُّلطان وَصَلَ إلى الحان^(١) ، فتوجّه إلى السلطان بيبرس المجنون ويبيبرس العلائي ، ثم ذهب بهادر أص لكشف القضية ، فوجد السُّلطان قد رُدَّ إلى الكرك ، ثم بعد أيام ركب السُّلطان وقصد دمشق بعدما ذهب إليه قطلوبك الكبير والحاج بهادر ، وقفز سائر الأمراء إليه ، فقلق الأفرم لذلك ونزح^(٢) من دمشق بماليكه مع الأمير علاء الدين بن صُبح [إلى الشقيف]^(٣) ، فبادر بيبرس العلائي وأقجبا المُشد وأُمير علم في إصلاح الجتر^(٤) والعصائب وأتته الملك ، ودخل السُّلطان قبل الظهر إلى دمشق يوم الثلاثاء ثامن عشر شعبان سنة تسع وسبع مئة ، وفتح له باب القلعة باب السرّ ، ونزل نائبها قبْل^(٥) الأرض ، فلوى هناك فرسه إلى القصر^(٦) ونزل به . ثم إن الأفرم حضر إليه بعد أربعة أيام فأكرمه واستمرَّ به في نيابة الشام^(٧) ، وبعد يومين وصل قبجق نائب حماة وأسندمر نائب طرابلس وتلقاهما السُّلطان . وفي ثامن عشرين الشهر وصل قراسنقر نائب حلب .

ثم إنَّ السُّلطان خرج لمصر في تاسع شهر رمضان ومعه العساكر والنواب والقضاة ، ووصل غزّة ، وجاءه الخبر بنزول الجاشنكير عن الملك وأنه طلب مكاناً يأوي إليه وهرب من مصر مغرباً وهرب معه^(٨) سلاّر مشرقاً ، فلما كان بالريدانية ليلة العيد اتفق الأمراء عليه وهموا بقتله ، فجاء إليه بهاء الدين أرسلان دوادار سلاّر وقال : قُم الآن

(١) في الوافي : « الحان » .

(٢) في الأصل : « وترفع » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) زيادة من (س) ، وفي الوافي : « إلى شقيف أرنون » .

(٤) الجتر : مما يختص السُّلطان ، وهو مظلة من الحرير الأصفر مزركشة بالذهب ، على أعلاها طائر من فضة مطلية بالذهب ، تحمل على رأس السُّلطان ، وهي من بقايا الدولة الفاطمية . معجم الألفاظ التاريخية : ٥١ .

(٥) في (س) : « وقبل » .

(٦) (س) : « إلى جهة القصر » ، وفي الوافي : « إلى جهة القصر الأبلق » .

(٧) (س) والوافي : « دمشق » .

(٨) ليست في (س) والوافي .

وأخرج من جانب الدهليز وأطلع إلى القلعة ، فرعاها له ، ولم يشعر الناس بالسُلطان إلاّ وقد خرجَ راكباً فتلاحقوا به وركبوا في خدمته وصعد القلعة ، وكان الاتفاق قد حَصَلَ أنَّ قراسنقر يكون نائباً بمصر وقطلوبك الكبير نائب دمشق ، فلَمَّا استقرَّ جلوسُ السُلطان بقلعة الجبل ، وهذه المَرَّة الثالثة من عَوْدِهِ إلى الملك قبضَ في يوم واحد على اثنين وثلاثين أميراً من السَّماط ، ولم يَنْتَطِحْ [فيها] ^(١) عزان ، ورسم للأفرم بصرخد ولقراسنقر بالشام ^(٢) ، وجعل قبجق نائب حلب والحاج بهادر نائب طرابلس وقطلوبك الكبير نائب صفد ، وجعل بكتر الجوكندار نائب مصر .

وفي سنة عشر وسبع مئة وصل أسندمر إلى دمشق متوجّهاً إلى حِمَاة [نائباً] ^(٣) ، ومنها عزل القاضي بدر الدّين ابن جاعة ، وولّى القضاء جمال الدّين الزرعي ^(٤) عَوْضَهُ ، وصرف السُّروجي عن قضاء الحنفية ، وطلّب شمس الدّين بن الحريري وولّاه مكانه . وبعد أيام قلائل توفي الحاج بهادر نائب طرابلس ، ومات بحلب نائبها قبجق ، فرسم للأفرم نيابة طرابلس ، وأمره أن لا يدخل بدمشق ، على ما تقدّم في ترجمته ، ورسم لأسندمر نيابة حلب .

وفي هذه السّنة أمر لعامد الدّين إسماعيل بن الأفضل علي بحماة .

وفي سنة إحدى عشرة وسبع مئة نقل قراسنقر من نيابة دمشق إلى نيابة حلب بعدما أمسك أسندمر وتولّى كراي نيابة دمشق . وفي شهر ربيع الآخر أعاد ابن جاعة إلى مكانه ، وتقرّر القاضي جمال الدّين [الزرعي] ^(٥) في قضاء العسكر مع مدارس أخر .

(١) زيادة من (س) والوافي ، والعبارة من الأمثال .

(٢) (س) : « بمشق » .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

(٤) (س) : « ابن الزرعي » .

(٥) زيادة من (س) والوافي .

وفي جمادى الأولى أمسك كراي نائب دمشق وقيّد وجَهَّز إلى الباب بعدما أمسك الجُوكندار نائب مصر ، وأمسك قطلوبُك الكبير بصفد وخِيس^(١) هو وكراي بالكرك وجاء الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك إلى دمشق نائباً .

وفي سنة اثنتي عشرة وسبع مئة تسحب الأمير عز الدين الزردكاش والأفرم وتوجّها إلى قراسنقر ، وساق الجميع إلى عند مهنا فأجارهم ، وعدّوا الفرات وطلبوا خربندا ، على ما تقدّم في تراجعهم .

وفي شهر ربيع الأول طلب نائب دمشق الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك إلى مصر ، وفيها أمسك العلاني بيبرس نائب حصص ، وبيبرس المجنون ، وبيبرس التاجي ، وكجلي ، والبرواني ، وخيسوا في الكرك ، وأمسك بمصر جماعة أيضاً .

وفي ربيع الأول^(٢) قدّم الأمير سيف الدين تنكز إلى دمشق نائباً ، على ما تقدّم في ترجمته ، وسودي إلى حلب نائباً على ما تقدّم . وفي أوائل شهر رمضان قويت الأراجيف بمجيء خربندا ومنازلته الرحبة ، على ما تقدم ، ثم إنه رحل عنها ، على ما تقدم في ترجمته . وعيّد السلطان بمصر وخرج إلى الشام ، ووصل في ثالث عشري شوال وصلّى بالجامع الأموي ، وعمل دار عدل ، وتوجّه من دمشق إلى الحجاز ، وعاد إلى دمشق ، ثم توجّه إلى مصر .

وفي صفر سنة أربع عشرة توفي سودي نائب [حلب]^(٣) وجاء عوضه نائباً الأمير علاء الدين الطنبغا .

وفي سنة خمس عشرة وسبع مئة توجّه الأمير سيف الدين تنكز بعساكر الشام

(١) في الأصل : « وجلس » .

(٢) في الوافي : « الآخر » .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

وستة آلاف من الجيش المصري إلى ملطيّة ففتحها وسبى ونهب وألقى النار في جوانبها ، وقتل جماعة من النصارى .

وفي سنة ست عشرة توفي خربندا ملك التتار ، وتولّى بعده ولده بوسعيد على ما تقدم .

وفي سنة إحدى وعشرين وسبع مئة وقع الحريق بمصر واحترق دور كثيرة للأمرء وغيرهم ، ثم ظهر أن ذلك من كيد النصارى ، لأنه وُجد مع بعضهم آلات الإحراق من النفط وغيره ، وقتل منهم جماعة وأسلم عدّة ، ورجم العامة والحرافيش كريم الدين الكبير ، فأنكر السلطان ذلك وقطع أيدي أربعة وقيد^(١) جماعة .

وفيها جرى الصلح بين السلطان وبين بوسعيد ، سعى في ذلك مجد الدين السلامي مع النوين جوبان ومع الوزير غياث الدين محمد بن الرشيد .

وفي جمادى الآخرة سنة أربع وعشرين وسبع مئة أمر السلطان بحفر الخليج من رأس الخور إلى أن ينتهي إلى سرياقوس ، تولى ذلك الأمير علاء الدين مغلطاي الجمالي ، وفرغ في أقرب مدة ، ودام العمل إلى آخر شعبان من السنة المذكورة ، وما يعلم ما أنفق فيه من الأموال إلا الله تعالى .

وفي سنة خمس وعشرين وسبع مئة جهز^(٢) السلطان من عسكر مصر ألفي فارس نجدة لصاحب اليمن ، وقدم عليهم الأمير ركن الدين بيبرس الحاجب والأمير سيف الدين طينال ، فدخلوا زبيد ، وألبسوا الملك المجاهد خلع السلطنة وعادوا . وبلغ السلطان أمور نعمها ، فاعتقل بيبرس الحاجب . وفي هذه السنة فتحت الخاقاه التي أنشأها بسرياقوش ، وكان يوماً عظيماً ، وحضر القضاة والعلماء ووجوه الدولة ، وخلع على القضاة وعلى المشايخ ، وفرّق قريباً من ثلاثين ألف درهم .

(١) في الأصل : « وقتل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « وجهز » ، وأثبتنا ما في (س) .

وفي سنة ست وعشرين حجَّ الأمير سيف الدين أرغون النائب ، ولمَّا حضر أمسكه وجهَّزه إلى حلب نائباً ، على ما تقدَّم .

وفي سنة سبع وعشرين وسبع مئة طَلِبَ أمير حسين بن جندر من دمشق^(١) إلى مصر ليقم بها أميراً ، وطلب قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، وجعله قاضي القضاة بمصر ، على ما تقدَّم ، وفيها كان عُرُس ابنة السلطان على الأمير سيف الدين قوصون ، وكان عرساً عظيماً على ما تقدم ، وفيها كانت الكائنة بإسكندرية ، وتوجَّه الجبالي الوزير إليها وصادر الكارم والحام^(٢) ، وضربَ القاضي ، ووضع الزنجير في رقبته ، وجعل قاضيها شافعيّاً ، وكانت واقعةً فظيعة .

وفي سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة دخل ابن السلطان أنوك على بنت بكثر السَّاقِي وكان عُرْساً عظيماً حضره تنكز وطينال ، على ما تقدَّم في ترجمته .

وفيها حجَّ^(٣) السلطان واحتفل بأمر الحجاز ، وفي العودِ مات سيف الدين بكثر السَّاقِي وولده أحد قبله ، على ما تقدَّم . وفيها أمسك صاحب شمس الدين غبريال وأخذ خطّه بألفي ألف درهم ، على ما تقدَّم .

وفي سنة ثلاث وثلاثين عمَّر الأمير سيف الدين تنكز ثغر جعبر وصارت من ثغور المسلمين .

وفي سنة خمس وثلاثين وسبع مئة جهَّز^(٤) مهنا وداس بساط السلطان بعد عناءٍ عظيم وتسويف^(٥) كثير فأقبل عليه وأعطاه شيئاً كثيراً ، على ما سيأتي في ترجمته . وفيها أخرج من السِّجْن ثلاثة عشر أميراً منهم تمر السَّاقِي وبيبرس الحاجب .

(١) في الأصل : « ومن صفد » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الوافي : « والحاكة » .

(٣) في الأصل : « وفيها كانت الكائنة حجَّ » ، ولا معنى لها ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) (س) والوافي : « حضر » .

(٥) (س) : « وتشويش » .

وفي سنة ست وثلاثين وسبع مئة توفي القان بوسعيد ، على ما تقدم .

وفي سنة أربعين أمسك السلطان الأمير سيف الدين تنكز في ثالث عشري ذي الحجة ، على ما تقدم .

وفي سنة إحدى وأربعين وسبع مئة توفي ابن السلطان آنوك .

وفيهما توفي الملك الناصر رحمه الله تعالى في التاريخ المذكور . وقام في الملك بعده ولده المنصور أبو بكر على ما تقدم في ترجمته .

وكان الملك الناصر رحمه الله تعالى ملكاً عظيماً مطاعاً محظوظاً مهيباً ذا بطش ودهاء ، وأيد وكيد ، وحزم وحلم ، قلماً حاول أمراً ، فانجذم عليه فيه شيء يحاوله ، لأنه كان يأخذ نفسه فيه بالحزم البعيد والاحتياط ، أمسك إلى أن مات مئة وخمسين أميراً ، وكان يلبس الناس [على]^(١) علائهم ، ويصبر الدهر الطويل على الإنسان وهو يكرهه . تحدث مع أرغون النائب في إمساك كريم الدين الكبير قبل إمساكه بأربع سنين ، وهم بإمساك تنكز في سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة بعد بكثر^(٢) الساقى ثم أمهله^(٣) ثماني سنين . وكان الملوك الكبار^(٤) يهادونه ويراسلونهم ، وكانت ترد إليه رسل ملك الهند ، ورسل القان أزيك^(٥) ، وتزوج ابنته ، وملوك الحبشة ، وملوك الفرنج ، وملوك الغرب ، وبلاد الأشكري ، وصاحب اليمن ، وأما بوسعيد ملك التتار فكانت الرسل لا تنقطع بينها^(٦) ، وكل منها يسمى الآخر أخاً ، وصارت الكلمتان^(٧) واحدة ،

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) في (س) والوافي : « بعد موت بكثر » .

(٣) في (س) والوافي : « ثم إنه أمهله » .

(٤) (س) والوافي : « ملوك البلاد » .

(٥) عبارة الوافي : « رسل صاحب الهند ، وبلاد أزيك » .

(٦) في الأصل : « بينها الرسل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) في الأصل و (س) : « الكلمتين » ، وأثبتنا ما في الوافي .

والمملكتان واحدة، ومراسيم السلطان تُنفذ في بلاد بوسعيد ، ورسله تدخل البلاد بالأطلاب والطبلخانات والأعلام المنشورة ، وكلّما بعد الإنسان عن مملكته وجد ذكره وعظمته ومهابته أعظم ، ومكانته في القلوب أوقع ^(٧) .

وكان سمحاً جواداً على مَنْ يقرب به ويؤثره ، لا يبخل عليه بشيء كائناً ما كان . سألت أنا القاضي شرف الدين النشوناظر الخاص قلت : هل أطلق السلطان يوماً ألف ألف درهم ؟ قال : نعم . كثير . وفي يوم واحد ، أنعم على الأمير سيف الدين بشتاك بألف ألف درهم في ثمن قرية يُبنى التي بها ^(٨) قبر أبي هريرة رضي الله عنه صاحب رسول الله ﷺ ، وأنعم على موسى بن مهنا بألف ألف درهم في ثمن القريتين ، وأراني القاضي شرف الدين ^(٩) أوراقاً فيها ما ابتاعه فيها من الرقيق ، وكان ذلك لمدة ^(١٠) أولها شعبان سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة [إلى سنة سبع وثلاثين] ^(١١) ، وكان جلته أربع مئة ألف وسبعين ألف دينار . كذا قال .

وكان ينعم على الأمير سيف الدين تنكز في كل سنة يتوجّه إليه بما يزيد على الألف ألف درهم ، وأنعم [يوماً] ^(١٢) على الأمير سيف الدين قوصون بزردهاء بكثر الساقى ، قال ^(١٣) المهذب كاتب بكثر : فيها شيء يبلغ ست مئة ألف دينار ، وأخذ السلطان من الجميع سرجاً واحداً ^(١٤) ، ولما تزوج قوصون بابنته حمل الأمراء إليه شيئاً

(١) (س) : « وللملكتين » .

(٢) (س) : « أرفع » .

(٣) في الأصل : « وبينى التي في » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) في (س) : « شرف الدين المذكور » .

(٥) (س) : « بمدة » .

(٦) زيادة من (س) والوافي .

(٧) زيادة من (س) .

(٨) في (س) : « قال لي » .

(٩) زاد في (س) : « وسيفاً واحداً » .

كثيراً ، ثم بعد ذلك زوّج ابنته الأخرى الأمير^(١) سيف الدّين طغاي تمر ، وقال السلطان مانعمل له عرساً ، لأن الأمراء يقولون : هذه مصادرة بحسن عبارة ، ونظر إلى طغاي تمر فرأه قد تغيّر ، فقال للقاضي تاج الدّين إسحاق ناظر الخاص : يا قاضي اعمل لي ورقة بكارمة^(٢) الأمراء في عرس قوصون ، فعمل ورقة وأحضرها ، فقال : كم الجُملة ؟ فقال : خمسون ألف دينار ، فقال : أعطِ نظيرها من الخزانة لطغاي تمر ، وهذا خارجاً عما دخل مع الزوجة من الجهاز .

وحكى لي الحاج حسين أستاذار الأمير سيف الدّين يلْبغا الحيوي قال : جرى يوماً بين يدي السلطان ذكر عشرين ألف دينار ، فقال الأمير : والله يا خوند أنا عمري ما رأيت عشرين ألف دينار ، فلمّا راح من عنده طلب النّشو وقال : احمل الساعة إلى يلْبغا خمسة وعشرين ألف دينار ، وجّهّها مع الخزندارية ، وجّهز خمسة تشاريف أطلس أحمر بكلوتات زركش ، وطرز زركش ، وحوائص ذهب ، ليخلع ذلك عليهم .

وأما عطاؤه العُربان^(٣) فأمر مشهور زائد عن الحد ، وكان راتب مطبخه ورواتب الأمراء الكبار والكتاب الذين هم على مطبخه في كل يوم بالمصري ستّة وثلاثين ألف رطل لحماً ، وأما النفقات في العائرفكان الرواتب لها في كل يوم شيئاً كثيراً ، أظنه في كل يوم ألفي درهم ، غير ما يطرأ ممّا يستدعي به . وبالع في مشتري الخيول بالأثمان العظيمة ، فاشترى بنت الكردا بمئتي ألف درهم ، وبالع أخيراً في مشتري الممالك فاشترى الأمير سيف الدّين صرغتمش بخمسة وثمانين ألف درهم غير تشريف أستاذه ، وغير ما كتب له من المسامحة . وأمّا العشرة والعشرون والثلاثون ألفاً فكثير ، وغلا الجواهر في

(١) في الأصل : « الأمير » ، وأثبتنا ما في (س) : « بالأمير » .

(٢) (س) : « عكارم » .

(٣) (س) : « للعربان » .

أيامه واللؤلؤ وما رأى الناس مثل سعادة ملكه ومسالمة الأيام له وسكون الأعادي من بعد شقحب وإلى أن مات لم يتحرك عليه عدوّ في البر^(١) ولا في البحر .

وخلف من الأولاد جماعة ، منهم البنون والبنات ، فأما البنون : فمات له ولده علاء الدين علي بعد حضوره من الكرك في المرة الأخيرة ، ومنهم الناصر أحمد وقتل بالكرك ، وإبراهيم وتوفي أميراً في حياة أبيه ، والمنصور أبو بكر وقتل في قوص بعدما خلع ، والأشرف كجك وقتله أخوه الكامل شعبان والله أعلم . وأنوك وهو [ابن] الخوندة^(٢) طغاي ، مات في حياة أبيه ، ولم يكن في الأثرأك أحسن شكلاً منه ، والصالح إسماعيل وتوفي بعد ملكه مصر والشام ثلاثة أعوام ، والكامل شعبان وخلع وقتل ، والمظفر حاجي وخلع وقتل ، ويوسف ، ورمضان ، وتوفيا في حياة أخيها الصالح إسماعيل ، والناصر حسن وخلع أولاً ثم أعيد ثانياً ثم خلع وقتل في سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، والصالح صالح وخلع ، وحسين .

نوابه بمصر جماعة ، وهم :

زين الدين كتبغا العادل ، والأمير سيف الدين سَلار ، الأمير سيف الدين بكتمر الجوكندار ، الأمير ركن الدين بيبرس الدوادار ، الأمير سيف الدين أرغون الدوادار مملوكه ، ولم يكن له بعده نائب .

نوابه بدمشق :

الأمير عز الدين أيبك الحَمَوي ، الأمير جمال الدين آقوش الأفرم ، الأمير شمس الدين قراسنقر ، الأمير سيف الدين كراي ، الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك الأشرفي ، الأمير سيف الدين تنكز ، الأمير علاء الدين الطنبغا نائب حلب .

وزرائه من أرباب السيوف والأقلام :

(١) في (س) : « لا في البر » ..

(٢) في الأصل : « وهو الخوند طغاي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

الأمير علم الدين سنجر الشجاعي ، صاحب تاج الدين بن حنا ، صاحب
فخر الدين بن الخليلي مرتين ، الأمير شمس الدين سنقر الأعسر ، الأمير سيف الدين
البغدادى ، الأمير ناصر الدين الشيعي ، أيبك الأشقر وسمي (المدبر) ، ابن عطايا ،
القاضي ضياء الدين بن النشائي ابن التركاني وسمي (مدبراً) ، صاحب أمين الدين ،
أمين الملك ثلاث مرّات ، الأمير سيف الدين بكتر الحاجب ، الأمير علاء الدين
مغلطاي الجبالي ، ولم يكن له بعده وزير .

قضاة الشافعية بمصر :

الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، القاضي بدر الدين بن جماعة ثلاث مرّات ^(١) ،
القاضي جلال الدين القزويني ، القاضي عز الدين بن جماعة .

قضاة الشافعية بدمشق :

القاضي إمام الدين القزويني ، القاضي بدر الدين بن جماعة مرتين ، القاضي
ابن صصرى ، القاضي جمال الدين الزرعي ، القاضي جلال الدين القزويني مرتين ،
الشيخ علاء الدين القونوي ، القاضي علم الدين الأخنائي ، القاضي جمال الدين بن
جملة ، القاضي شهاب الدين بن المجدد عبد الله ، القاضي تقي الدين السبكي .

كُتّاب سرّه بمصر :

القاضي شرف الدين بن فضل الله ، القاضي علاء الدين بن الأثير ، القاضي
محيي الدين بن فضل الله ، القاضي شرف الدين بن الشهاب محمود ، القاضي
محيي الدين بن فضل الله ، القاضي علاء الدين بن فضل الله .

كُتّاب سرّه بدمشق :

القاضي محيي الدين بن فضل الله ، أخوه القاضي شرف الدين بن فضل الله ،

(١) في الوافي : « مرتين » ، وأضاف بعده : « القاضي جمال الدين الزرعي » .

القاضي شهاب الدين محمود ، ولده^(١) القاضي شمس الدين محمد ، القاضي محي الدين بن فضل الله ، القاضي شرف الدين بن الشهاب محمود ، القاضي جمال^(٢) الدين بن الأثير ، القاضي علم الدين بن القطب ، القاضي شهاب الدين يحيى بن القيسراني ، القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله .

دواداريته :

الأمير عز الدين أيدير مملوكه ، الأمير بهاء الدين أرسلان ، الأمير سيف الدين ألباي مملوكه ، الأمير صلاح الدين يوسف بن أسعد ، الأمير سيف الدين بغا ، ولم يؤمّر طبلخاناه ، الأمير سيف الدين طاجار الدوادار^(٣) المارداني .

نظار جيشه بمصر : القاضي بهاء الدين بن الحلّي ، القاضي فخر الدين ، مرتين ، القاضي قطب الدين بن شيخ السلامية^(٤) ، القاضي شمس الدين موسى بن التاج إسحاق ، القاضي مكين الدين بن قروينة ، القاضي جمال الدين جمال الكفاة .

نظار خاصه ، هذه وظيفة أحدثها القاضي كريم الدين الكبير :

القاضي تاج الدين إسحاق ، القاضي شمس الدين ولده ، القاضي شرف الدين النشو ، القاضي جمال الدين جمال الكفاة :

الذين درجوا بالوفاة في أيامه من الخلفاء :

الحاكم بالله أمير المؤمنين أبو العباس أحمد ، ولده المستكفي بالله أبو الربيع سلیمان .

(١) في الوافي : « وولده » .

(٢) في الأصل : « جلال » وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والبداية والنهاية : ١٧٠/١٤ ، وفيه : « جمال الدين محمد بن عماد الدين بن الأثير » . وانظر الدارس : ١٢٥/٢ .

(٣) ليست في (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « العلامة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

ومن الملوك : كيختو بن هولاكو ، المستنصر بالله محي الدين بن ^(١) عبد الواحد صاحب إفريقية ، المظفر يوسف صاحب اليمن ، السعيد إيلغازي ^(٢) صاحب ماردين ، المظفر تقي الدين محمود صاحب حماة ، المنصور حسام الدين لاجين ، أبو عبد الله بن الأحمر محمد بن محمد بن يوسف صاحب الأندلس ، أبو نمي ^(٣) صاحب مكة ، العادل زين الدين كتبغا المنصوري ، غازان محمود بن أرغون ملك التتار ، أبو يعقوب المريني صاحب الغرب ، المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، أبو عصيدة صاحب تونس ، المنصور ^(٤) غازي صاحب ماردين ، طقطاي صاحب القبجاق ، دوباج صاحب جيلان ، علاء الدين محمود صاحب الهند ، خربندا بن أرغون ملك التتار ، دون بطرو الفرنجي ، حميضة صاحب مكة ، المؤيد داود صاحب اليمن ، ابن الأحمر أبو الجيوش نصر بن محمّد اللحياني صاحب تونس ، منصور بن جَمَاز صاحب المدينة ، الغالب بالله إسماعيل صاحب الأندلس ، أبو سعيد [عثمان] ^(٥) صاحب فاس وغيرها ، المؤيد صاحب حماة ، ابن الأحمر محمّد بن أبي الوليد صاحب الأندلس ، ترمشين صاحب ^(٦) بلخ وسمرقند وبخارى ومرو ، بوسعيد ملك التتار ، أربكوون ملك التتار ، صاحب تلمسان عبد الرحمن أبو تاشفين ، موسى ملك التتار ، مهنا بن عيسى .

ولما كنت بالقاهرة سنة سبع وعشرين وسبع مئة قال لي الأمير شرف الدين حسين بن جندربك رحمه الله تعالى : لو نظمت أبياتاً مديحاً في السلطان لقدمتهأ أنا من يدي ، وكان يحصل لك ما تريده ، فنظمت أبياتاً ، وكتبتهأ بالذهب وزمكتها ، وتوفي الأمير شرف الدين رحمه الله تعالى وما اتفق وصولها ، وهي :

(١) (س) والوافي : « المستنصر بالله محي بن عبد الواحد » .

(٢) (س) : « المغازي » ، تحريف ، وانظر في ترجمته الوافي : ٣٧/١٠ .

(٣) ليست في (س) .

(٤) في الأصل : « المنصوري » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) زيادة من (س) والوافي .

(٦) (س) والوافي : « سلطان » .

بِعِزِّ نَصْرِكَ أَضْحَى الدَّهْرُ يَبْتَسِمُ
يَا نَاصِرَ الدِّينِ وَالدُّنْيَا وَيَا مَلِكًا
أَصْبَحْتَ سُلْطَانَ أَهْلِ الْأَرْضِ قَاطِبَةً
تَخَافُ بِأَسْكَ أَمْلَاكُ الْأَنْامِ فَمَا
يُيَادِرُونَ إِلَى مَا كُنْتَ تَأْمُرُهُمْ
مَتَى يَخْفُ مَلِكٌ مِنْهُمْ فَلَيْسَ لَهُ
فَالْأَسَدُ تَخْشَاكَ فِي سِرٍّ وَفِي عَلَنٍ
تَغْزُو سَرَايَاكَ أَمْلَاكُ الْبِلَادِ فَمَا
وَيَبْلُغُونَ الْأَمَانِي مِنْ عَدُوِّهِمْ
فَإِنْ تَصَلَّ فِي جِيُوشِ الْكُفْرِ وَغَى
تُفَرِّجُ الضِّيقَ فِي يَوْمِ الْكَرِيمَةِ إِذْ
وَمَا هَبَاتِكَ فِي يَوْمِ النُّوَالِ نَدَى
تَجُودُ بِالصَّدَقَاتِ الْوَافِرَاتِ فَكَمْ
وَفَضْلُ حِلْمِكَ مَشْهُورٌ لِطَالِبِهِ
مَنَاقِبُ شَرَفَتْ قَدْرًا فَقَدْ رَجَعَتْ
فَاللَّهُ يَجْعَلُ هَذَا الْمَلِكَ مُتَّصِلًا
وَلَا بَرَحْتَ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُنْتَصِرًا

وَعَنْ رَعَايَاكَ وَلَى الظُّلْمُ وَالظُّلْمُ
ذَلَّتْ لِعِزَّتِهِ فِي أَرْضِهَا الْأُمَمُ
سَارَتْ بِأَنْبَائِكَ الْوَحَادَةَ الرَّسْمُ^(١)
تَسْعَى لَهُمْ فِي سِوَى طَاعَاتِكَ الْقَدَمُ
كَأَنَّهُمْ عِنْدَمَا تَخْتَارُهُ خَدَمُ
إِلَّا ظِلَالُكَ فِي هَذَا الْوَرَى حَرَمُ
فَلَيْسَ يَعْصِمُهَا غَابٌ وَلَا أَجَمُ
يَحْمِي الْعِدَا مِنْهُمْ قَاعٌ وَلَا أَكْمُ^(٢)
لَأَنَّهُمْ بِاسْمِكَ الْمَنْصُورِ قَدْ قَدِمُوا
وَأُجِرُ الْحَرْبِ بِالْأَبْطَالِ تَزْدَحِمُ^(٣)
أَضَحَتْ سَيْوْفُكَ مِنْ أَعْمَادِهَا الْقِمَمُ
لَكِنَّهَا سَحَبٌ تَهْمِي وَتَنْسَجِمُ
أَحْيَتْ عَطَايَاكَ مَنْ أَوْدَى بِهِ الْعَدَمُ
وَنَفْحَةُ الْمِسْكِ فِينَا كَيْفَ تَنْكِتِمُ
دَرًّا عَلَى جِهَةِ الْأَيَّامِ تَنْتَظِمُ
بِالسَّعْدِ مَا ابْتَسَمَتْ عَنْ صُبْحِهَا الظُّلْمُ^(٤)
مُؤِيدًا مَا جَرَى فِي مَهْرَقِ قَلَمٍ^(٥)

(١) الوحادة : الإبل . الرسم : المؤثرة في الأرض .

(٢) (س) : « أطراف البلاد » .

(٣) (س) : « تلتطم » ، وهي أشبه .

(٤) في الأصل : « ما اتصلت » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) (س) : « من مهرق قدم » .

١٧٢٢ - محمد بن كجكن *

الأمير شمس الدين ابن الأمير الكبير سيف الدين ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ، تقدم ذكر والده في مكانه .

كان الأمير ناصر الدين ^(١) أمير شكار السلطنة بدمشق يُربي الغزلان وغيرها ، وله حوش في بلاد حوران ، وفي كل سنة يجهز من ذلك تقدمة إلى باب السلطان ، ويحضّر له من مصر تشریف يجهزه الأمير سيف الدين أيتش نائب الشام إلى ولاية الولاة بعد الأمير سيف الدين ساطلمش الجلالي ، وذلك في أواخر سنة اثنتين وخمسين ^(٢) وسبع مئة أو أوائلها ، فأقام بها مدة إلى أن طلب الإقالة من الأمير علاء الدين أمير علي المارديني نائب الشام ، فأعفاه منها في أوائل قدومه سنة أربع وخمسين وسبع مئة ، ثم إنه ولأه نيابة حمص فتوجّه إليها بعد وفاة الأمير سيف الدين [تلك] ^(٣) في ذي القعدة سنة أربع وخمسين وسبع مئة .

ولم يزل بها مقيماً إلى أن توفي رحمه الله تعالى في العشرين من شهر رجب الفرد سنة خمس وخمسين وسبع مئة وهو من أبناء الستين ، ونقل تابوته من حمص إلى دمشق ودفن بتربة والده بالصالحية .

وكان وقوراً محتشماً يخدم الناس ويرعاهم ويعرف حقوقهم .

* الدُرر : ١٥١/٤ ، وفيه : « كجكي ، ناصر الدين » .

(١) كذا في الأصول ، وهذا يخالف ما قدمه من قوله : « شمس الدين » ، وقد سلفت الإشارة إلى أن صاحب الدُرر سماه : « ناصر الدين » .

(٢) في الأصل : « وثلاثين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

١٧٢٣ - محمد بن كشتغدي*

الأمير ناصر الدين الغزي^(١) المصري الصيرفي .

سمع من النجيب والمعين الدمشقي .

أجاز لي بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وستين وست مئة^(٢) .

١٧٢٤ - محمد بن كوندك**

ناصر الدين دودار الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام رحمه الله تعالى .

ما رأى الناس مثله دوداراً ، ولا بلغ عظمته في أيامه كسرى ولا دارا . بلغ الغاية القصوى من الوجاهة ، وتفرّد مع ذلك بالعفة عن أموال الرعايا والنزاهة ، يتطفل نواب الشام على مكاتباته ، ويفرحون إذا ظفروا بما يردّ عليهم من جواباته ، لأنه كان قد تمكن من أستاذه ، وملك أمره بأستاله عليه واستحوذاه ، لا يقدر أحد من القضاة ولا الحاجب ولا أرباب المباشرات من المتولي والصاحب^(٣) ، ولا ناظر الجيوش ولا كاتب الأسرار ، ولا من له حديث في هذه^(٤) الدولة من الأخيار والأشرار أن يتفرد بأمر في عزل ولا ولاية ولا حكم ولا عناية دون أن يكون ذلك بأمره ، أو موافقاً لما في

* الوافي : ٣٧٧/٤ ، والدُرر : ١٥١/٤ .

(١) في الوافي : « الغزي » ، وفي الدُرر : « المغربي » ، وترجم صاحب الدُرر لوالده ٢٦٨/٣ ، وفيه أيضاً : « المعزي » .

(٢) وفي الدُرر أنه « مات في العشر الأخير من ربيع الآخر سنة ٧٢٩ هـ » .

** البداية والنهاية : ٢٧٠/١٤ ، والدُرر : ١٥٢/٤ ، ووقع في الأصل : « كويدك » ، تصحيف .

(٣) (س) ، (خ) : « من القضاة ولا الصاحب ... من المتولي أو الحاجب » .

(٤) ليست في (س) ، (خ) .

باطنه وسِرّه . فشت الأمور وأصلح^(١) الجمهور ، وساسَ فأحسنَ السِّيَاسةَ . وبألغ في العظمة والرياسة ، وكأنَّ الأمر مردودٌ إلى أمرِهِ ، وأمرُهُ ليسَ له ردٌّ .

وكان في وقت يوقَّع على القصص ويتجرَّع الموقعون وغيرهم من ذلك الغصص ، ودام على ذلك مدَّةٌ مديدة^(٢) . ثم بطلَ ذلك ولا قُلَّ حَدّه ولا نقص عديده ، إلى أن أُلِع به حمزة التركي فخربَ دياره ، ونقصَ عياره ، [ونفضَ عُبارَه]^(٣) ، وكسَفَ بذرهُ التَّمام ، ونكسَ قامة غصنه حتى ناحَ عليه الحَمام ، فتغيَّرَ عليه أستاذهُ تَغْييراً شديداً ، وحوَّلَ عنه رأياً كان فيه رَشيداً^(٤) ، فضرَبَه بين يديه بالسيّاط ، ولم يَعْمَل فيه^(٥) بالاحتياط ، وأخذَ منه جُملة من الدنانير ، ورَدَّ^(٦) بعد تلك المنعة والقوة يَتَجَشَّأ بين التنانير^(٧) . فأصيحَ تحت الثرى بعد أن كان على الثرى ، وولاه الزَّمانَ قفاه بعدما كان قابله بالحيا . فذلَّ من بعد تلك العزة ، وسلَّبه الدهر ما قلَّده وبزَّه ، وراحَ بعد علو المرتبة ، وهو من ذوي المرتبة :

وَكَمْ حَالِمٍ سَرَّهَ حِلْمُهُ وَأَذْرَكَهُ الرُّوعُ لَمَّا انْتَبَهَ^(٨)

ولم يزل على الحال المذكور إلى أن استجنَّ ضريحه ، وأسمعه الفناء صريخه ، وعَلِمَ منه ضريحه .

(١) في (س) ، (خ) : « وانصلح » .

(٢) (س) : « مدَّة من السنين مديدة » .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

(٤) (س) ، (خ) : « سديدا » .

(٥) (س) ، (خ) : « في أمره » .

(٦) (س) : « وردّه » .

(٧) يشير إلى قول حسان :

ألا طعان ألا فرسان عادية
والتجشؤ : تنفُس المعدة عند الامتلاء ، والبيت في الهجاء .

(٨) (س) : « حاكم » .

وتوفي رحمه الله تعالى في عشرين شهر ربيع الآخر سنة إحدى وستين وسبع مئة .

وكان قد ورد مع أستاذه من مصر هو وناصر الدين الخزندار ، وضبطا بابه على أحسن ما يكون . أما هذا ناصر الدين فكان أمره خارجاً عن الحد ، وكان عنده خبرة ومعرفة وتنفيذ للمهمات وما يتعلق بالدولة والمباشرات والوظائف وغيرها .

عرّف خلق أستاذه ومشى عليه ، فلم يكن يجتمع على أحد^(١) في بيته إلا بأناس قلائل من الصوفية وغيرهم ، ولا يعرف أحد بابه ولا يقربه ، فإن^(٢) كان له شغل اجتمع به في دار السعادة ، ولم يشبع أحداً^(٣) منه كلاماً ، وأنشأ جماعة من الأمراء والقضاة والكتاب والدواوين والأجناد وغيرهم من سائر الطوائف ، ولم يأخذ على أحد من ذلك شيئاً . ولما غضب عليه أستاذه ضربه قدامه بالمقارع ، وأخذ منه للسلطان ثمانية عشر ألف دينار ، وأخذ منه لنفسه مثلها وأكثر^(٤) منها ، وباع موجوده وغالب أملاكه ، ومع ذلك لم يشك أحد عليه ، ولا قال أحد إنه أخذ منه درهماً فما زاد عليه .

ولما أفرج عنه كان يلزمه بالركوب والنزول في أيام المواكب ، وكان يقول : قصدي بذلك حتى يرى مكانه وما كان فيه من العظمة^(٥) أولاً وكيف أصبح الآن ، ثم إنه جهّزه إلى القدس فأقام^(٦) هناك مدة ، ثم إنه^(٧) أحضره إلى دمشق . ولم يزل غضباناً^(٨) عليه من سنة أربع وثلاثين إلى أواخر سنة أربعين وسبع مئة ، فأحضره ورضي عليه وخلع

(١) في (س) ، (خ) : « بأحد » .

(٢) (س) ، (خ) : « وإن » .

(٣) (س) ، (خ) : « أحد » .

(٤) (خ) : « أو أكثر » .

(٥) (س) : « حتى يرى ما فيه من العظمة » . وفي (خ) : « حتى يرى ما كان فيه من العظمة » .

(٦) (س) : « فأقام » .

(٧) ليست في (س) ، (خ) .

(٨) كذا بالتثوين خلافاً للقاعدة .

[عليه ^(١)] ، وكان يَرْكَبُ معه في غير المواكب وَيُسايره ويَحَادِثُهُ . ولم تَر هذا الحال حصلَ لغيره ، لأنَّه ما غَضِبَ على أحد قطَّ ورضِيَ عنه ، وكان هذا الحال في حق الدَّوَادار مُضِرّاً له ، لأنَّ السُّلطانَ لَمَّا أَمْسَكَ الأميرَ سَيْفَ الدِّين تنكزَ رحمه الله تعالى شَمَلُ غَضَبِهِ كُلِّ مَنْ كَانَ مِنْ جِهَتِهِ ، واستخدم كُلَّ مَنْ كان بطالاً ، وقد غَضِبَ عليه فَنالَه بهذا أذى ، وأراد السُّلطانُ أن يعطيه إمرة عشرة فلم يقبل خوفاً من أستاذه .

وكان يتوجَّه في كل سنة مرتين أو ثلاثاً على قدر ما يتفق له إلى باب السُّلطان في ^(٢) البريد ، فيعامله السُّلطان بالإكرام الزائد والتعظيم .

وكان بيده في حلقة الشام إقطاع يعمل أربعين ألف درهم ، وأربعة ^(٣) إقطاعات أو خمسة جياذ بأيدي أولاده ومماليكه ، وكان له على أستاذه مرتب خبز ولحم وعليق ، ويعطيه وينعم عليه في كلِّ قليل ، فأقام على هذا الحال من سنة اثنتي عشرة وسبع مئة إلى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وكلَّ ماله في عظمة ووجاهة ، وكان إذا توجَّه إلى مصر وعادَ يتعذر على الأمير سيف الدِّين قطلوبغا الفخري وأمثاله السَّلامَ عليه في بيته ، بل يقفون له في الطريق إذا توجَّه إلى دار السَّعادة ويسلمون عليه .

وعلى الجُملة ما رأيت أنا ولا غيري عظمةً نالها هذا ناصر الدِّين في دواداريته لا من قبله ولا من بعده ، وبعد هذا ^(٤) كنت أراه يشتري اللحم ويربطه خَلْفَه على الفرس ويتوجَّه به إلى بيته ، فما كنت أقضي العجب من أمره ، سُبْحان مَنْ بيده تصاريفُ الأمور لا إله إلا هو ، وكنت أرى ذلك لأنه ^(٥) غَيْرُ بارٍّ بأبيه ، وكان يُؤثر إيجاش الأكابر ويشتهي ^(٦) إذلالَهُمْ .

(١) زيادة من (س) ، (خ) .

(٢) (س) : « على » .

(٣) « س » : « وأربع » .

(٤) (س) : « هذا كلّه » .

(٥) (س) : « آتَه » .

(٦) (س) : « ويريد » .

١٧٢٥ - محمد بن ليث العدي*

الحاج شمس الدين ابن الحاج زين الدين التاجر بمدينة سيدنا الخليل عليه السلام .

توفي رحمه الله تعالى في سنة تسع وأربعين وسبع مئة في الطاعون ، ووصى بأن يُصرف من تركته لعمارة مكة^(١) وحرم النبي ﷺ وحرم القدس وحرم الخليل عليه السلام ، لكل مكان منها مبلغ ثمان مئة دينار ، فقال له شهاب الدين أبو العباس أحمد خطيب الحرم : إن هذه الوصية إنما تنفذ من الثلث . فقال : أعرف ذلك ، فإن النبي ﷺ قال لسعد : « الثلث ، والثلث كثير »^(٢) ، وثلث مالي يزيد على ذلك ، وكتب محضر^(٣) ، وجهز إلى دمشق في أيام أرغون شاه .

١٧٢٦ - محمد بن مجاهد بن أبي الفوارس**

القاضي الصدر [الكبير]^(٤) بدر الدين النابلسي .

لبس خلعة نظر الدواوين شريكاً للشريف أمين الدين بن عدنان في جمادى الآخرة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ، وأقام على ذلك إلى أن تولى الصاحب شمس الدين غبريال نظر الدواوين عوضاً عن ابن أبي الفوارس وعن الشريف أمين الدين في سادس عشر المحرم سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى ثاني^(٥) عشر شوال سنة تسع عشرة وسبع مئة .

* الدرر : ١٥٢/٤ ، وفيه : « ابن الليث البغدادي » .

(١) في (س) : « حرم مكة » .

(٢) انظر : صحيح البخاري ٢٥٤/٣ (٥٥ كتاب الوصايا ، باب ٢ ، رقم الحديث ٢٧٤٢) .

(٣) في (س) : « وكتب بذلك محضر » .

** تالي وفيات الأعيان : ١٨٦ ، والدرر : ١٥٣/٤ .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) (س) : « ثامن » .

ولمّا عزل من نظر الدواوين بدمشق بقي بَطَّالاً خاملاً إلى أن مات رحمة الله تعالى .

١٧٢٧ - مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن أحمد بن علي*

ابن محمد بن الحسن بن عبد الله بن أحمد بن الميمون .

الشيخ الإمام أمين الدين أبو المعالي ابن الشيخ قطب الدين أبي بكر بن القسطلاني المكي ، شيخ الحديث بالحرم .

كان من بيت صلاح وله فضيلة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه أحاديث من (الثقييات) عن ابن الجُمَيزي وهو مريض بالإسهال ، ولم يكنه حضور الموقف ، واستمرَّ مرضه بعدما رَحَلْنَا أياماً .

ومات في مستهل المحرم سنة أربع وسبع مئة .

١٧٢٨ - مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن بهرام**

العالم العلامة قاضي القضاة بجلب وخطيبها ، شمس الدين أبو عبد الله الشافعي الدمشقي .

وليها مدة طويلة ، وكان قد تفقّه بمصر على الشيخ عز الدين بن عبد السلام ، وبرغ في المذهب وتصدّر ، وتخرّج به الأصحاب^(١) .

* الدُرر : ١٦٩/٤ .

** الوافي : ٢٠٩/١ ، والدُرر : ١٧١/٤ ، والشذرات : ١٣/٦ ، وفيها : « الكوراني » . وذيل العبر : ٣١ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢٠/٨ .

(١) (س) : « وخرّج به » . وفي الوافي : « وخرّج له » .

وكان محمود الأحكام على ضيق خلقه ، وكان يخالف قراسنقر نائب حلب كثيراً في أغراضه ، وعزل^(١) بالقاضي زين الدين ابن قاضي الخليل ، وقد تقدم ذكره .
وتوفي القاضي شمس الدين في العشر الأول من جمادى الأولى سنة خمس وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة ظناً .

ولمّا عزل عن قضاء حلب ولي الخطابة بها وبقي مدّة^(٢) مفتي البلد وشيخ الجماعة والناس يقرؤون عليه الفقه والأصول . وتولّى خطابة حلب بعده بدر الدين بن الحدّاد .

١٧٢٩ - مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن الْحَسَنِ*

ابن أحمد بن علي بن محمد الخطيب جمال الدين بن تقي الدين أبي الطاهر بن مجد الدين أبي علي ابن الشيخ تاج الدين أبي الحسن بن القسطلاني ، إمام جامع مصر وخطيب القلعة .

سمع من ابن خطيب المزة ، وصحب الشيخ المرجاني^(٣) وحجّ معه ولازمه وانتفع به ، وخطب بجامع مصر مدّة . ولما نُقل إلى خطابة القلعة خطب مكانه أخوه تاج الدين بجامع مصر .

وتوفي رحمه الله تعالى في مستهل ربيع الأول سنة خمس وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة ثلاث وسبعين وست مئة تقريباً .

(١) في الأصل (س) : « ولي » ، وعبارة الدرر : « عزل ... وبقيت معه الخطابة » .

(٢) ليست في (س) .

* الدرر : ١٧٣/٤ .

(٣) عبد الله المرجاني (ت ٦٩٩ هـ) ، العبر : ٤٠٨/٥ ، والشذرات : ٤٥١/٥ .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : ووالد جمال الدين المذكور سبط الشيخ مجد الدين الإخميمي خطيب مصر .

١٧٣٠ - محمد بن محمد بن علي*

ابن مُحَمَّد بن سليم ، الصَّاحِب تاج الدين أبو عبد الله ابن الصَّاحِب فخر الدين ابن الوزير بهاء الدين ابن حنَّا .

سمع من سبط السِّلَفي (جزء الذهلي) ، ومن الشرف^(١) المُرسِي . وبدمشق من ابن عبد الدايم وابن أبي اليسر ، وحدث بدمشق وبمصر .

رأى من العز والوجاهة ما لا رآه جدُّه ، وساعده على الرئاسة حظُّه وجده .

كان ذا تصوّن ورياسة^(٢) وسيادة ، وتفنّن في المكارم بلغ^(٣) من العلياء ما أرادته ، وانتهت إليه رياسة مضرة في عصره ، وسيادة دهره في سِرِّه وجهَّره .

وكان شكله حسنًا ، وبزته إذا رآها الناظر لم يذق معها وسنا ، لأنه تفنّن في مطعمه وملبسه ، ومركوبه ومجلسه ، وراحة قلبه وبدنه ، وسكنه ومسكنه ، مع كثرة صدقاته على الفقراء . ومبراته للأمراء ، وتواضعه الذي ملك به قلوب الأصاغر والعظماء .

وزاده زينة والبدر أحسن ما تراه في طرف السماء ، وعزم تلاه^(٤) الحزم ، ولم يدخل عليه من العوامل إلا ذوات^(٥) الجزم .

* الوافي : ٢١٧/١ ، وفوات الوفيات : ٢٥٥/٣ ، والدُّرر : ٢٠١/٤ ، والشُّذرات : ١٤/٦ ، وذيول العبر : ٣٨ ، والنُّجوم الزاهرة : ٢٢٨/٨ .

(١) في الأصل : « الفخر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) ليست في (س) .

(٣) (س) : « بلغ ذلك » .

(٤) (س) : « تراه العين في ذيل السماء وعزم تلاوة ... » .

(٥) في (س) : « أدوات » .

مستبَدَّ يَهْمَةٍ جَعَلَتْهُ فِي عُلُوِّ الْمَرْمَى شَرِيكَ النُّجُومِ
وَحِلَالٍ لَوَاسْتَرَدَّتْ إِلَيْهَا مِثْلَهَا مَا وَجَدَتْهَا فِي الْغُيُومِ
وَكَانَ مَدْحًا مُعْظَمًا ، يَخْتَارُ الشُّعْرَاءُ لَأَمْدَاحِهِ الدَّرَ الْكِبَارَ مُنْظَمًا .

وولي الوزارة مرتين ، وتجمّلت به كرتين . ثم إن الوزراء بعده كانوا له غلماناً ،
ولأوامره كفلاء وضماناً .

ولم يزل على حاله إلى أن سكّن ابن حنّا زوايا ضريحه ، وخرج فقده من مَعَمَاءَ إلى
ضريحه :

وتوفّي رحمه الله تعالى ليلة السبت خامس جمادى الآخرة سنة سبع وسبع مئة .
ومولده في يوم الخميس سابع شعبان سنة أربعين وست مئة .

وهو الذي اشترى الآثار النبوية على ما قيل بمبلغ ستين ألف درهم ، وجعلها في
مكانه بالعشوق ، وهو المكان المنسوب إليه بمصر ، وقد زرت هذه الآثار ورأيتها
مرتين ، وهي قطعة من العنزة ^(١) ومِرْوَد ^(٢) ومِخْصَف وملقط وقطعة من القصعة ،
وكَحَلْتُ [ناظري] ^(٣) برؤيتها ، وقلتُ أنا :

أَكْرِمُ بِآثَارِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ مَنْ زَارَهَا اسْتَوَفَى السُّعُودَ مَزَارُهُ
يَاعَيْنِ دُونَكَ فَالْحَظِي وَتَمَتَّعِي إِنَّ لَمْ تَرَيْهِ فَهَذِهِ آثَارُهُ

وحكى لي الإمام العلامة شيخنا شهاب الدين أبو الثناء محمود وغير واحد أن
الصاحب فخر الدين بن الخليلي لما لبس تشریف الوزارة وتوجّه ^(٤) إلى القلعة بالخلعة

(١) العنزة : العصا .

(٢) في الوافي : « مِرْوَد » .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

(٤) في الوافي : « توجّه » .

إلى عند الصّاحب تاج الدّين ، وجلسَ بين يديه وقَبَّلَ يَدَهُ ، فأراد الصّاحب تاج الدّين أن يُجْبِرَهُ ويعظّمَ قَدْرَهُ ، فالتفت إلى بعض غلمانه الواقفين أو عبيده وطلبَ منه توقيعاً بمرتب يختص بذلك الشخص ، فأخذه وقال : مولانا يعلّم على هذا التوقيع ، فأخذه وقَبَّلَهُ وعلمَ عليه قَدَامَهُ .

وكانَ شيخنا الحافظ فتح الدّين إذا حكى ذلك يقول : هذه الحالة من الصّاحب تاج الدّين بمنزلة الإجازة^(١) والإمضاء لوزارة ابن الخليلي .

ومن أحسن حَرَكةٍ اعتمدَها ما حكاها لي القاضي شهاب الدّين بن فضل الله قال : اجتزت بترية^(٢) فرأيت في داخلها مكتباً للأيتام ، وهم يكتبون القرآن في ألواحهم ، فإذا أرادوا مسحها غسّلوا الألواح وقلّبوا الماء على قبره ، فسألتُ عن ذلك فقيل لي : هذا شرطٌ في هذا الوقف ، وهذا مقصدٌ حسنٌ وعقيدةٌ صحيحة .

وكان جدُّه الصّاحب بهاء الدّين يؤثّرهُ على أولاده لصلبه ويعظّمهُ عليهم . أخبرني القاضي شهابُ [الدّين]^(٣) بن فضل الله قال : أخبرني قاضي القضاة جلال الدّين القزويني رحمه الله تعالى ، قال : وقَفْتُ على إقرار الصّاحب بهاء الدّين بأنه في ذمّته للصاحب تاج الدّين ولأخيه [مبلغ]^(٤) ستين ألف دينار مصرية .

ومن وَجَاهتِهِ وعظمتِهِ في النفوس أنّه لَمَّا نُكِبَ على يد الشُّجاعي جرّده من قِماشه وضربهُ مِقرعةً واحدةً من فوق قيصه ، ولم يدعه الناس يصل إلى أكثر من ذلك مع جَبَروت الشُّجاعي وعتوّه وتمكُّنه من السُّلطان .

وكان قد رُتّب في الوزارة بعد ابن السَّلْعوس وقتل الأشرف في أول دولة الناصر

(١) في الأصل : « الإجازة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الوافي : « بترية » .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

مُحَمَّدُ بْنُ الْمَنْصُورِ وَقَتْلُ الشَّجَاعِيِّ ، وَذَلِكَ فِي صَفَرٍ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ إِلَى أَنْ عُزِّلَ بَابِنُ الْخَلِيلِيِّ فَخَرَّ الدِّينُ فِي جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ .

وكان صاحب يتعاطى الفروسية ويحضّر الغزوات ويتصيّد بالجوارح والجوامي ، ولمّا قدم من غزوة حمص امتدحه الحكيم شمس الدّين مُحَمَّدُ بْنُ دَانِيَالٍ وَذَلِكَ فِي سَنَةِ ثَمَانِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ ، وَأَوَّلُ الْقَصِيدَةِ ^(١) :

تَذَكَّرْتُ سَعْدَى أَمْ أَتَاكَ خَيَالُهَا أَمْ الرِّيحُ قَدْ هَبَّتْ إِلَيْكَ شَأْلُهَا
منها :

لَقَدْ أَقْبَلَ الصَّدْرَ الْوَزِيرُ مُحَمَّدَ فَأَقْبَلَتِ الدُّنْيَا وَسْرَ وَصَالُهَا ^(٢)
منها :

بَغَى أَبْنَا لَمَّا تَصَرَّعَ أَهْلُهُ بَدَارَ هَوَانٍ قَدْ عَرَاهُمْ نَكَالُهَا ^(٣)
وَأَلْقَوْا عَنِ الْأَفْرَاسِ حَيْثُ رُؤُوسُهُمْ أَكَالِيْلُهَا فَوْقَ التُّرَابِ نِعَالُهَا
وَكَانَ لَهَا تِلْكَ الذَّوَائِبُ فِي الثَّرَى شَكَالًا وَثِيقًا حِينَ حَلَّ وَثَالُهَا ^(٤)
فَأُمْسَوْا فَرَاشًا وَالْأَسْنَةَ شُرْعَ ذِبَالٌ إِلَى أَنْ أَحْرَقَتْهُمْ ذِبَالُهَا

وَأُنْشِدُنِي إِجَازَةً لِنَفْسِهِ شَيْخُنَا الْعَلَامَةُ أَبُو الشَّيْءِ يَدْحَهُ بِقَصِيدَةٍ تَزِيدُ عَلَى الثَّمَانِينَ بَيْتًا أَوَّلُهَا :

أَعْلَى فِي ذِكْرِ الدِّيَارِ مَلَامٌ أَمْ هَلْ تَذَكَّرُهَا عَلَيَّ حَرَامٌ
أَمْ هَلْ أَدَمُّ إِذَا ذَكَرْتُ مَنَازِلًا فَارَقْتُهَا وَلَهَا عَلَيَّ ذِمَامٌ

(١) المختار من شعر ابن دانيال : ٦٤ .

(٢) في المختار : الصلد الوزير .

(٣) في المختار : « زكاهها » .

(٤) في المختار : « وكانت » . في الوافي والمختار : « حلَّ شكاهها » . والوثيل : الحبل .

ذَهَبَتْ وَجِرَانٌ عَلَيَّ كِرَامٌ^(١)
 أَقَهْلَ لَهُمْ أَوْ لِلْكَرَى إِمَامٌ
 فَعَلَى الْحَيَاةِ تَحْيِيَّةٌ وَسَلَامٌ
 سَفَهَاءُ وَإِلَّا أَيْنَ مِنِّي الشَّامُ
 بَعْدَ الْمَدَى وَتَمَادَتْ الْأَيَّامُ
 فِي النَّوْمِ بَلْ لَتُعِيدَهَا الْأَحْلَامُ
 ثَاوٍ وَلِذَاتِ الْهَوَى أَوْهَامُ
 دِمْنٌ أَلَمْ يَهَا فَقَالَ سَلَامُ

دار الأحيّة والهوى وشيّبة
 فارقتهم فأرقت من وجدي بهم
 كانوا حياقي وابتليت بفقدهم
 أشتاقها شوق الغريب مزاره
 وتروقني خدع المني منها وقد
 وتلذّ لي سنة الكرى لا رغبة
 وتمثل الأوهام لي أني بها
 وكان دمع تشوفي وخيالها
 منها :

حَرَمٌ يَطَافُ بِرُكْنِهِ وَمَقَامٌ
 بُعِثَتْ عِظَامُ الْمَجْدِ وَهِيَ رِمَامٌ
 أَمْسَى لَهَا بَيْنَ النُّجُومِ مَقَامٌ
 يَبْدُ الصَّبَا عِنْدَ الصَّبَاحِ لثَامٌ
 بَرَقَ بَدَا فَكَانَهَا إِهَامٌ
 عَذْباً وَهَلْ تُجْرِي الْمِيَاءُ ضَرَامٌ
 فَرْدًا أَقْرَلَهُ بِهَا النَّظَامُ
 قَدَمٌ وَلَا عَمْرُو لَهُ إِقْدَامُ^(٢)
 خَوْفَ الرَّدَى لَمْ يُثْنِ بِهِ إِحْجَامُ
 تُزْجَى الرِّمَاحُ السُّمُرُ وَالْأَقْلَامُ^(٣)

ولهُ بطلٌ محمّد بن محمّد
 الصّاحب المولى الوزير ومن به
 متفرّد دون السورى بمنّا قب
 خلق كنش الرّوض حلّ لنوره
 وبديهة أسرى وأسرع من سنا
 من خاطري كالنار يجري ماؤة
 من كلّ مغنى لو تمثّل جوهرأ
 وشجاعة ماعامر فيها له
 ثبت الجنان إذا الفوارس أحجمت
 وبكفّ في جحفل أو محفل

(١) يشير إلى قول الفرزدق :

فكيف إذا مررت بدار قوم وجيران لنا كانوا كرام

ديوانه : ٢٩٠/٢ .

(٢) هما عامر بن الطفيل ، وعمرو بن معديكرب ، من أبطال العرب .

(٣) في الواقي : « تزهى » .

وهذه قصيدة غرّاء طنانة ، وقد أثبتتها بكاملها في الجزء التاسع عشر من (التذكرة)
التي لي .

وحكى لي عنه سيادة كثيرة شاهدتها منه ، من ذلك أنه قال : دخلت يوماً إليه ،
فلقيني إنسان من الشعراء - أنسيت أنا اسمه - ومعه قصيدة قد امتدحه بها ، فقال :
يا مولانا لي مدة ولم يتفق لي إلى الصاحب وصول ، فأخذتها منه ودخلت بها إليه
وقلت : بالباب شاعرٌ وقد مدح مولانا ، فقال : يدخل . فأعطاه القصيدة ، ولم يمتنع
من إسماعها^(١) كما يفعله بعض الناس ، فلما فرغت أخذها منه ، ووضعها إلى جانبه ، ولم
يتكلم ولا أشار . فحضر خادم ومعه مبلغ مئتي درهم وتفصيلة ، فدفعها لذلك الشاعر .

قلت : وهذه غاية في السيادة والرئاسة من سماعها وعدم^(٢) قوله : أعطوه كذا ،
أو إشارة إلى من يحضر فيشير^(٣) إليه .

وقيل عنه : إنه كانت أحواله كلها كذا لا يشير بشيء ولا يتكلم به في بيته ، وكلّ
ما تدعو الحاجة إليه يقع على وفق المراد ، وحكى لي أنه أضاف^(٤) جدّه يوماً ووسع
فيه ، فلما عاد إلى بيته أخذ الناس يعجبون منه ومن همته وكرم نفسه ، فقال الصاحب
بهاء الدّين : ليس ما ذكرتموه بعجيب ، لأنّ نفسه كريمة ومكنته متسعة ، والعجب
العجب^(٥) كونه طول هذا النهار وما حضر فيه من المأكول والمشروب والطعام^(٦)
والفاكهة والحلوى وغير ذلك على اختلاف أنواعه ، ما قام من مكانه ، ولا دعا خادماً
فأسرّ إليه بشيء ، ولا أشار بطرفه ولا بيده ، ولم يجئ إليه أحد من خدمه ولا أشار
إليه . وقيل : إنّ الناس تعجبوا من كثرتهم وتشربهم الماء البارد في كيزان عامّة

(١) في الواقي : « سماعها » .

(٢) (س) : « أو عدم » .

(٣) في الواقي : « فيسر » .

(٤) (س) : « أضاقت » .

(٥) في الواقي : « العجيب » .

(٦) في (س) والواقي : « الطعام » بلا واو .

النهار^(١)، فسئل عن ذلك فيما بعد، فقال: اشترينا خمس مئة كوز، وبعثنا إلى الجيران قليلاً قليلاً، بردوا ذلك في الباذهنجات^(٢) التي لهم.

ولا شك في أنه كان عالي الهمة ممجداً مسوداً، ولكن لم يكن له سعادة جده ولا دريته في تنفيذ الوزارة، فإنه وليها مرتين وما أعجب فيها، وكان له إنسان مرتب معه حمام كحمام البطايق مدرّب، إذا خرج من باب القرافة أطلق مامعه من الحمام، فيروح إلى الدار التي له فيعلم أهله أنه قد خرج من القلعة، فيرمون الططاح^(٣) والملوخية وغير ذلك من أنواع الطعام ومن المطجن وما شابهه، حتى إذا جاء وجد الطعام حاصلاً والسماط^(٤) ممدوداً.

وله (ديوان شعر) لطيف سمعه منه ابن شامه وابن الصابوني.

أخبرني شيخنا العلامة أثير الدين قال: اجتمعت به وسمعت عليه شيئاً من الحديث، وأنشدني من لفظه لنفسه:

| | |
|-----------------------------|--|
| ولقد أتيت على أغر أدهم | عبل الشوى كالليل إذ هو مظلم ^(٥) |
| وبكفي اليمى قناة لذنة | كالأفعوان سناها منه الفم |
| مقلداً عضباً كأن متونهُ | برق تلاً أو حريق مضرّم ^(٦) |
| وعلى سايغة الذبول كأنها | سلخ كسانيه الشجاع الأرقم |
| وعلى المفارق بيضة عادية | كالنجم لاح وأين منها الأجم |
| فالرعد من تصهال خيلي والسنا | برق الأسنة والرذاذ هو الدّم ^(٧) |

(١) (س) والوافي: «ذلك النهار».

(٢) فارسية، وهي نوافذ تستعمل للتهوية والتبريد.

(٣) (س): «الططاح له».

(٤) في الأصل: «والطعام»، وأثبتنا مافي (س) والوافي.

(٥) (س) والوافي: «أبيت». والشوى: الأطراف.

(٦) في الأصل: «مظلم»، وأثبتنا مافي (س) والوافي.

(٧) (س) والوافي: «برق الأشعة».

وكان قد اشترى فرساً من العرب ، فأقامت عنده مدة في الحاضرة^(١) ، ثم إنه عبر بها على بيوت العرب ، فجفّلت به ، فقال :

نَسِيتَ بِيوتَ الشَّعْرِ يَا فَرَسِي وَقَدْ رِييتَ بِهَا وَالْحُرُّ لِلْعَهْدِ ذَاكِرٌ
ولَكن رَأَيْتُهَا بَنَجِدٍ وَأَهْلَهَا عَلَى صِفَةٍ أُخْرَى فَعُذْرُكَ ظَاهِرٌ

قلت : أثبت الياء في قوله : « رَأَيْتُهَا » وإنما هي بكسر التاء ، فأشبع ، فنشأت^(٢) ياء .

قال شيخنا أثير الدين : ونظمت أنا هذا المعنى فقلت :

عَجِبْتُ لِمَهْرِي إِذْ رَأَى الْعَرَبَ نَكَبَا كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْأَعَارِبِ قَدْ رَبَا
أَجَلٌ لَيْسَ نَكْرًا لِلْفَرِيقِ وَإِنَّمَا تَخَوْفَ عُتْبَاءَ مِنْهُمْ فَتَجَنَّبَا

وقد سمع منه شيخنا الذهبي وجالسه ، وأنشده من شعره ، واعتكف مرة في مؤذنة عرفات بجامع مصر ثلاثة أيام ، فقال السراج الورّاق ، وتقلت ذلك من خطه :

ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ قَطَعْتَ كَطَوْلِهَا ثَلَاثَ شَدِيدَاتٍ مِنَ السَّنَوَاتِ^(٣)
حَجَبْنِ مُحَيَّا الصَّاحِبِ بْنِ مُحَمَّدٍ لِيَجْمَعَ بَيْنَ الْحُسْنِ وَالْحَسَنَاتِ
وَمِمَّا كَادَ قَلْبِي أَنْ يَقَرَّ قَرَارَهُ لِأَنِّي بِمَصْرِ وَهُوَ فِي عَرَفَاتِ

ولمّا عرّ الصّاحب تاج الدّين جامع دير الطين قال السراج الورّاق ، ومن خطه نقلت :

بَنَيْتُمْ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللَّهِ مَسْجِدًا وَخَيْرُ مَبَانِي الْعَابِدِينَ مَسَاجِدُ^(٤)

(١) في الأصل : « الحاضر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) (س) : « وإنما هي كسرة فأشبع الكسرة فنشأت » .

(٣) في (س) والوافي : « لطولها » .

(٤) في الوافي : « المساجد » .

وأعلن داعيه الأذان فسادرت
ونالت نواقيس الديارات وجمّة
تبكي عليهم البطاريق في الدجى
بذا قضت الأيام ما بين أهلها
إجابته الصم الجبال الجلامد
وخوف فلم يمدد إليهن ساعد
وهن لديهم ملقيات كواسد^(١)
مصاب قوم عند قوم فوائد
قلت : البيتان الأخيران لأبي الطيّب المتنبّي من قصيدة مشهورة^(٢) .

وأهدى إليه الصاحب تاج الدين عسلاً مسعودياً فقال ، ومن خطه نقلت :
من الظرف ردّ الطرف ممثلاً حمداً
وكنّت لسيماً من زماني وصرّفه
كما جاء من نِعْماك ممثلاً رفاً^(٣)
فبدّلني من سمّ القاتل الشهدا
منها :

أتاني مسعود به لون عرضة
فأذنت من أبعدها لاقلى لها
بياضاً جلا من حالك الحال ما سودا
ولكن من الأشياء ما يوجب البعدا
بأربعها تدعو فتستفرغ الجهدا
فإن رفع الداعي يديه فهذه
وأرسل إليه الصاحب يوماً ديوكاً خصيّة ، فاستبقاهنّ ، فأرسل إليه دجاجة
كبيرة ، ومن خطّه نقلت ما قاله في ذلك :

فديت الديوك بذبح عظيم
فناري لهم مثل نار الخليل
وأثقتها من عذاب ألم^(٤)
ل ونارك لي مثل نار الكليم
وذو العرف بالله في جنّة
فكن واثقاً بالأمان العظيم

(١) في الأصل : « فتبكي » ، وأثبتنا ما في الوافي وديوان المتنبّي .

(٢) ديوانه : ٢٧٦/١ .

(٣) في الأصل : « الطرف » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ [الصافات : ٢٧/٢٧] .

لَقَدْ أَنْسْتُ لِي دَارَ بِهِمْ وَمِنْ قَبْلُهَا أَصْبَحْتُ كَالصَّرِيمِ^(١)
 مَشَوْا كَالطَّوَاوِيسِ فِي مَلْبَسٍ بَهِيَّ الْبُرُودِ يَهْيِجُ الرِّقُومِ^(٢)
 كَأَنِّي أَشَاهِدُهُمْ كَالْقُضَاةِ بِسَمْتٍ عَلَيْهِمْ كَسَمْتِ الْحَلِيمِ
 وَإِلَّا أَرَمْتُهُ دَارَ غَدَتٍ بِهِمْ حَرَمًا آمِنًا كَالْحَرِيمِ
 وَلَا فَرْقَ بَيْنِي وَبَيْنَ الْخَصِيِّ فَلَمْ - لَا أَرَاهُمْ بِعَيْنِ الْحَمِيمِ
 وَنِعَمَ الْفِدَاءُ لَهُمْ قَدْ بَعَثَتْ مِنَ الْفَاتِنَاتِ ذَوَاتِ الشُّحُومِ^(٣)
 أَعَدَّتْ الشُّبَابَ إِلَى مَطْبَخِي وَقَدْ كَانَ شَابٌ يَحْمِلُ الْهُمُومِ
 وَعَادَتْ قُدُورِي زَنْجِيَّةً فَأَعْجَبُ بِزَنْجِيَّةٍ عِنْدَ رُومِي
 وَطَالَ لِسَانُ لِنَارِي بِهِ خَصَمْتُ خُطُوبًا غَدَتِ مِنْ خُصُومِي
 وَأَمْسَيْتُ ضَيْفًا لَكَ فِي مَنْزِلِي وَمَنْ فِيهِ ضَيْفٌ لَضَيْفِ الْكَرِيمِ

قلتُ : قوله : « زَنْجِيَّةٌ عِنْدَ رُومِي » ظَرَفَ فِيهِ إِلَى الْغَايَةِ ، لِأَنَّ السَّرَاجَ رَحِمَهُ اللَّهُ
 تَعَالَى كَانَ أَشَقَرَ أَزْرَقَ ، وَلِذَلِكَ قَالَ ، وَمَنْ خَطَهُ نَقَلْتُ :

وَمَنْ رَأَى وَالْحَمْدَ لِمَرْكَبِي وَزُرْقَتِي لِلرُّومِ عِرْقٌ قَدْ ضَرَبُ
 قَالَ وَقَدْ أَبْصَرَ وَجْهِي مُقْبِلًا لَا فَارِسَ الْخَيْلِ وَلَا وَجْهَ الْعَرَبِ
 وَنَقَلْتُ مِنْ خَطِّ السَّرَاجِ الْوَرَّاقِ قَصِيدَةً مَدَحَ بِهَا الصَّاحِبُ تَاجَ الدِّينِ أَوْلَهَا :

أَتَرُومُ صَبْرِي دُونَ ذَاكَ الرَّيِّمِ هَيْهَاتَ لِمَتْ عَلَيْهِ غَيْرَ مَلُومِ
 لَوْ شَاهَدْتَ عَيْنَاكَ مَا شَاهَدْتُهُ لَرَجَعْتُ فِي أَمْرِي إِلَى التَّسْلِيمِ
 مَخْضَرُ آسٍ وَاحْمِرَارُ شَقَائِقِي أَنَا مِنْهَا فِي جَنَّةٍ وَجَحِيمِ^(٤)

(١) فِي الْوِلاَفِيِّ : « قَبْلُهَا » . فِي الْبَيْتِ إِشَارَةٌ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴾ فَأَصْبَحْتُ كَالصَّرِيمِ . [سُورَةُ الْقَلَمِ : ١٩/٦٨ - ٢٠] .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « رَقِيم » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوِلاَفِيِّ .

(٣) فِي الْوِلاَفِيِّ : « الْقَانِنَاتِ » .

(٤) فِي الْوِلاَفِيِّ : « وَنِعَم » .

وَمَعَاطِفَ مِنْ دُونِهِنَّ رَوَادِفَ
 سَلُّ طَرْفَهُ عَنْ شِعْرِهِ الدَّاجِي فَلَنْ
 يَأْغُضَ قَامَتَهُ إِلَيْكَ تُحَيِّي
 إِنَّ الْجَبَالَ لَهُ بَغِيرٌ مُنَازِعِ
 وَكَذَا الْعُلَا لِحَمْدِ بْنِ مُحَمَّدٍ بـ
 نَسَبٍ كَطَرْدِ الْكُعُوبِ فَلَا تَرَى
 مِنْهَا :

وَشَبِيبَةَ حَرَسَ التُّقَى أَطْرَافَهَا
 وَإِذَا تَحَرَّمَتِ الْمَسَائِلُ بِأَسْمِهِ
 إِنَّ قَالًا لَا يَخْلُوفَا مِنْ عِلَّةِ
 أَمَّا إِذَا جَارَى أَخَاهُ أَحْمَدًا
 بَحْرَانِ إِنَّ شَيْتَ النَّدَى، نَجْمَانِ إِنْ
 فَلَهَا مَحَلَّ الشَّيْبِ فِي التَّعْظِيمِ
 جَلَّى عَنِ التَّحْلِيلِ والتَّحْرِيمِ
 تَبْقَى لَصِحَّةِ ذَلِكَ التَّقْسِيمِ
 شَاهَدَتْ بَحْرِي نَائِلٍ وَعُلُومِ
 شَيْتَ الْهَدَى، غَوْثَانِ فِي الْإَقْلِيمِ

وَكَتَبَ الصَّاحِبُ تَاجَ الدِّينِ إِلَى الْوَرَّاقِ يَعْزِيهِ فِي حِمَارِهِ سَقَطَ فِي بئرِ فَنَق :

يَفْدِيكَ جَحْشُكَ إِذْ مَضَى مُتَرَدِّيًا
 عَنِ الشَّعِيرِ فَلَا رَأَةَ وَلَا يَرَى
 وَرَأَى الْبُؤِيرَةَ غَيْرَ خَافٍ مَائِهَا
 فَهُوَ الشَّهِيدُ لَكُمْ بِوَافِرِ فَضْلِكُمْ
 قَوْمٌ يَمُوتُ حِمَارُهُمْ عَطَشًا لَقَدْ
 وَبِتَالِدٍ يُفْدِي الْأَدِيبَ وَطَارِفِ
 تَبْنَأُ وَرَاحَ مِنَ الظَّمَا كَالْتَّالِفِ^(١)
 فَرَأَى حُشَّاشَةً نَفْسَهُ لِحَاوِفِ^(٢)
 هَذَا الْمَكَارِمِ لَا حِمَامَةَ خَاطِفِ
 أَزْرَوْا بِحَاتِمِ فِي الزَّمَانِ السَّالِفِ^(٣)

قلت : قوله : « لا حِمَامَةَ خَاطِفِ » يشير فيها إلى أبيات ابن عنين التي مَدَحَ بها

(١) كنا في الأصل (س) ، وفي الوافي : « ولم يخبرك » .

(٢) في الوافي : « فلم يجدته ولا رأى » .

(٣) في الوافي : « جاف » .

الإمام فخر الدين الرازي وهو على المنبر فجاءت إليه حمامة وراءها جارج ، فقال ابن عنين أبيتاً منها :

جاءتْ سُلَيْمَانَ الزَّمَانِ حَمَامَةٌ وَالْمَوْتُ يَلْمَعُ مِنْ جَنَاحَيْ خَاطِفِ
مَنْ أَعْلَمَ الْوَرْقَاءَ أَنَّ مَحَلَّكُمْ حَرَمٌ وَأَنْتَكَ مَلْجَأٌ لِلْخَائِفِ

وأجاب الوراق للصاحب تاج الدين بقصيدة طويلة ، ومن خطه نقلت :

أَذْنَتْ قُطُوفٌ ثِيَارَهَا لِلْقَاطِفِ وَتَنَّتْ بِأَنْفَاسِ النَّسِيمِ مَعَاطِفِي
منها ، فيما يتعلق بالهمز :

وَلَكُمْ بَكَيْتٌ عَلَيْهِ عَهْدٌ مَرَابِعٌ وَمَرَاتِعُ رُشَّتْ بِدَمْعِي الذَّارِفِ^(١)
يَمْسِي عَلَى يُسْرِي وَعُسْرِي صَابِرًا بِمَعَارِفِ تَلْهِيهِ دُونَ مَعَالِفِ^(٢)
وَقَدْ اسْتَمَرَّ عَلَى الْقِنَاعَةِ يَقْتَدِي بِي وَهِيَ فِي ذَا الْوَقْتِ جَلٌّ وَظَائِفِي
وَدَعَا لِلْبَيْرِ الصَّدَى فَأَجَابَهُ وَاعْتِاقَهُ صَرْفُ الْحِمَامِ الْأَزِفِ
وَهُوَ الْمَدِلُّ بِالْفَةِ طَالَتْ وَمَا أَنْسَى حُقُوقَ مَرَابِعِي وَمَالِفِي
وَمُوَافِقِي فِي كُلِّ مَا حَاوَلْتُهُ فِي الدَّهْرِ غَيْرَ مُوَافِقِي وَمُخَالِفِي
دَوْرَانُ طَاحُونٍ لِسَاقِيَةٍ لِنَقْدِ لَلْمَاءِ فِي شَاتٍ وَيَوْمٍ صَائِفِ^(٣)
لَكِنْ بِيَاءِ الْبَيْرِ رَاحَ بِنَقْلِيَّةٍ فَثَلَاثُ شَامَاتٍ بِمَوْتِ جَارِفِ^(٤)
ونظم الصاحب يوماً بيتاً وهو :

تَوَفَى الْجَمَالَ الْفَائِزِي وَإِنَّهُ لَخَيْرُ صَدِيقِي كَانَ فِي زَمَنِ الْعُسْرِ^(٥)

(١) في الواقي : « عند مرابع » .

(٢) في الأصل : « يمسي » ، وأثبتنا ما في (س) والواقي : « يمسي » . وفي الأصل : « معاطف » ، وأثبتنا ما في (س) والواقي .

(٣) (س) والواقي : « دوران ساقية لطاحون » .

(٤) كنا في الأصل و (س) ، وفي الواقي : « قتلته شامات » .

(٥) في الواقي : « توافي » .

وأمر الوراق بإجازته فقال :

فياربَّ عامله بالطافك التي يكون بها في الفائزين لدى الحشر
ومِمَّا ينسبُ إلى صاحب تاج الدين :

توهم واشينا بليل مزارنا فعانقته حتى اتحدنا تلازماً
فلم ير واشينا سوى فرد واحد قلت : هو مأخوذ من قول الأول :

كأنني عانقت ريحانة فلو ترانا في قميص الدجى
تنفست في ليلها البارد حسبتنا في جسد واحد

وقلت أنا وقد كنا برج الغسولة في يوم من الربيع ، فورد علينا برد^(١) شديد إلى
الغاية :

أتانا فجأة برد شديد لأنني كنت عن ألفي بعيداً
أنا للمدح فيه غير جاحد فصيرني ومن أهواه واحد

وكتب شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود إلى صاحب تاج الدين مع
رأس فانوس أهواه وفيه صورة الفلك :

أيا مولى أعوذ مجد ه بالروح والملك
ومن بسنا مفاخره تضيء غياهب الحلك
بعثت يا أبـوه إذا يصحف من كفى ملك^(٢)
يريك الشمس في جنح الدجا في قبة الفلك

(١) (س) : « في الربيع فورد علينا في يوم برد » .

(٢) (س) : « أتوه » .

فَكَتَبَ الصَّاحِبُ تاج الدِّينِ الجواب :

أَتَتْنِي مِنَ الْحَبْرِ الْكَرِيمِ هَدِيَّةً بِهَا مِنْ أَبِي فَانُوسَ نَسَبَةٌ نَاسِبٌ
وَمَا أَبْعَدُ الْفَانُوسَ إِلَّا لِرَبِيَّةٍ مَطَالِبُهَا مَرْجُوَّةٌ فِي الْغَبَابِ
شَيَاطِينُهَا تَرْجُو أَنْقِضَاضَ شَهَابِهَا وَتَأْمَلُ مِنْهُ أَنْ تَفُوزَ بِشَاقِبِ

وكان شيخنا العلامة شهاب الدِّينِ محمود رحمه الله تعالى في يوم عند الصَّاحِبِ
تاج الدِّينِ ، فقام إلى الصلاة ، ورمى إليه بخاتم فضة قصَّة زَبَرَجَد ، وَلَمَّا انْقَلَبَ مِنَ
الصَّلَاةِ أَنَشَدَهُ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ محمود لنفسه :

يَا سَيِّدَ الْوُزَرَاءِ يَا مَنْ كَفَّهُ أُرْبَى نَدَاهُ عَلَى سَاحَةِ حَاتِمِ
أَشْبَهْتَ فِي الْخُلُقِ الْوَصِيَّ وَفِعْلُهُ لَمَّا تَصَدَّقَ فِي الصَّلَاةِ بِخَاتِمِ

ومن شعر الصَّاحِبِ تاج الدِّينِ مُلَغِزاً فِي الْوَرْدِ :

وَمَعْرَكَةٌ أَبْطَالُهَا قَدْ تَخَضَّعَتْ أَكْفُهُمْ مِنْ شِدَّةِ الضَّرْبِ عُنْدَمَا
لَهُمْ عِنْدَهَا نَارٌ وَلِلنَّارِ عَنَبَرٌ تَأَجَّجَ حَتَّى يَتَرَكَ الْوَرْدُ أَذْهَهَا
ومنه يمدح الشَّيْخَ خُضْرَ الْمَكَارِي :

وَجُزْتُ بِمَيِّدَانِ الْعِبَادَةِ غَايَةً تُذَكِّرُنِي يَوْمَ السَّبَاقِ ابْنَ أَذْهَهَا
ونظم يوماً بيتاً وهو :

أَلَا قَاتَلَ اللَّهُ الْأَحْمَامَةَ إِنَّهَا أَذَابَتْ فُؤَادَ الصَّبِّ لَمَّا تَعَنَّتْ
وقال للورَّاق : أجزه . فقال قصيدة أولها :

أَطَارَحُهَا شَكْوَى الْغَرَامِ وَبَثَّه فَمَا صَدَحَتْ إِلَّا أَجَبْتُ بِأَنَّهُ

ومِمَّا يَنْسَبُ إِلَى الصَّاحِبِ تاج الدِّينِ هذه الموشحة وقد التزم فيها الحاء قبل اللام

وهي :

قد انحَلَّ الجسمُ أضمراً كَحَلِّ وأوْحَلَّ القلبُ فيه مَدْ حَلِّ
 يميلُ وعنه لا أَمِيلُ
 يَحُولُ وعنه لا أَحُولُ
 أقولُ إذ زَادَ بي ^(١) النُّحُولُ
 أما حَلَّ عِقْدَ الصَّدودِ يَنْحَلَّ ويرحَلُ عن جِسمي ^(٢) المَزَحَلُ
 بِرَغْمِي كَمْ ^(٣) يَسْتَبِيحُ ظَلْمِي
 وَيَرْمِي بِحَرَبِهِ لِسَامِي
 وَجِسمِي معَ التَّرامِ سَقَمِي
 مُنَحَّلُ وَقَدْ غَدَا مَرْحَلُ ^(٤) فكم ^(٥) حَلَّ سَفَكَ دَمِي وما حَلَّ
 مَتَوَّجُ بِالْحُسْنِ هَذَا الْأُبْهَجُ
 مَدْبَجُ عِذَارُهُ الْبَنَفْسِجُ
 مَفْلَجُ يَرْنُو بِطَرْفٍ أَدْعَجُ
 مَكْحَلُ وَرَيْقُهُ الْمُنَحَّلُ مُفَحَّلُ بِالْعَنْبَرِ الْمُحْلَلُ ^(٦)
 كَمْ أَبْعَدُ وَكَمْ أَيْتُ مُكَمَّدُ
 وَيَعْمَدُ بِجَرِّهِ لَا يَفْقَدُ
 وَيَجْهَدُ فِي ارْتِضَاءٍ مَنْ قَدْ
 تَمَحَّلُ وَالْحَاسِدُونَ وَحَلَّ ^(٧) وَمَحَلَّ وَالْوَعْدُ مِنْهُ أُمَحَّلُ

(١) في الأصل : « زاني » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) في الوافي : « نجمي » .

(٣) في الأصل : « حتى » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) في الوافي : « مزحل » .

(٥) (س) والوافي : « فلم » .

(٦) في الأصل : « للفحل » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) في الوافي : « ذحل » .

قَلَانِي واشتَطَّ هذا الجاني^(١)
 رَمَانِي في عَشْقِهِ زَمَانِي
 خَلَانِي^(٢) أَشْكُو لِمَنْ يَرَانِي
 قد أَنَحَلَ الجسمَ أَسْمَرَ أَكْحَلَ وأَوَحَلَ القلبُ مِنْهُ مَذْحَلَ

١٧٣١ - محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله *

القاضي نجم الدين بن جمال الدين بن محب الدين الطبري الأُملي الشافعي ، قاضي مكة .

كان فقيهاً جيّداً ، كريم سيّداً ، سديداً^(٣) في أحكامه أيّداً . فيه لُطْفُ أخلاق ، وحُسْنُ صحبةٍ وودّ في يوميّ الفراق والتلاق . له نظمٌ يتأرّج به الرّوض ، ويتدرج به الماء العذّب في الحوض .

لم يزل على حاله إلى أن [غاب]^(٤) نجمه في الثرى وعدمته أمّ القرى .

وتوفّي رحمه الله تعالى سنة ثلاثين وسبع مئة ، في أول جمعة من جمادى الآخرة بمكة شرفها الله تعالى .

ومولده سنة ثمان وخمسين وست مئة .

وكان قد سمع من عمّ جدّه يعقوب بن أبي بكر الطبري^(٥) (جامع) الترمذي .

(١) في الوافي : « الحاني » .

(٢) في الوافي : « خلاني » .

* الوافي : ٢٢٨/١ ، والفوات : ٢٣٩/٣ ، والدرر : ١٦٢/٤ ، وذبول العبر : ١٦٥ .

(٣) (س) : « شديداً » .

(٤) زيادة من (س) .

(٥) أشار إليه ابن رافع في وفياته : ٩٨/١ .

وسمع من جدّه محب الدين^(١) ، ومن الفاروئي^(٢) - وله إجازة من الحافظ أبي بكر بن مُسَدّي^(٣) ، وأخذ عنه شيخنا البرزالي وجمال الدين الغاني ، والوافي ، وآخرون . وما خلف بمكة مثله ، وكان بارعاً في الفقه ، وولي بعده ابنه الإمام شهاب الدين أحمد^(٤) .

قال لي الشيخ تاج الدين اليمني قال : أنشدته قصيدة في سنة عشر وسبع مئة امتدحته^(٥) بها عند منصرفي من دمشق قاصداً الين ، منها :

| | |
|-----------------------------|---|
| جَادَ عَهَادُ الْمَطَرِ | عَهْدَ مِنَى وَالْمَشْعَرِ ^(٦) |
| وَلَا عِدَا رَبْوَعَهَا | سَحَّ السَّحَابِ الْمَطَرِ |
| مَنَازِلَ كَمْ لِي بِهَا | مِنْ لَيْلٍ وَصَلَ مَقْمَرِ |
| وَالْبَيْنُ فِي بَيْنُونَةٍ | بِوَصْلِنَا لَمْ يَشْعُرِ |

قال : فلما فرغتُ من إنشادها أنشدني بدّها :

| | |
|------------------------------|---|
| أَقْسَمْتُ حَقّاً بِالصَّفَا | يَا ابْنَ الْكَرَامِ الْغُرَرِ |
| شِعْرُكَ هَذَا فَائِقُ | أَشْعَارِ أَهْلِ الْحَضَرِ |
| مَانَالِهِ حَبِيبُهُ | وَلَا الْوَلِيدُ الْبَحْتَرِ ^(٧) |

(١) (ت ٦٩٤ هـ) ، العبر : ٣٨٢/٥ .

(٢) في الأصل : « الفاروقي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وهو عز الدين أحمد بن إبراهيم (ت ٦٩٤ هـ) . العبر : ٣٨١/٥ .

(٣) أبو بكر محمد بن يوسف (ت ٦٦٣ هـ) ، العبر : ٢٧٤/٥ ، والشذرات : ٣١٣/٥ .

(٤) (ت ٧٦٠ هـ) ، الدرر : ٢٩٧/١ .

(٥) (س) والوافي : « أمتدحه » .

(٦) في الوافي : « عهدي » .

(٧) يشير إلى أبي تمام والبحتري .

قال : وأنشدني القاضي نجم الدين المذكور قصيدة يمدح بها الملك المظفر عند قدومه [من] ^(١) الين أولها :

إن لم أرَ الرَّبَّعَ من أجفاني بعد البعادِ دماً فـأجفاني
وأنشدني من لفظه بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة الشيخ محب ^(٢) الدين أبو
عبد الله محمد بن الصائغ المغربي الأموي ^(٣) ، قال : أنشدني القاضي نجم الدين الطبري
لنفسه :

أشبهه البدر المنير إذا بدا حسناً وليس البدرُ من أشباهك ^(٤)
مأسور حُسنك إن يكن متشفعاً فإليك في الحسن البديع مجاهك ^(٥)
أشفى أسمى أعياء الأساة رواؤه وشفاء يحصل بارتشاف شفاهك ^(٦)
فصليه واغتني بقاء حياته لا تقطعيه جفاً بحق إلهك

قال : فنظمت قصيدة في هذا الوزن والوزوم والروى ، وقد ذكرتها في ترجمة محب
الدين المذكور آنفاً .

١٧٣٢ - محمد بن محمد بن أبي بكر *

قاضي القضاة تاج الدين المالكي بالديار المصرية ابن قاضي القضاة علم الدين
الأخنائي ^(٧) ، تقدّم ذكر والده علم الدين في مكانه من هذا التاريخ .

- (١) زيادة من (س) .
- (٢) (س) : « محير » ، سهو .
- (٣) هو محمد بن عبد الله ، سلفت ترجمته في موضعها .
- (٤) (س) والوافي : « البدر المتهام » .
- (٥) (س) والوافي : « حبك » .
- (٦) في الأصل : « داؤه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .
- * وفيات ابن رافع : ٢٧٣/٨ ، والبداية والنهاية : ٢٩١/١٤ ، والدرر : ٢٤٥/٤ ، والبداية : ٥٩١/١/١ ،
الذيل التام ١٩١ ، وذيول المعبر : ٣٤٨ ، والنجوم الزاهرة : ١٤/١١ .
- (٧) (س) ، (خ) : « ابن الأخنائي » .

كان من بيت كلهم قضاء ، وبيت كلهم رياحين ، إذا كان غيره عضاه ^(١) . باشر القضاء بمصر بعد عمه ، وطلع في منصبه كالبدر ليلة تمه .
ولم يزل إلى أن « أخنى عليه الذي أخنى على لبد » ^(٢) ولم يترك له في الحياة من سبد ولا لبد ^(٣) .

وتوفي رحمه الله تعالى في ... ^(٤) ورد الخبر إلى دمشق بوفاته في أواخر ربيع الأول سنة ثلاث وستين ^(٥) وسبع مئة .
ومولده في ... ^(٦) .

وكان قد ولي القضاء بعد عمه قاضي القضاة تقي الدين الأحنائي في سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، وتولّى بعد تاج الدين المذكور قضاء المالكية بالديار المصرية أخوه قاضي القضاة برهان الدين إبراهيم ^(٧) ، وسمع الحجار ووزيرة ^(٨) ، فيما أظن ، بالديار المصرية ، وأظنه حدث بالبخاري عنه في مكة أو المدينة .

(١) العضاه : شجر يعظم وله شوك .

(٢) عجز بيت للناطقة من معلقته وصدره :

أضحت خلاء وأضحى أهلها احتملوا

انظر : الأغاني ٣١/١١ ، وديوان النابغة .

(٣) في الأصل : « سيد ولايد » ، تصحيف ، وهذان أقوال العرب : يريدون : ماله ذو وبر ولاصوف ، ويكنى بها عن الإبل والغنم ، وقيل : غير ذلك .

(٤) كنا بياض في الأصول ، وفي مصادر ترجمته أن وفاته في « صفر » .

(٥) في الأصل و (خ) : « وثلاثين » سهو ، وأثبتنا ما في (س) ومصادر ترجمته .

(٦) كنا بياض في الأصول .

(٧) (ت ٧٧٧ هـ) ، الدرر : ٥٨/١ .

(٨) وزيرة بنت عمر بن أسعد التنوخية ست الوزراء ، تقدّمت ترجمتها في حرف السين .

١٧٣٣ - محمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن*

الكنجي الدمشقي .

سمع كثيراً ، ونسخ وكتب الطباق ، وعلّق أشياء جيدة واقتنى كتباً مليحة وأصولاً .

قال شيخنا الذهبي : وله عمل قليل في هذا الفن ، وهو قانع متعقّف ، لا بأس به إن شاء الله تعالى . سمع من ابن القوّاس وطبقته ، وسمع قبلنا من الشيخ تاج الدين ، قال : وسمعنا من أبيه .

وتوفي صاحب هذه الترجمة في ذي القعدة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وسبعين وست مئة .

ونسبه الذهبي إلى خِفة وعدم رزاة .

١٧٣٤ - محمد بن محمد**

القاضي الإمام العالم الفاضل أقضى القضاة شمس الدين أبو عبد الله بن الشيخ شرف الدين أبي البركات بن الشيخ عز الدين أبي العزّ صالح بن أبي العز بن وهيبة بن عطاء بن حسن^(١) بن جابر بن وهب^(٢) الأذرعي الحنفي .

كان فاضلاً فقيهاً بصيراً بالأحكام ، حكم بدمشق نيابةً عشرين سنة ، وخطب بجامع الأفرم مدة ، ودرّس بالظاهريّة والقليجيّة مدة ، وأفتى وأذّن في الفتيا ، وقام

* الوافي : ٢٣٠/١ ، والنذر : ٢٤٤/٤ .

** البداية والنهاية : ١٠٣/١٤ ، والشذرات : ٥٨/٦ .

(١) ليست في (س) ، وتُرك مكانها بمقدار كلمة . وفي البداية : « جبر » .

(٢) في البداية : « ابن أبي العزّ بن وهيب ... بن وهيب » .

بكثير من المناصب الدينية ، وكان ديناً يتلو القرآن كثيراً ، وحج ثلاث مرات ، وكانت جنازته حافلة ، وأصيب به أبوه وأولاده وأقاربه وأصحابه .

وتوفي رحمه الله تعالى سلخ^(١) المحرم سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

ومولده في شهر رمضان سنة ثلاث وستين وست مئة .

وكان قد سمع (الغيلانيات) بقراءة ابن جعوان ، وحدث في حجاته الثلاث ، وياشر الظاهرية عوضاً عنه نجم الدين القفحازي^(٢) ، وياشر نيابة الحكم عوضاً عنه القاضي عماد الدين الطرسوسي .

١٧٣٥ - محمد بن محمد بن الحسين*

ابن عتيق بن رشيقي ، القاضي الإمام المفتي زين الدين أبو القاسم ابن الإمام علم الدين المصري المالكي ، قاضي الإسكندرية .

بقي في القضاء بها اثني عشرة سنة ثم عُزل ، وقد عيّنه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة لقضاء دمشق .

وكان شيخاً وقوراً ديناً فقيهاً معمرأ ، روى للجماعة^(٣) عن أبي الحسن بن الجيزي .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة حادي عشر المحرم سنة عشرين وسبع مئة . ومولده بمصر سنة ثمان وعشرين وست مئة .

قال كمال الدين الأديوي : نُقِلَتْ عنه أحكامٌ أخطأ فيها ، وعزل عن القضاء ، ثم لما

(١) في (س) : « في سلخ » .

(٢) في الأصل : « وياشر الظاهرية عند نجم الدين عنه نجم الدين القفحازي » ، وهي مختلة ، وأثبتنا ما في (س) ، ولكن وقع فيها : « عن موضع » عنه ، ولا يستقيم . وعبارة البداية : « ودرس بعده في الظاهرية نجم الدين القفحازي » .

* الوافي : ٢٣١/١ ، والدرر : ١٧٤/٤ ، وذيول العبر : ١١٢ ، والنجوم الزاهرة : ٢٥٠/٩ .

(٣) (س) والوافي : « الجماعة » .

صرف السلطان الملك الناصر محمد قاضي القضاة زين الدين علي بن مخلوف^(١) عن القضاء استناب قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ابن رشيقي هذا في القاهرة مدة إلى أن أعيد ابن مخلوف إلى القضاء ، وكان يكتب في الإجازات ، من نظمه :

أَجَزْتُ لَهُمْ أَبْقَاهُمْ اللَّهُ كُلَّ مَا رُوِيَ عَنِ الْأَشْيَاحِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ
وَمَا سَمِعْتُ أَذْنَ بِي عَنْ كُلِّ عَالَمٍ وَمَا جَادَ مِنْ نَظْمِي وَمَا رَاقَ مِنْ نَثْرِي^(٢)
عَلَى شَرْطِ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ وَضَبْطِهِمْ بَرِيءٌ مِنَ التَّصْحِيفِ عَارٍ مِنَ النُّكْرِ
وَبِاللَّهِ تَوْفِيقِي عَلَيْهِ تَوَكَّلِي لَهُ الْحَمْدُ فِي الْحَالَيْنِ : فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ

١٧٣٦ - محمد بن محمد بن علي*

الفقيه المحدث مجد الدين الأنصاري الدمشقي الشافعي المعروف بابن الصَّيرفي ، سبط المحتسب ابن الحَبَّوي^(٣) .

كان شاباً متواضعاً ساكناً ، نسخ للناس ولنفسه وعمل المعجم ، وجلس مع الشهود ، وحدث عن محمد بن النَشَّاب^(٤) ، والتقي بن أبي اليُسْر ، وأحمد بن أبي الخير^(٥) ، وابن مالك ، وابن البخاري ، وحضر المدارس ، وعاش أبوه بعد موته نحواً من عشر سنين وكان لمجد الدين نظمٌ .

وتوفي رحمه الله تعالى في ...^(٦) سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة^(٧) .

(١) سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « وما جمعت » ، وأثبتنا ما في (س) .

* الوافي : ٢٣١/١ ، والدرر : ١٩٨/٤ ، والشذرات : ٥٨/٦ ، وذيول العبر : ١٢٣ .

(٣) في الأصل : « الجوبي » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وسلفت الإشارة إليه .

(٤) في الأصل : « السني » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وفي ذيول العبر : « النشي » . وسلفت الإشارة إليه .

(٥) في الدرر : « يحيى بن أبي الخير ، سهو ، وأحمد هنا توفي سنة (٦٧٨ هـ) وسلفت الإشارة إليه .

(٦) كنا يياض في الأصل و (س) ، وفي الدرر وذيول العبر أنه توفي في رمضان .

(٧) ومولده سنة (٦٦١ هـ) كما في الوافي والدرر .

١٧٣٧ - محمد بن محمد بن أحمد أبي القاسم*

المرتضى العلويّ الشريف المعروف بالقمّي بضم القاف وتشديد الميم .

داخل التتار لما أتى غازان إلى دمشق وتوجّه إليهم وعاد إلى دمشق ومعه أربعة من التتار ، وكسر أقفال باب توما ، ونزلوا بالبادرائية في يوم الخميس سادس شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة . وشرع يُدَلُّ التتار على عورات المسلمين إلى أن أمسك وحمل إلى القلعة في يوم الأربعاء رابع عشري جمادى الأولى ، وبعد ذلك كُحِّل الحاج مُنَدَّوه وقطع لسانه . وفي ليلة الرابع من شوال سَمَّر الشريف القمّي هو وابن العوفي والبرددار وابن خَطْلِيثِي المزيّ على الجمال ، وشنق اثنان : كاتب مصطبة الوالي وآخر يهودي ، وقُطِعَ لسان ابن طاعن وقطعت يد الدُّلْدُرمي ورجله وكُحِّل الشجاع هَمَامٌ^(١) .

١٧٣٨ - محمد بن محمد بن علي**

ابن إبراهيم ابن خريث القرشي العبّديّ البُلُنْسِي ثم السّبتيّ المالكي المقرئ .

حدّث (بالموطأ) عن أبي الحسين ابن أبي الربيع^(٢) ، عن ابن بقي . وتفنّن في العلوم والقراءات والعربية ، وولي خطابة سبّعة مدة ، وأقرأ الفقه مدة ثلاثين عاماً ، ثم إنه تزهد ، ووقف كتباً^(٣) بألف دينار ، ووقف عقاره وحج وجاور بالحرمين ، وحدّث بمكة .

* لم نقف على ترجمة له .

(١) أشار إلى هذه الحادثة ابن كثير ٢/١٤ بإيجاز .

** الوافي : ٢٣٢/١ ، والدرر : ١٩٧/٤ ، والشذرات : ٥٨/٦ ، وذيول العبر : ١٢٣ .

(٢) عبيد الله بن أحمد (ت ٦٨٨ هـ) البغية : ١٢٥/٢ .

(٣) في الوافي والدرر : « كتبه » .

وبها توفي رحمه الله تعالى في^(١) سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة^(٢) .

١٧٣٩ - محمد بن محمد بن عبد القاهر*

ابن هبة الله بن عبد القادر بن عبد الواحد بن هبة الله بن طاهر بن يوسف ،
الصدر ضياء الدين أبو المعالي النصيبي الحلبي .

كان رئيساً كبيراً فاضلاً ، حسن الكتابة . وزير بحمة ، وولي المناصب ، ودرس
بعضرونية حلب ، وحدث بالكثير .

سمع من ابن شدّاد ، والموفق عبد اللطيف ، والكاشغري ، وابن روزبة ، وابن
الّتي ، وابن خليل ، وقرأ بنفسه على المشايخ .

سمع منه شيخنا علم الدين البرزالي بحلب سبعة أجزاء منها (المئة السريجية)
و (ثلاثيات البخاري) ، والأول من (مسند عمار بن ياسر) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب سنة ست وتسعين وست مئة بحلب .

ومولده بها في صفر سنة ثمانى عشرة وست مئة .

١٧٤٠ - محمد بن محمد بن محمود بن مكّي**

ابن عيسى بن دمرتاش ، الدمشقي ، العدل ، شهاب الدين أبو عبد الله .

كان أديباً ، فطناً لبيباً ، إذا دعا المعنى الغامض كان له مجيباً ، [وإذا نظمه كان

(١) كنا يياض في الأصل و (س) . وفي الدرر أنه توفي في جمادى الآخرة .

(٢) ومولده سنة (٦٤١ هـ) كما في الوافي .

* الشذرات : ٤٣٧/٥ .

** الوافي : ٢٣٢/١ ، والدرر : ٢٣٨/٤ .

عجيباً^(١) ، له غُوصٌ على المعاني ، وألفاظه أطربُ من المثلث والمثاني ، له مقاطيعُ
أعذبُ من أيام الوصال ، وأشهى من حبيب كَرَمَتْ منه الخصال .

لم يزل بدمشق على حاله إلى أن نطق غراب بينه ، ونزل بحبّه وافد حَيْثُ .

وتوفي رحمه الله تعالى بكرة السبت خامس صفر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده في ...^(٢) .

كان أولاً في شببته جُنْدِيّاً بحمّة ، وخدم بها صاحبها الملك المنصور ، صحب بها
محير الدين محمد بن تميم الحموي الشاعر ، وأقام معه بحمّة ، وبسببه دخل في الجندية ،
وكان يثني على مكارمه . وأقام بحمّة مدة عشرين سنة ، ولما أَسَنَّ وكبر بطلّ الجندية
ودخل في زيّ العدول ، وجلس بمرکز الرواحية ، ورأيته في سنة ثمان عشرة وسبع مئة
وفيا بعد ذلك ، وأظنه كان محلاً ياحدى^(٣) عينيه .

أنشدني من لفظه شيخنا العلامة أثير الدين قال : أنشدنا ظهير الدين البارزي
قال : أنشدني المذكور لنفسه :

| | |
|---------------------------------|---|
| أقول لِمَسْوَكَ الحبيب لك الهنا | برشّف فم ماناله تُغَرُّ عاشق |
| فقال وفي أحشائه حُرقة الجوى | مقالة صبّ للديار مُفَارِقِ ^(٤) |
| تذكرت أوطاني فقلبي كما ترى | أعلّله بين العُذَيْبِ وبارق |

قلتُ : وما أحلى قول القاضي محي الدين بن عبد الظاهر :

وعود أراكّة يجلو الثّنايا مِن البيض الدّمي جُلّي المايا

(١) زيادة من (س) .

(٢) كذا في الأصل و (س) ، وفي الدرر أنّه ولد سنة (٦٣٨ هـ) .

(٣) في الوافي : « من إحدى » .

(٤) في الوافي : « النوى » ، وفي (س) : « حرق الجوى » .

يقولُ مُسَاجِلُ الْأَغْصَانِ فَخْرًا «أنا ابن جلا وطلّاع الثنايا»^(١)

وقول محي الدين بن قرناص :

سألتك يا عود الأراكاة أن تعدّ
ورِدْ مِنْ ثَنِيَّاتِ الْعُذِيبِ مُنْهَلًا
إلى ثغر مَنْ أهوى فقبّله مُشْفِقًا
تَسْلُسِلُ مَا بَيْنَ الْأَيْبِقِ وَالنَقَا

وقال : أنشدني المذكور لنفسه :

ولما التقينا بعدَ بَيْنٍ وفي الحشا
أراد اختباري بالحديث فما رأى
لوعجٍ شوقٍ في الفؤاد يَخِيْمُ^(٢)
سوى نظري فيه الجوى يتكلم

وأنشدني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : أنشدني لنفسه :

ومُهْفَهَفِ الْأَعْطَافِ مَعْسُولِ اللَّمَى
قال اسقني فأتيته بزجاجة
كالغصن يَعْطِفُهُ النسيم إذا سرى
وتأرجت برضابه وأمدّها
ملئت قراحاً وهو لاهٍ لا يرى^(٣)
ثم انتقى ثملاً وقد أسكرتُه
من نار وجنته شعاعاً أحمرًا
برضابه وبوجنتيه ومادري

قلت : هو مولدٌ من قول الملك الأجد ، وفيه زيادة :

طلبتُ لماءٍ في إناء فجاءني
فقال هي الماء القراح وإنما
غلام بها صرفاً فأوسعته زجراً
تجلى لها خدي فأوهمك الخمرًا

ومن شعره ، وهو بما نقلته من خطه :

(١) صدر بيت لسحيم بن وثيل الرياحي ، عجزه :

مَنْ أضع العامة تعرفوني

(٢) (س) والوافي : « تخيم » .

(٣) في الأصل : « ملاه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

حاتم لاتصل المدام فقد أتت لك في النسيم من الحبيب وعود
والنهر من طرب يصفق فرحة والغصن يرقص والرياض تמיד

وأنشدني الشيخ الإمام العالم نجم الدين القحفاري قال : أنشدني المذكور لنفسه :

قال لي ساحر اللواظ صف لي هيفي قلت : يامليح القوام^(١)
لك قد لولا جوارح عيني لك لغنت عليه وُزق الحمام^(٢)

قلت : قد اشتهر هذا المعنى بين شعراء العصر وأولعوا به ، ومما نظمته أنا فيه :

ذوقامة من لينها بيد النسيم يكاد يُعَقِّدُ
لولا جوارح لحظه غنى الحمام بها وغرد

وتقلت له من خطّه :

قد صنتُ سرّ هواكم ضناً به إنّ المقيم بالهوى لضنين
فوشت به عيني ولم أك عالماً من قبلها أنّ الوشاة عيون

وتقلت منه له :

روى دمع عيني عن غرامي فأشكلا ولكنه ورى الحديث فأشكلا
وأسنده عن واقدي أضالعي فأضحى صحيحاً بالغرام مُعلّلا

وتقلت منه له :

وإني النسيم وقد تحمل منكم لطفاً يُقَصِّرُ فهمه عن علمه
وشكا السقام ومادري ما قد جرى وأنا أحقّ من الرسول بسقمه^(٣)

(١) في الوافي : « يارشيق » .

(٢) في الوافي : « جفنيك تغنت » .

(٣) في الوافي : « قد حوى » .

ونقلت منه له :

إن طال ليلى بعدكم فلطوله
لم تشر فيه نجومه لكنها
عُذِرَ وذاك لما أقاسي منكم
وقفت لسمع ما أحدث عنكم

ونقلت منه له :

عجباً لمشغوف يفوه بذكركم
والكون إمّا صامت فعظم
ماذا يقول وماعساه يمدح^(١)
حرماتكم أو ناطق فُسبح

ونقلت منه له :

من لأسير أمست قرينته
فهو يغني مبدا الحزين لها
في الدوح عن حاله تسائله
وهي بأوراقها ترأسله

قلت : ما أعرف هذا المعنى في أحسن من قول البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي^(٢) :

قامت على ساق تطارحني الهوى
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن
ما بين صخي في الدجى ورفاقي
يعقوب والأحزان عن إسحاق
أنى تباريني أسى وكآبة
وأنا الذي أملى الهوى عن خاطري
وصباية وجوى وفيض مآقي
وهي التي تملي عن الأوراق

وقلت أنا في هذه المادة مع اعترافي بالتقصير عنها :

لا تقيسوا إلى الحمامة حزني
أننا أفضلي تَنذري به العشاق
أننا أملى الغرام عن ظهر قلب
وهي تملي وحولها الأوراق

(١) في الوافي : « يمدحكم » .

(٢) من كبار شعراء الدولة الناصرية ، ومن الأدباء الطرّاف (ت ٦٨٠ هـ) الشذرات : ٣٦٩/٥ ، والأعلام :

ونقلت من خط ابن دمرتاش له :

حق إذا رقَّ جلبابُ الدجى وسرتُ
تبسم الصبح إعجاباً بخلوتنا
ونقلت منه له :

بالروح أفدي منطقياً علا
منطقه العذب الشهى الذي
ونقلت منه له :

جياذك يا من طبّق الأرض عدله
إذا سابقتها في المهامه غرة
ولو لم تكن في ظهرها كعبة المنى
ونقلت منه له :

يا سيدي أوحشتَ قوماً ما لهم
وتعللت شمس النهار فمالها
وبكى السحابُ مساعداً لتفجعي
ومن شعره :

انظر إلى الأزهار تلق رؤوسها
وعبيرها قد ضاع من أكمامها
ومنه :

من تحت أذياله مسكينة النفس
ووصلنا الطاهر الخالي من الدنس

برتبة النحو على نشوه
قد جذب القلب إلى نحوه

وحاز بأعلى الجد أعلى المناصب^(١)
رياح الصبا عادت لها كالجنائب
لما شبت آثارها بالمحارب

عن حسن منظرك الجميل بديل
من بعد بُعدك بكرة وأصيل
من طول هجرك والنسيم عليل

شابت وطفل ثمارها ما أدركا
وغدا بأذيال الصبا متمسكا

(١) في الواقي : « الحد » ، وفي (س) : « بأعلى المناصب » .

ولما أشارت بالبنان وودعت
طفقنا نبوس الأرض نوهم أننا
وقد أظهرت للكاشحين تشهداً^(١)
نصلي الضحى خوفاً عليها من العدا
ومما نقلته من خطه له :

يقولون شبهت الغزال بأهيف
ولو لم يكن لحظ الغزال كلحظه اح
وهذا دليل في المحبة واضح
وراراً لما تاقت إليه الجوارح
قلت : يشبه قول ابن دانيال :

بي من أمير شكار
لما حكى الطيبي جيداً
وجد يذيب الجوانح
حتت إليه الجوارح^(٢)
ونقلت منه له :

يقول لي الدولاب راض حبيبك الـ
فإني من عود خلقت وها أنا
حلول بما يهوى من الخير والنفع^(٣)
إذا مال عني الغصن أسقيه من دمعي
ومن شعره دوييت :

الصب بك المتعوب والمعتوب
يامن طلبت لحاظه سفك دمي
والقلب بك الملسوب والمسلوب^(٤)
مهلاً ضعف الطالب والمطلوب

قيل : إن الشيخ صدر الدين بن الوكيل رحمه الله تعالى كان يقول : وددت لو أنه
كان يأخذ مني جميع شعري ويعطيني هذين البيتين .

(١) في الأصل : « تشهدا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) (س) : « الجوانح » .

(٣) في الوافي : « للملول » .

(٤) لسبته الحية : لدغته .

١٧٤١ - محمد بن محمد بن أحمد*

ابن عبد الواحد ، عماد الدين بن شرف الدين بن الزمكاني ، وهو ابن عم الشيخ كمال الدين بن الزمكاني .

كان شكلاً حسناً طويلاً ، وكان خطّه حسناً ، وكان ينظم إلا أنه قليل .
كان قد سعى بالقاهرة على أن يكون كاتب إنشاء بدمشق ، وقام بأمره الأمير سيف الدين بغا الدوادار في أيام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فوقف القاضي شهاب الدين بن فضل الله في طريقه وأبطل ما كان قَرَّر من أمره . وكان أخيراً ناظر السبع الكبير وغيره .

ومولده [فيما أظن] ^(١) سنة إحدى وتسعين ^(٢) وست مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر شهر رجب الفرد سنة اثنتين وستين وسبع مئة بدمشق .

١٧٤٢ - محمد بن محمد بن سهل**

الوزير العالم الزاهد الأزدي الغرناطي .

سمع من ابن الرضي الطبري ، وقديم دمشق ، وقرأ (الصحيح) على الحجار ، و (صحيح مسلم) على ابن العسقلاني ، وقرأ بالسبع في صغره على ابن بشر ^(٣) وابن أبي الأحوص ^(٤) .

* وفيات ابن رافع : ٣٧٠/١ ، والدرر : ١٦٤/٤ ، وذيل العبر : ٣٤٧ .

(١) زيادة من (س) ، و (خ) .

(٢) في وفيات ابن رافع والدرر : « اثنتين وتسعين » .

** الوافي : ٢٣٦/١ ، والدرر : ١٧٨/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٤/٩ ، وزاد في (س) والوافي والدرر : « ابن محمد بن سهل » .

(٣) كنا وقع في الأصل و (س) والوافي . والذي في الدرر أنه قرأ على أبي جعفر بن الزبير ، وقد أشار إلى ذلك صاحب غاية النهاية في ترجمة أبي جعفر : ٣٢/١ .

(٤) حسين بن عبد العزيز (ت ٦٨٠ هـ) . غاية النهاية : ٢٤٢/١ .

وبرع في معرفة الاسطرلاب .

كان في بلده وافر الجلالة ، غامر الإنالة ، سافر الإيالة^(١) ، تزهد وحضر إلى الديار المصرية ، وأعرض عن المناصب العصرية ، فما كاد يلحقه ابن أدهم^(٢) زهداً ، ولا أشهب^(٣) علماً ورفداً . وكان يبرّ الناس ويتحيل على كتمان أمره ، ويفرق الذهب وهو يتقد في جمره ، « والشمس لا تخفى بكل مكان » والحرف لا تعدم ماهيته بين التحريك والإسكان :

سروا ونجوم الليل زهر طوالع فمّ عليهم في الظلام التنسم
ولم يزل على حاله إلى أن نزلت شدة الموت بابن سهل ، وبكاه حتى الحزن والسهل .

وتوفي رحمه الله تعالى في ليلة الأربعاء ثاني عشري الحرم سنة ثلاثين وسبع مئة قافلاً من الحج .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة .

قال الشيخ تاج الدين أحمد بن [مكتوم]^(٤) النحوي يرثيه :

مات ابن سهل فمات من بعده المكرمات
ولم يخلف مثيلاً أمثاله الصيّد ماتوا
وقلت^(٥) : أنا فيه لمّا سمعت بموته :

(١) في الأصل : « الإيالة » ، وما أثبتناه أشبه ، والإيالة : هي السياسة والإصلاح .

(٢) إبراهيم بن أدهم بن منصور ، زاهد مشهور (ت ١٦١ هـ) ، البداية والنهاية : ١٣٥/١٠ .

(٣) أبو عمرو أشهب بن عبد العزيز بن داود ، تفقه على الإمام مالك ، وإليه انتهت الرياسة بمصر (ت ٢٠٤ هـ) ، وفيات الأعيان : ٢٣٨/١ .

(٤) زيادة من (س) والوافي . وقد سلفت ترجمته .

(٥) قوله : « وقلت » إلى آخرها في هذا النص من شعر ليس في (س) .

مات ابن سهل ومنا قلت الحيلُ وللعفاة فضايق السهل والجبلُ
 مات الوزير الذي كان الملوك به في غبطة ولديه العلم والعملُ
 الزاهد العابد السامي الرفيع ذرى العالم العامل المستأمن البطلُ
 عليه مني سلام الله ما صدحت ورق لها في حواشي دوحها زجلُ
 وقلت أرثيه :

موت ابن سهل قد كان صعباً لكل عاف وكل طالب
 يحسب الله أن يرثي من قد حوى هذه المناقب

توفي أبوه سنة سبعين ، وجده سنة سبع وثلاثين . وحج هو سنة سبع وثمانين
 وعاد ، ثم إنه قدم مصر سنة عشرين وسبع مئة ، وحج وجاور سنتين .

وكان في بلده يرجعون إليه وإلى رأيه وحرمة عقله فيمن يولونه المملكة ويلقبونه
 الوزير ، وكان فيه ورع شديد ، وتعفف وصيانة وديانة وكرم ومروءة وحلم وعلم .

وأخذ عنه الشيخ قطب الدين عبد الكريم ^(١) ، وكان شيخاً وقوراً حسن الهيئة
 مليح الشبهة لا يتعمم ويتطيلس على طاقية .

ورأيته عند شيخنا العلامة أثير الدين ، وأخبرني هو وغيره عنه أنه يتصدق سراً
 من ماله الذي يحمل إليه من أملاكه من الغرب ، وعرفه الناس ، وصاروا يقصدونه ،
 فإذا طلب منه أحد شيئاً أنكر ذلك ، وقال : ليس ما قيل لك صحيحاً ، ثم إنه يتركه
 بعد يوم أو أكثر ويأتي إليه وهو غافل ويلقي في حجره كاغداً ^(٢) فيه ذهب ، ويمرُّ

(١) في الأصل : « ابن عبد الكريم » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وهو عبد الكريم بن
 عبد النور ، وسلفت ترجمته في موضعها .

(٢) الكاغد : الورق .

ولا يقف له ، ويتصدق من الستين ديناراً فادونها ، واستنسخ (البحر المحيط) تفسير القرآن لشيخنا أثير الدين ، و (شَرْح التسهيل) له وغير ذلك وجهزه إلى الغرب ^(١) .

١٧٤٣ - محمد بن محمد بن الفضل *

ابن عبد المنعم بن حسين بن حمزة بن حسين بن أحمد بن علي بن طاهر ^(٢) بن حبيش ، القاضي الإمام المفتي الخطيب موفق الدين ابن القاضي عز الدين أبي اليسر ^(٣) ابن القاضي نجم الدين أبي المكارم ابن القاضي مهذب الدين أبي عدي ابن القاضي تاج الدين أبي سالم ابن القاضي أمين الدين أبي القاسم حسين بن حمزة ، البهراني القضاعي الحموي الشافعي ، المعروف بابن حبيش .

تفقه بحجة ، وحصل وشارك في الفضائل ، وسمع من ابن رواحة ، والكمال بن طلحة ، وجماعة . وروى لشيخنا الذهبي وغيره بالإجازة عن جده لأمه أبي المشكور مدرك بن أحمد بن مدرك بن حسين بن حمزة القضاعي .

وكان إماماً جليل القدر ، وافر الحرمة ، ظاهر الحشمة ، ولي خطابة ^(٤) حجة ، ثم خرج عنها لتهديد السلطان له لما أنكر وأراق الخمر . وقدم دمشق في ... وولي ^(٥) خطابتها سنة ثلاث وتسعين وست مئة ، وقيل : سنة إحدى وتسعين عوضاً عن الشيخ عز الدين الفاروقي ^(٦) ، وعزّ عليه وعلى الناس ذلك ، وحضر السلطان الملك الأشرف ، فلما رآه السلاح دارية أخذوه وأجلسوه إلى جانب الأمير عز الدين أبيك الحموي نائب

(١) في الأصل : « للغرب » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

* العبر : ٤٠٤/٥ ، والبداية والنهاية : ١٣/١٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٦ ، والشذرات : ٤٥٣/٥ .

(٢) (س) : « ظاهر » .

(٣) (س) : « المبشر » .

(٤) في الأصل : « الخطابة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) (س) : « وقدم دمشق وولي » .

(٦) البداية والنهاية : ٣٣٠/١٣ .

الشام ، فسأل السلطان عنه ، فأخبر أنه قد عُزل ، وتوهم الشيخ^(١) أن الوزير ابن السلعوس هو الذي عزله ، فاعتذر السلطان إليه وقال^(٢) : بلغنا أنك ضعيف . فقال : من صلى مئة ركعة بألف ﴿ قل هو الله أحد ﴾ يعجز عن صلاة الفرض ؟ يعني صلاة النصف^(٣) ، فلم يلتفتوا إليه وانكسر قلبه .

ثم في هذه الجمعة هرب حسام الدين لاجين فاغتم السلطان لذلك ، وتوجه هو والأمراء والعسكر يفتشون عليه ، وكانوا قد أطلعوا المنبر إلى الميدان الأخضر ، فصلى موفق الدين بالعوام^(٤) ، والسلطان والعساكر مُهَجَّجون في طلب حسام الدين لاجين ، ثم إن السلطان عاد بالعساكر بعد العصر يوم العيد ، فقال بعض الشعراء في ذلك :

خطب الموفق إذ تولى خطبة شق العصا بين الملوك وفرقا
وأظننه إن قال ثانية غدا دينُ الأنعام وشمله متفرقا
وقال آخر :

إن الموفق لما في خطبة قد ترقق
في جمعة العيد شمل الـ ملوك كالخطب فرق
وكان مع ذا وهذا في الحال غير موفّق

وكان هذا الخطيب موفق الدين رجلاً صالحاً ديناً خيراً ، ولكن لم يرزق سعادة في هذه الحركة .

ثم إن الموفق طلب إلى حماة بكتاب من صاحبها في ذي القعدة سنة سبع وتسعين

(١) يعني عز الدين الفاروقي .

(٢) وقع في الأصل بعد هذه الكلمة مانصه : « أعني ابن الفاروقي » ، ولا معنى لها ههنا ، وقد خلت منها

(س) ، ولو وقعت بعد قوله : « وتوهم الشيخ » لاستقامت .

(٣) عبارة ابن كثير : « فذكر له أنه يصلي ليلة النصف مئة ركعة بمئة قل هو الله أحد » . والمراد ليلة

النصف من شعبان .

(٤) البداية والنهاية : ٣٣٠/١٣ .

وست مئة من بعد وفاة قاضي القضاة جمال الدين بن واصل رحمه الله تعالى ، فتوجه من دمشق إلى حماة ، وولى بها القضاء مدة .

ثم إنه قدم من دمشق جافلاً من التتار . فتوفي رحمه الله تعالى بدرب القاضي الفاضل في يوم السبت سادس عشري جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وست مئة ، ودفن برّاً باب الفراديس ظاهر دمشق .

ومولده في جمادى الآخرة سنة اثنتين وعشرين وست مئة .

وكان من أهل الدين والخير والصلاح ، رحمه الله تعالى .

١٧٤٤ - محمد بن محمد بن هبة الله*

ابن يحيى بن بندار بن ميمل ، القاضي الرئيس الكبير الصدر تاج الدين أبو الفضل ابن القاضي شمس الدين بن نصر الشيرازي .

كان من أعيان الدماشقة ، ولي وكالة بيت المال والحسبة ونظر الدواوين ونظر ديوان الخزنदार ، وتنقل في المناصب ، وباشر الوظائف الكبار ، ورأس .

قال شيخنا علم الدين البرزالي رحمه الله تعالى : روى لنا عن ابن عبد الدائم ، وسمع من والده وعمه وجماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى بالمزة في بستانه في رابع شهر رجب الفرد سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ست وخمسين وست مئة ، رحمه الله .

وجرى بينه وبين شمس الدين محمد ابن الشيخ عفيف الدين التلمساني مناقسة بسبب شخص مشهور ، وعمل شمس الدين مقامة بسبب ذلك . وكان هذا تاج الدين

* ذيول العبر : ١٣١ ، والشذرات : ٦٢/٦ .

من الرؤساء الفضلاء النبلاء فلم يسمع عنه بسبب ذلك كلمة واحدة ، ولا أعاد ولا أبداً ،
لخشمته ورياسته وفضله ومرّوته .

١٧٤٥ - محمد بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف*

الشيخ الإمام العالم العلامة المفتن^(١) المحقق المدقق جامع أشات الفضائل ركن
الدين أبو عبد الله بن القوّع ، بالقاف والواو الساكنة وبعدها باء موحدة مفتوحة وعين
مهملة^(٢) ، الجعفري التونسي المالكي .

فاضلاً إذا قلت فاضل ، [ونظّار لم يثبت له مناظر ولا مناضل ، قد جمع
الفضائل]^(٣) وأتقن ما لمفرداتها من البراهين والدلائل .

إن فَسَّرَ القرآن العظيم خضع له وأذعن ابن مقاتل وفتح على السّديّ باباً لا يختار^(٤)
فيه ولا يختال .

وإن ذكّر الحديث (فنهاية) ابن الأثير له بداية ، وصاحب (الغريبين) معروف
بأنّه لا يصل إلى هذه الغاية^(٥) .

وإن ذكر أسماء الرجال فما يذكر مع بحرّه الزاخر ابن نقطة ولا ابن عبد البرّفي
(استيعابه) مما يوافق شرطه .

* الوافي : ٢٣٨/١ ، ووفيات ابن رافع : ٦٢/١ ، والبداية والنهاية : ١٨٣/١٤ ، والدرر : ١٨١/٤ ،
والبيغة : ٢٢٦/١ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٥/٩ .

(١) (س) : « المفتن » .

(٢) قال صاحب الدرر : « والقويع على الألسنة بضمّ القاف ، ونقل ابن رافع عنه أنه قال : إنه بفتح
القاف ، وذكر عن بعض المغاربة أن القويع طائر » .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) الختر : الغدر .

(٥) في الأصل : « النهاية » ، وأثبتنا ما في (س) .

وإن ذكر الفقه فدونه [صاحب] ^(١) (المدونة) ، وابن أبي زيد نقص قدره عنه ^(٢) وهونه .

وإن ذكر الأصول فالغزالي ليس من هذا البز ، والحليمي سفيه رأيه واغتر بما اعتر .

وإن ذكر النحوف والشلوبين شلو بين ماضيه ، وابن عصفور يطير وما يقع إلا بين يديه .

وإن ذكرت اللغة فصاحب (الحكم) تشابهت أقواله ، والقزاز ^(٣) سدى وألم ^(٤) وما أفادته أحواله .

وإن ذكر العروض فالخليل ضاقت معه دائرته ، والجوهري غام جوجواه وما أفادته مغامرته .

وإن ذكر التاريخ فالخطيب لا يرقى درجته ، وابن عساكر يبذل في اعترافه له مهجته .

وإن ذكر الطب فجالينوس ماتجالس أنسه ، وابن زهر كسف نور هذا من ذاك شمس . هذا إلى غير هذه المعارف ، وسوى هذه النقود التي لا تبهرجها الصيارف :

إليه انتهت فينا الفضائل كلها فدعوى سواه للفضائل زور ^(٥)

(١) زيادة من (س) . والمدونة في فروع المالكية لأبي عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكي (ت ١٩١ هـ) ، وهي من أجل الكتب في مذهب مالك . الكشف : ١٦٤٤/٢ .

(٢) في الاصل : « وإن أبي » ، وأثبتنا ما في (س) ، وفي (س) : « قدره عنده » .

(٣) القزاز القيرواني ، محمد بن جعفر ، له : ما يجوز للشاعر في الضرورة ، والحروف ، والجامع في اللغة (٤٠٢ هـ) . البغية : ٧١/١ .

(٤) أي : نسج ، وفي المثل : ألحم ما أسديت ، أي : تم ما ابتدأته من الإحسان .

(٥) (س) : « الفضائل » .

إليه كأن الفضل في كل ليلة بكف الثريا في السماء يشير
يقول كذا فليس للعلم من سما ويفخر بإدراك العلاء فخور

وكان يتودد إلى الناس ويتعهد الأكابر بالبشر والإيناس من غير حاجة ^(١) إلى رب
جاه أو صاحب وظيفة يترجاه ، لأنه كان في غنيّة من ديناه ، ورفعته من ذاته في
علياه .

وولي نيابة الحكم بالقاهرة مدّة فلا المنصب عدلاً وإنصافاً ، ومال على المظالم وإن
صادق وإن صافي ، ثم إنه سأل الإغفاء ، ورجع إلى العطلة وفاء .

ولم يزل في رياسة علمه وفضائله الباهرة وسيادته الباطنة والظاهرة إلى أن تولى
العلم بركنه ، وطال من القبر على إنسانه إغماض ^(٢) جفنه .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الاثنين في سابع عشر ذي الحجة سنة ثمان وثلاثين وسبع
مئة بالقاهرة .

ومولده بتونس سنة أربع وستين وست مئة .

وسمع الحديث من أبي إسحاق إبراهيم بن علي الواسطي ، وأبي الفضل أحمد بن
هبة الله بن عساكر ، وأبي العباس أحمد بن محسن بن ملى ^(٣) ، وأبي القاسم الخضر بن
عبد الرحمن الدمشقي ، وأبي عبد الله محمد بن حمزة بن أبي عمر المقدسي ، وجماعة
كثيرة . وكتب على سورة « ق » مجلدة جيّدة ، وعلى آيات من القرآن تفاسير جيّدة .

ولما تولى إعادة الناصرية علق على قوله تعالى : ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
بِبَكَّةَ ﴾ ^(٤) الآية . وكتب على بعض (ديوان المتنبي) كلاماً جيداً ، واختصر (أفعال)

(١) (س) : « حاجة به » .

(٢) (س) : « إغماض » .

(٣) (س) : « مكّي » .

(٤) آل عمران : ٩٦/٣ .

ابن الحاج^(١) . وتولّى الإعادة في الفقه بالمدرسة الناصرية والجامع الطولوني . ودرس بالمدرسة المنكوتمية ، وكان طبيباً بالبيمارستان ، ويلقي الدرس فيه نيابة عن رئيس الطب .

وكان قد تأدّب بآبن حبّيش ، وقرأ المعقول على ابن الدارس .

وكان يستحضر جملة من شعر العرب والمولدين والمتأخرين ، ويعرف خطوط الأشياخ ، لاسيّاً أهل الغرب .

وكان نقده جيّداً ، وذهنه يتوقّد ذكاءً ، قد مهر في كل ذلك ، إذا تحدّث في شيء من هذه العلوم تكلم على دقائقه وغوامضه ونكته حتى يقول القائل : إنّنا أفنى عمره في هذا الفن .

وكان قد قرأ النحو على يحيى بن الفرّج^(٢) بن الزيتون ، والأصول على محمد بن عبد الرحمن قاضي تونس ، وقدم مصر عام تسعين وست مئة .

قال لي شيخنا العلامة قاضي القضاة تقيّ الدين السبكيّ رحمه الله تعالى وهو ماهو : أنا ما أعرف أحداً مثل الشيخ ركن الدين^(٣) ، وقد رأى من رآه [من]^(٤) الفضلاء .

وأخبرني شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيد الناس قال : قدم إلى الديار المصرية وهو شاب فحضر سوق الكتب والشيخ بهاء الدين بن النحاس حاضر ، ومع المنادي (ديوان ابن هانئ) ، فأخذه الشيخ ركن الدين وأخذ يترنّم بقول ابن هانئ :

فتكات لحظك أم سيوف أيكٍ وكؤوس خمرك أم مراشف فيك

(١) أحمد بن محمد بن أحمد الأزدي (ت ٦٤٧ هـ) . البغية : ٣٥٩/١ .

(٢) (س) : « يحيى الدين بن أبي الفرّج » .

(٣) زاد في الوافي : « أو كما قال » .

(٤) زيادة من (س) .

وكسر التاء وفتح الفاء والسين والفاء ، فالتفت إليه الشيخ بهاء الدين وقال :
يا مولانا ذا نصب كثير . فقال له الشيخ ركن الدين بتلك الحدة المعروفة منه والنفرة :
أنا ما أعرف الذي تريده أنت من رفع هذه الأشياء^(١) على أنها أخبار لمبتدآت مقدرة ،
أي : أهذه^(٢) فتكات لحظك أم كذا أم كذا ، وأنا الذي أريده أغزل وأمدح ،
وتقديره : ألقاسي فتكات لحظك أم ألقاسي سيوف أيبك ، وأرشف كؤوس خمر أم
مراشف فيك . فأجمل الشيخ بهاء الدين وقال له : يا مولانا فلأي شيء ما تنصدر^(٣)
وتشغل الناس . فقال استخفافاً بالنحو واحتقاراً له : وأيش النحو في الدنيا ، النحو علم
يذكر^(٤) ؟! أو كما قال .

وأخبرني أيضاً قال : كنت أنا وشمس الدين [بن]^(٥) الأكفاني نأخذ عليه في
(المباحث المشرقية)^(٦) فأبيت ليلتي أفكر في الدرس الذي نصبح نأخذه عليه وأجهد
قريحتي وأعمل تعقلي وفهمي إلى أن يظهر لي شيء أجزم بأن المراد به هذا ، فإذا تكلم
الشيخ ركن الدين كنت أنا في واد في بارحتي وهو في واد . أو كما قال .

وأخبرني الشيخ تاج الدين المراكشي قال : قال لي الشيخ ركن الدين : لما أوقفني
الشيخ فتح الدين ابن سيد الناس على (السيرة) التي عملها علّمت فيها على مئة
وأربعين موضعاً أو مئة وعشرين موضعاً - السهو مني - أو كما قال .

(١) عبارة الدرر : « أنا أعرف الذي تريد من رفعها » .

(٢) في الأصل : « هذه » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والمعنى على الاستفهام .

(٣) في الأصل : « تتصدق » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والدرر .

(٤) قوله : « النحو علم يذكر » ، ليس في الوافي ، والذي في الدرر : فقال : « وإيش هو النحو في الدنيا
حتى يذكر » .

(٥) زيادة من (س) والوافي والدرر .

(٦) المباحث المشرقية في العلم الإلهي والطبيعي للرازي ، محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) ، الكشف ١٥٧٧/٢ .

ولقد رأيته [أنا] ^(١) مرات يوافق ^(٢) الشيخ فتح الدين في أسماء رجال ويكشف عليها فيظهر الصواب مع ركن الدين .

وكنْتُ يوماً أنا وهو عند الشيخ فتح الدين فقال : قال الشيخ تقي الدين بن تيمية : عمل ابن الخطيب أصولاً في الدين أصول الدين ^(٣) أعوذ بالله من الشيطان ^(٤) الرجيم - بسم الله الرحمن الرحيم - ﴿ قل هو الله أحد ﴾ الله الصمد ☆ لم يلد ☆ ولم يولد ☆ ولم يكن له كفواً أحد ﴿ ^(٥) فنفر الشيخ ركن الدين وقام وقال : قل له يا عرّة ، عمل الناس وصنفوا وما أفكروا فيك ، ونفر مغضباً .

وأخبرني الشيخ فتح الدين قال : جاء إليه إنسان يصحح عليه في (أمالي) القالي ، فأخذ الشيخ ركن الدين يسابقه إلى ألفاظ الكتاب ، فبهت ذلك الرجل فقال ^(٦) له : لي عشرون ^(٧) سنة ، ما كررت عليها .

وكان إذا أنشده أحد شيئاً في أي معنى كان أنشد فيه جملة للمتقدمين والمتأخرين ، كأن الجميع كان يكرّر عليه البارحة .

وتولى نيابة الحكم بالقاهرة لقاضي القضاة المالكي مدة ، ثم إنه تركها تديناً منه وقال يتعذر فيها براءة الذمة ، وكانت سيرته فيها حميدة ^(٨) ، لم يُسمع عنه أنه ارتشى في حكومة ولا حابي أحداً .

(١) زيادة من (س) ، ومن الدرر عن الصفدي هنا .

(٢) في الأصل : « يوافق » تصحيف ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) في الوافي : « في الدين الأصول » .

(٤) في الأصل : « الشيخ » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٥) الإخلاص : ١١٢ .

(٦) أي : ابن القويح .

(٧) في الأصل : « عشرين » ، سهو .

(٨) (س) : « جميلة » ، وفي الوافي : « حسنة » .

وكان كثير التلاوة وكان ينام أول الليل ثم يستيقظ وقد أخذ راحة ، وأخذ كتاب (الشفاء) لابن سينا ينظر فيه لا يكاد يخل بذلك .

قال لي الشيخ فتح الدين : قلت له يوماً : يا شيخ ركن الدين إلى متى تنظر في هذا الكتاب ؟ فقال : أريد أن أهتدي .

وكان فيه سأمٌ وضجر حتى في لعب الشطرنج ، يكون في وسط الدست وقد نفذه وقطع لذة صاحبه ويقول : سئمت سئمت . وكذلك في بعض الأوقات يكون في بحث وقد حرّرك^(١) المسألة وكادت تنضج وتتضح فيترك الكلام ويمضي .

وكان حسن الودّ ، جميل الصّحة ، يتردد إلى الناس ويُهَنِّئهم بالشهور والمواسم من غير حاجة لأحد ، لأنّه كان معه مالٌ له صورة ما يقارب الحسين ألف درهم ، وكان يتصدق سراً على أناس مخصوصين ، وكان مع هذه العلوم لثغته بالراء قبيحة يجعلها همزة ، وكنت أنا وهو قد طلعتنا إلى القلعة فجاء في الطريق ذكر الراء واللثغة بها ، فأخذ يسرد عليّ ما يمكن من اللثغة بها وعدّ أنها تُغير لغالب حروف المعجم ، وأخذ يذكر أمثلة ذلك .

وكان إذا رأى أحداً يضرب كلباً أو يؤذيه يخاصمه وينهره ويقول له : ليس تقفل هذا^(٢) أما هو شر يكك في الحيوانية ؟

وكان خطه مغريباً وليس بجيد ، وكنت كثيراً ما أجمع به وأخذ من فوائده الغامضة ، وكتبت له استدعاء في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، ونسخته :

« المسؤول من إحسان سيّدنا الشيخ الإمام العالم العلامة جامع شتات الفضائل ، وارث علوم الأوئل ، حجة المناظرين سيف المتكلمين :

(١) (س) : « تلك » .

(٢) (س) : « به هنا » .

سَبَّاقُ غَايَاتِ الْوَرَى فِي بَحْثِهِ فَالْبَرْقُ يَسْرِي فِي السَّحَابِ بِحَثِّهِ
وَيَهَبُ مِنْهُ بِالصَّوَابِ صَبَا لَهَا بَرْدٌ عَلَى الْأَكْبَادِ سَاعَةَ نَفْثِهِ^(١)
وَيَضُوعُ مِنْ تِلْكَ الْمُبَاحِثِ مَا يُرَى أَشْهُى مِنَ الْمَسْكِ السَّحِيقِ وَبَثِّهِ^(٢)

المتكلم الذي ذهلت بصائر أولي المنطق نحوه ، وأنتجت مقدماته المطلوب عنوة ووقف السيف عند حده فما للآمدي في مداه خطوه ، وحاز رتب النهاية فما لأبي المعالي بعدها خطوه ، فهو الرازي على الرازي ، لأن قطب علومه من مصره ومحصوله ذهب قبل دخول أوانه وعصره ، والفقيه الذي رفع لصاحب (الموطأ) أعلام مذهب مذهب ، فمالك عنه رضوان ، وأسفر وجوه اختياره خالية من كلف التكلف حالية بالدليل والبرهان ، وأبرزها في حلاوة عبارته فهو جلاب الجلاب^(٣) ، وأظهر الأدلة من مكانها ، وأماكنها ، وطالما جمعت تلك الأوابد على الطلاب .

والنحوي الذي تركت (لعمرة) الخليل أخفش ، وأعرت الكسائي ثوب فخره الذي بهر به سيويوه وأدهش ، فأبعد ابن عصفور حتى ضار عن (مقربه) ، وأما ابن يعيش لما أخلق مذهب مذهب .

والأديب الذي هو رَوْضُ جَمَعَ زَهْرُ الْآدَابِ وَحَبَّرَ قَلَدَ الْعِقْدِ أَجْيَادَ فَنِّهِ الَّذِي هُوَ لُبُّ الْأَلْبَابِ ، وكامل أخذ عنه كُتَابُ الْأَدَبِ (أدب الكتاب)^(٤) ، فإذا نظم قلت : هذه الدراري^(٥) في أبراجها تتسق ، أو خِلْتَ الدُّرَرُ تَتَنَضَّدُ فِي إِزْدَوَاجِهَا وَتَتَنَسَّقُ ، أو

(١) في الوافي : « ضباً » .

(٢) في الأصل : « ويصوع » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٣) الجلاب : ماء الورد ، معربة .

(٤) فيه تورية ، وأدب الكتاب هو أدب الكاتب لابن قتيبة .

(٥) في الأصل والوافي : « الدراري » ، والدراري : النجوم .

نثر فالزهر يتطلع من كمامه غبَّ غمامه ، والألفات ^(١) غصون ترنح معاطفها بجائم ^(٢)
همزه التي هي كهمز حمامه .

والطبيب الذي تحلى منه أبقراط ^(٣) وسقط عن درجته سقراط ، فالفارابي ألفاه
رايياً ، وابن مسكويه أمسك عنه مُحاشياً ^(٤) لا محايياً ، وابن سينا انطبق (قانونه) على
جميع جزئياته و (كليّاته) ، وطلب (الشفاء) والنجاة من (إشاراتِه)
و (تنبيهاته) ، فلو عالج نسيم الصبا لما اعتلّ في سحره ، أو الجفنَ المريض لزانه وزاده
من حوّره ، ركن الدين أبي ^(٥) عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الجعفري المالكي :

لا زال روض العلم من فضله في كُـلِّ وقت طيّب النشْر
وكلّ ما يدعّهُ للوَرَى تطويه في الأحشاء للنشر
وتزدهي الدنيا بما حازَه حتى تُرى دائماً البشْر

إجازة ^(٦) كاتب هذه الأحرف ماله من مَقُول منظوم أو منشور ، وَضَع أو تأليف ،
جمع أو تصنيف ، إلى غير ذلك على اختلاف الأوضاع وتباين الأجناس والأنواع .

وذكرت أشياء مذكورة في الاستدعاء .

فأجاب بخطه رحمه الله تعالى :

يقول العبد الفقير إلى رحمه ربه وعَفُوهِ عمّا تعاظم من ذنبه محمد بن عبد الرحمن
القرشي الجعفري المعروف بابن القُوبع : بعد حمد الله ذي المجد والسَّناء والعظْمة

(١) في الوافي : « وألفات » .

(٢) في الوافي : « لحائم » .

(٣) (س) والوافي : « بقراط » .

(٤) في الأصل : « محاسباً » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٥) مردودة على قوله : « من إحسان سيدنا » .

(٦) خبر لقوله : « المسؤل » .

والكبرياء ، الأول بلا ابتداء ، والآخر بلا انتهاء ، خالق الأرض والسماء ، وجاعل الإصباح والإمساء ، والشكر له على مامن به من تضاعف الآلاء وترادف النعماء ، نحمده ونذكره ، ونعبده ونشكره لتفرد باستحقاق ذلك وتوفر ما يستغرق الحمد والشكر هنالك ، مع ما خصنا به من العلم ^(١) وأضاء به بضائها من نور الفهم .

ونصلي على نبيه محمد سيّد العرب والعجم ، وعلى آله وأصحابه الذين فازوا من كل فضل بعظم الحظ ووفور القسّم ^(٢) ، أجزت لفلان وذكرني :

| | |
|---------------------------|--|
| جّاع أشتات الفضائل والذي | سبق السّراع ببطئه وبمكثه |
| فكأنهم يتعشّرون بجدول | ويسير في سهل الطريق وبرثه ^(٣) |
| أزرى بسحب بيانهم في هطلها | فيا يبين بطله وبدثه ^(٤) |

جميع ما يجوز لي [أن] أرويه مما رويته من أصناف المرويات أو قلته نظماً أو نثراً ، أو اخترعته من مسألة علميّة مُفتّحة ، أو اخترته من أقوال العلماء واستنبطت الدليل عليه مرجحاً مما لم أضعه ^(٥) في تصنيف ولا أجمعه في تأليف على مشرط ذلك عند أهل الأثر :

| | |
|----------------------|-----------------------------------|
| وفقه الله لما يرتضي | في القول والفعل وما يدري |
| وزاده فضلاً إلى فضله | بما به يأمن في الحشر |
| فهذه الدار بما تحتوي | دار أذى ملاء من الشرّ |
| ذلت بينهم بغير فهم | في عمه عنه وفي سكر ^(٦) |

(١) في الأصل : « الحلم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٢) القسم : من القسامة وهي الجمال والحسن .

(٣) الأرض السهلة .

(٤) في الأصل : « بنانهم » ، وأثبتنا ما في الوافي . وفي الوافي أيضاً : « أذرى » . والدث : المطر الضعيف .

(٥) زيادة من الوافي .

(٦) في الوافي : « أضغه » .

(٧) في الوافي : « دكت » . وأشار محقق الوافي إلى أنه في بعض نسخ الأعيان : « بنياها » .

قَدْ خَدَعَتْهُمْ بِزَخَارِيفِهَا مَعْقِبَةً لِلْفَدْرِ بِالْفَدْرِ
 تَرِيهِمْ بَشْرًا وَيَا وَيَحْهُمْ كَمْ تَحْتَ ذَاكَ الْبَشْرِ مِنْ مَكْرٍ
 بَيْنَا تَرَى مَبْتَهَجًا نَاعِمًا ذَا فَرْجٍ بِالنَّهْيِ وَالْأَمْرِ
 أَمِنْ مَا كَانَ وَأَقْصَى مُنَى فَاجَأَهُ قَاصِمَةُ الظَّهْرِ
 فَعَدَّ عَنْهَا وَاشْتَغَلَ بِالذِّي يُؤْلِيكَ خَيْرًا أَمَّا الْدَّهْرِ
 فَإِنَّمَا الْخَيْرُ خَصِيصٌ بِمَا تَلْقَاهُ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالنَّشْرِ
 هَذَا إِذَا مَنْ الذِّي تَرْجِي رَحْمَاهُ بِالْصَّفْحِ وَبِالْغَفْرِ
 وَزَادَ رِضْوَانًا فَهَذَا الذِّي يُدْعَى بِهِ لِأَطْوَلِ الْعَمْرِ

ويؤيد هذا ما أخبرنا الشيخ الإمام العالم العامل الزاهد الورع المُسند تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن الواسطي ، قراءة عليه ونحن نسمع بدمشق في شوال سنة [إحدى] ^(١) وتسعين وست مئة ، قيل لي ^(٢) : أخبركم أبو البركات داود بن أحمد بن ملاعب البغدادي قراءة عليه بدمشق ، وأبو الفرج الفتح بن عبد الله بن عبد السلام البغدادي قراءة عليه ببغداد قالا : أخبرنا الخطيب ^(٣) أبو منصور أنوشكين ^(٤) بن عبد الله الرضواني ، قراءة عليه : أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد البُصري ^(٥) . (ح) وأخبرنا ابن ملاعب وأبو علي الحسن بن إسحاق ابن الجواليقي ^(٦) ، قالا : أخبرنا أبو بكر محمد بن عبيد الله [بن] الزاغوني ^(٧) ، أخبرنا الشريف أبو نصر محمد بن محمد بن علي

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) في الوافي : « له » .

(٣) (س) والوافي : « الحاجب » .

(٤) في الأصل : « وأوشكين » ، تحريف . وهو مولى أبي الفرج محمد بن أحمد بن عبد الله بن رضوان البغدادى (ت ٥٤٦ هـ) ، الوافي : ٤٢٦/٩ .

(٥) (ت ٤٧٤ هـ) ، السير : ٤٠٢/١٨ .

(٦) في الوافي زيادة : « ببغداد » . والجواليقي هو صاحب كتاب المعرب (ت ٥٢٦ هـ) ، السير : ٢٧٨/٢٢ .

(٧) ما بين حاصرتين زيادة من (س) ومصادر ترجمته ، (ت ٥٥٢ هـ) ، السير : ٢٧٨/٢٠ .

الزيني^(١) ، قالوا : أخبرنا أبو الطاهر محمد بن عبد الرحمن المخالص الذهبي^(٢) ، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن محمد بن عبد العزيز البغوي^(٣) حدثنا خلف بن هشام البزاز^(٤) سنة ست وعشرين ومئتين حدثنا عبد العزيز بن أبي حازم^(٥) ، عن أبيه ، عن سهل بن سعد^(٦) ، قال : قال النبي ﷺ ونحن نحفر الخندق ، وننقل التراب على أكتافنا : « اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة »^(٧) مختصر .

وهذا الحديث من أعلى ما أرويه ، نسأل الله حالاً يرضاها ونرضاه^(٨) ، إنه سميع الدعاء ، فعلاً لما يشاء ، وله الحمد والمنة . كتبه محمد القوبع ليلة التاسع والعشرين من رجب سنة ذك ج^(٩) .

وأنشدني لنفسه إجازة ، ومن خطه نقلت :

| | |
|-----------------------------|--|
| جوى يتلظى في الفؤاد استعارة | ودمّع هتون لا يكفّ انهاره |
| يحاول هذا بردّ ذاك بصوبه | وليس بماء العين تطفأ ناره ^(١٠) |
| ولوعاً بمن حاز الجمال بأسره | فحاز الفؤاد المستهام إساره ^(١١) |
| كلّفت به بدريّ مافوق طوقه | ودعصي ما يثني عليه إزاره ^(١٢) |

(١) (ت ٤٧٩ هـ) ، السير : ٤٤٣/١٨ .

(٢) (ت ٣٩٣ هـ) ، السير : ٤٧٨/١٦ .

(٣) (ت ٣١٧) ، السير : ٤٤١/١٤ .

(٤) في الوافي : « البزاز » ، تصحيف ، (ت ٢٢٩ هـ) ، السير : ٥٧٦/١٠ .

(٥) (ت ١٨٤ هـ) ، السير : ٣٢١/٨ .

(٦) الخزرجي ، (ت ٩١ هـ) ، السير : ٤٢٢/٣ .

(٧) انظر : صحيح البخاري ٥٤/٥ (٦٤ كتاب المغازي ، باب (٣١) ، رقم الحديث : ٤٠٩٨ .

(٨) في الوافي : « ورضاها » .

(٩) في الوافي : « ذلح » . وبجاء الجمل تقابل سنة (٧٢٣ هـ) .

(١٠) في الأصل : « ضوئه » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(١١) في الأصل : « ولوعاً » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(١٢) الدعص : القطعة من الرمل ، والكثيب ، وتشبه به أرداف النساء .

غزال له صدري كناسٍ ومرتع
 من السمر عُدمي الصبر أحمر خده
 جرى ساجحاً ماء الشباب بروضة
 يشبّ ضاماً في حشاي نعيمه
 وينثر دمعي منه نظم مؤثر
 يعلّ بعذبٍ من برود رضابه
 وسهد أجفاني بوسنان أدعج
 حكاكي ضعفاً أو حكى منه موثقاً
 معنى بردف لا ينوء بثقله
 على أن ذا مثرٍ وذلك معيرٌ
 تألف من هذا وذا غصنُ بانه
 تجمّع فيه كلُّ حُسنٍ مفرّق
 زلال ولكنّ أين مني وروده
 وسلسال راح صدّعتني كأسه
 وبدر تمام مشرق الضوء باهرٌ
 دنا ونأى فالدار غير بعيدة
 وحين درى إن شد أسري حبّه

ومن حب قلبي شبحه وعراره
 إذا مابدا ياقوته ونضاره ^(١)
 فأزهر فيه وردّه وبهّاره ^(٢)
 فيبدو بأنفاس الصعاد شراره
 كنور الأقاحي خفّه جلّناره ^(٣)
 تفاح منه مسكه وعقاره ^(٤)
 يحير فكري غنجه واحوراره ^(٥)
 وخصراً غيلاً عال صبري اختصاره ^(٦)
 فياشد ما يلقي من الجار جاره
 ومن محنتي إعساره ويساره ^(٧)
 توافت به أزهاره وثماره
 فصار له قطباً عليه مداره
 وكذّن ولكن أين مني اهتصاره
 وغودر عندي سكره وخماره
 لأفقي منه محقّه وسراره
 ولكنّ بُعداً صدّه ونفاره
 أحلّ بي البلوى وساء اقتداره

(١) في الوافي : « من السحر يبدي عرمي الصبر خده » .

(٢) (س) : « ونهاره » .

(٣) في الأصل : « مؤثر » ، وأثبتنا ما في الوافي . والمؤثر : المرقق .

(٤) (س) : « فيه مسكه » .

(٥) في الوافي : « ويسهر » .

(٦) في الوافي : « غال » .

(٧) في الوافي : « وإيساره » .

[ومنها ^(١)] :

حكمت ليلتي من فقدي النوم يومها كما قد حكى ليلى ظلاماً نهارة ^(٢)
 كتمت الهوى لكنْ بدمعي وزفرقي وسقمي تساوى سرُّه وجهاره
 ثلاث سجلات عليَّ بأنني أمام غرام قلِّ فيك استتاره ^(٣)
 أورِّي بنظمي في العذار وتارة بمن إنْ تَفَنَّى القرط أصفى سواره
 وجلَّ الذي أهوى عن الحلي زينة ولما يقارب أن يدب عذاره
 أراحة نفسي كيف صرت عذابها وجنة قلبي كيف منك استعاره

ونقلت منه يمدح الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد :

ولو غير الزمان يكون قرني للاق الحتف من ليثٍ جري
 تحاماه الكاة إذا ادلممت دجى الهبوات في ضنك حمي ^(٤)
 وطبقت الفضاء فلاضياء سوى لمعان أبيض مشرفي
 وأرمدت العيون وكلَّ طرف عمٍ إلا لأسمر سمهري
 بحيثُ عبابُ بحر الموت يرمي بموج من بنات الأعوجي
 عليها كلُّ أروع هبرزيَّ يغالب كلَّ أغلب شمري ^(٥)
 تراه يرى الطُّبى ثغراً شنيباً من الإفرنس في ظلم شهري ^(٦)
 ويعتقد الرماح قدود هيَّفٍ فيمنحها معانقة الهدي ^(٧)

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) في الأصل : « نومها » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) في (س) والوافي : « فكيف استتاره » .

(٤) في الأصل : « تحاماه » ، وأثبتنا ما في الوافي . وفي (س) : « تحافاه » .

(٥) الهبرزي : هو الجيّد الرمي بالسهام ، أو الحسن الثبات على ظهر الفرس ، ويطلق على الأسد أيضاً .
 والأغلب : الغليظ الرقبة ، ويطلق على السادة والأسود ، والشمري : الماضي في الأمور .

(٦) الشنب : رقّة وعنوبة في الأسنان .

(٧) في الوافي : « فيمنحها » . والهدي : الأسير .

حياة المجد والحسب السني
تفرع بالنضار الجعفري
بسه يني الممّام القوبعي

هناك ترى الفقى القرشي يحمي
وتعلم أنّ أصلاً هاشمياً
ولو أن الجعافرة استبدت
منها في المديح :

وقدوة كلّ حبر ألمعي
وحاز الفضل بالقسح العليّ
وهذا نال بالسقي الرضي^(١)
فأغل بهمة الصبّ الصبي
أدلة مالك والشافعي

إلى صدر الأئمة باتّفاق
ومن بالاجتهاد غداً فريداً
وما هو والقسح وذاك تحت
صباً للعلم صبّاً في صباه
فأتقن والشباب له لباس
منها :

رسول الطرف بالحسن العبي^(٢)
سيحسن وجهه قول النبي

ونور جلاله يرتدّ عنه
ومن كثرت صلاة الليل منه
منها :

تساوى فيه دان بالقصي
إلى رأي وحلم أحنفي
فحط بنو الرضى ملقى العصي^(٣)
رمت لم تخط شاكلة الرمي
دجى الإشكال في غوص خفي

بعذل عمّ أصناف البرايا
ضمت ندى وجوداً حاتمياً
لديك دعائم المجد استقرت
بحيث طوامح الآمال مهما
أيّا قمر الفهوم إذا اذهمت

(١) في الأصل : « نحت » ، وفي الوافي : « وتلك بخت » .

(٢) في الوافي : « الحبي » .

(٣) يقال : ألقى عصاه : إذا استقرّ وأقام على الشيء .

وسحبان المقالة حين يلقى
لكم أبديت من معنى بديع
فأقسم ما الرياض حنا عليها
فألبسها المزخرف والموشى
وأضحك نبتها ثغر الأقاحي
وعطر جوهها بشذى أريج
فلاحت كالخرائد يزدهيها
بأهج من كلامك حين تفتي
وأنشدني لنفسه إجازة :

تأمل صحيفات الوجود فإنها
وقد خط فيها إن تأملت خطها
من الجانب السامي إليك رسائل^(٤)
« ألا كل شيء ما خلا الله باطل »^(٥)

١٧٤٦ - محمد بن محمد بن علي*

ابن وهب بن مطيع ، كال الدين بن الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد القشيري ،
تقدّم ذِكْرُ والده وجماعة من إخوته .

كان يحفظ القرآن ويتلوه كثيراً ، وكرّر على (مختصر مسلم) للمنذري ، وربما

- (١) في الأصل : « يلقى » ، وأثبتنا ما في الوافي . وسحبان وأثل يضرب بفصاحته المثل ، والفهم : العي .
- (٢) في الأصل : « ملت » ، وأثبتنا ما في الوافي وفيه « ملت الودق » ، والإلثا : دوام المطر .
- (٣) في الوافي : « النبيقي » ، تصحيف ، والتبني : نسبة إلى ثبّت بلاد بالمشرق ينسب إليها المسك الأذفر .
- (٤) في الأصل : « صفحات » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر .
- (٥) من قصيدة لبيد للشهورة ، وعجز البيت :

وكل نعم لا محاله زائل

* الوافي : ٢٤٧/١ ، والطالع السعيد : ٦٢٣ ، الدرر : ٢٠٣/٤

قيل : إنه حفظه . وسمع من المنذري ، ومن النجيب عبد اللطيف والعز الحرائين ، وجماعة .

قال كمال الدين الأدفوي : أخبرت أنه كرر على (الوجيز) ، وجلس بالوراقين بالقاهرة ، ودرس بالمدرسة النجيبية بقوص ، إلا أنه خالط أهل السفه ، والخلطة لها تأثير ، فخرج عن حذّه ، وترك طرائق^(١) أبيه وجده . ولما ولي أبوه القضاء أقامه من السوق وألحقه بأهل الفسوق ، قال : هكذا أخبرني جماعة من أهله وغيرهم .

وكان قوي النفس ، بلغني أن^(٢) وكيل بيت المال مجد الدين عيسى بن الحشّاب^(٣) رسم للشهود أن يكتبوا شيئاً يتعلق ببيت المال إلا بإذنه ، فجاءته ورقة فيها خط كمال الدين ابن الشيخ ، فطلبه ، فقال له : ما سمعت ما رسمت به ؟ فقال : نعم ، فقال : كيف كتبت ؟ قال : جاء مرسوم أقوى من مرسومك وأشدّ . قال : السلطان ؟ قال : لا . قال : فن رسم ؟ قال : جاء مرسوم الفقراء ، أصبحت فقيراً ما أملك شيئاً ، وجاءتني ورقة أخذت فيها خمسة عشر درهماً فتبسم . وقال : لا تعدّ .

قال : وحكى لي بعض أصحابنا قال : حضرنّا وهو معنا عند الشيخ عبد الغفار بن نوح^(٤) ، وكان الشيخ عبد الغفار كبير الصورة بقوص ، يأتي إليه الولاة والقضاة والأعيان ، وكان يدّرجه في بعض الأوقات ويدّعي احتياجاً لذلك . فدّرجه ذلك اليوم فأخذ الكمال مروحة وضربه على رجله وقال : ضمّها بلاقلة أدب .

وكان كثير الصدقة مع الفاقة .

(١) في الوافي : « طريق » ، وفي الطالع السعيد : « طريقة » .

(٢) في الأصل : « أنه » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، والطالع ، والكلام ما زال للأدفوي .

(٣) عيسى بن عمر بن خالد ، سلفت ترجمته .

(٤) في الأصل : « فتوح » ، سهو ، وأثبتنا ما في الوافي ، والطالع ، وهو عبد الغفار بن أحمد بن عبد الحميد

(ت ٧٠٨ هـ) ، سلفت ترجمته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمانى^(١) عشرة وسبع مئة بالقاهرة .

١٧٤٧ - محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك*

الشيخ شمس الدين ابن العلامة الشيخ جمال الدين بن مالك الجياني .

كان شيخاً حسناً ، بهيئ المنظر ، أحمر الوجه ، منور الشيبة ، كثير التلاوة والتلقين ، لازم الجامع الأموي أكثر من أربعين سنة ، وله خزانة وبيت بالمئذنة الشرقية .

سمع (جزء) الأنصاري بقراءة ابن جعوان على بعض الشيوخ ، ولم يحدث .
رأيته غير مرة بالجامع ، وكان يسأل الطلبة ، فإذا قال له أحدهم : قرأت (ألفية ابن مالك) ، يقول : (ألفية) والدي ، ويفرح .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث شهر رمضان سنة تسع عشرة وسبع مئة .

١٧٤٨ - محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك**

الشيخ جمال الدين^(٢) ابن العلامة [ابن]^(٣) مالك ، أخو شمس الدين المذكور أولاً^(٤) .

كان مقيماً بالقاهرة . سمع من ابن البخاري الجزء الذي كتبه له عمه الحافظ ضياء الدين من (المسند) و (الغيلانيات)^(٥) ولم يحدث .

(١) (س) : « سبع » ، وفي الطالع : « بعد العشرين وسبع مئة أو قريباً من ذلك .

* الدرر : ١٩١/٤ .

** الدرر : ١٩٢/٤ .

(٢) كذا ذكر للؤلؤف ، وللعروف أن جمال الدين هو لقب بن مالك نفسه .

(٣) زيادة من (س) .

(٤) (س) : « للذكور ، كان أولاً » .

(٥) في الأصل : « الغيلانيات » بلا واو ، وأثبتنا ما في (س) .

وله نظم . وكان حسن الأخلاق جميل الهيئة ، باشر بعض الجهات ولما توفي خلف جملة .

وتوفي بالقاهرة عاشر شعبان^(١) سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة .

١٧٤٩ - محمد بن محمد بن عبد الرحمن *

البليغ الفصيح الصدر الرئيس بدر الدين أبو عبد الله^(٢) الخطيب بالجامع الأموي بدمشق ابن قاضي القضاة جلال الدين القزويني .

كان وافر الحشمة ، ظاهر النعمة ، جميل البزة ، نبيل الوجاهة والعزة ، كثير التجميل ، غزير التحمل ، سافر الوضاعة ، غامر^(٣) الوجه بالإضاءة ، إذا رقا منبره أو توكل صهوته وأظهر من وجهه مضره قال الناس : « أترى ضمّ خطيباً أم ترى ضمّخ طيباً » ، وكان يؤدي الخطبة فصيحاً ، ويوردها إيراداً مليحاً .

وكان في كل عام يتوجه إلى الديار المصرية يزور والده ويؤكد بذلك ضده وحاسده ، فيقيم هناك مدة ، ويقضي له وللناس أشغالات عدّة ، ويلبس هناك تشريفاً ، وفي دمشق إذا عاد مثله ، ويسرّ بذلك قبيلة وأهله :

وأسعدُ الناس من لاقى بلاتعبٍ مبدا السعادة في مبدا شيبته^(٤)

ولم يزل بدره في مطالع صعوده ومعارض صعوده إلى أن خُسِفَ في تمامه ، وتجرع كؤوس حِمَامِه .

(١) في الدرر : « مات في شوال » .

* الوافي : ٢٤٨/١ ، والدرر : ١٨٥/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٧٧/١٠ .

(٢) (خ) : « أبو عبد الله محمد » .

(٣) في الأصل : « عامر » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) .

(٤) (خ) : « بلا نصب » .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني جمادى الآخرة سنة اثنين وأربعين وسبع مئة ، ودفن في مقابر الصوفيّة ، وقد كَمَلَ الأربعين أو تجاوزها قليلاً .

وكان قد خطب في حياة والده قبل أن يلي القضاء وفي^(١) حياة المشايخ الكبار مثل الشيخ كمال الدين بن الزملكاني والشيخ برهان الدين بن تاج الدين^(٢) والشيخ تقى الدين بن تيمية . ولما طُلب والده إلى مصر وتولى قضاء القضاة بالشام استقل هو بالخطابة فيما أظن ، ولما طُلب والده ثانياً لقضاء الديار المصرية بقي هو في الوظيفة . وكان في كل سنة يتوجه على البريد إلى مصر ويحضر عند السلطان ويلبس تشريفاً ويقم عند والده مدة ثم يعود إلى دمشق على البريد ، وكانت له بذلك وجاهة زائدة وصيت بعيد ، وقضى سعادة وافرة .

ولما عاد والده إلى قضاء الشام ناب والده في الحكم ، وكان قد أتقن الخطابة وانصقلت عبارته وتلفظ بها فصيحاً ، وقرأ في المحراب قراءة حسنة طيبة النغم .

ولما توفي والده توهّم أن يلي المنصب فما اتفق له ذلك [وانعكست آماله] ونقض^(٣) حبل سعده وتعكّس ، وكلما حاول أمراً أدبر ولم ينبج فيه .

وطُلب إلى مصر بوساطة الفخري ونزل عنده في^(٤) القلعة ، وأقام تقدير أربعة أشهر [وعاد]^(٥) وقد أكمده الحزن ، فأقام أياماً قليلة ، ومات رحمه الله تعالى .

(١) (خ) : « في » بلا واو .

(٢) قوله : « ابن تاج » ، ليس في (خ) والوافي ، وبرهان الدين هو إبراهيم ابن عبد الرحمن الفزاري ، وقد سلفت ترجمته ، وترجمة أبيه في مكانيهما .

(٣) في (خ) : « وانتقض » . والزيادة من (خ) ، وقد وقع مكانها في الأصل و (ط) تكرار قوله : « وقرأ في المحراب .. النغم » ، وعبرة الوافي : « وعكس الدهر آماله » .

(٤) في الأصل و (ط) : « من » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٥) زيادة من (خ) .

ولما توجه إلى مصر بعد وفاة والده رحمه الله تعالى كتبت أنا له توقيعاً بأن يستنيب في وظائفه من يراه إلى أن يعود ، ونسخته :

« أما بعد حمّد الله الذي سيّر البدر في منازل سعوّده ، وأثر رجاءه الذي أنجب لصدق باطنه وظاهره عند غرس عُوده ، ورّقه إلى درجات الكمال من إنجاز وعوده ، وبلغه أمانيه التي جاءت بها الأقدار على وفق غرضه ^(١) واقتراح مقصوده . وصلاته على سيدنا محمد الذي أسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، ونوّله من الكرامات ما لا يحصر لفضله ولا يحصى ^(٢) ، وعلى آله وصحبه الذين لم يَرِ عدوّ الدين في كالمهم نقصا ، ولم يكن فيهم من يخالف له مفهوم أمر ولا نصّاً ^(٣) ، صلاة يتألق برقها في سماء الرحمة ، ويترقرق ودّقها في ناء النعمة ما نسخت آية النور آية الظلمة ، وأضرم الشفق جمرته من الغسق في فحمة ، وسلامه إلى يوم الدين .

فإنه لما كان الجناب الكريم العالي البديري له على الأبواب الشريفة في كل حين وفادة ، وفاز من حسن النظر الشريف في كل أوان من الإنعام بإفاعة وإفادة ، وخطر في برود الوقار بين أغصان السيادة ، وتجمّل بملبس العلم الشريف مطرزةً برقوم السعادة ، وأنصف بمكارم ارتجال معانيها لا يبادى ولا يباه ^(٤) ، واقتفى سنن والده ، وكان ^(٥) أفضل من سعى ومن برّ ، ورقى بأهبة الخطابة درج منبره فكان بديراً بدا في سحابة عنبر ، وأسأل الديموع ^(٦) بمواعظة الصادقة الصادعة ، وأذاب القلوب بحكمة النافذة النافعة ، وناب في الأحكام وفصل القضايا المعضلة ، وألقى الدروس ، فجلا ^(٧) دياجي المسائل المشكّلة ، وجلس في المحافل فكانت تفاصيل الرياسة فيه مجمّلة .

(١) في الأصل : « عرض » ، وأثبتنا ما في (ط) ، (خ) .

(٢) (خ) : « الكرامات ما لا تحصى » .

(٣) قوله : « ولم يكن .. » حتى هنا ليس في (خ) .

(٤) في الأصل : « لا يبارى » ، وأثبتنا ما في (خ) . والمباداة والمبادهة : المفاجأة والمباغتة .

(٥) في (خ) : « فكان » .

(٦) (س) ، (خ) : « المدامع » .

(٧) في الأصل : « وجلا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وتصدّر في المجالس فهاشك أحدٌ في أن هذا البدر أوى بهذه المنزلة ، وطُلب الآن إلى الأبواب الشريفة خلّد الله سلطانها ، فأعمل [إلى الأبواب الشريفة] ^(١) ركابه وأحد غدوّه إليها وإيابه ، وسيكون قدومه عليها مقروناً بالنجح المبين ، ومقول سعادته ﴿ اذْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ ﴾ ^(٢) . وكان لابدّ لوظائفه المباركة من يسدّ فيها غيبته ، ويقوم فيها ^(٣) إلغ أن يقدر الله أوبته .

فلذلك رسم بالأمر العالي أن يستنيب عنه في الخطابة الشريفة وغيرها مما هو به معذوق ومنوط بمباشرته من يراه أهلاً لذلك ، ويعتقد أنه في هذه الجادة خير سالك إلى أن يعود بدرأ منيراً وينقلب إلى أهله مسروراً ، والله تعالى يقدر له السعود حيثما توجه ، ويجعل النجاح قرينه في كل سبيل سلك فجّه ، والخط الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه حجةً بمقتضاه إن شاء الله تعالى .

١٧٥٠ - محمد بن محمد *

الأمير الفاضل سيف الدين أبو بكر بن صلاح الدين أبي الحسن ابن الملك الأحمّد مجد الدين الحسن ابن السلطان الملك الناصر صلاح الدين داود ابن المعظم عيسى ابن الملك العادل أبي بكر بن أيوب .

كان فقيهاً فاضلاً ، وله شعر ، مدح الخليفة والسلطان وقاضي القضاة ابن صصرى والشيخ كال الدين بن الزملاكاني ، وأجابه عنها ابن الزملاكاني ، وأقام بحجة مدة ، وحضر المدارس معيداً ، ثم إنه عاد إلى دمشق وأقام بها . وسمع على الفاروئي وغيره .

وتوفي رحمه الله تعالى عاشر جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة .

(١) زيادة من (خ) .

(٢) يوسف : ٩٩/١٢ .

(٣) في (س) ، (خ) : « بها » .

* تاريخ أبي الفداء : ١٠٧/٤ .

١٧٥١ - محمد بن محمد بن عبد المنعم *

القاضي البليغ الكاتب الناظم الناثر تاج الدين أبو سعد السعدي المعروف بابن البارنباري .

كان كاتباً مطيعاً ومرتلاً منطقياً^(١) ، خطه أنهج^(٢) من الروضة الغناء وأخلب للقلب من الحدقة الوسنا . كتب الرقاع والتوقيعات والثلاث من أحسن ما يكون ، وكان لبقاً في كتابته وفي الحركات^(٣) والسكون ، وكان خبيراً بمصطلح الديوان وبما يكتبه إلى الملوك من صاحب التخت والإيوان ، وكان يكتب من رأس القلم ، ويأتي في كتبه وتواقيعه بما ينسي نسمات الضال والسلم :

جرى معه الجارون حتى إذا انتهوا إلى الغاية القصوى جرى وأقاموا
فليس لشمسٍ مذ أنار إنارة وليس لبدرٍ حيث تمَّ تمامٌ

فهو كان أحد الكتاب الكلمة الذين رأيتهم وبعثهم في الاختيار وشريتهم ، وخبرتهم وذخرتهم وقرأتهم ، وإلى مآدب هذه الصناعة دعوتهم وقريتهم .

ولم يزل إلى أن توجه إلى القدس ليزور ويستنتج أمَّ الحظ وهي مقلاتٌ نزور^(٤) .
فهنالك وافاه حمامه ، وبكاه من الفضل غمامه ، وناح عليه حمامه .

* الوافي : ٢٤٩/١ ، ووفيات ابن رافع ٣٣٠/١ ، والدرر ١٩٥/٤ ، وذيول العبر : ٣٠٧ ، والنجوم الزاهرة : ٣٢٠/١٠ .

(١) في الأصل : « مطبقاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٢) في الوافي : « أنهج » ، والنهج : الوضوح .

(٣) (خ) : « الحركة » .

(٤) يشير إلى بيت كثير :

بغاث الطير أكثرها فراخاً وأمَّ الصقر مقلاتٌ نزور
والمقلات : هي التي لا تلد إلا واحداً ، أو التي لا يعيش ولدها .
والنزور أيضاً : قليلة الولد .

وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل ربيع^(١) الأول سنة ست وخمسين وسبع مئة .

ومولده في شهر ربيع الأول سنة ست وتسعين وست مئة .

وكتب الإنشاء في الدولة الناصرية محمد بن قلاوون بالقاهرة في شهر رجب الفرد سنة ثلاث عشرة وسبع مئة . ولم يزل من أعيان كتاب الإنشاء ، وكان القاضي علاء الدين بن الأثير يستكتبه في البريد ، ولم يزل في القاهرة في جملة كتاب الإنشاء إلى أن توفي القاضي بهاء الدين أبو بكر بن غانم صاحب ديوان المكاتب بطرابلس ، فرسم^(٢) له السلطان الملك الناصر محمد بأن يتوجه مكانه ، فوجه إلى طرابلس ونائبها يومئذ الأمير جمال الدين آقوش نائب الكرك في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، فرأس هناك ، وعمل الوظيفة هناك على القالب الجائر^(٣) ، وداخل النواب ، وصار^(٤) هو عبارة عن الدولة .

وفي سنة خمس وأربعين وسبع مئة كان في الشتاء نائماً هو وأولاده ، فجاء سيل عظيم ، وكانت داره على النهر ، وكان للسيل ضجة من الناس وضوضاء ، فقام من فراشه ليعلم ما الخبر وعاد فلم يجد داراً ولا سكاناً ، وراح [البيت]^(٥) وولده ، وأحدهما موقع والآخر ناظر الجيش ، وجميع ما في البيت إلى البحر . وانتبه الناس لهذه المصيبة العظمى ، وركب النائب وتوجهوا إلى البحر إلى أن طلع الضوء وقذف الموج ولديه وهما ميتان ، فأخذوها وعمر لهما تربة عظيمة هناك . وصدعت واقعتة قلوب الناس في الشام ومصر . وأما هو فإنه داخله هلع عظيم واختلط عقله ، وبعث إلى مصر يسأل الإعفاء والإقالة ، وكنت إذ ذاك بالديار المصرية ، فكتبت لولده شرف الدين عبد الوهاب توقيعاً ، ونسخته :

(١) في (س) ، (خ) : « شهر ربيع » .

(٢) في الأصل : « رسم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٣) الذي في الوافي : « فرأس هناك ، وأحسن إلى الناس ، وسار سيرة مرضية » .

(٤) في الأصل : « صار » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) زيادة من (س) ، (خ) .

« رسم بالأمر الشريف^(١) العالي المولوي السلطاني الملكي الصالحي ، لا زال يجبرُ بفضلِه مَنْ أُصيب ، ويغمر بإحسانه مَنْ فقد الدار والحبيب ، ويعمر برفده من مَن من خطب الأيام بأوفر نصيب أن يرتب المجلس السامي القاضي شرف الدين في كذا جبراً لأبيه المصاب في غُصْنِه اليانعين ، وحصنيه المانعين ، وبدرية الطالعين وسريه الطائرین بجناح حياته ، فأصبحت في حبال الردى واقعين ، وسريه الخبوءين في سواد عينه ، وإن كانا بالثناء ضائعين .

فليبشر ذلك مباشرة ألفت من بيته ، وأجرت فارس بلاغتهم من طرسه وتقسه على أشبهه وكميته ، مقتدياً بطريق^(٢) أبيه ، فهي طريقة مثلى ، وحقيقة تُدرس أماليها وتُملَى ، وحديقة غرائس بنائها^(٣) تجلّى محاسنها وتجلّى ، وعريقة في فن الكتابة التي يُفرغ عليها كيس الثناء حين يُملى ، لأنه درة تاجه ، وقرّة تخلف على أبيه ماضي سروره وابتهاجه ، وغرّة يُزان^(٤) بها الفجر عند انصداعه وانبلاجه ، مجتهداً في تحرير ما يكتبه وتقرير ما يرقه ويهذبه ، حتى تكون روضات الطروس مدبّجة بأزهار كلماته وتسجيعة ، وترى وجنات هوامش القصص مطرزة بغدار توقيعه ، والوصايا كثيرة ، وتقوى الله تعالى ملاك ما نأمره باتباعه ، وأسلاك الدرر^(٥) التي يؤم غيشها في انتجاعه ، فلا يألف إلاّ حماها ، ولا يرشف إلاّ لماها ، والخط الكريم أعلاه الله وشرفه أعلاه حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه إن شاء الله تعالى .

وكان القاضي تاج الدين قد أقام بعد ذلك بطرابلس على حاله إلى أن تولى نيابة طرابلس الأمير سيف الدين بيدمر البدرى في أوائل سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، فعزل من كتابة سرّ طرابلس ، وطالبه الناس بحقوق ، فأقام هناك إلى أن خرج منها وحضر

(١) ليست في (س) .

(٢) (خ) : « بطرائق » .

(٣) (خ) : « نباتها » .

(٤) في الأصل : « يسان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « الدرر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

إلى دمشق في أواخر السنة المذكورة ، وأقام بدمشق مدة ، ثم توجه إلى القاهرة وأقام بها مدة ، إلى أن رتب موقعا في الدست بدمشق ، فحضر إليها في شهر رجب ، فيما أظن سنة إحدى وخمسين وسبع مئة . ولم يزل على حاله إلى أن توجه إلى القدس ، وتوفي في يومين في التاريخ ^(١) .

وكنت أنا قد كتبت إليه بعد خروجي من مصر متوجهاً إلى الرحبة كاتب الدرّج :

لما أتيت دمشقاً بعد مصر وفي عطفٍ منك بقايا الفضل للراجي ^(٢)
عظمت من أجل مولانا وصحته وقيل هذا بمصر صاحب التاج

وينتهي بعد رفع الدعاء ^(٣) ، وحمل لواء الولاء ، وإشادة بناء الثناء ، أن المملوك سطرها وشوقه قد ضاقت به الرحبة ، وأغار على مثاقيل الصبر فما ترك عند ^(٤) حبة القلب حبة ، وذكره الأيام السالفة ، حتى عاد نسيبه بها أعظم نسيبه :

كأنني لم أكن في مضر يوماً ونلت القرب من سادات دسّ
عظمت به الوصال مع الأحبه عظمهم علا كيوان رتبته
تراهم بالنجوم الزهر أشبه تراهم بالنجوم الزهر أشبه
فأنت إذا نطقت سكيت حبه ^(٥) فأنك إذا نطقت سكيت حبه
يساوي عندهم في الفضل حبه يساوي عندهم في الفضل حبه
محل ضقه واخضل تربته محل ضقه واخضل تربته
طروس وبين زهر الروض نسيبه طروس وبين زهر الروض نسيبه
محاسن تستبي في الحال لبه محاسن تستبي في الحال لبه

(١) (س) : « في التاريخ المذكور » .

(٢) في الأصل : « للداجي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٣) في الأصل : « الرياء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٤) في (س) ، (خ) والوافي : « منها عند » .

(٥) السكيت : آخر خيل السباق في الحلبة .

وليس الملك محتاجاً إلى أن يُعَدَّ كتائباً إن عدَّ كتبه
 له الفضلان في نظم ونثر إذا ما جال في شعر وخطبه
 أيما مولاي عفواً عن محبة تهجم فالبعاد أذاب قلبه
 بعثتُ بها إليك عسى تراها على بعد من المملوك قربه
 فكتب هو الجواب :

شكراً لغرس بروض الفضل قد نبثا وودّه في صميم القلب قد ثبتا
 أهدي إليّ كتاباً كنت أرقبه أزال عني من عيث النوى العنتا^(١)
 مباركاً جاء بالحسنى فأحسن لي وكيف لا وهو من عند الخليل أتي

لا زالت ألفاظه حلية الممالك ، وودّه في النفوس ثابتاً وللقلوب خير مالك ،
 ومنزله من فضل الله رحيب الساحات معموراً بالساحات في رحبة مالك ، وينهي
 ورود مشرف سمح ببيانه ، ونفح بعرفانه ، وجنح إلى عوائد إحسانه ولمح أشرف المعاني
 بإنسانه ، وربح إذا بدا بفصل خطابه وفضل بنانه ، أبقى الله إلا أن يكون له الفضل في
 ابتدائه ، والفوز بسبق تحيته^(٢) وإنشائه ، فقبله المملوك تقبيلاً ، وفضّه فإذا البيان جاء
 معه كله قبيلاً ، ورأى أدباً غضاً ، ونظماً ونثراً فاقا من سلف عصره وتقصّى . ولقد ذكر
 مولانا بأوقات قربه ، على أن المملوك ما زال يذكرها ، وأقر عيناً ما برحت تشهد
 محاسنه وتنظرها :

أبلغ أخانا أدام الله نعمته أنني وإن كنت لألقاه ألقاه^(٣)
 الله يعلم أنني لست أذكره وكيف يذكره من ليس ينساه

(١) في الأصل : « غيث » ، وأثبتنا ما في الوافي ، والعيث : الفساد ، وفي (خ) : « عتب » .

(٢) في الأصل : « تحينه » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي . وفي (س) : « بحسه » .

(٣) قوله : « وإن » ليس في الوافي .

ولقد تجملت^(١) بمولانا جهة تصدّر أخبارها بأقلامه ، وتصدّر مهماتها^(٢) بمتين كلامه ، ويبدو صلاحها بألفاظه التي هي كالزلال في رفته والذرّ في نظامه ، فبسط الله ظلال من أمتع هذه المملكة بمولانا ، وسير ركابه إليها ، وطالما أولاه الخير وأولانا ، قد شمل البعيد والقريب بفضلّه ، وعمر مصر بسؤدده ، وعمر^(٣) الشام بفضلّه :

كالبحر يقذف للقريب جواهرأ كرمأ ويبعث للبعيد سحائبأ

ثم يعود المملوك إلى وصف محاسن مولانا التي مكنت في القلب حبّه ، وأرضت بالودّ مملوكه وتربّه ، وشيّدت له [في]^(٤) الأئدة أعظم رتبة :

| | |
|--|----------------------------|
| أتتنا من وداك خير هبّه | فنعم طيبها عيش الأجبّه |
| وزارتنا على نأى فأهدت | لنا أنساً به أنسى تنبّه |
| تذكرني بزورتها ائتلافأ | ووقتأ طالما متعت قربّه |
| نأى عن ^(٥) مصر من مولاي أنس | فألقي بعدها رجبأ ورحبّه |
| لللفظك في الطروس عقود معنى | بها درّ الترائب قد تشبّه |
| وخطك لم يزل درأ ثمينأ | له بالجواهر الشفاف نسبّه |
| بنانك منبر يرقى عليه | يراع كم لها في الطرس خطبّه |
| خطبت من المعاني كل بكر | فلبت بالإجابة خير خطبّه |
| كانك قد رقيت الأفق عفوأ | فأعطى طرسك الميمون شهبّه |
| فقدمت معظماً في كل أرض | تنال من السعود أجل رتبّه |

(١) في الوافي : « تجملت » .

(٢) في الأصل : « مهماته » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٣) في الأصل : « وعمر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٤) زيادة من (خ) والوافي .

(٥) في الأصل : « نأى من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

وكتب هو إليّ ونحن بالخيم السلطاني على طنان^(١) ملغزاً :

| | |
|---------------------------|--|
| يامبدعاً في النظم والنثر | وفاضلاً في علمه يُثري |
| ومودعاً مُهرقهُ كلّ ما | يُرزي بحسن السدر والتبر ^(٢) |
| إن أحكت ألفاظه أصبحت | قواطعاً تربي على البثر |
| ماصامت تنطق أفضاله | وكتيم للسّر في الصدر |
| تصلحه الراحة لكنّنه | يتعب في الطيّ وفي النشر |
| قد أشبه البيض ولكنّنه | يحتاج ياذا الفضل للسمر |
| تفرّق الليل بأرجائه | كأنّنه وصلّ على هجر |
| يسير عن أوطانه دائماً | للفرع في البرّ وفي البحر |
| إذا كان يوماً ضيف قوم غدا | يقري وخير الناس من يقري |
| فهاث لي عنه جواباً كما | عودتني يا عالي القدر ^(٣) |

فحللته في « كتاب » وكتبت الجواب :

| | |
|--------------------------|--|
| أروضّة تبسم عن زهر | أم أكـــــؤسّ دارت من الحمر |
| أم نظم مولانا فيّني الذي | أعدّه من جملة السحر |
| إذ كلّ حرف منك شمس وإنّ | سامحت قلّت الكوكب الدري |
| يافاضلاً ماُمشتهى نظمه | في الناس إلّا قطع الزهر ^(٤) |
| وكتبياً أصبح من خطه | يعني عن الخطيّة السمر |
| حلّلت ماألغزته في الذي | تجلّوه لي في حبر الجبر |

(١) في الأصل : « طغان » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي . وطنان : قرية قريبة من الفسطاط (معجم البلدان) .

(٢) المهرق : الصحيفة البيضاء ، فارسيّة .

(٣) في الأصل : « يا عالي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٤) في الأصل : « ما يشتهي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) . وفي الوافي : « يا مشتهي » .

له فنون النظم والنثر
وما جرى في سالف الدهر
فقد حكى صدق أبي ذر
سبيهة بالليل والفجر
ليس لها نشر مع النشر
مرت لنا في محكم الذكر
تعرف في الأيام من يقري^(١)
يئس به باللب والفكر
به فيا عزي ويا فخري
فأبسط على ما اعتدته عذري
إلى محل الأنجم الزهر

مافاه بالنطق ولكنة
يخبرنا عما مضى واتقضى
لا يكذب القول إذا ما وري
وعنده للحسن ديباجة
ذرت على كافوره مسكنة
كم أقسم الباري به مرة
يا حسن ما [قد] قلت يقري وهل
وما قرأه غير سمع الذي
هذا جواب إن تكن راضياً
وإن أكن أخطأت في خله
لا زلت ترقى صاعداً في العلا
وكتبت أنا إليه عقيب ذلك :

أطربني لغزك لما أتى
وكيف لا يحلو وفيه كتا

بلغك الله الأماني فقد
يحلو إذا كررت إنشاده

وكتب إلي أيضاً ونحن بالغيم على المنوفاة :

وبك استقام على السواء دليلها
في المكرمات وأنت أنت خليلها
وحروفه ماشأهن قليلها^(٢)
من حاجب فعلاه ثم أثيلها^(٣)

طرق الصواب بك استبان سبيلها
كم خللة محودة أوتيتها
ما ملغز الفاء منه كلامه
لا شيء تحجبه وكم من دونه

(١) الزيادة من (س) ، (خ) والوافي .

(٢) في الوافي : « ماشأهن » .

(٣) في الوافي : « تم » .

قد طال والنعماء طاب طولها^(١)
طُويت غامته وزال طليلها
هذا إبانته دنا تعجيلها
يسمو فرفعته رسا تأصيلها
فصريرها منه يدّ صليلها

إن طال ملّ وخيره يا صاح ما
وإذا أهلّ الوغد من ميقاتهم
كم أوضحوا مزقاً فأخفاه ومع
ومحله كمحلّ مولانا غداً
فاحلله لا برحت يراعك كالظبي

فحللته في « شاش » وكتبت الجواب :

وتَجَرُّ من فوق الرياض ذيولها
تَطْوِي على جَمَلِ الجَمالِ فُصُولها^(٢)
وتَهَبُّ بالإقبال منك قبولها
وله مقادير تَفَاوَتْ طولها
ب الغَضِّ أو صبح المشيب فضولها
بالعكس بل يبقى لها مدلولها
آس على التّصحيّف رُحّت أقولها^(٣)
قد نلتها في النظم لست أطولها^(٣)
ماشانها بعد الطلوع أفولها

جاءت تُدار على النفوس شمولها
أبياتك العُرّ التي أبدعتها
ويسير في الآفاق ذكرك لي بها
قد ألغزت لي في مسمّى واحد
كغمامة ترخى على ليل الشبا
لا يستحيل إذا قَلَبْتَ حروفه
وحروفه بيتٌ وباقي لفظه
هذا الجواب وغاية الفضل التي
فلك النجوم تسير في فلك العلا

وكتب هو إليّ عقيب ذلك :

وراحتاك غمام
واللفظ حلومدام
السحر أمرّ حرام

المسك منك ختام
الخطّ روض نديم
والسحر قولك لكنّ

(١) في الأصل : « قد طاب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٢) في الأصل : « أودعتها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٣) (خ) : « الذي » .

أجبتني عَنْ مَعْمَى
في القلب حُبُّكَ ثَاوٍ
فَأَنْتَ حَقّاً خَلِيلٌ
بسرعة لا تُرام
لله أقدام غرام
على الخليل السلام

فكتبت أنا الجواب إليه :

أجوهراً أم كلام
أم البـدور تجلّت
أم الحـدائق وشي
غصونها ألفت
أشبهه السطر كاساً
أو أعيناً فاتتات
وحشوها السحر بادٍ
أقلامك الحرف فيها
كم قد أصابت لرمى
أثنت عليك المعاني
وقلّدتك المعالي
فأنت أشرف تاج
لله على كل رأسٍ

وقهوة أم نظـام
فانجـاب عنها الظلام
منها البرود غـمام
والهمز فيها حـمام
فيها المعالي مُدام
يصبونها المستهام^(١)
ولأقول السقام
للنائبـات سـهام
ولم يفتها مرام
والكاتبون الكرام
إذ أنت فينا إمام
في فضله لا يرام
فأء وصادّ ولا م

فكتب هو الجواب أيضاً :

ألفاظك الغرّ أضحت
لأجل ذلك سحّت
بروقهنّ تشـام
من سحبهن ركـام^(٢)

(١) (خ) : « بها » .

(٢) الركـام : الضخم .

فاحبس سيولك إن الـ ببيوت هذي الخيام
 مضّر بها قد تحلّت كما تحلّى الشّام
 عنها يقصر قسّ والسالفون الكرام^(١)
 أمثالها سائرات ومالهن مقام
 بدورها طالعات لها التام لزّام
 وفي العشيّ أتني منها وجوه وسام
 تُعزى إلى العُرب لما يُرعى لديها الدّمام
 لها العيون عيون والنون فيها لثام
 فكنّ خير سمير حتى تجلّى الظلام^(٢)
 وكلّما دار دؤر من خرها حاء جام
 هذا جواب جواب قد كلّ منه الكلام^(٣)
 فاسترله كل عاب إذ أنت فينا إمام

١٧٥٢ - محمد بن محمد بن عبد الله بن صغير*

ناصر الدين ، الطبيب المصري .

قرأ الطبّ والحكمة على والده ، والأدب على الشيخ علاء الدين القونوي .

كان فيه ظرف الأدباء ، ولطف الحكماء ، وخلاعة أهل مصر ، وبضاعة تُنفق عند أهل كل عصر ، لا يطبّ إلا أصحابه ، أو يئّت السلطان وأربابه . وهو من بيت كلّهم أطباء ، وفضلاء البّناء .

(١) في الأصل : « فيها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٢) (س) (خ) والوافي : « حتى تقضى » .

(٣) في الوافي : « فيه » .

* الوافي : ٢٥٨/١ ، والدرر : ١٩٠/٤ .

وكان ظريف العشرة ، دمث الأخلاق ، ولا ينصبُ إلا إلى المجون وفيه يشره ،
وكان يلعبُ بالعود لأناس يختص بهم ، ويتوفر على قريهم .

ولم يزل على حاله إلى أن لم تجد حيلة البرء^(١) فيه خيلة ، وراح والأبصار على
فقدته كليله .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون
مصر .

وسألته عن مولده فقال لي : في سنة إحدى وتسعين وست مئة .

وكان من أطباء السلطان ، وتوجه معه إلى الحجاز في سنة اثنتين وثلاثين وسبع
مئة .

وحضر من القاهرة إلى دمشق متوجهاً على البريد لمداواة الأمير علاء الدين
الطنبغا المارداني نائب حلب فالحقه إلا وقد تمكّن منه المرض ، فعاد ناصر الدين
المذكور إلى دمشق وقد تغيّر مزاجه من حماة . فأقام في دمشق يَمْرُضُ^(٢) في مدرسة
الدينسري^(٣) قريباً من خمسين يوماً .

وكان رحمه الله تعالى رزقه قليل ، لمتّه يوماً وقلت له : يامولى ناصر الدين ، لو
جلست في دكان عطار وعالجت الناس لدخلك كل يوم أربعون خمسون درهماً .
فقال : يامولانا هؤلاء نساء القاهرة إن لم يكن الطبيب يهودياً شيخاً مائل الرقبة ،
سائل اللعاب وإلا فما لهنّ إقبال عليه .

قلت : يريد بذلك السديد الدميّاطي لأنه بهذه^(٤) الصفة .

(١) في الأصل و (س) و (خ) : « البر » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (خ) : « يمرض نفسه » .

(٣) غربي باب البيارستان النوري والصلاحية ، أنشأها عماد الدين أبو عبد الله محمد بن العباس الربيعي

الطبيب (ت ٦٨٦ هـ) . الدارس : ١٠٤/٢ ، وانظر الوافي : ٢٠٠/٣ .

(٤) في (خ) : « كان بهذه » .

أخبرني من لفظه القاضي الفاضل فخر الدين [عبد الوهاب] ^(١) كاتب الدرج ، قال : دخل يوماً ناصر الدين بن صغير إلى الطهارة ، فعلق برجله شيء من القاذورات ، فكتبت إليه والشيء بالشيء يذكر : توجه سيدي بالأمس مخضب القدم ^(٢) من هَيُولاه ، ذا ما من محله المعمور لما منه يولاه ، وما كان في حقه في أمسه ^(٣) تكدير نفسه ، ولكل شيء آفة من جنسه ، هذه مسألة عليكها أكبر لحين ^(٤) ، واشتغل بها اشتغال ذات النحين ^(٥) ، وأظنه قبل قدمه ، فخرج على تلك الصورة أو بعض أجزائه ، خلع صورة ولبس ^(٦) صورة :

ففي غير محبوب الندي عن صديقه ولا يظهر الشكوى إذا النعل زلت
على أنه أكثر منه محافظة ووداً ، وأرعى ذمة وعهداً . كم أحرقت نار وجد من
أوطانه وأزعجت من مكانه ، وهو لا يضر إلا حُباً ، ولا يطلب منك إلا قُرْباً :
لاشك إذ لونكما واحد أنكما من طينةٍ واحد ^(٧)
وأخبرني قال : كتبت إليه ونحن بسريا قوس في أيام الطاعون بمصر :

أظن الناس بالآثام باؤوا وكان جزاؤهم هذا الوباء
أسيّد من له قانون علم بحيلة برئه يرجى الشفاء
أآجال الورى متقاربات بهذا الفضل أم فسد الهواء ^(٨)

(١) زيادة من (خ) .

(٢) في الأصل : « العرم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وفي (س) : « وهو مخضب » .

(٣) (خ) : « من حقه » ، وفي (س) : « من أمسه » .

(٤) في (س) ، (خ) : « منه لحين » .

(٥) يشير إلى المثل المشهور : (أشغل من ذات النحين) ، وقد سلفت .

(٦) في الأصل : « ليست » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٧) في الدرر : « إذ أبو كما » .

(٨) في الأصل : « الفصل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

أم الأفلاك أوجبت اتصالاً
 أم استعداد أمزجه جفاها
 أم اقتربت على ما تقتضيه
 أفدنا ما حقيقة ما تراه
 وقل ما صحّ عندك من يقين
 فإني غير مفش سرّ حبر
 ولا تخلى الأحبة من دعاء
 به في الناس قد عاث الفناء
 جميل الطب واختلف الغناء
 عقيدتنا فللزم انتهاء
 فما الأذهان أحرفها سواء
 بحق لا يعارضه رياء^(١)
 من المتشرعين به حياء
 فنك اليوم يلتمس الدعاء

١٧٥٣ - محمد بن محمد بن علي بن أبي طاهر*

القاضي شمس الدين بن جلال الدين الموسوي الحسيني المعروف بقاضي ملطية .

كان خطيباً بملطية مدة ، ثم جمع له بين القضاء والخطابة بملطية مدة أخرى . ولما حضر إلى دمشق بعد فتح ملطية ولي تدريس الخاتونية ظاهر دمشق . واستمر بها إلى أن مات في حادي عشري جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وعمره ستون سنة .

وحجّ من دمشق ، وكان قاضي الركب .

وكان عنده حظّ من الأدب ، وفيه مشاركة وله شعر ، وتولى مكانه القاضي بدر الدين محمد بن الفويرة .

١٧٥٤ - محمد بن محمد بن عثمان**

ابن عبد الخالق بن حسن ، القاضي الفقيه الإمام العالم المقرئ المحدث الأديب ، فخر الدين أبو عبد الله القرشي المصري الشافعي المعروف بابن المعلم .

(١) (س) ، (خ) : « عن » .

* تالي وفيات الأعيان : ١٨٥ ، والدرر : ٢٠٤/٤ .

** الدرر : ١٩٧/٤ .

سمع من ابن علان ، وابن^(١) عبد الهادي القيسي ، وجماعة .

وحدث ، وقرأ القراءات ، وحفظ المقامات .

وكان فاضلاً ، له نظمٌ ونثرٌ . كان يشهد بمصر على باب الجامع ، ثم تولى^(٢) قضاء بلد الخليل عليه السلام . ولي قضاء أذرعات ، ثم صرف عنها .

وولي إعادة الباذرائية إلى أن توفي رحمه الله تعالى في تاسع عشرين جمادى الآخرة سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ستين وست مئة .

وفيه سخاء وكرم ، وله مصنفات .

محمد بن محمد بن عيسى بن نحمّام*

ابن نجدة بن معتوق الشيباني النصيبي ثم القوسي ، الأديب الشاعر الفاضل المحدث .

سمع العز الحارثي ، ومحمد بن الحسين الخليلي ، وإسماعيل بن علي بن هبة^(٣) الله بن علي [بن] المليجي^(٤) وغيرهم .

وحدث بالبخاري بقوص .

وكان له مشاركة في النحو واللغة والتاريخ والبديع والعروض والقوافي . كثير

(١) ليست في (س) .

(٢) (س) : « ولي » .

* الوافي : ٢٥٩/١ ، والطالع السعيد : ٦١٢ ، والترجمة مأخوذة منه بتصريف يسير ، والدرر : ٢٠٧/٤ .

(٣) في الأصل و (س) : « إسماعيل بن علي بن هبة » ، وأثبتنا ما في الوافي ومصادر ترجمته .

(٤) ما بين حاصرتين زيادة من (س) والوافي . وتوفي إسماعيل هذا سنة ٦٨١ . الوافي : ٢٣٥/١ ، وطبقات القراء : ١٦٩/١ .

المروّة ، ظاهر الفتوة ، طريفاً لطيفاً خفيفاً ، له قُدرةٌ على ارتجال الحكاية المطوّلة والشعر ، سريع النادرة ، قال كمال الدين جعفر الأنفوي : (شعره) في ثلاث مجلّدات ، وكان رزقه منه ، يمدح القضاة والأمراء والأكابر والتجار . قال : لمّا جئت إلى قوص وجدت بها الشيخ تقي الدين والشيخ جلال الدين الدشناوي فتردّدت إليهما ، فقال لي كل منهما كلاماً انتفعت به ، فأما الشيخ تقي الدين فقال لي : أنت رجلٌ فاضل ، والسعيد من قوت سيئاته بموته ، فلا تهج أحداً . وأما الشيخ جلال الدين فقال لي : أنت رجل فاضل ، ومن أهل الحديث ، ومع ذلك فأشاهد عليك شيئاً ، ما هو ببعيد^(١) أن يكون في عقيدتك شيء . وكنت متشيّعاً ، فتبت من ذلك .

وقال : كنت مرّةً عند ابن البصراوي^(٢) الحاجب بقوص ، فحضر الشيخ علي الحريري ، وحكى أنه رأى دُرّة^(٣) تقرأ سورة (يس) فقلت : وكان غرابٌ يقرأ سورة « السجدة » ، فإذا جاء عند آية السجدة سجد ، وقال : سجد لك سوادي واطهآن بك فؤادي .

وتوفي رحمه الله تعالى بقوص سنة سبع وسبع مئة . ومن شعره :

إذا ابتسمت من الغُور البروقُ تَأَوّه مُغرَمٌ وبكى مشوقُ
تذكرني العقيق وأيّ صبٍّ له صبرٌ إذا ذكر العقيق^(٤)

قلتُ : في هذا الثاني نظراً لا يخفى على مَنْ له ذوق .

ومنه :

تذكر بالسّفح باناً وظلاً فأجرى المدامع وبُلاً وطلا

(١) (س) : « شيئاً ما يبعد » .

(٢) في الوافي : « عند عز الدين البصراوي » . وانظر الطالع .

(٣) الدرة هنا : طائر ، مثل الببغاء ، غير عربية .

(٤) الطالع السعيد .

يُرْجَى زَمَاناً تَوَلَّى يَعُود وليس يعود زَمَانٌ تَوَلَّى
كُتِبَ تَحْمَلُ مَا لَا يَطِيقُ له الصخر من ألم البين حِلا
يَبِيتُ يَكَابِدُ الْأَمَّةَ وأسقامه وكما بنات ظلًا
وَضِيعَ أَوْقَاتِهِ فِي عَسَى وماذا تفيد عسى أو لعلًا
وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءِ أَجْفَانِهِ على الظمِّ البُرْحُ نَهْلًا وَعَلَا^(١)
ومنه :

نَعَمْ هِيَ دَارٌ مِنْ نَهْوٍ يَقِينَا وما نخشاه ساكنها يقينا^(٢)
أَنْيَخُوا فِي مَعَالِمِهَا الْمَطَايَا فديتكم لشكوم القينا
ذَكْرُنَا حُلُوءَ عَيْشٍ مَرَّ فِيهَا وما كنا له يوماً نسينا^(٣)
وَكَلَسَاتِ الْمَسْرَّةَ دَائِرَاتِ تحيننا شمالاً أو يميناً

١٧٥٥ - محمد بن محمد بن أحمد*

جلال الدين الكندي بن تاج الخطباء القوسي .

قال كمال الدين الأدفوي : سمع من الشيخ تقي الدين القشيري . وكان فقيهاً فاضلاً
أديباً ، له نظمٌ ونثرٌ وخطبٌ ، وكان أمين الحكم بقوص ، وعاهد الأنكحة وفارضاً^(٤) بين
الزوجين ، وكان يكتب خطأً حسناً لا يماثله أحدٌ بقوص .

اجتمعت به كثيراً بقوص ، ثم إنه أقام بغرب قمولا ، وتوفي بها سنة أربع وعشرين
وسبع مئة .

وأورد له من شعره :

(١) الأبيات من قصيدة طويلة ذكرها صاحب الطالع السعيد .

(٢) في الطالع : « تهوى » بالتاء .

(٣) في الطالع : « مرّ غضا » .

* الوافي : ٢٦٠/١ ، والطالع السعيد : ٦٢٢ ، والدرر : ١٦٩/٤ .

(٤) في الطالع : « فاصلاً » .

يا غاية منيتي ويا مقصودي
إن كان بدتُ مني ذنوبٌ سلفت
قد صرتُ من السقام كالمفقود
هبها لكريم عفوك المعهود
وأورد له أيضاً :

هل إلى وصل عزة من سبيل
غادة جرّدت حسام النايّا
وقد أصابت مقاتلي بسهام
أبرزت مبدعاً من الحسن يفدى
وأورد له أيضاً :

دعوى سلامة قلبي في الهوى عجب
أضحت سلامته منكم على خطر
شربت حبكم صرفاً على ظمأ
لا ينعمكم ما قال حاسدنا
وكيف يسلم من أودى به الوصب
لا تساموه ففي إسلامه نصّب^(٢)
وكنت غزاً بما تأتي به النوب
عن الدنوّ فأقوال العدا كذب

١٧٥٦ - محمد بن محمد *

المعروف بابن الجبلي الفرّجوطي .

كان له مشاركة في الفقه والفرائض ، وله معرفة بالقراءات ، وله أدب وشعر
ومعرفة . يحل الألفاظ والأحاجي .

وكان ذكياً ، جيّد الإدراك خفيف الروح ، حسن الأخلاق ، كفّ بصره في آخر
عمره .

(١) في الطالع : « أو إلى » .

(٢) في الطالع : « فيكم » .

* الوافي : ٢٦١/١ ، ونكت المهيمان : ١٧٠ ، والطالع السعيد : ٦٣٠ .

قال كمال الدين الأدفوي : اجتمعت به كثيراً ، وأنشدني من شعره وألغازه .
وتوفي رحمه الله تعالى بفرجوط في المحرم سنة سبع وثلاثين وسبع مئة .
وأورد له :

وشاعر يزعم من غرة وفَرَطَ جهل أنه يشعر
يصنف الشعر ولكنـــــــــــــــــه يحدث من فيه ولا يشعر

وأورد له في النبق :

انظر إلى النبق في الأغصان منتظماً والشمس قد أخذت تجلوه في القُضْب
كأن صفرته للناظرين غَدَت تحكي خلاخل قد صيغت من الذهب^(١)

١٧٥٧ - محمد بن محمد *

الصدر الأصيل العدل الرضي شرف الدين أبو عبد الله ابن العدل الرضي
شرف الدين أبي عبد الله بن أبي الفتح نصر الله بن المظفر بن أسعد بن حمزة بن
أسد بن علي بن محمد التيمي الدمشقي ابن القلانسي .

سمع (صحيح) مسلم من الرضي بن البرهان ، وروى منه أربعين حديثاً ، وله
إجازة من عثمان ابن خطيب القرافة وعبد الله بن الخشوعي وجماعة .

وكان من أعيان دمشق وأكبرها ، وياشر وكالة السلطان^(٢) مدة . وكانت حرمة
وافرة وأخلاقه حسنة ، وشهد في القيم مدة مع الأكابر ، ثم إنه تركها مدة .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة السبت ثاني عشر صفر سنة خمس عشرة وسبع مئة .

(١) (س) والوافي والطالع : « جلاجل » .

* البداية والنهاية : ٧٤/١٤ ، والدرر : ٢٤١/٤ .

(٢) عبارة الدرر : « وكالة السلطانية » .

ومولده سابع عشري صفر سنة ست وأربعين وست مئة بدمشق .

وكتب شيخنا العلامة شهاب الدين محمود إلى أولاده القاضي جمال الدين والقاضي علاء الدين ومحيي الدين يعزيهم بما أنشدنيه لنفسه إجازة :

لو سالم الدهر ذا مجدٍ لسؤدده ثنى عن الشرف العالي سَطَا يده
ولو تحامى الردى ذا مفخر وتقى ونائل كفّ كفّاً عن مُحَمَّده
لكنه طالبٌ لاحِصن منه فمن أرجاه في يومه فاجاه في غده
ومنهل مالحيٍّ في الورى صَدَرَ إلّا عن الرّيّ من إثناء مَوْرده
كم فضّ جمعاً ولم أخلى حمى شرف برغم أهليه من آثار سيّده
فلا علوّ أخي فضل بعاصمه منه ولا مجد ذي مجد بمخلده
فحقّ من كان هذا الموت غايته بدء العزاء به من يوم مولده
لله طودٌ حجبى زانت خلائقه نجاده وأبانت طيب محتده
حرّ تقىّ نقىّ طـاهـر ورع قد آمنَ الناسَ من فيه ومن يده
عفّ السريرة لا يطوي على ذحل مغيب من غاب عنه مثل مشده
سيّان ظاهره صفوّ وباطنه بل ودّه المحض أجلى من تودّده
مُغضٍ عن الناس لا يعنيه عيبهم مغرّئ بمنزله فيهم ومسجده
لله عهد مضى أيام تجمعنا عصر الصبا نسقاً في سلك معده
وكلنا حافظٌ عهد الصفاء له شاء الوفاء يراعي حفظ موعده^(١)
ففرّق الدهر سَهْمَ البُعد ثم بدا بخيّرنا فرماه عن تَعَمُّده
قضّى ولم أقضٍ من توديعه وطراً ولم أكنْ حاضراً ما بين عَوْدِهِ
قَباتٍ يَخْذِلني صَبري وَيَنْجِديني دَمْعِي وَمَا خاذِلٌ صَبّاً كمنجده
أخشى على ناظري دمعي فيكحلني تَسَهّدي من دجى ليلي بأثمّده
مضى وهـا أنا أقفـو إثـرهُ وإلى

(١) (ط) : « عهد الصفاء كما » .

وَمَا مَضَى مِنْ رَقَتْ أَبْنَاؤُهُ رَبَّاءَ لَمْ يَرْقُهَا وَعَلَّوْا عَنْ أَفْقٍ مُضْعَدِهِ
وَسَادَ مِنْهَا عَلَى مَا وَهَى وَعَلَا مَحْمُودٌ فِي كُلِّ مَجْدٍ فَوْقَ فَرْقِدِهِ
ثَلَاثَةٌ نَظَّمُوا عَقْدَ الْعَلَا فَعَدَا يَحْتَالُ فِي مَجْدِهِمْ لَا فِي زَبْرِجَدِهِ
أَوْصَيْتَهُمْ بِاصْطِبَارٍ لَمْ أَجِدْهُ فِي حَسَنَ التَّصَبُّرِ تَمْهِيدَ لِمَرْقَدِهِ
فَجَادَهُ صَوْبَ رِضْوَانٍ يَسْحُ إِذَا سَحَّ الْعِهَادُ عَلَيْهِ فِي تَغَمُّدِهِ
وَلَا خَلَا أَفْقُ هَذَا الْبَيْتِ مِنْ شَرَفٍ تَشْتِي مَفَاخِرَهُ أَبْصَارَ حُسَدِهِ

يقبل اليد العالية الملووية القضائية الجمالية ، لازالت جزيلة الثواب ، جميلة المآب ، غنية بما منحها الله من العلم عن^(١) الدلالة على الصواب ، آمنة بجلالة التلقي لأمر الله بالعدل^(٢) عن مراجعة التجرع لصاب المصاب ، وينهي [أنه]^(٣) اتصل به ما قدره الله من وفاة المولى السيد الوالد تعمده الله برضوانه وبوأه فسيح جنانه ، فأجرى دموعه ، ونفى هجوعه ، وصدع قلبه ، وأطار لبه ، وأطال ألمه ، وأطاب عذمه ، وألزم الحصر لسانه ، وألقى قلمه ، فإننا لله وإننا إليه راجعون ، امتثالاً لأمره ، وصبراً على حلول القضاء وممره ، مات والله صاحب الذي كان للمملوك يعقد على محبته^(٤) الخناصر ، ويستند من أخوته إلى نسبة صفاء ثابتة الأواصر ، ويأنس ببقائه ، ويعلل نفسه ببقائه ، فاجتث بوفاته أصل الوفا ، وتكدر بذهابه ورد الصفا ، وذهب الود إلا باللسان ، وتنكرت بين المعارف وجوه الإحسان الحسان ، وعدمت الرياسة رأسها وفي الرياسة^(٥) أكثرها ، وفقدت المعالي عينها^(٦) فلم يبق إلا أثرها ، فله تلك النفس ما كان لتقاها ، وتلك الشيم ما كان لأطهرها وأنقاها ، وذلك اللسان ما كان أقدره على

(١) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٢) في (س) : « بالقبول » .

(٣) زيادة من (س) ، (ط) .

(٤) (س) : « مودته » .

(٥) (س) : « الرأس » .

(٦) في الأصل و (ط) : « عنها » ، وأثبتنا ما في (س) .

ملكة نطقه ، وألهجه^(١) في المقال بحق صِدْقِهِ ، وذلك النَّظَر^(٢) ما كان أغضّه عن المحارم وأبصره بالمكارم ، وأغضاه عن النقائص والمعائب ، وأشبهه بسمعه عن الإصغاء إلى المذامِّ والمثالب ، نَصَرَ الله ذلك الوجه الكريم ولَقَّاه نُصْرَةَ النِّعَمِ^(٣) وتَقَبَّلَ أَعْمَالَهُ ، وبلغه عند القدوم عليه من عَفْوِهِ سَوْلَةً ، ومن رضاه أَمَالَهُ . والمَمْلُوكُ فقد تأهَّبَ المحاق بإخوانه ، ولم يخادع نفسه الحداد عند أوانه ، وإذا تَقَدَّمَ الرَّفَاقُ لم^(٤) يبقِ إلا الرحيل على آثارهم ، والاستقرار للنزول معهم في دارهم . فالله يجمعنا في مستقرِّ رحمة ، ويجعلنا ممن جعل الثَّبات عند الممات من فواتح فضله عليه ونِعْمَتِهِ ، على أَنَّهُ مَا فَقَدَ من جَمال بيته باق بينيه في الوجود ، ولا عدم من علاوة راقٍ بأولاده إلى رتب القعود^(٥) ، ولا ذهبَ مَنْ لم تخل معاليه من^(٦) ذي مقام مَحْمُود ، فعمله الصَّالح ببقائهم متصل المواد ، وثناؤه السائر^(٧) بدوام ارتقائهم أخذ في الازدياد ، والمملوك يقبَلُ اليد العَلائِيَّةَ واليد الحيويَّةَ ، ويكتفي بهذه الخدمة عن تجديد تعزيتهم بما يهيج الأسى والأسف ويعتذر للدَّهر ببقاء الموالي ، فعفا الله عمَّا سلف ، وعمَّن سلف بمنَّه وكرمه .

١٧٥٨ - محمد بن محمد *

الشيخ الإمام والعالم الفاضل شمس الدين السفاقي .

تقدّم ذكر أخيه إبراهيم في الأبارة ، وكانا فقيهين مَالِكِيَّين .

- (١) في الأصل : « وألهجه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .
 - (٢) (س) : « النظم » .
 - (٣) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ وَلَقَامَ نُصْرَةَ وَسُورًا ﴾ الإنسان ١١/٧٦ ، وقوله تعالى : ﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نُصْرَةَ النِّعَمِ ﴾ المطففين : ٢٤/٨٣ .
 - (٤) في (س) ، (ط) : « فلم » .
 - (٥) في (س) : « الصعود » . وفي (ط) : « إلى أقصى رتب القعود » .
 - (٦) في (س) : « بدايته من ... » .
 - (٧) في الأصل و (ط) : « الثائر » ، وأثبتنا ما في (س) .
- * الدرر : ١٥٨/٤ ، وذيول المعبر : ٢٣٧ ، والوافي : ٢٧٠/٨ .

حضر شمس الدين هذا إلى دمشق وأنا بها رأيته ، وكان شكلاً حسناً مليح الوجه
أظنه لم يبلغ الأربعين . وأقام بدمشق بعض سنة أو أكثر ، وأقرأ الناس بالجوامع
الأموي ، ثم ^(١) توجه إلى حلب فحظي هناك ، وتصدر وأفاد ، وولي وظائف .

ولم تطل مدته حتى توفي رحمه الله في حلب ليلة الاثنين ثاني شهر رمضان سنة
أربع وأربعين وسبع مئة .

سألت شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي رحمه الله تعالى فأثنى عليه
ثناء كثيراً ، وقال : له على (مختصر ابن الحاجب) بعض شرح ، و (شرح قصيدة ابن
الحاجب في العروض) .

١٧٥٩ - محمد بن محمد بن الحسن *

ابن أبي الحسين بن صالح بن علي بن يحيى بن طاهر بن محمد بن الخطيب أبي يحيى
عبد الرحيم بن نباته . الشيخ شمس الدين الفارقي الأصل ، المصري المولد ، والد الشاعر
جمال الدين محمد بن نباته .

كان الشيخ شمس الدين هذا من أسياف الحديث بدمشق ، وكان ساكناً خيراً قليل
الكلام ، منجماً عن الناس . وكان يباشر شهادة الخاص بدارياً ودومة . وكان كل
ما يحصله ينفقه على أحفاده ^(٢) أولاد ولده .

وتولى دار الحديث النورية بدمشق بعد الشيخ زين الدين بن المزي ^(٣) ، وكان في
الديار المصرية شاهداً بديوان الجاشنكير .

(١) (خ) : « ثم إنه » .

* الوافي : ٢٧٠/١ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٧/١ ، والدرر : ١٧٣/٤ .

(٦) في الأصل : « أحفاد » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .

(٢) عبد الرحمن بن يوسف ، سلف ترحمته .

وسمع من العزّ الحرائي ، وابن خطيب المزة ، وغازي الحلاوي ، وأبي بكر بن إسماعيل الأنطاقي وغيرهم ، وكان له بدمشق سكن بالظاهريّة ، سمعت عليه بعض أجزاء بدمشق ، وأجاز لي بخطّه سنة ثلاثين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني صفر سنة خمسين وسبع مئة .

ومولده بمصر سنة ست وستين وست مئة .

١٧٦٠ - محمد بن محمد بن مينا*

بیم مكسورة وياء آخر الحروف ساكنة وبعدها نون وألف ممدودة ، الشيخ الإمام الفاضل العالم شمس الدين البعلبكي الشافعي .

سمع من القاسم بن عساكر ، ومن عيسى المطعم وغيرها .

وكان فقيهاً فاضلاً ، عارفاً بالجدال مناضلاً ، قرأ الفقه وبرع ، وبلغ غاية قصر عنها من شرد حظه لما شرع ، وكان على ذهنه إشكالات في المذهب ، وإيرادات^(١) من ناظره فيها سبقه ولو كان أشهب . وعنده شكوك في غير الفقه عقدة ، ومؤاخذات يتعب بها منتقيه^(٢) ومنتقده ، إلا أنه ينحرف كثيراً^(٣) ، ويهدم بذلك له مجداً أثيراً .

ولم يزل على حاله إلى أن حلت المنايا بابن مينا ، ولم ينفعه طبّ ابن سينا .

وتوفي رحمه الله في شهر رجب الفرد سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون دمشق وهو في حدود الخمسين .

اجتمعت به غير مرة ، وكتب عني شيئاً ، وكان يعجبني ذهنه وحديثه ، وكان

* الوافي : ٢٧١/١ ، ووفيات ابن رافع : ٢٦٩/١ ، والدرر : ٢٤٠/٤ .

(١) في الأصل : « إيرادات » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في الأصل : « منتقبة » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) ليست في (س) .

الشيخ كمال الدين بن الزملاكي يثني على ذهنه ، وكان قد توجه إلى بغداد بعدما أفق وناظر وأعاد بالنظامية وعاد إلى دمشق ، وسكن الرواحية . وما كان يخلو من تعب ، وتولى قضاء الإقليم بدمشق ، وخلف لما مات دنيا صالحة ، ووصى بأن يصرف ثلث ماله على فقراء الفقهاء ، كل إنسان عشرة دراهم .

١٧٦١ - محمد بن محمد بن يعقوب *

القاضي عماد الدين الأنصاري المصري المعروف بابن النويري ، بالنون والواو والياء آخر الحروف [والراء] ^(١) .

كان من أجود الناس طباعاً ، ويحفظ الكتاب العزيز ويتلوه كثيراً ، ويصوم الخميس دائماً ، وله عقيدة في الفقراء وخدم في الأنظار الكبار بمصر والشام . تولى نظر المرج والغوطة والإقليم ، ونقل من ذلك إلى صحابة الديوان بدمشق وإلى نظر صفد ، بارشه غير مرة ، وإلى نظر الكرك مدة طويلة ، وأعيد بعده إلى صفد ، وآخر وقت ولي ديوان طرابلس .

وتوفي رحمه الله تعالى في عشر الثمانين ، ورأيته بصفد غير مرة ، وكانت وفاته في طرابلس في حادي عشر شعبان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

١٧٦٢ - محمد بن محمد بن عطايا **

الوزير سعد الدين .

كان أولاً ناظر البيوت بالقاهرة ، ورسم له بالوزارة في ثاني عشر شهر رمضان سنة

* الدرر : ٢٤٢/٤ .

(١) زيادة من (ط) . وفي (س) : « الراء » .

** الدرر : ١٨٧/٤ ، وفيه : « محمد بن محمد بن عبد العزيز بن عطايا » .

أربع وسبع مئة ، وأقام في الوزارة إلى أن عَزَل عنها بضياء الدين النشائي في أوائل سنة ست وسبع مئة^(١) .

١٧٦٣ - محمد بن محمد بن إبراهيم*

ابن أبي القاسم ، الشيخ الإمام المعمر المسند صدر الدين أبو الفتح الميّدومي ، بفتح الميم وسكون الياء آخر الحروف والبدال المهملة والواو الساكنة وبعدها ميم ، خاتم أصحاب النجيب عبد اللطيف .

توفي عن تسعين سنة في سنة أربع وخمسين وسبع مئة . انتخب عليه خلق من عوالية .

١٧٦٤ - محمد بن محمد بن الحارث**

ابن مسكين ، القاضي الإمام فخر الدين القرشيّ الزهريّ نائب الحاكم بمصر والقاهرة .

حدّث عن الشّهاب القرافي ببعض تصانيفه ، وعن عبد السلام الدميري وغيرهما ، وأجاز له جماعة .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة إحدى وستين وسبع مئة .

وكان قد أجاز لي رحمه الله تعالى بخطه في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٧٦٥ - محمد بن محمد بن محمد بن هبة الله***

ابن محمد بن هبة الله بن محمد بن يحيى بن بندار بن مميل^(٢) الفارسيّ الشيرازي

(١) وفي الدرر أنه توفي سنة ٧٣٠ هـ .

* وفيات ابن رافع : ٣١٥/١ ، والدرر : ١٥٧/٤ ، وذيول العبر : ٢٩٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩١/١٠ .

** وفيات ابن رافع : ٣٦٢/١ ، والدرر : ٢١٦/٤ ، وذيول العبر : ٣٣٧ .

*** تالي وفيات الأعيان : ١٤٩ ، والدرر : ٢٣٣/٤ ، وذيول العبر : ١٣١ ، وشذرات الذهب : ٦٢/٦ .

(٢) في الأصل و (ط) : « مميل » ، وأثبتنا ما في (س) والدرر .

الأصل ، الدمشقيّ ثمّ المزيّ ، الرئيس شمس الدين أبو نصر بن عماد الدين الكاتب ابن أفضى القضاة شمس الدين أبي نصر .

سمع من جدّه حضوراً ، ثمّ سماعاً ، ومن عمّه تاج الدين ، ومن علم الدين السخاوي ، والعلم ابن الصّابوني ، والمؤتمن بن قميرة ، وأبي إسحاق بن الخشوعي ، وبهاء الدين بن الجُميزي ، وجماعة . وأجاز له الشيخ شهاب الدين السهروردي ، وبهاء الدين بن شداد ، وإسماعيل بن باتكين ، وابن روزبة ، وخلق كثير . وتفرد بأجزاء وعوالي ، وازدحم الطلبة عليه ، وألحق الصغار بالكبار . وانتقى له الشيخ صلاح الدين العلائيّ والبرزاليّ والواني وشمس الدين الذهبي .

وكان ساكناً وقوراً متواضعاً ، نزر الحديث منجماً عن الحديث الناس ، له ملكٌ يعيش منه . وكان بارعاً في تذهيب المصاحف ، وظهرت فيه مبادئ اختلاط في سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة تسع وعشرين وست مئة .

١٧٦٦ - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد*

القاضي زين الدين أبو حامد بن تقي الدين العثماني الشريشي القنائي الشافعي .

اشتغل بالفقه على الشيخ جلال الدين أحمد الدشناوي وأجازه بالفتوى ، وسمع

منه .

* الوافي : ٢٨٧/١ ، والطالع السعيد : ٦٢٦ ، والدرر : ٢١٥/٤ .

وكانت له مشاركة في الأصول والنحو والأدب . وَخَطُّهُ حَسَنٌ ، وله يد في الوراقَة .

وتولى القضاء بأدفو وأسوان وتولى قفط ، وقنا ، وهُوَ^(١) ، وعيذاب ، وكان حسن السيرة ، مرضي الطريقة ، قائماً بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر رجب الفرد سنة خمس وسبع مئة بقنا .

وأورد له كمال الدين الأديوي أبياتاً من جملة صداق كتبه وهي :

| | |
|---|---|
| أَطِيلُ نَظْرًا فِيهِ فَلَسْتُ بِنَاطِرٍ | نَظِيرًا لَهُ كَلَّا وَلَسْتُ بِوَاجِدٍ |
| وَقَزَمْتُ مِنْ مَحْيَاةٍ بِلَحَةِ نَاطِرٍ | تَلَّ مَا تَرَجِي مِنْ سَنِيِّ الْمَقَاصِدِ |
| فَكُلُّ سَدِيدٍ مِنْهُمْ وَمُسَدَّدٍ | وَكُلُّ تَقِيٍّ عِنْدَهُمْ ثُمَّ مَاجِدٍ ^(٢) |
| إِذَا مَا اغْتَدَى سَمْعِي بِذِكْرِ صِفَاتِهِمْ | تُخَامِرُ قَلْبِي سَكْرَةُ الْمُتَوَاجِدِ |

١٧٦٧ - محمد بن محمد بن محمد *

ابن عبد القادر بن عبد الخالق بن خليل بن مقلد ، الشيخ الإمام المَفْقِي بركة والده^(٣) بدر الدين أبو اليسر ابن قاضي القضاة عز الدين أبي المفاخر الدمشقي الشافعي المعروف ابن الصايغ مدرس الدماغيّة وأخو^(٤) القاضي نور الدين قاضي قضاة حلب .

(١) هو بضمّ الهاء وسكون الواو ، وتعرف به هو الحمراء ؛ على تلّ بالصعيد بالجانب الغربي دون قوص . (معجم البلدان) .

(٢) في الطالع : « فيهم » .

* الوافي : ٣٣٢/١ ، وفوات البوفيات : ٢٩٢/٣ ، ووفيات ابن رافع : ٧٩/١ ، والدرر : ٢٢٦/٤ ، والشذرات : ١٢٣/٦ ، والدارس : ١٧٨/١ .

(٣) في الوافي : « بركة الوقت » .

(٤) في (س) والوافي : « والعمادية أخو القاضي » .

سمع كثيراً من أبيه ، وابن شيبان ، والفخر علي ، وبن تميمي ، وعدة . وحضر ابن علان . وحدث بـ (صحيح البخاري) عن اليونيني ، وسمع حضوراً من فاطمة بنت عساكر ، وحفظ (التنبيه) ، ولازم حلقة الشيخ برهان الدين .

وكان دينه متيناً ، وتصوّنه مبيناً . طُلب لقضاء القضاة بدمشق فامتنع ، وظهرت عليه أمارات الزَّمْع^(١) ، فعظم قدره ، ولزم الناس حمده وشكره .

وكان مقتصداً في لباسه وفي أموره بين أناسه ، ودّرّس وهو أمرّد ، ولم يبال بمن يناظره أنقضّ عليه أم ردّ ، وحجّ غير مرّة ، وفعل في طريقه كل مبرّة^(٢) :

وَكَانَ غَرِيْباً فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ لَهُ بَرَكَاتٌ فِي الْوَرَى وَصَلَاحُ
إِذَا مَا أَذْلَهُمُ اللَّيْلُ قَامَ لِرَبِّهِ وَنَاجَى إِلَى أَنْ يَسْتَنْيرَ صَبَاحُ^(٣)

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح أبو اليسر من الحياة مُعْصِراً ، ومكّن الحِجَامَ منه غلباً ومُنْصِراً .

وتوفّي رحمه الله تعالى في يوم الجمعة ، جمادى الأولى سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن عند قبر والده بسفح قاسيون ، وشيّعته الخلائق وحملوه على أكتافهم^(٤) ، وكانت وفاته بعد قاضي القضاة جلال الدين القزويني بليالٍ يسيرة .

ومولده سنة ست وسبعين وست مئة .

وكان تنكّز قدّ عظمه واعتقد فيه لما امتنع من ولاية قضاء^(٥) القضاة ، فإنّه حُمِلَ

(١) (س) : « إشارات الزمّع » . والزمّع : اللضاء في الأمر والعزم عليه . والزميع : الشجاع للقدام . ورجل رفيع الرأي : جيده .

(٢) (س) : « مسرة » .

(٣) في الأصل : « صلاح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٤) (س) : « رؤوسهم » ، وفي الوافي : « على الرؤوس » .

(٥) (س) : « قاضي » .

إليه تقليده وتثريفه بالقضاء بعد القاضي جلال الدين القزويني في نصف شهر شوال^(١) سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وحضر إليه الأمراء والناس ، فامتنع وتغيّر مزاجه . ثم إن أرباب الدولة عادوا إليه ثانياً ، وأُذيت إليه رسالة الأمير تنكز ، فأصرّ على الامتناع ، فأعيد التقليد إلى مصر ، وزادت عظمته عند نائب الشام ، فولاه خطابة القدس مديدة ، ثم إنّه تركها ، ولما كان بالقدس طلبه المَقادِسة ، ودخلوا عليه بسماع الحديث وخرّجوا به من هذا إلى طلب الشفاعات عند ناظر الحرمين ، فشفع لهم وأكثر من ذلك ، فثقل أمره على الناظر ، وشكا في الباطن إلى تنكز وقال : هذا يَدْخُلُ روحه في غير الخطابة ، ويتكلّم في الولاية والعزل ، فنقص بذلك قدره عند تنكز ثمّ إنه فيما بعد زار القدس فتعلّل هناك ، ونُقِلَ إلى دمشق ضعيفاً ، فأقام أياماً يسيرة^(٢) ، وتوفي رحمه الله في التاريخ المذكور .

١٧٦٨ - محمد بن محمد بن محمد بن عبد القادر *

قاضي القضاة نور الدين بن الصّائغ ، تقدّم تمام نسبه في ترجمة ابن عمّ أبي اليسر أنفأ .

كان خيراً ساكناً وقوراً ، سمع من أحمد بن هبة الله بن عساكر .

ولاه الفخري في نوبة الناصر أحمد قضاء العساكر بدمشق ، وتوجّه مع العسكر إلى القاهرة ، ثمّ إنّه عزّل بعد ذلك ، وبقي على تدريس الدِّماغية إلى أن تولّى قضاء القضاة بحلب بعد القاضي بدر الدين بن الحشّاب^(٣) سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

ولم يزل بحلب إلى أن توفي رحمه الله في شوال سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون حلب .

(١) (س) : « شهر شوال » .

(٢) (س) : « يسيرة بدمشق » .

* الوافي : ٣٣٢/١ ، والدرر : ٢٢٦/٤ ، وذيول العبر : ٢٧٢ .

(٣) محمد بن يحيى بن أحمد ، وستأني ترجمته .

ومولده سنة ست وسبعين وست مئة^(١) .

وباشّر القضاء بجلب جيداً وأحبّه أهلها لحسن سيرته .

١٧٦٩ - محمد بن محمد بن محمد*

الإمام المحدث صدر الدين الورّاق البغدادي المصري .

قدم دمشق طالب حديث سنة أربع عشرة وسبع مئة ، وسمع من القاضي والصّدر ابن مكتوم وطائفة .

وكان ذا حظ خلو وخلق حسن .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقاهرة سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ومولده بعد التسعين وست مئة .

١٧٧٠ - محمد بن محمد بن محمد بن محمود**

المحدث تقيّ الدين البخاري الدمشقي الحنفي ابن خطيب الزنجليّة جلال الدين .

حفظ القرآن واشتغل في النافع ، وسمع كثيراً ونسخ أجزاءً وكتاب (الكاشف)^(٢) . وكتب الطباق وسمع ابن سعد والبهاء بن عساكر وعدّة ، وأخذ عن شيخنا الذهبي .

(١) في الأصل : « سبع مئة » ، سهو .

* الوافي : ٢٨٩/١ ، الدرر : ٢٣٦/٤ .

** الدرر : ٢٣١/٤ .

(٢) الكاشف في أسماء الرجال للذهبي ، وهو مختصر في رجال الكتب الستّة الصحيحين ، والسنن الأربع .
الكشف : ١٣٦٨/٢ .

وتوفي رحمه الله تعالى في أواخر سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .
ومولده سنة ست وسبع مئة .

١٧٧١ - محمد بن محمد بن محمد بن أحمد*

ابن عبد الله بن محمد بن يحيى ، الشيخ سعد الدين أبو سعد ، ابن الفقيه
أبي عمرو بن الحافظ أبي بكر بن سيّد الناس اليعمري أخو الحافظ فتح الدين .
سمع من ابن الأنطاطي ، ومن العزّ الحُرّاني ، وابن خطيب المزّة ، وغازي الحلّوي ،
وشامية بنت البكري ، وجماعة .
وحدث . وكان له نظم . وجلس مع الشهود .

توفي رحمه الله تعالى في مستهلّ شهر ربيع الأوّل سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة سبعين وست مئة .

١٧٧٢ - محمد بن محمد بن محمد**

ابن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيّد الناس ، الشيخ الإمام ، العالم ،
العلامة ، الحافظ ، البار ، الأوحد ، مجموع الفضائل ، الكاتب ، الناظم ، الناثر ،
الأديب فتح الدين أبو الفتح ابن الإمام الفقيه أبي عمر وابن الإمام الحافظ الخطيب
أبي بكر اليعمري الأندلسي الإشبيلي ثم المصري .

أجاز له في سنة مولده النّجيب عبد اللّطيف الحرّاني ، وحضر على الشيخ
شمس الدين بن العماد الحنبلي ، وطلب بنفسه في سنة خمس وثمانين ، وقرأ على
الشّيوخ ، فسمع من قطب الدين بن القسطلاني ، وغازي الحلّوي ، وابن الأنطاطي ،

* الدرر : ٢١٢/٤ ، والبداية : ٤٦٩/١١ ، والشذرات : ١٠٨/٦ .

** الوافي : ٢٨٩/١ ، وفوات الوفيات : ٢٨٧/٣ ، والبداية والنهاية : ١٦٩/١٤ ، والدرر : ٢٠٨/٤ .

وابن خطيب المزة ، وابن ترمج^(١) ، وابن الخيمي ، وابن الفارض ، والعزّ الحرائي ،
وشاميّة بنت البكري ، والفخر بن المّليجي^(٢) وغيرهم .

ورحل إلى الإسكندرية وسمع من شيوخها ، ورحل إلى دمشق سنة تسعين وست
مئة وسمع من بعض أصحاب الكندي وابن الحرستاني وابن ملاعب .

نقلت من خط شيخنا الذهبي رحمه الله تعالى : وتَنَزَّل في الأخذ إلى أصحاب سبط
السلفي ، ثمّ^(٣) أصحاب الرشيد العطار قال : وكاد يدرك الفخر بن البخاري^(٤) ففاته
بليتين ، ولعلّ مشيخته يقاربون الألف ونسخ بخطه ، واختار وانتقى شيئاً كثيراً ،
ولازم الشهادة مدّة ، قال : جالسته مرّات و [بت]^(٥) معه ليلة ، وسمعت بقراءته على
الرضي النحوي^(٦) . وكان طيّب الأخلاق بسّاماً ، صاحب دعاية ولعب ، وكان صدوقاً
في الحديث ، حجةً فيما ينقله ، له بصّر نافذ في الفنّ ، وخبرة بالرجال وطبقاتهم ،
ومعرفة في الاختلاف ، ويدّ طولى في [علم]^(٧) اللسان ، ومحاسنه جمّة . انتهى .

ونقلت من خط شيخنا البرزالي قال : كان أحد الأعيان معرفةً وإتقاناً وحفظاً
وضبطاً للحديث وتفهماً في علّله وأسانيده ، عالماً بصحيحه وسقيمه ، مستحضراً للسيرة
النبويّة ، له حظّ من العربيّة ، جيّد الضبط حسنّ التصنيف ، صحيح العقيدة ،
صحيح القراءة ، مع الشّرة التّامة ، حسنّ الأخلاق ، جميل الهيئة ، كثير التّواضع ،

(١) محمد بن إبراهيم بن ترمج المازني المصري (ت ٦٩٢ هـ) ، العبر : ٢٧٧/٥ .

(٢) إسماعيل بن هبة الله بن علي (ت ٦٨١ هـ) ، الشذرات : ٢٧٢/٥ .

(٣) (س) : « ثمّ إلى » .

(٤) في الوافي : « الفخاري » ، تحريف .

(٥) زيادة من (س) ، (ط) ، والوافي ، والدرر .

(٦) في الأصل و (ط) : « البرهان » ، ولا يصحّ ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . والرضي هذا هو الرضي

الشاطبي ، محمد بن علي بن يوسف (ت ٦٨٤ هـ) . غاية النهاية : ٢١٣/٢ .

(٧) زيادة من (س) ، (ط) والوافي .

طارحاً للتكلف ، طيّب المجالسة ، حلّو المعاشرة ، خفيف الروح ، ظريفاً كيساً متودداً إلى الناس ، له الشعر الرائق والنثر^(١) الفائق والتّرسل البديع . وكان محباً لطلبة الحديث ، وصنّف سيرة نبويّة لخصّ فيها (سيرة ابن هشام) وشرع في شرح (الترمذي) ، عمل منه إلى الصّلاة ، جمع فيه فأوعى ، وله القصائد النبويّة الفائقة ، ولم يخلف في مجموعه مثله ، انتهى .

وقال كمال الدين الأدفويّ في تاريخه (البدر السّافر) : ولازم الإمام أبا الفتح محمد بن عليّ بن وهب القشيري ، وتخرّج به^(٢) ، وقرأ عليه في أصول الفقه وحفظ (التنبيه) في مذهب الشّافعي ، وقرأ (الفصل) في النحو على الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، وبرع في الحديث والأدب ، وكتب الخطّ الحسن بالمغربي والمصري ، وحدث ، وسمع منه جمع كثير من الشاميين والمصريين وغيرهم ، وصنّف في السّير كتابه المسمّى (عيون الأثر) وهو كتاب جيّد في بابه ، وشرع بشرح (الترمذي) ولو اقتصر فيه على فن الحديث من الكلام على الأسانيد لكلّ تصنيفه وتمّ ترصيفه وكان يفيد ، ولكنه قصد أن يتبع شيخه الإمام ابن دقيق العيد ، فوقف دون ما يريد . انتهى .

قلتُ :

وعاجوا فأتثوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

كان شيخنا المذكور حافظاً بارعاً ، متوقلاً هضبات الأدب فارعاً ، متفنناً بليغاً في إنشائه ، ناظماً ناثراً مترسلاً ، لم يضمّ الزّمان مثله في أحشائه ، خطّه أبهج من حدائق الأزهار ، وآتق من صفحات الحدود المطرّز وردها بأس العذار ، حسن المحاورّة مأمون المجاورّة ، لطيف العبارة ، طريف الشّارة والإشارة ، فصيح الألفاظ ، نسي الناس ذكرّ قسّ سوق عكاظ ، كامل الأدوات ، جيّد الفكرة في الغوص على درر المعاني

(١) (س) : « والنظم » ، ولا تستقيم .

(٢) (س) : « عليه » .

والأدبيات ، صحيح الذهن ، يشرق نورُه ، مَلِيح الفهم ، كأنَّه الصبح إذا ملأ الأفق
سُفُورُه ، لا تَمَلُّ محاضرته ولا تُدَمِّمُ معاشرته ، أدبُه غُضٌّ ، وإمْتاعُ بَأْسِه نَصٌّ ، كريم
الأخلاق ، زكي الأعراق ، كثير الحياء والاحتمال ، قلَّما جرح من إنسان إلا وكان سريع
الاندمال .

إن كتبَ فما ابن مقلة عنده إنسان ، ولا ابن البَوَّاب إلا واقف على بابه بعضا القلم
يَسْأَلُه الإحسان ، ولا ابن العديم إلا له وزير ، ولا الولي العجمي إلا وليُّ له ونصير .

وإن نثر فالعماد مائل عن طريقه ، وابن الأثير لا يضرب المثل إلا في تحقيقه
وتحريره .

وإن نظمَ فابنُ النبيه خامل ، وابن الذَّرَوي^(١) في الحضيض هامل ، والجزار
مَا حَلَّت قِيَمُه خلا قِيَمِه ، ولا جَوْدُ تعاطي تقاطيفه^(٢) ، والسراج مَا نُورَ بل نُوصَ في
شعره وسُودَ حائط تواليفه .

صحبته مدَّة فلم أرَ معه من الزمان^(٣) شدة ونمت معه ليالي ، وخالطته أيتاماً ،
ورعيت من حسن ودِّه أراكاً وبريراً وبِشَاماً^(٤) :

| | |
|------------------------------------|---|
| له هَزَّةٌ من أُرِيحِيَّةٍ نَفْسِه | تكاد لها الأرض الجديدة تُعْشِبُ |
| تجاوزَ غاياتِ العقول مواهِباً | تكاد لها لولا القيان تكذَّبُ ^(٥) |
| خلائق لو يلقى زيادَ مثالها | إذا لم يقل: «أي الرجال المهذب» ^(٦) |

(١) علي بن يحيى ، شاعر مجيد ، (ت ٥٧٧ هـ) ، فوات الوفيات : ١١٣/٣ .

(٢) هي مختارات شعر الجزار التي صنعها المؤلف .

(٣) في الأصل : «الزمان» ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٤) البرير : هو الأول من ثمر الأراك . والبشام : شجرٌ عطر الرائحة ورقه يسود الشعر ، ويستاك بقضبه .

(٥) في الوافي : « مواهب » .

(٦) البيت بتمامه :

فلمست بمستبِق أخاً لا تُلِّه على شعبي أي الرجال المهذب =

عجبت له لم يَزُرْ تيهاً بنفسه ونحن به نختال تيهاً ونعجب^(١)
ولم يزل على حاله إلى أن انضم على^(٢) فتح الدين قبره وعُدم من كل أحد عليه
صَبْرُه .

وتوفي رحمه الله تعالى في يوم السبت حادي عشر شهر شعبان^(٣) سنة أربع وثلاثين
وسبع مئة ، ودفن يوم الأحد بالقرافة جوار ابن أبي جَمْرَة وابن عطا قبالة خانقاه بكثر
السَّاقِي ، وشيعة خلق كثير من القضاة والأمرء والفقهاء والجند والعوام ، وتقدم للصلاة
عليه قاضي القضاة جلال الدين القزويني . وتَعَجَّب السلطان الملك الناصر محمد من
جنازته الحفلة ، وسأل عنه فعُرِّف بحاله ، فقال : هذا رجل جليل^(٤) القدر مانعطي
وظائفه إلا لمن يكون مثله .

ومولده في العشر الأول من ذي الحجة سنة إحدى وسبعين وست مئة .

وكان من بيت رئاسة وعلم ، كان ابن عمّه أخيراً في زمانه قائداً حاجباً بإشبيلية .
وكان عند الشيخ فتح الدين رحمه الله تعالى كتب كثيرة وأصول جيدة (كصَف)
[ابن أبي شيبَة ، و (مسنده) ، و (جامع) عبد الرزاق ، و (المحلى) ،
(التهيد) ، و (الاستيعاب) ، و (الاستذكار) ، و (تاريخ)]^(٥) الخطيب ،

= وهو للناطقة ، وقد عناه المصنف في قوله : « زياد » .

انظر : ديوان الناطقة الذبياني : ٥٣ ، وشرح أبيات المغني للبغدادي : ١٢٥/٢ .

(١) في الأصل : « إن يزه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٢) في الأصل و (ط) : « من » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « شوال » سهو .

(٤) (س) : « كبير » .

(٥) ما بين حاصرتين زيادة من (س) ، (ط) والوافي .

و (التاريخ المظفرى) ، و (تاريخ ابن أبي خيثمة) و (مسند البزار)^(١) و (معاجم)^(٢) الطبراني . وكان قد تفرّد في وقته بالحديث في الديار المصرية .

أخبرني من لفظه القاضي الرئيس عماد الدين بن القيسراني قال : كان الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد إذا حضرنا درّسه وجاء ذكر أحد من الصحابة أو أحد من رجال الحديث قال : أيش ترجمه هذا يا أبا الفتح ، فيأخذ فتح الدين في الكلام ويسرد والناس^(٣) سكوت ، والشيخ مُصغ إلى ما يقوله . انتهى .

وكان صحيح القراءة سريعتها ، لم أسمع أفصح منه ولا أسرع . وأما خطّه فكان يكتب المصحف في جمعة واحدة ، ويكتب (سيرته) وهي مجلدان كبيران في عشرين يوماً ، وأظنه قال لي : لم أكتب على أحد ، ولم يرَ أحدًا أحلى من خطه ولا أظرف . وقال لي : لم يكن لي في العروض شيخ ، ونظرت فيه جمعة فوضعت فيه مصنفًا ، ورأيت أنا هذا المصنف .

وصنّف (عيون الأثر)^(٤) في فنون المغازي والشمائل والسير (سمعت بعضه من لفظه ، واختصر ذلك وسمّاه (نور العيون)^(٥) وهو عندي بخطّه ، وسمّيته من لفظه ، و (تحصيل الإصابة في تفضيل الصحابة) وسمّيته من لفظه وملكته بخطّه ، (والنفح الشذيّ في شرح الترمذي) ، ولم يكْمُل ، وكان قد سمّاه (العرف الشذيّ) ، فلما اجتمعت به قلت له : سمّه (النفح الشذيّ) ليقابل الشرح بالنفح ، فسمّاه بذلك ، وكتاب (بشرى اللبيب بذكرى^(٦) الحبيب) وقرأته عليه بلفظه مشروحاً ، و (منح

(١) أحمد بن عمرو بن عبد الخالق (ت ٢٩٢ هـ) . الكشف : ١٦٨٢/٢ .

(٢) في الأصل و (ط) : « ومعجم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات . ومعاجم الطبراني ثلاثة مشهورة .

(٣) (س) والوافي : « والناس كلّهم » .

(٤) (س) والوافي : « عيون الستر » ، وما أثبتناه يوافق ما في الكشف : ١١٨٣/٢ ، وهو مطبوع .

(٥) تمامه : في تلخيص سيرة الأمين المأمون . انظر : الكشف : ١١٨٣/٢ .

(٦) في الأصل : « بذكر » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والدرر .

المَدَح) . وسمّته من ^(١) لفظه إلى ترجمة عبد الله بن الزّبرى ، و (المقامات العليّة في كرامات الصّحابة) ^(٢) ، وسمعت قصيدتها المميّة من لفظه .

وكان بيده من الوظائف مشيخة الظاهرية ومدرسة أبي حليقة على بركة الفيل ، ومسجد الرصد ، وخطابة جامع الخندق ، وكانت له رِزْقٌ في الديار المصرية ، ورّاتبه ^(٣) في صفد ، وما رأيت أحداً محظوظاً مثله ، ما رآه أحد إلاّ أحبّه وعظّمه . كان الأمير علّم الدين الدواداري يحبّه ويلازمه كثيراً ويقضي أشغال الناس عنده ، ودخل به إلى السلطان الملك المنصور حسام الدين لاجين وقد امتدحه بقصيدة ، وقال : أحضرت ^(٤) لك هذا وهو كبير من أهل العلم ، فلم يدعّه السلطان يبوس الأرض ، وأجلسه معه على الطّراحة ، وهل قام له أوّلاً ، أنا ^(٥) في شك من ذلك ، ولما رأى خطّه وسمع لفظه قال : هذا ينبغي أن يكون في ديوان الإنشاء ، فرتبّه في ديوان ^(٦) الموقعين ، فرأى الشيخ فتح الدين الملازمة ولُبْسَ الخفّ والمهّاز صعباً عليه ، فسأل الإعفاء من ذلك ، فقال السلطان : إذا كان لا بدّ من ذلك فيكون هذا المعلوم يتناوله على سبيل الراتب ، فرتب له إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وكان الكمالي ينام معه في قرطية النوم ، وكان كريم الدين الكبير يميل إليه كثيراً ويودّه ، ويقضي أشغال الناس عنده ، وهو الذي ساعده على عمل المحضر وإثباته بعداوة قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة .

(١) في الأصل : « وسمعت ومن » ، وأثبتنا ما في (س) و (ط) والوافي ، وهو الأولى .

(٢) اسمه كما في الكشف والدرر : « المقامات العلية في الكرامات الجليلة » . انظر : الكشف ١٧٨٦/٢ .

(٣) في الأصل : « ورأيت » ، تحريف . وفي (س) و (ط) والوافي : « وراتب » .

(٤) (س) : « قد أحضرت » .

(٥) (س) : « وأنا » .

(٦) في (س) والوافي : « في جملة » .

سَمِعَ ^(١) (صحيح البخاري) بقراءته على الحَجَّار ، وتعصَّب له الأمير سيف الدين أرغون النائب وخلص له مشيخة الحديث بالظاهريَّة ، ولم أعرف أحداً من أمراء الدولة ^(٢) إلَّا وهو يحبُّه ويصحبه ويميل إليه ويجمع به ، وإنَّا كان الأمير سيف الدين أَلجاي الدوادار والقاضي فخر الدين ناظر الجيش منحرفين عنه قليلاً ، وكذلك القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل [الله] ^(٣) كان منحرفاً عنه .

وأقمت عنده بالظاهريَّة قريباً من سنتين فكنت أراه في كثير من الأوقات يصلِّي في كلِّ صلاة مرَّات كثيرة ، وسألته يوماً عن ذلك فقال لي : إنَّه خطري يوماً أن أصلي كلِّ صلاة مرتين ففعلت ذلك زماناً فخفَّ عليّ ، فخطري ^(٤) أن أصلي كلِّ صلاة ثلاث مرات ففعلت ذلك زماناً وخفَّ عليّ ، فخطري أن أصلي كلِّ صلاة أربع مرَّات ففعلت ذلك زماناً وخفَّ عليّ ، وأنسيت هل قال لي : خمس مرَّات أو لا .

وكان صحيح العقيدة ، جيّد الذَّهن ، يفهم به النكت العقليَّة ويسارع إليها ، ولكنه جمَّد ذهنه لاقتصاره به على النُّقل ، ولو كان اشتغاله على قدر ذهنه بلغ الغاية القصوى ، ولكن كان عنده لعبٌ ، على أنَّه ماخلف مثله . وكان النِّظم عليه بلا كُلفة ، يكاد لا يتكلَّم إلَّا بالوزن . وفيه قلت أنا :

لي صَاحِبٌ يَتَمَنَّى لي الرِّضَا أَبَدًا كَأَنَّا يَخْتَشِي صَدِّي وَهَجْرَانِي
وَيَغْلِبُ النِّظْمُ أَلْفَاظًا يَفْوُهُ بِهَا فَمَا يُكَلِّمُنِي إِلَّا بِمِيزَانٍ

وكتبت له استدعاء بإجازته لي ، ونسخته بعد الحَمْدَلَّة والصَّلَاة .

« المسؤول من إحسان سيّدنا الشيخ الإمام العالم العلّامة المتّقن الحافظ رحلة

(١) في (س) ، والوافي : « وسمع » .

(٢) في الأصل الظاهريّة ، وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

(٣) زيادة من (س) والوافي .

(٤) عبارة (س) والوافي : « ذلك زماناً ثم خطري لي » .

المحدثين ، قبله المتأديين ، جامع أشتات الفضائل ، حاوي محاسن الأوائل والأواخر :

حَافِظُ السَّنَةِ حِفْظاً لَا تَرَى مَعَهُ أَنْ يُعْمِلَ النَّاسُ الْأَسَنَةَ
مَرْكَزُ الدَّائِرِ مِنْ أَهْلِ النَّهْيِ فَإِلَى مَا قَدْ حَوَى تُثْنَى الْأَعْنَةُ

بديع زمانه ، نادرة أوانه ، ضابط الأنساب على اختلافها ، فهو السيل المتحدّر لابن نقطة ، ناقل العلم الشريف عن سلفه الذي وافق على المراد شرطه ، صاحب ذيل الفخر الذي لو بلغ السمعاني^(١) جعله في الحلية قرطه ، صاحب النقل الذي إذا^(٢) أتى رأيت البحر بأمواجه منه يلتطم ، والعبارة تستبق في مضمار هواته فتزداد وتردحم ، الذي إذا^(٣) ترسّل نقصت عنده ألفاظ الفاضل ، وعجز عن مفاوضته ومعارضته كلّ مناظر ومنازل ، أو نظم ثبت الجوهر الفرد خلافاً للنظام فيما زعم ، وتخطّى بما يبيده فرق الفرقدين ، وترضى النجوم بما حكم ، أو أورد مما قد سمع واقعة مات التاريخ في جلده ، ووقف سيف حاك^(٤) عند حده ، أو استمدّ قلماً كف بصره عنه ابن مقله ، ووقف ابن البوّاب بخدمته يطلب من فضله فضله^(٥) ، فهو الذي تطير أعلامه إلى اقتناص شوارد المعاني فتكون من أنامله ﴿أولي أجنحة مثني وثلاث﴾^(٦) ، وتنبعث فكرته في طلب^(٧) السنّة النبويّة وما يكره الله هذا الانبعاث ، وتبرز مخبّات المعاني بنظمه ومن السّحر إظهار الحبايا ، ويعقّد الألسنة عن معارضته ، وعقّد اللسان لا يكون بغير السّحر في البرايا ، ويستنزل كواكب الفصاحة من سمائها بغير رصد ، ويأتي بألفاظه العذبة ، ونورها للشمس وفحولتها للأسد ، ويحلّ من بيت سيادته بيتاً

(١) عبد الكريم بن محمد صاحب كتاب الأنساب (ت ٥٦٢ هـ) .

(٢) ليست في (س) .

(٣) (س) والوافي : « إن » .

(٤) في الأصل و (س) و (ط) : « حال » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٥) في الأصل : « فصلة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٦) اقتباس من سورة النساء : ٣/٤ .

(٧) (س) والوافي : « خدمة » .

عموده الصبح وطنبه^(١) المجرّة ، ويتوقّل هضبات المنابر ، ويستجنّ حشاً المحارِب
ويطأ بطون الأسيرة ، فتح الدين محمد بن سيّد الناس :

| | |
|--|---|
| لَا زَالَ رَوْضُ الْعِلْمِ مِنْ فَضْلِهِ | أَنْفَاسُهُ طَيِّبَةُ النَّفْحِ |
| وَكَابِدَا نَظْمًا إِلَى نَظْمِهِ | أَبْدَى سَحَابًا دَائِمَ السَّيْحِ ^(٢) |
| وَكَيْفَمَا حَاوَلَهُ طَالِبٌ | فِي الْعِلْمِ لَا يَنْفَكُ ذَا نُجْحِ |
| وَإِنْ غَدَا بَابُ النُّهْيِ مَقْفَلًا | فِي النَّاسِ نَادَاوَا يَا أَبَا الْفُتْحِ |

إجازة^(٣) كاتِبُ هذه الأحرف جميع ما رَوَاهُ من أنواع العلوم ، وَمَا حَمَلَهُ من تفسير
لكتاب الله أَوْ سُنَّةَ عن رسول الله ﷺ ، أَوْ أثر عن الصّحابة والتّابعين رضي الله عنهم
وَمَنْ بعدهم إلى عصرنا هذا بسماعٍ من شيوخه أَوْ بقراءة من لفظه ، أَوْ سماع بقراءة
غيره ، أَوْ بطريق الإجازة خاصة كانت أَوْ عامة أَوْ ياذن أَوْ مُنَاوَلَةً أَوْ وصيّة كيفما تَأْدَى
ذلك إليه ، إلى غير ذلك من كتب الأدب وغيرها ، وإجازة ماله من مقول نظمًا ونثرًا
وتأليفًا وجمعًا في سائر العلوم ، وإثبات ذلك بأجمعه^(٤) إلى هذا التاريخ بخطه إجازة
خاصّة ، وإجازة مألّعه يتفق له بعد ذلك من هذه الأنواع ، فإنّ الرياض لا ينقطع
زهرها والبحار لا تنفذ دررها إجازة عامة على أحد الرايين عند من يجوّزه .

وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

فكتب هو الجواب رحمه الله تعالى :

« بعد حمد الله المحيِب مَنْ دَعَاه ، القريبِ مَنْ نادى نَدَاه ، الذي ابْتَعَثَ مُحَمَّدًا
بأنواره السّاطعة وهداه ، وَأَيَّدَهُ بصحبه الذين حَمَوْا حماه ، وَنَصَرُوهُ على مَنْ غَادَاه ،

(١) في الأصل و (س) و (ط) : « وطنيه » ، وأثبتنا ما في الوافي . والطنب : الحبال للخيمة .

(٢) في الأصل و (ط) : « سجايا » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) خبر للمبتدأ « السؤال » في أول الاستدعاء .

(٤) (س) : « ذلك جميعه » .

وحزبه الذين رَوَوْا سُنَّتَهُ وَرَوَوْا أَسْنَتَهُمْ مِنْ عِدَاهُ ، وَشَفَّوْا بِإِيرَادِ مَنَاهِلِهِ مَنْ كَانَ يَشْكُو صَدَاهُ ، وَأَجَابُوهُ لَمَّا دَعَاهُمْ لِمَا يُحْيِيهِمْ إِبْجَابَةُ الصَّارِخِ صَدَاهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً تُبَلِّغُهُمْ مِنَ الشَّرَفِ الرَّفِيعِ غَايَةَ مَدَاهُ ، وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ تَسْلِيماً يُسَوِّغُهُمْ مَشْرَعَ الرِّضْوَانِ عَذْباً رِيَّةً ^(١) ، سهلاً منتداه .

فلَمَّا كَتَبْتَ أَيُّهَا الصَّدْرُ الَّذِي يَشْرَحُ الصَّدُورَ شِفَاءً ، وَالْبَدْرُ الَّذِي يَبْهَرُ الْعُقُولَ ^(٢) سَنَاءً وَسَنَاءً ، وَالْحَبْرُ الَّذِي غَدَا فِي التَّمَّاسِ أَزْهَارَ الْأَدَبِ رَاغِباً ، وَلَا قَتَبَاسَ أَنْوَارِ الْعِلْمِ طَالِباً ، فَحَصَلَ عَلَى اقْتِنَاءِ فَرَايِدِهَا وَاقْتِنَاصِ شَوَارِدِهَا ، وَأَلْفَى ^(٣) عَقْلُهُ عَقَالَ أَوْبِدِهَا ، وَمَجَالَ مَصَائِدِهَا ، وَمَطَارَ مَطَارِدِهَا ، بِمَا أُودِعَتْ الْأَلْمِيعَةُ مِنَ الْمَعَانِي الْمُبْتَدَعَةِ ذَهْنَهُ ، وَاسْتَعَادَتِهِ ^(٤) عَلَى لِسَانِ قَلَمِهِ وَقَدْ أَلْبَسْتَهُ ^(٥) الْفَصَاحَةَ مِنْ حَسَنِ تِلْكَ الْفُطْنَةِ :

زَهَرَ الْأَدَابُ مِنْهُ يَجْتَنِي حَسَنُ الْإِبْدَاعِ مَا أَبْدَعَ حُسْنَهُ
بَارِعٌ فِي كُلِّ فَنٍّ فَمَتَى قَالَ: قَالَ النَّاسُ: مَا أَبْدَعَ فَنَّهُ ^(٦)
وَمَتَى مَافَاءَ فَاضَ السَّخَرُ عَنْهُ غَامِضُ الْأَفْكَارِ مِنْهُ الْمَرْجَحْنَةُ

فَالْأَدَابُ ، حَرْسُهُ اللَّهُ تَعَالَى ، رِيَاضٌ هُوَ مَجْتَنِي غُرُوسَهَا وَسَمَاءٌ هُوَ مَجْتَنِي أَقْمَارَهَا وَشُمُوسَهَا ، وَبِحَرِّ اسْتَقَرَّتْ لَدَيْهِ جَوَاهِرُهُ ^(٧) وَسَحَرُ حُلَالٍ لَمْ تَنْفُثْ فِي عَصْرِهِ إِلَّا ^(٨) عَنْ قَلَمِهِ سَوَاحِرُهُ ، فَلَمَّا فِي فَنِّي النِّظْمِ وَالنَّثْرِ حَمْلُ الرَّايَتَيْنِ وَسَبْقُ الْغَايَتَيْنِ ، وَحُوزُ الْبِرَاعَتَيْنِ ،

(١) فِي الْأَصْلِ : « رَدِيَّة » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، (ط) وَالْوَافِي .

(٢) فِي الْوَافِي : « الْبَدُور » .

(٣) فِي الْأَصْلِ وَ (ط) : « وَأَلْفَى » ، وَفِي الْوَافِي : « وَأَلْفَى » .

(٤) فِي الْأَصْلِ وَ (ط) : « وَاسْتَفَادَتُهُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) وَالْوَافِي .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « أَلْبَسَهُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، (ط) وَالْوَافِي .

(٦) (س) ، (ط) وَالْوَافِي : « مَا أَبْرَعَ » .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « جَوْهَرَةٌ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، (ط) وَالْوَافِي .

(٨) لَيْسَتْ فِي (س) .

وسرّ الصناعتين ، وهو مَجْمَع البحرين ، فما طُلُ الغمامة ؟ ، وله النظر^(١) الثاقب في دقائقها ، فَمَنْ زُرْقاء اليمامة ، إن سام نظماً فَمَنْ شاعر تَهَامَه ؟ ، وإن شاء إنشاء فله التقدّم على قُدَامِه^(٢) ، فإن وشى طِرساً فما ابن هلالٍ إلّا كالْقَلَامَةِ = أن أجيز لك ما عندي فكأنما ألزمتني أن أتجاوز حَدِّي ، لولا أن الإقرار بأنّ الرواية عن الأقران نهج مَهْيَع ، والاعتراف بأنّ للكبير من بحر الصغير الاعتراف وإن لم يكن مَشْرَعه ذلك الْمَشْرَع . فنعم قد أجزت لك ما رويته من أنواع العلوم وما حملته على الشرط المعروف والعرف المعلوم ، وما تضمنه الاستدعاء الرقيم بخطك الكريم مما اقتدحه زندي الشّاح^(٣) وجادت به لي السجايا الشّاح من فنون الأدب التي باعك فيها من باعي أمد ، وسهمك في مراميها مِنْ سَهْمِي أَسَد . وأذنت لك في إصلاح ما تَعَثَّر عليه من الزلل والوهم والحلل الصادر عن غفلة اعترت النقل ، أو وهلة اعترضت الفهم ، فيما صدر عن قريحتي القريحة من النثر والنظم ، وفيما تراه من استبدال لفظ بغيره ممّا لعله أنجى من المrehob ، أو أنجع في نيل المطلوب ، أو أجرى في سنن الفصاحة على الأسلوب ، وقد أجزت لك إجازة خاصة ، يرى جوازها بعض مَنْ لا يرى جواز الإجازة العامة ، أن تروي عني ما لي من تصنيف أبقيته [في أي معنى انتقيته]^(٤) فمن ذلك ... وذكر رحمه الله تعالى ههنا ماله من التصانيف ، وقد ذكرتها آنفاً . وقد أجزت لك أيّدك الله جميع ذلك بشرط التحري فيما هنالك ، تبركاً بالدخول في هذه الحلبّة ، وتمسكاً باقتفاء السلف في ارتقاء هذه الرتبة ، وإقبالاً من نشر السنّة على ما هو أُمْنِيّة المتّني ، وامثالاً لقوله عليه أفضل الصلّة والسّلام : « بَلِّغُوا عَنِّي »^(٥) فقد أخبرنا أبو العزّ عبد العزيز بن عبد المنعم بن عليّ الحرّاني رحمه الله تعالى بقراءة والذي عليه وأنا أسمع

(١) (س) : « النظم » .

(٢) قدامة بن جعفر ، صاحب كتاب نقد الشعر .

(٣) زند شحاح : لا يوري .

(٤) زيادة من (س) ، (ط) والوافي .

(٥) انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٢٦/١ .

سنة ست وسبعين وست مئة ، قال : أخبرنا أبو علي بن [أبي] القاسم البغدادي ^(١) قراءةً عليه وأنا أسمع منه ^(٢) سنة ست مئة ^(٣) ، وقبل ذلك سنة تسع وتسعين وخمس مئة ، وأنا محضر في الخامسة ، قال : أخبرنا القاضي أبو بكر الأنصاري قاضي للمارستان ^(٤) سماعاً عليه سنة أربع وعشرين وخمس مئة : قال : أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب ^(٥) في سنة ست وأربعين وأربع مئة ^(٦) ، أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي بن أحمد بن يسار ^(٧) السابوري بالبصرة ، حدثنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محويه العسكري حدثنا محمد بن إبراهيم بن كثير الصوري ، حدثنا الفريابي ^(٨) ، عن ابن ثوبان ^(٩) ، عن حسان بن عطية ^(١٠) ، عن أبي كبشة السلولي ، عن عبد الله بن عمرو بن عمرو بن العاص ، قال : قال رسول الله ﷺ : « بلغوا عني ولو آية وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج ، ومن كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار » .
أبو كبشة ^(١١) تابعي ثقة ، والصحيح أنه لا يعرف اسمه .

ومولدي في رابع عشر ذي القعدة سنة إحدى وسبعين وست مئة بالقاهرة ، وفي

- (١) أحمد بن علي بن الحرث البغدادي ، ضياء بن أبي القاسم (ت ٦٠٢ هـ) ، العبر : ٥/٥ ، وما بين حاصرتين زيادة من الوافي والعبر .
- (٢) ليست في (س) ، (ط) والوافي .
- (٣) في الأصل : « سنة ست وسبعين وست مئة » ، وهو سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .
- (٤) محمد بن عبد الباقي بن محمد (ت ٥٣٥ هـ) السير : ٢٣/٢٠ .
- (٥) (ت ٤٦٣ هـ) ، السير : ٢٧٠/١٨ .
- (٦) في الوافي : زيادة : « قال » .
- (٧) (س) ، (ط) والوافي : « بشار » .
- (٨) في الأصل : « الفريابي » ، وأثبتنا ما في الوافي ، وهو محمد بن يوسف بن واقد (ت ٢١٢ هـ) . السير : ١١٤/١٠ .
- (٩) محمد بن عبد الرحمن بن ثوبان العامري . الوافي : ٢٢١/٣ .
- (١٠) حسان بن عطية الدمشقي (ت نحو ١٢٠ هـ) ، الوافي : ٣٦٣/١١ .
- (١١) في (س) ، (ط) زيادة : « السلولي » .

هذه السنة أجاز لي الشيخ المُسَنِّد نجيب الدين أبو الفَرَج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحَرَّاني ، وكان أبي رحمه الله يخبرني أنه كُنَّاني ، وأجلسني في حجره ، وكان يسأله عني بعد ذلك . وأجاز لي بعده جماعة .

ثم في سنة خمس وسبعين حضرت مجلس سماع الحديث عند جماعة من الأعيان ، منهم الخبر الإمام شيخ الإسلام شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد المقدسي ابن أخي الحافظ عبد الغني المقدسي ، وأثبت اسمي في الطباق حاضراً في الرابعة .

ثم في سنة خمس وثمانين كتبت الحديث عن شيخنا الإمام قطب الدين أبي بكر محمد بن أحمد بن القسطلاني رحمه الله بخطي ، وقرأت عليه بلفظي ، وعلى الشيوخ من أصحاب المسند أبي حفص بن طبرزد والعلامة أبي اليمن الكندي والقاضي أبي القاسم الحارستاني والصوفي أبي عبد الله بن البنا وأبي الحسن بن البنا ، وغيرهم بمصر والإسكندرية والشام والحجاز وغير ذلك .

وأجاز لي جماعة من الرواة بالحجاز والعراق والشام وإفريقية والأندلس وغيرهم يطول ذكرهم .

وحبذا ، أيَّدك الله ، اختيارك من طلب الحديث الدرجة العالية ، وإيثارك أن تكون مع الفرقة الناجية ، لا الفرقة التاوية^(١) ، فقد أخبرنا الشيخان أبو محمد عبد اللطيف وعبد العزيز ابنا الشيخ أبي محمد عبد المنعم بن علي بن نصر بن منصور بن الصيقل الحرَّاني ، الأول إجازة ، والثاني سماعاً قالاً : أخبرنا ضياء بن الخريف ، محمد بن عبد الباقي ، أخبرنا أبو بكر الخطيب ، أخبرنا أبو نعيم الحافظ ، أخبرنا أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير^(٢) اللخمي ، حدثنا محمد بن

(١) أي : المالكة .

(٢) في الأصل : « مطر » ، تحريف ، ووفاته سنة (٣٦٠ هـ) ، السير : ١١٩/١٦ .

أحمد بن هاشم البعلبكي ، حدثنا عبد الملك بن الإصبع البعلبكي : حدثنا الوليد بن مسلم ، حدثنا الأوزاعي ، حدثني قتادة ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله ﷺ : « إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ افْتَرَقَتْ عَلَى إِحْدَى وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ، وَإِنْ أُمِّي سَتَفْتَرِقُ عَلَى ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةً ، وَهِيَ الْجَمَاعَةُ ^(١) » .

وبالإسناد إلى الخطيب ^(٢) : حدثنا عبد الله بن أحمد بن علي السوذرجاني بأصبهان قال : سمعت عبد الله بن القاسم يقول : سمعت أحمد بن محمد بن رُوِّه يقول حدثنا إبراهيم بن محمد بن الحسن قال : حَدَّثْتُ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، وَذَكَرَ حَدِيثَ النَّبِيِّ ﷺ « تَفْتَرِقُ الْأُمَّةُ عَلَى ثِيْفٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا فِرْقَةً وَاحِدَةً ^(٣) » فَقَالَ : إِنْ لَمْ يَكُونُوا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ فَلَا أَدْرِي مَنْ هُمْ .

وبه إلى أبي بكر الخطيب قال : حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ قَالَ : أَخْبَرَنِي أَبُو الْقَاسِمِ بْنُ سَخْتَوِيهِ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا الْعَبَّاسِ أَحْمَدَ بْنَ مَنْصُورَ الْحَافِظَ بِصُورَ يَقُولُ : سَمِعْتُ أَبَا الْحَسَنِ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بَشَرٍ نَفْسًا يَقُولُ : رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَامِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ : مَنْ الْفِرْقَةُ النَّاجِيَةُ مِنْ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً ؟ قَالَ : أَنْتُمْ يَا أَصْحَابَ الْحَدِيثِ .

وبه إلى الخطيب قال : أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَصْبَهَانِيُّ حَدَّثَنَا الْحُسَيْنُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْوَلِيدِ التَّسْتَرِيِّ بِهَا . حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ يَوْسُفَ بْنِ مَسْعُودَةَ إِمْلَاءً ، قَالَ : سَمِعْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنَ مُحَمَّدٍ ^(٤) بْنِ سَلَامٍ يَقُولُ : أَنْشَدَنِي عَبْدَةُ بْنُ زِيَادٍ الْأَصْبَهَانِيُّ ^(٥) مِنْ قَوْلِهِ :

(١) انظر : الجامع الصغير ٤٨/١ ، وجامع الأصول .

(٢) في الوافي ، زيادة : « قال » .

(٣) ليست في (س) والوافي .

(٤) ليست في الوافي .

(٥) ليست في (س) .

دَيْنُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ أَخْبَارُ نِعَمَ اللَّطِيفَةِ لِلْفَتَى الْآثَارُ
لَا تُخْدَعَنَّ عَنْ الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ فَالرَّأْيُ لَيْلٌ وَالْحَدِيثُ نَهَارُ
وَلَرَبَّنَا غَلَطَ الْفَقِي سُبُلَ الْهَدَى وَالشَّمْسُ بِازْغَعَةٍ لَهَا أَنْوَارُ

وأنشدني والدي أبو عمرو محمد ، قال : أنشدني والدي أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيّد الناس رحمهما الله تعالى قال : أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج النباقي^(١) قال : أنشدني أبو الوليد سعد السعوي بن أحمد بن هشام^(٢) قال : أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد بن عبد الملك قال : أنشدنا أبو أسامة يعقوب ، قال : أنشدني والدي الفقيه الحافظ أبو محمد بن حزم^(٣) لنفسه :

مَنْ عَذِيرِي مِنْ أَنْاسٍ جَهَلُوا ثُمَّ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أَهْلُ النَّظَرِ
رَكِبُوا الرَّأْيَ عِنَادًا فَسَرُوا فِي ظُلَامٍ تَاءَ فِيهِ مَنْ غَبَرَ
وَطَرِيقُ الرَّشْدِ نَهْجٌ مَهْيَعٌ مِثْلًا أَبْصَرْتُ فِي الْأَفْصَقِ الْقَمَرِ
وَهُوَ الْإِجْمَاعُ وَالنَّصُّ الَّذِي لَيْسَ إِلَّا فِي كِتَابٍ أَوْ أَثَرِ

والله المسؤول أن يلهمنا رشداً يدلّنا عليه ، ودلالة تهديننا إلى ما يُزِلُّفُنَا لَدَيْهِ ، وهداية يسعَى نُورُهَا بَيْنَ أَيْدِينَا^(٤) إِذَا وَقَفْنَا يَوْمَ الْعَرْضِ بَيْنَ يَدَيْهِ بِنِّهْ وَكْرَمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

وكنت بصفد لما بلغتني وفاته رحمه الله تعالى :

فَلَقَدْ أَلِمْتُ فَمَا الْحِمَامُ بِصَادِحٍ أَسْفَاً وَلَا أَعْصَانَهَا بِمَوَائِسِ^(٥)

- (١) في الأصل : « البناني » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) والوافي ، وترجم له المؤلف في الأحدين من الوافي : ٤٥/٨ ، وفيه أنه يعرف بالعشّاب ، وهو أندلسي (ت ٦٣٧ هـ) .
- (٢) ويعرف بابن عفير ، فقيه ظاهري أندلسي (ت ٥٨٨ هـ) ، الوافي : ١٨٢/١٥ .
- (٣) في الوافي : « خزم » ، تصحيف .
- (٤) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ الحديد : ١٢/٥٧ .
- (٥) (س) : « بموائس » ، تحريف .

قلت أرثيه رحمه الله تعالى :

مَا بَعْدَ فَقْدِكَ لِي أُنْسٍ أَرْجِيهِ
إِنْ مِتُّ بَعْدَكَ مِنْ وَجْدٍ وَمِنْ حَزَنِ
وَمَنْ يُعْلَمُ فِيكَ الْوُزْقَ إِنْ جَهِلْتُ
أَمَّا لَطَافَةُ أَنْفَاسِ النَّسِيمِ فَقَدْ
وَإِنْ تَرَشَّقْتُ عَذْبَ الْمَاءِ أَذْكَرَنِي
يَا رَاحِلًا فَوْقَ أَغْنَاقِ الرِّجَالِ وَأَجْدُ
وَذَاهِبًا سَارَ لَا يَلُوي عَلَى أَحَدٍ
وَمَاضِيًا غَفَرَ اللَّهُ الْكَرِيمُ لَهُ
وَبَاتَ بِالْحُورِ وَالْوُلْدَانِ مُشْتَغَلًا
حَتَّى غَدَا فِي جَنَانِ الْخُلْدِ مُبْتَهَجًا
لَهْفِي عَلَى ذَلِكَ الشَّخْصِ الْكَرِيمِ وَقَدْ
وَحِيرْتِي فِيهِ لَا تَقْضِي عَلَيَّ وَلَا
أَجْزِي الْأَسَى عَبْرَاتِي كَالْعَقِيقِ وَقَدْ
يَا وَحْشَةَ الدَّهْرِ فِي عَيْنِ الْأَنَامِ فَقَدْ
وَوَحْشَةَ الدَّرْسِ إِنْ تُنْشِرْ مُلَاءَتُهُ
يَا حَافِظًا ضَاعَ نَشْرُ الْعِلْمِ مِنْهُ إِلَى
صَانَ الرِّوَايَةِ بِالْإِسْنَادِ فَاُمْتَنَعَتْ
وَاسْتَضَعَفَتْ بَارِقَاتُ الْجَوِّ أَنْفُسَهَا
حَفِظْتَ سُنَّةَ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ فَمَا

وَلَا سُرُورَ مِنَ الدُّنْيَا أَقْضِيهِ
فَحَقُّ فَضْلِكَ عِنْدِي مَنْ يُوقِيهِ
نُوحَاهَا أَوْ تَنَاسَّتُهُ فَتُمْلِيهِ
نَسِيْتُهَا غَيْرَ لُطْفٍ كُنْتُ تُبْدِيهِ
زُلَالُهُ خُلُقًا قَدْ كُنْتُ تَحْوِيهِ
فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَحْتَ الْعَرْشِ تَبْكِيهِ
وَالذِّكْرُ يَنْشُرُهُ وَاللَّحْدُ يَطْوِيهِ
بِاللُّطْفِ حَاضِرُهُ مِنْهُ وَبَادِيهِ
إِذَا أَقْبَلْتُ تَهَادَى فِي تَلْقَائِهِ
وَالْقَلْبُ بِالْحَزَنِ يَفْنَى فِي تَلْطِئِهِ
دَعَاةَ نَحْوِ الْبَلَى فِي التَّرَبِّ دَاعِيهِ
تَقْضَى لَوَاعِجُهَا حَتَّى أَوْقِيهِ (١)
أَصَمَّ سَمْعِي وَأَصَمَى الْقَلْبَ نَاعِيهِ (٢)
خَلَّتْ وَجْوهُ اللَّيَالِي مِنْ مَعَانِيهِ
وَلَمْ تُطَرِّزْ حَوَاشِيهَا أَمَالِيهِ (٣)
أَنْ كَادَ يَعْرِفُهُ مَنْ لَا يُسَمِّيهِ
تُغَوِّرُهَا حِينَ خَاطَبَتْهَا عَوَالِيهِ
فِي فَهْمٍ مُشْكِلَةٍ عَنْ أَنْ تُجَارِيهِ
أَرَاكَ تَمْسِي مُضَاعًا عِنْدَ بَارِيهِ (٤)

(١) (س) ، (ط) والوافي : « أوافيه » .

(٢) في الوافي : « جرى » ، وفي (س) : « أَسْرَى » .

(٣) في الوافي : « الدهر إن تنثر » .

(٤) في الأصل : « أراك تمشي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

لِلَّهِ دَرَكٌ مِنْ حَبْرٍ تَبَحَّرَ فِيهِ
وَهَلْ يَخِيبُ مَعَاذَ اللَّهِ سَعْيُ فَقٍّ
يَكْفِيهِ مَا خَطَّهُ فِي الصَّحْفِ مِنْ مَدْحِ النَّدِ
عَزَّ الْبُخَارِيُّ فِيهَا قَدْ أُصِيبَ بِهِ
كَأَنَّهُ مَا تَحَلَّى سَمْعُ حَاضِرِهِ
رَوَايَةُ زَاهَا مِنْهُ بِمَعْرِفَةِ
يَا رَحِمَتَاهُ لِشَرْحِ التِّرْمِذِيِّ فَمَنْ
لَوْ كَانَ أَمَهْلَةً دَاعِي الْمَنُونِ إِلَى
لَكَانَ أَهْدَاهُ رَوْضًا كُلُّهُ زَهْرٌ
مَنْ لِلْقَرِيضِ فَلَمْ أَعْرِفْ لَهُ أَحَدًا
مَا كَانَ ذَاكَ الَّذِي تَلْقَاهُ يَنْظُمُهُ
يَهْزُ سَامِعَهُ حَتَّى يَخِيلَ لِي
وَمَنْ يُعْمِرُ عَلَى الْقِرْطَاسِ رَاحَتَهُ
مَا كُلُّ مَنْ خَطَّ فِي طَرَسٍ وَسَوْدَهُ
وَلَا تَخْلُ كُلُّ مَنْ فِي كَفِّهِ قَلَمٌ
هِيَهَاتَ مَا كَانَ فَتَحَ الدِّينَ حِينَ مَضَى
كَمْ حَازَ فَضْلًا يَقُولُ الْقَائِلُونَ لَهُ
لَا تَسْأَلِ النَّاسَ سَلْنِي عَنْ خِلَاقِهِ
مَاذَا أَقُولُ وَمَا لِلنَّاسِ مِنْ صِفَةٍ
كَالشَّمْسِ كُلِّ الْوَرَى تَدْرِي مُحَاسِنَهَا
سَقَى الْغَمَامُ ضَرْيحًا قَدْ تَضَمَّنَهُ

عِلْمُ الْحَدِيثِ فَمَا خَابَتْ مَسَاعِيهِ ^(١)
فِي سُنَّةِ الْمُصْطَفَى أَفْنَى لِيَالِيهِ
جِيَّ يَكْفِيهِ هَذَا الْقَدْرُ يَكْفِيهِ
مَاتَ الَّذِي كَانَ بَيْنَ النَّاسِ يَدْرِيهِ
بِلَفْظِهِ عِنْدَمَا يَرَوِي لَأَلِيهِ
مَا كُلُّ مَنْ قَامَ بَيْنَ النَّاسِ يَرَوِيهِ
يَضُمُّ غَرْبَتَهُ فِينَا وَيُؤْوِيهِ
أَنْ تَنْتَهِيَ فِي أَمَالِيهِ أَمَانِيهِ
أَنَا مِلُّ الْفِكْرِ فِي مَعْنَاهُ تَجْنِيهِ
سِوَاهُ رَقَّتْ بِهِ فِينَا حَوَاشِيهِ
شِعْرًا وَلَكِنَّهُ سَجَرٌ يُعَانِيهِ
كَأْسُ الْحُمَيَّا أَذَارَتْهَا قَوَافِيهِ ^(٢)
فَيَنْبُتُ الزُّهْرُ غَضًّا فِي نَوَاحِيهِ
بِالْحَبْرِ تَغْدُو بِهِ بَيْضًا لِيَالِيهِ
إِذَا دَعَاهُ إِلَى مَعْنَى يَلْبِيئِهِ
وَاللَّهُ إِلَّا فَرِيدًا فِي مَعَالِيهِ
لَوْ جَارَكَ اللَّيْلُ لَا يُبْضِتُ لِيَالِيهِ ^(٣)
لِتَأْخُذَ الْمَاءَ عَنِّي مِنْ مَجَارِيهِ
مَحْمُودَةٌ قَطُّ إِلَّا رُكِبَتْ فِيهِ
وَالْكَافُ زَائِدَةٌ لَا كَافُ تَشْبِيهِ
صَوْبًا إِذَا أَنْهَلَ لَا تَرَقَا غَوَادِيهِ

(١) (س)، (ط) والوافي: «لله سعيك».

(٢) في الأصل: «الحيا»، وأثبتنا ما في (س)، (ط) والوافي.

(٣) في (س)، (ط) والوافي: «دياجيه».

وَبَاكَرْتُهُ تَحِيَّاتٍ نَوَافِحَهَا مِنْ الْجَنَانِ تَحِيَّهِ فَتَحِيَّهِ
وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ لَمَّا قَدِمْتُ إِلَى دِمَشْقٍ مِنَ الْقَاهِرَةِ :

كَانَ سَمْعِي فِي [مِصْرَ] بِالشَّيْخِ فَتَحِ الدِّينِ يَجْنِي الْأَذَابَ وَهِيَ شَهِيَّةٌ^(١)
يَالَهَا غُرْبَةً بِأَرْضِ دِمَشْقٍ أَعَوَزْتَنِي الْفَوَاكِهَ الْفَتْحِيَّةَ
وَكُتِبَتْ إِلَيْهِ :

يَا حَافِظًا كَمْ لِرَوَايَاتِهِ مِنْ جَنَّةٍ فِي بَطْنِ قُرْطَاسٍ
وَكَمْ شَذَى مِنْ سُنَّةِ الْمُصْطَفَى قَدْ ضَاعَ مِنْ حِفْظِكَ لِلنَّاسِ
وَكُتِبَتْ عَلَى كِتَابِهِ (بُشْرَى اللَّيْلِ) :

بُشْرَى اللَّيْلِ لِأَبِ النَّظْمِ لِلْبُشْرِ
لَمَّا بَدَا الشَّيْخُ فَتَحَ الدِّينَ يَنْظُمُهُ
بِحُجْرٍ وَلَكِنَّهُ أَهْدَى الدَّرَارِي وَالْ
تَجَلُّوْا عَلَيْكَ مَعَانِيهِ الْعَرَائِسَ فِي
فِي مَدْحِ سَيِّدِنَا الْمُخْتَارِ مِنْ مُضَرٍ
تَأَرَّجَتْ نَسْمَةُ الْأَصَالِ وَالْبُكَرِ
بِحُجْرٍ مِنْ شَأْنِهَا الْإِتْيَانُ بِالْدَّرَرِ
يَبُتُّ مِنَ الشُّعْرِ لَا يَبُتُّ مِنَ الشُّعْرِ

وَبَيْنِي وَبَيْنَهُ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مَكَاتِبَاتٌ كَثِيرَةٌ . كُتِبَتْ^(٢) إِلَيْهِ مِنَ الرَّحْبَةِ وَهُوَ :

سَلُّوا نَسْمَةَ الْوَادِي إِذَا هِيَ هَبَّتْ
فَكَمْ لِي فِي أَثْنَائِهَا مِنْ رِسَالَةٍ
وَمَا طَابَ رِيَاهَا إِلَى أَنْ تَضَمَّتْ
إِذَا عَانَقَتْ فِي الرُّوضِ أَغْصَانَ بَانِهِ
وَإِنْ نَبَهَتْ وَرُقَ الْحَمَائِمُ أَعْلَنْتُ
سَحِيرًا وَهَزَّتْ فِي الرَّبَا كُلِّ أَيْكَةٍ
أَضْمَنْهَا شَوْقِي إِلَيْكُمْ وَوَحْشَتِي^(٣)
تَنَائِي عَلَى عَلَيَائِكُمْ وَتَحِيَّتِي
حَكَتْ خَطَرَاتِ الْغَيْدِ لَمَّا تَثْنَتْ
وَأَغْنَتْ عَنِ الْأَوْتَارِ لَمَّا تَغْنَتْ

(١) الزيادة من (س) ، (ط) والوافي .

(٢) (س) : « منها ما كتبت » .

(٣) (س) : « من أثنائها » .

وَإِنْ سَحَبْتُ ذَيْلًا بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى
وَإِنْ صَافَحْتُ وَجَةَ الرِّيَاضِ فَإِنَّا
فَعَمَّوْا بِإِهْدَاءِ السَّلَامِ عَلَى فَقَى
يَقْبَلُ مِنْ فَرْطِ الْجَوَى عَتَبَاتِكُمْ
وَيُنْشُرُ مِنْ طِيبِ الثَّنَاءِ عَلَيْكُمْ
وَيُثَبِّكِي إِذَا مَا اسْتَخْبَرَ الْبَرْقَ عَنْكُمْ
وَإِنْ رَتَّلَ الذِّكْرَى تَدَاعَتْ صَبَابَةٌ
وَلَمَّا رَأَتْ رِيحَ الصَّبَا مَا تَكْنَهُ
رَعَى اللَّهُ أَيَّامًا تَقْضَتْ بِقُرْبِكُمْ
وَلَا شَكَرَ الرَّحْمَنُ أَيَّامَ يَتِينِنَا
وَلَوْ أَنْصَفَ الدَّهْرُ الْخَوُونَ الَّذِي قَضَتْ
لَمَّا سِرْتُ عَنْ ذَاكَ الْجَنَابِ الَّذِي حَوَى
وَلَوْ كَانَ [يُشْرَى] الْقُرْبُ بِالنَّفْسِ مَا غَلَا
عَسَى الدَّهْرُ أَنْ يَذْنِي إِلَى ظِلِّ قُرْبِكُمْ
وَوَاللَّهِ مَا حَالَتْ عَنْ الْعَهْدِ مُهَجِّي
وَمَا ضَرَّكُمْ لَوْ زَارَ طَيْفُ خِيَالِكُمْ
وَكَيْفَ يَخُوضُ الطَّيْفُ لُجَّ مَدَامِعِي

فكتب هو الجواب عن ذلك :

تَحَلَّ عُرَى أَزْهَارِهِ حَيْثُ حَلَّتِ^(١)
تَقْبَلُ مِنْ أَوْطَانِكُمْ كُلِّ تَرْبَةٍ
تَرَدَّدَ مِنْهُ الرُّوحُ فِي جِسْمِ مَيِّتِ^(٢)
وَذَلِكَ فَرَضَ عِنْدَهُ غَيْرُ سُنَّةِ
مُحَاسِنٍ يُنْسِي نَشْرَهَا كُلَّ رَوْضَةٍ
وَقَدْ بَسَمَتْ مِنْهُ تُغَوِّرُ الدُّجْنَةَ
لَهُ الْوَرَقُ فَارْتَاخَتْ وَنَاحَتْ وَحَنَتْ
أَضَالِعُهُ اعْتَلَّتْ لِذَاكَ وَأَنْتِ
وَحِيًّا مَحَلًّا كُنْتُمْ فِيهِ جِيرَتِي
فَلَيْسَتْ سَوَاءً وَالَّتِي قَبْلُ وَلَّتِ
صُرُوفُ لِيَالِيهِ بِنْيَى وَفِرْقَتِي
مِنْ الْفَضْلِ وَالْعَلْيَاءِ كُلِّ عَظِيمَةٍ
وَمَنْ لِي لَوْ نِلْتُ أَلْمَنَى بِالْمَنِيَّةِ^(٣)
مُحِبًّا رَأَى فِي الْبُعْدِ كُلَّ مَشْقَةٍ
وَكَمْ مَرْهَفَاتٍ لَوْ تَسَلَّتْ لَسَلَّتِ
فَخَفَّفَ مِنْ وَجْدِي وَنَفْسَ كُرْبَتِي
وَمِنْ بَعْدِكُمْ تَعْرِفُ النَّوْمَ مُقْلَتِي

(١) في الأصل : « حين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٢) أفاد من بيت المتنبي :

روح ترقد في مثل الخلال إذا
أطارت الريح عنه الثوب لم يبين

ديوانه ١٨٦/٤ .

(٣) زيادة من (س) ، (ط) .

مَنْتَ بِنُعْمَى بَلَّغْتَ كُلَّ مُنِيَّةٍ
 وَأَهْدَتْ إِلَى قَلْبِي الْجَرِيحَ قَرَارَهُ
 مُشْرِفَةً لَمْ يَأْتِ عَصْرٌ بِمِثْلِهَا
 وَصَلَتْ بِهَا عَهْدَ الْمَسْرَةِ مُحْسِنًا
 وَتَرَفَّتْ مِنْ ذِكْرِي وَشَنَّفَتْ مَسْمَعِي
 فَهِيَ أَنَا مِنْهَا فِي صُعُودٍ كَأَنَّا
 وَأَهْدَيْتَهَا عَذْرَاءَ بِالْحَسَنِ أَفْرَدْتُ
 جَلَّتْ كُلَّ مَعْنَى مِنْ بَدِيعِكَ بَاهِرٍ
 وَنَادَتْ قَلْبُهَا الْمَعَانِي مُجِيبَةً
 حَوَتْ قَصَبَاتِ السَّبْقِ فِي كُلِّ غَايَةٍ
 فَمِنْ دُرِّ نَظْمٍ لَا يَسَامُ لِمَفْلِسٍ
 وَمِنْ وَشْيٍ خَطٍ فِيهِ نَزْهَتْ نَاطِرِي
 إِلَيْكَ صَلاَحَ الدِّينِ أَشْكُو صَبَابِي
 أَقُولُ بَأَنَّ الْقَلْبَ مَثْوَاكَ دَائِمًا
 وَأَشْكُرُ أَيَّامًا تَقْضَتْ بِقُرْبِكَ
 وَأَشْكُو لَكَ الْأَيَّامَ تِلْكَ بَعَيْنَهَا
 تَصَدَّتْ لَنَا بِالْوَصْلِ تَطْمِعُنَا بِهِ
 وَلَوْ أَنَّهَا مَنَّتْ بِطَوْلِ بَقَائِهَا
 لَعَمْرِي أَشْوَاقِي إِلَيْكَ شَدِيدَةٌ
 وَإِنِّي لَمَّا سِرْتُ عَنِّْي وَلَمْ أَكُنْ
 تَنَاءَيْتَ عَنْ طَرْفِي وَأَنْتَ بِمُهْجَتِي

وَنَلْتُ بِهَا الْمَأْمُولَ قَبْلَ مَنِّي
 وَجَادَتْ عَلَى طَرْفِي الْقَرِيحَ بِقَرَّةٍ
 سَقَتْ دَارَ مُهْدِيهَا سَوَافِجَ عِبْرَتِي
 وَأَنْعَمْتَ لِي مِنْهَا بِأَحْسَنِ وَصْلَتِي
 وَأَعْلَيْتَ مِنْ قَدْرِي وَأَعْلَيْتَ قِيَمَتِي
 أَحَاوِلُ مَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ ثُورَتِي^(١)
 وَمَا بَيْنَ أَغْصَانِ الْيَرَاعِ تَشَنَّتْ
 وَأَبَدْتُ فَنُونًا مِنْ عُلُومِكَ جَلَّتْ
 وَلَوْ غَيْرُهَا نَادَى الْمَعَا فِي لَنَدَتْ
 فَلَمْ تَكُ فِيهَا كَالَّتِي قَبْلُ كَلَّتْ
 وَمِنْ ثَرْدٍ لَا يَسَامِي بِنَثْرَةٍ
 وَمِنْ سِحْرِ مَعْنَى فِيهِ أَنْشَأَتْ نَشَائِي
 وَأَرْفَعُ فِيمَا رَابَنِي مِنْكَ قِصَّتِي
 وَأَشْكُو إِلَيْكَ الشُّوقَ فِي كُلِّ لَحْظَةٍ
 وَقُلْ لَهَا شُكْرِي وَإِنْ هِيَ حَلَّتْ
 فَأَعْجَبُ مِنْ شُكْرِي لَهَا وَشَكِيَّتِي
 فَلَمَّا أَجَبْنَاهَا تَجَنَّتْ وَصَدَّتْ^(٢)
 جَنَيْنَا نَارَ الْوَصْلِ مِنْ حَيْثُ مَنَّتْ
 فَهَلْ تُفْرِجُ الْأَيَّامَ بِالْقُرْبِ كُرْبَتِي
 بِدَارِي لِبُعْدِي عَنْكَ فِي دَارِ غُرْبَتِي
 فَهَا بَصْرِي يَشْكُو إِلَيْكَ بَصِيرَتِي

(١) (س) : « أنا مني » .

(٢) (س) : « تصدَّت وجنت » .

يَقْبَلُ كَذَا وَيُنْهِي وَرُودَ الْمُشْرِفِ فَأَكْرِمَ بِهِ وَارَادَا ، وَأَعَزَّزَ عَلَيَّ بِهِ وَافِدَا ، يَجْلُو عَلَى
الْأَبْصَارِ مَا شَاءَ مِنْ زَيْنَ ، وَيَجْلِي عَنِ الْبَصَائِرِ مَا شَاءَ مِنْ رَيْنَ ، حَائِزًا مِنْ نَظْمِهِ وَنَثَرِهِ
رِيحَ الصَّنَاعَتَيْنِ ، فَائِزًا مِنْ سَحَرٍ^(١) بَيَانِهِ وَدَرَّ بَنَانِهِ بِأَمَدِ الشَّرَفَيْنِ ، وَالسَّبَقِ فِي
الطَّرْفَيْنِ ، وَالْإِسْتِيلَاءِ عَلَى الْأُمْدَيْنِ^(٢) ، وَالْإِسْتِعْلَاءِ عَلَى الصَّدْفَيْنِ^(٣) ، فَدَا الْمُلُوكَ إِلَيْهِ
رَاحَتَهُ ، وَاسْتَمَدَّ مِنْهُ رَاحَتَهُ ، وَأَدَارَ مِنْهُ رَاحَةً ، وَأَلْفَى^(٤) لَدَيْهِ انْشِرَاحَهُ ، وَنَالَ بِهِ عَلَى
الدَّهْرِ اقْتِرَاحَهُ ، بَعْدَمَا وَجَدَ مِنْ فِرَاقٍ مِنْ بِهِ وَجَدَ ، وَقَدْ أَضْرَمَ بَقْلِيهِ مِنْ نَارِ الْخَلِيلِ
لِفَقْدِ الْخَلِيلِ مَا وَقَدَ ، فَرَاحَ كُلِّمِ اشْتِيَاقٍ فِي أَلَمِ احْتِرَاقٍ ، يَنَادِي بِلِسَانِ الْأَشْوَاقِ :

قَدْ لَسْتُ حَيَّةَ النَّوَى كَبْدِي وَلَا طَبِيبَ لَهْـلَا وَلَا رَاقٍ

[فَوَافَتِهِ وَقَدْ شَطَبَتِ الدَّارَ ، وَتَنَادَى عَنْهُ الْمَزَارَ ، تَحِيَّةَ بَاهِي بِلُطْفِهَا الصَّبَا]^(٥)

وَبَاهِرٍ فِي حُسْنِهَا شَمْسِ الضُّحَى ، وَبِعَرَفِهَا زَهْرَ الرَّبَا ، فَقَالَ يَا بَشْرَايَ بَعْهَدِهَا الْوَفَى
وَجَاهِلُهَا الْيُوسُفِي ، أَصْدَرْتَ عَنْ بَشْرٍ أَمَ مَلِكُ^(٦) ، أَمْ عَنْ مَلِكِ الْبَلَاغَةِ الَّذِي مَلِكٌ مِنْ دَرٍّ
الْقَوْلِ مَا مَلِكٌ ، وَتَرَكَ لَغَيْرِهِ مِنْ مَخْشَلِبِهِ مَا تَرَكَ ، وَأَمَّا فَقَدَهُ ، حَرَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٧) ،
وَهُوَ بِدَمَشَقِ الْفَوَاكِهِ الْفَتْحِيَّةِ ، فَقَدْ وَقَفَ الْمُلُوكُ عَلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ تِلْكَ التَّحِيَّةُ ، وَهَزَّتْ
مِنْهُ عِطْفًا لَتِلْكَ الْأَرِيحِيَّةِ ، وَإِنَّا يَجْتَنِي كَمَا قَالَ الْمُقَرَّرُ الشَّهَابِيُّ حَرَسَةَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ غَرَسٍ
بَدَأَ صِلَاحَهُ ، وَرَوَّضَ فَلَاحَهُ ، وَتَفْتَحَ زَهْرَهُ فِرَاقَ اخْتِتَامِهِ بِالْمَسْكِ وَافْتِتَاحِهِ ، الْمُلُوكُ
يَلْتَمِسُ التَّشْرِيفَ بِخَدَمِهِ وَمَرَاسِيهِ وَمَهْمَاتِهِ ، وَاللَّهُ يَحْرُسُهُ فِي حَرَكَاتِهِ وَسَكَنَاتِهِ ، إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى .

(١) (س) : « بِسَحَر » .

(٢) الْأُمْدَانُ : ابْتِدَاءُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَانْتِهَائِهِ .

(٣) الصَّدْفَانُ : نَاحِيَتَا الْجَبَلِ ، وَقِيلَ : جَبَلَانِ مُتَلَاقِيَانِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ .

(٤) (س) ، (ط) : « وَأَلْفَى » .

(٥) زِيَادَةُ مِنْ (س) .

(٦) يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى فِي صِفَةِ (يُوسُفَ) عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾

يُوسُفَ ٣١/١٢ .

(٧) قَوْلُهُ : « حَرَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى » ، لَيْسَ فِي (س) .

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

أَهْلًا بِهَا مِنْ تَحِيَّةٍ صَدَرَتْ
يَا حُسْنَ مَا سَطَرْتُ أَنَامِلُهَا
فَضَضْنَ عَنْهَا خِيَامَهَا فَإِذَا
فَشَّرَفْتَنِي وَشَنَّفْتُ أَذْنِي
أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لَوْ تَقَابَلَهَا الذُّ
وَلَوْ دَرَّتْ نَسَمَةٌ بِرِقَّتِهَا
فَلَيْسَ لِلْمُقَلَّةِ الْكَحِيلَةِ مَا
وَلَا لِكَأْسِ الْمُدَامِ نَشْوَتُهَا
لِلأَدَبِ الْغَضِّ فِي حَدِيقَتِهَا
بَالَفَتْ فِي سِحْرِكَ الْحَلَالِ فَكَمْ
وَزِدْتُ لُطْفًا فَهَلْ بَعَثَتْ بِهَا
سُبْحَانَ مُعْطِيكَ فَطْرَةَ غَلَبْتُ
وَرَاحَةَ مَا انْطَوَتْ عَلَى قَلَمٍ
مَنْ ذَا الَّذِي فِي الْعَلَا يُطَاوِلُهَا
لَا مَتَعْتُ مُقْلَتِي بِرُؤْيَيْتِهَا
مُذْ بَرَدَتْ حَرَقَتِي تَحِيَّتُهَا
وَأَصْبَحْتُ أَدْمَعُ أَكْفُكِفُهَا
وَالنَّفْسُ لَمْ تَسْتَعِرْ مَحَبَّتَكُمْ
يَا سَيِّدَ النَّاسِ وَابْنَ سَيِّدِهِمْ
إِذْ أَنْتَ فِي رُبْعِهَا تَقُومُ بِحِفْ
هَنِيئَتِهَا رُبِّيَّةَ ظَفِيرَتِ بِهَا

عَنْ رَاحَةٍ بِالْفَضَائِلِ اشْتَهَرَتْ
وَلُطْفَ مَا نَظَّمْتُ وَمَا نَثَرْتُ
بِالشَّمْسِ فِي حَضْرَتِي وَقَدْ سَفَرْتُ
بَدْرَ أَلْفَاظِهَا الَّتِي بَهَرَتْ
جَوْمُ خَرَّتْ لِلأَرْضِ وَأَنْكَدَرَتْ
جَفَّتْ عُصُونَ الرِّبَا إِذَا خَطَرْتُ
تَفْعَلُ أَلْفَاظُهَا الَّتِي سَحَرْتُ
فِي أَنْفُسٍ مِنْ سُلَافِهَا سَكِرْتُ
أَزَاهِرٍ مِنْ نِدَاكِ قَدْ مُطِرْتُ
نَظَّمْتُ زَهَرَ الدَّجَى وَمَا شَعَرْتُ
نَفْحَةَ رَوْضٍ مَعَ الصَّبَاحِ سَرْتُ
عَلَى بَدِيعِ الْكَلَامِ وَأَقْتَدَرْتُ
إِلَّا وَوَشْتُ مَطَارِفًا نَشَرْتُ
وَهِيَ عَلَى ذِي الْمَحَاسَنِ اقْتَصَرْتُ
إِنْ نَظَرْتُ مِثْلَهَا أَوْ انْتَظَرْتُ
تَلَّتْ شِفَاهِي الدُّعَا وَمَا فَتَرْتُ
يَسَاجِيرَ كَالْفِرَاتِ جَرْتُ
لَكِنَّهَا بِالصَّبَابَةِ اسْتَعَرْتُ
دِيَارَ مَصَرٍ بِفَضْلِكَ أَفْتَخَرْتُ
ظِلَّ سُنَّةِ الْمُصْطَفَى إِذَا ذُكِرْتُ
خُطَا بَنِي الْعِلْمِ دُونَهَا قَصُرْتُ

يَقْبَلُ الْأَرْضَ الَّتِي مَجَالَسُ الْعِلْمِ بِهَا مَشْهُودَةٌ ، وَبِرَكَاتِهَا مَشْهُورَةٌ ، وَكُتِبَ السَّنَةُ الشَّرِيفَةُ مَنْصُوصَةً ، وَكُتِّبَتْ بِهَا مَنْصُورَةٌ ، وَنَفَائِسُ الْأَدَابِ بِهَا مَسْرُودَةٌ ، وَنَفُوسُ أَهْلِهَا مَسْرُورَةٌ :

فَهِيَ أَرْضٌ تُطَاوِلُ الْأَفْقَ فَخْرًا إِذْ عَلَيْهَا مَسْعَاكَ دُونَ الْبَقَاعِ
وَالْقَدَمُ الَّذِي إِذَا خَطَّتْ يَكَادُ يَسْعَى إِلَيْهَا الْمُنْبَرُ ، وَيُوْطِئُهَا قَدْرُهَا الْعَلِيَّ خَدَّ مِنْ
فَسْدٍ وَمَنْ بَرَّ ، وَيَمْسَحُ أَخْمَصَهَا إِذَا سَعَتْ فِي الْمَعَالِي عَنْ بَرِّ عُنْبَرٍ :

قَدَمٌ تَسْتَقِلُّ نَعْلَ الثَّرِيَّا مُذْ تَرَقَّتْ فِي سَامِيَّاتِ الْمَسَاعِي
وَالْيَدُ الَّتِي لَوْ أَرَادَتْ لَنَالَتْ الْكَوَاكِبَ ، وَأَخْجَلَتْ بِجُودِهَا الْغِيُوثَ الْهُوَامِعَ وَالسَّحْبَ
السَّوَاكِبَ ، وَحَمَلَتْ رَايَاتِ فَخَارِهَا الَّتِي تَزْدَحُمُ تَحْتَ ظِلِّهَا فِي السِّيَادَةِ مَنَاقِبُ
الْكَوَاكِبَ :

رَاحَةٌ تُشْرِفُ الشُّفَاهُ إِذَا مَا قَبَلَتْهَا لِلْفَضْلِ بِالْإِجْمَاعِ
تَقْبِيلَ حُبِّ ظَفَرِ بَوَصْلٍ^(١) حَبِيبِهِ ، وَأَمَكْنَتِهِ الْفُرْصَةَ بِغَفْلَةٍ كَاشِحِهِ وَغِيْبَةَ رَقِيبِهِ ،
فَهُوَ يَصِلُ الْقِبْلَةَ بِالْقِبْلَةِ ، وَيَشْفَعُ النَّهْلَةَ بِالْعَلَّةِ :
وَيَسْتَمِرُّ عَلَى وَلَائِهِ [الَّذِي] :

« يَرَاهُ عَلَى طَوْلِ الْمَدَى خَيْرَ صَاحِبٍ »

وَيَحَافِظُ عَلَى دَعَائِهِ الَّذِي :

« بِهِ تُعْرَفُ الْعَشَّاقُ عِنْدَ الْحَبَائِبِ »

وَيَبِثُّ مِنْ ثَنَائِهِ الَّذِي :

« يَضُوعُ شَذَاهُ فِي الصَّبَا وَالْجَنَائِبِ »

(١) (س) : « بَوَصَال » .

وَيَصِفُ أَشْوَاقَهُ الَّتِي ^(١) لَا يَعْلَمُ قَرَارَهَا إِلَّا الَّذِي أَوْجَبَهَا وَقَرَّرَهَا ، وَلَا يَدْرِي قَدَرَهَا إِلَّا الَّذِي حَكَمَ بِهَا وَقَدَّرَهَا ، وَلَا يَعْرِفُ أَلَمَهَا إِلَّا الْقَلْبُ الَّذِي لَمَّمَهَا ، وَلَا يَجْبِرُ ضَمِيرَهَا إِلَّا الْفُؤَادُ الَّذِي ضَمَّهَا ، فَهِيَ الْأَشْوَاقُ الَّتِي اسْتَعَارَتْ الْجَحِيمَ اسْتِعَارَهَا ، وَنَفَتْ عَنِ الْجَفُونَ قَرَّتَهَا وَعَنِ الْجَوَانِحِ قَرَارَهَا ، وَأَعْدَمَتِ النَّفْسَ فِي الصَّبَاحِ صِلَاحَهَا وَفِي الْمَسَاءِ مَسَارَهَا .

| | |
|---|--|
| وَحَنِينِي إِذَا تَصَدَّى لِنَفْسِي | صَدَّ لَهْوِي عَنْ ارْتِيَادِ ارْتِيَا حِي |
| عَلَّمَ الْوُرُقَ حُزْنَهَا فِي الْأَوْ | رَاقٍ تَتَلَوُّهُ فِي نَوَاحِي النَّوَاحِي |
| لَا يَرِدُ الْجَوَى اغْتِبَاطُ اغْتِبَاقٍ | مِنْ حَنِينِي وَلَا اصْطِبَارُ اصْطِبَاحِي |
| يَا لَهَا هَفْوَةٌ مَسِيرِي عَنْكُمْ | قَدْ نَفَتْ بِي إِلَى اطْرَادِ اطْرَاحِي |
| وَدَرْتُ أَنِّي لِي الدُّنْبُ فِي الْبُعْدِ | بِدِ فَجَارَتِ عَلَى اجْتِرَاءِ اجْتِرَاحِي ^(٢) |

فَأَهَّا عَلَى الدِّيارِ الْمَصْرِيةِ وَأَوْقَاتِهَا ، وَسَقِيًّا لِمَعَاهِدِ أَنْسِهَا لِنَفْسِهَا وَلِذَاتِهَا لِذَاتِهَا ، وَرَعِيًّا لِتِلْكَ الْمَنَازِلِ الَّتِي لَا تَخْرُجُ الْأَقْمَارُ عَنْ هَالَاتِهَا ، وَحَفِظًّا لِتِلْكَ الْوُجُوهِ الَّتِي :

« لِلشَّمْسِ أَضْوَاءٌ عَلَى جَبَّهَاتِهَا » .

وَشُكْرًا لِتِلْكَ النُّفُوسِ الَّتِي :

« الْمَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى عِلَّاتِهَا » .

ذُكِرَ الْأَنَامُ لَنَا فَكُنْ قَصِيدَةً أَنْتَ الْبَدِيعُ الْفَرْدُ مِنْ أَيْيَاتِهَا ^(٣)

وَمَا أَقُولُ بَلْ مَا أَنْتَظِرُ إِلَّا نَظْرَةً ^(٤) شَهَائِيَّةً ، وَلَا أَتَقَرَّبُ إِلَّا هَمَّةً عَدُوِيَّةً عَرِيَّةً ، تُنْقِذُنِي مِنْ نَارِ هَذِهِ الْغَرْبَةِ ، وَتُعِيدُنِي إِلَى خَيْرِ عَالَمٍ وَالْطُفْ تَرْبِهِ ، وَتَتَعَطَّفُ عَلَيَّ مِنْ غَدَرْتُ بِهِ أَيَّامَهُ وَلِيَالِيهِ ، وَأَتَى كَمَا حَكَمْتَ عَلَيْهِ الْأَقْدَارُ بِذَنْبِ عِقَابِهِ فِيهِ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « الَّذِي » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) .

(٢) (ط) : « فَحَازَتْ » .

(٣) (س) : « لَنَا فَكُنْتَ » .

(٤) (س) : « قَطْرَةٌ » .

وَكَأَنِّي بِهَا كَمَا عَوَّدْتَنِي عَطَفْتُهَا عَلَيَّ تِلْكَ الْمَعَاطِفُ^(١)
ثُمَّ قَالَتْ دَعُوهُ يَحْطِى بِوَصْلٍ إِذْ لَهُ مِدَّةٌ عَلَى الْبَابِ وَقِفْ

فلله عزوماتها التي لو شاءت جمعت بين الضب والنون^(٢) ، وأبدلت بالمنى موارد النون ، وما ذلك عليها بمشيئة الله تعالى بعزير ولا عتيد ، وما هي إلا كلمة تدخل بالملوك إلى دار السعادة كما عودت من باب البريد .

وأما المثال العالي أعلاه الله تعالى وجعل القلوب في علي قدره تتوالى ، فأعود إلى وصفه نثراً وأستعير^(٣) من كلماته في تقريره درّاً ، فأقول : إنه اشتل على المحاسن وغدا أغودج الجنة التي خررها مغتال ومائها غير آسن ، تقطر البلاغة من كلمه ، وتشفّ الفصاحة من وراء ماسطرّ بقله ، وتغني رياضه الناضرة عن أراك الحمى وعن سلمه ، ويهز الواقف على معانيه بالطرب من قرنه^(٤) إلى قدمه ، يتحير الناظر فيه لتردده بين روض^(٥) وأفق ، ويتخير الماهر من لفظه تاجاً لفرقي أوقلادة لعنق :

قُلْ فَكَمْ مِنْ جَوَاهِرٍ بِنِظَامٍ وَدَّهَا أَنَّهُا بِفِيكَ كَلَامٌ

وأما عبودية الملوك التي تقدّمت فوالله ما توهّم الملوك أن سيدي ، حرسه الله تعالى ، يتكلّف لها جواباً ، ولا يفتح من بيوت نظمه المصّون لهذه الطارقة باباً . ولو تحقّق هذا الأمر لأعطاها^(٦) حيلة وحيلة وشدّ على شنّ الإغارة على المعاني الجامحة خيله ، وأعمل فكرة في تهذيب ما يهديه حتّى يقال : هذا كتاب ليلة وألف ليلة .

ولما كان هذا مقام افتراض ، واقتناء لجواهر كليم سيدي واقتناص بعث هذه

(١) في الأصل : « عودتها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٢) النون : الحوت .

(٣) (ط) : « وأستعير » .

(٤) (س) : « فرقه » .

(٥) (س) : « رياض » .

(٦) (س) : « أعطاه » وفي (ط) : « أعطاه » .

العبودية طمعاً في الجواب الثاني ، وعوذها من الشّام بعطف مَوْلَانَا الَّذِي لَا يَشْنِيهِ عَنِ
الْحِيزِ وَلَا الْجَبْرِثَانِ ، وَلِلّهِ الْمَعْرِي حَيْثُ قَالَ :

قَدْ أَجَبْنَا قَوْلَ الشَّرِيفِ بِقَوْلٍ فَأَنْبَأَ الْحَصَى عَلَى الْمُرْجَانِ^(١)

والله يمتع الأنام بحياته الّتي هي جملة الأمانى ، ويديم فضائله الّتي لا توجد إلّا في
« العقد » ولا تؤخذ إلّا من « الأغاني » ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

فكتب هو الجواب عن ذلك :

حَيْثُ فَأَحْيَيْتُ عِنْدَ مَا حَسَرْتُ خِمَارَهَا كُلَّ مُهْجَةٍ سَحَرْتُ^(٢)
يَا خَجَلَةَ الشَّمْسِ عِنْدَ مَا سَفَرْتُ وَغَصَّاةَ الْغُصْنِ عِنْدَ مَا خَطَرْتُ^(٣)
وَفِتْنَةَ الظُّبْيِ عِنْدَ لَفْتَتِهَا وَحَيْرَةَ الظُّبْيِ كُلَّمَا نَظَرْتُ
مَا [كُنْتُ] أَسْلُوَ جَمَالَهَا أَبَدًا لَوْلَا الَّتِي بِالْجَمَالِ قَدْ بَهَرْتُ^(٤)
عَقِيلَةً تَسْلُبُ الْعُقُولَ فَهِيَ أَلْبَابَنَا مِنْ بَدِيعِهَا سَكِرْتُ
جَاءَتْ فَجَادَتْ بِكُلِّ مَطْرَبَةٍ يُطَوِّى لَهَا الْبَيْدُ كُلَّمَا نَشَرْتُ
سَمَاءَ مَجْدٍ سَمَتْ بِيَهْجَتِهَا عَنْ صَدْرِ أَهْلِ الزَّمَانِ قَدْ صَدَرْتُ
مُحْمَرَةَ الْحُسْنِ فِي حُلَى شَفَقِي تَخَضَّرُ فِي حُسْنِهَا وَقَدْ حَضَرْتُ
أَيَّاتِهَا مِنْ عَقُودِهَا نَظِمْتُ وَنَثَرَهَا لِلْكَوَائِبِ انْتَشَرْتُ
لَا بَيْنَ جَلَا مَا جَلَّتْهُ مِنْ دَرٍ وَابْنِ هِلَالٍ بِدِيعٍ مَا سَطَرْتُ
يَا حَبْذَا لِلصَّلَاحِ نَسَبْتُهَا خَلِيلُهَا مَنْ بِهِ الْعَلَا افْتَخَرْتُ
يَا رَوْضَ فَضْلٍ غُصُونُهُ زَهَرَتْ وَحَبْرُ عِلْمٍ بِحَارَةٍ زَحَرَتْ

(١) في الأصل : « فأنبأ » .

(٢) (س) : « فعندما » .

(٣) (س) ، (ط) : « كلما خطرت » .

(٤) الزيادة من (س) ، (ط) .

سَرَتْ فَعِينُ السُّرُورِ مَا نَظَرَتْ
وَلَا نَسِيمَ الصَّبَا سَرَتْ سِحْرًا
وَلَا تَغْنَتْ فِي الْأَيْكِ سَاجِعَةً
وَلَا تَتَنَّى لِلرَّاحِ غَانِيَةً
وَلَا سَمَتْ مُقْلَةً الْمَشُوقِ إِلَى
يَا عَجَبًا مِنْ يَحَارِ عِبْرَتِهِ
كَدَّرْتُ مُذْ غِبْتُ عَنْهُ عَيْشَتَهُ
عَلَى هَوَاكَ الْقُلُوبُ قَدْ فُطِرَتْ
يَا مُقْلَةً مُذْ غِبْتُ سَخِنَتْ
وَيَا حَيَاةَ صَفَتْ بِقُرْبِكُمْ
فِي دَوْحَةِ الْأُنْسِ أَغْضَا نَضْرَتْ^(١)
إِلَّا كَذَابِ الْهَجِيرِ إِذْ هَجَرَتْ^(٢)
فَأُطْلِقَتْ مُؤْنِعًا وَلَا أَسْرَتْ
أَوْتَارَهَا وَاللِّحَاطِ كَمْ وَتَرَتْ
لُقْيَاكَ نَحْوَ الْمَقَامِ مُذْ سَمَرَتْ
مَا أَخَذَتْ نَارَهُ الَّتِي اسْتَعْرَتْ
فِيَا لَأُنْسٍ نَجُومُهُ أَنْكَدَرَتْ
لَوْلَا تَمَنَّى لِقَائِكَ أَنْفَطَرَتْ
هَلْ عَيْشَتُهُ إِنْ حَضَرْتُمْ حَضَرَتْ
هَلْ يُرْتَجَى عَوْدُهَا وَمَا كَدَرَتْ

يقبل اليد العالية الصلاحية ، لازالت صالحة الشيم ، سافحة الديم بل الباسطة
الكريمة ، لابرحت واسطة عقد الكرم ، بل الأرض المنيفة بحلوله لافتتت مواطن
النعم ، ومواطني أولي الهمم :

تَقْبِيلَ مَلَانِ الْجَنَانَا
مَتَنَدَّمَ لِفِرَاقِهِ
لَوْ كَانَ يَطْرُقُهُ الْكَرَى
لَهْفِي عَلَى عَضْرِ بِيهِ
شَوْقِي لَهُ شَوْقُ الْعَلِي
شُكْرِي لَهُ شُكْرُ الرِّيَا
نِ بَحْبِّهِ دُونَ الْأُمِّ^(٣)
لَوْ كَانَ يَنْفَعُهُ النَّدَمُ^(٤)
لَكُنْهُ لَمَّا يَنْمُ
وَلَى حَمِيدًا لَمْ يَنْدَمْ
لِ لَمَّا شَفَاهُ مِنَ السَّقَمِ
ضِ السُّحْبِ جَادَتْ بِالْذَمِّ

(١) (ط) : « بعين » ، وفي (س) : « لعين » .

(٢) في الأصل و (ط) : « لذات » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « بودّه » .

(٤) في (س) : « يشناق من تلقائه » .

ذِكْرِي لِأَيَّامٍ بِهِ مَرَّتْ كَمَا مَرَّ لَحْلُمٌ
وَحَلَّتْ كَمَا مَرَّتْ لَيَا لِي الشَّرِيفِ بِذِي سَلَمٍ^(١)

وينهي ورود المشرقة العالية قدراً ، الحالية من البدائع الروائع درأ ، المؤتقة في رياض الفصاحة زهراً ، الْمُطْلَعَة في سماء البلاغة زهراً ، وكلف^(٢) بها كلف عمرو بقراره^(٣) ، والفرزدق بنواره^(٤) ، وأقسم من طرسها بحمرة الشفق ، ومن نَقَسها^(٥) بالليل وما وسق ، ومن غرر معانيها السامية على غير معانيها بالقمر إذا اتسق لتليت^(٦) أهل البلاغة ، فطلت أعناقهم لها خاضعين ، وجلت على أرباب اليراعة وألباب البراعة فقلتا : أتينا طائعين ، انقياداً لطيف^(٧) أعنتها ، وتبرياً من مطاعنة أبي براء ملاعب أسنتها^(٨) ، كلّ يلحها بطرف كليل^(٩) وشخص ضئيل ، ويرجع عن مجاراتها بأمل حسير وقلب كسير ، فلا يجري في ميدانها خيل طرده ولو قام مقام قس في إياده ، وأين^(١٠) حميمه من حياها أم أين سهيله من ثرياتها ، لشدما ارتفعت منها المطالع وانقطعت دونها الأمطامع ، فما الظنّ بوحيد يحتاج إلى الذمام وربيط في الرغام لاعهد له في السرايا ولا أنس له بالدخول في القتام أن يجول في حلبة الرهان أو يطول إلى مقاتل

(١) يريد : الشريف الرضي ، وقد اشتهر في شعره بذكر مواضع الحجاز .

(٢) (س) : « فكلف » .

(٣) هو عرار بن عمرو بن شأس الأسدي وفيه يقول أبوه عمرو :

وإنّ عراراً إن يكن غير واضح
فإني أحبّ الجون ذا المنكب العمم

(٤) هي زوج الفرزدق ، وابنة عمه . وفيها يقول الفرزدق :

ندمت ندامة الكسعي لما غدت مني مطلقة نوار

(٥) النّقس : المداد .

(٦) كذا في الأصول .

(٧) هو طفيل بن عوف بن كمب الغنوي من أوصف شعراء الجاهلية للخیل .

(٨) هو عامر بن مالك بن جعفر العامري اشتهر بـ ملاعب الأسته (ت ١٠ هـ) .

(٩) في الأصل : « كحيل » ، وأثبتنا ما في (س) .

(١٠) في الأصل (وابن) ، وأثبتنا ما في (س) .

الفرسان أو يُسابق بسُكَّيته مجلِّي الميدان ، أو يناطق بياقل^(١) من سحبٍ ذيلًا على سحبان ، وهل تستفاد تلك المواد من غير ذلك المَوَاد ، وهل استولى على أمد تلك الجواد غير ذلك الجواد ، وأن يكثر البحار الزواجر من ورده الثَّامِد^(٢) ، وأن يطاول الأنجم الزواهر من قرارته الوهاد ، فما تفوّه السَّليم الصَّدق إلا بالتسليم لذلك السَّبق والتعظيم لذلك الحقّ اعترافًا بما قد حواه رافع ذلك المنار وجامع تلك المَبَار .

وأما أمره بالمسارعة إلى المراجعة والمعالجة إلى^(٣) المساجلة وما غادر لغيره من متردّم^(٤) ، ولو شنّ على الآداب إغارة ربيعة بن مكدّم^(٥) ، فلم يرجع المملوك إلى جواب ينجده وخطاب يسعفه بالمراد ويسعده إلا التَّمَلُّ بقول القائل :

وَأَخَذَتْ أَطْرَافَ الْكَلَامِ فَلَمْ تَدَعْ قَوْلًا يُقَالُ وَلَا بَدِيعًا يُدْعَى

وأما تمثيله بيت أبي العلاء ما هو فيه من علو المكان لإنابته ابن عمه الحصى عن المُرْجان فما مكثره بالأدب ، وعيوبه تُنسل إليه من كلِّ حَدَبٍ إلا المكثّر بيباءِي (أنيسيان)^(٦) بل لعلّه حرسه الله تعالى عنّ له المرور ببلاد ابن عنين « بلاد بها الحصباء در » أو ثنى عنّانه إلى منزل ابن اللبّانة :

نَزَلْنَا بِكَافُورٍ وَتَبِيرٍ وَجَوْهَرٍ يُقَالُ لَهُ الْحَصْبَاءُ وَالرَّمْلُ وَالتُّرْبُ

(١) في الأصل و (ط) : « بناقل » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (س) ، وفي المثل : « أعيان من باقل » .

انظر جمع الأمثال : ٤٣/٢ .

(٢) الثَّامِد : الماء القليل .

(٣) (س) ، (ط) : « على » .

(٤) إشارة إلى مطلع معلقة عنتره :

هل غادر الشعراء من متردّم أم هل عرفت الدار بعد توهم

(٥) أحد فرسان الجاهلية المعدودين ، يقال : إنه حمى الظعن حيًّا وميتًا .

(٦) تصغير « إنسان » ، وللنحويين خلاف مشهور في أصل هذه اللفظة .

أو اجتاز بنهر أخي مناز^(١) وحصاة ترع حالية العذارى ، فورده وأمواجه
تطرّد ؛ إما يرد أو يبتد ، لكنه عاكسهم في التشبيه ، ونافسهم في التويه ، فاستعبد
كلامهم كلامه الحرّ ، وكان ما جاء به من الحصى أنفس ممّا جاؤوا به من الدرّ ، فتأخروا
وإن تقدّموا ، وتقدّم وإن تأخّر ، وكانت بدائمه لبدائه سواه تسحرّ ، وبدائعه من بديع
سواه تسخر .

وأما تشبّه بالهمة الشهاية وتشوّفه إلى الهمة^(٢) العذويّة فلا بدّ بمشيئة الله تعالى أن
تعدى العذويّة قربّه على بعباده ، وتعمّر العمريّة أرجاء رجائه بعبوده إلى معاده ،
والقطر يسبق الدّيم السّوّاجم ، والزهر يعبق وما انشقت عنه الكائم :

وَإِنْ رَجَاءً كَامِلًا فِي جَمِيلَةٍ لَكَأَلْمَالِ فِي الْأَكْيَاسِ تَحْتَ الْخَوَاتِمِ
وَالله يعمر ببقائه أنداءه ، ويسرّ بلقائه أوداءه بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

وكتبت أنا إليه من دمشق في سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

| | |
|--|--|
| يَا عَذُولًا فِي لَوْمِهِ قَدْ تَفْصَحُ | وَيَرَى أَنَّهُ بِذَلِكَ تَنْصَحُ |
| لَيْسَ عِنْدِي مِنَ الْجَوَى بِي جَوَابٌ | هَـذِهِ أَذْمُعِي تَقُولُ وَتُشْرَحُ |
| قِفْ عَلَى غَيْرِ مَسْمَعِي وَأَسْأَلِ الصَّبْرَ | رَفَمَا عِنْدَهُ سِوَى اللَّهِ يَفْتَحُ |
| كَمْ يُنَادِي السَّلُو بِالْحَرْبِ أَوْلى | وَيُنَادِي الْغَرَامَ بِالصُّلْحِ أَصْلَحُ |
| قِسْتُ بَيْنَ السَّلُو وَالْوَجْدِ حَتَّى | صَحَّ أَنَّ الْغَرَامَ أَرْجَى وَأَرْجَحُ |
| كَيْفَ صَبْرِي عَنْ أَرْضِ مِصْرٍ وَفِيهَا | لِي قَوْمٌ أَسْمَى الْأَنَامِ وَأَسْمَحُ |

(١) يشير إلى الوزير أبي نصر المنازي الذي تنسب إليه الأبيات المشهورة :

وقانا لفحة الرمضاء وإد سقاه مضاعف الغيث العميم

ومنها :

ترع حصاه حالية العذارى فتلص جانب العقد النظيم

(٢) في (س) ، (ط) : « العزمة » .

لَوْ تَعَاطَى الْجَبَالُ كَأْسَ حَدِيثِ
هَاتِ قُلْ لِي مِنْ [أَيْنَ] تَلْقَى لِفَتْحِ الدِّ
خَادِمَ سُنَّةِ النَّبِيِّ وَهَذَا الدِّ
كَلَّمَا خَطَّ بِالْيَرَاعِ حَدِيثًا
إِنْ تَقَسَّ خَطُّهُ بِرَوْضِ نَدِيٍّ
كُلَّ عَيْنٍ كَأَنَّهَا طَرَفُ حَبٍّ
أَيُّ قَلْبٍ بِالْحُزْنِ وَالْهَمِّ يَصْدَا
بِنِظَامٍ كَالدُّرِّ لَمَّا تَنْقَى
لَوْ يُجَارِي بَرْقَ الدُّجَى مَا تَنْحَى
لَا أَكْفَرُ قَوْلِي إِذْ قُلْتُ دَهْرِي
مَارِيَا ضُفْيَهِمَا قَدْ تَلَوَّى
جَادَ قَطْرُ النَّدى بِهَا وَتَفَتَّى
مِثْلُ أَخْلَاقِهِ الَّتِي قَدْ حَوَاهَا
قَوْلِيكَ نُسْخَةً الْمَعَالِي عَلَيْهَا
أَهْ وَاحْشَتَا لِذَلِكَ الْمُحْيَا
لَا أَرَى فِي الزَّمَانِ أَسْعَدَ مِمَّنْ

فكتب الجواب عن ذلك :

صَادِحَاتُ الْحَمَامِ فِي الدُّوْحِ تَصْدَحُ
رَجَعْتُ شَدُوَهَا فَبَرَّحَ بِي شَوْ
فَرَّقْتُ بَيْنَنَا صُرُوفُ اللَّيَالِي

عَنْهُمْ مَالٌ عِطْفُهَا وَتَرَنُّحُ
بَيْنَ مَثَلَيْنِ إِنْ كُنْتَ لِلْحَقِّ تَجَنُّحُ^(١)
فَفَضَلَ أَنْجَى يَوْمَ الْحِسَابِ وَأَنْجَحُ
كَبَّرَ اللَّهُ فِي الطَّرُوسِ وَسَبَّحُ
صَحَّ هَذَا وَجَفَّ ذَاكَ وَصَوَّحُ
مَا تَوَقَّى الْفُؤَادَ لَمَّا تَوَقَّعُ
وَحَامَ الْأَسْجَاعِ فِيهِ يَصْدَحُ
وَمَعَانٍ كَالسَّحَرِ لَمَّا تَنْقَحُ
أَوْ يُبَارِي قِسَّ النَّهْيِ مَا تَنْخَحُ
قَدْ تَوَشَّى مِنْ فَضْلِهِ وَتَوَشَّحُ
فِيهِ زَهْرٌ يَزْهَى بِلَوْنِ تَلَوُّحُ
وَعَدَا وَرْدٌ نَضْبُهَا قَدْ تَفْتَحُ
بَلْ أَرَاهَا بِالْحُسْنِ أَمْلَى وَأَمْلَحُ
وَأَجَازَ الْجَمَالِ ذَاكَ وَصَحَّحُ^(٢)
وَالسَّجَايَا الَّتِي أَبْرُ وَأَوْضَحُ
قَدْ تَمْسَى بِوَجْهِهِ وَتَصَبَّحُ

بِغَرَامِي فَالْعَيْنُ لِلْبَيْنِ تَسْفَحُ
قَ مَقِيمٌ لَظْلَاعِنٍ لَيْسَ يَبْرَحُ
فَهَلِ الدَّهْرُ بِالتَّوَاصُلِ يَشْمَحُ

(١) زيادة من (س)، (ط) .

(٢) (س)، (ط) : « الكمال » .

بَعْدَ قَفَرٍ مِنَ التَّبَاعِدِ أَقْبَحُ^(١)
 مَا عَدَا النَّاسَ بِالتَّبَاعِدِ يَجْرَحُ
 قُلْتُ شَوْقاً لِمَوْصِلِكَ : اللَّهُ يَفْتَحُ
 وَلِطَرْفِي مِنْهُ سَحَابٌ سَيَّحُ
 عَصْرٌ خُلِمَ عَنْهُ الرُّوَاسِي تَرْخَرُحُ
 وَفَصِيحاً مَا اخْتَجَّ أَنْ يَتَفَصَّحُ
 صَدِ بِلَالٍ وَصَدَّ عَنْ زَجْرِ صَيْدَحُ^(٢)
 وَرَأَى الْعِلْمَ مِنْهُ أَرْجَى وَأَرْجَحُ
 تَغْتَذِيهِ الْأَجْسَامُ قُدْرًا وَأُصْلَحُ
 كَمْ لَهُ فِي بَحَارِ عِلْمِكَ مَسْبَحُ
 سِحْرٌ نَثَرَ بِدَرٍّ خَطٌّ مُوشَّحُ
 هَيْمَ طَبْعاً بَلْ أَنْتَ أَشْمَى وَأَشْمَحُ
 فَالْصَّحِيحُ الَّذِي عَلَيْكَ يَصْحَحُ
 مَا لِمَسْرَى مُؤْمِلٍ فِيهِ مَسْرَحُ
 سَقَطَها مِنْ زِنَادٍ فِكْرِكَ يَقْدَحُ
 بِسَنَاءٍ عَنْ سَنَاءِ عِلْمِكَ يُلْمَحُ
 سِدِّ فَلَمَّا ذَنْتُ رَأَى الصُّبْحُ أَصْبَحُ
 لَيْسَ فِيهِ لِلْفَتْحِ بَعْدُكَ مَطْمَحُ^(٣)

فَتَنَادِي بِكَ الْمُنَى مِنْ قَرِيبِ
 إِنَّ لِي مَطْمَعاً بِقُرْبِكَ يَا سُو
 كُلَّمَا شَامَ بَارِقَ الشَّامِ طَرْفِي
 وَلِقَلْبِي مِنْهُ خُفُوقٌ وَنَارُ
 يَا صِلَاحَ الدِّينِ الَّذِي فَاقَ أَهْلَ الْ
 وَبَلِيغاً مَا زَامَ يَا ثِيْبُهُ عَفْواً
 لَوْ رَأَهُ غِيْلَانٌ قَصَرَ عَنْ قَصِ
 وَفَرَّ النَّفْسَ عَنْ مُنَى كُلِّ وَفَرِ
 وَغِيْذَاءُ الْأَرْوَاحِ أَشْرَفُ مِمَّا
 سَبَّحَ اللَّهُ مَنْ رَأَى إِمَاماً
 حَائِزاً مِنْ بَدَائِعِ بَنِي هِلَالِ
 كَعْلِي وَضِعاً وَرِقَّةً إِبْرَا
 يَا خَلِيلَ الْأَدَابِ مَا اخْتَلَّ مِنْهَا
 كَمْ عَلَى الدَّهْرِ مِنْ حُلَاهَا جَمَالِ
 سَمَطُهَا قَائِزٌ بِدَرٍّ مَعَانِ
 كُلُّ عَسْدَرَاءَ تَسْبِي كُلِّ لُبِّ
 زَارَتْ الصَّبَّ فِي لَيْالٍ مِنَ الْبُعْدِ
 قَلَدْتُ بِالْعَقِيَانِ سِحْرَ بِيَانِ

(١) (س) ، (ط) : « أفيح » .

(٢) يشير إلى بيت ذي الرمة المشهور في مدح بلال بن أبي بردة :

رَأَيْتُ النَّاسَ يَنْتَجِعُونَ غِيْشاً فَقُلْتُ لِمَصِيحٍ انْتَجَمِي بِلَالَا

وصيدح : ناقته . انظر : اللسان « ص د ح » وديوانه .

(٣) في الأصل : « بالمعقبان سحر بنان » . وأثبتنا ما في (س) ، (ط) . وهو يوزي بكتاب « قلائد

العقيان » للفتح .

خَتَمَ النَّظْمُ مِنْكَ بَحْرَ قَرِيضٍ مَا أَرَاهُ مِنْ بَعْدِ خَتَمِكَ يُفْتَحُ

وكتب هو إلى رحمه الله تعالى وأنا بصدد في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة :

سُرِرْتُمْ فَإِنِّي بَعْدَكُمْ غَيْرُ مَسْرُورٍ
وَلَا حِسٍّ إِلَّا حِسُّ صَائِحَةِ الصَّدَى
فِيَا وَحْدَةَ الدَّاعِي صَدَاهُ جَوَابُهُ
إِذَا قُلْتُ سِيرِي قَالَ سِيرِي مُحَاكِأُ
وَمَا سَرَّنِي بِالقُرْبِ أَنِّي اسْتَرَزْتُهَا
فِيَا وَيْحَ قَلْبِي كَمْ يَغْلُلُهُ الْمُنَى
تَوَاصِلُ وَصَلِ الطَّيْفِ فِي سِنَةِ الْكُرَى
وَتَدْنُو دُنُو الْأَلِ لَا يَنْقَعُ الصَّدَى
تَنْيِلُ الْمُنَى مِنْ سَالَمَتِهِ خَدِيعَةً
فَدَعُهَا وَتَوَقَّ بِاللَّهِ فَاللَّهُ كَافِلٌ
وَكُنْ شَاكِرًا يَسْرًا وَبِالعُسْرِ رَاضِيًا

فكتبت أنا الجواب عن ذلك :

هَلِ الْبَرْقُ قَدْ وَشَى مَطَارِفَ دَيْجُورٍ
وَهَلِ نَسْمَةُ الْأَسْحَارِ جُرَّتْ ذُبُولُهَا
وَهَيْهَاتَ بَلْ جَاءَتْ تَحِيَّةُ حَيْرَةٍ
أَتَتْهُ وَمَا فِيهِ لِعَائِدِ سَقْمِهِ
فَلَمَّا تَهَادَّتْ فِي حُلِيِّ فَصَاحَةِ
أَكْبَ عَلَى تَقْبِيلِهَا بَعْدَ ضَمِّهَا

(١) في الواقي : « على الإطلاق » .

(٢) في الواقي : « داعية الصدى » . واليعفور : الظلي .

يَقَابِلُ مَنْظُومًا سِوَاهُ بِمَنْثُورٍ^(١)
وَعَاذَلَهُ مِنْ لَحْظِهَا أَعْيُنُ الْحَوْرِ
وَكَمْ مَثَلٍ فِي غَايَةِ الْحُسْنِ مَشْهُورٍ
كَمِسْكَ عِذَارٍ فَوْقَ وَجْنَةٍ كَافُورٍ
وَهَمَزَتْهَا مِنْ فَوْقِهَا مَثَلُ شَحُورٍ
غَرَامًا وَلَمْ يَغْدِلْ بِهَا وَرْدَةُ الْجُورِيِّ^(٢)
فَلَمَّا أَتَتْ قَالَ الْغَرَامُ لَهَا ثُورِي^(٣)
حَبَّتْهَا بِكُحْلٍ مِنْهُ فِي الْجَفْنِ مَذْرُورِي
وَقَالَتْ لَهُ مِيعَادُكَ النَّفْخُ فِي الصُّورِ
فَقَدْ قَذَفَتْ فِي كُلِّ عَضْوٍ بَتْنُورٍ^(٤)
عَلَى أَنْ مَحْصُولُ الْبَيْكِيِّ غَيْرُ مَحْضُورٍ
فَدَعَا تَقِضُ مِنْ زَاخِرِ اللَّجِّ مَسْجُورٍ
مَضَى الْيَوْمَ حَتَّى كُنْتُ أَوَّلَ مَغْرُورٍ^(٥)
وَلَكِنَّهُ لِلْحَظِّ فِي غَيْرِ مَقْدُورٍ
فِيَانِي لِمَا تَهْدُونَهُ جَدُّ مَضْرُورٍ
فَمَا هُوَ مِنْ رَاحٍ يَشْهَدُ بِالزُّورِ^(٦)
وَلِلْقَلْبِ مِنْ تَذْكَارِكُمْ دَكَّةُ الطُّورِ^(٧)

وَأَجْرِي لَهَا دَمْعَ الْمَآفِي وَلَمْ يَكُنْ
فَأَرْشَفَهُ كَأْسَ السَّلَافِ خِطَابُهَا
فَكَمْ حِكْمَةٍ فِيهَا لَهَا الْحُكْمُ فِي النَّهْيِ
يَرَى كُلَّ سَطْرِ فِي مَحَاسِنِ وَضْعِهِ
فَلَا أَلْفَ إِلَّا حَكَّتْ غُصْنَ بَانَةِ
فَأَصْبَحَ لَا يَتْنِي إِلَى الْأَرْضِ جِيدُهُ
وَقَدْ كَانَتْ الْأَطْمَاعُ نَامَتْ لِيَاسِهَا
وَزَادَتْ جَفُونُ الْعَيْنِ سَهْدًا كَأَنَّا
وَكَانَ الدُّجَى كَالْعَامِ فَاحْتَقَرَتْ بِهِ
وَلَا تَرْضَ مِنْ نَارِ الْحَشَا بِاتِّقَادِهَا
وَمَا شَكَرْتُ عَيْنِي عَلَى سَفْحِ عُبْرِي
وَقَالَتْ أَمَا غِيَا الدَّمْعِ لَشِدَّةُ
وَلَوْ كُنْتُ أَلْقَى فِي الْبُكَاءِ فَرَجًا لَمَّا
وَلَوْ كُنْتُ أَلْقَى الصَّبْرَ هَانَتْ مُصِيبَتِي
فَإِنْ تَبِعْتُمَا لِي مِنْ زَكَاةِ اضْطِبَارِكُمْ
سَلُّوا اللَّيْلَ هَلْ أَنْسَتْ فِيهِ بَرْقَدَةَ
فَكَمْ لِي فِيهِ صَعْقَةٌ مُوسَوِيَّةُ

(١) في الأصل : « منه بمنثور » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٢) (س) ، (ط) والوافي : « الروض » .

(٣) (س) : « لناسها » .

(٤) في الوافي : « ولم مرض » .

(٥) (ط) : « حنا اليوم » . وفي (س) والوافي : « مسرور » .

(٦) في الأصل : « منه برقدة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٧) في الوافي : « ذكراكم » .

تَشَفَّعْتُ لِلْبَيْنِ الْمَشْتِ بِكُمْ عَسَى
عَلَى أَنْ جَاهَ الْحِظَّ أَكْرَمُ شَافِعِ
وَمَا هُوَ إِلَّا الْحِظَّ يَغْتَرِضُ الْمُنَى
فَكَمْ فِي الْبَرَايَا يَتْنِ عَانٍ وَمُطْلَقِ
وليس سوى التسليم لله والرضا
وحاش لعلام الخفيات في الوري
فكتب هو رحمه الله الجواب :

يَعُودُ هَزِيمُ الْقُرْبِ عَوْدَةً مَنْصُورٍ^(١)
وَلَوْلَاةٌ لَمْ يَحْتَجْ إِلَى بَنْتٍ مَنْظُورٍ^(٢)
وَلَوْلَاةٌ كَانَ الدَّهْرُ أَطْوَعَ مَأْمُورٍ^(٣)
وَسَالٍ وَمَخْزُونٍ وَقَانٍ وَمَهْجُورٍ
بقلب منيب طائع غير مقهور
على ما ابتلاني أن أرى غير مأجور^(٤)

وردت المشرفة السامية مجلاها ، الزاهية بعلاها ، المشتملة على الأبيات الأبيات ،
الصادرة عن السجيات السخيات ، التي فاقت الكنديين^(٥) ، وطوت ذكر الطائيين^(٦) ،
ماشتت من بدائع إبداع وروائع إبداع ، تقف الفصاحة عندها وتقفو البلاغة حدها ،
فالله ذلك الفضل الوافي ، بل السحر الحلال الشافي ، بل تلك القوى في القوافي ، بل
تلك المقاصد التي أقصدت المني في المنافي ، بل تلك المعاني التي حيرت المعاني ، وفعلت
في الأبواب ما لا تفعله الثالث والثاني ، بل تلك الأوضاع التي حاك الربيع وشيها ،
وامتثل^(٧) القلم أمرها ونهيها ، فهو يصرفها كيف يشاء مرسوماً ، ثقة أنها لا تخالف له

(١) في الأصل : « بالين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٢) في الوافي : « ولو صح » . وابنة منظور هي خولة بنت منظور بن زبان الفزاري زوج عبد الله بن
الزبير ، وكانت النوار زوج الفرزدق قد لجأت إليها ، وشفعت لها ، فقال الفرزدق :

أما بنوه فلم تنجح شفاعتهم
ليس الشفيع الذي يأتيك متزراً
وشفعت بنت منظور بن زبانا
مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

انظر : وفيات الأعيان ٩٩٦ - ١٠٠ .

(٣) وقع صدر البيت السابق عجزاً لهذا البيت في الوافي ، وكذا وقع فيه صدر هذا البيت عجزاً لذلك .

(٤) في الأصل : « مهجور » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٥) هما امرؤ القيس ، وللقنع الكندي .

(٦) هما أبو تمام والبحثري .

(٧) (س) : « وأمسك » .

مرسومًا . لقد آل فضل الكتاب إليها وآلى فصل الخطاب لا وقف [إلا]^(١) بين يديها ،
لقد صدرت عن رياض الأدب فجنت زهرة اليناع ، لقد أخذت بأفاق سماء البلاغة^(٢)
فلها قراها والنجوم الطوالع^(٣) ، لقد أفحمت قائلة :

مَنْ يَسَاجِلُنِي يَسَاجِلُ مَاجِدًا لَقَدْ حَسُنَتْ حَتَّى كَأَنَّ مَحَاسِنًا
تَقَسَّمَهَا هَذَا الْأَنَامُ عَيُوبُ^(٤) هِيَ الشَّمْسُ تَذْنُو وَهِيَ نَاءٍ مَحَلُّهَا
وَمَا كُلُّ ذَاكَ لِلْأَنَامِ قَرِيبُ^(٥) تَخَطَّتْ إِلَى الْحُضْرِ الْجِيَادُ نَبَاهَةً
وَهَيْهَاتَ مِنْ ذَاكَ الْجَنَابِ حَبِيبُ وَحَيْثُ فَاحِيتٍ بِالْأَمَانِي مَتِيًّا
حَبِيبُ إِلَيْهِ أَنْ يَلَمَّ حَبِيبُ يُذَكِّرُنِي ذَاكَ الْجَمَالَ جَاهِلًا
فَلَيْلِي كَمَا شَاءَ الْغَرَامُ رَحِيبُ وَمَالِي إِلَّا أَنَّهُ بَعْدَ أَنَّهُ
وَعَلَّمَ دَمْعَ الْعَيْنِ كَيْفَ يَصُوبُ حَنِينًا لِعَهْدٍ غَادَرَ الْقَلْبَ رَهْنُهُ
وَفِي كُلِّ قَلْبٍ مِنْ هَوَاهُ نَصِيبُ وَذِكْرِي خَلِيلٍ لَمْ يَغِبْ غَيْرَ شَخْصِهِ
وَأَنَّ الْمَنَى تَدْعُو بِهِ فَيَجِيبُ^(٦) وَلَوْ لَا حَدِيثُ النَّفْسِ عَنْهُ بَعُودُهُ

(١) زيادة من (س) والوافي .

(٢) (س) والوافي : « الشرف » ، ولعلها أشبه .

(٣) يشير إلى بيت الفرزدق :

(٤) أخذنا بأفاق السماء عليكم لنا قراها والنجوم الطوالع
كذا في الأصول والوافي ، ولا يخفى ما في البيت من خلل في وزنه ، وفيه إشارة واضحة إلى قول
الفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب :

مَنْ يَسَاجِلُنِي يَسَاجِلُ مَاجِدًا يَمْلَأُ الدُّلُوكَ إِلَى عَقْدِ الْكَرْبِ
ووقع صدر البيت في الأصل هكذا :

مَنْ يَسَاجِلُنِي يَسَاجِلُنِي

وأثبتنا ما في النسخ الأخرى والوافي .

(٥) (س) : « محاسنها » .

(٦) (س) : « للعيان » ، وفي الوافي : « للعيون » .

(٧) في الأصل : « منه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

لَمَّا اسْتَعَذَّبَ الْمَاءَ الزَّلَالَ لِأَنَّهُ إِذَا مَازَجَ الْمَاءَ الزَّلَالَ يَطِيبُ

فبادرها المملوك لبنائها متعرياً ، وبأرحبها متعرياً ، وبولائها متمسكاً وبثنائها متمسكاً ، شوقاً إليها لا يبيد ولو عمر عمر لبيد ، واقفاً على آمال اللقاء وقوف غيلان بدار مية ، عاكفاً على أرجاء الرجاء عكوف توبة على حب ليلي^(١) الأخيلىة ، والله يتولاه في حالتيه ظاعناً ومقيماً ، ويجعل السعد له حيث حلّ خديناً والنجح خديماً ، بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

تنوح حمامات اللوى فأجيب
وقد ملّ فرش السقم طول تقلقي
ولما بكت عيني نواك تعلمت
أيا برق إن حاكيت قلبي فلم يكن
ويأغيث إن ساجلت دمعني فإنه
ويأغصن إن هزت معاطفك الصبا
إذا جف جفني ذاب قلبي أذمعا
أبيت بجفن ليس يعرف ما الكرى
وقلب إذا ما قر عادت له لوعة
ألا إن دهرأ قد رماني بصرفه
ويكفي أني بين أهلي ومعشري

ويحضر عندي عائدي فأغيب
عليه بجني إذ تهب جنوب^(٢)
دموع السحاب الغر كيف تصوب
لنارك مع هذا الخفوق لهيب
تفوئك مع ذا أنه ونحيب
فما لك قلب بالفرام يذوب
فلله قلب عاد وهو قليب
وأني حياة بالسهاد تطيب
فيعرؤه من بعد القرار وجيب
لدهر إذا فكرت فيه عجيب
وصحني لبعدي عن حماك غريب^(٣)

(١) ليست في (س) .

(٢) « عليه » ليست في (س) .

(٣) في الوافي : « ويكفي بأني » .

يقبَل الأرض^(١) وينهي ورود المثال الذي تصدَّق به مَوْلَانَا^(٢) مَنَعًا ، وأهداه خيلةً فكم شفى زهرها المنعم من عَمَى ، وبعثه قلادة فكم أزال درَّها المنظم من ظمًا وأقامه حجةً ، على أن مرسله^(٣) يكون في الإحسان والآداب^(٤) مالكاً ومتمماً^(٥) ، فَبَلَّغْتُ برؤيته غلة الظمِّ البرُّح ، وعانيت ما شاهده من بنيان البيان ، فقلت لبليquis عيني ادخلي الصرح ، وقت من حقوقه الواجبة عليَّ بما^(٦) يطول فيه الشرح ، وتلقَّيته بالضم إلى قلب لا يجبر منه الكسر غير الفتح ، وأسَمْتُ ناظري من طِرسه في روضه^(٧) الأنف ، وقسمت حليّه على أعضائي فللجيد القلائد وللفرق التيجان وللأذن الشُّنْف ، ووردت منهله الصافي والتحتت بظله^(٨) الضَّافي ، واجتليت^(٩) من وجهه بشراً قابله الشُّكر^(١٠) بالقلم الخافي ، وعكفت منه على كعبة الفضل فلله مانشر في استلامي وطوى في طوافي ، وكَلَّفت^(١١) قلبي الطائر جواباً فلم تقوَ القوادم وظهر الخواء في الخوافي ، وقلت هذا الفن^(١٢) الذي ماله ضريب ، وهذا وصل الحبيب البعيد ، قد نلت به برغم الرقيب القريب :

فَيَا عَيْنِي يَثَنِي فِي اغْتِنَاقٍ وَيَا نَوْمي قَدِمْتَ عَلَى السَّلَامَةِ

(١) قوله : « يقبَل الأرض » ليست في الوافي .

(٢) ليست في الوافي .

(٣) في الوافي : مَنْ أَرْسله .

(٤) ليست في الوافي .

(٥) ابنا نويرة التميميان . وقد اشتهرت مراثي متم في أخيه مالك .

(٦) في الأصل : و (ط) : « ما » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٧) في الوافي : « الروض » .

(٨) في الوافي : « ظِلّه » .

(٩) في الأصل : « وأجلت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(١٠) في الأصل : « بالشكر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(١١) في الأصل : « طوأي وكلف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(١٢) في (س) ، (ط) والوافي : « الفن الفذ » .

وأقسم أن البيان مانكّب عما دبّجه مولانا ونكّت ، ولا أجراه الله على لسانه إلا لما سكّت البلغاء وبكّت ، ولا آتاه هذه النّقود المطبوعة إلا وقد خلّصت القلوب من رقّ غيره وفكّت ، ولا وهبّه الله هذه الكلم الجوامع إلا أن الأوائل أحسّوا بطول رسائلهم فقطّعوها من حيث رقت ، والصحيح من حيث ^(١) ركت ، فما كلُّ كاتب يدّه فم ولسانه فيه قلم ، ولا كلُّ متكلم حش بيانه تأتم الهداة به كأنه علم ^(٢) ، ولا كلُّ بليغ ^(٣) إذا خاطب الوليّ كلاً أو كلّ العدو كلّهم ، لأنّ مولانا حرصه الله تعالى لا يتكلّف إذا أنشأ ، ولا يتخلّف إذا وثّى ، والسّجع أهون عنده من النفس الذي يردده أو أخفّ ^(٤) ، والدرّ الذي يقذفه من رأس قلمه أكبر من الدرّ الذي في قعر البحر وأشفّ ، وإذا راض قلمه روض الطّروس من وقته ، وإذا أفاض كليمه فوض البيان أمر مقلته ومقلته ، وما كليمه إلا بحرّ ، والقوافي أمواج ، وما قلمه إلا ملك البلاغة ^(٥) فإذا امتطى يده ركضت به من الطّروس على حلال الدّيباج ، فلهذا أخملت رسائله الخبائل ، وتعلّمت منها ^(٦) الصّبا لطف الشّمالك ، وأخذت بأفاق البلاغة فلها قرها الطّوالع ولغيرها نجومها الأوائل ، وانتقت أعالي الفضائل ، وتركت للناس فضالة ^(٧) الأسافل :

وهذا الحقّ ليس به خفاءً فدعني من بنيّات الطّريق

فأمّا درّه الذي خرطه الجناس في ذلك ^(٨) السلك فما أحقّه وأولاه بقول ابن سناء

الملك :

(١) قوله : « من حيث » ، ليس في الوافي .

(٢) يشير إلى بيت الحسناء المشهور :

وإنّ صخراً لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار

(٣) (س) : « وليّ » .

(٤) في (س) ، (ط) والوافي : « وأخف » .

(٥) (س) : « البرايا » .

(٦) في الوافي : « منه » .

(٧) في الوافي : « فضالات » .

(٨) عبارة الوافي : « الذي خلطه الجناس وخرطه » .

فَذَا السَّجَّعِ سَجَعَ لَيْسَ فِي النَّثْرِ مِثْلُهُ وَهَذَا جِنَاسٌ لَيْسَ يُحْسِنُهُ الشَّعْرُ^(١)

فلو رأى الميكالي غطه العاليي^(٢) وتنسم شذى غاليته العزيز الغالي لقال عطّلت هذه المَحَاسِنَ حالي الحالي وكنت من قبلها ما أظن اللالكئ إلا لي ، ولو ظفر الحظيري^(٣) بتلك الدّرر حلّى بها^(٤) تصنيفه^(٥) ، ولو بلغ العمّاد الكاتب هذه النكت رفعها على عرشه وعودها بأية الكرسي ، ودخل دار صمته وأغلق باب الفتح القدسي^(٦) ، فعين الله على هذه الكلم التي نفّثت في العَقْد ، وأيقظت جدّ هذا الفن الذي كان قد رقد ، فقد أصاب الناس بالسّهام ، وأصبّت أنت بالقرطاس ، وجاءوا في كلامهم بالذواوي الذابل وجئت أنت بالغضّ اليانع الغراس ، وأبعدت أنت^(٧) في مرمى هذا الفن فقاربوا ، ولكن أين النَّاسُ من هذا الجناس ، وسبقت إلى الغاية ، ولو وقفت « ما في وقوفك ساعة من باس »^(٨) ، وقد قيل : بُدئ الشعر بأمرٍ وختمَ بأمرٍ ، يريدون امرأ القيس وأبا فراس ، وكذا أقول بُدئ بالبسّتي وختم بمولانا ، وكلا كما [أبو الفتح]^(٩) فصَحَّ القياس .

وقد أثبتت على تلك الروضة ولو وُفِّقَت^(١٠) لاثبتت وما أثبتت ، ووقفت^(١١) عند

(١) في الأصل : « الشعرا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٢) في الأصل : « الغالي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

(٣) سعد بن علي بن القاسم ، شاعر بغدادي ومؤلف ، له : زينة الدهر ، ولمع الملح (ت ٥٦٨ هـ) .
وفيات الأعيان : ٣٦٧٢ .

(٤) في الوافي : « بها » .

(٥) في (س) ، (ط) ، والوافي زيادة : « وعلم أن أرباب الجناس لو أنفق أحدهم ملء الأرض ذهباً ما بلغ مدّ مولانا ولا تصنيفه » .

(٦) هو الفتح القسي في الفتح القدسي ، للعماد الكاتب محمد بن محمد (ت ٥٩٧ هـ) والكتاب مطبوع .

(٧) ليست في الوافي .

(٨) صدر بيت لأبي تمام عجزه : « نقضي حقوق الأربع الأدراس » وهو مطلع قصيدة .

(٩) زيادة من (س) ، (ط) والوافي .

(١٠) (س) : « وقفت » .

(١١) في الأصل : « وقفت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) والوافي .

قدري فَمَا أَجَبْتُ ، ولكن اتَّقَحْتُ ^(١) وما استحييت ، على أنني لو وجدت لساناً قائلًا
لقلت ، فإني قد وجدت أول البيت وقد شغل وصف مثال مولانا عن شكوى حال
المملوك ^(٢) الشاقة ، وأرجو أنني أوصيها شفاهاً إما في الدنيا وإما في يوم الحاقة :

إِنْ نَعِشْ نَلْتَقِ وَإِلَّا فَمَا أَشْغَلْ مَنْ مَاتَ [عَنْ] جَمِيعِ الْأَنَامِ ^(٣)

قلت : كأن هذه الخاتمة كانت مني فالأعلى عليه ، فإننا لم نلتق ، وحالت المنيّة بينه
وبين الجواب ، والمرجو من الحليم الكريم أن يجمعنا في دار كرامته ورحمته .

وانشدني رحمه الله تعالى من لفظه لنفسه ما كتبه ^(٤) إلى ابن عمه :

| | |
|---|---|
| تَمَنَّاها وَمَا عَقَدَ التَّمَائِمُ | وَشَابَ وَجْهَهَا فِي الْقَلْبِ دَائِمُ |
| وَحَكَمَ لَحْظَهَا فَقَضَى عَلَيْهِ | فَأَيْنَ مُجِيرَةٍ مِنْ جُورِ حَاكِمِ |
| وَطَارَحَهَا الْغَرَامَ بِهِ فَقَالَتْ | عَلِمْتُ فَقَالَ مَاذَا فَعَلُ عَالِمِ ^(٥) |
| مُعَلَّلَهُ الْمُتَيْمِّمَ وَالْفَوَانِي | حِبَالُ وَعُودِهَا أَبَدًا رَمَائِمِ |
| أَمَّا لِي فِي وَصَالِكَ مَنْ نَصِيبُ | وَلَا لَكَ فِي عَذَابِي مِنْ مُسَاهِمِ |
| وَلَا لِي مَلْجَأٌ فِي الْخُطْبِ إِلَّا | سَلِيلُ الْمَلِكِ ذُو الْمِنَنِ الْجَسَائِمِ ^(٦) |
| إِلَى ابْنِ أَبِي الْحُسَيْنِ الْحُسَيْنِ يُعْزَى | وَتَغْرُ الْجُودُ عَنْ جَدَّوَاهِ بَاسِمِ |
| هَمَامٌ بِالْحُرُوبِ لَهُ اهْتِمَامُ | بِفَتْكَ فِي الْعِدَا لَا فِي الْغَنَائِمِ |
| فَيُعْمِلُ رَأْيَهُ الْمَاضِي شِبَاهُ | إِذَا نَبَتِ الْأَسِنَّةُ وَاللَّهُ هَازِمِ |
| وَيَثْبُتُ حَيْثُ مُشْتَجَرُ الْغَوَالِي | وَيَمْضِي حَيْثُ لَا تَمْضِي الصَّوَارِمِ |

(١) من القحة ، مصدر : وقع الرجل .

(٢) في الوافي : « عن شكوى حالي » .

(٣) الزيادة من (س) ، (ط) والوافي .

(٤) (س) ، (ط) : « ما كتب به » .

(٥) (س) : « بها » .

(٦) في (س) : « سليل العم » .

وَيَأْمَنُ عِنْدَهُ اللَّاحِي إِلَيْهِ
وَيَقْصِدُهُ السَّلِيمُ فَلَا يُبَالِي
وَلَوْ حَفَّتْ بِمَهْجَتِهِ الضَّرَاعِمُ
يَا أَعْيَاهُ مِنْ مَنْ سَمِ الْأَرَاقِمُ
وَهِيَ طَوِيلَةٌ ، وَهَذَا الْقَدْرُ مِنْهَا كَافٍ .

وَأُنْشِدُنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ غَيْرَ مَرَّةٍ :

فَقَرِي لِمَعْرُوفِكَ الْمَعْرُوفِ يُغْنِينِي
إِنْ أَوْبَقْتَنِي الْخَطَايَا عَنْ مَدَى شَرَفِ
أَوْ غَضٍّ مِنْ أَمَلِي مَا شَاءَ مِنْ عَمَلِي
وَأُنْشِدُنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

صَرَفْتُ النَّاسَ عَنْ بَالِي
وَحَبَّبْتُ لِي اللَّهُ مُعْتَصِمِي
وَمَنْ يَسْلِلِ السُّورَى طُرّاً
فَلَا وَجْهِي لِذِي جَاهٍ
فَحَبَّبْتُ لِي وَدَادِهِمْ بَالِي
بِهِ عَلَّقْتُ أَمَامِي
فَلِي أَنِّي عَنْهُمْ سَالِي
وَلَا مِيلِي لِذِي مَالٍ

وَأُنْشِدُنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

عَذِيرِي مِنْ دَهْرٍ تَصَدَّى مَعَاتِباً
رَجَوْتُ بِهِ وَصَلَ الْحَبِيبِ فَعِنْدَمَا
لِمُسْتَمْنَحِ الْعُتْبَى فَأَقْصَدَ مَنْ قَصَدَ
تَبَدَّى لَهُ الْمَعْشُوقُ قَابِلَهُ الرَّصَدُ^(٢)

وَأُنْشِدُنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ مَلْغِزاً فِي « قَرَاوِش » :

ظَبِي مِنَ التُّرْكِ هَضِيمِ الْحَشَا
لِلطَّرَفِ مِنْ تَذْكَارِهِ عِبْرَةٌ
مَهْفُهُفُ الْقَدِّ رَشِيقُ الْقَوَامِ
وَالْقَلْبُ شَوْقُ أَرْقِ الْمُسْتَهَامِ

(١) فِي الْوَاقِفِ : « الْمَطَايَا » .

(٢) فِي الْوَاقِفِ : « لِي » .

وأنشدني إجازة ، ومن خطه نقلت :

إِنْ غَضَّ مِنْ فَقَرْنَا قَوْمَ غَنَى مَنِحُوا وَكَلَّ حِزْبٍ بِمَا أُوتُوهُ قَدْ فَرِحُوا^(١)
إِنْ هُمْ أَضَاعُوا لِحِفْظِ الْمَالِ دَيْنَهُمْ فَإِنَّهُمْ خَسِرُوا أَضْعَافَ مَا رَجَحُوا
وأنشدني في لفظه لنفسه :

يَا بَدِيعَ الْجَمَالِ شُكْرُ جِبَالِكَ أَنْ تُوَافِيَ عُشَاقَهُ بِوَصَالِكَ
لَنْتَ عَطْفًا لَهُمْ وَقَلْبُكَ قَاسٍ فَهَمْ يَأْخُذُونَ مِنْ ذَا لِيذَلِكَ
غَيْرَ أَنَّ الْجَمَالَ أَوْلَى بِذَا الْحُسِّ مِنْ وَمَنْ لِلْبُدُورِ مِثْلُ كَمَالِكَ^(٢)
قَابِلْتُ وَجْهَكَ السَّمَاءَ فَشَكَلَ الـ بَدْرٌ مَا فِي مِرَآئِهَا مِنْ مِثَالِكَ
مِثْلَتُهُ لَكِنْ رَسُومٌ صَدَاهَا كَلَفَتْهُ فَقَصَرَتْ عَنْ مِثَالِكَ

١٧٧٣ - محمد بن محمد بن يوسف *

ابن نصر ، صاحب الأندلس أمير المسلمين أبو عبد الله بن الأحمر الخزرجي .

كان ملكاً جميلاً نبيلاً حسن السياسة^(٣) ظاهر الرياسة ، عاقلاً وقوراً ، فاضلاً يرسل من ذهنه على صيد المعاني صقوراً ، متظاهراً^(٤) بالدين متجاهراً بقمع الملحدين ، له نظم أرق من هبة نسيم سحر ، وأخلب من لحظ غادة إذا رمق وسحر^(٥) .

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ كل حزب بما لديهم فرحون ﴾ الروم ٣٠/٣٢ . ووقع في (س) ، (ط) والوافي : « فكل » .

(٢) (س) ، (ط) والوافي : « الكمال » . وفي الوافي : « مثل خيالك » .

* الوافي : ٢٠٦/١ ، الدرر : ٢٤٢/٤ ، ووقع في (س) : « محمد بن محمد بن محمد » سهو .

(٣) في الأصل : « السيادة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٤) في الأصل : « متظاهر » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٥) في (س) : « سحر » ، بلا واو .

وكان قد قرأ العريّة على الأستاذ أبي الحسن الأُبَدي^(١) وراح وهو على طريقه يَحْتَدِي .

ولم يزل على حاله إلى أن خانَه زمانه ، وغدر به سُلطانَه ، فَخَلَعَ ثُمَّ غُرَّق ، وَوَزَعَ سَعْدُهُ وَفَرَّق ، وذلك في سنة تسع وتسعين وست مئة .

وكان قد بويع السُلطان أبو عبد الله بعد والده سنة إحدى وسبعين وست مئة ، فتملك ثمانية أعوام ، ثُمَّ إِنَّهُ وثب عليه أخوه أبو الجيوش نصر^(٢) ، وظفر به وسجنه مدّة ، ثُمَّ جَهَزَهُ إلى بلده شلوبينيّة^(٣) ، فحبسه بها إلى أن تحرّك على نصر^(٤) ابنُ أخته الغالب بالله وطلب نصر أخاه المخلوع إلى غرناطة فجعله عنده بالأحرار في بيت أخته ، ومرض أبو الجيوش نصر ، فأغمي عليه ثلاثة أيّام ، فأحضر الكبراء أخاه ليملكوه ، فلمّا عوفي^(٥) أبو الجيوش تعجّب من مجيئه وأخبر فقرّقه خوفاً من شهامته ، وكان خلّعه وتغريقه في السّنّة المذكورة .

أخبرني من لفظه شيخنا الإمام العلامة أثير الدين^(٦) قال : رأيته بغرناطة مراراً بالصلّى ، وأنشدته قصيدة امتدحتة^(٧) بها ، وحضرت عنده إنشاد الشعراء في بعض أعياده ، ويذكر أن له نظماً ، وقد اشتهر عنه وهو قوله يخاطب وزيره أبا سلطان عزيز بن علي الداني :

(١) علي بن محمد بن محمد (ت ٦٨٠ هـ) . بغية الوعاة : ٩٩/٢ .

(٢) ستأتي ترجمته في موضعه .

(٣) في الأصل : « سلوبيّة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي . وشلوبينيّة : حصن بالأندلس من أعمال كورة البيرة . (معجم البلدان) .

(٤) (س) : « أبو نصر » .

(٥) في الأصل : « توفي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٦) (س) : « أثير الدين أبو حيان » .

(٧) في الوافي : « أمده » .

تَذَكَّرْ عَزِيزَ لَيْلَيْنَا وَأَنْسَأْ نَعَاطِي عَلَى الْفَرَقْدَيْنِ
وَنَحْنُ نُدَبِّرُ فِي مُلْكِنَا وَنُعْطِي النُّضَارَ بِكَلْتَا الْيَدَيْنِ
وَقَدْ طَلَبَ الصُّلْحَ مَنَا اللَّعِيدُ نَ فَمَا قَازَ إِلَّا بِخُفْيِ حُنَيْنِ
إِذَا مَا تَكَاثُرَ إِرْسَالُهُ يَكُونُ الْجَوَابُ شَبَا الْمَرْهَقَيْنِ
فَلِمَ لَا تَشْمُرُ عَنْ سَاعِيدِ وَتَضْرِبُ بِسَالِيسِيفِ فِي الْمَغْرِبَيْنِ
وَقَدْ خَدَمْتَنَا مَلُوكُ الزَّمَا نِ وَقَدْ قَصَدْتَنَا مِنَ الْعَدُوَّتَيْنِ
فَنَسْأَلُ مِنْ رَبَّنَا عَوْنَهُ عَلَى مَا نَوِينَا مِنَ الْجَانِبَيْنِ
ومَّا ذكر عنه قوله :

أَيَا رَبَّةَ الْحُسْنِ الَّتِي أَذْهَبَتْ نُسْكَي عَلَى كُلِّ حَالٍ أَنْتِ لَا بُدَّ لِي مِنْكِ ^(١)
فَأَيُّهَا بِذُلِّ وَهُوَ أَلْيَقُ بِالْهُوَى وَإِمَّا يَعْزُ وَهُوَ أَلْيَقُ بِالْمُلْكِ
انتهى .

قلت : وقد نظمت جوابه كأني حاضرُه في وزنه ورويّه :

مَتَى لَاقَ بِالْعُشَاقِ عَزَّ وَسَطُوعُهُ كَأَنَّكَ مِنْ ذُلِّ الْحُبَّةِ فِي شَاكٍ
تَلَقَّ الْهُوَى مَعَ مَا مَلَكَتْ بِذِلَّةٍ لَتُنْظَمَ مَعَ أَهْلِ الْحُبَّةِ فِي سِلْكِ
ولكنه ظرّف في كونه قدّم لفظ الذلّ على العزّ .

١٧٧٤ - محمد بن محمد بن محمد *

ابن محمد بن عبد القادر ، الإمام المفتي المدرّس ناصر الدين بن الصايغ الدمشقي .
كان من أعيان الفقهاء وسيع كثيراً ونظر في الرجال ، وعني بالمتون ، وسَمِعَ من

(١) (س) : « أَيُّ حَالٍ » .

* الوافي : ٢٨٨/١ ، والشذرات : ١٢٣/٦ .

القاضي ، والمطعم ، وعدة . وكتب عن شيخنا الذهبي . وقال شيخنا عنه : له عبادة وإصابة وتسنن .

وتوفي رحمه الله تعالى في طاعون دمشق سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وسبع مئة .

كان ^(١) مدرّس العمادية .

١٧٧٥ - محمد بن محمد بن محمد *

الشيخ الفقيه القاضي فخر الدين أبو عبد الله الشافعي المعروف بابن الصقلي .

ناب في الحكم بالحكر ظاهر القاهرة إلى حين وفاته ، وصنف كتاب (التنجيز في تصحيح التعجيز) ^(٢) وولي قضاء دميّاط .

توفي رحمه الله تعالى في أواخر ذي القعدة سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وقد قارب السبعين .

١٧٧٦ - محمد بن محمد بن محمد **

ابن خليفة بن نصر [الله] القاضي الرئيس الفاضل الكاتب أمين الدين ابن القاضي نجيب الدين [بن القاضي كمال الدين] ^(٣) بن النحاس .

أتقن القلمين إنشاءً وحساباً ، وتجاوز غاية الفنين ، فإذا دعاها أجاباً ، وكان فيه رئاسة تشربها قلبه قديماً ، وصحب الناس على اختلاف حالتيه خادماً وخدماً .

(١) في (س) ، (ط) : « وكان » .

* الدرر : ٢٣٦/٤ ، وحسن المحاضرة : ٤٢٤/١ ، والشذرات : ٧٩/٦ .

(٢) كشف الظنون : ٤٩٤/١ .

** الدرر : ٢٢٤/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من الأصول والدرر .

(٣) زيادة من (خ) .

ولما كان في ديوان الأمير سيف الدين تنكز رأى من العز والوجاهة والصدارة والنباهة مافاق به أبناء جنسه ، وجنى ثمر غرسه ، ونفخ في ضرم الكرم ، وأبقى من الثناء ما لا انصرف ذكره ولا انصرم . ثم إن الدهر قلب له المجنّ ، وأسدف ليل خوله وجنّ ، وانحرف عليه مخدومه ، وغابت من إقباله نجومه ، ثم إنه حنّ عليه بعض حنوّ وأسمى قدره بعض سمو .

ولم يزل في عمالة الخزانة معروفاً بالضبط والأمانة إلى أن نحى النحاس عن الحياة أجله ، ولم ينفعه ريثه ولا عجله .

وتوفي رحمه الله تعالى فجأة يوم الخميس سابع شهر رجب الفرد سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

ومولده في غالب الظن في ^(١) سنة إحدى وثمانين .

بات ليلة الخميس وأصبح بكرة نهاره ، فحكى لبعض أصحابه ، قال : رأيت في بارحتي كأني دخلت الحمام ومّت ، وفي البارحة الأولى رأيت مثلاً ذلك ، ثم إنه اشترى لأهله حلوى ، لأنه كان ليلة الرغائب ، وجهّزها مع أهله إلى تربة ولده بالمرّة ، وقال : أنا العصر عندكم ، ثم إنه دخل الحمام وخرج منه ، فمات فجأة ، وما أذن العصر إلا وهو عند أهله كما قال ، ولكن على النعش .

وكان أول أمره قد توجه مع الأمير سيف الدين طقطاي الجمدار إلى نيابة الكرك ، ثم إنه عاد واستخدمه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى صاحب ديوانه عوضاً عن القاضي محي الدين ، فصال وجال ، وكان [له] ^(٢) ذكر في دمشق وصيت وسمعة إلى أن تغبّر عليه بعد مدّة ^(٣) فعزله ، وأخذ منه بعض شيء ، واستمر ^(٤) في إحدى وظيفتيه

(١) ليست في (س) .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) .

(٣) في (خ) : « تغبر عليه مخدومه فعزله » .

(٤) في (س) ، (خ) زيادة : « به » .

بديوان الإنشاء ، ثم إنه بعد مُدَيِّدة لزم بيته ، وأقام على ذلك مدة . ثم إنه حنّ عليه واستخدمه في نظر دار الطراز ، فباشرها مدّة ، ثم إنه تناقل هو وابن السابق^(١) من عمالة الخزانة إلى نظر دار الطراز ، فاستمر^(٢) أمين الدين في عمالة الخزانة بقلعة دمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى .

ولما كان^(٣) الأمير علاء الدين الطنبيغا بدمشق تحدث له القاضي شهاب الدين بن فضل الله في أن يكون في جملة كتّاب الإنشاء ، فرسم له بذلك ، وكتب بذلك توقيعه ، وعلم عليه ، وطلب ليباشر فاستعفى من ذلك .

وكان له نظم ونثر لا بأس بها ، من ذلك ما نظممه وكتبه على (حسن التوسّل)^(٤) وهو :

فأدركته منها بحسن التوسل

ونقلت من خطّه صورة قصة كتبها على لسان قلعة الكرك تسأل أن يكون بها موقعا وهي :

الملوكة المملّكة الكركيّة الشاكي على^(٥) لسان حالها أكبر مصيبة^(٦) وأعظم بليّة :

تقبل الأرض لدى مالك ساس الأقاليم برأي مصيب
وتشتكي جَوْرَ الزمان الذي قد خصوا دون الوري بالصليب

(١) علي بن عبد الواحد ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) (خ) : « فباشر » .

(٣) في الأصل : « ولما توفي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) حسن التوسل في صناعة الترسل للشهاب محمود ، وهو من أشهر كتب الإنشاء .

(٥) في (س) ، (خ) : « إلى » .

(٦) (س) : « الأكبر بمصيبة » ، وفي (خ) : « كبر مصيبة » .

وتنهي أنها من أعز الممالك وأصعب المسالك ، قلعتها منيعة ، وهضبتها رفيعة ، وبقعتها وسيعة ، وذروتها باسقة وقلتها شاهقة ، وقد اتخذت لها الغمام لثاماً ، وزرقة السماء وشاماً ، يكاد ساكنها يردّ من الهجرة نهرها ويجالس^(١) من النجوم زهرها ، وهي دار السلطنة الشريفة ، ومحلّ الأمن من الخيفة ، قد جمعت بين قرب الأرض المقدسة والشام ومجاورة الأنبياء والبلد الحرام ، ومع ذلك كلّه لسان إنشائها ألقف ، وقلم توقيعها من الحجارة أجلف ، ووليّه نصرانيّ الدين ، وفي ذلك إجحاف بالإسلام والمسلمين ، وكانت صابرة على البلوى ومحتسبة عند الله ما تقاسيه من هذه الشكوى ، لعدم من تنهي [إليه]^(٢) حالها وتبث مقالها ، إلى أن أعزها الله بعز الدين ، ومنحها^(٣) منه بالرأي الصائب والفتح^(٤) المبين :

أمير له حزم وعزم وفطنة ورأي يجيد العقد والحل صائبه
تردّى بثوب العدل والباس والندى كما قال من قد أحكمته تجاربه :
« بصير بأعقاب الأمور كأنما تغازله من كل أمر عواقبه »

فلما حل ساحتها ، وأعاد لها بعد التعب راحتها ، وأزال عنها كل بوس وأضحك وجوه^(٥) أهلها العبوس ، حضر لديه منثنى هذه القصة ومزيل - إن شاء الله - هذه الغصة عبْد الأبواب الشريفة محمد بن محمد بن خليفة من غذي بالإسلام ، ونسب إلى أنصار النبي عليه السلام ، وهي تسأل توليته ديوان إنشائها ، وإن لم يكن لذلك أهلاً ، لكنه أحق من هذا^(٦) الألقف وأولى ، لتكون المملوكة في ذلك كمن اتخذ سداداً من عوز أو تقلدٍ لعدم الدرّ الخرز :

(١) في الأصل : « ويجالس » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) زيادة من (خ) .

(٣) (خ) : « الذي منحها » .

(٤) (خ) : « والنصر » .

(٥) (خ) ، (ط) : « وجه » .

(٦) (خ) : « ذلك » .

فإن اقتضت آراءً مولى قد سما بمفاخر ومآثر وبسؤدد
أن يسعف الشاكي إليه برأفة تدنيه من آماله والمقصد
فليصرفن هذا اللعين ويغتم إبداله لي بطرُساً بمحمد^(١)

ويشرف هذا القلم^(٢) الذي لا يبارى ، وليعمل بقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى ﴾^(٣) ويسلك هذه الصناعة أحسن مسلك ، معتمداً على قوله عز وجل : ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ ﴾^(٤) وينزهها من ذلك كأمثالها من الحصون ، أخذاً بقوله حل اسمه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ ﴾^(٥) .

وقد أرسلت المملوكة هذه القصة والسيل بالغ الزبا وخفيف بلله قد عمّ أعالي الربا ، فإن أجيب فاللوم عداكم ، وإلا أنشدت : « فعلى علام » أنهت ذلك إن شاء الله تعالى .

وكنت قد كتبت له توقيعاً بنظر دار الطراز ثالث^(٦) عشري صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وهو :

رسم بالأمر العالي - لازال يصطفي من كان أميناً ويكتفي بن تتقلد الأيام من محاسنه عقداً ثميناً ، ويحتفي بن يصيح نور كفايته على مرّ الليالي مبيناً - أن يرتب المجلس السامي^(٧) القضائي في كذا .. ركناً إلى كفايته التي يزيد جلالها ويزين ،

(١) (خ) : « هذا الخبيث » . وفي الأصل : « بطرس محمد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٢) في الأصل : « العلم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) المائدة : ٥١/٥ .

(٤) البقرة : ٢٢١/٢ .

(٥) المجادلة : ٢٢/٥٨ .

(٦) (خ) : « في ثالث » .

(٧) (خ) : « العالي » .

ويعيد جلالها ويعين ، ويبيد كل فضل^(١) سواها ويبين ، ويستحق بمكانتها أن يقال له ﴿ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أُمِينٌ ﴾^(٢) إذ هو الخبير الذي إذا قام في أمر سدّه ، وتمنى بدُّهُ التّام لو نال بعض كآله وودّه ، والفاضل الذي مر الزمان على محاسنه وهي لا تزيد إلا جدّة وجدّة ، وأعياء تعداد فضلّه أنامل الحُساب فما أمسكوا إلا على عدة وعدّة ، والكاكب الذي وشى المهارق ، عوّذ قلمه وطرسه بالقضيب والبُرْدَة ، ورقم^(٣) ابن مقلّة تحت رقم خطّه ، وشهدت له بالحلاوة شهده ، والبليغ الذي إذا قال قال الذي عنده ، وأعجلت رويّته القلم فلم تدعه يبلغ ريقه ولا يستريح في مئة مدّه .

فليباشر ذلك مباشرة هي في كفالة معرفته وكفاية خبرته ناظراً فيما يوشي ويوشع ، ويلم شمل الحسن في رقمه ويُلَمّع ، متطبلاً أعمال الصناعة يأتقانها ، وإقامة الحجة في النظر على صحة رقمهم بأدلتها وبرهانها^(٥) ، متطلعاً إلى ضبط ما يصرف ، وعرفان ما يمكن أن يتوصل إلى كيفية إحسانه وكميّة أوزانه ويعرف ، حتى تكون هذه المباشرة حقيقةً في صحة النظر دون مجازة ، وينسى ابن سناء الملك لمحاسنها طراز داره ودار طرازه ، فإنه من هذه الوظيفة المباركة قد تسوّغ العذب النّمير ، وفوّض إليه النظر في جمال المأمور والأمير وزينة الكبير ، ولا حظّ فيها للصغير ، فيقال : والصغير ، ينعم نظره منها في نعيم وملك كبير ، ويتفائل منها بسعادة الآخرة فإنه بها في الدنيا في جنّة وحرير .

وتقوى الله ملاك الأمور فليكن طراز بروده وواسطة عقوده المتحلّي بها في صعود سعوده ، وليقابل هذه النعمة بشكر يوجب^(٦) مزيد الخير المستمر والحمد الذي

(١) في الأصل : « فصل » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) يوسف : ٥٤/١٢ .

(٣) (خ) : « لا تزداد » .

(٤) قوله : « والكاكب .. » إلى ههنا ليس في (خ) .

(٥) (خ) : « على صحّة برهانها » .

(٦) في (س) ، (خ) : « يوجب له » .

يستقل بالأيادي الجزيلة ويستقر ، والله يزيده فضلاً من عنده ويوفقه إلى ما^(١) يرشده إلى مظان سَعده ، بمنّه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

١٧٧٧ - محمد بن محمود*

ابن شمس الدين بن الكويك ، التاجر التكرتي .

أقام بدمشق مدة طويلة ، ورحل وأقام بالإسكندرية ، وصار من تجّار الكارم ، وكانت له في الإسكندرية صورة مشهورة^(٢) ومعروف وبرّ .

توفي رحمه الله تعالى سنة أربع عشرة وسبع مئة .

١٧٧٨ - محمد بن محمود بن محمد**

ابن بندار ، الشيخ بدر الدين التبريزي الشافعي .

كان رجلاً مباركاً معروفاً بالصّلاح ، ولي القضاء في أماكن متعدّدة ، منها القدس وبعلبك ، ثم إنه نُقل من القدس إلى بلد الخليل عليه السلام خطيباً ، فأقام أشهراً يسيرة .

ومات رحمه الله تعالى في عاشر شوال سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

١٧٧٩ - محمد بن محمود بن ناصر***

ابن إبراهيم ، الشيخ الفقيه المقرئ المجوّد شمس الدين ابن الشيخ نجم الدين الزُّرعي الدمشقي المعروف بابن البصال .

(١) (خ) : « لا » .

* تالي وفيات الأعيان : ١٢٧ ، والدرر : ٢٥٢/٤ .

(٢) ليست في (س) .

** الدرر : ٢٥٢/٤ .

*** الدرر : ٢٥٢/٤ .

كان مُقرئاً جيداً عارفاً بالقراءات ، حسن الصوت ، مليح الأداء ، أمّ بدار الحديث الأشرقيّة مدّة ، وكان الناس يقصدون الصلاة خَلْفَهُ في التراويح فيتلئ المكان ويزدحم .

وكان صيّناً ديناً متواضعاً ظاهر الخير ، وتصدّر للإقراء مدّة .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس ذي الحجة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة^(١) وقد تجاوز الأربعين من عمره .

١٧٨٠ - محمد بن محمود بن سلمان*

ابن فهد ، القاضي شمس الدين صاحب ديوان الإنشاء بدمشق ، وابن شيخنا العلامة شهاب الدين محمود صاحب ديوان الإنشاء بدمشق .

كان ساكناً وادعياً ، راداً عن الظلم رادعاً ، ليس من الشر في شيء وإن هان^(٢) ، ولا عنده كبر ولا له في الملق وجهان . وكان خطّه كالقلائد على اللّباب ، والأزهار إذا كان للنسيم فيها^(٣) هبات . جمع من إنشاء والده مجاميع ، وعلّق أشياء مطابيع :

كأنّها من حسنّها روضةً تسرح فيها مقلّة الناظر
ولم يزل على حاله إلى أن صرعه المنايا ، وصدعت شمل حياته الرزايا .

وتوفي رحمه الله تعالى في عاشر شوال سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

(١) (س) : « ثمانية عشرة » . وفي الدرر : « ثمانون وثلاثين وسبع مئة » .

* الوافي : ١٢/٥ ، والدرر : ٢٥١/٤ ، والشذرات : ٨/٦ .

(٢) يشير إلى قول الحماسي :

لكنّ قومي وإن كانوا ذوي عدد ليسوا من الشرّ في شيء وإن هانا

(٣) في (س) : « عليها » .

ومولده ثامن^(١) شوال سنة تسع وستين وست مئة .

وكان يكتب خطاً نقشاً نقشاً مليحاً^(٢) إلى الغاية ، وكان كثير التواضع لم يغيره المنصب ، وكان الأمير سيف الذي يحبه ويعزه ويكرمه ، ولما جاء والده رحمه الله تعالى إلى دمشق صاحب ديوان الإنشاء كان هو حَوْلَ والده يكتب المطالعة ، هو والقاضي شرف الدين أبو بكر ولده ، وقد تقدم ذكره ، وكان إذا سافر الأمير سيف الدين تنكز إلى الصيود يسافر القاضي شمس الدين معه ، وتوجّه معه إلى الحجاز لعجز الشيخ شهاب الدين والده عن حركة السفر . ولما توفي والده رحمه الله في شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة كتب فيه تنكز إلى السلطان فولاه صحابة ديوان الإنشاء بدمشق على عادة والده ، ووصل توقيعه ...^(٣) .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي في التاريخ المذكور ، فما طالت المدة .

ولما مات رحمه الله تعالى رثاه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة بقصيدة أولها :^(٤)

| | |
|---------------------------------|--|
| وأطلق دموعك إنَّ القلب معذورٌ | وإنه بيد الأحزان مأسورٌ |
| وخلَّ عينيك يهمني من مدامعها | درُّ على كاتب الإنشاء منشورٌ |
| يسوءني ويسوء الناس أجمع يا | بيت البلاغة أن البيت مكسور |
| في كل يوم برغي من منازلكم | ينأى ويذهب محمود ومشكور ^(٥) |
| خبا الشهاب فقلنا الشمس فاعتضت | أيدي الردى فزمان الأنس ديجور |
| أهلاً لمنظر شمسٍ لا يُدَمِّ لها | بالسعي في فلَّك العلياء تسيير ^(٦) |

(١) (س) : « في ثامن » .

(٢) ليست في (س) .

(٣) كذا بياض في الأصول .

(٤) ديوانه : ٢٢١ .

(٥) في الديوان : « عن منازلكم » .

(٦) في الديوان : « لا يدوم لها ... تسيير » .

منها :

لهفي عليه لأخلاق مهذبة سعى الثناء بها والأجر مبرور^(١)
 تواضع لاسمه منه ازدياد علا وفي التكبر لـلأساء تصغير
 وهمة بين خدام العلا نشأت فاللفظ والعرض ربحان وكافور
 لا عيب فيه سوى فكر عوائده للحمد رق وللالفاظ تحرير
 حتى إذا لاح مرفوع مدائده وراح ذيل علاه وهو مجرور
 تخيرته أكف الموت عارفة بنقده وتنتقه المقادير

منها :

والمرء في الأصل فخار ولا عجب أن راح وهو بكف الدهر مكسور
 جادت ضريحك شمس الدين سارية عيسى صدك لديها وهو مسرور^(٢)

١٧٨١ - محمد بن محمود بن معبد*

الأمير بدر الدين ، أحد أمراء الطيلخانات بدمشق ، وهو أخو الأمير علاء الدين ، وقد تقدم ذكره في حرف العين ، وأصلها من بعلبك .

أخذ الأمير بدر الدين هذا العشرة ، ثم الطيلخاناه ، وكان الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى قد تغير عليه لما تغير على^(٣) ناصر الدين دواداره ، ثم رضي عنه بعد ذلك وولاه الصفة القبلية ، وكانت له نعمة طائلة ، وأملاك وسعادة^(٤) .

وكان يحب الفضلاء ويكرمهم ، وعلى ذهنه توارىخ الناس ووقائعهم ، وعنده

(١) في الوافي : « سعي » .

(٢) في الديوان : « شمس الدين سحب ندى » . وفي الأصل : « إليها » ، وأثبتنا ما في (س) والديوان .

* الدرر : ٢٥٢/٤ .

(٣) في (س) ، (خ) : « على الأمير ناصر » .

(٤) قوله : « وكان الأمير سيف الدين » حتى ههنا ليس في (خ) .

مجلدات في الأدب وغيره ، ولم يكن يقدر أحد يحجّه ولا يخصمه إذا سارعه ^(١) أو حاكمه ، وكان شكلاً طويلاً بطيناً دون أخيه علاء الدين .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ودُفن إلى جانب بيته داخل دمشق .

١٧٨٢ - محمد بن مختار *

الفقيه الفاضل شرف الدين الحنفي .

كان جيّد الذهن ، يعرف الهندسة جيّداً ، وله يد طولى في الهيئة والحساب ، وكان في الأصل صائغاً ، فتسلط بالصياغة ^(٢) على معرفة كتاب الحيل لبني موسى ^(٣) وكان يصنع بيده أشياء ^(٤) غريبة ويقدمها للأمير سيف الدين قجليس الناصري ، فراج عنده بذلك ، وأخذ له فقاهاات في المدارس ^(٥) الحنفيّة . وكانت له يد في المنطق ، وكان يجب الأدب ، ولم يكن له فيه يدٌ بل ولا ذوق .

اجتمعت به بقلعة الجبل غير مرّة وجرت بيني وبينه مباحث أصولية ، وكان يميل إلى رأي الفلاسفة ، وفيه يقول الشيخ شهاب الدين أحمد العسجدي ^(٦) أبياتاً أنشد فيها ، منها أولها :

ليس ابن مختار في كفر بمختار وإنّا كُفّرهُ تقليد كُفّار

(١) في الأصل : « شارع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والمسارة : المبادرة .

* الوافي : ١٤/٥ ، والدرر : ٢٥٤/٤ .

(٢) (خ) : « صائغاً ... بالصناعة » .

(٣) هم ثلاثة أخوة محمد وأحمد والحسن أبناء موسى بن شاكر عاشوا في عصر المأمون في دار الحكمة ، وينسب إليهم كتاب الحيل . انظر ، وفيات الأعيان : ١٦١/٥ وما بعدها .

(٤) (س) ، (خ) والوافي زيادة : « منها أشياء » .

(٥) (س) : « بالمدارس » .

(٦) أحمد بن محمد بن عبد الرحمن ، سلفت ترجمته في موضعها .

١٧٨٣ - محمد بن مسعود*

ابن أيوب بن التوزي ، بالتاء ثلاثة الحروف وبعد الواو زاي ، القاضي بدر الدين الحلبي ، محدث حمص .

طلب الحديث واجتهد ، وخرَّج لنفسه أربعين حديثاً عن أربعين شيخاً .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشري شهر رمضان سنة خمس وسبع مئة .

ومولده بقلعة حلب سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت الأربعين التي له عليه ، وكتبها لي بخطه ، وروى لنا عن عبد الله بن النحاس^(١) ، والصدر البكري ، وخطيب مردا ، وإبراهيم بن خليل ، وضياء الدين صقر^(٢) ، والكفرطابي وجماعة .

١٧٨٤ - محمد بن مسعود، صلاح الدين**

اجتمعت به غير مرة بالقاهرة وبقلعة الجبل ، وأنشدني كثيراً من شعره ، ومما أنشدنيه من لفظه لنفسه في شهر ربيع الأول سنة سبع وثلاثين وسبع مئة بالقاهرة^(٣) :

صُرِفُ الزَّيْبِي لَصْرَفٍ هَمِّي نص على نَقْعِهِ طَبِيبِي
أَهْ عَلَى سَكْرَةٍ لَعَلِي أن أخلط الهَمَّ بِالزَّيْبِي

* الوافي : ٢٤/٥ ، والدرر : ٢٥٦٤ .

(١) عبد الله بن الحسن الدمشقي (ت ٦٥٤ هـ) . السير : ٢٠٨/٢٣ .

(٢) في الأصل : « صفر » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، وسلفت الإشارة إليه .

** الوافي : ٢٤/٥ ، الدرر : ٢٥٧/٤ .

(٣) في الدرر : « قلت : ورأيتها في ديوان إبراهيم المعار » .

١٧٨٥ - محمد بن مسعود بن أُوحد بن الخطير*

الأمير ناصر الدين بن الأمير بدر الدين ، أحد أمراء الطبلخانات بدمشق ،
وسياقي ذكر والده .

كان فيه شمم ، وبه عن الخناصم ، يأخذ نفسه بعظمة زائدة ، ويرى أنها على
أبناء نوعها سائدة ، لا يُدعن لأحد ، ولا يذل لكبير اعترف له بالفضل أو جحد . تمتدّ
أماله ولا تقف عند غاية ، ويحدّث نفسه بأمور مالها نهاية . يتجمل في ملبوسه
ومركوبه ومسكنه ، ويجعل النظافة والصلف من دأبه وديدنه . طويل الروح في
المخاصمة لا يرجع عن حاوره^(١) ولو حَزَّ غلاصمه ، يركب في خدم وحشم وحفدة ،
ويَجْمَلُ الموكب الذي أمه وقصده .

ولم يزل راقياً في أوج شبابه ، صاعداً في معارج عيشه الذي انتهى به إلى انتهابه ، إلى
أن اخترقه حمامه ، وانهدّ بالموت يذبله وشامه^(٢) .

وتوفي رحمه الله تعالى في بكرة الجمعة سادس عشري جمادى الآخرة سنة ثلاث وستين
وسبع مئة .

ومولده بدمشق في سنة ست وعشرين وسبع مئة .

مات والده رحمه الله تعالى وهو أمير عشرة فلم يزل يسعى^(٣) ويبذل إلى أن أخذ
إمرة الطبلخانة بعد توجهه إلى مصر ، وأخذ لأولاده إقطاعات جياداً في حلقة دمشق ،
وكان سعيد الحركات مجتهداً في تحصيل الأملاك وغيرها ، ويغالي في الخيول والملبوس

* الدرر : ٢٥٤/٤ .

(١) (س) : « حاوله » .

(٢) يذبل وشام : جبلان لباهلة .

(٣) في (س) ، (خ) زيادة : « ويجتهد » .

وفي رخت الإمرة ، ويركب [وينزل]^(١) في جماعة من مماليكه وجنده وأولاده ، وكان يَمْنِي نفسه ويعدها أموراً عالية من الولايات والمناصب ، ولو عاش وأمهله الدهر لنال ما يطلب حَسَن تَأْتِيهِ^(٢) وجَمِيل [سلوكه]^(٣) .

وكان والده رحمه الله تعالى يثق بعقله ويركن إليه دون إخوته ، وكان قد رغب إلى الأمير سيف الدين ترمهمندار وخطب منه^(٤) قتلوا ملك ابنة الأمير شرف الدين موسى ابن الأمير علاء الدين علي ابن الأمير سيف الدين منكوتر ، وكتبت أنا الصداق له من رأس القلم وهو :

الحمد لله الذي أَيْد هذا الدين بناصِرِهِ ، وشيد قواعده بَشَدَّ أواخيه وإحكام أواصره ، وخصّه بكرم أبوتّه وطيب عناصره .

نحمده على نعمه التي منها الهداية إلى اتباع السنة ، والعناية بما يؤدِّيه^(٥) إلى سلوك الطرق التي توصل إلى الجنة ، والرعاية لأعمال تكون النفس بها يوم الفزع الأكبر مطمئنة .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تخفف^(٦) بين سرادق العرش أعلامها ، وتشرق في الحنادس المظلمة أقمارها ، وقد كمل نورها وتماها ، وتورق غصون الإيمان بأدلتها إذا انشقت عن زهرات اليقين أكامها .

ونشهد أن سيدنا محمداً^(٧) عبده ورسوله الذي حَضَّ على النكاح ، وحث على تجنب

(١) زيادة من (س) ، (خ) .

(٢) (خ) والدرر : « تَأْتِيهِ » .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

(٤) (خ) : « إليه » .

(٥) في الأصل : « ما » ، وفي (س) ، (خ) : « بما يؤدي » .

(٦) (خ) : « تحقق » .

(٧) في الأصل : « محمد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) في الأصل: «تطاولوا»، وأثبتنا ما في (س)، (خ).

أناروا الليالي وهزّوا العوالي وشادوا المعالي وزانوا الوجودا^(١)
 لفضل الخطير انتهى مجدهم فلا زال في كل عصر جديدا
 إذا غاب بدر بدا كوكب منازله تستديم السعودا
 وناصرهم فضله بين فالتقتي لعلاه حسودا
 فياهل غناه الذي قال في سواء فعن وصفه لن يحيدا^(٢)
 أمير أمير عليه الندى جواد بخيل بأن لا يحيدا^(٣)

فلذلك تمسك بالسبب المتين^(٤) من السنة ، وآثر الاتصال بن حجابها بيض
 السيوف وحجّابها^(٥) زُرُق الأسنّة^(٦) ، ورغب إلى المقر الشريف العالي المولوي الأميري
 السيفي تمر أمير مهندار :

غدا في الزمان كبير الأنبا م بتدييره تستقيم الدُول
 بعقل رصين ودين متين وفضل مبين وجود كل
 وما نظرت مقلّة مثله على من مضى في الملوك الأول
 إذا أشكل الأمر في حاله أبان الهدى للورى فانفصل^(٧)

وخطب الجهة المصونة الخاتون قطلوملك^(٨) ابنة الأمير المرحوم شرف الدين موسى
 لأنها في كفاية كنفه ، وظل حجره وتصرفه ، ومهاد برّه وتلطفه ، وعناية إقباله عليها
 وتعرفه :

- (١) في الأصل : « أناروا .. الجدودا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
- (٢) في الأصل : « لا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
- (٣) (س) ، (خ) : « يجودا » .
- (٤) (خ) : « المبين » .
- (٥) في الأصل : « وحجالها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
- (٦) في الأصل : « الأعتة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .
- (٧) (س) : « حالة » .
- (٨) في الأصل : « قطوبك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وتقدّم ذكرها قبل قليل .

لا يبعث النجم طرفاً نحو مطرفها وكيف يلحظ طرفاً بالعفاف عمر^(١)
ولا تجوز الصبا من دون مضربها ولا تمر عليها وهي عند تمر^(٢)

١٧٨٦ - محمد بن مسكين*

الإمام عز الدين القرشي الزهري .

توفي في جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة بالمصاحبة بمصر^(٣) ودفن بالقرافة .

وكان من أعيان الفقهاء ، متزهداً مُدَرِّساً بالمدرسة المجاورة لقبر الشافعي رضي الله عنه . ووليها بعده القاضي مجد الدين حرمي ، وكان الشيخ عز الدين بن مسكين قد عين لقضاء الشام فاختار فراق الوطن . وروى عن الرشيد العطار .

١٧٨٧ - محمد بن مسلم**

بتشديد اللام ، ابن مالك بن مزروع الزيني ثم الدمشقي الصالحي ، الشيخ الإمام العالم ، بركة الإسلام ، قاضي القضاة شمس الدين أبو عبد الله الحنبلي .

سمع الكثير وله حضور على ابن عبد الدايم ، وسمع من الشيخ شمس الدين وطبقته ، وخرّج له ابن الفخر (مشيخة) في مجلدة ، وسمعها منه خلق ، وخرّج له ابن سعد^(٤) (الأربعين المتباينة الأسانيد) ، وخرّج له المزي (تساعيّات) ، وخرّج له الذهبي جزءاً ، وأجاز له من مصر جماعة من أصحاب البوصيري .

كان من قضاة العدل في أحكامه ، ومن أئمة الهدى في نقضه وإبرامه ، مُطَرِّح

(١) (س) : « ربعا بالعفاف » .

(٢) في الأصل : « مطرفها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

* الدرر : لم نقف على ترجمته .

(٣) (س) : « من مصر » .

** الوافي : ٢٨/٥ ، والبداية والنهاية : ١٢٦/١٤ ، والدرر : ٢٥٨/٤ ، والشذرات : ١٢/٦ .

(٤) أحمد بن محمد بن سعد المقدسي ، سلفت ترجمته في موضعها .

التكلف في أحواله ، متوخي الصدق والحق في أقواله ، عمر الأوقاف وضبطها ، وحاسب العمال وأمسك القواعد وربطها ، وحرر الإسجلات ، وتوقف في العدالات ، ولازم الورع والتحري ، ومنع الظلمة من التعدي والتجري ، وبأشأمور الحكم بقوة وصلابة في الدين ، وكف يد الظلمة^(١) والمعتدين ، فهو كما قال أبو الطيب^(٢) :

قاضي إذا اشتبه الأمران عن له رأي يفرق بين المساء واللبن^(٣)
القائل الصدق فيه ما يضرب به والواحد الحالتين السر والعلن

ولم يزل على حاله إلى أن حج ، وقبض عليه بالمدينة الشريفة ، ونقل إلى الدار الآخرة والملائكة به مطيفة .

وتوفي رحمه الله تعالى في الثالث والعشرين من ذي القعدة سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وستين وست مئة في صفر .

توفي والده وكان ملاحاً في سوق الخيل^(٤) ، وله ست سنين ، وحفظ القرآن ، وتعلم الخياطة ، واشتغل ، وتفقه ، وبرع في الفقه والعربية ، وتصدر لإقرائها وتخرج به فضلاء . ولم يطلب تدريساً ولا فتياً ، ولا زاحم على الدنيا .

وسمع شيخنا الذهبي بقراءته الأجزاء ، وكان ربما يكتب الأسماء والطباق ويذاكر ، وبقي مدة على الخزانة الضيائية . ولما توفي قاضي القضاة تقي الدين سليمان عين^(٥) للقضاء ، وأثنى عليه عند السلطان بالعلم والنسك والسكينة ، فولاه القضاء ، فتوقف^(٦) ، وطلع إليه

(١) في (س) : « يد العدوان من الظلمة » ..

(٢) ديوانه : ٢١٥/٤ .

(٣) في الديوان : « يخلص بين » .

(٤) في الوافي : « الجبل » ..

(٥) (س) : « عين هو » . وسليمان هو ابن حمزة ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٦) في الأصل : « وتوقف » وأثبتنا ما في (س) ، والوافي .

الشيخ تقي الدين بن تيمية إلى بيته ، وقوى عزمه ، ولامه ، فأجاب بشرط أن لا يركب بغلة ، ولا يأتي موكباً ، فأجيب ، وكانت قراءة تقليده ، سادس عشر صفر سنة ست عشرة وسبع مئة .

وكان ينزل من الصالحية إلى الجوزية ماشياً ، وربما ركب حمار مكار ، وكان مئزره سجادته ، ودواة الحكم زجاجة ، واتخذ فرجية مقتصدة من صوف ، وكبر العمامة قليلاً ، ونهض بأعباء الحكم بعلم وقوة ، وعمر الأوقاف ، وحاسب العمال ، وحكم إحدى عشرة سنة ، وشهد له أهل العلم والدين أنه من قضاة العدل .

وحجّ مرات ، وانتصر لابن تيمية ، فحصل له أذى ، فتألم وكظم ، وسار للحج بنية المجاورة فرض من العلا^(١) ، ولما وصل المدينة تحامل حتى وقف مسلماً على النبي ﷺ ، ثم أدخل إلى منزل ، فلما كان في السحرتوفي رحمه الله تعالى ودفن بالبقيع .

١٧٨٨ - محمد بن مصطفى بن زكريا*

ابن خواجه بن حسن ، فخر الدين التركي الصُّلغري ، بالصاد المهملة واللام الساكنة والغين المعجمة ، وبعدها راء ، الدوركي ، بالبدال المهملة والواو الساكنة والراء والكاف ، وصلُّغر : فخذ من الترك ، ودورك : بلد من الروم .

كان شيخاً فاضلاً في الأدب ، ومن ينسل إليه من كل حَدَب ، فقيهاً في مذهب أبي حنيفة ، نبياً وهمة في الرتب منيفة ، نظم (القدوري)^(٢) في الفقه نظماً جيداً وضبط فروعه مقيداً ، ونظم قصيدة في النحو استوعب فيها أكثر (الحاجية)^(٣) سرداً ، وأتى فيها بأحكام كثيرة ، طرّزها للنحو حلة وبرداً .

(١) موضع من ناحية وادي القرى بينها وبين الشام . (معجم البلدان) .

* الوافي : ٣١/٥ ، ونكت الهميان : ٢٧٤ ، والدرر : ٢٥٩/٤ ، والبغية : ٢٤٦/١ .

(٢) في فروع الحنفية للإمام أحمد بن محمد القدوري (ت ٤٢٨ هـ) .

(٣) هي كافية ابن الحاجب .

وكان خطه يخجل العقود المنظمة والرياض التي برودها بالأزهار مُسَهَّمة ، يتلو القرآن غالب وقته ، وله فيه نغمة طيبة أشهى من سجع الحمام في روض أينع في نبتة ، مع تواضع زانه وقوم ميزانه .

ولم يزل على حاله إلى أن أضر ، ولازم لحين أجله وأصر .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثلاث عشرة وسبع مئة .

ومولده بدورك سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

أخبرني شيخنا العلامة أثير الدين قال : أخذنا عنه لسان الترك ولسان الفرس ، وكان عالماً باللسانين يعرفهما إفراداً وتركيباً ، أعانه على ذلك مشاركته في العربية^(١) . وله قصائد كثيرة منها قصيدة في قواعد لسان الترك ، ونظمٌ كثيرة في غير فن ، وأنشدني كثيراً منه .

ودرس بالحسامية الفقه على مذهب أبي حنيفة ، وكان قد تولى الحسبة بغزة قديماً ، وقد أدب بقلعة الجبل بعض أولاد الملوك .

قلت : هو السلطان الملك الناصر محمد ، قال : وعمي في آخر عمره .

وأنشدني من قصيدة مدح بها النبي ﷺ :

| | |
|--------------------------|----------------------------|
| قيل اتخذ مدح النبي محمد | فينا شعارك إن شعرك ريق |
| وعلى بنانك للبراعة بهجة | وعلى بيانك للبراعة رُونق |
| ياقطب دائرة الوجود بأسره | لولاك لم يكن الوجود المطلق |
| مذ كنت أوله وكنت أخيره | في الخافقين لواء مجدك يخفق |
| كل الوجود إلى جمالك شاخص | فإذا اجتلاك فعن جلال يطرق |

(١) في (س) والوافي : « علم العربية » .

١٧٨٩ - محمد بن مظفر بن عبد الغني*

۱۷۹۰۔ محمد بن معالی بن فضل اللہ **

(٥) عبد اللطيف بن عبد الوهاب بن محمد الطبري (ت ٦٢٩ هـ) ، الشذرات : ١٣٢/٥ .

وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وست مئة بعد رحيل التتار عن دمشق .

ومولده بالرقّة في شعبان سنة اثنتين وعشرين وست مئة .

١٧٩١ - محمد بن مفضل *

ابن فضل الله ، الرئيس الصدر الكبير ، الدّين ، محي الدين المصري الكاتب .

كان صدراً في المجالس ، وبدراً في الحنادس ، نبهاً نبيلاً ، وجيهاً جليلاً ، ديناً خيراً مهيباً ، صيناً وقوراً أريباً ، يلزم الصلوات الخمس في الجامع الأموي ، لا يُخلّ بذلك ولو حال بينه وبين الجامع سنا الأسنة في عثير السناكب^(١) .

ولم يزل على حاله إلى أن توفى الله^(٢) المُحيي فاته ، ونزل به من عداه الشّمات .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشري جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة ، ودفن في تربة بني هلال بالصالحية وعمره ستة وأربعون سنة .

كان أولاً يعرف بكاتب قبجق ، وكان صاحب ديوان الأمير سيف الدين تنكز ، ومن جملة كتاب الإنشاء بدمشق ، ومستوفي الأوقاف ، ولم يكن عند مخدومه في أبناء جنسه له نظير ، محلّه عنده عظيم إلى الغاية . وكان يحب الصالحين والفقراء ويودهم ويبرهم ، وسار في دمشق سيرة جميلة حميدة ، وكان مغرّياً بتحصيل المصاحف ، فيقال إنه وجد في تركته أربع مئة مصحف .

وهو عم القاضي علم الدين بن قطب الدين ناظر جيش الشام^(٣) ، وهو الذي خرجه

ودّرّبه .

* الدرر : ٢٦١/٤ .

(١) المشير : هو العجاج الذي تشبه حوافر الخيل .

(٢) في الأصل : « رحمه الله » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٣) محمد بن أحمد بن مفضل ، سلفت ترجمته في موضعها .

١٧٩٢ - محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج*

أقضى القضاة ، الإمام العالم شمس الدين القاقوني ، نسبة إلى قاقون الساحل^(١) ،
الحنبلي نائب قاضي القضاة جمال الدين المرداوي الحنبلي وزوج ابنته .

كان قد برع في الفروع ونال الغاية فيها من الشروع ، ومهد في الأحكام وبهر في
الأحكام ، يستحضر فروعاً كثيرة من مذهبه كلها غرائب ، ويرسل منها في أغراضه
سهاماً صوائب .

ولم يزل على حاله إلى أن خاب الأمل في ابن مفلح ، وانقطع الرجاء فيه من
المفسد والمصلح ، وكانت له جنازة حافلة ، وساعة بالتعجب كافلة ، وتوفي رحمه الله
تعالى يوم الخميس ثاني شهر رجب الفرد سنة ثلاث وستين وسبع مئة .

ومولده تقريباً بعد عشر وسبع مئة .

١٧٩٣ - محمد بن مكرم**

بتشديد الرءاء ، ابن علي بن أحمد الأنصاري الرويفعي الأفريقي ، ثم المصري ،
القاضي الفاضل جمال الدين أبو الفضل ، مِّن وَلَدِ رُوَيْفَعِ بْنِ ثَابِتِ الصَّحَابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ
عنه^(٢) .

* الدرر : ٢٦١/٤ ، والشذرات : ١٩٩/٦ ، وذبول العبر : ٣٥٢ .

(١) قال ياقوت : حصنٌ بفلسطين قرب الرملة ، وقيل : هو من عمل قيسارية من ساحل الشام (معجم
البلدان) .

** الوافي : ٥٤/٥ ، ونكت الهميان : ٢٧٥ ، وفوات الوفيات : ٣٩/٣ ، والدرر : ٢٦٢/٤ ، والشذرات :
٣٦/٦ .

(٢) توفي سنة (٥٦ هـ) . الأعلام : ٣٦/٣ .

سمع من يوسف بن الخيلي^(١) ، وعبد الرحيم بن الطفيل^(٢) ، ومرضى بن حاتم^(٣) ، وابن المقيّر ، وطائفة . وتفرد وعمر وكبر وأكثروا عنه ، وكان فاضلاً وعنده تشييع بلا رفض . خدم في ديوان الإنشاء بالقاهرة ، وأتى في عمله^(٤) بما يخجل النجوم الزاهرة ، وله شعر غاص على معانيه [وأبهج به نفس من يعانيه]^(٥) . وكان قادراً على الكتابة لا يمل من مواصلتها ، ولا يولّي عن مناصلتها . لأعرف في الأدب وغيره كتاباً مطولاً إلا وقد اختصره ، وزوّق^(٦) عنقوده ، واعتصره ، تفرد بهذه الخاصة البديعة ، وكانت همته بذلك في بُرد الزمان وشيعه .

ولم يزل على حاله إلى أن خبا من عمره مصباحه [ونسخ بدجا الموت من الحياة صباحه]^(٧) .

وتوفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده في أول سنة ثلاثين وست مئة .

وكان قد ولي نظر طرابلس ، وهو والد القاضي قطب الدين بن المكرم ، وقد تقدم ذكره .

وكتب عنه شيخنا الذهبي .

وأخبرني من لفظه شيخنا العلامة أثير الدين قال : وُلد المذكور يوم الاثنين

(١) يوسف بن عبد المعطي بن منصور (ت ٦٤٢ هـ) . السير : ١١٦/٢٣ .

(٢) في الأصول والوافي : « عبد الرحمن » وهو سهو ، وأثبتنا ما في الدرر ، والسير : ٤٢/٢٣ ، ووفاة عبد الرحمن هذا سنة (٦٣٧ هـ) .

(٣) توفي سنة (٦٣٤ هـ) . السير : ١١/٢٣ .

(٤) (س) : « بعمله » .

(٥) زيادة من (س) ، (ط) .

(٦) في الأصل و (س) : « روق » ، وما أثبتناه أقرب ، والتزويق التزيين والتحسين .

(٧) زيادة من (س) ، (ط) .

الثاني والعشرين من المحرم من السنة المذكورة ، وهو كاتب الإنشاء الشريف ، واختصر كتباً ، وكان كثير النسخ ، ذا خط حسن ، وله أدب ونظم ونثر ، قال : وأنشدني^(١) لنفسه سادس ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وست مئة :

ضع كتابي إذا أتاك إلى الأر ض وقلّبه في يديك لماماً
فعلى ختمه وفي جانبيه قَبْلَ قد وضعتن تؤاماً
كان قصدي بها مباشرة الأر ض وكفيك بالتثامي إذا ما^(٢)
قال : وأنشدني المذكور لأبيه :^(٣)

الناس قد أئثوا فينا بظنّهم وصدّقوا بالذي أدري وتدرينا
ماذا يضرّك في تصديق قولهم بأنْ نُحقّق ما فينا يظنوننا
حملي وحملك ذنباً واحداً ثقة بالعفو أجمل من إثم الوري فينا^(٤)
وبه إلى المكرم^(٥) :

توهّم فينا الناس أمراً وصمّت على ذاك منهم أنفس وقلوب
وظنّوا وبعض الظنّ إثم وكلهم لأقواله فينا عليه رقيب^(٦)
تعالى نحقّق ظنهم لنريحهم من الإثم فينا مرّة ونتوب^(٧)

قلت : هذا معنى مطروق للقدماء . ومنه قول الأول :

(١) (س) : « وأنشدني من لفظه » .

(٢) (س) : « قصدي به » .

(٣) (س) : « لأبيه المذكور » .

(٤) في الأصل : « من عفو » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٥) في الأصل : « ابن المكرم » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٦) في الوافي والفوات : « ذنوب » .

(٧) في الوافي : « تعال » .

قَمْ بِنَا تَفْدِيكَ نَفْسِي نَجْعَلُ الشُّكَّ يَقِينَا
فَلِإِلَى كَمْ يَا حَبِيبِي يَا أَيْمُ الْقَائِلِ فِينَا^(١)
وَأَخَذَ^(٢) هَذَا مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ :

مَا أُنْسَ لَا أُنْسَ قَوْلُهَا بَنِي وَيَحْكُ إِنَّ الْوُشَاةَ قَدْ عَلِمُوا^(٣)
وَنَمْ وَاشْ بِنَا فَقُلْتُ لَهَا هَلْ لَكَ يَا هَنْدُ فِي الَّذِي زَعَمُوا
قَالَتْ لِمَاذَا تُرَى فَقُلْتُ لَهَا كَيْ لَا تُضِيعَ الظَّنُّونَ وَالتَّهْمُ
وَقُلْتُ : أَنَا كَأَنِّي قَدْ حَضَرْتُهَا وَسَمِعْتُ خَطَابَهَا :

هَذَا حُبٌّ وَمَا يَخْلَصُ فِي دِينِهِ أَنْ وَشَاتَهُ أَثْمُوا
فَوَاصِلِيهِ وَاصْفِي لِمَغْلُطَةٍ يَقْبَلُهَا مِنْ طِبَاعَةِ الْكُرْمِ
يَا وَيْحَ وَصِلِ أَتَى بِمَغْلُطَةٍ إِنْ كُنْتُ لَمْ تَرَعْ عِنْدَكَ الذَّمُّ

ولكن المكرم في معناه زيادة على من تقدمه ، وقوله : « ثقة بالعفو » من أحسن
متمات البلاغة .

وأنشدني شيخنا أثير الدين قال : أنشدنا فتح الدين [أبو]^(٤) عبد الله البكري ،
قال : أنشدنا ابن المكرم لنفسه :

بِاللَّهِ إِنْ جُزَتْ بَوَادِي الْأَرَاكِ وَقَبَّلْتُ عِيدَانَهُ الْخَضِرُ فَارَكْ
أَبْعَثْ إِلَى الْمَمْلُوكِ مِنْ بَعْضِهَا فَلِإِنِّي وَاللَّهِ مَالِي سَوَاكِ^(٥)

(١) البيتان قريبان مما قاله بشار :

قَمْ بِنَا يَا نَوْرَ عَيْنِي نَجْعَلُ الشُّكَّ يَقِينَا
فَلِإِلَامِ يَا حَبِيبِي يَا أَيْمُ الْعِذَالِ فِينَا

(٢) في (س) والفوات : « وأخذه » .

(٣) في الأصل و (س) : « لَأُنْسَ » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات .

(٤) زيادة من (س) والوافي .

(٥) (س) والوافي : « بعضه » .

وأنشدت له :

وفاتر الطرف ممشوق القوام له فعل الأسنة والمندية القضب
في حُسْنِهِ الفرد أوصاف مركبة الخَلْقُ للترك والأخلاق للعرب

قلت : ما أعرف في كتب الأدب شيئاً من المطولات إلا وقد اختصره جمال الدين بن المكرم رحمه الله تعالى ، فَمَا اختصره : كتاب (الأغاني) ورتبه على حروف المعجم ، وكتاب (الحيوان) للجاحظ فيما أظن ، و (اليتيمة) للثعالبي ، و (الذخيرة) لابن بسام ، و (نشوان المحاضرة) ، و (مفردات) ابن البيطار ، واختصر (تاريخ ابن عساكر) ، و (تاريخ الخطيب) ، و (ذيل) ابن النجار عليه ، واختصر كتاب التيفاشي^(١) وسماه (سرور النفس) في عشرة كبار ، وجمع بين كتاب (صحاح) الجوهري و (المحكم) لابن سيده وكتاب الأزهري ، فجاء^(٢) في سبعة وعشرين مجلداً وسماه (لسان العرب) ، وأراني ولده قطب الدين أول النسخة ، وقد قرظته من أهل ذلك العصر جماعة يصفونه بالحسن ، منهم الشيخ بهاء الدين بن النحاس ، والقاضي محيى الدين بن عبد الظاهر ، فيما أظن ، وشيخنا العلامة شهاب الدين محمود ، رحمهم الله أجمعين .

وأنشدني شيخنا العلامة أثير الدين تقریظاً لهذا الكتاب ، ورأيتُه بخطه :

أجلتُ لحاظي في الرياض الدمايث ونزهت فكري في فنون المباحث
وشاهدت مجموعاً حوى العلم كله بأول مكتوب وثانٍ وثالث
فيأحسنه من جامع لفضايا جليل على نيل المعارف باعث
لحاز لسان العرب أجمع فاعْتدى نهاية مرتاد ومطلب باحث^(٣)

(١) محمد بن أبي العباس (ت ٦٥١ هـ) ، وفيات الأعيان ٢٣٩/٣ .

(٢) (س) : « فجاء ذلك » .

(٣) في الأصل : « باعث » ، وأثبتنا ما في (س) .

به أزهرت للأزهري رياضة
وصحت به للجوهري صحاحه
وساد به بين الأنام ابن سيده
وبر ابن بري وصحت بنقده الـ
وللجزري ابن الأثير نهاية
وكل محل إذ تقادم عهده
وإن جمال الدين جمل كتبهم
لقد فاقهم علماً وزاد عليهم
تجمع فيه ما تفرق عندهم
بنثر كشبه الزهر غب سائمه
له قدم في ساحة الفضل راسخ
ونسبه علم كبراً بعد كابر
حفيظ لأسرار الملوك أمينها
به افتخرت قحطان واشتد أزرها
سقى جدثاً قد حله ابن مكرم
ولا برحت روح الجمال مقيمة

فأنوارها تجلو دياجي الحوادث
فلا كسر يعروها ولا تقد عابث^(١)
فحكّمه ما فيه عيث لعايث
صحاح استقلت في براثن ضابث^(٢)
إذا قرئت أزرت بسبع المثالث^(٣)
وليس المصلي في السباق برايث
بإصلاح ما قد أوهنوا من رثائث
وأني يباري الريح عرج الأباعث^(٤)
وأرى عليهم بالعلوم الأثائث^(٥)
ونظم كمثل الزهر بالسحر نافث
ومجد قديم ليس فيه مجادث
فمن خير موروث إلى خير وارث
عليم بتصرف الخطوب الكوارث^(٦)
وباهت به الأملاك أبناء يافث^(٧)
ملث من الغرّ الغوادي المواكث
لعذر لدى الغيد الحسان الأراعث

(١) في الأصل : « يعضوها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٢) الضابث : الأسد .

(٣) في (س) : « يسمع » .

(٤) في الأصل : « فاتهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٥) الأثائث : التامة .

(٦) في الأصل و (ط) : « عليه » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٧) (س) : « وتاهت » .

وأخبرني ولده القاضي قطب الدين أبو بكر رحمه الله تعالى في ديوان الإنشاء بقلعة الجبل أن والده مات وقد ترك بخطه خمس مئة مجلد .

١٧٩٤ - محمد بن مكي بن*

القاضي الفاضل الشاعر بدر الدين وكيل بيت المال بطرابلس وكتب الإنشاء بها .

كان من مشايخ الأدب والقائمين بإحياء شعار العرب ، له المقاطيع الرائقة ، والأبيات الفائقة ، وكان يعرف فنوناً آخر ، وعلوماً إذا تكلم فيها قلت بحر زخر . وكان من رجال الزمان ذُرْبَةً ودهاء ، وخبرة تباعد منها الجهل وتناءى .

ولم يزل بطرابلس على حاله ، إلى أن كسف الحِمام نورَ بَذْرِهِ وألحفة غمامة^(١) قَبْرِهِ .

وَرَدَ الخبر إلى دمشق بوفاته في أواخر شهر ربيع الأول سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى .

كان يكتب خطأ حسناً ، أخبرني قاضي القضاة شرف الدين محمد بن النهاوندي^(٢) قاضي صفد قال : قال لي : بدر الدين بن مكي بطرابلس : فتحت بدمشق دكان كتبي ، وكنت أتجر فيها ، يعني في المجلدات ، وأتبلغ من عرض المكسب^(٣) فأدّخر من المَجْلَدَاتِ ما أحتاج إليه إلى أن حصلت من ذلك ما أرذت من الكتب ، وفضل لي رأس المال والقوت تلك المدة . أو كما قال .

وقال بدر الدين رحمه الله : كنت أنا وشمس الدين الطيبي غمسي في وحل فقلت :

* كذا في الأصل و (س) و (خ) والوافي . وقام نسبه في الدرر : « ابن أبي الغنائم » . انظر : الوافي : ٦٠/٥ ، والدرر : ٢٦٤/٤ .

(١) (س) : « لغمامة » .

(٢) محمد بن عثمان بن أبي بكر ، سلفت ترجمته .

(٣) في الأصل : « المكتب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

المشي خلف الدواب صعباً

فقال : في الوخل والماء والحجاره

فقلت : لأن هذا له رشاش

فقال : وربما تزلق الحماره

وأخبرني المولى شرف الدين حسين بن ريان قال : كنت أنا وهو جالسين في مكان فيه شباك بيني وبينه ، فلما جاءت الشمس رددته ، فقال :

لا تحجب الشمس عن أمرٍ تحاوله فإن مقصودها أن تبلغ الشرفا

فقلت :

في الشمس حرٌ لهذا الأمر نجبها وحسبنا البدر في أنواره وكفى

وأنشدني من لفظه قال : أنشدني ابن مكي لنفسه :

أهواه كالبدل لكن في تبدله والغصن في ميله عن لوم لائمه^(١)

سمح بمهجته مارد نائله كأنما حاتم في فص خاتمه

قلت : معنى جيد مطبوع ، وما أحسن قوله : « رد^(٢) نائله » .

ومن شعره أيضاً :

كأن الشمس إذ غربت غريق هوى في البحر أو وافي مغاصاً

فأتبعها الهلال على غروب بزورقه يريد لها خلاصاً

(١) في الوافي : « تبدله » .

(٢) في (س) ، (خ) : « مارد » .

وكتبت أنا إليه ، رحمه الله تعالى في سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة في الحرم :

| | |
|----------------------------|---------------------------------------|
| أنفحة روضة أم عَرَفُ مِسْك | يضع أو الثناء على ابن مكي |
| إمام في الفتاوى لا يجارى | وفزء في البيان بغير شك |
| إذا ما خط سطرًا خلّت روضاً | تبسم عن غمّام بات يبكي |
| ويحكي نثره ذرّاً فأماً | إذا حققت ما يحتاج يحكي |
| له نظم يروق الذّ وقعاً | على الأسماع من أوتار جنك |
| كأنّ كلامه نفثات سحر | تغازلني بها لحظات تركي ^(١) |
| وأنقّ في النواظر من رياض | نواضر بل جواهر ذات سلك |
| لقد فاق الأنام بفضل جود | وفرط زيادة زينتُ بنسك |
| شهدتُ بأنّه في الدهر فردّ | وقولي فيه لم يحتج مزي |
| حملت له لواء ولاء صدق | لأعرف في الأنام بحمل رنكي |
| فلو من الإله بجمع شمل | به لعدمت ما بي من تشك |

يَقْبَل الأرض لازالت قبله الأمل ، وكعبة العلم والعمل ، وروضة الفضل إذا
 همى ، والجود إذ همل ، لأن دارها تخجل دارة الحمل ، وترهبها يفوق الأفق إذ بدره لما
 كمل نقص ، وبدرها ما نقص لما كل ، تقبلاً يؤدّي به الواجب ، ويداوي به قلباً
 سكنه مولانا فإنه كبير وما خرج عن الواجب :

ترايبكم وحبّ أبي تراب أعزُّ عليّ من عيني اليمين

وينهي إلى العلم الكريم بعد الأدعية التي تجر الإجابة برفعها ، والعبودية التي أبان
 المنطق شرف حملها ووضعها ، والأثنية التي لا تغرد الحمام الصادحة إلا بسجعها :

ومالي لأثني على وابل الحيا إذا الروض أثني بالنسيم على القطر

(١) في الوافي : « ألحاظ » .

أنه من حين بلغته هذه الفضائل البدرية ، والفوائد التي نسماتها سحرية ، وكلماتها سحرية ، يعتلج في خاطره التطفل على خطاياها ، والتوصل إلى عرائس إنشائها ، ليكون من خطاياها ، والوقوف بذلّ التلمذة وفقر الحاجة على بابها ، والدخول إلى جنّات كرمها وحبّات كرمها ليحني^(١) ثمرها متشابهاً ، والاعتراف يدفع في صدره ويبجل على قدره باجتلاء ليلة قدره ، ويقول له القصور لا تطل فما أنت من سكان^(٢) هذه القصور ، ولا تزدد مع تقصك ، فما وشاح ألفاظك مما يدور على هذه الحضور ، ولا تلج فما غاب أقلامك ممّا يصم هذا الليث المصور :

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل^(٣)

فأغفل المملوك مُراودته مدّة ، وكابد من جزم حظه^(٤) خفضاً لشدّته مدّة وشدّة . هذا وغريم الشوق يلح ، والإقدام يمرض تارة ويصح ، إلى أن انتهز فيها فرصة حمل فيها على جيوش الخجل فأملها ، وطعن^(٥) في صفّ الممانعة برمح قلمه إمّا عليها وإمّا لها^(٦) ، فتهمج هذه^(٧) الخدمة والضراعة ، وخدم أسوة^(٨) الطلبة ليكون من أهل الجماعة :

وكاد سروروي لا يفي بندامتي على تركه في عمري المتقادم

وعطفها على استدعاء جرت العادة به للأصاغر ، واستطر به الإحسان الذي ملأ

(١) في الأصل : « ليحي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الأصل : « مكان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) ينسب للقطامي ، انظر ما كتبه البغدادي في شرح أبيات المغني : ٦٠/٥ .

(٤) في الأصل : « حفظه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل : « وطعن » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) يشير إلى قول القائل :

سأحل نفسي على آلة فإمّا عليها وإمّا لها

(٧) في (س) ، (خ) : « بهذه » .

(٨) في (س) ، (خ) : « وخدم بها » .

كل كف^(١) فارغ ، وأطبق كل فم فاغر . وسأل صدقات مولانا التي عمت وما خست ،
وشرعت المكارم للمتأدبين ونصت ، الكتابة فيه بالإجازة للملوك ، وإن كان صغير
القدر ، والإجابة إلى ما سأله لعلّه أن يكون من أهل بدر ، فإنه لم يقل إلا^(٢) علماً بأنه لم
يقل ، ولم^(٣) يخاطب إلا طمعاً في الجواب الذي هو ألد من الإغفاء في ساهر المقل ، وأن
يتصدق فيه بذكر مولده وذكر أشياخه الذين أخذ عنهم ومن رآه واجتمع به من الأعيان
الذين إذا قال السائل من هم ، كان مولانا منهم ، وكتابة ما يراه من مقاطيعه التي هي
قطع الرياض ، وزهر الغياض ، وقطر الحياض ، إلى غير ذلك مما يقتضيه الرأي الكريم
والجود الذي إذا جاد البحر بالدر النثير^(٤) جاد هو بالدر النظيم ، لزال بابه حرماً
وسحابة ينهل كرمها بمنه وكرمه^(٥) . وجهزت الاستدعاء^(٦) . فجاء^(٧) جوابه بعد مديدة
يخبر بوصله^(٨) . وإنه عقيب ذلك توجه إلى اللاذقية فيما يتعلق بأشغال الدولة ،
وإنه عقيب ذلك يجهز الجواب ، ثم مالبت أن مرض وجاء الخبر بوفاته رحمه الله
تعالى .

١٧٩٥ - محمد بن مكي *

الأمير ناصر الدين ابن الأمير مكي .

- (١) (خ) : « كف كل » .
 - (٢) ليست من (س) .
 - (٣) (س) : « ولا » .
 - (٤) في الأصل : و (س) : « النثر » ، وأثبتنا ما في (خ) .
 - (٥) زاد في (خ) : « إن شاء الله تعالى » .
 - (٦) زاد في (س) ، (خ) : « وكان نثراً » .
 - (٧) (س) ، (خ) : « فعاد » .
 - (٨) في الأصل و (س) : « بوصلها » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي .
 - (٩) (س) : « بعد » .
- * لم تقف على ترجمة له .

توفي والده رحمه الله تعالى في أوائل سنة خمس^(١) وسبع مئة ، وهو من جملة أمراء الطبلخاناه بدمشق ، وإقطاعه إقطاع جيد ، فطلبه من الأمير سيف الدين أرغون شاه جماعة ، فكتب به لابنه ناصر الدين محمد المذكور ، وتقدير عمره عشرون سنة ، فجاءه منشوره بذلك ، وكان قبل ذلك أمير عشرة ، فما متّع بشبابه ولا بالإقطاع .
وتوفي رحمه الله تعالى في أوائل شعبان سنة خمسين وسبع مئة .

١٧٩٦ - محمد بن المنجا*

ابن عثمان بن أسعد بن المنجا ، الشيخ الإمام العالم الفاضل الصدر الأصيل شرف الدين أبو عبد الله ابن الشيخ العلامة الكبير زين الدين أبي البركات التنوخي الحنبلي .

سمع من الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، وابن علان ، وابن البخاري ، وابن الواسطي وجماعة وحدث .

وكانت فيه خللٌ جميلة من العلم والدين والمروءة والشجاعة وعلو الهمة والتودد ، وقضاء الحقوق .

توفي رحمه الله تعالى رابع شوال سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ولم يكمل الخمسين .

١٧٩٧ - محمد بن المنذر**

القاضي الرئيس فخر الدين .

(١) في الأصل و (ط) : « خمسين » ، ولا وجه لها ، وأثبتنا ما في (س) .

* تالي وفيات الأعيان : ١٥٥ ، والدرر : ٢٦٦/٤ ، والشذرات : ٦٥/٦ ، وذبول العبر : ١٣٥ .

** الدرر : ٢٦٦/٤ .

كان أولاً في دمشق يباشر في ديوان الجيوش ولما حضر معين الدين بن حشيش^(١) إلى دمشق ناظر الجيش عوضاً عن ابن حميد ، انتقل القاضي شمس الدين بن حميد^(٢) إلى وظيفته بدمشق ، وتوجه ابن المنذر إلى طرابلس ناظر الجيش ، وأقام بها مدة ، وقّع بينه وبين نائبها ، فتوجه إلى مصر وعاد إلى^(٣) مكانه ووظيفته في ذي القعدة سنة أربع عشرة وسبع مئة وأقام بها مدة .

ثم إنه نُقل إلى نظر جيش حلب^(٤) ، وأقام هناك مدة عوضاً عن القاضي جمال الدين بن ريان^(٥) .

ثم إنه توجه إلى مصر ووقع منه كلام في حق القاضي فخر الدين ناظر الجيوش بالديار المصرية فجهزه إلى صفد ناظر المال ، وولده ناظر الجيش بها ، فأقام بها مدة ، ثم إنه جهز إلى طرابلس .

ولم يزل بها إلى أن توفي رحمه الله تعالى^(٦)

١٧٩٨ - محمد بن منصور بن موسى *

الشيخ شمس الدين أبو عبد الله الحاضري الحلبي المقرئ النحوي .

قرأ القراءات على الكمال الضرير ، والشيخ علي الدهان^(٧) ، والعربية على ابن مالك جمال الدين ، وكان له تصدير في الجامع ، وكان متوسطاً في النحو والقراءات .

(١) مسعود بن أبي الفضائل ، ستأتي ترجمته .

(٢) أبو طالب ، سلفت ترجمته .

(٣) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) في الأصل : « ط » : « الشام » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) والدرر : ١٤٥/٢ .

(٥) سليمان بن أبي الحسن ، سلفت ترجمته .

(٦) ولم يذكر في الدرر سنة وفاته .

* الوافي : ٧٦/٥ ، والدرر : ٢٦٧/٤ ، وغاية النهاية : ٢٦٦/٢ .

(٧) علي بن موسى بن يوسف السعدي المصري (ت ٦٦٥ هـ) . غاية النهاية : ٥٨٢/١ .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر صفر سنة سبع مئة وكتب في الإجازات .

١٧٩٩ - محمد بن منصور بن إبراهيم*

ابن منصور الحلبي ، الإمام العالم الصدر صاحب بدر الدين الجوهري ، نزل الديار المصرية .

سمع من إبراهيم بن خليل بحلب ، ومن الكمال العباسي^(١) . وابن عزّون ، وابن عبد الوراث ، والنجيب ، وعدة بمصر . وتلا بالروايات على الصفي خليل ، وتفقه ، وشارك في فضائل .

وكان ينطوي على خير وعبادة ودين ، وله جلالة وصورة ، ذكر في وقت الوزارة ، وكان له خلق حاد ، وحدث بدمشق ومصر .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع عشرة وسبع مئة .

١٨٠٠ - محمد بن منصور**

القاضي شمس الدين مَوْقَع غزة ، أقام بها مدة طويلة يباشر التوقيع وكتابة الجيش ، ثم إنه نقل إلى توقيع^(٢) صدد عوضاً عن القاضي بهاء الدين بن غانم لما نقل إلى طرابلس في سنة ست وعشرين وسبع مئة^(٣) ، وتوجه إلى غزة مكانة القاضي جمال الدين بن رزق الله^(٤) ، ثم إنّ ابن منصور عمل على العود إلى غزة ، لأن صفد لم

* الوافي : ٧٦/٥ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٨٦ ، والدرر : ٢٦٦/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٦/٩ ، وذيول العبر : ١٠٧ .

(١) هو الكمال الضرير ، علي بن شجاع بن سالم (٦٦١ هـ) ، وقد سلفت الإشارة إليه .

** الوافي : ٢٦/٥ ، والدرر : ٢٦٧/٤ .

(٢) ليست في (س) .

(٣) في الوافي : « في أواخر سنة سبع وعشرين وسبع مئة تقريباً » .

(٤) يوسف بن رزق الله ، ستأتي ترجمته .

توافقه . وكان له في غزة متاجر من^(١) الكتّان والصابون وغير ذلك ، وحصل نعمة وافرة ودنيا سالحة^(٢) . ثم إن الأمير سيف الدين تنكز عزله من غزة بعلاء الدين علي بن سالم ، وقد تقدم ذكره في حرف العين ، وبقي ابن منصور بطّالاً . وكان الأمير سيف الدين طينال قد ناب في غزة في وقت ، على ما تقدم في ترجمته ، وابن منصور موقعها ، فعرفه من ذلك الوقت ، فلما بطل سأل طينال من تنكز في أن يكون ابن منصور في جملة كتاب الدرج بطرابلس ، فرسم له بذلك ، وتوجه ابن منصور إلى طرابلس .

وكان رجلاً داهية سيوسا ، يكتب خطأ حسناً ، وله نظم لا بأس به ، غير أنه لم يكن فيه طبقة ، مع ما فيه من اللحن .
وتوفي رحمه الله تعالى ...^(٣)

أنشدني من لفظه القاضي زين الدين الصفدي^(٤) قال : أنشدني من لفظه القاضي شمس الدين محمد بن منصور^(٥) وقد أعيد صاحب تقي الدين توبة^(٦) إلى الوزارة :
عُتِبَ على الزمان وَقُلْتُ مَهْلًا أَقَمْتُ على الحنا ولبست ثوبه
ففاق من التجاهل والتعامي وعاد إلى التقي وأتى بتوبه
قلت : صوابه : فأفاق .

(١) في الوافي : « في » .

(٢) في الأصل : « نعمة وافرة ودنيا وافرة ودنيا سالحة » . وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٣) كذا في الأصول والوافي والدرر .

(٤) عمر بن داود . سلفت ترجمته .

(٥) (س) : « محمد بن محمد بن منصور » .

(٦) في الأصل : « نوبة » ، تصحيف ، وهو توبة بن علي بن مهاجر ، سلفت ترجمته .

١٨٠١ محمد بن موسى*

القاضي الفاضل ، الأديب الكاتب البارع شرف الدين المقدسي ، كاتب الإنشاء بالديار المصرية ، المعروف بكاتب أمير سلاح .

كان كاتباً بارعاً ، ناظماً ناثراً ، يأتيه المعنى على وفق إرادته ضارعا ، إذا نظم قلت العقود ينظم جواهرها ، أو السماء يُطلع زواهرها ، أو الرياض يجلو أزهرها . يتلعب بالعقول سحره الحلال ، يترشّف السمع منه كؤوساً ليست نشوتها مما يجري في الجديال ^(١) . ونثره أحسن من رقم البرود ، وأنق من حلول الكواكب في منازل السعود ، وخطّه يسرّ النواظر ، ويُزري بالرياض النواضر ، تحال سطوره فوق طروسه فتيت مسك على كافور ، أو طرز صبح تطلعت من [تحت] أذيال ديجور . كأنّ جياته وجنات خيلاتها تلك النقط ، أو محاريب فيها قناديل لا تخبو نور معانيه ولا يقط ، وكأنّ ألفاته ألفت الاعتدال فهي قدود الحُرد الغيد ، أو قضبان بان تيس من مرور النسيم ، والهمزات من فوقها حمائم ذات تغريد :

فلو أعيّد ابن هلال لحكى مشياً على الرأس إليه القلما
وقال في هذا برود أحرفٍ كنت أرها في كتابي أنجا ^(٢)

ولم يزل على حاله إلى أن سكنت شقاشقه ، وقرطست عن عرض ^(٤) الحياة رواشقه .

توفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

- * الوافي : ٩٢/٥ ، وفوات الوفيات : ٤٢/٤ ، وتالي وفيات الأعيان : ١٥٧ ، والدرر : ٢٦٩/٤ ،
والشذرات : ٣٢/٦ .
(١) الجريال : الحجر .
(٢) زيادة من (س) .
(٣) (س) : « كتاب » .
(٤) في (س) ، (ط) : « غرض » .

وكان قد خدم الشجاعي وأمير سلاح ، وبه يعرف في القاهرة .

أخبرني من لفظه شيخنا العلامة أثير الدين قال : هو رجل حَسَنُ الأخلاق ، كريم العشرة ، محتمل ، فيه كرم ، وله خط حسن ونثر كثير ونظم .

وجالسته مراراً ، وكتبت عنه ، وقرأ علينا من نظمه ونثره كثيراً ، وقد خَسَّ (شذور الذهب)^(١) . في صنعة الكيمياء تحميساً حسناً يقضي له بسبق النظم وجودة حوك الكلام ، ومطابقة الفصل . وأنشدني قال : أنشدني من لفظه لنفسه :

اليوم يوم سُروٍر لاشرور بسـه فزوجَ ابن سماء بابنة العنب^(٢)
ما أنصفَ الكأس من أبدى القطوب لها وثغرها باسم عن لؤلؤ الحب
قلت : قد تقدم لهذا المعنى نظائر في ترجمة صدر^(٣) الدين بن الوكيل .

وبه قال أنشدني من لفظه لنفسه :

صَرَفَ بصرف الحميّا ماحي طرباً فإن فيها لم الهم درياقا^(٤)
دنياك معشوقة والراح ريقتها فارشف مراشفها إن كنت عشاقا
وبه قال : أنشدني له يخاطب الشجاعي^(٥) ، وكان كاتبه :

أيا علم الدين الذي عَيَّنَ علمه تريه المعالي نثرها ونظامها
قذفت لنا يا بحر أي جواهر وهاهي فالبس فذها وتؤامها^(٦)

(١) شذور الذهب في الإكسير لأبي الحسن علي بن موسى الحكيم الأندلسي (ت ٥٠٠ هـ) . الكشف : ١٠٢٩/٢ .

(٢) (س) ، والوافي : « ابن سحاب » .

(٣) (س) : « الشيخ صدر ... » .

(٤) الدرياق : الترياق ، وهو الدواء .

(٥) علم الدين سنجر ، سلفت ترجمته .

(٦) الفذ : الفرد .

ومنها :

رأى الملك المنصور أنك صالح
فولأكها إذا كنت في الرأي شيخها
فما احتفلت إلا وكنت خطيبها
فلو غاب بدر الأفق نبت منابها
نهضت بعبء الملك والأمر فادح
ولما خمس (شذور الذهب) كتب إليه ابن الوحيد ^(٢) :

لقد رقت تخميس الشذور فأصبحت
هي الشمس والأشعار في جنب حُسْنها
وكتب إليه شمس ^(٣) الدين بن دانيال :

إذا ناب في التقبيل عن شفتي طرسي
وواصلني منكم خيال مخصّص
ومن لي بمرآك الجميل الذي به
على أنني مستأنسٌ بعد وحشتي
غدوت به بعد البطالة عاملاً
وإن ابنه الشيخ الخطير لمسعفي
وأقسم مالم لأب والابن عندهم
ومن شعر شرف الدين القدسي :

وعن بصري في رؤيتي لكم نفسي
بروحي في حلم فـأـلي وللحسن
لعيني غنى عن طلعة البدر والشمس
بأنسٍ ولي الدولة الأرخن النفس ^(٤)
ولا مثلاً أعملت في زاده ضربي ^(٥)
بما شئت من رفد جزيل ومن أنس
حياة بلا روح تحيء من القدسي

(١) (س) : « اختلفت » ، بالخاء .

(٢) محمد بن شريف بن يوسف ، سلفت ترجمته .

(٣) في (س) والوافي : « الحكيم شمس الدين .. » . والأبيات في المختار من شعرا بن دانيال : ١٦٧ .

(٤) كنا في الأصول والوافي ، وفي المطبوع من شعرا بن دانيال : « الأزر » .

(٥) البيت خلت منه المطبوعة من المختار .

يَالَيْلَةَ بَتَ أُسْتَجْلِي حِيَاهَا كَأَنَّا بَتَ أُسْتَجْلِي حِيَاهَا
أُولَتْ يَدَا ثَمَّ أَلَوْتُ بِي فَقُلْتُ إِذَا مَا كَانَ أَرْخَصَهَا عِنْدِي وَأَغْلَاهَا
يُيُوسِفُ الْحَسَنُ جِزْءَ مَنْ مُحَاسِنِهِ فَاعْجَبْ لَهَا وَهِيَ كَثُرَ كَيْفَ جَزَاهَا^(١)
طَالَ النَّهَارُ انْتِصَاراً فَانْطَوَتْ قِصْرَاً كَأَنَّ فِي شَفَقِيهَا كَانَ فَجْرَاهَا
منها :

يُدِيرُ مِنْ لَحْظِهِ أَوْ لَفْظِهِ لُطْفَاً لَوْ نَسْتَطِيعُ لَهَا شُرْباً شَرَبْنَاهَا
وَالزَّرِيرَ وَالْمِثْقَالَ وَمِثْلُثَةً مَحْرَكَاتٍ مِنَ الْأَوْتَارِ أَشْبَاهَا^(٢)
ومنه في مליح اسمه « سالم » :

وَأَهْيَفَ تَهْفُو نَحْوَ بَانَةٍ قَدَّه قُلُوبٌ تَبَثُّ الشَّجْوُ فَهِيَ حَائِمٌ^(٣)
عَجِبْتُ لَهُ إِذَا دَامَ تَوْرِيدُ خَدَّه وَمَا الْوَرْدُ فِي حَالٍ عَلَى الْغَصْنِ دَائِمٌ
وَأَعْجَبَ مَنْ ذَا أَنْ حَيَاةَ شَعْرِهِ تَجُولُ عَلَى أَعْطَافِهِ وَهُوَ سَالِمٌ
ومنه :

بِي فَرَطٍ مِيلَ إِلَى الْغَزْلَانِ وَالْغَزَلِ فَكَيْفَ لَا يَقْصُرُ الْعِذَالُ عَنْ عِذْلِي
مَالُوا عَلَيَّ وَلَا مَوَا فِي الْهَوَى عِشَاءً مَنْ لَمْ يَمِلْ سَمِعَهُ مِذَّكَ كَانَ لِلْمِلَلِ^(٤)
أَضْحَى الْغَرَامُ غَرِيمِي فِي هَوَى رِشَاءً يَغْنِيهِ عَنْ كَحْلِهِ مَا فِيهِ مِنْ كَحَلٍ
فَالْبَدْرُ مِنْ حُسْنِهِ قَدْ رَاحَ ذَا كَلْفٍ وَالْوَرْدُ مِنْ خَدَّهْ قَدْ رَاحَ ذَا خَجَلٍ^(٥)

(١) في الواقي : « كثر » .

(٢) في (س) والواقي ، والفوات ، بعده زيادة « ومنه » :

تَبَسُّمٌ فَاسْتَبَكِي بِيَارِقِ ثَغْرِهِ سَحَائِبُ جَفْنٍ مَا أَحْلَتْ بِعَارِضٍ
مَلِيحٌ أَصْبَنَاهُ بَعِينَ وَنَظْرَةً فَنَ أَجَلَ هَذَا قَدْ أَصِيبُ بِعَارِضٍ

(٣) في (س) ، والواقي ، والفوات : « نحو بانه » .

(٤) في الأصل و (س) : « لا يمل » ، وأثبتنا ما في الواقي والفوات .

(٥) (س) ، (ط) والواقي : « في خجل » .

تشاغل الناس في الأسفار بي وبه وإنني عن حديث الناس في شغل
 وأنشدني له قاضي القضاة شيخ الإسلام تقي الدين السبكي ، رحمه الله تعالى ،
 قال : وأنشدني بعضها من لفظه :

| | |
|---|--|
| <p>يوماً ولا خطر السلو بيالي جفني المنام وتاركي كالآل^(١) معسول ياذا المعطف العسال نظام أم عن طرفك الغزالي^(٢) والحسن أضحي شافعي وجالي في وجنتي حماء رشق نبالي^(٣) في الحب من محن الهوى بسؤالي^(٤) بين الملاح عرفت بالقفال وطرفت بالتنبيه عين السالي^(٥) نقل الصحيح أجزته بوصال يحمي (الصحاح) بقدي لليال بين الأنام عجت من أفعالي^(٦) وزكوا لقذف الدمع في الأطلال هل في قضاة عاشقين مثالي وليتــــه ، ولكل ثغر والي</p> | <p>ما ملتُ عنك لجفوة وملال ياما نحاً جسمي السقام ومانعاً عن أخذت جواز منعي ريقك الـ عن شعرك الفحام أم عن ثغرك الـ فأجابني أنا مالك أهل الهوى وشقائق النعمان أضحي نابتاً والصبر أحمد للمحب إذا ابتلي وعلى أسارى الحب في سجن الهوى وقتلت معتزلي في شرى الهوى وتفقه العشاق في وكل من والجوهري غدا بثغري ساكناً وشهود جسمي لو نظرت إليهم جرح البكاء عيونهم وقلوبهم والشاهد المجرع عندي صادق وعلى رحيق الثغر صارم مقلتي</p> |
|---|--|

(١) في الفوات : « طرفي » .

(٢) في الوافي : « من شعرك » .

(٣) في الأصل : « ثابتاً » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات . وفي الفوات : « في وجنتي وحماء » .

(٤) في الفوات : « أجل » .

(٥) في الأصل والفوات : « وطرفت » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي .

(٦) في (س) والوافي والفوات : « حي » .

وعلى مقامات الغرام شواهد^(١)
ولبست من حُلل الجمال مُفَصَّلاً^(٢)
ولحسني الكشف من جل الضيا
وأقي المطرز نحو خدي راقاً
والواقدي بنار هجري والجفا
وبلفظي الفراء يفري قلباً من
ومَصَارِعُ العشاق بين خيامنا
ورفضت نوم العاشقين فكل من
ولدي سلوان للطاع سفاهة
وخصت إخوان الصفا برسائل
والبيهقي بوجه كل معنف
ويوجهي النقاش راح مفسراً
ورقبي الكلبى قد أخسأتُه
ومجاهد أضحى عليّ مقاتلاً
وأبــــــــــــــــو نعيم منعم في حليتي
ومحاسني قوت القلوب تكرمأ
وتطلعي زاد للسير ومبسمي الـ

جسمي الحريري والبديع جمالي^(١)
حسن الملابس مدهش الغزالي^(٢)
لمعاً لإيضاح الفصيح مقال^(٣)
طُرُز العذار وحرار في أشكالي
وكلّته فكل سال سال
وافي بناظر ناظري بنصال^(٤)
ومقاتل الفرسان يوم نزال
ذكر الغرام فدمعه متوالي^(٥)
لتتيم أوثقته بحبالي
ولهم صفا ودي وهم آمالي^(٦)
في موقف التوديع والترحال
صَوَّرَ لللاحه من دليل دلال
بوقوفه في باب ذل سؤالي
خوفاً من الرقباء والعذال
إذ بات يملها على النقال
ومنابق الأبرار حُسن فعالي
ضحّاك والمنثور حُسن لآلي^(٧)

(١) في الوافي والفوات : « مقالي » .

(٢) في الأصل : « للداهس » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٣) في الوافي والفوات : « في جل » .

(٤) في الأصل : « وبقلي » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والفوات .

(٥) في الوافي والفوات : « ذكر الفراق » .

(٦) (س) : « وخضعت » . وفي الفوات : « برسائي » .

(٧) في الفوات : « وبطلعتي » .

وبخدي الزهري جنات المنى
 وبمنطقي قسّ الفصاحة ناطقاً
 وقيص حُسنِي قَدْ من قُبْل الورى
 والثعلبي رأى الوجوه مجهده
 ولحسني الأنساب يرويه عن ال
 فيراه للتمييز نصيباً واجباً
 ولي الخلافة في الملاح بلحظي ال
 وعلى محلي بالجمال رواية
 ومدينة العلم السخاوي أصبحت
 قال الأوائل مارأينا مثله
 قَدْ عمّه الحسن الغريب وخاله
 فوصلت عَشّاقِي فلام معنفي
 القوم أبناء السبيل وعندنا
 قد طالما تقلوا حديث محاسني
 هذي القصيدة بالأئمة شرفت
 وكأنها العقد الثمين وهم بها ال

أضحى بها الثوري من عمال^(١)
 في فترة الأجفان للضلال^(٢)
 ييدي البين وتارة بشمالي^(٣)
 وحلالة في النقل وَجْهَ الحال
 عدل الزكيّ بصحة النُقَال
 ورفعت عنه المهجر من أفعالي^(٤)
 سفّاح وللنصور في أقوالي
 في راية نُشرت ليوم جدال
 في راحتي فعُرفت بِالْبَدَال
 غصن رطيب مثمر بهلال
 مافي البرية منه قلب خال
 فأجبتَه هذا الذي يبقى لي
 تعطى زكاة الحُسْن كالأموال
 فهم عُدولي صحة ورجال^(٥)
 قدرِي وفقت بها على أمثالي
 صدر التنظيم مكللاً بلّالي^(٦)

(١) في الأصل : « الزهري » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي والفوات .

(٢) في الوافي والفوات : « واعظ » .

(٣) في الفوات : « قبل الهوى » .

(٤) (س) : « فرآه » .

(٥) في الأصل : « صحبة » ، وأثبتنا مافي (س) والوافي والفوات .

(٦) وقع البيت في الفوات بلفظ :

قلت : قصيدة فريدة فائقة رائقة ، إلا أنها [فيها] ^(١) أليفاظ غير قاعدة ، والتسامح يسكن قلقها .

١٨٠٢ - محمد بن ناصر بن علي *

القاضي الرئيس فخر الدين بن الحريري ، بالحاء والزائين للمهمات ^(٢) .

كان أولاً كاتب الأمير شهاب الدين قرطاي نائب طرابلس ، أقام بها مدة ثم إنه عاد إليها مع مخدومه ، وعمرها أملاًكاً ، ولم يكن لأحد معه فيها حديث . ولما انتقل مخدومه إلى دمشق ثانياً عاد معه ، ولما مات استمر ^(٣) بطالاً مدة . ثم إنه باشر استيفاء النظر بدمشق مع صاحب أمين الدين لما قبض على علم الدين إبراهيم المستوفي في صفر سنة خمس وثلاثين وسبع مئة . ولما عزل صاحب أمين الدين بالصاحب علاء الدين الحراني نقل القاضي فخر الدين إلى نظر الديوان ^(٤) بطرابلس فتوجه إليها وأقام بها مدة .

ثم إنه توجه في نوبة الفخري إلى الديار المصرية وخرج منها مستوفي النظر بدمشق مع صاحب علم الدين بن القطب ، فأقام بها مدة يسيرة على ذلك ، وانتقل إلى نظر الجيش عوضاً عن القاضي فخر الدين بن العفيف فأقام بها ^(٥) قليلاً ، وأعيد القاضي فخر الدين بن العفيف إلى نظر الجيش ، فأقام بدمشق مدة بطالاً . ثم إنه توجه إلى الديار المصرية في سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

(١) زيادة من (س) . وعبارة الوافي : « إلا أنها لابد فيها » .

* الدرر : ٢٧٢/٤ ، وذيل العبر : ٢٨٣

(٢) (س) : « المهمتين » .

(٣) في (س) ، (خ) : « استمر بدمشق » .

(٤) (س) ، (خ) : « الدواوين » .

(٥) في (س) ، (خ) : « به » .

ثم إنه تولى كتابة السر بطرابلس بعد عزل القاضي شهاب الدين بن القطب المصري ، وأقام بها من أوائل سنة ثمان^(١) وأربعين وسبع مئة إلى أن توفي رحمه الله تعالى بطرابلس يوم الأربعاء مستهل جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وسبع مئة .

وكان رحمه الله تعالى أبيض أشقر سميناً فيه بشاشة وكيس ولطف ودماثة أخلاق ودهاء ، وكان قد مشى بالفقيري ، بالطاسة^(٢) والأزار العسلي في وقت ، وخلف عدة أولاد كل منهم اسمه محمد .

اجتمعت به غير مرة بدمشق والقاهرة^(٣) .

١٨٠٣ - محمد بن نبهان *

الشيخ الصالح الزاهد العابد الورع القدوة شيخ البلاد الحلبية .

كان فقيراً ، بالله غنياً ، خلياً من الدنيا وإن كان بسعادة الآخرة ملياً ، مقيماً بزاوية في بيت جبرين^(٤) معروفة بهم من قديم ، موصوفة بإضافتها إليهم ، لا يزال فيها للفقراء منهم خديم ، واشتهر هذا الشيخ محمد بتلك الناحية ، وأشرقت شمس عرفانه في سمائها للصحية ولا أقول الصحاية ، وتبأجت وجوه بركاته الضاحية ، وعرف بالخير وقصد من كل أرض ، وإنما يسقط الطير^(٥) وكان يطمع كل من يرد عليه من أمير ومأمور ، وذئ قلب خراب من التقوى ومعمور ، ولم يسمع أنه قبل لأحد شيئاً قل ولا جل ، ولا حرم

(١) في الأصل : « خمس » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) في الدرر : « بالطاقة »

(٣) (س) ، (خ) : « وبالقاهرة » .

* الوافي : ١٠٩/٥ ، والدرر : ٢٧٢/٤ .

(٤) في الأصل و (س) و (خ) : « جبريل » ، وأثبتنا ما في الوافي والدرر . وانظر : معجم البلدان ١٠١/٢ .

(٥) يشير إلى قول بشار المشهور :

إنما يسقط الطير حيث يلتقط الـ حبة وتغشى منازل الكرماء

ولا حل ، لأنه كانت لهم أرض قليلة يزرعونها ويتبلغون مما يستغلونها ويستغلونها ، وإنما كانت أخلاف البركات عليهم تَدْرُ^(١) ، واللطف الخفي يقر فيهم ولا يفر .
وكان الشيخ محمد كما قال الغزي^(٢) :

هو حلية الدنيا وبقراط العلا وشكيمة الناجي وحرز للنقي
أمواله لموفر ومقصر ومقاله لمحصل ومحقق

ولم يزل الشيخ محمد ، رحمه الله ، على هذه الطريق إلى أن جاء الأمير سيف الدين طشمر حمص أخضر إلى حلب نائباً ، فاشترى لزاوية الشيخ أرضاً ووقفها على الزاوية ، فامتنع الشيخ من ذلك وامتنع ، وارتقى إلى عدم القبول وارتض . فقال الأمير : إنما هذا للزاوية ، وليس هو لك ، فبعد لأي ما قبل ذلك ، وهو غير راض . ثم إن الأمير سيف الدين طشمر لما جاء إلى حلب نائباً أيضاً وقف على الزاوية أرضاً أخرى فأتسع الرزق بذلك على أولاده ، وفاض الخير عليهم ببركات الشيخ .

ولم يزل على حاله حتى تَنَبَّه الأجل لابن نيهان من رقدته ، وعجَّل الله له بالرحمة^(٣) في أول نقدته .

وجاء الخبر بوفاته رحمه الله تعالى في شعبان سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، وصلي عليه بالجامع الأموي صلاة الغائب .

ولم نسمع عن الشيخ إلا صلاحاً وخيراً ، وكان نواب حلب جميعهم يعظمونه ، ويحبلونه ، ويكرمونه ، ويقبلون شفاعاته ويعملون بإشاراته ، وكان منقطعاً عن الناس ، منجماً .

(١) (خ) : « وتدر » .

(٢) إبراهيم بن يحيى وقيل : ابن عثمان (ت ٥٢٤ هـ) . وفيات الأعيان : ٥٧/١ ، والوافي : ٥١/٦ .

(٣) (س) ، (خ) : « الرحمة » .

وأخبرني القاضي ناصر الدين^(١) كاتب السر بدمشق قال : كان الشيخ محمد كثير التلاوة ، وله كل يوم ختمة ، ومن يراه يحسبه أنه لا يتلو شيئاً .

كتب إليه القاضي شهاب الدين بن فضل الله في جملة كتاب :

| | |
|--------------------------------|----------------------------|
| قيل جبريلٌ مُنْزَلُ لابنِ نبها | ن محوطة بحكم التنزيل |
| قد تبدى محمد في رباها | علماً للسائرين وابن السبيل |
| بوقار كأنه الليل خوفاً | وجبين يُنير كالقنديل |
| ليس يخشى الضلال من أم منه | حضرةً أشرفت على جبريل |

وأما أنا فلم يتفق لي لقاءه ، ولكن اجتمعت بولده الشيخ علي وقدم إلى دمشق متوجهاً إلى الحج في سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

ولما مات الشيخ محمد قلت أرثيه رحمه الله تعالى :

| | |
|--------------------------------------|---------------------------------|
| تَنَبَّهَ صرفُ الدهر من بعد غَفْلَةٍ | وخصَّ ابنِ نبهان بمطعم صابه |
| ومات فأحيا الذكر من بعده الثنا | عليه كنش الروض غب سحابه |
| فن لقرى الأضياف من بعد فقد | فقد طالما راق الجنا من جنابه |
| أقول وبعض القول يعطي تمامه | « كَأَنَّ بني نبهان يوم مصابه » |

١٨٠٤ - محمد بن نجيب *

ابن محمد بن يوسف ، الشيخ شمس الدين أبو عبد الله ، الكاتب الْمُجَوِّد والمُحَرَّر المعروف بالخلاطي ، إمام التربة القميرية بالقباقيب^(٢) بدمشق .

سمع من ابن أبي اليسر ، و حَدَّثَ .

(١) محمد بن يعقوب ، ستأتي ترجمته .

* الدرر : ٢٧٣/٤ .

(٢) في الدرر : « بالقبيبات » .

وكان حسن الهيئة كريم الأخلاق ، يكتب المنسوب ، وكتب الناس عليه بعد الشهاب غازي الجود ، وعنده قطع كثيرة من الخط للنسوب . وتوجه إلى القاهرة وأقام بالخانقاه مدة وعاد .

وتوفي رحمه الله تعالى في تاسع عشري ذي القعدة سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ودفن في مقابر الشيخ أرسلان .

ومولده سنة ستين وست مئة .

١٨٠٥ - محمد بن نصر الله*

ابن عبد الوهاب ، القاضي الرئيس علاء الدين الجوجري ، يجمين بينها واو وبعد الجيم الثانية [راء]^(١) المالكي الحاكم بالقاهرة .

درس الفقه على مذهب مالك بالجامع الحامي ، وناب في الحكم عن قاضي القضاة تقي الدين الآخنائي المالكي ، وكان ناظر خزانة الخاص .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة تاسوعاء سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ولعله قد تجاوز السبعين .

وولي نظر الخزانة بعده القاضي محي الدين بن بنت الأعز .

١٨٠٦ - محمد بن نصر الله بن محمود**

شهاب الدين ، الشيباني العطار .

سمع من ابن مسلمة^(٢) في سنة ثمان وأربعين وست مئة^(٣) الجزء الذي كان عنده

* الدرر : ٢٧٤/٤ .

(١) زيادة من (س) ، وفي الأصل : « والمالكي » يواو ، وأثبتنا ما في (س) .

** لم تقف على ترجمة له .

(٢) (س) : « ابن مسلم » ، سهو ، وهو أحد بن المفرج ، سلفت الإشارة إليه .

(٣) (س) : « سبع مئة » سهو .

(موافقات ابن عساكر) ، وسمع أيضاً من العراقي ، وفرج الحبشي ، ولم يحدث .
وتوفي رحمه الله تعالى في ربيع^(١) الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

١٨٠٧ - محمد بن نصر الله بن يوسف *

ابن أبي عبد الله ، الشيخ الصالح عز الدين القرشي الأبرزاري^(٢) المصري رئيس
للمؤذنين بحرم النبي ﷺ .

كان عنده ثبت وإجازات تركها بمصر ، وغالب مسموعاته بقراءة المكين
الحصفي^(٣) .

توفي رحمه الله تعالى ثالث عشري شهر ربيع الآخر سنة عشر وسبع مئة عند فراغه
من أذان الفجر بالمنارة الجديدة ، من غير مرض ولا عرض ، وكان له مشهد عظيم .

١٨٠٨ - محمد بن هاشم **

ابن عبد القاهر بن عقيل بن عثمان ، ينتهي إلى علي بن عبد الله بن العباس^(٤) ،
الشریف شمس الدين أبو عبد الله بن الشريف تاج الدين بن الكاتب بهاء الدين .

روى عن عم والده الفضل^(٥) بن عقيل ، وعن ابن الزبيدي . وحدث (بصحيح
البخاري) مرات ، وكان اسمه مضمناً في إجازة ابن عساكر ، وحدث عن أبي روح الهروي^(٦) بها .

(١) (س) : « في شهر ربيع » .

* الدرر : ٢٧٥/٤ .

(٢) في الدرر : « الأبرزاري » .

(٣) هو أبو الحسن بن عبد العظيم المصري (ت ٦٧٤ هـ) . العبر : ٣٠٢/٥ .

** العبر : ٤٠٥/٥ ، والشذرات : ٤٥٤/٥ .

(٤) في (س) زيادة : « الشيخ المعمر » .

(٥) (س) : « الفخر » ، وما أثبتناه يوافق ما في العبر والشذرات .

(٦) عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الساعدي الهروي (ت ٦١٨ هـ) ، السير : ١١٤/٢٢ .

وتوفي في شهر رمضان سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ^(١) ست وست مئة .

١٨٠٩ - محمد بن الهمام *

ابن إبراهيم بن الخضر بن همام بن فارس ، ناصر الدين القرشي .

أخبرني شيخنا العلامة أبو حيان ، قال : هو صاحبنا ، كان له سماع في الحديث ، وقد حدث عن النجيب الحراني . وكان ذا خط حسن وصورة حسنة كريماً محباً في الفقراء إماماً للأدباء ، حسن النغمة بالقرآن ، وإنشاء ^(٢) الشعر ، باشاً بأصحابه ، يحب من يأكل طعامه ومن يجتمع به . وكان يعرف الحساب واشتغل بالخدم ^(٣) ، وناب في نظر البيارستان المنصوري ، وكان الفقهاء معه في الجوامك على أحسن حال .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة سبع وسبع مئة .

١٨١٠ - محمد بن أبي الهيجاء بن محمد **

الأمير الفاضل عز الدين الهذباني الإربلي ، متولي دمشق ^(٤) .

قدم الشام ^(٥) شاباً ، واشتغل ، وجالس العزاضير . وكان جيد للمشاركة في التاريخ والأدب والكلام .

(١) (س) : « في سنة » .

* الوافي : ١٦٩/٥ ، والدرر : ٢٧٨/٤ .

(٢) (س) : « بالقراءة » . وفي الوافي : « وإنشاد » .

(٣) في الأصل : « الخدم » وأثبتنا ما في (س) والوافي .

** الوافي : ١٧٠/٥ ، والدرر : ٢٧٨/٤ .

(٤) (س) : « مدينة دمشق » .

(٥) في الأصل : « القاهرة » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي وبعض أصول الدرر .

قال شيخنا الذهبي : وهو معروف بالتشيع والرفض ، وكان شيخاً كُردياً مهيباً ،
يلبس عمامة مُدَوَّرة ، ويرسل شعره على أكتافه . ولي دمشق وكان جيد السياسة .
توفي رحمه الله تعالى بالسَّوَادَة التي في رمل مصر سنة سبع مئة .
ومولده ياربِل سنة عشرين وست مئة .

١٨١١ - محمد *

الأمير الكبير بدر الدين بن الوزيري ، توفي بدمشق بدار الجاولي ظاهراً دمشق في
يوم الأربعاء سادس عشر شعبان سنة ست عشرة وسبع مئة [ودفن ^(١) برأس ميدان
الحصى ^(٢)] .

كان عنده معرفة وله فضيلة ، وتكلم في الديار المصرية في أمر الأوقاف والقضاة
والمدرسين ، وناب بدار العدل عن السلطان مدة ، صاحب ^(٣) الميسرة وأمير مئة ومقدم
ألف . وخلف تركة عظيمة ، ثم إنه صرف عن ذلك ونقل إلى دمشق .

١٨١٢ - محمد بن يحيى **

المنصور بالله ، أبو عصيدة بن الواثق الدهنتاقي ، بفتح الهاء وسكون النون ،
وبعدها تاء ثلاثة الحروف وبعدها ألف وتاء أخرى . تملك تونس بإشارة المرجاني في
آخر سنة [أربع وأربعين ^(٤)] وست مئة .

* البداية والنهاية : ٧٩/١٤ .

(١) زيادة من (س) والبداية .

(٢) عبارة ابن كثير : « بميدان الحصى فوق خان النجبي » .

(٣) في (س) والبداية : « حاجب » .

** الوافي : ٢٠٤/٥ ، والدرر : ٢٨٥/٤ ، وما في تمام نسبه من بياض لم يَشْرُ إليه في مطبوعة الوافي .

(٤) زيادة من الوافي ، وثمة بياض موضعها في الأصل و (س) .

كان شريف النفس مهيباً ، جيد الرأي أديباً ، صالحاً ديناً ، حميد السيرة صيناً ،
ظريفاً شكله ذريعاً^(١) أكله ، ينفق في جنده ، ولا يرد أحدهم على رفته .
ولم يزل على حاله حتى رمي أبو عصيدة باليوم العصيب ، ورماه الحمام بسهمه
المصيب .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع وسبع مئة .

ولم يعهد إلى أحد ، فقام بعده ابن عمه ، فقتل بعد أيام ، توثب عليه المتوكل
خالد بن يحيى من بني عمه وتملك ، ثم خلع بعد يومين .

ومات أبو عصيدة رحمه الله تعالى شاباً ، وإنما لقب بذلك لأنه عمل في سباط^(٢)
عصيدة عظيمة في وعاء سعتة تفوق العبارة ، في وسطها بركة واسعة^(٣) مملوءة سمناً ،
ويليها خندق عسل ثم خندق من دهن ثم خندق من دبس ثم خندق من زيت ثم خندق
من رب خرنوب ، سبعة خنادق ، والله أعلم ، وكان عسكره نحواً من سبعة آلاف .

١٨١٣ - محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن أحمد*

الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله القرطبي للالكى الأشعري ، نزيل مالقة ومحدثها
وفقيها ووزيرها .

وكان أشعرياً ، وكان آخر من حدث عن والده بالسماع ، وسمع من الدباج^(٤)
والشلوبين^(٥) ، وابن الطيلسان^(٦) . وكان من جملة محفوظاته (المقامات) .

(١) أي : واسعاً .

(٢) (س) والوافي : « سباط له » .

(٣) في الوافي : « واسطة » .

* الوافي : ٢٠٥/٥ ، والدرر : ٢٨٠/٤ ، والشذرات : ٥٢/٦ .

(٤) علي به جابر بن الدباج للقرئ النحوي (ت ٦٤٦ هـ) . السير : ٢٠٩/٢٣ ، والعبر : ١٠٩/٥ .

(٥) أبو علي عمر بن محمد ، سلفت الإشارة إليه .

(٦) القاسم بن محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٤٢ هـ) . البغية : ٢٦١/٢ .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة تسع عشرة وسبع مئة .
ومولده بقرطبة سنة ست وعشرين وست مئة .

١٨١٤ - محمد بن يحيى بن أحمد*

ابن علي بن يس ، الشيخ شمس الدين الحميري المعروف والده بابن المعلم .
سمع من ابن عبد الدائم وروى عنه ، وسمع من عمر الكرماني . وكان له ملك
يرتزق منه .

وسمع منه شيخنا علم الدين البرزالي .
توفي رحمه الله تعالى في العشر الأوسط من صفر سنة أربع عشرة وسبع مئة .
ومولده سنة ثلاث وخمسين وست مئة .

١٨١٥ - محمد بن يحيى بن موسى**

الشيخ شرف الدين بن نجم الدين بن تاج الدين أبي البركات الصائغ المعروف بابن
صفّ عذاره .

وكان شيخنا أوصى بثلث ماله أن يشتري به وقف للصّدقة فكان أربع مئة دينار
وكسوراً ، ووقف وقفاً على من يقرأ (صحيح البخاري) كل سنة في شهر رمضان
بالإسناد .

توفي رحمه الله تعالى في أول ذي الحجة سنة تسع وسبع مئة .

* الدرر : ٢٨٠/٤ .

** الدرر : ٢٨٥/٤ .

١٨١٦ - محمد بن يحيى بن محمد بن عبد الرحمن *

الشيخ الإمام الملقب بالمدريس بدر الدين ابن القاضي جمال الدين بن الفويرة الحنفي ، تقدم ذكر أخيه علاء الدين علي ، وسوف يأتي ذكر والده جمال الدين إن شاء الله تعالى في مكانه من حرف الياء .

اشتغل كثيراً ، ورقى من الحفظ محلاً أثيراً ، تفنن في العلوم وتفنن عما سوى ذلك من ملاذ المشارب والطعوم ، وحصل رأس مال جيد من الفقه وأصوله ، وأنفق ولم يخش نهاب محصوله .

ولم يزل على حاله إلى أن فارَّ وفاض أجل الفويرة ، وسبق أقرانه ، وماجدَّ في سيره .

وتوفي رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء ، الثالث والعشرين من شعبان سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

وكان له حلقة إشغال في الجامع^(١) الأموي عند شباك الكاملية في الحائط الشمالي ، ودرس بالخاتونية البرانية ويمجلس الرأس^(٢) ، وخطب بالزنجليّة وسمع عن^(٣) جماعة ، وحدث .

وكان قد انتشاله ولد تقدير عمره ست عشرة سنة ، وحج وهو صغير مع والده سنة إحدى وعشرين وسبع مئة ، وحفظ الكتاب العزيز ، وسمع الحديث ، وحفظ شيئاً من

* الوافي : ٢١١/٥ ، والدرر : ٢٨٣/٤ ، والدارس : ٣٧٣/١ .

(١) في الأصل : « جامع » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) في (س) ، (ط) : « بمسجد الرأس » . والنبي في الباريس : « مدرسة التاشي » ، وترجم للمدرسة ثمة .

(٣) (س) : « على » .

الفقه ، فمات في شهر صفر من سنة خمس وثلاثين وسبع مئة ، ففجع فيه والده وأهله^(١) ، وحزن والده عليه حزناً عظيماً ، ولم يعيش والده بعده إلا هذه المدة اليسيرة ، ولحقه إلى الله تعالى .

وكان الشيخ بدر الدين رحمه الله تعالى رفيقاً للقاضي فخر الدين المصري يجاريه في الإشغال فتناً بعد فن^(٢) ، خلاً أن ذلك كان شافعياً وهذا حنفياً ، وكان كثيراً ما يعيش هو وشمس الدين محمد بن زين الدين المقرئ الصفدي ، فكان الناس يسمونها القط والفأر .

وحضرت يوماً عنده في حلقة إشغاله^(٣) ، وأوردت عليه أن لفظه « طهور » صيغة مبالغة في تكرير^(٤) الفعل من الفاعل مثل « صبور » و « قتول » ، و « أكل » و « شروب » ، فكيف يسلب للماء الطهورية بالمرة الواحدة ، على ما تقدم في ترجمة تقي الدين أبي الفتح السبكي مما نظمته وأجاب عنه نظماً ، فأعجب الشيخ بدر الدين هذا الإيراد وزهّزه له ، ولم يجب عنه ، ولم يكن في طباعه مع كثرة علومه وتفننه إقامة وزن الشعر .

أخبرني القاضي شهاب الدين بن فضل الله قال : كان بدر الدين بن الغويرة ينشد قول الشاعر :

معاوي إننا بشر فأسجحي^(٥)

بإثبات الياء بعد الحاء .

(١) (س) : « والده وجدّه وأهله » .

(٢) (س) : « فتناً بفنّ » .

(٣) (س) : « اشتغاله » .

(٤) (س) : « تكرار » .

(٥) البيت بتمامه :

معاوي إننا بشر فأسجح فلنسنا بالجبال ولا الحديد

وهو لعقبة الأسدي .

انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ٥٢/٧ وما بعدها .

١٨١٧ - محمد بن يحيى بن أحمد بن سالم*

الأمير بدر الدين بن الحشاش ابن العدل زين الدين القرشي الدمشقي .

دخل بدر الدين هذا في الجندية ، وباشر الشد في ديوان سلار في بلاد صفد وقضى من السعادة في هذه المباشرة ما لا يوصف ، وحصل جلاً ، وبقي فيما بعد ذلك من أعيان مقدمي حلقة صفد . ثم إنه ترمى إلى الأمير سيف الدين تنكز ، فأمره عشرة ، وجعله مشدّ الديوان بصفد ووالي الولاية ، وحضر إليها في سنة أربع وعشرين وسبع مئة . ثم إنه نقله إلى دمشق على شدّ الدواوين بها عوضاً عن الأمير علم الدين سنجر الطرقي ، فوصل إليها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة بإعانة صاحب غبريال^(١) له . ثم إن صاحب عزل في أيامه وتولى هو مصادرتة .

ولم يزل على وظيفة الشد إلى أن عزل منها ، وصودر في ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة . وأقام في الترسم نحواً من أربعة أشهر . ثم إنه أفرج عنه ، وتولى فيما أظن بعد ذلك بيروت بواسطة سيف^(٢) الدين قرمشي ، لأنه كان مزوّجاً بأخت قرمشي . ثم إنه نقله إلى ولاية نابلس ، وتقلب في المباشرات كثيراً .

ولم يزل على حاله في دمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شوال سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان يحب المباشرات ولو كانت ، مهما كانت عالية أو سافلة .

وكان فيه كرم وخدمة لأرباب الدولة ما عليها مزيد . وكان مع اتساع دائرته

* الدرر : ٢٨٠/٤ .

(١) (س) ، (خ) : « شمس الدين » .

(٢) (س) : « الأمير سيف » .

لا يخرج فلساً لبقول حتى يضبطه في تاريخه عنده في تعليق [وكان] ^(١) عجباً في هذا الباب .

١٨١٨ - محمد بن يحيى بن فضل الله *

القاضي بدر الدين بن القاضي محي الدين .

توجه إلى الديار المصرية صحبة والده ، وعاد معه إلى دمشق ، ثم توجه معه ثانياً إلى الديار المصرية ، وأقام بها إلى أن أخرجه أخوه القاضي علاء الدين إلى كتابة السر [بالشام] ^(٢) عوضاً عن أخيه القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، فوصل إلى دمشق في أوائل شهر رجب الفرد سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

وكان عاقلاً ساكناً كثير الإطراق ، ملازم الصمت ، لا يفوه بكلمة تؤدي إلى الإحراق أو الإغراق ^(٣) ، يخدم من يقصده ولا يلتفت إلى من يزحه أو يحسده ، فأحبه الناس وخضعوا ، وطأطأوا رؤوسهم له واتضعوا ، وارتشفوا كؤوس محبته وارتضعوا . وكان خطه جيداً يزين ^(٤) به مهارقه ، ويودع الدرّجيد درّجه ومفارقه .

ولم يزل على حاله إلى أن خسف بدره في ليلة تمامه ، وأدار الغصن عذبتة لنوح حمامه .

وتوفي رحمه الله تعالى في سادس عشر من شهر رجب الفرد سنة ست ^(٥) وأربعين وسبع مئة .

(١) زيادة يقتضيها السياق ، وعبارة (س) : « حتى يضبطه عنده في تعليق ، وكان عجباً في هذا الباب » .

* الوافي : ٢١١/٥ ، والدرر : ٢٨٢/٤ ، وذيول العبر : ٢٥٢ ، والنجوم الزاهرة : ١٤٣/١٠ .

(٢) زيادة من (س) .

(٣) في (س) ، (خ) : « أو الإغراق » .

(٤) (س) ، (خ) : « يطرّز » .

(٥) في الأصل : « ثلاث » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، ومصادر ترجمته .

ومولده سنة عشر وسبع مئة .

وهو شقيق أخيه القاضي شهاب الدين ، وخلف نعمة طائلة ، وعمر أملاً كاملاً مليحة عند قناة صالح داخل باب توما^(١) ، وكان أحب الإخوة إلى والده القاضي يحيى الدين .

وكان أخوه القاضي علاء الدين وهو أصغر سنّاً منه قد أدخله بعد موت والدهما إلى دار العدل ، وجلس في أيام السلطان الملك الناصر محمد ووقع في الدست ، ولما توجه القاضي علاء الدين إلى الكرك صحبة الناصر أحمد ، وتسلمن الملك الصالح إسماعيل ، سدّ هو الوظيفة إلى أن عاد أخوه ، ثم إن أخاه جهزه^(٢) إلى دمشق صاحب ديوان الإنشاء ، ولما مات رحمه الله تعالى كتبت إلى أخيه القاضي علاء الدين أعزّيه فيه على لسان الأمير عز الدين طقطاي الدوادار ارتجالاً من رأس القلم وهو :

يقبّل الأرض لاساق الله إليها بعدها^(٣) وفدّ عزاء ، ولا أذاقها فقْدَ أحبةٍ ولا فراق أعزّاء ، ولا أعدمها جملة صبر تفتقر منه إلى أقلّ الأجزاء وينهي ما قدره الله تعالى من وفاة المخدم^(٤) القاضي بدر الدين أخي مولانا ، جعله الله وارث الأعمار ، وأسكن من مضى جنّات عدن ، وإن كانت القلوب بعده من الأحزان في النار ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، قول من غاب بدّره وخلا من الدست صدره ، وعمّ^(٥) مصابه فهو يتأسى بالناس ، وعدم جلّده فقال^(٦) للدمع : اجرّ فكم في وقوفك اليوم من باس^(٧) ، وهذا مصاب لم يكن مولانا فيه بأوحد ، وعزاء لا ينتهي الناس فيه إلى غايةٍ أوحد :

(١) باب توما : أحد أبواب دمشق السبعة ، وما زال إلى يوم الناس هذا .

(٢) في الأصل : « عاد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) في الأصل : « للرحوم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٥) في الوافي : « وعمر » .

(٦) في الأصل : « فهو » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٧) هذه الجملة من صدر بيت لأبي تمام : « ما في وقوفك ساعة من باس » . وقد سلف .

علينا لك الإسعاد إن كان نافعاً بشقّ قلوب لا يشقّ جيوب

فأ^(١) كان الدست الشريف إلا صدرأ نزع فيه القلب ، أو نجومأ^(٢) بينما بدرها يشرق نوراً إذا به في الغرب ، وما يقول للملوك إلا إن كان البدر قد غاب فإن النير الأعظم واف ، وبيتكم الكريم سالم الضرب ، وإنما أدركه بالوهم خفي زحاف ، وما بقي إلا الأخذ بسنة النبي ﷺ في الصبر^(٣) والاحتساب ، وبتسليم الأمر إلى صاحبه الذي كتب هذا المصراع على الرقاب : « وفي بقائك ما يسلي عن^(٤) الحزن » ، وظلّ مولانا بحمد الله تعالى باق على بيته ، وما نقص عدة ترجع جلته إلى مولانا ، وكلنا ذلك الدارج ، والله لا يذيقه بعدها فقد قرين ولا قريب^(٥) ، ويعوض ذلك الذهاب عما تركه في هذه الدار الفانية من الدار الباقية ، بأوفر نصيب إن شاء الله تعالى .

وقلت أرثيه ، ولم أكتب بذلك لأحد :

| | |
|----------------------------------|---|
| ولقدك بدّر الدين قد مسنا الضّر | وأظلم أفقّ الشام واستوحشت مصر |
| وشقّق حبّيبُ البرق واستعبر الحيا | ولطّم خد الورد وانصدع الفجر ^(٦) |
| وكادت لنوح الورق في غسق الدجى | تجف على الأغصان أوراقها الخضر ^(٧) |
| لك الله من غادٍ إلى ساحة البلى | « ومن بعده تبقى الأحاديث والذكر » |
| كان بني الإنشاء يوم مصابه | « نجوم سماء خرّ من بينها البدر » ^(٨) |

(١) في الأصل و (س) و (خ) : « فلأ » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في الأصول : « صدر ... نجوم » .

(٣) (س) : « بالصبر » .

(٤) في الوافي : « من » .

(٥) في الوافي : « قرين قريب » .

(٦) في (س) ، (خ) والوافي : « خد الرعد » .

(٧) في الأصل : « الأرق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٨) ضمن البيتين الآخرين شطرين من قصيدة أبي تمام في رثاء محمد بن حميد الطوسي .

١٨١٩ - محمد بن يحيى بن محمد *

الشيخ الإمام الصدر الكبير شمس الدين بن قاضي حرّان الحراني الحنبلي ، ناظر الأوقاف بدمشق .

كان صدرأ محتشماً نبيلاً .

توفي رحمه الله تعالى في الحادي والعشرين من شهر ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بتربة ابن الصباب ^(١) بالصالحية ، وعمل عزاءه بكرة الجمعة بحراب الصحابة بجامع دمشق .

وتولى نظر الأوقاف عوضه القاضي عماد الدين بن الشيرازي مضافاً إلى نظر الجامع ^(٢)

١٨٢٠ - محمد بن يحيى **

المعمر الصالح كال الدين ، ابن القاضي يحيى الدين بن الزكي القرشي .

حدث عن ابن النحاس ، ودرس بأماكن .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وأربعين وسبع مئة .

١٨٢١ - محمد بن يعقوب بن بدران ***

الإمام المسند المقرئ أبو عبد الله بن الجرايدي - بالجيم - الأنصاري الدمشقي ثم القاهري ، نزيل بيت المقدس .

* البداية والنهاية : ١٦٨/١٤ .

(١) محمد بن أحمد بن محمد بن أبي العزّ الحارثي . انظر : البداية والنهاية : ١٨١/١٤ ، والدارس : ٩٤/١ .

(٢) (س) : « الجامع الأموي » .

** الدرر : ٢٨٠/٤ .

*** الوافي : ٢٢٥/٥ ، والدرر : ٢٨٦/٤ .

أجاز له السخاوي ، وسمع بمصر سنة أربع وأربعين ، وبعدها من ابن الجيزي ، وسبط السلفي ، والمنذري ، والرشيد العطار وتلا بالسبع مفردات على الكمال الضير ، وسمع منه (الشاطبيّة) ، ومن ولد الشاطبي^(١) ، وجود الخط ، ودخل اليمن ، وروى بأماكن .

روى عنه شيخنا البرزالي والوائي ، وشيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وجماعة .

واستوطن القدس ثماني سنين ، وبه توفي سنة عشرين وسبع مئة .

ومولده بدمشق سنة تسع وثلاثين وست مئة .

١٨٢٢ - محمد بن يعقوب بن زيد*

الشيخ الإمام العالم شمس الدين أبو عبد الله البليغ الشافعي المحدث .

كان قد رافق شيخنا العلامة تقي الدين قاضي القضاة السبكي في سنة خمس وسبع مئة ، وسمع معه على ابن الصواف ، وسمع بالقاهرة ، وما برح يسمع إلى أن مات . وكان عدلاً فاضلاً ورعاً ودينياً .

توفي رحمه الله تعالى في ثاني^(٢) عشري جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبع مئة ودفن بالقرافة ، وكان الجمع متوفراً .

١٨٢٣ - محمد بن يعقوب**

الشيخ الإمام العالم الأديب بدر الدين ، ابن النحوية ، الأديب ، نسبة إلى النحو .

(١) في (س) زيادة : « حفظها » . وفي الوافي : « وحفظها » .

* الدرر : ٢٨٧/٤ .

(٢) (ط) : « ثامن » .

** الوافي : ٢٣٥/٥ ، الدرر : ٢٨٥/٤ ، والبغية : ٢٧٢/١ .

كان أديباً لبيباً ، فاضلاً أريباً ، حمى سرح النحو بحماسة ، وشاد ركنه وحماه ، له يد في النحوظولى ، وذهن بلغ به من الغوامض سولاً بما أصفه وهو ابن النحويّة ، والفرع فيه ما في الأصل ، وزيادة مَحْوِيّة ، وتصانيفه تشهد له بالتقدم وتحكم بأن مجده آمن من التهديم .

ولم يزل على حاله إلى أن أصبح لقيّ بين يدي المنايا ، وحكمت فيه الرزايا .
وتوفي رحمه الله تعالى

اختصر الشيخ بدر الدين (المصباح) الذي لبدر الدين بن مالك في المعاني والبيان والبديع ، وسماه (ضوء المصباح) وهذه تسمية حسنة .

قلت : وهذه التسميات تحتاج ^(١) ذوقاً ، كما اختصر ابن سناء الملك كتاب (الحيوان) للجاحظ ، وسمّاه (روح الحيوان) ، (البرق السامي) ، وسمي (سنا البرق) ، وصنف شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي كتاباً سماه (النور في مسائل الدور) واختصره فسماه (قطف النور) ^(٢) . واختصرت أنا (ديوان السراج) وسميته (لمع السراج) . وشرح الشيخ بدر الدين (ضوء المصباح) في مجلدين وسماه (إسفار الصباح عن ضوء المصباح) . وكتبته بخطي وفي البديع مثلّ مثلّها ، وفيها نظر ، وعندني في التسمية أيضاً نظر ، وشرح أيضاً (ألفية ابن معط) شرحاً حسناً وسماه (حرز الفوائد وقيد الأوابد) .

أنشدني من لفظه الشيخ الإمام العلامة نجم الدين القفحازي قال :

أنشدني من لفظه لنفسه شيخنا بدر الدين محمد بن النحوية ما كتبه ارتجالاً على

(١) (س) : « تريد » .

(٢) في الوافي : « قطب النور » ، تحريف ، وانظر : الكشف : ١٣٥٣/٢ .

قصيدة أحضرها بعض شعراء العصر^(١) يمدح فيها صاحب حماة :

لا ينشدن هذا القريض مقيم خوذاً يحاذر من أليم صدودها
فتلكه وتصدّه وتظنّه أن قد أغار على فريد عقودها

قلت : لا يقال : إلا حاذرت كنا ، ولا يقال إلا صدّ عنه ، اللهم إلا أن يكون حمل ذلك على المعنى ، فيكون « حاذرت » بمعنى خفت ، و « تصدّه » بمعنى تجفوه ، وفي هذا ما فيه . وقد بلغني من^(٢) قاضي القضاة جلال الدين القزويني أنه قال : اجتمعت بيدر الدين بن النحوية في العادلية وسألته عن قول أبي النجم^(٣) :

قد أصبحت أم الخيار تدعي عليّ ذنباً كلّه لم أصنع

في تقديم حرف السلب وتأخيرها ، فما أجاب بشيء ، أو كما قال . وقد تكلم ابن النحوية في^(٤) هذا البيت في (إسفار الصباح) كلاماً جيداً ، والسبب في ذلك أنه ما يلزم كل من وضع مصنفاً أن يستحضر جميع مسائله متى طُلب ذلك منه ، لأنه حالة التصنيف يراجع الكتب المدونة في ذلك الفن ويطالع الشروح فيحرر الكلام ذلك الوقت ، ثم إنه يشذ عنه ، وهذا الشيخ علاء الدين الباجي كان إماماً^(٥) علامة في فنونه ، وقد وضع كتاباً في الجبر والمقابلة ، قال لي عماد الدين الدمياطي : سألته مسألة في الجبر والمقابلة فما أجاب .

قلت : وهذا لا ينقص من قدر الباجي .

(١) (س) : « شعراء أهل العصر » .

(٢) (س) : « عن » .

(٣) انظر : شرح أبيات المغني للبغدادي : ٢٤٠/٤ .

(٤) (س) : « على » .

(٥) ليست في (س) .

١٨٢٤ - محمد بن يعقوب بن عبد الكريم*

القاضي ناصر الدين بن الصاحب شرف الدين ، كاتب السر الشريف بحلب ودمشق .

سألته عن مولده فقال : تقريباً في سنة سبع وسبع مئة بحلب .

كان من رجال الدهر^(١) عزماً وحزماً ، وسياسة وذُرْبَةً بالسعي وفهماً . ينال مقاصده ولو كانت عند النعائم^(٢) ، ويتناول الثريا قاعداً غير قائم ، وكتب ما يصبح به طرسه ، وكأنه حديقة ، وينظم بسرعة لا يقف فيها قلمه يُخال البرق رفيقه .

باشـر كتابـة السـر بحلب ودمشق مرتين ، وخرج من كل منها وهو قرير العين . وكان محظوظاً من النواب الذين يباشرون أيديهم ، وله عندهم الوجاهة التي لا تعدوه عند غضبهم وتعديهم ، يشكرونه في المجالس ، ويشنون عليه عند أرباب السيوف وأصحاب الطيالس ويقبلون شفاعته^(٣) ما عسى أن تكون ، ويشقون إلى ما عنده من التآني والسكون :

ف_____أمرهم رُدُّ إلى أمره وأمره ليس _____له رَدَّ

ومع هذا فكان ساكناً وداعاً ، راداً على من اتصف بالشر رادعاً ، أخلاقه تعلم النسمات حسن^(٤) الهبوب ، ويُغفر لها ما يعده الناس^(٥) للدهر من الذنوب .

* الوافي : ٢٢٧/٥ ، والدرر : ٢٨٧/٤ ، وبدائع الزهور : ٥٩٠/١/١ ، وذيول العبر : ٣٥٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٦/١١ .

(١) في الأصل : « العلم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) النعائم : من منازل القمر .

(٣) (س) ، (خ) : « شفاعاته » .

(٤) (س) ، (خ) : « لطف » .

(٥) (خ) : « من الناس » .

ولم يزل على حاله إلى أن اعتلّ ، ورماه الموت بدائه وانسلّ .
وتوفي رحمه الله تعالى بكرة الأحد سادس ذي القعدة سنة ثلاث وستين وسبع
مئة ، ودفن بترتبه بمقابر الصوفية ، وكانت جنازته حافلة .
قال لي : قرأت القرآن على الشيخ تاج الدين الرومي ، وعلى الشيخ إبراهيم
القبيج^(١) . وقرأ (الحاجبية) على ابن إمام المشهد ، وقرأ (مختصر ابن الحاجب) ،
وحفظ (التنبيه)^(٢) ، وأذن له الشيخ كمال الدين محمد بن الزمלקاني بالإفتاء ، ودرّس في
حلب بالنورية وغيرها ، واشتغل على ابن خطيب جبرين^(٣) قاضي حلب في الأصول ،
وقرأ في الهيئة على أمين [الدين]^(٤) الأبهريّ ، وكان يستحضر من كليّات (القانون)
جملة ، وعلى ذهنه من العلاج جملة وافرة ، ويستحضر من قواعد المعاني والبيان مواضع
جيّدة .

وولي في حياة والده نظر الخاص المرتجع عن العربان ، ثم نقل إلى كتابة الإنشاء
بجلب . وكان الأمير سيف الدين أرغون نائب حلب يقرّبه ويحبه ويحضر عنده في
الليل ، ويقول له : يافقيه ، ودخل به إلى توقيع الدست في حلب ، وتولّى تدريس
المدرسة الأسدية بحلب سنة أربع وأربعين وسبع مئة ، ثم إنه ولي كتابة السر بحلب
عوضاً^(٥) عن القاضي شهاب الدين بن القطب سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ، وتولّى
قضاء العسكر بحلب في أيام الأمير سيف الدين طرغاي الجاشنكير نائب حلب .

ولما توفي زين الدين محمد بن الحضر^(٦) كاتب سرّ دمشق طلب الأمير سيف الدين

(١) في الوافي : « الفتح » .

(٢) في الوافي : « للشيخ أبي إسحاق » .

(٣) في الأصول : « جبريل » ، وأثبتنا ما في الوافي . وسلفت الإشارة إلى نحو ذلك .

(٤) زيادة من الوافي .

(٥) في الأصل : « وكان عوضاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٦) في النجوم : « تاج الدين بن الزين خضر » . وهو محمد بن زين الدين خضر بن عبد الرحمن .

(ت ٧٤٧ هـ) ، النجوم : ١٧٧/١٠ .

يلبغا^(١) من السلطان أن يكون القاضي ناصر الدين عنده بدمشق كاتب سر ، فرسم له بذلك ، ووصل إلى دمشق في رابع عشر جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، فباشر كتابة^(٢) سر دمشق وبيده تدريس الأسديّة بحلب إلى أن مات بدمشق ، وبيده أيضاً قضاء عسكر حلب وهو بدمشق إلى أن نزل عنه لمن يبدل له شيئاً ، ثم إنه تولى تدريس المدرسة [الناصريّة الجوانيّة بدمشق ، وتدريس المدرسة]^(٣) الشامية الجوانية ومشيخة الشيوخ .

وكان يزعم أنه سمع على سنقر مملوك ابن الأستاذ^(٤) حضوراً في الرابعة ، كذا قال لي من فمه ، وعندي في ذلك شيء^(٥) ، فإن سنقر المذكور توفي سنة ثمان وسبع مئة ، وناصر الدين فمولده على ما أخبرني^(٦) في سنة سبع وسبع مئة ، فهذا الحضور في الرابعة على سنقر لا يتصور .

وكان ينظم سريعاً ، ويكتب خطاً حسناً ، وحصل لأولاده الإقطاعات الجيدة من إمرة العشرة إلى ما دونها ، ولما ليكه ولألزامه ، والرواتب الوافرة على السديوان ، وعلى الجامع الأموي واقتنى من الكتب النفيسة للليحة جملة وافرة ، ومن الأصناف من القماش والجوهر والمؤلؤ وغير ذلك جملاً ، واقتنى الأملاك الجيدة والبساتين المعظمة في دمشق وغالب بلادها ، وفي حلب وغالب معاملاتها .

وكان رجلاً سعيداً محظوظاً إلى الغاية ، إلا أنه لم يكن فيه شرٌ ، ولا تسرع يملك نفسه ، ويكتم أذاه وغيظه ولا يواجه أحداً بسوء .

(١) (س) ، (خ) : « يلبغا نائب الشام » .

(٢) في الأصل : « فباشرها به » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

(٤) هو سنقر الزيني ، سلفت ترجمته .

(٥) (خ) : « في هذا نظر » .

(٦) في (س) ، (خ) زيادة : « به » .

ولما كان في سنة ستين وسبع مئة رسم له بكتابة سر حلب عوضاً عني ، وجعل القاضي أمين الدين [بن] ^(١) القلانسي عوضاً عنه بدمشق ، وحضرت أنا على وظائف ابن القلانسي ، وذلك في أوائل سنة ستين .

ولم يزل مجلب إلى أن حضر السلطان الملك المنصور محمد بن حاجي إلى دمشق في واقعة الأمير سيف الدين بيدمر الخوارزمي في سنة اثنتين وستين وسبع مئة ، فولي القاضي ناصر الدين كتابة سر دمشق عوضاً عن القاضي أمين الدين بن القلانسي في ثاني عيد الأضحى ، فباشر كتابة السر إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وباشرت معه كتابة الإنشاء بدمشق مدة ولايته الأولى وما فارقت فيها في سفر ، ولا حضر ^(٢) ، وبينى وبينه بداءات ^(٣) ومراجعات في عدة فنون ، وكلهما في أجزاء (التذكرة) التي لي ، من ذلك ما كتبه إلي ^(٤) وقد وقع مطر عظيم :

كأنّ البرق حين تراه ليلاً ظبىّ في الجوّ قد خرطت بعنف
تخال الضوء منه نار جيش أضاءت والرعود حسيس زحف ^(٥)
وكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

يحاكي البرق بشرق يوم جود إذا أعطيت ألفاً بعد ألف
وصوت الرعد مثل حشا عدو يخاف سطاك في حيف وحتف
ثم كتب هو إليّ :

لئن أوسعت إحساناً وفضلاً وجدتَ بنظم مدح فيك لائق

(١) زيادة من (س) ، (خ) .

(٢) (س) : « لا في سفر ولا في حضر » .

(٣) (خ) : « مكاتبات بداءات » .

(٤) في (س) ، (خ) والوافي زيادة : « ونحن بمرج الغسولة » .

(٥) الحسيس الجبلية . وفي الوافي : « فجيش » .

فهذا الفضل أخجل صوب سحب
وكتب هو إليّ أيضاً :

وكان القطر في ساجي الدجا
وإذا ما قارب الأرض غدا
لؤلؤ رصع ثوبا أسوداً^(١)
فضة تشرق من بعده المدى^(٢)

فكتبت أنا الجواب إليه :

ما مطرنا الآن في المرج سدى
نظر الجوّ لما تبذله
ورأينا العذر في هذا بدا
فهو يبي بالفوادي حسدا
وكتب هو إليّ أيضاً :

طبّق الجوّ بالسحاب صباحاً
نسخ الريّ كل قحط ويس
ومطرنا سخاً مغيثاً وبيلا
ارتشفنا منه الرضاب فخلنا
بغمام أهدي لنا سلسيلا
فكتبت أنا الجواب إليه بديهاً :

جلت الأرض بعد قحط ويس
وتشّ القضيّب فيها رطيباً
من بكاء الغمام وجهاً جيلاً
هكذا كل بلدة أنت فيها
وتشّ النسيم فيها عليلاً
وكتب هو إليّ بعد ذلك :

(١) في الأصل : « لؤلؤاً » .

(٢) في الأصل ، و (س) و (خ) : « حارب الأرض » وأثبتنا ما في الوافي . وفي النجوم الزاهرة : « فإذا جادت على .. مع بعد » .

(٣) (س) ، (خ) والوافي : « الرضاب منه » .

أوضح الله للبيان سبيلا
 إن تشق القضيبي في الروض عجباً
 فبأقلامك الباهية فخرأ
 ولئن زدت في ثنائى فإني
 لم أنس بالمرج مَرَّنا
 تقابل الرعد منه خيمنا
 وكتبت أنا إليه :

مأنس لأنس يوم المرج حين غدت
 أمطاره بدموع العين تمزج^(٤)
 كم في الختام فتوق كالعيون غدت
 أجفان زفرها بالريح تختلج
 وكتبت إليه في السنة الثانية ، ونحن بالمرج^(٥) أصف حرّ الظهائر :

مرج دمشقق عجب أمره
 في الطيب والكره غدا خارجا
 كم نسخ الحرّ به للندى
 وكان مرجاً فغدا مارجا^(٦)
 وكتب هو إليّ ملفزاً :

أيها العالم الذي فاق علماء زمانه ، وعلاً قدراً في معانيه وبيانه ، وقام بصلاحه عماد
 الأدب بعد هوانه :

ما اسم شيء سداسي^(٧) الحروف ، ظرف للعشرات والألوف ، لاتنفك علتاه
 الصورية والغائية عن عاطف ومعطوف ، يمنع من القنص ويَتخذ كاتخاذ القنص ،

(١) في الأصل و (س) و (خ) : « لك » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٢) في (س) والوافي : « أوتبدي » .

(٣) في الأصل و (س) و (خ) : « على غصن » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) في الأصل و (س) و (خ) : « لأنس » ، ولا تستقيم .

(٥) (س) ، (خ) : « بالمرج المذكور » .

(٦) (س) : « نسج » .

(٧) في الأصل : « سباعي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

ولا يوصف جلده بيهق ولا برص ، أعجمي للسمى ، حرم دان لمن تأمله ورزق حزماً ، إن صَحَّف نصفه كان من علل العروض ، وأتى عقاباً ليعملة^(١) غير ركوض ، وربما دخل تصحيفه في ألقاب الإعراب وأتى مشكوراً من ذوي السيادة والآداب ، وإن اعتبر نصفه الثاني فهو مرادف « قريب » ، واستحب من الحبيب ، وإن قلب كان للرؤساء مكاناً ، وربما أضيف إلى قبيلة إذا أردت بيانا ، فاكشف لنا أيها العالم عن معناه ، فما برحت تكشف عن وجوه الإعجاز حجابها ، وتكسف نور الشمس وترفع جلبابها ، وتنزع عن المعميات بنور بصيرتك ثيابها .

فكتبت أنا الجواب إليه ، وهو في « حرم دان »^(٢) :

يا فريدا جمع الله فيه فنون الآداب ، ووحيدا علا عن الأشكال والأضراب ، وخبرا بل بحرا زخرت بالعلوم أمواجه ، و « بل » للإضراب . نزهت بصري وبصيرتي في هذه الحقائق^(٣) التي لا تزال العيون إليها محدقة ، ولا تبرح كواكبها في سماء بلاغة^(٤) لا يسبح قمرها في الطريقة المحترقة ، فرأيتك قد ألغزت في ظرف ، حوى حُسن الشكل والظُرف ، وفيه الألف والنون والتركيب ولا يُمنع من الصرف ، وسدسائه الأولان ثلثا « حرف » وسدسائه الآخرا حرف يُعبّر بألفاظه عن بابيك المعمور للخائف^(٥) ، لأنه حرم قريب لا يوجد به حائف ، حرّز لما يودع فيه ، وهذا الوصف له من أجلّ الوظائف ، ذو جلد على الغربية ، فبينما هو بالبلغار^(٦) إذا هو بالطائف ، ليس بعربي ، وعهده بالعجم قد تقادم ، وليس هو من بني آدم . وإذا قلبته وجدت به آدم ، ولا يفوه بكلمة ، ومتى عكس ثلثاه نام ، يتلون ألوانا ، وما ضمّ جسده حسدا ، ونصفه مرح إذا

(١) اليعملة : الناقة النجيبة .

(٢) ضرب من الدروع .

(٣) (س) : « الحديقة » .

(٤) (س) : « بلاغته » .

(٥) (س) ، (خ) : « الخائق » .

(٦) (س) ، (خ) : « في البلغار » .

قَلْب ، وسدساه داء ، وكلّهُ يرى ما بين جنبيه لاجفنيه رمدا ، يماثل قول المحاجي الأديب^(١) ، مَأْمَنَ لِلخَائِفِ قَرِيب . وله خواصٌ أُخَرٌ عَجِيبَةٌ وصفاتٌ بعيدةٌ إلا عن ذَهْنِكَ الصَّافِي فَإِنِهَا قَرِيبَةٌ .

هذا ما ظهر للمملوك منه ، وكُشِفَ لَهُ مِنَ الْغَطَاءِ عَنْهُ . فَإِنْ وافق الصواب فهو بسعادتك وبركات خاطرك ، يا شيخ الشيوخ وَيَمْنُ إِرَادَتِكَ ، وإلا فالعذر ظاهر في القصور ، وشرّ الطير يأوي الخراب وخيرها يأوي القصور . والله يَمَتِّعُ الْأَنْفَامَ بِهَذِهِ الْكَلِمِ اللَّوْلُؤِيَّاتِ ، وَيَمْنَعُ بِفَضْلِهِ مَنْ تَحَدَّى لِمَعَارِضَةِ هَذِهِ الْآيَاتِ^(٢) الْبَيِّنَاتِ ، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ .

١٨٢٥ - محمد بن يوسف بن عبد الله *

الحزري شمس الدين ، يُعْرِفُ بَابِنَ الْحَشَّاشِ ، وَيَاخْطِيبَ^(٣) .

قال شيخنا البرزالي : كان أبوه صيرفيًا بالجزيرة .

وقال كمال الدين الأدفوي : كان ذا فنون ، وكان محسنا إلى الطلبة . قدمت من الصعيد في سنة ست وسبع مئة ، فوجده يدرّس بالمدرسة الشريفة ، وتؤخذ عليه دروس كثيرة ، فسألته أن يرتّب لي درسا ، فاعتذر بضيق الوقت ، ثم قال : مالك شغل ؟ فقلت : لا ، فقال : تحضر بعد العصر ، فإن اتفق أن تجدني اقرأ^(٤) . ففعلت ذلك ، فلم يخلّ يوما من الخروج إليّ ، فقرأت عليه قطعة من (المنتخب) في أصول الفقه ، وخصّني بوقت مع كثرة أشغاله وانتصابه للإقراء إلى نصف^(٥) النهار .

(١) في (س) ، (خ) : « الأريب » .

(٢) في الأصل : « الآيات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

* الوافي : ٢٦٢/٥ ، والدرر : ٢٩١/٤ ، والبغية : ٢٧٨/١ ، وذبول المعبر : ٦٣ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢١/٩ .

(٣) وبالموجب ، كما سيأتي في الألقاب .

(٤) (س) : « فاقرا » .

(٥) (س) : « منتصف » .

وكان حسن الصورة ، مليح الشكل ، حلو العبارة ، عالماً بفنون من الفقه على مذهب الشافعي ، والأصوليين ، والنحو ، والمنطق ، والأدب ، مشاركاً في هندسة وغيرها من الرياضيات ^(١) . قدم قوص مجرداً ، فوجد بها الشيخ شمس الدين الأصبهاني حاكماً ، فقرأ عليه فنونه ، ثم إنه ^(٢) قدم مصر ، واشتغل بها ، وأعاد بالمدرسة الصاحبية ، وأقام بالقاهرة ، وولي تدريس الشريفة ، وانتصب للإقراء ، فقرأ عليه للمسلمون واليهود وغيرهم . وكان يلقي دروساً ، وتقرأ عليه طائفة ، وصحب الأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير ، وارتفعت منزلته عنده مدة ، ثم إنه وقع بينه وبين الشيخ نصر اللنبجي فحطّ عند بيبرس من قدره ، وشهد عليه بعض طلبته . وكان خطيباً بالقلعة ، فعزل عنها ، وتولّى الخطابة بالجامع الطولوني مدة ، ثم لما عاد السلطان الملك الناصر ^(٣) سنة تسع وسبع مئة مشى حاله .

وتولّى المدرسة المعروفة بالمعز ^(٤) بمصر .

وله تصانيف منها (شرح التحصيل) في ثلاث مجلدات ، و (شرح منهاج البياضوي) في مجلدة لطيفة ليست بطائل ، صنّفه في آخر عمره ، واعتذر في خطبته بالكبر ، وله أجوبة على أسئلة (المصول) ، و (شرح ألفية ابن مالك) .

وكان فيه مروّة وكرم أخلاق على الإطلاق ، يسعى في حوائج ^(٥) الناس بنفسه ، ويبذل جاهه لمن يقصده ، ويسخفه بأربه . وله ديوان خطب وشعر كثير .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بمصر في سادس ذي القعدة سنة إحدى عشرة وسبع مئة ،

وقد جاوز الثمانين .

(١) (س) : « الرياضيات » .

(٢) ليست في (س) .

(٣) (س) : « الناصر محمد » .

(٤) في الوافي : « بالمعزية » .

(٥) في (س) زيادة : « قضاء حوائج » .

ومن شعره :

لم أَصْبُ للبرق من تياء يَأْتَلِق
يعْتَاض من حرِّ أنفاسٍ تَلْهَبُه
يا لامع البرق إمّا لَحْتَ معترضا
إني إخال خفوقاً منك في عَجَل
ويا نسيم الصبا هل لَبْثَته بُرْبى
وسل أهيليهِ عن قلبي وما صنعوا
وعُدْ إليّ بما ضَمَنْت من خبر
ومل إليّ دَوَيْن القوم مستترا
أبْثَكم أن لي من بعدكم كَبْدا
أهوى المنام لمسرى طيفكم كلفا
وهل يخوض الكرى جفنا تقسّمه
إن أحْتكم أنا والأشواق نحوكم
لا تسمعوا في أقوال الوشاة ولا
قالوا: نَبْثَته الليالي في تقلّبها

ومنه :

يعيذك من نار حوتها ضلوعه
بعدت فلما يعرف النوم جفنه
وكيف يلذ العيش بعدك من غدا

إلا وللقلب من حُبِّكم عُلُقٌ^(١)
ثم استقل ولي في طيّهِ حَرَقٌ
لا تستقرّ كقلبٍ هَزَزَهُ القلق
يهدي وقلبي لا يهدا به الفَرْقُ^(٢)
نجد على غفلة الواشين تتفق
به فإني بما ترويه لي أثقُ^(٣)
وفي دجا الليل من ظلماته رَمَقُ
كي لا يَمّ علينا نَشْرُك العبق
أُمست إليكم بنار الشوق تحترق
به عسى مقلتي بالطيف ترتقُ^(٤)
كما يشاء الغرام الدمع والأرق
يشهد بدعواي جفن من دمي شَرِقُ
تُصْغوا سماعاً بما قالوه واختلقوا
عن حبكم، فتناساكم وما صدقوا

مشوق أحاديث البُعَاد تروعه
ولم يدر هل كان السكون يريعه
من العمر في محل وأنت ربيعه

(١) في الأصل : « البرق » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٢) (س) : « على عجل » .

(٣) (س) : « من قلبي » .

(٤) (س) : « ترتفق » .

ويبدو كبيض الهشيم فروعه
 نسيما وظني أنه لا يضيعة
 رسائله يقضى إليّ رجوعه
 سرى منه لما بنت، قلت: جميعه^(١)
 تأخر عندي منه، قلت: دموعه^(٢)

وها ثبت فوديه يلوح مصوحا
 أقول وقد حملت بثي إليكم
 لعلّ النسيم الحاجري إذا قضى
 ومستخبر عن حال قلبي وما الذي
 ويسألني عن ناظري ما الذي ترى
 منها :

ويدعو بنا داعي الهوى لا أطيعه
 ولا كل وقت لي فؤاد تريعه

وإني متى ماض شملتي وشملكم
 فما كلّ حين لي دموع أريقها
 ومن شعره :

رسل النسيم فقد أودعتها لمعا
 بعد النوى فسيحكيه إذا لمعا
 أملتته فسيمليه إذا سجعا^(٣)
 أشجان قلبي وطرفي قطّ ما هجعا
 إلا أمان قلبي أن نعود معا

سل عن أحاديث أشواق إذا خطرت
 واستوضح البارق النجدي عن نفسي
 واستحك من طير غصن البان بث جوى
 ومذ رمتنا النوى والله ما هدأت
 وليس يمسك من بعد النوى رمقي

١٨٢٦ - محمد بن يوسف *

ابن الحافظ زكيّ الدين محمد بن يوسف بن محمد بن يّداس - بالياء آخر الحروف
 والبدال المهملة المشددة ، وبعد الألف سين مهملة - الشيخ الإمام العالم المرتضى

(١) (س) : « ويستخير » .

(٢) في الأصل : « ضلوعه » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) في مطبوعة الوافي « واستهل » .

* الوافي : ٢٦٤/٥ ، والنجوم : ١٩٤/٨ .

بهاء الدين أبو الفضل بن أبي الحجاج بن البرزالي الإشبيلي الأصل ، الدمشقي ، الشافعي .

أحضره والده على جماعة ، منهم السخاوي ، وابن الصلاح ، وكريمة ، وعتيق السلماني ، والمخلص بن هلال ، والتاج ابن أبي جعفر^(١) ، ومحاسن الجوبيري ، والمرجى ابن شقيرة .

ثم توفي والده شابا ، وخلفه ، وله خمسة أعوام ، فربي في حجر جده الإمام علم الدين القاسم بن أحمد اللورقي ، وقرأ عليه القرآن وشيئا من النحو ، وكتب الخط المنسوب ، وبرع فيه ، ونسخ جملة من الكتب ، وأجاز له طائفة من شيوخ بغداد ومصر والشام .

وقرأ عليه ولده شيخنا علم الدين البرزالي شيئا كثيرا ، منها الكتب الستة بالإجازات وحدّث بمصر وبدمشق وبالجهاز ، وبرع في كتابة الشروط وكتب الحكم للقضاة ، ورزق حظوة مع التّصوّن والديانة والتقوى والتعبّد .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة ثلاث وثلاثين وست مئة .

١٨٢٧ - محمد بن يوسف بن يعقوب *

ابن أبي طاهر الإربلي ثم الدمشقي الذهبي .

أجاز له أبو محمد بن البُنّ ، وجماعة . وسمع من ابن المسلّم المازني ، وأبي نصر بن عساكر ، وابن الزبيدي ، وابن اللتي ، وابن مكرم ، والزيكي البرزالي ، وعدّة . وخرّجت له (مشيخة) ، وذيل عليها شيخنا الذهبي .

(١) محمد بن أبي جعفر أحمد بن علي القرطبي (ت ٦٤٣ هـ) . الشذرات : ٢٣٦/٥ .

* الوافي : ٢٦٥/٥ ، والدرر : ٣١٥/٤ ، والشذرات : ١١/٦ .

وكان مكثراً . وسمع (السنن الكبير) للبيهقي سنة اثنتين وثلاثين على المرسى .
وكان شيخاً عامياً .

سقط من السلم فمات لوقته في شهر رمضان سنة أربع وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وعشرين وست مئة .

وكان قد تفرّد بأشياء .

١٨٢٨ - محمد بن يوسف بن محمد*

ابن للمهتار المصري ، العدل الجليل ناصر الدين أبو عبد الله بن الشيخ محمد الدين
المصري ثم الدمشقي الشافعي .

سمع من ابن الصلاح ، والمرجى بن شقيرة ، ومكي بن علان ، وجماعة . وأجاز له
ظافر بن شحم^(١) ، وابن المقر . وتفرّد بأجزاء .

وكان تقيب قاضي القضاة إمام الدين القزويني .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سادس عشري ذي الحجة سنة خمس عشرة وسبع
مئة .

ومولده سنة سبع وثلاثين وست مئة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليه (الآداب) و (الاعتقاد) للبيهقي
و (علوم الحديث) و (الطوالات) للتنوخي ، وقطعة من الأجزاء . وحدّث
(بالزهد) للإمام أحمد بكاله ، وانفرد برواية (علوم الحديث) لابن الصلاح عن
مصنّفه مدّة سنين ، وبقطعة كبيرة من (سنن البيهقي) و (بالطوالات) للتنوخي .

* الوافي : ٢٦٥/٥ ، والدرر : ٣١٢/٤ ، والشذرات : ٢٨٧٦ .

(١) ظافر بن طاهر بن ظافر بن شحم الأزدي (ت ٦٤٢ هـ) . الشذرات : ٢١٣/٥ .

وأجاز له من دمشق السخاوي ، وشيخ الشيوخ ابن حمويه ، وإبراهيم بن الحشوعي ، وعبد الحق بن خلف وجماعة من الديار المصرية فخر القضاة ابن الحباب ، وظافر بن شحم ، وسبط السلفي ، وابن رواج ، وعلي بن زيد التسارسي^(١) ، وعلم الدين بن الصابوني ، وابن الجمّيزي ، والسراج محمد بن يحيى بن ياقوت^(٢) ، وهبة الله بن محمد المقدسي^(٣) ، وهم من أصحاب السلفي .

١٨٢٩ - محمد بن يوسف ... *

عبي الدين المقدسي المصري النحوي^(٤)

١٨٣٠ - محمد بن يوسف بن عبد الغني **

ابن تَرْشَك - بالتاء ثالثة الحروف والراء والشين المعجمة وبعدها كاف - الشيخ تاج الدين المقرئ الصوفي البغدادي .

حفظ القرآن العظيم في صباه بالروايات ، وأقرأه ، وسمع الكثير من ابن حصين^(٥) . وإجازاته عالية . وروى وحدّث ، وسمع منه خلق ببغداد وبدمشق وبغيرها من البلاد .

وكان ذا سمّت حسن ، وخُلِق طاهر ، ونفس عفيفة رضيّة ، وصوت مطرب إلى الغاية . وقدم دمشق مرارا ، وحدث ، وحجّ غير مرة ، ثم عاد إلى بلده ، وأضّر بأخرة .

(١) (ت ٦٤١ هـ) ، السير : ٩٢/٢٣ .

(٢) (ت ٦٤٦ هـ) ، الشذرات : ٢٣٧/٥ .

(٣) (ت ٦٥٠ هـ) ، العبر : ٢٠٦/٥ .

* الوافي : ٢٦٥/٥ ، والدرر : ٣١٦/٤ ، نسبه فيه : « محمد بن يوسف بن أبي محمد بن أبي الفتوح بن ناصر الدين المقدسي » وترجمته ثمة أوفى مما هنا .

(٤) في الوافي : توفي سنة ثلاث وسبع مئة .

** الوافي : ٢٨٣/٥ ، ونكت الهميان : ٢٨٦ ، والدرر : ٢٩٧/٤ .

(٥) في الأصل : « ابن أبي حصين » ، وأثبتنا ما في (س) والوافي والدرر . وزاد بعده في (س) والوافي : « ومن في طبقته » .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة خمسين وسبع مئة .

ومولده ببغداد في شهر رجب الفرد سنة ثمان وستين وست مئة .

١٨٣١ - محمد بن يوسف بن علي*

ابن يوسف بن حيّان ، الشيخ الإمام العالم العلامة الفريد الكامل^(١) ، حجة العرب ، مالك أزمّة الأدب ، أثير الدين أبو حيّان الأندلسي الجبائي الحياتي ، بالجم والياء آخر الحروف مشددة ، وبعد الألف نون .

كان أمير المؤمنين في النحو ، والشمس السافرة شتاءً^(٢) في يوم الصحو ، والمتصرّف في هذا العلم ، فيأليه الإثبات والحو ، لو عاصر^(٣) أئمة البصرة لبصرهم ، وأهل الكوفة لكفّ عنهم^(٤) أتباعهم الشواذ^(٥) وحذرهم ، نزل منه (كتاب سيبويه) في وطنه بعد أن كان طريدا ، وأصبح به (التسهيل) بعد تعقيده مفيدا^(٦) ، وجعل سرحه شرحه وجنة راقته النواظر توريدا . ملأ الزمان تصانيف ، وأمال عُتق الأيام بالتوالي . تخرّج به أئمة هذا^(٧) الفن ، وروّق لهم في عصره منه سلافة الدن ، فلو رآه يونس بن حبيب لكان بغیضا غير مُحبّب ، أو عيسى بن عمر لأصبح من تقعيّره وهو مُحَدّب ، أو الخليل لكان بعينه قذاه^(٨) ، أو سيبويه لما تردّى من مسألته الزنبورية برداه ، أو الكسائي لأعراه

* الوافي : ٢٦٧/٥ ، ونكت المهيان : ٢٨٠ ، وفوات الوفيات : ٧١/٤ ، والبداية والنهاية : ٢١٣/١٤ ، والدرر : ٣٢٠/٤ ، وغاية النهاية : ٢٨٥/٢ ، والبهية : ٢٨٠/١ ، والشذرات : ١٤٥/٦ ، والنجوم : ١١١/١٠ .

(١) في (س) ، (خ) والوافي ، زيادة : « الحافظ » .

(٢) (س) : « سناء » .

(٣) (خ) : « عاصره » .

(٤) ليست في (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل و (س) : « السواد » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٦) (خ) : « عقيدا » .

(٧) (س) : « في هذا » .

(٨) في (س) ، (خ) : « فداء » .

خُلَّةَ جاهه عند الرشيد وأناسه ، أو الفراء لفرّ منه ولم يقتسم ولد^(١) المأمون تقديم مداسه ، أو الزيدي لأظهر نقصه من مكانه ، أو الأخفش لأخفى جملة من محاسنه ، أو أبو عبيدة لما تركه ينصبّ لشعب الشعوبية ، أو أبو عمرو لشغله بتحقيق اسمه دون التعلّق بعربية^(٢) ، أو السكّري لما راق كلامه في للعاني ولا حلا ، أو اللازني لما زانه قوله :

« إن مصابكم رجلا »^(٣)

أو قطرب لما دبّ في العربية ولا درج ، أو ثعلب لاستكنّ بمكره في وكره وما خرج ، أو اللبّيد لأصبحت^(٤) قواه مُفْتَرَّةً ، أو الزجاج لأمت قواريره مكسّرة ، أو ابن الوزان^(٥) كعدم قدّه ، أو الثايني^(٦) لما تجاوز حدّه ، أو ابن بابشاذ^(٧) كعلم أن قياسه ما اطّرد ، أو ابن دريد ما بلغ ريقه ولا ازدرد ، أو ابن قتيبة لأضاع رَحْلَه ، أو ابن السراج لمشاه^(٨) إذا رأى وحله ، أو ابن الخشاب^(٩) لأضرم فيه نارا ولم يجد معها

(١) (س) : « ولدا » .

(٢) يشير إلى اختلافهم في اسم أبي عمرو على واحد وعشرين قولاً ، كما ذكر السيوطي . انظر : البغية ٢٣١/٢ .

(٣) البيت :

أظلموم إن مصابكم رجلاً أهوى السّلام تحية ظلم
وقصة البيت معروفة . انظر : البغية : ١٦٤/١ .

(٤) (س) : « لأضحت » .

(٥) كنا في الأصول ، ولعلّها عرّفة عن ابن الورّاق ، محمد بن عبد الله من نخاة القرن الرابع (ت ٣٨١ هـ) .

(٦) عمر بن ثابت ، سلفت الإشارة إليه .

(٧) في الأصل : « ابن باب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) وهو طاهر بن أحمد (ت ٤٦٩ هـ) ، البغية : ١٧/٢ .

(٨) في الأصل : « لمشّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٩) عبد الله بن أحمد بن أحمد ، صاحب كتاب المرتجل في النحو (ت ٥٦٧ هـ) . البغية : ٢٩/٢ .

نورا ، أو ابن الخباز^(١) لما سجر له تنورا ، أو ابن القواس لما أغرق في نزعته^(٢) ، أو ابن يعيش لأوقعه في نزعته ، أو ابن خروف لما وجد له مرعى ، أو ابن إياز^(٣) لما وجد لإوازه^(٤) وقعا ، أو ابن الطراوة^(٥) لم يكن نحوه طريا ، أو الدباج^(٦) لكان من حلتته الرائقة عريا .

وعلى الجملة فكان إمام النحاة في عصره شرقا وغربا ، وفريد هذا الفن الفذ بعدا وقربا ، وفيه قلت :

سلطان علم النحو أستاذنا الشيخ أثير الدين حبر الأنام
فلا تقل زيد وعروفا في النحو معه لسواه كلام

خدم هذا العلم مدة تقارب الثمانين ، وسلك من^(٧) غرائب وغوامضه طرقا متشعبة الأفانين .

ولم يزل على حاله إلى أن دخل في خبر كان ، وتبدلت حركاته بالإسكان .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بمنزله خارج باب البحر بالقاهرة ، في يوم السبت بعد العصر ، الثامن والعشرين من صفر سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، ودفن من الغد بمقبرة الصوفية خارج باب النصر ، وصلي عليه بالجامع الأموي بدمشق صلاة الغائب في شهر ربيع الآخر .

(١) أحمد بن الحسين بن أحمد (ت ٦٣٧ هـ) البغية : ٣٠٤/١ .

(٢) في الأصل : « ترعه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « إواز » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) . وابن إياز هو الحسين بن بدر (ت ٦٨١ هـ) . البغية : ٥٣٢/١ .

(٤) كذا في الأصول ، ولعله يشير بلفظ : « الإوز » إلى ما عرف به ابن إياز في علم التصريف ، فقد اختلف التصريفيون في وزن هذه اللفظة .

(٥) سليمان بن محمد بن عبد الله (ت ٥٢٨ هـ) ، البغية : ٦٠٢/١ .

(٦) علي بن جابر بن علي (ت ٦٤٦ هـ) ، البغية : ١٥٣/٢ .

(٧) (س) : « عن » .

ومولده^(١) بمدينة مطخشارش^(٢) في أخريات شوال سنة أربع وخمسين وست مئة .
وقلت أنا أرثيه - رحمه الله تعالى -^(٣) :

| | |
|--------------------------|---|
| مات أثير الدين شيخ الورى | فاستعر البارق واستعبرا |
| ورقّ من حزن نسيم الصبا | واعتلّ في الأسحار لما سرى |
| وصادحات الأيك في نوحها | رثته في السجع على حرف را |
| يا عين جودي بالدموع التي | يُروى بها ماضيه من ثرى |
| واجري ما فالخطب في شأنه | قد اقتضى أكثر ممّا جرى ^(٤) |
| مات إمام كان في فنه | يُرى أماما والورى من ورا ^(٥) |
| أمسى منادى للبلى مفردا | فضّته القبر على ماترى |
| يا أسفا كان هدى ظاهراً | فعماد في ترتبه مضرا ^(٦) |
| وكان جمّع الفضل في عّضه | صحّ فلمّا أن قضى كسّرا |
| وعرّف الفضل به برهه | والآن لَمّا أن مضى نكّرا |
| وكان ممنوعاً من الصرف لا | يُطرق من وافاه خطب عرا |
| لا أفعل التفضيل ما بينه | وبين من أعرفه في الورى ^(٧) |
| لا بدّل عن نعته بالتقى | ففعله كان له مضدرا ^(٨) |
| لم يدغم في اللحد إلا وقد | فك من الصبر وثيق العرا |

(١) ليست في (خ) .

(٢) مدينة من حضرة غرناطة ، كما في البغية .

(٣) نقلها السيوطي في البغية . وفي النجوم : « بغرناطة » .

(٤) (خ) : « في الخطب » .

(٥) (س) ، (خ) الوافي والبغية : « في علمه » .

(٦) في البغية : « طاهرا » ، تصحيف .

(٧) في البغية : « ما أعرفه » .

(٨) في البغية : « لا بد لي عن » .

- بكي له زيد وعمره في
 ما أعقد (التسهيل) من بعده
 وجسر الناس على خوضه
 من بعده قد حال تميزه
 شارك من قد ساد في فنه
 دأب بني الآداب أن يغسلوا
 والنحو قد سار الردى نحوه
 واللغة الفصحى غدت بعده
 تفسيره (البحر المحيط) الذي
 فوائده من فضله جمة
 وكان ثبتاً قلله حجة
 ورحلته في سنة المصطفى
 له الأسانيد التي قد علت
 ساوى بها الأحفاد أجدادهم
 وشاعراً في نظمه مفلقاً
- (١) أمثلة النحو ومن قد قرأ
 (٢) فكم لـه من عثرة يسراً
 (٣) إذ كان في النحو قد استبحراً
 وحظته قد رجع القهقري
 (٤) وكـم لـه فن به استأثراً
 (٥) بدمعهم فيه بقايا الكرى
 والصرف للتصريف قد غيراً
 (٦) يلقى النني في ضبطها قرراً
 (٧) يهدي إلى وراده الجوهر
 (٨) عليه فيها نعقد الخنصر
 مثل ضياء الصبح إن أسفراً
 (٩) أصدق من سمع إن أخبراً
 فاستغلت عنها سوامي الذرا
 (١٠) فاعجب لماض فاتته من طرا
 كم حرر اللفظ وكـم حبرا

(١) في البغية : « ومن قرأ » .

(٢) في البغية : « من عثرة » .

(٣) في البغية : « إن كان » .

(٤) في البغية : « من ساواه » .

(٥) في البغية : « مدمعهم » .

(٦) في البغية : « يلقى » بالفاء .

(٧) (خ) والوافي : « وارده » .

(٨) في الأصل : « وفوائد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٩) في البغية : « يخبراً » .

(١٠) في البغية : « أحرارهم فاعجب لها من .. » .

له معانٍ كلما خطَّها
أفديه من ماضٍ لأمر الردى
مابات في أبيض أكفانه
إلا وأضحى سندساً أخضراً^(١)
تصافح الحور له راحةً
كم تعبت في كل مـ سـ طـ رـ ا
إن مات فالذكر له خالد
يحيا به من قبل أن ينشرا
جـ سـ اـ د ثـ رـ يـ واره غيث إذا
مـ سـ اـ هـ بالسقيـ اـ له بـ كـ رـ ا^(٢)
وخصه من ربّه رحمة
تورده في حشره الكـ وـ ثـ رـ ا

وكان قد قرأ القرآن على الخطيب أبي محمد عبد الحق بن علي بن عبد الله نحواً من عشرين ختمة ، إفراداً وجمعا ، ثم على الخطيب الحافظ أبي جعفر أحمد الغرناطي المعروف بالطبّاع بقرنطة ، ثم قرأ السبعة إلى آخر سورة الحجر على الخطيب الحافظ أبي علي الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبي الأحوص بمالقة .

ثم إنه قدم الإسكندرية ، وقرأ القراءات على عبد النصير بن علي بن يحيى المريوطي .

ثم قدم مصر فقرأ بها القراءات على أبي الطاهر إسماعيل بن هبة الله المليجي ، وسمع الكثير^(٤) على الجم الغفير بجزيرة الأندلس وبلاد إفريقية والإسكندرية ، وبادر مصر والحجاز ، وحصل الإجازات من الشام والعراق وغير ذلك ، واجتهد في طلب التحصيل والتقييد والكتابة ، ولم أر في أشياخي أكثر اشتغالا منه ، لأنني لم أره قط إلا يُسمع أو يشتغل^(٥) أو يكتب ، ولم أره على غير ذلك . وله إقبال على الطلبة الأذكياء ، وعنده تعظيم لهم ، ونظم ونثر ، وله الموشحات البديعة .

(١) تستر : من بلاد فارس .

(٢) في البغية : « أبيض أجفانه » .

(٣) في الأصل : « وافاه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٤) في (س) ، (خ) زيادة : « وقرأ بنفسه » .

(٥) (س) ، (خ) : « يشغل » .

وهو ثبت فيما ينقله ، محرّرا لما يقوله ^(١) ، عارف باللغة ، ضابط لألفاظها .

وأما النحو والتصريف ، فهو إمام الناس كلهم فيها ، لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في حياته .

وله اليد الطولى في التفسير والحديث والشروط والفروع وتراجم الناس وطبقاتهم ^(٢) وحوادثهم ، خصوصا المغاربة ، وتقبيد أسمائهم على ما يتلفظون به من إمالة ^(٣) وترقيق وتفخيم ، لأنهم يجاورون بلاد الإفرنج ، وأسماؤهم قريبة من لغاتهم ، وألفاظهم كذلك ، وقيد وحرّره ، وسأله شيخنا الذهبي أسئلة فيما يتعلّق بذلك ، وأجابه عنها .

وله التصانيف التي سارت وطارت وانتشرت وما انتشرت ، وقرئت ودُرِيت ، ونُسخت وما فسخت ، أجملت ^(٤) كتب الأقدمين ، وأهملت ^(٥) المقيمين بمصر والقادمين ، وقرأ الناس عليه ، وصاروا أئمة وأشياخا في حياته ، وهو الذي جسّر الناس على مصنّفات ابن مالك - رحمه الله تعالى - ورغبهم في قراءتها ، وشرح لهم غامضها ^(٦) ، وخاض بهم لججها ، وفتح لهم مَقْلَها . وكان يقول عن (مقدمة ابن الجاجب) ^(٧) : هذه نحو الفقهاء .

وكان التزم أن لا يقرئ أحداً إلّا إن كان في (كتاب سيبويه) أو في (التسهيل)

(١) (خ) : « ينقله ويقول » .

(٢) في (س) ، (خ) والوافي ، زيادة : « وتوارىخهم » .

(٣) في الوافي والفوات : « إمالة وترخيم » .

(٤) في الأصل : « أجملت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٥) في (س) ، (خ) والوافي : « أهلت » .

(٦) (س) : « غوامضها » .

(٧) وهي المعروفة « بالكافية » في النحو .

لابن مالك أو في تصانيفه ، ولما قدم من البلاد^(١) لازم الشيخ بهاء الدين^(٢) - رحمه الله - كثيرا ، وأخذ عنه كتب الأدب .

وكان شيخا^(٣) حسن العمّة ، مليح الوجه ، ظاهر اللون مُشرباً حمرة ، منور الشببة ، كبير اللحية مسترسل الشعر فيها ، لم تكن كثّة . عبارته فصيحة بلغة الأندلس ، يعقد القاف قريسا من الكاف على أنه لا ينطق بها في القرآن إلا فصيحة . وسمّعه يقول : ما في هذه البلاد من يعقد حرف القاف .

وكانت له خصوصية بالأمر سيف الدين أرغون كافل الممالك ، ينبسط معه ، ويبيت عنده في قلعة الجبل . ولما توفيت ابنته « نُصار » طلع إلى السلطان الملك الناصر محمد ، وسأل منه أن يدفنها في بيته^(٤) داخل القاهرة في البرقيّة ، فأذن له في ذلك ، وسيأتي ذكرها - إن شاء الله تعالى - .

وكان أولاً يرى رأي الظاهرية ، ثم إنه تمذهب للمشافعي - رضي الله عنه - بحث على الشيخ علم الدين العراقي (الحرّر) للرافعي ، و (مختصر للنهاج) للنووي ، وحفظ (المنهاج) إلا يسيرا ، وقرأ أصول الفقه على أستاذه أبي جعفر بن الزبير ، بحث عليه من (الإشارة) للباجي ومن (المستصفى)^(٥) للغزالي ، وعلى الخطيب أبي الحسن ابن فضيلة^(٦) ، وعلى الشيخ علم الدين العراقي ، وعلى الشيخ شمس الدين الأصبهاني ، وعلى الشيخ علاء الدين الباجي . وقرأ أشياء من أصول الدين^(٧) على شيخه ابن الزبير ، وقرأ عليه شيئاً من المنطق ، وقرأ شيئاً من المنطق على بدر الدين محمد بن

(١) عبارة الوافي : « ولما قدم البلاد » .

(٢) (س) ، (خ) والوافي : « بهاء الدين بن النحاس » .

(٣) في (س) ، (خ) زيادة : « طوالاً » .

(٤) في الوافي : « بيتها » .

(٥) في الأصل : « المستعفى » .

(٦) (س) : « فضيلة » .

(٧) في الأصل : « فقه الدين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

سلطان البغدادي ، وقرأ عليه شيئاً من (الإرشاد) للعميدي في الخلاف . ولكنه برع في النحو ، وانتهت إليه الرئاسة والمشخة فيه ، وكان خالياً من الفلسفة والاعتزال والتجسيم ، وكان أولاً يعتقد في الشيخ ابن تيمية ، وامتدحه بقصيدة ، ثم إنه انحرف عنه لما وقف على (كتاب العرش) له .

قال الفاضل كمال الدين الأذفوي : وجرى على مذهب كثير من النحويين في تعصبه للإمام علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - التعصب المتين قال : حكي لي أنه قال لقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة إن علياً - رضي الله عنه - عهد إليه النبي ﷺ - أن لا يحبك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق أترأه ما صدق في هذا ؟ فقال : صدق ، قال : فقلت له : فالذين سلّوا السيوف في وجهه ، يبغضونه أو^(١) يحبونه ؟ وغير ذلك .

قال : كان سيء الظن بالناس كافة ، فإذا نُقل له عن أحد خير لا يتكيف به [وإذا كان شراً يتكيف به]^(٢) ويبي^(٣) عليه ، حتى ممن هو عنده مجروح ، فيقع في ذم من هو بالسنة العالم ممدوح ، وبسبب ذلك وقع في نفس جمع كثير منه ألم كثير . انتهى .

قلت : أنا لم أسمع منه في حق أحد من الأحياء والأموات إلا خيراً ، وما كنت أنقم عليه شيئاً إلا ما كان يبلغني عنه من الخط على الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، على أنني أنا ما سمعت^(٤) في حقه شيئاً ، نعم سمعته كان لا يثق بهؤلاء الذين يدعون الصلاح ، حتى قلت له يوماً : ياسيدي ، فكيف نعمل في الشيخ أبي مدين ؟ فقال : هو رجل

(١) (س) : « أم » .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) .

(٣) في الأصل : « ويثي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) في (س) ، (خ) زيادة : « منه » .

مسلم دين ، وإلا ما كان يطير في الهواء ، و يصلي الصلوات في مكة كما يدّعي فيه هؤلاء الأغمار .

وكان فيه - رحمه الله تعالى - خشوع ، يبكي إذا سمع القرآن ، ويجري دمعه عند سماع الأشعار الغزلية . وقال كال الدين للذكور ، قال لي : إذا قرأت أشعار العشق أميل إليها ، وكذلك أشعار الشجاعة تستيلني ، وغيرها ، إلا أشعار الكرم ما تؤثر فيّ ، انتهى .

قلت : كان يفتخر بالبخل كما يفتخر غيره بالكرم ، وكان يقول لي : أوصيك احفظ دراهمك ، ويقال عنك بخيل ولا تحتج ^(١) إلى السؤل .
وأنشدني من لفظه لنفسه :

رجاؤك فلّسا قد غدا في جبائي قنيصا رجاء للنتاج من العقم
أأتعب في تحصيله وأضيعه إذا كنت معتاضا من البر بالسقم ^(٢)

قلت : والذي أراه فيه أنه ^(٣) طال عمره وتغرب ، وورد البلاد ، ولا شيء معه ، وتعب حتى حصل المناصب تعباً كثيراً ، وكان قد جرب الناس ، وحلب أشطر الدهر ، ومرت به حوادث ، فاستعمل الحزم ، وسمّته غير مرة يقول : يكفي الفقير في ^(٤) مصر أربعة أفلس ، يشتري له طُلْمَة ^(٥) بايتة بفلسين ، ويشترى له بفلس زيبا وبفلس كوز ماء ، ويشترى ثاني يوم ليونا بفلس يأكل به الخبز . وكان يعيب علي مُشتري الكتب ،

(١) (س) : « ولا تحتاج » .

(٢) في الأصل : « للسقم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٣) في (س) ، (خ) زيادة : « رجل » .

(٤) (خ) : « من » .

(٥) أي : خبزة .

ويقول : الله يرزقك عقلا تعيش به ، أنا أي كتاب أردته استعرتّه من خزائن الأوقاف ، وإذا أردت من أحد أن يعيرني دراهم ما أجد ذلك ^(١) .

وأنشدني له إجازة :

إن الدراهم والنساء كلاهما لا تأمننّ عليهما إنسانا
ينزعن ذا اللبّ المتين عن التقى فترى إساءة فعله إحسانا

وأنشدني له ^(٢) من أبيات :

أتى بشفيّع ليس يمكن رده دراهم يبض للجروح مراهم ^(٣)
تصير صعب الأمر أهون ما يرى وتقضي لبانات الفتى وهونائم

ومن حزمه قوله - رحمه الله تعالى - :

عُدّاتي لهم فضل عليّ ومنّة فلا صرّف الرحمن عني الأعادي ^(٤)
هم بحشوا عن زلّتي فاجتنبتها وهم نافسوني فاكسبت المعاليا

وقد مدحه كثير ^(٥) من الشعراء والكبار الفضلاء ، فمنهم القاضي محي الدين بن عبد الظاهر :

قد قلت لما أن سمعت مباحثا في الذات قررها أجل مفيد
هذا أبو حيان ، قلت : صدقم وبررتم هذا هو التوحيدي ^(٦)

(١) ليست في (خ) .

(٢) في (س) ، (خ) زيادة : « إجازة » .

(٣) في الأصل : « إلّي » وأثبتنا ما في (س) ، (خ) : « أتى » .

(٤) في الوافي : « فلا أنهب » .

(٥) (س) ، (خ) : « جماعة » .

(٦) فيه تورية باسم أبي حيان التوحيدي ، والتوحيدي أيضاً من أجود الثور .

وكان قد جاء يوما إلى بيت الشيخ صدر الدين بن الوكيل فلم يجده ، فكتب
بالجص على مصراع الباب ، فلما رأى ابن الوكيل ذلك قال :

قالوا أبو حيان غير مدافع ملك النحاة ، فقلت : بالإجماع
اسم الملوك على النقود وإنني شاهدت كُنيتَه على المصراع

ومدحه شرف الدين بن الوحيد بقصيدة مطوّلة^(١) ، أولها :

إليك أبا حيان أعلمت أينقي وملت إلى حيث الركائب تلتقي
دعاني إليك الفضل فانقدت طائعا ولبيت أحدها بلفظي المصدق^(٢)

ومدحه نجم الدين إسحاق بن ألى التركي ، وسأله تكملة شرح (التسهيل) ،
وأرسلها إليه من دمشق ، وأولها :

تبديّ قلنا وجهه فلق الصبح [يلوح لنا من حالك الشعر في جنح^(٣)
منها :

بدأت بأمر تم الله قصده] وكله بالين فيه وبالنُجج^(٤)
وسهلت تسهيل الفوائد محسنا فكُن شارحا صدري بتكملة الشرح

ومدحه مجير الدين عمر بن المظبي بقصيدة ، أولها :

يا شيخ أهل الأدب الباهر من ناظم يُلفى ومن ناثر

ومدحه نجم الدين يحيى الإسكندري بقصيدة ، أولها :

ضيف ألم بنا من أبرع الناس لاناقض عهد أيامي ولا ناس

(١) ليست في (خ) .

(٢) (س) ، (خ) : « بمدحي » .

(٣) في (س) ، (خ) : « فخلنا » .

(٤) ما بين حاصرتين من (س) ، (خ) .

عارٍ من الكِبَر والأدناس ذو ترفٍ لكه من سراييل العلا كاس^(١)
ومدحه نجم الدين^(٢) الطوفي يقصيدتين ، أول الأولى :

أتراه بعد هجران يصل ويرى في ثوب وصل مُتبدِّلُ
قر جـار على أحلامنا إذ تولأها بقصد معتللُ
وأول الثانية :

أعذروه فكريم من عذر قمرته ذات وجهه كالقمر
ومدحه بهاء الدين محمد بن شهاب الدين الخيمي بقصيدة ، أولها :

إن الأثير أبا حيان أحيانا بنشره طي علم مات أحيانا
ومدحه القاضي ناصر الدين شافع بقصيدة ، أولها :

فضضت عن العذب النير ختامها وفتحت عن زهر الرياض كالمها
ومدحه جماعة آخرون ، يطول ذكرهم .

وكتبت أنا إليه من الرحبة في سنة تسع وعشرين وسبع مئة :

لو كنت أملك من دهري جناحين لطرت لكنه فيكم جنى حيني
ياسادة نلت في مصر بهم شرفا أرقى به شرفا تنأى عن العين
وإن جرى لسما كيوان ذكر عَلا أحلني فضلهم فوق السماكين
وليس غير أثير الدين أثله فساد ما شاد لي حقا بلا مئ^(٣)
حبر ولو قلت : إن الباء رُتبتُها من قبل ، صدقك الأقوام في دين^(٤)

(١) في الأصل : « ذا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٢) (س) ، (خ) : « الفضل نجم الدين » .

(٣) في الأصل : « سوى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٤) في (س) : « زينها » ، ومراده أننا لو قدّمنا الباء على الحاء في كلمة « حبر » لأضحت مجرأ .

أحيا علوما أُمات الدهر أكثرها مذ جُلدت خُلدت ما بين دفين
يا واحد العصر ما قولِي بمُتَّهم ولا أحاشي امرأ بين الفريقين
هذي العلوم بدت من سيبويه كما قالوا وفيك انتهت يائاني اثنين
فدُم لها وبودِي لو أكون فدى لما ينالك في الأيام من شَيْن
ياسيبويه الوري في الدهر لا عجب إذا الخليل غدا يفديك بالعين^(١)

يقبَل الأرض ويُنهي ما هو عليه من الأشواق التي برّحت بألمها ، وأجرت الدموع
دما ، وهذا الطرس الأحمر يشهد بدمها ، وأربت بسحّها على السحائب ، وأين دوام
هذه من ديمها ، وفرت الأوصال على السقم لوجود عدمها :

فيا شوق ما أبقي ويا لي من النوى ويا دمع ما أجرى ويا قلب ما أصبا^(٢)

ويذكر ولاءه الذي تسجع به في البروض الحمايم ، ويسير تحت لوائه مسير الرياح
بين الغمام ، وثناؤه الذي يتضوّع كالزهر الكائم^(٣) ، ويتنسم تنسم هامات الربا إذا
لبست من الربيع ملونات الغمام .

ويشهد الله على كل ما قد قلته والله نعم الشهيد
فكتب هو الجواب عن ذلك ، ولكنه عنم مني .

وأنشدته يوما لنفسي :

قلت للكاتب الذي ما أراه قط إلا ونقّط الدمع شكله
إن تخطّ الدموع في الخد شيئا ما يسمّى ؟ فقال : خط ابن مقله
وأنشدني هو من لفظه لنفسه :

(١) فيه تورية بالعين الباصرة ، وكتاب الخليل .

(٢) للمتنبي ، ديوانه ٥٩١ .

(٣) في (س) ، (خ) : « في » .

إِذْ نَوَى مَنْ أَحَبَّ عَنِّي رَحْلَهُ ^(١)
وَلَمْ لَا يَجِيدُ وَهُوَ ابْنُ مَقْلِهِ ^(٢)

إِذَا يَنْثَنِي خُوطُ مِنَ الْبَانِ نَاعِمٍ
وَهَزَاتِهِ لِلْعَاشِقِينَ هَزَائِمَ

هَامَ فِيهِ صَبَّ الْفَوَادِ جَرِيحِهِ
أَنْ بَدَا ثَغْرُهُ وَقَدْ طَابَ رِيحُهُ

وَفِيهِ بِدْرِ السَّمَاءِ مَغْرَى
يَالَيْتَ أَنَا نَحْكَ بَرًّا ^(٥)

يَحَاكِي نَجِييَا حَنِينِ الْبَغَامِ ^(٦)
تَعَلَّقَتْ مِنْ ظَهْرِهِ بِالسَّنَامِ

سَبَقَ الدَّمْعُ بِالْمَسِيلِ لِلطَّايَا
وَأَجَادَ الْخُطُوطُ فِي صَفْحَةِ الْخَدِ
وَأَنْشَدَنِي ^(٣) فِي مَلِيحِ نَوْتِي :

كَلِفْتُ بِنُوتِي كَأَنَّ قَوَامَهُ
مَجَاذِفَهُ فِي كُلِّ قَلْبٍ مَجَاذِبَ
وَأَنْشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي ^(٤) :

إِنْ نَوْتِي مَرْكَبٍ نَحْنُ فِيهِهِ
أَقْلَعُ الْقَلْبَ عَنْ سَلْوِيٍّ لَمَّا
وَأَنْشَدْتُهُ أَنَا لِنَفْسِي أَيْضًا :

نَوْتَيْنَا حُسْنُهُ بَدِيدِعٍ
مَاحَاكَ بَرًّا إِلَّا وَقَلْنَا
فَأَعْجَبَاهُ - رَحِمَهُ اللَّهُ - وَزَهَرَهُ لَهَا .

وَأَنْشَدَنِي هُوَ لِنَفْسِهِ فِي مَلِيحِ أَحَدَبٍ :

تَعَشَّقْتُهُ أَحَدَبًا كَيْسَا
إِذَا كَدَتْ أَسْقَطُ مِنْ فَوْقِهِ

(١) فِي الْوَاقِفِ وَالْفَوَاتِ وَالنَّجُومِ : « تَقْلَهُ » .

(٢) فِي النَّجُومِ : « وَأَجَادَ السُّطُورَ ... » .

(٣) فِي (س) ، (خ) زِيَادَةٌ : « لِنَفْسِهِ » .

(٤) فِي (س) ، (خ) زِيَادَةٌ : « فِي ذَلِكَ » .

(٥) (س) : « مَاحَلَّ » .

(٦) (خ) : « النَّعَامَ » .

فأنشدته أنا في ذلك لنفسي :

وأحْدب رَحْتَ بِهِ مَغْرَمًا إِذْ لَمْ تَشَاهِدْ مِثْلَهُ عَيْنِي^(١)
لَا غَرَوَ أَنَّ هَامَ فَوَّادِي بِهِ وَخَصَرَهُ مِــــا بَيْنَ رِذْقَيْنِ^(٢)
وَأَنْشَدْنِي مِنْ لَفْظِهِ فِي مَلِيحِ أَعْمَى :

مَا ضَرَّ حُسْنَ الَّذِي أَهْوَاهُ أَنْ سَنَا كَرِيمَتِهِ بِلَا شَيْنٍ قَدْ احْتَجَبَا^(٣)
قَدْ كَانَتْ زَهْرَتِي رَوْضَ وَقْدِ ذَوْتَا لَكِنْ حَسَنُهَا الْفَتَّانَ مَا ذَهَبَا^(٤)
كَالسَيْفِ قَدْ زَالَ عَنْهُ صَقْلُهُ فَعَدَا أَنْكِ وَأَلَمْ فِي قَلْبِ النَّزِيِّ ضَرْبَا
وَأَنْشَدْتَهُ أَنَا لِنَفْسِي فِي ذَلِكَ :

وَرَبَّ أَعْمَى وَجْهَهُ رَوْضَةً تَنْزُهِ فِيهَا كَثِيرُ الدِّيُونِ
فِي خَدِّهِ وَرَدَّ غَنِينَا بِهِ عَنْ نَرْجَسٍ مَا فَتَحَتْهُ لِلْعِيُونِ
وَأَنْشَدْتَهُ أَيْضًا لِنَفْسِي فِي ذَلِكَ :

أَيَا حُسْنَ أَعْمَى لَمْ يَخْفِ حَدَّ طَرْفِهِ حُبٌّ غَدَا سَكَرَانَ فِيهِ وَمَا صَحَا^(٥)
إِذَا طَارَ خَدَّ بَاتٍ يَرَعَى خَدُّوهُ غَدَا أَمْنًا مِنْ مَقْلَتِيهِ الْجَوَارِحَا
وَكَتَبْتُ إِلَيْهِ اسْتِدْعَاءً ، وَهُوَ :

المسؤول من إحسان سيدنا الإمام العالم^(٦) العلامة لسان العرب ، ترجان الأدب ،
جامع الفضائل ، عمدة وسائل السائل ، حجة المقلدين ، زين المقلدين ، قطب

(١) (س) ، (خ) : « إِذَا » .

(٢) في الأصل : « دَقَيْن » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) (س) : « مَاظَنَّ حَسَن » .

(٤) في الأصل : « قَدْ ذَهَبَا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٥) في الأصل : « يَا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) والوافي : « سيدنا الشيخ الإمام » . وفي الوافي : « العالم العامل » .

المولّين ، أفضل الآخرين ، وارث علوم الأولين ، صاحب اليد الطولى في كل مكان ^(١) ضيق ، والتصانيف التي تأخذ بمجامع القلب ^(٢) ، فكل ذي لب إليها شيق ، والمباحث التي أثارت الأدلة الراجحة من مكامن أماكنها ، وقنصت أوابدها الجامحة من مواطن مواطنها ، كشّاف مُعضلات الأوائل ، سباق غايات قصّر عن شأوها سبحان وائل ، فارع هضبات البلاغة في اجتلاء اجتلاها وهي [في] ^(٣) مرقى مرقدها ، سالب تيجان الفصاحة في اقتضاء اقتضاها من قرّق فرقدها ، حتى أبرز كلامه جنان فضل جنان من بعده عن الدخول إليها جبان ، وأتى ببراهين وجوه حورها لم يطمئن إنس قبلهم ولا جان ^(٤) وأبدع خمائل نظم ونثر ، لاتصل إلى أفنان فنونها يد جان ، أثير الدين أبي حيّان محمد :

لا زال ميت العلم يحْيِيهِ وهل عجب لذلك من أبي حيّان ^(٥)
حتى ينال بنو العلوم مرامهم ويحلّهم دار المُنَى بأمان

إجازة كاتب هذه الأحرف مارواه - فسح الله في مدته - من المسانيد وللصنفات والسنن والمجاميع الحديثية والتصانيف الأدبية ، نظماً ونثراً إلى غير ذلك من أصناف العلوم على اختلاف أوضاعها ، وتباين أجناسها وأنواعها ، بما تلقاه ببلاد الأندلس وإفريقية والإسكندرية والديار المصرية والبلاد الحجازية وغيرها من البلدان ، بقراءة أو سماع أو مناولة أو إجازة خاصة أو عامة ، كيف ما تأدّى إليه ، وإجازة ماله أدام الله إفادته من التصانيف في تفسير القرآن العظيم والعلوم الحديثية والأدبية وغيرها ، وماله من نظم ونثر ، إجازة خاصة ، وأن يثبت بخطّه تصانيفه إلى حين هذا التاريخ ، وأن

(١) في الوافي : « مقام » .

(٢) في الوافي : « القلوب » .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

(٤) الرحمن : ٥٦/٥٥ .

(٥) (س) ، (خ) والوافي : « ولا عجب » .

يُجِيزُهُ إِجَازَةً عَامَةً لِمَا يَتَجَدَّدُ لَهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى رَأْيٍ مَنْ يَرَاهُ وَيَجُوزُهُ ، مِنْعًا مَتَفَضِّلًا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

فَكُتِبَ الْجَوَابُ هُوَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :-

أَعَزَّكَ اللَّهُ ظَنَنْتُ بِالْإِنْسَانِ جَمِيلًا فَعَالِيَتِ ، وَأَبْدَيْتُ مِنَ الْإِحْسَانِ جَزِيلًا وَمَا
بَالِيَتِ ^(١) ، وَصَفْتَ مَنْ هُوَ الْقِتَامُ ^(٢) يَظُنُّهُ النَّاطِرُ سَمَاءً ، وَالسَّرَابُ يَحْسِبُهُ الظُّلْمَانُ مَاءً ،
يَا بَنَ الْكَرَامِ وَأَنْتَ أَبْصَرْتَ مَنْ يَشِيمُ ^(٣) ، أَمَعَ الرُّوْضِ النَّضِيرُ يُرْعَى الْهَشِيمُ ، أَمَّا أَغْنَتْكَ
فَوَاضِلُكَ وَفَضَائِلُكَ ، وَمَعَارِفُكَ وَعَوَارِفُكَ ، عَنْ نَغْبَةٍ مِنْ دَأْمَاءٍ ^(٤) ، وَتَرْبَةٍ مِنْ
بِهَاءٍ ^(٥) ، لَقَدْ تَبَلَّجْتَ لِلْمَهَارِقِ مِنْ نُورِ صَفْحَاتِكَ ، وَتَأَرَّجْتَ الْأَكْوَانِ مِنْ أَرِيحِ
نَفْحَاتِكَ ، وَلَأَنْتَ أَعْرَفُ بِنِ ^(٦) يُقْصَدُ لِلدَّرَايَةِ ، وَأَتَقَدُّ مَنْ ^(٧) يُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي الرِّوَايَةِ ،
لَكِنَّكَ أَرَدْتَ أَنْ تَكْسُوَ مِنْ مَطَارِفِكَ ، وَتَتَفَضَّلَ ^(٨) مِنْ تَالِدِكَ ^(٩) وَطَارِفِكَ ، وَتَجْلُوَ
الْخَامِلَ فِي مَنْصَةِ النَّبَاهَةِ ، وَتَنْقِذَهُ مِنْ لَكْنِ الْفَهَاةِ ، فَتَشِيدَ لَهُ ذِكْرًا ، وَتُعْلِيَ لَهُ قَدْرًا ،
وَلَمْ يُمْكِنَهُ إِلَّا إِسْعَافُكَ فِيمَا طَلَبْتَ ، وَإِجَابَتُكَ فِيمَا إِلَيْهِ نَدَبْتَ ، فَإِنَّ لِلدَّالِكِ لَا يُعْصَى ،
وَالْمَتَفَضَّلُ الْمَحْسَنُ لَا يَقْصَى .

وَقَدْ أَجَزْتَ لَكَ - أَيَّدَكَ اللَّهُ - جَمِيعَ مَا رَوَيْتَهُ عَنْ أَشْيَاخِي بِجَزِيرَةِ الْأَنْدَلُسِ وَبِلَادِ
إِفْرِيْقِيَّةِ وَدِيَارِ مِصْرَ وَالْحِجَازِ وَغَيْرِ ذَلِكَ بِقِرَاءَةِ أَوْسَاعٍ ^(١٠) وَمَنَاوِلَةٍ وَإِجَازَةٍ بِمِشَافَهَةِ

(١) (خ) : « جَمِيلًا وَمَا آلَيْتَ » .

(٢) (خ) : « الْقَوَامُ » . وَالْقِتَامُ : الْغُبَارُ .

(٣) شَامُ الْبَرَقِ نَظَرَ إِلَيْهِ أَيْنَ يَمُطِرُ .

(٤) النَّغْبَةُ : الْجُرْعَةُ ، وَالِدَأْمَاءُ : الْبَحْرُ .

(٥) الْبِهَاءُ الْمَفَازَةُ لِأَمَاءٍ فِيهَا وَلَا نَبَاتَ .

(٦) (خ) : « مَنْ » .

(٧) فِي الْوَافِي : « بِنِ » .

(٨) فِي الْأَصْلِ : « وَتَتَفَضَّلُ » ، وَأَتَبْتَنَّا مَا فِي (س) ، (خ) وَالْوَافِي .

(٩) فِي الْوَافِي : « بِتَالِدِكَ » .

(١٠) (خ) : « وَسَاعٍ » .

وكتابة ووجادة ، وجميع ما أُجيز لي أن أرويه بالشام والعراق وغير ذلك ، وجميع ما صَنَفْتُهُ واختصرته وجمعته وأنشأته نثراً ونظماً ، وجميع ما سألت في هذا الاستدعاء .

فمن مروياتي : الكتاب العزيز ، قرأته بقراءات السبعة^(١) على جماعة ، من أعلام الشيخ المسند المعمر فخر الدين أبو الطاهر إسماعيل بن هبة الله بن علي بن هبة الله المصري ابن المليجي^(٢) آخر مَنْ روى القرآن بالتلاوة عن أبي الجود . والكتبُ الستة ، و (الموطأ) و (مسند عبد) و (مسند الدارمي) و (مسند الشافعي) و (مسند الطيالسي) و (المعجم الكبير) للطبراني ، و (المعجم الصغير) له ، و (سنن الدارقطني) وغير ذلك .

وأما الأجزاء فكثير جداً^(٣) .

ومن كتب النحو والآداب ، فأروي بالقراءة (كتاب سيويه) و (الإيضاح) و (التكملة) و (المفصل) و (جمل الزجاجي) وغير ذلك . و (الأشعار الستة) و (الحماسة) و (ديوان حبيب) و (ديوان المتنبي) و (ديوان المعري) .

وأما شيوخي الذين رويت عنهم بالسماع أو القراءة ، فهم كثير ، وأذكر الآن منهم جملة^(٤) ، فمنهم : القاضي أبو علي الحسن بن عبد العزيز بن أبي الأحوص القرشي ، والمقرئ أبو جعفر أحمد بن سعد بن أحمد بن بشير الأنصاري ، وإسحاق بن عبد الرحيم بن محمد بن عبد الملك بن درباس ، وأبو بكر بن عباس بن يحيى بن غريب البغدادي القوَّاس ، وصفيّ الدين الحسين بن أبي المنصور بن ظافر الخزرجي ، وأبو الحسين محمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع الأشعري ، ووجيه الدين محمد بن عبد الرحمن بن أحمد الأزدي بن الدهان ، وقطب الدين محمد بن أحمد بن علي بن

(١) (خ) : « السبع » .

(٢) توفي سنة (٦٨١ هـ) . العبر : ٣٣٥/٥ .

(٣) في الوافي : « فكتيرة » .

(٤) (في (س) ، (خ)) والوافي زيادة : « من عواليهم » .

محمد بن القسطلاني ، ورضي الدين محمد بن علي بن يوسف الأنصاري الشاطبي اللغوي ،
 ونجيب الدين محمد بن أحمد بن محمد بن المؤيد الهمداني ، ومحمد بن مكي^(١) بن أبي
 القاسم بن حامد الأصبهاني الصفار ، ومحمد بن عمر بن محمد بن علي السعدي الضرير
 ابن الفارض ، وزين الدين أبو بكر محمد بن إسماعيل بن عبد الله بن الأنماطي ،
 ومحمد بن إبراهيم بن ترجم بن حازم المازني ، ومحمد بن الحسين بن الحسن بن إبراهيم
 الداري بن الخليلي ، ومحمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف الأنصاري بن الخثمي ،
 ومحمد بن عبد الله بن عمر العنسي عُرِفَ بابن الن^(٢) ، وعبد الله بن محمد بن هارون بن
 محمد بن عبد العزيز الطائفي القرطبي ، وعبد الله بن نصر الله بن أحمد بن رسلان بن
 فتيان بن كامل الخزّمي^(٣) ، وعبد الله بن أحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن فارس
 التميمي ، وعبد الرحيم بن يوسف بن يحيى بن يوسف بن خطيب المزة ،
 وعبد العزيز بن عبد الرحمن بن عبد العلي المصري السكري ، وعبد العزيز بن
 عبد المنعم بن علي بن نصر بن الصيقل الحراني ، وعبد العزيز بن عبد القادر بن
 إسماعيل الفيالي الصالح الكتاني ، وعبد المعطي بن عبد الكريم بن أبي المكارم بن
 منجأ الخزرجي ، وعلي بن صالح بن أبي علي بن يحيى بن إسماعيل الحسيني البهنسي
 المجاور ، وغازي بن أبي الفضل بن عبد الوهاب الحلاوي ، والفضل بن علي بن نصر بن
 عبد الله بن الحسين [بن رواحة الخزرجي ، ويوسف بن إسحاق بن أبي بكر الطبري
 المكي ، واليسر بن عبد الله]^(٤) بن محمد بن خلف بن اليسر القشيري ، ومؤنسة بنت
 الملك العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي ، وشامية بنت الحافظ أبي علي الحسن بن
 محمد بن محمد التميمي ، وزينب بنت عبد اللطيف بن يوسف بن محمد بن علي البغدادي .

ومن كتبت عنه من مشاهير الأدباء : أبو الحكم مالك بن عبد الرحمن بن علي بن

(١) في الأصل : « ومكي بن محمد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٢) في الأصل : « ابن » ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، (ت ٦٧٩ هـ) العبر : ٣٢٤/٥ .

(٣) في الوافي : « الخزّمي » .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

أبي الفرج^(١) المالقي ، وأبو الحسن حازم بن محمد بن حازم الأنصاري القرطاجي ، وأبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن يحيى بن عبد الله الهذلي التطيلي ، وأبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد بن محمد بن زنون المالقي ، وأبو عبد الله محمد بن عمر بن جبير الجلياني العكبي للمالقي ، وأبو الحسين يحيى بن عبد العظيم بن يحيى الأنصاري الجزار ، وأبو عمرو عثمان بن سعيد بن عبد الرحمن بن تولو القرشي ، وأبو حفص عمر بن محمد بن أبي علي الحسن للمصري الوراق ، وأبو الربيع سليمان بن علي بن عبد الله بن ياتين^(٢) الكومي التلمساني ، وأبو العباس أحمد بن أبي الفتح نصر الله بن باتكين القاهري ، وأبو عبد الله محمد بن سعيد بن حماد^(٣) بن مُحَسِّن الصنهاجي البوصيري ، وأبو العباس أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم العزازي .

ومن أخذت عنه من النحاة : أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الحُشَني الأُبَدي ، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي بن يوسف الكتاني بن الضائع^(٤) ، وأبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير بن محمد بن الزبير الثقفي ، وأبو جعفر أحمد بن يوسف بن علي بن يوسف الفهري اللَّبْلِي^(٥) ، وأبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن محمد بن نصر الله الحلبي بن النحاس .

ومن لقيته من الظاهرية : أبو العباس أحمد بن علي بن خالص الأنصاري الإشبيلي الزاهد ، وأبو الفضل محمد بن محمد بن سعدون الفهري الشنتمري .
وجملة الذين سمعت منهم نحو من أربع مئة شخص وخمسين .

(١) في الوافي : « ابن الفرج » . وفيه وفي (س) ، (خ) : « ... المالقي ابن المرحل » . وهو متوفى سنة (٦٩٩ هـ) . وسلفت ترجمته .

(٢) في الوافي : « ههنا ياتين » ، وترجم له للصف في موضعه وفيه كما ههنا ، ووفاته سنة ٦٩٠ هـ . انظر : الوافي : ٤٠٨/١٥ ، والعبر : ٣٦٧/٥ .

(٣) (خ) : « عباد » ، تحريف .

(٤) في الأصل : « الصائع » ، تصحيف ، وأثبتنا ما في (خ) والوافي ، (ت ٦٨٠ هـ) ، البغية : ٢٠٤/٢ .

(٥) في الأصل و (خ) : « الكيلي » ، تحريف ، (ت ٦٩١ هـ) ، البغية : ٤٠٢/١ .

وأما الذين أجازوني فعالم كثير جداً من أهل غرناطة ومالقة وسبتة وديار إفريقية وديار مصر والحجاز والعراق والشام .

وأما ما صنفته : فمن ذلك (البحر المحيط) في تفسير القرآن العظيم ، (إتحاف الأريب بما في القرآن من الغريب) ، كتاب (الإسفار المملخص من كتاب الصفار) شرحاً لكتاب سيبويه ، كتاب (التجريد لكتاب^(١) سيبويه) ، كتاب (التذيل والتكميل في شرح التسهيل) ، كتاب (التنخيل المملخص من شرح التسهيل) ، كتاب (التذكرة) ، كتاب (المبدع في التصريف) ، كتاب (الوفور) ، كتاب (التقريب) ، كتاب (التدريب) ، كتاب (غاية الإحسان) ، كتاب (النكت الحسان) ، كتاب (الشذا في مسألة كذا) ، كتاب (الفصل في أحكام الفصل) ، كتاب (اللحة) ، كتاب (الشذرة) ، كتاب (الارتضاء في الفرق بين الضاد والطاء) ، كتاب (عقد الآلي) ، كتاب (نكت الأمالي) ، كتاب (النافع في قراءة نافع) ، (الأثير في قراءة ابن كثير) ، (المورد الغمر في قراءة [أبي] عمرو) ، (الروض الباسم في قراءة عاصم) ، (للزن الهامر في قراءة ابن عامر) ، (الرزمة في قراءة حمزة) ، (تقريب النائي في قراءة الكسائي) ، (غاية المطلوب في قراءة يعقوب) ، (المطلوب في قراءة يعقوب) قصيدة ، (النير الجلي في قراءة زيد بن علي) ، (الوهّاج في اختصار المنهاج) ، (الأنور الأجل في اختصار المحلى)^(٢) ، (الحلل الحالية في أسانيد القرآن العالية) ، كتاب (الإعلام بأركان الإسلام) ، (نثر الزهر ونظم الزهر) ، (قطر الحبي في جواب أسئلة الذهبي) ، (فهرست مسموعاتي) ، (نوافث السحر في دمائن الشعر) ، (تحفة التدّس^(٤) في نخاة أندلس) ، (الأبيات الوافية في علم القافية) ،

(١) (س) والوافي : « لأحكام » .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) والوافي .

(٣) في الوافي : « المحلى » تحريف ، والمحلى كتاب في الخلاف لابن حزم الظاهري . انظر : الكشف :

١٦١٧/٢ ، وفيه أنّ اسم الشرح : « الأنور الأعلى ... » .

(٤) التدّس : الفطين .

(جزء في الحديث) ، (مشيخة ابن أبي منصور) ، كتاب (الإدراك للسان الأتراك) ، (زهو المُلْك في نحو الترك) ، (نفحة المسك في سيرة الترك) ، (كتاب الأفعال في لسان الترك) ، (مُنطق الخرس في لسان الفرس) .

ومما لم يكمل تصنيفه ، كتاب (مسلك الرشد في تجريد مسائل نهاية ابن رشد) ، كتاب (منهج السالك في الكلام على ألفية ابن مالك) ، (نهاية الإعراب في علمي التصريف والإعراب) رجز ، (مجاني المصرفي آداب وتواريخ لأهل العصر) ، (خلاصة التبيان في علمي البديع والبيان) رجز ، (نور الغَبَش في لسان الحبش) ، (المخبور في لسان اليمحور) .

قاله وكتبه أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان .

وأنشدني الشيخ أثير الدين من لفظه لنفسه في صفات الحروف :

| | |
|--|---|
| أَنَا هَاوٍ لِمُسْتَطِيلٍ أَغْنَى | كَلِمَا اشْتَدَّ صَارَتِ النَّفْسُ رُخْوَةً |
| أَهْمَسَ الْقَوْلُ وَهُوَ يَجْهَرُ سَبِي | وَإِذَا مَا انْخَفَضَتْ أَظْهَرَ عُلُوَّهُ |
| فَتَحَ الْوَصْلُ ثُمَّ أَطْبَقَ هَجْرًا | بِصْفِيرٍ وَالْقَلْبُ قَلَقَلَّ شَجْوَهُ |
| لَا نَ دَهْرًا ثُمَّ اغْتَدَى ذَا انْخِرَافٍ | وَفَشَا السَّرَّ مَذْ تَكَرَّرَتْ نَحْوُهُ |

وأنشدني أيضاً لنفسه :

| | |
|--|--|
| يَقُولُ لِي الْعَذُولُ وَلَمْ أَطْعُمُهُ | تَسَلَّ فَقَدْ بَدَا لِلْحَبِّ لِحْيَتُهُ |
| تَخَيَّلَ أَنَّهَا شَانَتْ حَبِيبِي | وَعِنْدِي أَنَّهَا زَيْنٌ وَحَلِيَّتُهُ ^(١) |

وأنشدني لنفسه أيضاً :

| | |
|---|--|
| شَوْقِي لِذَاكَ الْحَيَّا الزَّاهِرِ الزَّاهِي | شَوْقٌ شَدِيدٌ وَجَسْمِي الْوَاهِنِ الْوَاهِي |
| أَسْهَرْتُ طَرْفِي وَدَلَّهْتُ الْفُؤَادَ هَوًى | فَالطَّرْفُ وَالْقَلْبُ مَنِي السَّاهِرِ السَّاهِي |

(١) (خ) : « أنها ثابت » .

يلقاه واشوقه للناهب الناهي^(١)
في النيرين شبيه الباهر الباهي
عن كل شيء قَوِيحَ اللاهج اللاهي

نَهتَ قلبي وتَنَهَى أن تبوح بما
بَهَرَتْ كل مَليح بالبهاء فما
لَهَجَتْ بالحبِّ لَمَّا أنْ لَهَوْتُ به
وأنشدني من لفظه لنفسه :

يا حُسْنَه من عارض راض
والأصل لا يُعْتَدَ بالعارض^(٢)

راض حبيبي عارض قد بدا
وظن قوم أن قلبي سَلا
وأنشدني من لفظه لنفسه :

على وجنتيه ياسمين على وَرْدِ
أمنت عليه من رقيب ومن صدِ^(٣)
لسود اللحي ناسٍ وناسٍ إلى المرد
صبوت إلى هيفاء مائسة القَدِ
فأحببت أن أبقي بأبيضهم وحدي^(٤)

تعشَّقَتْه شَيْخًا كَأَن مَشِيْبَه
أخا العقل يَذْري ما يَراد من النَهْيِ
وقالوا: الوري قِسمان في شرعة الهوى
ألا إني لو كنت أصبوا لأمرِدِ
وسود اللحي أبصرت فيهم مشاركا
وأنشدني من لفظه لنفسه :

أظن بها هاروتَ أَصْبَحَ نَافِثًا^(٥)
وَكُنَّ على دين التصابي بواعثًا^(٦)
وأسرعت للبلوى بمن كان رائثًا

ألا ما لها لُخْصًا بقلبي عواثًا
إذا رام ذو وجد سلوا مَنَعْنَه
وقيدَنَ مَن أضحى عن الحبِّ مُطلقًا

(١) (س) : « يلقى وأشواقه » .

(٢) في النجوم : « فظن » .

(٣) (خ) : « من الهوى » . وفي الوافي : « ضد » بالمعجمة .

(٤) (خ) : « بأبيضها » .

(٥) اللخص : من صفات العين التي تورم ما حولها ، ولعله يريد بها عين الأتراك . وفي (خ) :
« لحظاً » .

(٦) في الأصل : « ذا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

وإن كان ما بين الجوانح لا بشا
وللبدر الشمس المنيرة ثالثاً^(١)

بروحي رشا من آل خاقان راحل
غدا واحداً في الحسن للفضل ثانياً
وأنشدني لنفسه ، ومن خطه نقلت :

ولئن لذاك الجسم في اللمس أم خز
له أبداً في قلب عاشقه هز
فصار عليها من محاسنها طرز^(٢)
فاس كأن الغصن خامره العز
ويخضر من آثارها تربة الجرز^(٣)
فمنهضها قد ويقعدها عجز
فلا رقية تجدي المصاب ولا حرز

أسحر لتلك العين في القلب أم وخز
وأملود ذاك القد أم أسمر غدا
فتاة كساها الحسن أفخر حلة
وأهدى إليها الغصن لين قوامه
يضوع أديم الأرض من شرطيها
وتحتال في برد الشباب إذا مشت
أصابت فؤاد الصب منها بنظرة

وأنشدني إجازة في « مليح أبرص » ، ومن خطه نقلت :

ونفسك لاقت في هواه نزاعها^(٤)
وأفطع داء ما ينافي طباعها^(٥)
ولا علة فيه يروم دفاعها
محاسنه ألفت عليه شعاعها

وقالوا الذي قد صرت طوع جماله
به وضح تأباه نفس أولي النهى
فقلت لهم لا عيب فيه يشينه
ولكنها شمس الضحى حين قابلت

وأنشدني من لفظه لنفسه في « فحام » :

وثوب يعاني صنعة الفحم عن قصد

وعلقته مسود عين ووفرة

(١) (خ) : « واحداً » ..

(٢) (س) ، (خ) والوافي : « أفخر ملبس » . وفي (س) : « محاسنه » ..

(٣) (س) ، (خ) والوافي : « في آثارها » . والجرز : هي الأرض التي لا تثبت .

(٤) (خ) : « هواك » .

(٥) (س) ، (خ) : « أخي النهى » .

كأن خطوط الفحم في وجناته لطاخة مسك في جني من الورد
وأنشدني إجازة ، ومن خطه نقلت :

سأل البدر هل تبدى أخوه قلت يا بدر لن يطيق طلوعا
كيف يبدو وأنت يا بدر باد أو بدران يطلعان جميعا؟!

وأنشدني من لفظه لنفسه موشحة عارض بها شمس الدين محمد بن التلمساني :

عـاذلي في الأهيف الآنس لو رآه كان قد عـاذرا
رشأ قد زانه الحـور غصن من فؤقه قمر
قمر من سحبه الشعر ثغر في فيه أم دُرر
جال بين السدر واللعس خمرة من ذاقها سـكرا
رجة بالردف أم كسل ريقة بالثرغ أم عسل
وردة بالخد أم خجل كحل بالعين أم كحل
يالها من أعين نـعس جلبت لنا ظري سـهرا^(١)
مذ نأى عن مقلتي سني ما أذيقا لذة الوسن
طال ما ألقاه من شجني عجا ضدان في بدني
بفؤادي جذوة القبس وبعيني المـاء مـنفجرا
قد أتاني الله بالفرج إذ دنأني أبو الفرج
قمر قد حل في المهج كيف لا يخشى من الوهج
غيره لو صاببه نفسي ظننه من حره شررا
نصب العينين لي شركا فانتقى والقلب قد ملكا
قمر أضحي له فلكا قال لي يـوما وقد ضحكا
أنت جئت من أرض أنـدلسي نحو مصر تعشق القمر

(١) في الفوات : « للناظر السهرا » .

وأما موشحة ابن التماساني ، فهي :

قَمَرٌ يَجْلُو دَجَا الْفَلَسِ
أَمِنْ مِنْ شُبْهَةِ الْكَلَفِ
لَمْ يَزَلْ يَسْعَى إِلَى تَلْفِي
أَهْلٍ لَوْلَا أَعْيُنَ الْحَرَسِ
يَا أَمِيرًا جَارِ مَذُولِيَا
فَبْتَغِرْ مِنْكَ قَدْ جَلِيَا^(١)
وَبِمَا أُوتِيتَ مِنْ كَيْسِ
بَدْرٍ تَمَّ فِي الْجَمَالِ سَنِي
قَدْ سَبَانِي لَذَّةَ الْوَسَنِ
هُوَ خِشْفِي وَهُوَ مَفْتَرِي
لَكَ خَدَّيَا أَبَا الْفَرْجِ
وَحَدِيثَ عَاطِرِ الْأَرْجِ
لَوْلَا رَأَى الْغَصْنَ لَمْ يَمَسِ
يَا مُذِيَا مَهْجَتِي كَمَدَا
يَا كَحِيلَا كَحْلَةَ اعْتَدَا
وَيَسْقَمُ النَّظِيرِينَ كُسِي

وأنشدني من لفظه لنفسه أيضا :

إِنْ كَانَ لَيْلٌ دَاجٍ وَخَانَنَا الْإِصْبَاحُ

فَنُورُهَا الْوَهَّاجُ يَغْنِي عَنِ الْمَصْبَاحِ

بِهَرِ الْأَبْصَارِ مُنْذُ ظَهَرَ
ذُبْتُ فِي^(٢) حَبِيئِهِ بِالْكَفِ
بِرُكَابِ الدَّلِّ وَالصِّلَفِ
نَلْتُ مِنْهُ الْوَصْلَ مَقْتَدِرَا
كَيْفَ لَا تَرْتِي لِمَنْ بَلِيْنَا
قَدْ حَلَا طَعْمًا وَقَدْ حَلِيَا
جُدُ فَمَا أَبْقَيْتَ مُصْطَبِرَا
وَهَذَا لِقَبْوَةِ سَنِي
بُحْيَا بَاهِرِ حَسَنِ
فَارَوْا عَنْ أَعْجُوبَتِي خَبِرَا
زَيْنَ بِالتَّوْرِيدِ وَالضَّرَجِ
كَمْ سَبَى قَلْبًا بِلا حَرْجِ
أَوْ رَأَى الْبُسْدَ لَا سِتْرَا
فُقْتُ^(٣) فِي الْحُسْنِ الْبَدُورِ مَدَى
عَجِبَا أَنْ تُبْرئَ الرَّمْدَا
جَفْنُكَ السَّحَارَ وَانْكَسَرَا^(٤)

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي والفوات .

(٢) (خ) : « حليَا » .

(٣) في الوافي والفوات : « فت » .

(٤) في الوافي والفوات : « فانكسرا » .

كالكَوْكِ الْأَزْهَرُ سَلَافَةً تَبْدُو
 وَعَرَفَهَا غَبْرُ مِزَاجَهَا شَهْدُ
 مِنْهَا وَإِنْ أُسْكِرَ يَاجِبُذَا الْوَرْدُ
 عَنْ ذَلِكَ الْمَنَاجُ قَلْبِي بِهَا قَدْ هَاجُ
 قَدْ لَجَّ فِي بُعْدِي وَبِي رَشَا أَهِيْفُ
 مِنْهُ سَنَا الْخَدُّ بَدْرُ فَلَا يُخَسِّفُ
 يَسْطُو عَلَى الْأُسْدِ بِلِحْظِهِ الْمُرْهَفُ
 فَمَا تَرَى مِنْ نَاجٍ كَسْطَوَةِ الْحِجَّاجِ فِي النَّاسِ وَالسَّفَاحِ
 قَلْبَ رَشَاً أَحْوَرُ ^(١) عَلَّلَ بِالْمُسْكِ
 ذُو ^(٢) مِسْمٍ مَنَعَمَ الْمَسْكِ
 وَرَيْقَهُ كَوَثَرُ رِيَّاهُ كَالْمِسْكِ
 فَجَبَّذَا الْأَرَاكِ غَضَنَ عَلَى رَجْرَاجٍ طَاعَتْ لَهُ الْأَرْوَاحُ
 عَلَى أَبِي حَيَّانٍ مَهْلًا أَبَا الْقَاسِمِ
 مِنْ لِحْظِكَ ^(٣) الْفَتَّانِ مَا إِنْ لَهُ عَاصِمُ
 قَدْ طَالَ بِالْهَيْمَانِ ^(٤) وَهَجَّرَكَ السَّدَائِمُ
 لَكِنَّهُ مَا عَاجَ فَدَمَعُهُ أَمْوَاجُ وَسْرُهُ قَدْ لَاحَ ^(٥)
 يُمْنُذِلُ فِي الرِّيحِ ^(٦) يَارُبَّ ذِي بُهْتَانِ

(١) في (س) ، (خ) والوافي والنجوم ، والفوات : « قلبي » .

(٢) في الأصل و (س) و (خ) : « ذي » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات ، والنجوم .

(٣) (خ) : « طرفك » .

(٤) في الأصل و (س) و (خ) : « بالهميان » ، وأثبتنا ما في الوافي والفوات ، والنجوم .

(٥) في النجوم : « باح » .

(٦) في الأصل : « أطاح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي والفوات .

(٧) في النجوم : « يعذلني » .

وفي هوى غزلان^(١) دافعتُ بالراح
وقلت لاسلوان عن ذاك يـالـاحي
سبع الوجوه والتاج هي منية الأفراح فاخترلي يازجاج قُصـال^(٢) وزوج أقـداح

وأنشدني من لفظه لنفسه القصيدة الدالية ، التي نظمها في مدح النحو والخليل
وسيبويه ، ثم خرج منها إلى مديح صاحب غرناطة وغيره من أشياخه ، وأولها :

هو العِلم لا كالعلم شيء تراوده لقد فاز باغيه وأنجح قاصده

وهي قصيدة جيدة تزيد على المئة بيت . حكى لي أن الشيخ أثير الدين - رحمه
الله تعالى - نظمها وهو ضعيف ، وتوجه إليه جماعة يعودونه ، وفيهم شمس الدين بن
دانيال ، فأنشدهم الشيخ - رحمه الله تعالى - القصيدة المذكورة ، فلما فرغت ، قال ابن
دانيال : يا جماعة ، أخبركم أن الشيخ قد عوفي ، وما بقي عليه باس ، لأنه لم يبق عنده
فضلة ، قوموا باسم الله .

وأنشدني من لفظه لنفسه - رحمه الله تعالى - قصيدته السينية التي أولها :

أهاجك ربع حائلُ الرسم دارسه كوحى كتاب أضعف الخط دارسه

١٨٣٢ - محمد بن يوسف بن عبد الله *

شمس الدين ، الشاعر الماهر الحياط الدمشقي الحنفي .

شاعر لا يجارى ، ومكثر لا يبارى ، قادر على صوغ القريض ، وارتجال النظم الذي
يشفى به المريض ، طويل النفس إذا نظم ، مديد الباع إذا رقم ، ذو قصائد قد

(١) في الوافي والفوات والنجوم : « الغزلان » .

(٢) في (خ) زيادة : « وهي قصيدة عظيمة . ومن شعره » . وعبرة الوافي : « وهي قصيدة مليحة تلعب
فيها بفنون الكلام تقارب المئة » .

* الوافي : ٢٨٣/٥ ، ووفيات ابن رافع : ٣٢٩/١ ، والدرر : ٣٠٠/٤ ، والنجوم : ٣٢٠/١٠ ، والبدر الطالع :

طَوَّلَهَا ، ومَدَائِحِ سَوَّرَهَا^(١) وَهَمَّهُ وَسَوَّلَهَا ، ولم يكن له غوص على المعاني البديعة ، ولا احتفال بطريق المتأخرين التي هي^(٢) عليه وعلى أمثاله منيعة . ومع ذلك فكان بين فكيه مقرض^(٣) للأمراض^(٤) ، وكنانة نبل أنفذ من السهام في الأعراض^(٥) ، لا يكاد يسلم أحد من هجوه ، ولا ينجو طاهر الذيل من نجوه . وكان هجوه أجود من مدحه ، وأوقع في النفوس لكده فيه وكدحه ، ولكنه ذاق وبال هذا وأوذى أكثر مما آذى ، إلا أنه كان كثير التلاوة ، يلزم^(٦) الصلاة في الحضارة والبدواة ، وحج غير مرة ، وقرن البعرة بالدرة .

وحججت أنا وهو في عام خمسة وخمسين وسبع مئة ، ولما وصلنا إلى معان مَرَّقَ الله من الخياط عمره ، وأذهب شعره وشعره ، وأتاه من نايات المنايا ما بطل زمره ، فدفناه على قارعة الطريق ، وانكفَ ذاك اللسان الذي كأنه مبرد وما حمل التطريق ، وجعلناه سراً مودعا من البرية في صدر ، ووضعنا الشمس في الأرض ليلة البدر ، فلو كان الرقاء موجودا لرثى الخياط وأبَّنه ، ونقله بلبنه الطيب إلى مقبره وجبَّنه .

وعلى كل حال فقد راح إلى الله وأراح ، وحمل كارة أهاجيه وهو كاره وقلَّ من حمل كارة واستراح ، والله يسامحه في يوم عَرْضه ، ويعطِّف عليه قلب مَنْ أخذ من عِرْضه ، حتى إنه يسامحه ويخالله ، ويصادفه فيصادقه^(٧) ويخالله .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في معان ، ليلة الرابع عشر من المحرم سنة ست وخمسين

وسبع مئة .

(١) (خ) : « سَوَّدها » .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) (خ) : « مقرض » .

(٤) في (س) ، (خ) : « للأعراض » .

(٥) في (خ) : « الأغراض » .

(٦) (س) ، (خ) : « ملازم » .

(٧) في الأصل : « ويصادفه فيصادمه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

وسألته عن مولده ، فقال : في شهر رجب سنة ثلاث وتسعين وست مئة بدمشق .

كان في مبدأ حاله يتردد إلى شمس الدين الصائغ ، ويقرأ عليه ، ويجتمع بالبحير الجوخى ، ثم إنه تردد إلى شيخنا العلامة شهاب الدين محمود ، وكتب عنه كثيرا ، وكان يثني عليه ويميل إليه .

ونظم في سنة عشرين وسبع مئة^(١) قصيدة جميلة مديحا في قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى وأولها :

أما ولوا حظ الحديق السواج لقد أصبحت منها غير ناجي

فقرّظها شهاب الدين محمود ، وأثنى عليها ، وكتب عليها فضلاء العصر ، وانضقل نظمه وجاد ، وشعره كثير^(٢) يدخل في ست مجلدات .

وسافر إلى الديار المصرية ، ومدح أعيانها ، واتصل بالأمير سيف الدين ألباي الدوادار ، وكان يبيت عنده . ومدح السلطان الملك الناصر بأبيات قرأها عليه قاضي القضاة جلال الدين القزويني ، فرسم له براتب في كل يوم درهمين^(٣) .

وأنشدني من لفظه غالب شعره لما^(٤) نظم الشيخ جمال الدين بن نباتة^(٥) قصيدته الثائية الطنانة في الشيخ كال الدين بن الزملكاني - رحمه الله تعالى - جعل غزلها المقدم على المدح في وصف الخمر ، وأولها^(٦) :

(١) في (س) ، (خ) زيادة : « أو ما قبلها » .

(٢) (خ) : « وجاد شعره وهو كثير » .

(٣) (س) ، (خ) : « بدرهمين » .

(٤) (خ) : « ولما » .

(٥) (س) ، (خ) : « محمد بن نباتة » .

(٦) ديوانه : ٦٧ .

قضى وما قضيت منكم لباناتٍ متيم عبثُ فيه الصبابات

نظم الشيخ شمس الدين محمد بن الخياط قصيدة أخرى في وزنها وروّيها ، ومدح بها الشيخ كال الدين أيضاً ، وجاء منها في الآخر ما أنشدنيه من لفظه :

ما شان مدحي لكم ذكر المدام ولا أضحت جوامع لفظي وهي حانات
ولا طرقت جمى خمار سحرا ولا اكتست لي بكاس الراح راحات ^(١)
وإنما أسكر الجلاس من أدب تدور منه على الأكياس كاسات ^(٢)
عن منظر الروض يغنيني القريض وعن رقص الزجاجات تلهيني الجزازات ^(٣)
عشوت منها إلى نور الكمال ولم يدُر على خاطري دير ومشكاة

وكان الشيخ جمال الدين بن نباتة إذا جاء إلى دار السعادة ، يقال ^(٤) له : إن ملك الأمراء في القصر ، فيحتاج أن يروح إلى القصر الأبلق ماشيا ، وقال في ذلك ^(٥) :

ياسائلي في وظيفتي عن كنه حديثي وعن معاشي
ما حال من لا يزال يطوي مسافة القصر وهو ماشي ^(٦)

فقال شمس الدين جوابه ، وأنشدنيه من لفظه :

يا شاعراً يخطئ المعاني فيما يعاني من المعاش
أنت شبيه الحمار عندي مركب الجهل وهو ماش

(١) في الوافي : « كاسات » .

(٢) هذا البيت خلا منه الوافي .

(٣) في الأصل : « الجرارات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٤) (س) : « يقول » .

(٥) ديوانه : ٢٧٦ .

(٦) في الأصول : « ينوي » ، وأثبتنا ما في الديوان .

وقد كان كتب ابن نباتة صداقا ، فخلع عليه ، فلبسه ودار به في البلد ، فقال
شمس الدين الخياط في ذلك ، وأنشدني من لفظه :

ما خلعة العقد على شاعرنا يوم الهنا شقاء وعنا
رأيتَه فيها وقد أرخى له ذؤابة تُبدي عليه الحزنا
فقلت: مَنْ هذا الذي سواده سوده بين الورى؟ قال: أنا^(١)
نباتة كان أبي، فقلت: ما أنبتَه الله نباتا حسنا^(٢)
وأنشدني من لفظه لنفسه أيضاً :

ما خلعة ابن نباتة إلا كن ألقى الرياض على الكنيف المتن
ومنها :

واختصَّ عَمَّتَه بفضل ذؤابة هي في القلوب قبيحة في الأعين^(٣)
فكأنها ذنب لكلب نابح تحت الدجا من فرط داء مُزمن
فالله يجعلها [له] كَفَن البلي ويكون غاية كل سوء يقتني^(٤)
حتى يقول مسير في هجومه هذا لَعمر أيبك شرّ مكفن

ونظم ابن نباتة ما يكتب على دواة فولاد^(٥) :

معنى الفضائل والندى والباس لي والسيف مُشتهر بمعنى واحد
بالنفس أضرب في نضار ذائب والناس تضرب في حديد بارد^(٦)

(١) (س) والوافي : « بين الورى سوده » .

(٢) في الوافي : « أنبتك » .

(٣) في الوافي : « قبيحة والأعين » .

(٤) الزيادة من (س) ، (خ) .

(٥) ديوانه : ١٦٤ .

(٦) في الديوان : « والسيف يضرب » .

فقال شمس الدين الحياط ، وأنشدني من لفظه :

قل للذي وصف الدواة وحسنها ما جئتَ عن لفظي بمعنى زائد
أسخنت عينك في نضار ذائب وذبحت نفسك بالحديد البارد

وكان قد سلّطه الله عليه ، كلما نظم شيئاً ناقضه فيه ، فيها فرزدق وجريز
عصرهما ، ولولا خوف التطويل لأوردت كثيراً من ذلك .

وأنشدني من لفظه له :

قصدت مصرا من ربا جلق بهمة تجري بتجريب
فلم أر الطرة حتى جرت دموع عيني في المزريب^(١)
وأنشدني من لفظه له :

خلّفت بالشام حبيبي وقد يمّت مصرا لعنا طارق
والأرض قد طالت فلا تبعدني بالله يامضّر على العاشق^(٢)
وأنشدني من لفظه له :

تركت لقوم طلاب الغنى حبّ الغناء ولهُوَ الطرب^(٣)
وعندي من زهر فضة وعندي من خندريس ذهب
قلت : أين هذا من قول النصير الحامي :

أصبحت من أغنى الـورى مستبشرا بـالفرح
عندي خمر ذهب أكتاله بالقـدح

(١) قوله : « للمزريب » فيه تورية ، فهو تصغير (مزاب) ، ومزريب بلدة على مقربة من درعا .

(٢) ذكرهما في النجوم الزاهرة .

(٣) (خ) : « القوم » .

وقد ولدت أنا من هذا معنى آخر ، ونقلته إلى أوراق الخريف ، وقلت :

لَمْ لَا أَكُونُ غَنِيًّا بِالْخَرِيفِ وَلَمْ أَحْتِجْ إِلَى غَيْرِهِ فِي اللَّهْوِ وَالطَّرَبِ
وَكُلُّ دَوْحَةٍ بَسْتَانٍ إِذَا عَبَثَتْ بِهَا الصَّبَا تُثَرِّثُ كُومًا مِنَ الذَّهَبِ
ولكن قول النضير (أكتاله بالقدح) غاية في الحسن .

وأنشدني شمس الدين الخياط له :

يَا أَهْلَ مِصْرَ أَنْتُمْ لِلْعَمَلِ كَوَاكِبُ الْإِحْسَانِ وَالْفَضْلِ
لَوْ لَمْ تَكُونُوا لِي سَعُودًا لَمَّا وَافَيْتُمْكَ أَضْرَبُ فِي الرَّمْلِ
وأنشدني من لفظه له :

كَمْ تَظْهَرُ الْحَسَنُ الْبَدِيعُ وَتَدَّعِي هَلْ تَصُدِّقُ الدَّعْوَى لَمَنْ فِي وَجْهِهِ
وَبَيَاضُ شَكْلِكَ فِي النُّوَظَرِ مَظْلَمٌ بِالذَّقْنِ كَذَّبَهُ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ
وأنشدني من لفظه له :

حَتَّامُ شَخْصِي بَيْنَ هَذَا الْوَرَى حَيٌّ وَفَضْلِي عَنْهُمْ مَيِّتٌ
أَبْنَى يَبُوتُ الشَّعْرُ فِي جَلِّقٍ وَلَيْسَ يُبْنَى لِي بِهَـا بَيْتٌ
وأنشدني من لفظه وقد أعطاه قاضي القضاة نجم الدين بن صصرى جائزة :

لَمْ يُجْزِنِي الْقَاضِي عَلَى قَدْرِ شِعْرِي بَلْ حَبَانِي مُضَاعَفُ الْأَيَّاتِ
فَلِهَذَا أَعَدَّهَا صَدَقَاتٍ مِنْ عَطَايَاهُ لَا مِنْ الصَّدَقَاتِ
وأنشدني من لفظه له :

وَيَلَاةٌ مِنْ ظَنِّي لَهُ وَجَنَةٌ شَامَاتُهَا تَلْعَبُ بِالْأَنْفُسِ
لَوْ لَمْ تَكُنْ فِي خَدِّهِ جَنَةٌ لَمَا اكْتَسَى بِالْعَارِضِ السَّنْدِسِي

وأنشدني من لفظه له :

يا كعبة الحُسن التي رُميت لها في كل قلب بالهوى جراتُ
قد تم ميقات الصدود وقصدنا لو تم منك لوصلنا ميقاتُ
وأنشدني من لفظه له :

قد طال فكري في القريض الذي من نفعه لست على طائلٍ
أمرني زورا فصرت امرأ صاحب ديوان بلا حاصلٍ
وأنشدني من لفظه له في « الفلوس » :

يأليت شعري أي خير يُرتجى للمُعْتَفَى من هذه الأزمان^(١)
لوم يكن عَدَمُ الدرهم قد بدا ما كان صار الفلوس بالميزان
وأنشدني له في « المشمش » :

حبّذا ممش يروق لطرفي منه حُسْنٌ حديثه مشهور
قد بلاني بحبّه وهو مثلي أصفر الجسم قلبه مكسور
وأنشدني له أيضاً :

يا أيها البحر الذي في ورده ريُّ لقلب الحوائم المتعطّش
أشكو إليك هوان شعري لم يقم لي رُخصه بغلّو شعر المشمش^(٢)
وأنشدني له أيضاً :

يأمن به ادراً عن مهجتي من حادث الأيام ما أختشي^(٣)

(١) في الأصل : « خير » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٢) في الأصل : « شعر المشمش » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٣) في الأصل : « أرناً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

قد أقبل الصيف وما في يدي من درهم للتسوت والمش
وأشدني له أيضا :

لـوزيُّ جَلَّقَ شيء يـذوبُ قلبي عليه
كـالسبيل ولـكن كيف السبيل إليه
وأشدني من لفظه له ما يكتب على باب :

نحن إلفان ما افترقنا لبغض لا ولا في اجتماعنا ما يريب
نكتم السر بيننا في زمان كاتم السر في بنيـه غريب
وأشدني من لفظه له أيضا :

مَنْ ذا الذي يُنكر فضلي وقد فـزت من الحسن بمعنى غريب
عندي لمن يـخذله دهره نصر من الله وفتح قريب^(١)

وكتب هو - رحمه الله تعالى - على كتابي (جنان الجناس) :

سرّ الفصاحة في كتابك ظاهر وله ضياء الحسن عنك بديع^(٢)
وكنا الثناء المحض في أثنائه بنوافج الذكر الجميل يضوع
فلناك يحفظ في الصدور لفضله وسواه يُنسى ذِكْرُه ويضيع
لله روض في جنان جناسه هو للقلوب وللمعيون ربيع
كم أثرت أغصانه بفوائد كم طاب فيها للفؤاد ولوع
ما زال يطره الجنان سحائباً يضحى بها القرطاس وهو مريع
في طيّه نشر العلوم تأرجت أرجاءه فتعطر المجموع

(١) الشطر الثاني اقتباس من القرآن .

(٢) (خ) والوافي : « مديع » ،

سِفَرٌ عن الفضل المحقق سافرَ
 بَيَّنْتَ فيه لنا الأصول فأينعتَ
 وشرعتَ في حلّ الرموز وقد حلا
 لم يبق في علم المعاني ناطق
 فابن الأثير ولو تأثَّلَ مجده
 سيَّرت أمثالا لها حكمَ فما
 أعليت بَيان البديع مشيِّدا
 وأذبت لابن أبي الحديد جوانحا
 وأدرت أفلاكا على أمثاله
 وطعنت في ابن سنان عند خفاجة
 وأنرت ما لا نور (المصباح) في
 وتخلَّف للعتز إذ زلَّ ابنُـه
 هنا كتاب قد كبتَ به العدى
 أتعبت مَنْ يسري وراءك في النهى
 ورفعت قدر العلم حين وضعه
 نثر حكته من الكواكب نثره
 ونظام شعر دونه الشعرى وإن
 شعر يروق طباقه وجناسه
 يسمو خبيبا باللكارم إن بدا

وله على القمر المنير طلوع
 لجنى العقول من الأصول فروع
 للفهم في ذاك الشروع شروع
 إلّا وبان به لديك خضوع
 وعصى لكان ليا بنيت يطيع^(١)
 لنجومها مثل النجوم رجوع
 ما لم يشيّد للزمان بديع
 لم تُطَفَ منها للحريق دموع
 أضحت تروق بحسنها وتروع^(٢)
 لغة فأودت بالصدور صلوع^(٣)
 علم البيان وفي سنياه لموع
 وبدا بمنطقه لديك خشوع^(٤)
 فجنابه عن حاسديه منيع
 ومقى تساوى ظالع وضيع
 فتشرّف الموضوع والمرفوع
 فيها لصفحة أوجِه ترصيع
 أمست ومنزلها عليه رفيع
 والسبر والتقسيم والتصريع
 ويرى الوليد لديه وهو رضيع^(٥)

(١) في الأصل : « تأثر » ، وفي الوافي : « وإن تأثَّل » .

(٢) في الأصل : « أفكالا » .

(٣) في الأصل : « بالصدوع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) والوافي .

(٤) (خ) : « إذ ركَّ » .

(٥) (س) ، (خ) والوافي : « بالخاص » .

وهي أطول من هذا ، وهذا القدر منها كاف .

وله قصيدة أخرى نظمها على كتابي (نصره الثائر على المثل السائر)^(١) .

وكتبت أنا على قصائد نظمها في قاضي القضاة جلال الدين القزويني وأولاده
بدر الدين وجمال الدين وتاج الدين وصدر الدين - رحمهم الله :-

وقفت على هذه القصائد التي تدبجت ، والمدائح التي طاب ثناؤها فتأرجت ،
والقوافي التي مالوت جيدها إلى غير شاعرها^(٢) ولا عرجت . فألفيتها قيد النواظر ،
وتنزّهت منها في روضة أخلت الخمائل النواضر ، وعلمت أنها تحفة القادم وزاد المسافر
وحضرة المحاضر ، لو^(٣) عقل الناس تلعبها بالمعاني وفنونها ، لعلّقوها على كعبة مجاميعهم
فقد علّقت العرب دونها ، قد أحكمها ناظمها رصفا ، ورقت لفظا ، وراقت معنى
وشاقت وصفا . ومزّق بها هذا الحياط أقوال ذلك الرّفا ، ونبت كل قضيب في روضها
فشلّ من باع الشعر أكفّا :

أكرم بها من قواف وبدرها وجمالها
وصدرها إن تبدى في تاجه وجلاله

ما للكاذّب التعب ظفر بمنوحها ، ولا للشكر مندوحة عن ممدوحها ، وما أظنه إلا^(٤)
أدخل الجنة بسلام ، ولقي جلاله وكرمه [وجه]^(٥) ذي الجلال والإكرام ، فالله يمتّع
الوجود برقي بدره درج منبره ، ويشنّف الأسماع بما يتحفها لفظه من جوهره ، ويجعل
الفتاوى متفياً ظل قلمه ، ويديم عليه مواد نعمه^(٦) ، إن شاء الله تعالى .

(١) (س) ، (خ) : « على الفلك الدائر » .

(٢) في الأصل : « شأوها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) (خ) : « أو » ، تحريف .

(٤) في (س) ، (خ) : « إلا أنه .. » .

(٥) زيادة من (س) ، (خ) .

(٦) زاد في (س) : « بمنّه وكرمه » .

١٨٣٣ - محمد بن يونس بن فتيان*

الفاضل أبو زرعة الكناني المقدسي الشافعي .

كان شاباً فهِماً ذكياً ، حفظ كتباً وتفنن ، وقدم إلى دمشق سنة أربعين وسبع مئة .
وسمع من أبي العباس الجزري والمزي والذهبي ، ونسخ ومهر .
وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة تسع وأربعين وسبع مئة في الطاعون .
ومولده في حدود سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

١٨٣٤ - محمود بن أحمد**

ابن محمد بن نصر بن أبي الرضا ، الشيخ العدل نور الدين أبو القاسم البعلبكي
المعروف بابن رضي .
كان إمام المدرسة النورية ظاهر بعلبك ، وكاتب الحكم . كتب لجماعة من القضاة
أكثر من خمسين سنة . وتردد إلى دمشق مرّات في شهادات .
توفي - رحمه الله تعالى - في حادي عشر شوال سنة أربع وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة ست وثلاثين وست مئة ببعلبك .

١٨٣٥ - محمود بن أُوحد بن الخطير***

شرف الدين أخو الأمير بدر الدين مسعود بن الخطير الآتي ذكره - إن شاء الله
تعالى - في مكانه .

* الدرر : ٣١٧/٤ .

** الدرر : ٣٢٢/٤ .

*** الدرر : ٣٢٣/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٤٢/١٠ .

طلبه السلطان الملك الناصر محمد إلى مصر بعد مقام أخيه الأمير بدر الدين مدة بالقاهرة ، في شهر ربيع الأول سنة أربع وثلثين وسبع مئة ، وأعطاه طبلخاناه ، وولاه الحجوية بمصر تحت يد أخيه ، ولما قبض على تنكز - رحمه الله تعالى - وجّه أخاه الأمير بدر الدين مسعود نائباً إلى غزة ، جهز الأمير شرف الدين إلى دمشق حاجباً صغيراً ، فأقام بدمشق على الحجة إلى أن رَسَم لأخيه الأمير بدر الدين مسعود بالحضور إلى دمشق ، فرسم للأمير شرف الدين بأن يتوجّه إلى صفد ، فتوجّه إليها ، كل ذلك في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

ولما مات السلطان وجرى ما جرى ، وولي النيابة بمصر الأمير سيف الدين قوصون ، طلب الأمير بدر الدين مسعود إلى مصر ، وطلب أخاه أيضاً ، فتوجّه إليه ، وعلا الحجوية بمصر ثانياً . ثم إن الأمير بدر الدين خرج بعد قوصون إلى الشام ، وأقام الأمير شرف الدين محمود على الحجة بمصر إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في شهر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .

ومات له ابنان وبنت وجماعة من أولاد أولاده وأولاد ممالكه في الطاعون .

وكان قد ولي شد الأوقاف بدمشق أيام تنكز في سابع صفر سنة ثلاثين وسبع مئة عوضاً عن نجم الدين بن الزبيق ، ولما توجه إلى مصر في التاريخ المتقدم ، تولى شد الأوقاف عوضه ناصر الدين محمد بن بكتاش .

١٨٣٦ - محمود بن أبي بكر بن أبي العلاء*

المحدث الفرضي شمس الدين أبو العلاء البخاري الكلّاباذي الحنفي الصوفي .

تفقه ببخارى ، وسمع بها ، وقدم العراق ، وسمع من محمد بن أبي الدنية^(١) ،

* المعبر : ٤١٢/٥ ، والدرر : ٣٤٢/٤ ، والشذرات : ٤٥٧/٥ .

(١) في الأصل و (س) : « المدينة » ، تحريف ، كما في مصادر ترجمته ، وهو : محمد بن يعقوب بن

أبي الفرج البغدادي (ت ٦٨٠ هـ) ، المعبر : ٣٣٢/٥ .

ومحمد بن عمر المريح ، وابن بلدجي ، وابن الدّباب^(١) وطائفة . وبالموصل^(٢) من الموفق الكوّاشي وجماعة . وعماردين وذنيسر ، وقدم دمشق ، وسمع بها ، ورحل إلى مصر ، وأكثر بها ، وكتب الكثير بخطه المليح الحلو ، وصنّف في الفرائض تصانيف ، وكان فيها بارعا ، له أصحاب يشغلون عليه فيها . وكان دينا نزها ورعا متحرّيا ، سوّد معجبا لنفسه ، وكان لا يمس الأجزاء إلا على وضوء وطهور .

وروى له الدمياطي ، وسمع منه أباخنا : للزي ، وأبو حيان ، وابن سيّد الناس ، والبرزالي ، وقطب الدين . وسمع منه المقاتلي ، والمجد الصيرفي . وتوفي - رحمه الله تعالى - بماردين في أواخر شهر ربيع الأول سنة سبع مئة . ومولده سنة أربع وأربعين^(٣) .

١٨٣٧ - محمود بن أبي بكر بن حامد *

ابن أبي بكر بن محمد بن يحيى بن الحسين ، الشيخ الفقيه الإمام العالم المحدث اللغوي ، صفّي الدين أبو الثناء الأرموي الصوفي .

كان من أعيان طلبة الحديث ، اشتغل وحصل ، وكتب الكثير ونسخ من الأجزاء والكتب الحديثية جملة . وسمع بالقاهرة (جزء ابن عرفة) على النجيب عبد اللطيف ، وسمع بدمشق من عبد العزيز بن عبد الحارثي^(٤) وجماعة من أصحاب ابن طبرزد والكندي^(٥) . وقرأ (مسند) الإمام أحمد بعلبك على ابن علّان ، وسافر إلى القاهرة والإسكندرية ، وسمع منه شيوخها .

(١) محمد بن محمد بن علي البابصري (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥٥/٥ .

(٢) س : « بالموصل » .

(٣) في (س) زيادة : « وست مئة » .

* البداية والنهاية : ١٠٨/١٤ ، والدرر : ٣٤١/٤ .

(٤) هو عبد العزيز بن عبد المنعم الحارثي الدمشقي ، ابن عبد . توفي سنة (٦٧٢ هـ) . العبر : ٢٩٩/٥ .

(٥) في الأصل : « الكندي » ، وأثبتنا ما في (س) .

وكان يحفظ (التنبيه) ، ورجع إلى دمشق . وكان يطالع كتب اللغة ، وجمع (الصحاح) و (الأزهرى) و (المحكم) وذيل على (النهاية) ، وكان يقرأ الحديث فصيحا بسرعة ، ثم إنه تغير ذهنه ، وحصل له مرض بالسوداء ، وكان يحاضر في بعض الأوقات ، ويتكلم كلاما حسنا ، وفي بعض الأوقات يشتم من يخاطبه . وسافر إلى الحجاز وحلب والقدس ، وهو بهذا المرض .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في حادي عشر جمادى الآخرة سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، ودفن بالبواب الصغير .

ومولده بالقرافة سنة سبع وأربعين وست مئة .

وسمع منه شيخنا الذهبي (جزء ابن عرفة) وغيره . وهو أخو الشيخ المعمر شهاب الدين محمد القرافي - رحمهما الله تعالى - .

١٨٣٨ - محمود بن رمضان *

شرف الدين بن والي الليل .

قال كال الدين الأدفوي : رأيته واليا بأدفو ثم أسنا . وله نظم ، ومدحني بقصيدة .

وتوفي بمصر - رحمه الله تعالى - سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومن شعره :

هَجَرْتُونِي بِلا ذَنْبٍ وَلَا سَبَبٍ وَحُبُّكُمْ مَنَتْنِي الْأَمْـالَ وَالطَّلَبَ
وَرَمْتُمْ بِالْقَرَبِ مِنْكُمْ رَاحَةً فَعَدَا قَلْبِي بِيَعْدَكُمْ فِي غَايَةِ التَّعَبِ^(١)

* الدرر : ٣٢٤/٤ ، والطالع السعيد : ٦٤٦ ، واسمه فيه : « محمد بن يوسف ، ابن والي الليل » .

(١) في الطالع : « النصب » .

ومذ أطعت هواكم ماعصيت لكم أمرا ولا ملت في حُبِّي عن الأدب^(١)
فما لطرفي لا يغشاه طيفكم بُخْلاً عليّ وأنتم أكرم العرب

١٨٣٩ - محمود بن طي *

الشيخ جمال الدين العجلوني المعروف بالحافي .

كان إنسانا حسنا فقير الحال ذا عيال ، أقام بصفد مدة ، وكان يعرف بعض
عربية ، وينظم شعرا لا بأس به ، وصحب عفيف الدين التلمساني زمانا ، وأخذ عنه
ذلك المذهب . وكان مع فقره وتصوفه حادّ الأخلاق .

أنشدني كثيرا من شعره وكثيرا مارواه لي عن عفيف الدين التلمساني ، وكان لعله
يحفظ أكثر (ديوان العفيف) . وبحثت معه غير مرة . وكنت أردّ مقالته ، وشعّب
ذهن^(٢) جماعة بصفد ، وأعان الله على إنقاذهم ، وكان يرتزق بشهادة القسم في خاص
السلطان .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بصفد في سنة أربع وعشرين وسبع مئة . وقد قارب
السبعين سنة .

وكتبت أنا إليه مرة ، وقد توجه إلى قرية تُسمى « علّما » من قرى صفد ، ومعه
شخص يعزّ عليّ :

ألا هل ترى يانازلين رُبا علّما أحطمت بما يلقي مشوقكم علّما
فلو شاء حَمَلِي الريح نحو خيامكم أتاكم بصبّ قد براه الهوى سقما^(٣)

(١) في الطالع : « وقد أطعت » .

* الدرر : ٣٢٦/٤ .

(٢) في الأصل : « ذهنه » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) (س) : « حَمَل » .

وما ضَرَمَ رعي العهود التي مضت
شَغَلت بكم عن غيركم لا عَدمتكم
وعَلَّمَنِي دمعِي وجوهر ثغرِك
ولا عجب أن جاء صبري مُحاقَه
منعتم جفوني لذّة الغمض في الدجا
فكيف قضيتم بعمدكم إن أدمعِي
أظنكم طهرتم بدمعِي
ولما شكت عيني إليكم سهادها
ومَن كنتم أحبابه ياسروره
ويا فوز قلب أصبحت خطراته
وإن كان عُدَّالي عموا عن جمالكُم

فكم قد رعى طرفي لبعدمكم نجما
فطرفٌ يرى إلا محاسنكم أعمى
إذا غبتم عن مقلتي النثر والنظما
وحسنكم قد أحجل القمر التما
فما ذاق طرفي بعمدكم للكرى طعما
لعيني غسل وهي لم تبلغ الحُلما^(١)
عيوني لما أن رأت غيركم قِدمَا
حكمت عليها أن تدوم وأن تدمي^(٢)
ويا سعدة إن صح لك أو تمّا
إلى حبكم تسمو، وصب لكم يسمي
فلي أذن عن كل ما نقلوا صمّا

فكتب هو الجواب إلى عن ذلك ، ولكنه لم أجده عند تعليقي هذه الترجمة .

وأشدني من لفظه لنفسه تخميس قصيدة جيمة للعفيف التلمساني :

بالناظر الفاتر الوسنان ذي الدعج
وما بخدّ الذي تهوى من الضّرج
قم يانديم فما في الوقت من حرج
انظر إلى حسن زهر الروضة البهج
واسمع ترنم هذا الطائر الهزج
لي الهنا قد وفّت سعدي بما وعدت
ودارها قربت من بعدما بعدت
فانظر تشاهد أنوار الجمال بدت

(١) في (س) : « بعدها » .

(٢) في الأصل : « إليها » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) في الأصل : « الهرج » ، وقد أثبتنا ما في (س) ، (ط) .

تُجَلَّى الرياض وقينات الحمام شدت والزهر يحرق عرف المنديل الأرج
نُسَيْمَةُ القرب من ذاك الجمال سرت
فكم فؤاد بها سرت وكم أسرت
وخاطر بلبسته عندما خطرت
فعاطيني يا رشيّق القد ما اعتصرت يد الملاحه لي من طرفك الغنج
عزت فعزّ علينا نيل مطلبها
لما تسامت علواً في تمر تبها
وفي لحاظك معنى عن تطلبها
فما المدامة في سلب العقول بها بالسُّكْرِ أَسْلَبُ من عينيك للمهج
صهباء تذهب بالتبريح والترج
وتُبدِلُ الهمّ والأوهام بالفرح
يا طيب في ساحتي حاناتها مرحي
وإن تُرد مزجها لا تمزجاً قدحي دعه برقة وجدي فيك يمتزج
يا ويح روعي تمادت في مأربها
واستعذبت ما تلاقي من مُعذِّبها
مسلوبة قد براها عشقُ سالبها
مرّت ليالي صدود لو جمعت بها دمعي جرت سفنّ منه على لجج
أشفقت من فيض أُمّاقِي على غرقِي
ولم يخلّ الضنى مني سوى رَمَقِي
وبُدِّلَ النومُ بالتسهد والأرق
كم قد فتحت لضيّف الطيف من حُرّق باب المني فانشق [عنه] ولم يلج^(١)
عليك مُد كنت لي ما زلت معتمدا

(١) الزيادة من (س)، (ط).

لَمَّا أَجَلَّكَ بِالتَّعْظِيمِ مَعْتَقِدَا
 وَلَمْ أَحِلْ عَنْ عَهْدٍ بَيْنَنَا أَبَدَا
 وَكَمْ بَنَذْتَ جَمِيعِي مَجْتَهِدَا وَصَنْتَ سَرَّكَ فِي قَلْبٍ عَلَيْكَ شَج
 أَضْحَى وَجُودِي مَنُوبَا إِلَى الْعَدَمِ
 وَسِرُّ وَجْدِي بِسَقَمِي غَيْرِ مَكْتَمِ
 كَمْ قَدْ تَبَرَّمْتَ مِنْ شَوْقِي وَمِنْ أَلْمِي
 وَشَمْتَ بَرْقَا عَلَى الْجُرْعَاءِ مِنْ إِضْمِ قَلْبِي عَلَيْكَ وَطَرَفِي غَيْرِ مُخْتَلِجِ
 لِي الْبَشَارَةُ أَحْلَامِي بِكُمْ صَدَقْتَ
 وَبِالرِّضَا أَحْسَنَ الْأَحْوَالِ قَدْ نَطَقْتَ
 وَكَانَ مَا صَارَ بِالْحَسَنِ الَّتِي سَبَقْتَ
 وَهَذِهِ لَيْلَةٌ مِنْ لَوْلَوْ خُلِقْتَ حَسَنًا وَإِنْ ظَهَرْتَ فِي صَبْغَةِ السَّبْجِ ^(١)
 أَكْرَمَ بِهَا لَيْلَةً عَظُمْتَ حَرَمَتُهَا
 وَدَمْتَ أَشْكُرُ مَهْمَا عَشْتَ نَعَمَتُهَا
 وَلَمْ أَخْفَ مِنْ صُرُوفِ الدَّهْرِ تَقَمَّتُهَا
 جَلْتَ ثَنَائِيكَ ذَاتَ الظُّلْمِ ظَلَمَتُهَا وَلَمْ يَكْلَهَا لُضْوَاءُ الشَّمْعِ وَالسَّرْجِ
 لَمَّا تَجَنَّبْتَ عَنْ عِلْمِي وَعَنْ عَمَلِي
 شَوْقًا لِرُؤْيَاكَ يَا سُولِي وَيَا أَمَلِي
 أَفْنَى فَنَاكَ فَنَائِي وَانْقَضَى أَجَلِي
 فَصَارَ ثَبَتُكَ فِي مَحْوِيٍّ يَحْقُقُ لِي إِحْيَابُ سَلْبِي مِنْ سِتْرٍ وَمِنْ هِجِ ^(٢)
 وَمَذْ تَجَلَّيْتُ فِي كُلِّ الْمَظَاهِرِ لِي
 وَوَلَّاحَ مَعْنَاكَ لِي فِي السَّهْلِ وَالْجَبَلِ

(١) السبجة : الكساء الأسود .

(٢) في (س) : « من سير ومن نهج » .

حققت رؤياك كشفا بالعيان جلي
فلم أقل للصبا من بعدها احتملي للحي شخصي ولا لي في الخيام لجي

١٨٤٠ - محمود بن سلمان بن فهد*

الشيخ الإمام العالم العلامة الأديب الكامل البارع الناظم الناثر القاضي الرئيس
الجليل شهاب الدين أبو الثناء الحلبي الدمشقي الحنبلي ، صاحب ديوان الإنشاء
بدمشق .

سمع من الرضي بن البرهان ، ويحيى بن عبد الرحمن بن الحنبلي ، والشيخ
جمال الدين بن مالك ، وابن هامل المحدث ، وغيرهم . وكان يذكر أن له إجازة من
يوسف بن خليل ، وتفقه على ابن المنجا وغيره . وقرأ العربية على ابن مالك ، وتأدب
بالشيخ مجد الدين بن الظهير الإربلي الحنفي ، وسلك طريقه في النظم وحذا حذوه
وأربى عليه ، وإن كان قد تلا تلوّه ، لأنه كان إذا نظم أخذ الكلمات حروفا ، فإذا
ركبها صارت في الأذان شنوفا ، يرشف السمع منه مدامه ، ويتعلم التغريد منها
الحمامة ، ويُسطرها فيرى الناس بديرها وقد استفاد تمامه ، وزهرها وقد شق الربيع
كامه ، وروضها وقد جادته الغمامة . وإذا نثر فضح الدر في السلوك ، ورصعه في تيجان
الملوك ، فكَم من تقليد هو في يد صاحبه للسعد إقليد ، وكَم منشور^(١) فيه توليد ، وهو
بوجنة السيادة توريد ، وكَم من توقيع هو قنديل^(٢) يضيء لمن حواه أو هو في كأس
مسرته قنديد^(٣) . وخطه من أين للوشي رقه أو للعقد نظمته أو للروض زهره أو

* الفوات : ٨٢/٤ ، والبداية والنهاية : ١٢٠/١٤ ، والدرر : ٢٢٤/٤ ، والشذرات : ٦٩/٦ ، وذبول العبر :
١٤٠ ، والنجوم : ٢٦٤/٩ .

(١) في (س) : « وكَم من منشور » .

(٢) (س) : « من قنديل » .

(٣) القنديد : عسل قصب السكر ، معرب .

لطرف الحبيب سحره ، أو للنجوم طرائقه ، أو لخطوط إقليدس دقائقه ، أو للفكر الصحيح حقائقه ، قد نثق أوضاعه المتأثقة ، ونسخ محاسن من تقدمه بحروفه المحققة :

يَنْمُنِمُ الْخَطَّ لَا يَجْتَابُ أَحْرَفَهُ والوشي مها حكاها منه يجتابُ
لو لم يكن مستقيما بعدما سجدت فيه المعاني لقلت السطر محرابُ
أملى تصانيف في أكملها ثمر تجنيه بالفهم دون الكف ألبابُ

وكان - رحمه الله تعالى - ممن أثقن الفنين نظما ونثرا ، وبرع في الحالين بديهة وفكرا . وكان هو يزعم أن نثره أحسن من نظمه ، وأن بذره فيه أكمل منه في تمه .

والذي أراه أنا ، وأبرأ فيه من العناية والعنا ، أن نظمه أعذب في الأسماع ، وأقرب إلى انعقاد الإجماع ، لأنه انسجم تركيباً وازدحم تهديبا ، فسحر الألباب ، ودخل بالعجب من كل باب ، وإن كان نثره قبد جوده ، وأجراه على قواعد البلاغة وعوده ، فإن شعره أرفع من ذلك طبقة ، وأبعد شأواً على من رام أن يلحقه ، وهو يحدو فيه حدوسبط التعاويذي . وقصائده مطولة فائقة ، ليس يرتفع فيها ولا ينحط ، بل هي أنموذج واحد ليس فيها ما يرمى . ولم يكن بغواص على المعاني ولا يقصد التورية ، فإنها جاءت في كلامه قليلة ، ومقاطيعه قليلة ، ولكن قصائده طويلة طائلة هائلة ، لعلها تجيء في ثلاثة مجلدات أو أربعة ، ولم يجمعها أحد ، وهي كما قال ابن الساعاتي :

ناطقات بكل معنى يضاهاي نكت السحر في عيون السلاح
من نسيب يهز عاطفة المح سد ومدح يلين قلب السباح^(١)

وأما نثره فيجيء في ثلاثين مجلدة . وكان أخيراً بالديار المصرية ، يُنشئ هو ويكتب ولده القاضي جمال الدين إبراهيم ، فيجيء للنشور أو التوقيع فائقا في خطه ولفظه .

وعلى الجملة فلم أر من يصدق عليه اسم الكاتب غيره ، لأنه كان ناظما ناثرا ، عارفا

(١) في الأصل : « وعبد » ، وأثبتنا ما في (س) .

بأيام الناس وتراجهم ومعرفة خطوط الكتّاب ، وله الروايات العالية بأمهات كتب الأدب وغيره ، ورأى الأشياخ وأخذ عنهم . وعُيّن في وقت بالديار المصرية لقضاء الحنابلة .

وهو - رحمه الله تعالى - أحد الكلمة الذين عاصرتهم وأخذت عنهم . وكان يكتب الإنشاء أولاً بدمشق ، ثم إن صاحب شمس الدين بن السلعوس^(١) نقله إلى الديار المصرية لما توفي القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر ، وتقدم ببلاغته وكتابته وإنشائه وسكونه وتواضعه^(٢) .

وأقام بالديار المصريّة إلى أن توفي القاضي شرف الدين بن فضل الله بدمشق ، فجُهِز مكانه إلى دمشق صاحب ديوان الإنشاء ، فأقام بها إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - ليلة السبت ثاني عشري شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة بدار الفاضل بدمشق داخل باب الناطقانيين^(٣) ، وصُلّي عليه ضحى يوم السبت بالجامع الأموي ، وصلى عليه نائب الشام الأمير سيف الدين تنكز والأعيان برّا باب النصر ، ودفن التي عمرها لنفسه بالقرب من مسجد ابن يغمور^(٤) ، وصُلّي عليه بمكة والمدينة .

ومولده في شعبان سنة أربع وأربعين وست مئة .

وكان محباً لأهل الخير والصالحين ، مواظباً على النوافل والتلاوة والأدعية ، يستحضر ذلك ، ويذكر للوت دائماً ، وعنده خوف من الله - تعالى - وعليه سكينه كبيرة^(٥) ووقار .

(١) قوله : « ابن السلعوس » ، ليس في (س) .

(٢) في (س) زيادة : « وكتب الإنشاء مدة خمسين سنة بالشام ومصر » .

(٣) أحد أبواب الجامع الأموي في الجهة الشمالية ، ووقع في الأصل : « الناطقانيين » ، تصحيف .

(٤) جمال الدين موسى بن يغمور الباروقي ، كان من جلة الأمراء ، وولي نيابة مصر ونيابة دمشق (ت)

٦٦٣ هـ) ، العبر : ٢٧٤/٥ ، والدارس : ٤٩٩/١ - ٥٠٠ .

(٥) في (س) : « كثيرة » .

ولَمَّا مات رحمه الله تعالى كنت بالديار المصيرية فقلتُ أرثيه ، ولم أكتب بها إلى أحد :

ما حُزنُ قلبي في البَلوى بِمحدودٍ ولا فؤادي في السَّلوى بِمعدودٍ
فلا تَندمُ امرأُ يَبكي الدِّماءَ على أبي الثَّنَاءِ شهاب الدِّين محمودٍ
ياساري اللّيلِ يَبغي الفضلَ مُجتهداً ارجع وخطَّ عن المهرية القود^(١)
مات الإمامُ الَّذي كُنّا نؤمُّ له فيما نؤمُّله من غيرِ تَفْنيدٍ
وأقفرَتْ ساحةُ الآدابِ وأنْدرستُ معالمُ العِلْمِ منه بعدَ تَشْييدٍ
أما ترى كيفَ كُتِّبَ الأَنامُ غَدَتْ أوراقُهُم وهي فيه ذاتُ تَسويدٍ
هو الإمامُ الَّذي لَمّا سَمّا كَرَمًا أَلَقْتُ إليه المعاني بالأقاليد^(٢)
طوفانِ علمٍ جَرَتْ فيه السِّفينةُ من آدابهِ واستَوَت منه على الجودي^(٣)
فليسَ باغي معاليه بذِي ظَفِرٍ وليسَ راجي أياديه بِمزدودٍ
كأنَّ أَقلامَهُ في الكَفِّ بآنَ نَقَى حَافِئِ السَّجْعِ منها ذاتُ تَغْرِيدٍ
فَرجِع الطُّرسَ من نَقشٍ عليه بَدَا كأنَّه نَقَشُ كَفِّ الكاعِبِ الرُّود^(٤)
كمَ قَلَدَ الدَّهرُ عقداً مِن قِصائِدِهِ بِدَرِّ لَفْظٍ بَدِيعِ الرِّصْفِ مَنزودٍ
وكمَ حَبَا المَلِكُ تيجانَ البَلاغَةِ من تِلْكَ التَّوَالِيحِ أو تِلْكَ التَّقَالِيدِ
وكمَ أَفَادَ المعاني مِن بَلاغَتِهِ ما زانَها باختِراعاتٍ وتوليدٍ
فَصَالَ إِذْ صَانَ سِرَّ المَلِكِ مُنْفَرِداً على الأَعادي بِكَيْدٍ غيرِ مَكْدودٍ
فلا قِوامَ القِنا يَهْتَزُّ مِن مَرَحٍ ولا خُدودِ المواضي ذاتُ تَوْرِيدٍ
وليسَ يَسْمَعُ للأبطالِ هَمَّهُمةً رعوها خارَ منها كلُّ رِغْدِيدٍ
تَدييرُ مِن حَلَبِ الأَيامِ أَشطَرها مَهذَّبِ الرّأيِ في عَزمٍ وتَسديدٍ

(١) القود من الإبل : اللقادة للذلة ، والمهرية : المهورية بالحمرة .

(٢) (س) : « سَمّا أدباً » .

(٣) اقتبس من قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ ﴾ [هود : ٤٤/١١] .

(٤) مخففة من الرُّود ، وهي المرأة الشابة الحسنه .

أَرَأَهُ إِنْ قَامَ ذُو فَضْلٍ بِمَنْصِبِهِ
أَمَّا تَرْسُلُهُ السَّهْلَ الْبَدِيعَ فَقَدْ
أَنَسَى الْأَنَامَ بِهِ عَبْدَ الرَّحِيمِ كَمَا
تَرَاهُ إِنْ أَعْمَلَ الْأَيَّامَ مَرْتَجِلًا
يُعْمَلُ وَيَكْتَبُ مِنْ رَأْسِ الْيَرَاعِ بِلَا
إِذَا سَمِعْنَا قَوَافِيهِ وَقَدْ نَجَزَتْ
شَاعَتْ فَضَائِلُهُ فِي النَّاسِ وَاشْتَهَرَتْ
يَا مَنْ رَجَعْتُ بِهِ فِي النَّاسِ مَعْرِفَةً
سَاعَدَتْ فِيكَ حَامُ الْأَيْكَ نَائِحَةً
لَهْفِي عَلَيْكَ وَهَلْ يُجْدِي التَّلَهُّفُ أَوْ
وَحَرْقِي فِيكَ لَا يُطْفِئُ تَلَهُّهَا
فَلَا جَفَتْ قَبْرُكَ الْأَنْوَاءَ وَانْسَجَمَتْ

قَالَ الْبَيَانُ لَهُ قُمْ غَيْرَ مَطْرُودٍ
أَقَامَ فِي شَاهِقِ النَّجْمِ مَعْقُودٍ
رَاحَ الْعِمَادُ بِقَلْبٍ غَيْرِ مَعْمُودٍ^(١)
قَالَ الْبَيَانُ لَهَا يَا سُحْبَنَا جُودِي
فَكَّرِ فَيَأْتِي بِسَحْرِ غَيْرِ مَعْمُودٍ
تَقُولُ مِنْ طَرَبِ أَلْبَابِنَا عِيْدِي
وَبَاتَ يُنْشِدُهَا الرُّكْبَانُ فِي الْبِيدِ
مِنْ بَعْدِ مَا زَالَ تَنْكِيرِي وَتَنْكِيدِي
فَقَصَّرَتْ فِيكَ عَنْ تَعْدَادِ تَعْدِيدِي
يَفِكَ أَسْرَفُؤَادٍ فِيكَ مَصْفُودٍ
دَمْعِي وَلَوْ سَالَ فِي خَدِّي بِأَخْذِ
عَلَيْهِ يَا خَيْرَ ذِي صَمْتٍ وَقَدْ نُودِي

وكنْتُ قد قرأت عليه (المقامات الحريرية) وانتهيت منها إلى آخر المقامة الخامسة والعشرين في سنة ثلاثة وعشرين وسبع مئة ، فكتب هو عليها : قرأ عليّ المولى الصدر فلان الدّين ، نفعه^(٢) الله بالعلم ونفع به ، من أوّل كتاب المقامات إلى آخر الخامسة والعشرين قراءة تطرب السامع^(٣) وتأخذ من أهواء القلوب بالمجامع ، وسأل منها عن غوامض تدلّ على ذكاء خاطره المتّقد ، وصفاء ذهنه العارف منه بما ينتقي وينتقد .. وَرَوَيْتُهَا لَهُ عَنِ الشَّيْخِ الْإِمَامِ مُحَمَّدِ الدِّينِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ^(٤) بْنِ الظَّهِيرِ

- (١) في (س) : « منه معمود » . وعبد الرحيم هو القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي (ت ٥٩٦ هـ) ، سلفت الإشارة إليه . والعماد هو الكاتب ، محمد بن محمد بن حامد (ت ٥٩٧ هـ) ، الوافي : ١٣٢/١ .
- (٢) في الأصل : « نفع » ، وأثبتنا ما في (س) .
- (٣) في (س) : « المسامع » .
- (٤) (س) : « مُحَمَّدٌ » ، سهو . انظر : فوات الوفيات : ٣٠١/٣ ، وسلفت الإشارة إليه .

الإزبلي ، وساق سنده إلى الحريري ثم إنه كتب لي على آخرها وقد كملت قراءتها عليه بدمشق في ثاني عشر شهر الله المحرم سنة أربع وعشرين وسبع مئة :

قرأ عليّ المولى الصدر الكبير الرئيس العالم الفاضل المُنْتَقِن المَجِيد نظماً ونثراً المحسن في كلّ ما يأتي به من الأنواع الأدبيّة بديهةً وفكراً .. فلانّ الدّين نفعه الله بالعلم ونفع به^(١) كتاب (المقامات الحريرية) قراءة دلّت على تمكنه من علم البيان واقتداره على إبراز عقائل المعاني المستكنّة في خدور الخواطر مجلّوة لعيان الأعيان . وإنه استشفّ أشعة مقاصدها بفكره المتقدّ ، وفرّق بين قيم فرائدها بخاطره المنتقد ، فما تجاوز مكاناً إلّا وأحسن الكلام في حقيقته ومجازه ، ولا تعدّى بياناً إلّا وأجمل المقال في ترده^(٢) . البلاغة بين بسط القول فيه وإيجازه ، ورؤيته له عن فلان ، وذكَر السند على العادة .

وكتب هو لي أيضاً على كتاب (الحماسة) :

قرأ عليّ الصدر فلان الدّين قراءة مطّلع من البلاغة على كنوزها^(٣) ، مميّز في الصناعة بين لجّين بديعها وإبريزها ؛ باحثٍ عن إبراز^(٤) مقاصدهم التي لا توجد في كلام من بعدهم ، عالمٍ بقيم فرائدهم التي إذا ساواها بغيرها تُقّاد الأدباء بسرح الامتحان والسبك تقدّم . ثم ذكر سنده فيها ، على العادة .

وكتب هو أيضاً على كتابه (أهنا المنائح^(٥) في أسنى المدائح) مما نظمته هو [في]^(٦) مديح رسول الله ﷺ :

(١) زيادة من (س) ، (ط) .

(٢) في الأصل : « تردد » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) في (س) ، (ط) : « مواضع كنوزها » .

(٤) (س) : « أسرار » .

(٥) في الأصل : « المدائح » ، تحريف ، والكتاب مطبوع .

(٦) زيادة من (س) .

قرأ عليّ المولى الصدر فلان الدّين أيّده الله تعالى هذا الكتاب والزيادات ^(١) الملحقّة في آخره من نظمي أيضاً قراءة دلّت على وفور علمه ، وثبّت ^(٢) رويّته في استنباط المعاني وقوّة إدراكه وسرعة فهمه ، وشهدتُ بتمكّنه في هذه الصّناعة ، وأنبأتُ عما يُجرّيه ^(٣) فكره من مواد البراعة على لسان اليراعة ، وأذنتُ له أن يرويها عني ، وغيرها ممّا قرأه عليّ وما لم يقرأه من نظمي ونثري ومسموعاتي وإجازاتي .

وكتبتُ أنا في آخر كتابه (حسن التّوسل إلى صناعة التّرسّل) ^(٤) بعدما قرأته عليه في شهر رجب سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة : قرأت هذا الكتاب على مصنّفه الشيخ الإمام :

| | |
|--|--|
| العالمُ العلامَةُ الحَبْرُ الذي | بَهَرَتْ عَجَائِبُهُ بَنِي الآدَابِ |
| وَدَنَتْ لَدَيْهِ الْمَشْكَلَاتُ وَطَالَمَا | جَمَعَتْ أَوَابِدُهَا عَلَى الطُّلَابِ |
| مِنْ كُلِّ قَافِيَةٍ تَهَزُّ مَعَاطِفَ الدِّ | أَيَّامٍ مِنْ سَكْرٍ بِغَيْرِ شَرَابِ |
| وَرِسَالَةٍ غَلَبَتْ عَقُولَ أُولَى النُّهَى | وَتَلَعَّبَتْ بِالسَّحْرِ لِأَلْبَابِ ^(٥) |
| الْأَلْمَعِيِّ أَخِي الْفَوَاضِلِ وَالنَّدَى | الْكَامِلِ الْأَدَوَاتِ وَالْأَسْبَابِ |

المفوّه ، للدّبّر ، للشّير ، للسفير ، عَيْنُ الْمُلْكِ ^(٦) ، عَيْنُ الْمُلُوكِ وَالسُّلَاطِينِ ، شهاب الدين أبي الثناء محمود صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس :

| | |
|------------------------------------|--|
| لَا بَرَحَتْ أَبْكَارُ أَفْكَارِهِ | تُجَلِّي لَنَا فِي حَبْرِ الْحَبْرِ |
| وَرَوْضَةُ الْآدَابِ مَقْتَرَةٌ | مِنْ لَفْظِهِ عَنِ يَمَانِعِ الزَّهْرِ |

(١) (س) : « والزيادة » .

(٢) في الأصل : « وثبتت » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٣) في الأصل : « يجرّيه » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٤) من أشهر كتب الإنشاء ، مطبوع .

(٥) في (س) : « للسحر بالألّباب » .

(٦) العين ههنا بمعنى العين ، وهذه العبارة : « عَيْنُ الْمُلْكِ » ليست في (س) .

ابن المولى الولي^(١) الصالح السعيد زين الدين سلمان بن فهد رحمه الله تعالى في مجالس آخرها التاريخ المذكور ، وقد رأى أن ينظمني في سلك خَدَمِهِ وَيُفِيضَ عَلَيَّ كَأَفَاضَ عَلَيْهِمْ مَلَابِسَ نَعْمِهِ ، وَيَحْشُرُنِي فِي زَمْرَةِ الْآخِذِينَ عَنْهُ وَيُقْبِسُنِي أَنْوَارَ كَالِهِ فِي التَّهْذِيبِ الَّذِي لَمْ تَطْمَحِ النَّفْسُ الْأَدْبِيَّةُ أَنْ تَقْبِسَهَا إِلَّا مِنْهُ .

وكتبتُ أنا على أول هذا الكتاب :

| | |
|---|--|
| إِذَا كُنْتَ بِالْإِنْشَاءِ حُلْفَ صَبَابَةٍ | قَمْتُ وَأَتَّخِذُ حَسْنَ التَّوَسُّلِ وَاسِطَةً |
| بِهِ خَتَمَ الْأَدَابِ مُنْشِيَهُ لِلدَّوَرِ | وَلَكِنْ غَدَا فِي ذَلِكَ الْعَقْدِ وَاسِطَةً ^(٢) |
| إِمَامٌ لَهُ فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ بَسْطَةٌ | وَكَفَّ غَدَتِ فِي سَاحَةِ الْفَضْلِ بِاسِطَةً |
| فَطُوبَى لِمَنْ أَضْحَى نَزِيلَ مَقَرِّهِ | وَقَابَلَهُ يَوْمًا وَقَبْلَ بِاسِطَةٍ |

فلما وقف هو عليها كتب إلي رحمه الله تعالى :

| | |
|--|---|
| أَذَا الدُّرُّ أَمْ ذَا الزَّهْرُ لَوْ كَانَ حَاضِرًا | مَحَاسِنُهُ حَسَّانَ أَصْبَحَ لَاقِطَةً |
| وَذَا الْبَدْرُ حَيْثُ الْبَدْرِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ | عَلَى حَبِّهِ أَطْيَارُ عَقْلِي سَاقِطَةً |
| تَقَضَّلْتُ غَرْسَ الدِّينِ لَمَّا تَقَبَّلْتُ | عُلُومَكَ أَعْمَالًا مِنَ النِّقْصِ حَاطِطَةً |
| وَشَيْدَتْ إِذْ قَيَّدْتَ فِينَا ضَوَابِطًا | قَوَاعِدَهَا لَوْلَا وَجُودُكَ هَابِطَةً |

وقرأتُ عليه بعض (ديوان أبي الطَّيِّب) . وقرأتُ عليه (ألفية ابن مالك) ورواها لي عن المصنّف .

ولمَّا قرأتُ عليه قوله في كتاب (حَسَنُ التَّوَسُّلِ) :

| | |
|---|--|
| فَلَمْ أَرِ مِثْلَ نَشْرِ الرُّوضِ لَمَّا | تَلَقَيْنَا وَبنتَ الْعَامِرِيَّ |
| جَرَى دَمْعِي وَأَوْمَضَ بَرَقَ فِيهَا | فَقَالَ الرُّوضُ فِي ذَا الْعَامِ رِيَّي |

(١) (س) : « الشيخ » .

(٢) بعد هذا البيت فقد ما يقارب ثلاث أوراق من (س) .

أخذتُ في الزهزة لما في هذين البيتين من الجناس المركب ، وبالغتُ في الثناء عليها فقال لي : خذ نفسك بنظم شيء في هذه المادة ، فامتنعتُ فقال : لا بدَّ من ذلك ، فغبت عنه يومي ، وجئته في اليوم الثاني وأنشدته لنفسي في هذه المادة :

بقول الشّافعيّ اعمل تحقّق منّاك فما ترى كالشّافعيّ
فكم في صحبته من بحر علم ومن خبرٍ ومن كشّافٍ عي

فقال : حسن ، وعجّبَ بهما الحاضرين . ثم قال : إلا أن قافيتي أنا رائيّة ، فغبت عنه يومي وأتيتّه في غد ، وأنشدته لنفسي :

أرى في الجودريّة ظبي أنس فيا شغفي به من جو دري
لبارق فيه سحتٌ سحبٌ دمعي فقال الروضُ إنّ الجودري
وأنشدته لنفسي أيضاً :

أقول لمقلتي لَمّا رمت في فؤادي حشرةً من عنبري
سلمت وبات قلبي في عذاب ألم يخشى فؤادك عن بري^(١)

فقال : حسنٌ لسن^(٢) ، وزاد في الإعجاب بذلك ، ثم قال : إلا إن قافيتي أنا مؤسّسة ؛ يعني أن فيها الألف ، فأتيتّه في اليوم الثاني وأنشدته لنفسي أيضاً :

مليك كم سحاب سحّ لي من نداه الهامعيّ الهامريّ
وقال السيف في يميناه لَمّا رأى الأعداء : من ذا الهام ريّ

فقال : أجذت ، ولكن أنا بيتاي في غزل ، وهذان في مديح ، فغبت عنه يومي ، وجئته في اليوم الثاني وأنشدته لنفسي :

(١) كذا في الأصل و (ط) ، ليستقيم الوزن .

(٢) اللّسن : الفصح . والمشهور في هذا السياق : حسنٌ بسنّ على الإتياع .

مَلِيحٌ جَاءَ بَعْدَ الْحَجِّ يُذَكِّي غَرَامِي بِالنَّسِيمِ الْحَاجِرِي
تَلَطَّطَ مِنْهُ أَشْوَاقِي بِقَلْبِي وَقَالَتْ : عِنْدَ هَذَا الْحَاجِ رِيي

فزاد في تقرّظها والثناء عليها ، فقلت : يا سيدي ، والله ما يلحقك أحد في بيتك ، ولو كان المطوّعي^(١) أو البّستي^(٢) . قال : وَلِمَ ذَاكَ^(٣) ؟ قلت : لأنك شاعرٌ مُجِيدٌ فَحَلَّ وَقَعْتَ عَلَى الْمَعْنَى بَكَرًا فَلَمْ تَدْعِ^(٤) فَضْلَةَ لَغَيْرِكَ لِيَأْتِي بِهِ^(٥) فِي تَرَائِيكَ الْعَذْبَةِ الْفَصِيحَةِ وَمَعْنَاهُ الْحَسَنُ الْبَلِيغُ ، فَبَالِغٌ فِي الْجَبْرِ وَالصَّدَقَةِ .

وَأُنْشِدُنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ :

قُلْ لِي عَنِ الْحَمَامِ كَيْفَ دَخَلَتْهَا يَا مَالِكِي لَيْسَ خِلًا مُشْفِقًا^(٦)
أَدْخَلَتْهَا وَأَوْلَيْكَ الْأَقْوَامُ قَدْ شَدُّوا الْمَآزِرَ فَوْقَ كَثْبَانِ النَّقَا

فاستحسنتهما ، وأنشدته لنفسه مضمّنًا في اليوم الثاني :

مَلِيحٌ أَتَى الْحَمَامَ كَالْبِدْرِ فِي الدُّجَا وَمَسَمَهُ يُزْرِي بِزَهْرِ الْكَوَاكِبِ
وَأَرْدَأْفُهُ مِنْ تَحْتِ مُزْرِهِ حَكَتْ بَيَاضَ الْعَطَايَا فِي سَوَادِ الْمَطَالِبِ

فأعجبه هذا التضمين كثيرًا ، وأنشدني يوماً له :

إِذَا كَانَ مَنْ أَهْوَاهُ رَوْحِي وَرَاحَتِي وَلُقِيَاهُ أَرْجَى مِنْ حَيَاتِي وَأَرْجَحُ
وَأُظْهِرُ مِنْهُ الزَّمَانَ بِفَقْدِهِ فَلَا شَكَّ أَنَّ الْمَوْتَ أَرَوَى وَأَرْوَحُ

فاستحسنتهما ، وأنشدته لنفسه في اليوم الثاني :

(١) عمر بن علي ، شاعر رقيق من أهل نيسابور ، (ت ٤٤٠ هـ) . الأعلام : ٥٥/٥ .

(٢) علي بن محمد ، شاعر عُثَيّ بالتجنيس ، (ت ٤٠٠ هـ) ، وفيات الأعيان : ٣٧٦/٣ .

(٣) في الأصل : « ماذا » ، وأثبتنا ما في (ط) .

(٤) في (ط) : « تدع فيه .. » .

(٥) قوله : « ليأتي به » مطموس في الأصل .

(٦) في الفوات : « يا صاحي » .

لئن كان ما بيَ عنك في الحبِّ خافياً فلاشـك أن الله أعلى وأعلم
وإن كنتَ في إنسانٍ عيني ممثلاً ففي خاطري ذكراك أغزى وأغرم
وإن كنتَ أذكيّتَ الجوى بمدامعي فنارُ الهوى في القلبِ أضرى وأضرم
وإن كنتَ تختارُ لاني في ميثقي فوالله إنَّ للوَتِ أسلى وأسلم

فقال : نفَسٌ جيّد دالٌّ على التمكن والقُدرة ، ولكن اجتهد إذا عارضت أحداً أن يكون قولك في وزنه ورويّه ، فأنشدته في اليوم الثاني :

لئن طلبتُ نفسي السُّلُو عن الأذي تَلِفْتُ بهِ فالصبرُ أنجى وأنجَحُ
فقلِّ للحيا الهتانِ أمسيك ولا ترم مُساجَلتي فالدمعُ أسمى وأسمَحُ

فقال رحمه الله تعالى : أجدتَ بارك الله فيك .
وأنشدني يوماً لنفسه قوله :

عَرِيبٌ سَبَّوا نومي ولم تدرِ مَقَلَّتِي كما سَلَبوا قلبي ولم تَشْعُرِ الأَعْضا^(١)
وطَلَّقتُ نومي والجفونَ حوامِلَ فمن أجلِ ذا في الخدِّ أبقتَ لها فرضا

فغبتُ عنه وأنشدته في اليوم الثاني :

سنتَ السُّهَادَ بمنعِ الكرى فأظهرتَ في حالةٍ بدعتين
وصيرتَ تكرارَ دَمعي على خُدودي من فوقها فرضَ عَيْنِ

فأعجباه كثيراً .

وأنشدني قوله أيضاً مما كتب به إلى الملك المظفر صاحب حماة :

أملتُ أنكَ لا تزالُ بِكُلِّ مَنْ نَـاواكَ من كلِّ الأنعامِ مُظفراً
ورَجَوْتُ أن تَطأَ الكواكبَ رِفْعَةً مِن فوقِ أعناقِ الورى وكذا جرى^(٢)

(١) في الفوات : « كما سكنوا » .

(٢) (ط) : « الردى » .

فغبتُ عنه وأنشدته في اليوم الثاني :

أَمَلْتُ أَنْ تَتَعَطَّفُوا بِوَصَالِكُمْ فَرَأَيْتُ مِنْ هَجْرَانِكُمْ مَا لَا يُرَى
وَعَلِمْتُ أَنْ بَعَادَكُمْ لَا بُدَّ أَنْ يَجْرِي لَهُ دَمْعِي دَمًّا وَكَذَا جَرَى
فَأَعْجَبَاهُ كَثِيرًا وَزَهْرَةً لَهَا .

وأنشدني من لفظه لنفسه يعارض ابن الخيمي ^(١) :

قَضَى ، وَهَذَا الَّذِي فِي حُبِّهِمْ يَجِبُ فِي ذِمَّةِ الْوَجْدِ تِلْكَ الرِّوْحَ تَحْتَسِبُ
مَا كَانَ يَوْمَ رَحِيلِ الْحَيِّ عَنْ إِضْمٍ لِرُوحِهِ فِي بَقَاءٍ بَعْدَهُمْ أَرْبُ
صَبَّ بَكَى أَسْفَاءَ وَالشَّمْلُ مُجْتَمِعٌ كَأَنَّهُ كَانَ لِلتَّفْرِيقِ يَرْتَقِبُ
نَاوًا فَذَابَتْ عَلَيْهِمْ رُوحُهُ أَسْفَاءَ مَا كَانَ إِلَّا النَّوَى فِي حَتْفِهِ سَبَبُ ^(٢)
طُوبَى لِمَنْ لَمْ يَسِدِّلْ دِينَ حُبِّهِمْ بَلْ مَاتَ وَهُوَ إِلَى الْإِخْلَاصِ مُنْتَسِبُ
لَوْ لَمْ يَمُتْ فِيهِمْ مَا عَاشَ عِنْدَهُمْ حَيَاتُهُ مِنْ وَفَاةِ الْحَبِّ تَكْتَسِبُ
بَانُوا فِي الْحَيِّ مَيِّتٌ نَاحَ بَعْدَهُمْ وَرُقُّ الْحَمَامِ وَسَحَّتْ دَمْعُهَا السُّحْبُ ^(٣)
وَشَقَّ غَصْنَ النَّقَا مِنْ أَجْلِ حَزْنَا جُيُوبَهُ وَأَدِيرَتْ حَوْلَهُ الْعُذْبُ
وَشَاهَدَ الْغَيْثُ أَنْفَاسًا يَصْعَدُهَا فَعَادَ وَالْبَرْقُ فِي أَحْشَائِهِ لَهْبُ
لَوْ أَنْصَفُوا وَقَفُوا حِفْظًا لِمُحِبَّتِهِ إِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى قَتْلِ الْهَمَى قُرْبُ
يَا بَارِقَ الثَّغْرِ لَوْ لَاحَتْ ثُغُورُهُمْ وَشِمْتُ بَارِقَهَا مَا فَاتَكَ الشَّنْبُ
وَيَا قَضِيبَ النَّقَا لَوْ لَمْ تَجِدْ خَبْرًا عِنْدَ الصَّبَا مِنْهُمْ مَا هَزَكَ الطَّرْبُ
وَيَا حَيَا جَادَهُمْ إِنْ لَمْ تَكُنْ كَلْفًا « مَا بَالُ عَيْنِيكَ مِنْهَا الْمَاءُ يَنْسَكِبُ » ^(٤)

(١) شهاب الدين محمد بن عبد المنعم بن محمد (ت ٦٨٥ هـ) الوافي : ٥٠/٢ ، وقصيدة الشهاب عمود الآتية

وكذا ما أنشأه المؤلف لنفسه مبيتان في ترجمة ابن الخيمي هذا .

(٢) في الوافي : « كدأ » .

(٣) في الوافي : « له الحمام » .

(٤) في الوافي : « منسكب » ، وهذا الشطر مطلع قصيدة لذي الرمة والبيت بتمامه : =

بِاللّهِ يَا نَسَمَاتِ الرِّيحِ أَيْنَ هُمْ
بِاللّهِ لَمَّا اسْتَقَلُّوا عَنْ دِيَارِهِمْ
وَهَلْ وَجَدْتَ فَوَادِي فِي رِحَالِهِمْ
نَأَوْا غِضَاباً وَقَلْبِي فِي إِسَارِهِمْ
عَسَاكَ أَنْ تَعْطِفِي نَحْوِي مَعَاطِفَهُمْ
وَإِنْ رَجَعْتَ إِلَيْهِمْ فَادْكُرِي لَهُمْ
ثُمَّ اذْكُرِي سَفْحَ دَمْعِي فِي مَعَاهِدِهِمْ
وَهَلْ نَأَوْا أَوْ دَمْعِي دُونَهُمْ حُجْبُ
أَحْنَتِ الدَّارِ مِنْ شَوْقِ أُمِّ النُّجْبِ
فِيَّانَهُ عِنْدَهُمْ مِنْ بَعْضِ مَا سَلَبُوا^(١)
يَا لَيْتَهُمْ غَضَبُوا رُوحِي وَلَا غَضَبُوا
فَالْغَصْنَ بِالرِّيحِ يَنَأَى ثُمَّ يَقْتَرِبُ
أَنْتِي شَرَقْتَ بَدَمْعِ الْعَيْنِ مَدَّ غَرَبُوا^(٢)
لَا يُذَكِّرُ السَّفْحَ إِلَّا حَنَ مَغْتَرَبِ^(٣)

قلتُ : فأعجبتني هذه القصيدة وهزّت أعطافي طرباً ، لما هزأت بالروض وقد مرّت به نسمة الصّبا وفارقتّه . وتوفي رحمه الله تعالى فأنشدتها يوماً بالقاهرة لبعض الأوصحاب الأفاضل فألزميني بنظم شيء في هذه المادة ، فاستعفيت ، فلم يسعف بالإعفاء ، فقلتُ مع اعترافي بأنه شهاب في أوجه ، وأنا في حضيض من الحظ :

يَا حَاجِرَةً مُذْ نَأَوْا قَلْبِي بِهِمْ يَجِبُ
سِرَّتُمْ وَقَلْبِي أَسِيرٌ فِي حُمُولِكُمْ
وَأَيُّ عَيْشٍ لَهُ يَصْفُو بِبُعْدِكُمْ
نَاحَتْ عَلَيَّ حَمَامَاتُ اللَّوَى وَوَنَتْ
وَلَوْ قَضَى مَا قَضَى بَعْضَ الَّذِي يَجِبُ^(٤)
فَكَيْفَ يَرْجِعُ مُضْنَاكُمْ وَيَنْقَلِبُ
فَالْجِسْمُ مُنْسَبِكٌ وَالِدَمْعُ مُنْسَكِبُ^(٥)
وَلَوْ رَثْنِي مَا فِي فِعْلِهَا عَجَبُ

= مابال عينك منها الماء ينسكب كأنه من كلِّ مفرّبة سرب

ديوانه ص : ٩ .

(١) في (ط) والوافي : « في بعض » .

(٢) في الوافي : « فاذكروا خبري » .

(٣) في الأصل : « حين يغترّب » ، وفي (ط) : « مغترّب » ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٤) وجب القلب : خفق .

(٥) كنا في الأصل و (ط) ، وهو ملفق من بيتين كما في الوافي ، وهما :

وَأَيُّ عَيْشٍ لَهُ يَصْفُو بِبُعْدِكُمْ وَالْقَلْبُ مُضْطَرِبُ الْأَحْشَاءِ مُضْطَرِبُ
أَضْرَمْتُمْ نَارَ أَشْوَاقِي بَيْنَكُمْ فَالْجِسْمُ مُنْسَبِكٌ وَالِدَمْعُ مُنْسَكِبُ

ولو رثني ما في فعلها عجب^(١)
فكلُّه مقلّ بالدمع تنسكب^(٢)
وزد عسى أن يخفّ الوجد والوصب^(٣)
وأن طرفي لضيف الطيف يرتقب^(٤)
عساي أن يهبوا لي بعض ما نهبوا
واشك الهوى والنوى قد ينجح الطلب^(٥)
فسل لي الوصل وأنكرني إذا غضبوا^(٦)
وهم نجومى بها لا السبعة الشهب^(٧)
وكل ما أرتجى والسؤل والأرب^(٨)
وبعيتي إن نأوا عني أو اقتربوا
وهم عيادي إذا ما نابت النوب^(٩)
بهم فإن حياتي كلها تعب^(١٠)
أيام عيشي سوداً كلها عطب^(١١)
فهم حضور وفي المعنى هم غيب^(١٢)
فالسهد من دون ما يهدونه حجب^(١٣)
وصدّهم عني الإجلال والرهب^(١٤)
بأدمع خجلت من دونها السحب^(١٥)

تلي عليّ حمامات اللوى ورثت
والغيث لما رأى ما قد منيت به
بالله يا صاح روّخي بذكرهم
ويارسولي إليهم صفّهم أرقى
واسأل مواهبهم للعين بعض كرى
ولطف القول لا تسأم مراجعة
عرض بذكري فإن قالوا أتعرفه
ذكرهم بليال قد مضت كرماء
هم الرضا والمضى والقصد من زمني
وهم مرادي على حالي وفاء وجفا
وهم ملاذي إذا ما الخطب خاطبني
هم روح جسيمي الذي يخيا لشقوته
هم نور عيني وإن كانت لبعدهم
إن يحضروا فالبكا غطى على بصري
وإن يغيبوا وأهدوا طيفهم كرماء
فلو فرضت انقطاع الدمع لم أرهم
فما تمّلت به عيني بل امّتلأت

(١) بين أن هذا البيت تكرر لما قبله ، وليس في الوافي إلا واحد بلفظ : « ناحت ... ورثت » .

(٢) الوصب : المرض .

(٣) في الوافي : « فاسأل لي » .

(٤) في الوافي : « مضت بهم » .

(٥) ليس في الوافي .

(٦) في الأصل (و ط) : « تعب » ، وهو عيب في القافية ، وأثبتنا ما في الوافي .

(٧) في الوافي : « والأدب » .

(٨) في الوافي : « من سحها » .

لم تترك التُّرك في شمسٍ ولا قمرٍ
لكنهم لم يَفُوا أن عاهدوك على
خِلا الغزال الذي نَفسي به عَلِقَتْ
لَهُ لَطَافَةُ أَخلاقٍ تُعَلِّمُ مَنْ
وَلَحْظَةُ الضَّيِّقِ الْأَجْفَانِ وَسَعِ لِي
سَيُوفُ أَجْفَانِهِ المَرَضَى إِذَا نَظَرَتْ
إِذَا انْتَقَى سَلْبُ الْأَلْبَابِ مَعْطَفُهُ الـ
وإن بَدَا قَبْدُورُ الْأَفْقِ فِي خَجَلٍ
يَا بَرَقَ لَا تَبْتَسِمَ مِنْ نَغْرِهِ عَجَباً
وَيَا قَضِيبَ النِّقَالِ وَهَزَ قَامَتُهُ
شَمْعِي ضِياءَ فَرْقِهِ وَالْوَرْدَ وَجَنَّتِهِ
وَمُذْ رَشَفَتْ لَمَاهُ وَهُوَ مُبْتَسِمٌ

حُسناً لِغَيْرِهِمْ يُعْزِي وَيَنْتَسِبُ
وَدُّ وَمَا هَكَذَا فِي فِعْلِهَا الْعَرَبُ^(١)
فَكَمْ لَهُ مِنْ يَدٍ فِي الْفَضْلِ تُحْتَسَبُ^(٢)
لَا يَعْرِفُ الْوَجْدَ كَيْفَ الذَّلُّ وَالْحَرْبُ
هُمُومٌ وَجَدٍ لَهَا فِي أَضْلَعِي لَهَبُ
تَغْرِي الْجَوَانِحَ لَالْمَهْدِيَّةِ الْقَضْبُ
بَادِي التَّأَوُّدِ لَا الْخَطِيئَةِ السَّلْبُ
تُرْخَى عَلَى وَجْهَيْهَا مِنْ سُجْبِهَا نَقَبُ^(٣)
قَدْ فَاتَ مَعْنَاكَ مِنْهُ الظُّلْمُ وَالشَّنْبُ^(٤)
لَكُنْتَ تَسْجُدُ إِجْلَالاً وَتَقْتَرِبُ^(٥)
وَالرَّيْقُ خَمْرِي لَا مَا يَعَصُرُ الْعَنْبُ
مَارَاقَ لِي بَعْدَهُ خَمْرٌ وَلَا حَبَبُ

قلتُ : وقد سقتُ في ترجمة ابن الخيمي في (تاريخي الكبير) قصيدته البائية
والقصيدة التي نظمها ثانياً كما تحاكم هو ونجم الدين بن إسرائيل^(١) إلى شرف الدين بن
الفارص^(٢) ، وغير ذلك مما نظمهُ العفيف التلمساني وغيره .

وأنشدت يوماً أيضاً بعض الأصحاب الأعزّة بالقاهرة قول شيخنا شهاب الدين
أبي الثناء محمود رحمه الله تعالى ، وهو :

(١) في الوافي : « من فعلها » .

(٢) في الوافي : « به ألقت » .

(٣) في الوافي : « من خجل » .

(٤) الشنب : ماء الأسنان .

(٥) فيه اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ ﴾ .

(٦) محمد بن سوار (ت ٦٧٧ هـ) ، الوافي : ١٤٣/٣ . وقد مرّ الخبر في ترجمة العفيف التلمساني .

(٧) عمر بن علي (ت ٦٣٢ هـ) ، وفيات الأعيان : ٤٥٤/٣ .

تَشْنَى وَأَغْصَانُ الْأَرَاكِ نَوَاضِرٍ فَنُحْتُ وَأَسْرَابُ مِنَ الطَّيْرِ عَكْفُ
فَعَلِمَ بَانَاتِ النَّقَا كَيْفَ تَنْثَنِي وَعَلِمْتُ وَرَقَاءَ الْحِمَى كَيْفَ تَهْتَفُ^(١)

فألزمني بنظم شيء في هذا المعنى ، فقلت : هذا يتعذر ، لأن هذا استوفى المعنى ولم يترك فيه فضلاً ، وجود النظم فألفاظه في غاية الفصاحة وتراكيبه في غاية الانسجام ، فقال : لا بد من ذلك ، فقلت أنا مختصراً :

لَمْ أُنْسَهُ فِي رَوْضَةٍ وَالطَّيْرُ يَصْذَحُ فَوْقَ غُصْنٍ
فَأَعْلَمَ الْوُورُكَ الْبُكَاءَ وَيَعْلَمُ الْبَلْبَانُ التَّشْنَى
وَأُنْشَدْتُهُ يَوْمًا أَيْضًا مِنْ قَصِيدَةٍ :

وَإِنْ تُرِدْ عَلِمَ بَدِيدِ الْهَوَى بَيْنَ الْوَرَى فَاتٍ فَعِنْدِي الْمُرَادُ

الآيات كلها ، وقد تقدمت هذه القصيدة في ترجمة الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي صاحب حماة ، فأعجبه ذلك ، وألزمي نظم شيء في هذه المادة ، فنظمت ولكن ذاك بنى وأنا هدمت :

أَنَا وَالْحَبِيبُ وَمَنْ يَلُومُ ثَلَاثَةً لَهُمْ بَدِيدُ الْحُبِّ أَصْبَحَ يَنْتَمِي
فَلِي الْجِنَاسُ لِأَن دَمْعِي عَنْ دَمِي يَجْرِي أَلَسْتُ تَرَاهُ مِثْلَ الْعُنْدَمِ
وَلَهُ مُطَابَقَةُ التَّوَاصُلِ بِالْجَفَا وَلِعَادِيلِهِ لَزُومُ مَا لَمْ يَلْزَمِ
وَقُلْتُ أَنَا أَيْضًا فِي هَذِهِ الْمَادَةِ :

لَا تَعْجَبُوا مِنْهُ فَمَا حُسْنُهُ إِلَّا بَلِيغٌ حِرْتُ فِي وَصْفِهِ
إِنْ كَانَ قَدْ أَوْجَزَ فِي خَصْرِهِ فَإِنَّهُ أَطْنَبَ فِي رَذْفِهِ
وَمَا أَتَى بِالْوَاوِ فِي صُدْغِهِ إِلَّا وَقَدْ رَتَّبَ فِي عِطْفِهِ
وَلَفَّ فِي الْبُرْدَةِ أَعْطَفَافُهُ حَتَّى يَطْيِبَ الشُّرْمُ مِنْ لَفِّهِ

(١) في الفوات : « اللوى » .

وأنشدني شيخنا المذكور رحمه الله لنفسه :

رَأْتَنِي وَقَدْ نَالَ مِنِّي النُّحُولُ وَفَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى الْخَدِّ فَيْضاً^(١)
فَقَالَتْ بَعَيْنِي هَذَا السَّقَامُ فَقُلْتُ صَدَقَتْ وَبِالْخَضِرِ أَيْضاً
قُلْتُ : هُوَ مِنْ قَوْلِ الْأَرْجَانِي :

غَالِطَتْنِي إِذْ كَسَتْ جِسْمِي الضَّنَا كُسُوَّةٌ أَعْرَتْ مِنَ اللَّحْمِ الْعِظَامَا^(٢)
ثُمَّ قَالَتْ أَنْتَ عِنْدِي فِي الْهَوَى مِثْلَ عَيْنِي، صَدَقْتَ وَلَكِنْ سِقَامَا
وأنشدني لنفسه الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة^(٣) :

وَمَلُولَةٌ فِي الْحَبِّ لَمَّا أَنْ رَأْتُ أَثَرَ السَّقَامِ بِعَظْمِي الْمُنْهَاضِ^(٤)
قَالَتْ : تَغَيَّرْنَا . فَقُلْتُ لَهَا : نَعَمْ ، أَنَا بِالسَّقَامِ وَأَنْتِ بِالْإِعْرَاضِ^(٥)

قُلْتُ : لَا يُقَالُ إِلَّا عَظْمٌ مَهِيضٌ ، وَأَمَّا (مِنْهَاضٌ) فَأَعْرِفُهُ وَرَدَ فِي فَصِيحِ
الْكَلَامِ ، وَ (السَّقَامُ) لَا عِلَاقَةَ لَهُ بِالْعَظْمِ إِنَّمَا هُوَ بِاللَّحْمِ وَالْجِلْدِ مَعاً تَبَعاً لَذَلِكَ .

وَمِنْ نَظْمِ شَيْخِنَا شَهَابِ الدِّينِ مَا كَتَبَ بِهِ إِلَى الْقَاضِي فَتْحِ الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ ،
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ :

هَلِ الْبَدْرُ إِلَّا مَا حَوَاهُ لِثَامُهَا أَوِ الصُّبْحُ إِلَّا مَا جَلَاهُ ابْتِسَامُهَا^(٦)
أَوِ النَّارُ إِلَّا مَا بَدَا فَوْقَ خَدِّهَا سَنَاهَا وَفِي قَلْبِ الْمَحِبِّ ضِرَامُهَا
أَقَامَتْ بِقَلْبِي إِذْ أَقَامَ بِحُسْنِهَا فَدَارَتْهَا قَلْبِي وَدَارِي خِيَامُهَا^(٧)

(١) فِي الْأَصْلِ : « دُمُوعِي مِنِّي فَيْضاً » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ط) وَالْفَوَاتِ ، وَالنُّجُومِ .

(٢) فِي الْفَوَاتِ : « عَرَّتْ » .

(٣) دِيَوَانُهُ : ٢٨٢ .

(٤) فِي الدِّيَوَانِ : « وَمَلُولَةٌ الْأَخْلَاقُ لَمَّا ... بِجِسْمِي الْمُنْهَاضِ » .

(٥) فِي الدِّيَوَانِ : « أَنَا بِالْصُدُودِ » .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « مَا جَوَتْ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ط) وَالْفَوَاتِ .

(٧) فِي الْفَوَاتِ : « بِجَبْهَا » .

مَهَاءُ نَقَا لَوْ يُسْتَطَاعُ اقْتِنَاصُهَا
إِذَا مَا نَضَتْ عَنْهَا اللَّثَامُ وَأُسْفَرَتْ
نِهَايَةً حَظِّي أَنْ أَقْبَلَ تَرْبَهَا
تُرِيكَ مُحْيَا الشَّمْسِ فِي لَيْلِ شَعْرِهَا
وَتَزْهِي عَلَى الْبَدْرِ الْمُتِيرِ بَأْنَهَا
تُغْنِي عَلَى أُعْطَافِهَا وَرُقَّ حَلِيهَا
تَرْدَدُ بَيْنَ الْخَمْرِ وَالسَّحْرِ لَحْظُهَا
كِلَانَا نَشَاوَى غَيْرَ أَنْ جَفَوْنَهَا
وَلَيْلَةَ زَارَتْ وَالثَّرِيَا كَأَنَّهَا
فَحَيَّتْ فَأَحْيَتْ مَا أَمَاتَ صُدُودَهَا
فَقَالَتْ بَعَيْنِي ذَا السَّقَامِ الَّذِي أَرَى
وَأُبْدَتْ ثَنَائِيهَا فَقُلْ فِي خَمِيلَةٍ
وَأَبْعَدَتْ لَابِلَ سَمَطٍ دَرَّ تَصُونَهُ
وَقَالَتْ وَمَا لِلْعَيْنِ عَهْدٌ بِطَيْفِهَا
لَقَدْ أَتَعَبْتُ طَيْفِي جَفُونُكَ فِي الدُّجَا
وَمَا عَلِمْتُ أَنْ الرُّقَادَ وَقَدْ جَفَتْ
وَكَمْ لَيْلَةٍ مَرَّتْ وَفِيهَا نَجُومُهَا
كَأَنَّ الذَّرَارِي وَالْهَلَالَ وَدَارَةَ

وَكَعْبَةً حُسْنٍ لَوْ يُطَاقُ اسْتِيلَامُهَا
تَقَشَّعَ عَنْ شَمْسِ النَّهَارِ غَمَامُهَا
وَأَيَسَّرَ حَظُّ لَلثَامِ التَّثَامُهَا
عَلَى قَيْدِ رِمَحٍ وَجْهَهَا وَقَوَامُهَا
مَدَى الدَّهْرِ لَا يَخْشَى السَّرَارَ تَامُهَا^(١)
إِذَا نَاحَ فِي هَيْفِ الْغُصُونِ حَمَامُهَا
وَحَازَهَا وَالدَّرُّ أَيْضاً كَلَامُهَا
مُدَامَ الْمَعْنَى وَالِدَّلَالُ مُدَامُهَا
نِظَاماً وَحُسْنًا عَقْدُهَا وَابْتِسَامُهَا
وَرَدَّتْ فَرْدَ الرُّوحِ فِي سَلَامُهَا
فَقُلْتُ وَهَلْ بَلُوَايَ إِلَّا سَقَامُهَا
بَدَا نَوْرُهَا وَأَنْشَقَّ عَنْهَا كَامُهَا^(٢)
بِأَصْدَافٍ يَاقُوتٍ لِمَاهَا خِتَامُهَا
وَلَا النَّوْمُ مَذْ صَدَّتْ وَعَزَّ مَرَامُهَا
فَقُلْتُ سَلِي جَفْنِيكَ آيْنَ مَنَامُهَا^(٣)
كَمَثَلِ حَيَاتِي فِي يَدَيْهَا زِمَامُهَا
كَأَنِّي رَاعٍ ضَلَّ عَنْهُ سَوَامُهَا^(٤)
حَوْتُهُ وَقَدْ زَانَ الثَّرِيَا التَّثَامُهَا^(٥)

(١) في الفوات : « فإنها » .

(٢) في الأصل : « ثناها » سهو ، وأثبتنا ما في (ط) والوافي .

(٣) في الفوات : « أتعبت عيني » .

(٤) في (ط) والفوات : « وكَمْ ليلة سمرت فيها » .

(٥) في الفوات : « كأنَّ الذَّرَارِي » .

حَبَابٌ طَفَا مِنْ حَوْلِ زَوَرَقِ فُضَّةٍ
 كَأَنَّ نُجُوماً فِي الْمَجَرَّةِ خُرَّةٌ
 كَأَنَّ رِياضاً قَدْ تَسْلَسَلَ مِائُهَا
 كَأَنَّ سَنَا الْجُوزَاءِ إِكْلِيلُ جَوْهَرٍ
 كَأَنَّ لَدَى النُّسْرَيْنِ فِي الْجَوْ غَلَمَةٌ
 كَأَنَّ سَهَيْلاً وَالنُّجُومَ وَرَاءَهُ
 كَأَنَّ الدُّجَى هَيْجَاءُ حَرْبِ نُجُومِهِ
 كَأَنَّ النُّجُومَ الْمَهَادِيَاتُ فَوَارِسُ
 كَأَنَّ سَنَا الْمَرْيَخِ شَعْلَةٌ قَابِسٍ
 كَأَنَّ السُّهَاءَ صَبٌّ سَهَا نَحْوُ إِلْفِهِ
 كَأَنَّ خَفْوَاقَ الْقَلْبِ قَلْبُ مُتَمِّمٍ
 كَأَنَّ ثَرِيّاً أَفْقَهُ فِي انْبِسَاطِهَا
 كَأَنَّ بَفْتَحَ الدِّينِ فِي جُودِهِ اقْتَدَتْ
 كَأَنَّ يَمِينَاهُ اقْتَدَى يَمْنُ نَوُثِهَا
 كَأَنَّ بِهِ مِنْ لَفْظِهِ قَدْ تَشَبَّهَتْ
 كَرِيمَ الْمُحْيَا لَوْ يَقَابِلُ وَجْهَهُ
 بِهِ جَبَّرَ اللَّهُ الْبِلَادَ وَأَهْلَهَا

بَكَفَ فَنَاءٍ طَافَ بِالرَّاحِ جَامُهَا^(١)
 سَوَاقٍ رَمَاهَا فِي غَدِيرِ زَحَامِهَا
 فَشَقَّتْ أَقَاحِيهَا وَشَاقَ خَزَامُهَا
 أَضَاءَتْ لَيْالِيَهُ وَرَاقَ انْتِظَامُهَا
 رُمَاةٌ رَمَى ذَا دُونَ هَذَا سِيَامُهَا
 صَلَاةٌ صَفُوفٍ قَامَ فِيهَا إِمَامُهَا^(٢)
 أَسْتَنَاهَا وَالْبَرْقَ فِيهَا حُسَامُهَا^(٣)
 تَسَاقَطَ مَا بَيْنَ الْأَسْنَةِ هَامُهَا^(٤)
 تَلَوَّحَ عَلَى بُعْدٍ وَيَخْفَى ضِرَامُهَا
 يُرَاعِي اللَّيَالِي جَفْنَهُ لَا يَنَامُهَا
 رَأَى بِلْدَةً شَطَّتْ وَأَقْوَى مَقَامُهَا^(٥)
 يَمِينُ كَرِيمٍ يَخَافُ انْضِمَامُهَا
 فَرَوَى الرَّوَابِي وَالْإِكَامَ رِكَامُهَا
 فَعَمَّتْ غَوَادِيهَا وَأَخْصَبَ عَامُهَا
 فَفَاقَ عَقُودَ الدَّرِّ حُسْنَ نِظَامُهَا
 سَحَابَةٌ صَيْفٍ لَاسْتَهَلَ جِهَامُهَا^(٦)
 وَلَوْلَاةٌ مَا شَامَ السَّعَادَةُ شَامُهَا^(٧)

(١) في الأصل : « صفا » ، وأثبتنا ما في (ط) والفوات . وفي الفوات : « رفر فرضة » .

(٢) وفي الفوات : « صفوف صلاة » .

(٣) في الفوات : « جرت نجومه » .

(٤) في الفوات : « كأن الرجوم » .

(٥) في الفوات : « رأى بلدة الأحياء أقوى ... » .

(٦) في الأصل : « لم يقابل » ، وأثبتنا ما في (ط) .

(٧) في الأصل : « سام » ، وأثبتنا ما في (ط) .

بِهِ عَصَمَ اللَّهُ الْأَقَالِمَ إِذْ غَدَا
بَارَائِهِ وَهِيَ السَّدِيدَةُ أَحْكَمَتْ
بِهِ الدَّوْلَةُ الْغَرَاءُ أَشْرَقَ نَوْرُهَا
بِأَنْشَرَتْ مِنْ عَدْلِهِ فِي بِلَادِهَا
إِلَيْهِ انْتَهَى عِلْمُ الْبَيَانِ وَإِنَّهُ
تَمِيتُ الْعِدَا قَبْلَ الْكَتَائِبِ كُتِبَتْ
لَهُ عَزْمَةٌ فِي اللَّهِ لِلْكَفْرِ حَرْثُهَا
إِذَا الْخَيْلُ صَلَّتْ فِي الْحَدِيدِ جِيَادُهَا
وَأَضَحَّتْ وَكَلَامُوَجٍ فِي بَحْرِ تَقَعِهَا
تَلَا رَأْيُهُ آيَ الْفَتْوحِ عَلَى الْعِدَا
فَفِي سُورَةِ الْفَتْحِ الْمُبِينِ ابْتِدَاؤُهَا
فَرَدَّ جِيُوشَ الشُّرْكِ بَعْدَ اضْطِلَائِهِ
جَوَادَ بِأَشَاءِ الْعَفَاءِ كَأَنَّا
تَقِيٌّ لَهُ فِي الْحَقِّ نَفْسٌ أَيْيَّةٌ
كَرِيمٌ عَرِيقٌ أَصْلُهُ وَبِنَفْسِهِ
إِذَا أَلْفَ الْآرَاءِ أَلْفَ وَضَعُهَا
رَوَى زِينَةَ الدُّنْيَا فَأَضْحَى لَزُهْدِهِ
وَأَعْرَضَ عَنْهَا وَهِيَ فِي عَصْرِ حُسْنِهَا
وَلَا زُهْدَ إِلَّا وَهِيَ بَيضاءَ غَضَّةً
يُسِرُّ اضْطِنَاعَ الْبَرِّ فِي النَّاسِ جَاهِدًا

بِأَقْلَامِهِ بَعْدَ الْإِلَهِ اعْتِصَامُهَا
عَرَاهَا فَلَا يُخْشَى عَلَيْهَا انْفِصَامُهَا
فَجَابَ الْبَرَى وَأَنْجَابَ عَنْهَا ظِلَامُهَا
يَزِيدُ عَلَى عُمُرِ الدُّهُورِ دَوَامُهَا^(١)
لَفِي كُلِّ أَنْوَاعِ الْعُلُومِ إِمَامُهَا
فَأَلْفَاطُهُ وَهِيَ الْحَيَاةُ سِهَامُهَا
وَلِلدَّيْنِ مِنْهَا بَرْدُهَا وَسَلَامُهَا
وَعَبَّتْ نَهَارًا فِي النَّجِيعِ صِيَامُهَا^(٢)
تَدَفَّقُهَا أَوْ كَالْجِبَالِ اضْطِرَامُهَا
قَوَّلَتْ وَقَدْ أَضَحَّتْ عِظَامًا عِظَامُهَا
وَمِنْ آيَةِ النَّصْرِ الْعَزِيزِ اخْتِامُهَا
لَظَاهَا وَقَدْ أَخْنَى عَلَيْهِ اضْطِلَامُهَا^(٣)
لَهَا فِي يَدَيْهِ حُكْمُهَا وَاحْتِكَامُهَا
وَإِنْ كَفَّ بِالصَّفْحِ الْجَمِيلِ انْتِقَامُهَا
مَعَ الْأَصْلِ دُونَ النَّاسِ سَادَ عِصَامُهَا
فَلَيْسَ بِغَيْنٍ لِلْعِدَا مِنْهُ لَامُهَا
سَوَاءٌ عَلَيْهَا رِيَّهَا وَأَوَامُهَا^(٤)
وَقَدْ زَادَ فِيهِ وَجْدُهَا وَغَرَامُهَا
يَرُوقُ الْعَيُونُ الشَّائِمَاتِ وَشَامُهَا
لِيَخْفَى وَهَلْ يُخْفَى الشَّمْسُ اِكْتِثَامُهَا

(١) في الأصل : « نشر » ، وأثبتنا ما في (ط) .

(٢) جمع صائم ، وهي من الخيل : القائم على قوائمه الأربع من غير خفاء .

(٣) في الأصل : « اخنى » ، وأثبتنا ما في (ط) .

(٤) في (ط) : « زوى » . والأوأم : شدة العطش .

وَيَعْتَنِمُ الأُخْرَى بِدُنْيَاهُ عَالِيَاً وَقَدْ حَازَهَا إِنَّ النِّجَاةَ اغْتِنَامُهَا
تَقَامَتِ الأَوْقَاتُ دُنْيَاهُ فَاعْتَدَتْ وَقَدْ أَحْرَزَ [الأَجَرَ] الْجَمِيلَ انْقِسَامُهَا^(١)
فَقَامَتِ بِأَوْقَاتِ الصَّلَاةِ صَلَاتُهَا وَصَانَ ذِمَارَ الْكَافِرِينَ صِيَامُهَا^(٢)
رَأَيْتُ عِلَاةً فَوْقَ نَظْمِي وَإِنِّي بَلِيغٌ وَلَكِنْ أَيْنَ مِنِّي مَرَامُهَا
فَعُدْتُ بِهِ مِنْ خُطَّةِ الْعَجْزِ دُونَهَا وَمَا كُنْتُ يَوْمًا قَبْلَ ذَلِكَ أَسَامُهَا
فَلَا زَالَتْ الدُّنْيَا وَأَيَّامُهَا بِهِ بَرَّغَمَ الْعِدَا عَمَّ الْوَجُوهَ وَشَامُهَا

ومن إنشائه البديع وحوكه الذي قصر عنه الحريري وبعده عن البديع كتاب في وصف الخيل : وينهي وصول ما أنعم به من الخيل التي وجد الخير في نواصيها^(٣) واعتد حصنها حصوناً يعتصم في الوغى بصياصيها .

فن أشهب غطاء النهار بجلته ، وأوطأه الليل على أهلته ، يتموج أديمه رياءً ويتأرجح رياءً ، ويقول مَنْ استقبله في حلّى لجامه : هذا الفجر قد أطلع الثريا ، إن^(٤) التقت المضائق انساب انسياب الأيم^(٥) ، وإن انفرجت المسالك مرّ مرور الغيم . كم أبصر فارسه يوماً أبيض بطلعته ، وكم عاين طرف السنان مقاتل العدا في ظلام النقع بنور أشعته ، لا تستن^(٦) داحس في مضاره ، ولا تطلع الغبراء في شق غباره ، ولا يظهر لاحق^(٧) من لحاقه بسوى آثاره ، تسابق يده مرامي طرّفه ، ويدرك شوارد البروق ثانياً من عطفه .

(١) الزيادة من (ط) . وبها يستقيم الوزن .

(٢) (ط) : « بأنواع الصلاة » .

(٣) أفاد من الحديث الشريف : « الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة » . انظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٢/٢ .

(٤) (ط) : « إذا » .

(٥) الأيم : الحية .

(٦) أي : لا تجري .

(٧) داحس والغبراء ولاحق ، من أسماء خيول العرب .

ومن أدهم حالك الأديم ، حالي التشكيم ^(١) ، له مقلة غانية وسالفة ريم ؛ قد ألبسه الليل بُرده ، وأطلع بين عينيه سَعْدَه ، يظنُّ من نظرٍ إلى سواد طُرَّتِه ، وبياض حُجُولِه وغرَّتِه أنه توهم النهار نهراً فخاضه ، وألقى بين عينيه نقطة من رشاش تلك لمخاضة .
لئن الأعطاف ، سريع الانعطاف ، يُقْبِلُ كالليل ويمرُّ كجلودٍ صخرٍ حطَّه السَّيل ^(٢) ، يكاد يسبق ظلَّه ، ومتى جارى السهم إلى غرض سبقه قبله .

ومن أشقر وشاة البرق بلهبه ، وغشاه الأصيل بذهبه ، يتوجَّسُ ما لديه برقيقتين وينفض وفرتيه عن عقيقتين ، وينزل عذارٍ لجامه من سالفتيه على شقيقتين . له من الراح لونُها ، ومن الرِّيح لينها ، إن حَرَى فبرق خَفَقُ ، وإن أُشْرِجَ فهلالٌ على شفق ، لو أدرك أوائل حرب ابني وائل ^(٣) لم يكن للوجيه وجاهه ، ولا للنعامه ^(٤) نباهه ، وكان تركُّ إعارة سكاب ^(٥) لوماً وتحريم بيعها سفاهة ، يركض ما وجد أرضاً ، وإذا اعترض به راكبه بجرأ وثبَّ عرضاً .

ومن كُميت نَهْد ، كأنَّ راكبه في مهد ، عندمي الإهاب ^(٦) . « يزلُّ الغلامُ الخف

(١) التشكيم : وضع اللجام في فم الفرس ، والشكبة حديدة اللجام .

(٢) يشير إلى قول امرئ القيس في صفة فرسه :

مَكْرٌ مُفَرِّقٌ مَقْبِلٌ مُدْبِرٌ مَعَا
كَجَلُودٍ صَخْرٍ حَطَّه السَّيْلُ مِنْ عَلِيٍّ

انظر : شرح القصائد السبع الطوال : ص ٨٣ .

(٣) بكر وتغلب وحربها اشتهرت باسم حرب البسوس .

(٤) الوجه والنعامه من أسماء خيولهم ، والنعامه فرس الحارث بن عباد البكري ، القائل :

قَرِيباً مَرِيبَةً النَّعَامَةُ مَتْنِي
لَقَعَتْ حَرْبَ وَائِلٍ عَنْ حِيَالِ

انظر : أسماء خيل العرب للأعرابي : ١١٨ ، ١٥٧ .

(٥) الوجه والنعامه من أسماء خيولهم ، والنعامه فرس الحارث بن عباد البكري ، القائل :

أَيَّتِ اللَّعْنُ إِنَّ سَكَابَ عَلَّقَ
نَفِيسٌ لَا يِعَارُ وَلَا يِيَاعُ

انظر : شرح أبيات اللغني للبيدادي : ٣٨٩/٢ .

(٦) في (ط) زيادة : « شألي الذهاب » .

عن صهواته ^(١) ، وكأنَّ نَعَمَ الغريز ومعبد في لهواته . قصير المطا ، فسيح الخطا ، إن ركب لصيد قيّد الأوابد ، وأعجل عن الوثوبِ الوحوشِ اللوابد ، وإن جُنِبَ ^(٢) إلى حرب لم يزورَ من وقع القنا بلبانه ، ولم يشك لو علم الكلام بلسانه ^(٣) ، ولم يردون بلوغ الغاية وهو في عرض راكمه ثانياً من عنانه ، وإن سار في سهل اختال براكبه كالثل ، وإن أصد في جبل طار في عقابه ^(٤) كالعقاب ، وانحطَّ في مجاريه كالوعل ، متى ما ترَّقَّ العين فيه تسهَّل ، ومتى أراد البرقُ مجاراته قال له الوقوف عند قدره ما أنت هناك فتَهَلَّ .

ومن حبشيٍّ أصفر يروق العين ويشوق القلب بمشابهة العين ، كأنَّ الشمس ألفت عليه من أشعتها جلالاً ، وكأنه نفر من الدجا فاعتنق منه عَرَفاً واعتلق حجالاً ، ذي كفل يزين سرجه ، وذيل يسدُّ إذا استدبرته منه قَرْجَه ، قد أطلعت الرياضه على مراد راكمه وفارسه ، وأغناه نضار لونه ونضارته عن ترصيع وتوشيع ملابسه ، له من البرق ^(٥) خفة وطئه وخطفه ، ومن النسيم طروقه ولطفه ، ومن الريح هزيزها « إذا ما جرى شأوين وابتلَّ عطفه » ، يطيرُ بالغمز ، ويدرك بالرياضه مواضع الرَّمز ، ويغدو كَألف الوصل في استغناء مثلها عن الهمز .

(١) صدر بيت لامرئ القيس من معلقته المشهورة ، وقامه :

ويُلوي بأثواب العنيفِ للثقلِ

انظر : شرح القصائد السبع الطوال : ٨٧ .

(٢) جنب : قيد ، يقال : فرس طوع الجنب ، وطوع الجنب : إذا كان سلس القياد .

(٣) يشير إلى بيت عنتره في صفة فرسه :

فازورَ من وقع القنا بلبانه وشكا إليَّ بعبرةٍ وتَحَنُّمٍ
لو كان يذري ما المَحاورةِ اشتكى أو كان لو علمَ الكلامَ مَكَلَمي

انظر : شرح القصائد السبع الطوال : ٣٦٠ - ٣٦١ .

(٤) رؤوس الجبال .

(٥) في الأصل : « من برق » ، وأثبتنا ما في (ط) .

ومن أخضر حكاه من الروض تفويفه ، ومن الوشي تقسيه وتأليفه ، قد كساه الليل والنهار حلتّي وقارٍ وسناً ، واجتمع فيه من البياض والسواد ضدّان لما استجمعا حسناً^(١) ، ومنحه الباري حلة وشيه ، ونَحَلَّتْهُ الرياح ونسَمَتْها قوة ركضه وخفة مشيه ، يعطيك أفانين الجري قبل سؤاله ، ولَمَّا لم يُسابقه شيء من الخيل أغراه حبُّ الظفر بمسابقة خياله ، كأنه « تفاريق شيب في سواد عذار » ، أو طلائع فجر خالط بياضه الدُّجا فما سَجى ، ومازج ظلامه النهار فما انهار ولا أثار ، ينحال لمشاركة بينه وبين الماء في السير كالسيل ، ويدل بسبقه على المعنى المشترك بين البروق اللوامع وبين البرّقيّة من الخيل^(٢) . ويكذّب المانوية لتولد اليّمن بين إضاءة النهار وظلمة الليل .

ومن أبلق ظهره حرّم وجريّه حرّم ، إن قصد غاية فوجود الفضاء بينه وبينها عَدَم ، وإن صرّف في حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان « وفِعْله ما يريد الكفّ والقدم » . قد طابق الحُسْنُ البديع بين ضديّ لونه ، ودلّت على اجتماع النقيضين علة كونه ، وأشبه زمن الربيع باعتدال الليل فيه والنهار ، وأخذ وصف حُلّي الدُّجا في حالتي الإبدار والإسرار^(٣) ، لا تكلّ مناكبه ، ولا يضلّ في حجرات الجيوش راكمه ، ولا يحوج ليلهُ المشرق لمجاورة نهاره إلى أن تُستَرشد فيه كواكبهُ ، ولا يجاريه الخيال فضلاً عن الخيل ، ولا يمل السرى إلا إذا ملّه مُشَبِّهاه^(٤) النهار والليل ، ولا تتمسك البروق اللوامع من لحاقه بسوى الأثر ، فإن جهدت فبالذيل ، فهو الأبلق الفرد ، والجواد الذي لجاريه العكس وله الطرد^(٥) ، قد أغنته شهرة لونه في جنسه عن

(١)

ضدّان لما استجمعا حسناً والضدّ يُظهرُ حُسْنَهُ الضدّ

والبيت من الدرة اليتيمة في صفة امرأة .

(٢) لعلّه أراد الخيل المنسوبة إلى (البرق) فرس ابن العرفة . انظر : القاموس (برق) .

(٣) (س) ، (ط) : « السرار » .

(٤) في الأصل : « مشبهات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ط) .

(٥) فيه تورية بمصطلحات علم البديع .

الأوصاف ، وعدل بالرياح عن مباراته سلوكها من الاعتراف له جادة الإنصاف ،
فترقى المملوك إلى رتب العز من ظهورها ، وأعدّها لخطبة الجنان إذ الجهاد عليها من
أنفس مهورها ، وكلف بركوها فكلّ ما أكمله عاد ، وكلّ ما ملّه شره إليه ، فلو أنه زيد
الخيّل^(١) لما زاد ، ورأى من آدابها ما دلّ على أنها من أكرم الأصائل ، وعلم أنها ليومي
حربه وسلمه جنة الصايد وجنة الصائل . وقابل إحسان مهديها بشنائه ودعائه ، وأعدّها
في الجهاد لمقارعة أعداء الله وأعدائه ، والله تعالى يشكر برّه الذي أفرده في الندى
بذاهبه ، وجعل الصافنات^(٢) الجياد من بعض مواهبه ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

ومن إنشائه رسالة في البندق ، وذكر الأربعة عشر واجباً ، وهي من بدائع أعماله
وما أظنّ أحداً يأتي بنظيرها ، وقد سقتها بكمالها في (تاريخي الكبير) ، وسقت كثيراً
من نثره ونظمه .

وكتب إليه ناصر الدين حسن بن شاور المعروف بابن النقيب :

| | |
|--|--|
| يَا فَاضِلًّا وَافِي مَحَلِّي زَائِرًا | مُتَفَضِّلًا وَالْفَضْلُ لِمَتَقَدِّمٍ |
| وَمُشَرَّفِي وَمُشْنَفِي بِسَلَامِهِ | وَكَلَامِهِ وَمُبْجَلِي وَمُعْظَمِي |
| أَنْتَ الشَّهَابُ الثَّاقِبُ الذَّهْنِ الَّذِي | أَضَحَّتْ ذَكَاءٌ إِلَى ذَكَاءٍ تَنْتَمِي |
| وَالْوَاضِحُ الْخَطُّ الْحَقُّ أَصْلُهُ | وَالطَّاهِرُ الْقَلَمُ الْمَوْقِعُ وَالْفَنَرُ |
| شَعْرُ كَثِيرِ الدَّرِّ أَوْ تَبَّرَ غَدَتِ | فِي خَجَلَةٍ مِنْهُ ذَرَارِي الْأَنْجَمِ |
| مَوْلَايَ زَوَّدَنِي فَإِنِّي رَاجِلٌ | مِنْ لَفْظِكَ الْعَالِي الْحِلِّ الْمُعَلِّمِ |
| وَابْعَثْ إِلَيَّ بِفِئْدَةٍ مِنْهُمَا | وَأَمِّنْ عَلَيَّ وَجُدْ بِذَلِكَ وَأَنْعِمِ |
| فَأَجَابَهُ بِقَوْلِهِ : | |

يَا سَيِّدًا لَمَّا وَطِئْتُ بِسَاطَةِ حَدَّثْتُ أَمَالِي بِفَيْضِ الْأَنْجَمِ^(٣)

(١) الطائي ، شاعر معروف ، اشتهر بوصف الخيل ، وسلفت الإشارة إليه .

(٢) الصافنات من الخيل : ما يقوم على ثلاث قوائم .

(٣) في (س) : « بقبض » .

أَنْتَ الَّذِي رَوَى الْمَسَامِعَ وَالْقَنَا
كَمْ قَدْ مَنَعْتَ بِأَخْذِ كُلِّ مَدْرَعٍ
وَفَتَحْتَ مِنْ حَصْنِ بَشْدِكَ فِي الْوَعَى
وَأَقَيْتَ رَبْعَكَ ظَامِئاً مُسْتَمْطِراً
فَبَعَثْتَ لِي وَطْفَاءً لَوْ لَمْ يُغْضِ مِنْ
مِيقَةِ لَمَّا لَثَمْتُ سَطُورَهَا
يَا نَاصِرَ الدِّينِ الَّذِي شَرَفَتْ بِهِ الْإِ
يَا مَالِكاً حَزَنِي عَلَى زَمَنِ مَضَى
سَيَّرْتَ إِنْْعَاماً شَغَلْتَ بِشْكْرِهِ

ذِي مِنْ فَضَائِلِهِ وَتِلْكَ مِنْ الدَّمِ
حَامِي الْحَقِيقَةِ مُعَلِّماً مِنْ مُعَلِّمِ
بِالرَّمْحِ تَغَرَّ الْفَارِسِ الْمُسْتَلِيمِ
أَنْوَاءَ شِعْرِكَ فِي شَعَارِ مُسَلِّمِ
خَطَفَاتٍ وَامِضْ بِرَقِهَا طَرْفِي عَمِي^(١)
حَسَدْتُ عَلَى تَقْبِيلِهَا عَيْنِي فِي
الْآدَابِ [إِذَا] أَضَحَّتْ إِلَيْهِ تَنْتَمِي^(٢)
فِي غَيْرِ خِدْمَتِهِ كَحَزْنِ مُتَبِّمِ
عَبْدٌ يَرَى إِيجَابَ شُكْرِ الْمُنْعِمِ

وكتب إليه السراج الوراق ملغزاً في (سَجَّادَة) :

يَا إِمَاماً أَلْفَاظُهُ الْغَرَّ فِي الْأَسْ
وَشِهَاباً تَجَاوَزَ الشُّهُبَ قَدْرًا
أَيُّ أَثْنَى وَطِئْتُ مِنْهَا خِلَالًا
لَمْ أَحَاوِلْ تَقْبِيلَهَا غَيْرَ خَمْسٍ
وَهِيَ مَمْلُوكَةٌ وَعِنْدَ أَنْاسٍ
وَهِيَ فِي صُورَةٍ خُمَاسِيَّةٍ مَا
وَمُصِيبُ الْإِيمَانِ يَسْعَى إِلَيْهَا
وَأَرَى أَنْ تَحْلُلَهَا بَيْنَ

سَامِعٍ تُزْرِي بِالذُّرِّ فِي الْأَسْمَاطِ
فَعَدْتُ عَنْ عِلَافَةِ ذَاتِ الْخَطِطِ
مُسْتَبِيحاً مَا لَا يُبَاحُ لَوَاطِ
حَالِ زُهْدِي فِيهَا وَحَالِ اغْتِبَاطِ^(٣)
وَهِيَ سَتٌّ عَلَى اخْتِلَافِ التَّعَاطِي^(٤)
قَهَقْتُ وَلَا دَنْتُ لِلْبُـوَاطِي^(٥)
طَالِبِ اللَّهِ وَهُوَ عَبْدُ خَاطِ^(٦)
وَيَسَارِ فَقَدْ غَدَّتْ فِي رِبَاطِ

(١) في (س) : « يَحْضُ » .

(٢) الزيادة من (س) ، وبها يستقيم البيت .

(٣) في الفوات : « اغْتِبَاطِي » .

(٤) في الفوات : « هِيَ سَتٌّ » ، بلا واو .

(٥) في الفوات : « فَهَقْتُ » ، والفقه : الامتلاء .

(٦) في الفوات : « وَتَصِيبُ » .

فكتب إليه الجواب ، ومن خطه نقلتها :

يا سراجاً لما سميت باسمه الشمسُ غداً البدر دونها في انخطاطِ
أنتَ بحرٌ نذاك موجٌ وألفاً ظكُ دُرٌّ وصنعُ يَمناكَ شاطي
لا تلمني إذا نظمت معياني لك فمن دُرِّ فيك كان التَّعاطي^(١)
أنتَ ألغزتَ في اسم ذاتِ رقاعٍ لم تجاهدِ وكم غَدَت في رباطِ
خَمسَها عَشْرٌ وللعشرِ فيها خطواتِ براخيةٍ وانيساطِ
حازها تابعُ المجلي فجاز السُّبْقَ من دونِهِ بغيرِ اشتراطِ
مُذْ علاها في أولِ الصَّفِّ أضحى كسليمانَ فوقَ ظَهرِ البِساطِ^(٢)

وأشدني من لفظه لنفسه علاء الدين أطنبغا الجاولي مما كتب به إلى شيخنا رحمه الله تعالى :

قال النُّحاةُ بأنَّ الاسمَ عندهمُ غيرُ المسمَّى وهذا القولُ مردودُ
الاسمُ عينُ المسمَّى والدليلُ على ما قلتُ أنَّ شهابَ الدِّينِ محمودُ
وكتب إليه شهاب الدين العزاريّ مترجماً :

إذا ما شئتَ تلبَسَ ثوبَ فخرٍ وتسحبُ ذيلَ مكرمةٍ وحمِدِ
فَكُنْ في سُوُودٍ وعليّ فضلٍ كمحمود بن سلمان بن فهدِ^(٣)
فكتبَ هو الجوابُ إليه عن ذلك :

أتاني من شهابِ الدِّينِ برٌّ أبرُّ بهِ على شكري وحمدي
فصِرتُ بهِ ولم أكُ جاهليّاً لأحمدَ طولَ دهري عبْدُودُ

(١) في (س) والفوات : « التقاطي » .

(٢) (س) : « متن ظهر » ، وفي الفوات : « فوق متن » .

(٣) (س) : « وعلو » .

وشرّفي بنظم كل بيت
وأطلع في سماء الطرس منه
وأفحمني ممّا استكنت أني
كساني في الثناء أجل ممّا
تفرد منه واسطة لعقد
كواكب كلهن نجوم سعد
أجاب تقده إلا بوعد
كساة سواي بشار بن برد
هفا بي الفكر يهدي لي فيهدي
فلا برحت فوائده إذا ما

١٨٤١ - محمود بن شروين *

الأمير نجم الدين ^(١) وزير الشرق والغرب .

وفد على السلطان الملك الناصر محمد في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، وكان في تلك البلاد وزير بغداد ، ولما سلم على السلطان وقبل الأرض ثم قبل يده حظاً في يد السلطان حَجَرَ بلخش وزنه أربعون درهماً قَوْمَ له بمئتي ألف درهم ، ثم إن السلطان أمره مئة ، وأعطاه مقدمة ألف . ولما توفي وصّى بأن يكون بعده وزيراً ، فرتب وزيراً في أول دولة المنصور أبي بكر ، وعامل الناس بالجميل .

ولم يزل كذلك إلى أيام الملك الصالح إسماعيل ، فحظي عنده ، وتقدم كثيراً ولازمه وناداه ، ولما ولي الكامل شعبان عزله عن الوزارة . [وأبعده ، فلمّا تولّى الملك المظفر حاجي أعاده إلى الوزارة] ^(٢) .

ولم يزل على ذلك إلى أن أخرج إلى الشام في أوائل شهر رجب أو أواخر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة هو والأمير سيف الدين بيدمر البدري ، والأمير سيف الدين طغاي قمر النجمي الدوادار بقعة على الهجن . فلمّا وصلوا إلى غرة لحقهم الأمير سيف الدين منجك ففقد أمر الله فيهم .

* الدرر : ٣٣١/٤ ، والذيل التام : ٩٢ ، والنجوم : ١٨٣/١٠ ، وفيها : محمود بن علي بن شروين .

(١) قوله : « الأمير نجم الدين » ليس في (خ) .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) .

١٨٤٢ - محمود بن عبد الرحمن بن أحمد*

ابن محمد بن أبي بكر بن علي ، وينتمي إلى علاء الدولة الهمذاني ، الشيخ الإمام العالم العلامة المحقق المقتن^(١) الفريد الحجة ، جامع أشتات الفضائل ، وارث علوم الأولين^(٢) ، حجة المتكلمين ، إمام الفقهاء ، شمس الدين أبو الوفاء [بن]^(٣) جمال الدين أبي القاسم بن مجد الدين الأصبهاني .

بحر يتدفق بالعلوم أمواجه ، وحبر فضله في كل فن تضيء شموسه ولا أقول يتقد سراج ، وملك يجبي إليه من كل علم متسع الأقطار خراج ، لوراه الرازي علم^(٤) أنه مارأى زيّه ، وصح أن المعقول هجر القطبين مصريّه وشيرازيّه ، ولو أنصفه النصير الطوسي لما بنى الرصد إلا لكوأكبه ، ولا سارمع الجيوش إلا خدمة لمواكبه ، وما عسى أن أصف من هو إمام في كل علم ، وأثني على من بيده زمام كل حلم ، تصانيفه تشهد له بأنه فريد أوانه ووحيد زمانه ؛ برع في الشرعيات لما شرع ، وبرز^(٥) في العقلية شمساً نورها محاذلام الجهل فانقشع ، علامة في كل علم له علامة ، وأستاذ ترى كل شيخ في فنه غلامه . اشتغل في البلاد الشرقية [وورد إلى الشام]^(٦) فأنسى الناس المحاسن الدمشقية :

ورد اللوى سحرًا فَعَطَّرَ جِيَّهَ بالجنز طَبَّاق هناك وشيخ^(٧)
حتّى غَدَت نَفحاته وكأنا يَهْدِي بِهِنَّ لِكُلِّ جِسْمٍ رُوحَ

* الدرر : ٢٢٧/٤ ، والبغية : ٢٧٨/٢ ، والشذرات : ١٦٥/٦ ، والدارس : ٢٠٥/١ ، وذيول العبر : ٢٧١ .

(١) (خ) : « المقتن » .

(٢) (س) ، (خ) : « الأوائل » .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) .

(٤) في الأصل : « ما علم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٥) في الأصل و (خ) : « ويرع » ، وأثبتنا ما في (س) .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) .

(٧) الطباق والشيخ : ضربان من الشجر . ووقع في الأصل : « سيح » تصحيف .

وقرأ عليه الأئمة ، وشهد له الأعلام أنه عالم هذه الأمة .

ثم إن السلطان طلبه إلى القاهرة ، وأطلع في آفاقها نجومه الزاهرة ، فوردها وهي بحر بالفضلاء يتموج ، وزهر بالفضائل يتأرجح ، فأقام بها ينشر ملاءات فضائله ، ويعلم الزمان بأخلاقه الزكية رقة بركه وأصائله .

ولم يزل على حاله إلى أن كحل بالأصبهاني^(١) جفن الضريح ، وغادر قلب الزمان عليه وهو جريح^(٢) .

وتوفي رحمه الله تعالى في ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون مصر .
وسألته عن مولده فقال : ولدت بأصبهان في سابع عشر^(٣) شعبان سنة أربع وسبعين وست مئة .

وورد إلى دمشق بعد حجّه وزيارة القدس في صفر سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وظهرت فضائله للناس وعظمه الشيخ تقي الدّين بن تيمية ، وقال يوماً في حقه : اسكتوا حتى نسمع كلام هذا الفاضل الذي ما دخل البلاد مثله .

وكان يلزم الجامع الأموي ليلاً ونهاراً ، وسكن^(٤) في باب الناطفيين^(٥) ، وأكبّ على التلاوة والسمع^(٦) والإشغال للطلبة عند قبر زكريا ، وتولى تدريس الرواحية ، ودرّس بها في ثاني عشر شعبان يوم الأحد من السنة المذكورة بعد الشيخ كمال الدين بن

(١) من أجود الكحل ، وفي الكلام تورية .

(٢) في (س) ، (خ) : « قريح » .

(٣) (س) : « سابع شهر » .

(٤) (خ) : « ويسكن » .

(٥) كنا في الأصل و (س) و (خ) ، والمشهور : الناطفانيين ، وقد سلف ذكره .

(٦) في الأصل : « وأكبّ مع التلاوة والسمع » ، وأثبتنا ما في (س) . وفي (خ) : « على التلاوة مع السمع » .

الزملكاني فيما أظن ، وكان درساً حافلاً حضره الأعيان والشيخ تقي الدين بن تيمية ، وأثنى الأعيان على فضائله ^(١) .

ولم يزل بدمشق إلى أن طلبه السلطان إلى الديار المصرية ، فتوجه إليها على البريد في منتصف شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وكان السفير له في ذلك الشيخ مجد الدين الأقصري شيخ خاتناه ^(٢) السلطان سرياقوس ، وكان السلطان يشتهي يرى الغرباء من تلك البلاد ، ولما وقعت بطاقته من بلبس بقي متطلعا إلى قدومه ساعة فساعة ، فتوجه الشيخ شمس الدين إلى سرياقوس ونزل بالخانقاه إلى عند الشيخ مجد الدين فأضافه ، وعمل له الساعات ، ودخل به الحمام ، فلما أبطأ خبره على السلطان وعلم ^(٣) أنه اشتغل عنه ولم يدخل إلى السلطان إلا بعد ثلاثة أيام [أو] ^(٤) أربعة ، نزل من عين السلطان ومجه ، ولم يلق بقلبه ولم يتجدد له شيء .

ونزل إلى القاهرة ، لكنّه ^(٥) فيه رياسة العلم ، وكان الشيخ ما يعرف اللغة التركية ، فقعد به ذلك ، إلا أنه راج باللغة العجمية عند الأمير سيف الدين قوصون ، وبنى له الخانقاه العظيمة بالقرافة ، وجعله شيخها ، ثم إنه قرّبه عند السلطان ، فكان يحضر عنده في [بعض] ^(٦) الأوقات .

وسألته في سنة خمس وأربعين وسبع مئة بمنزله بالخانقاه المذكورة لما كنت بالقاهرة عن مبتدأ ^(٧) حاله فقال :

(١) انظر : البداية والنهاية : ١١٨/١٤ .

(٢) في الأصل : « الخاتناه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٣) (س) : « علم » .

(٤) زيادة من (خ) . وفي (س) : « ثلاثة أربعة أيام » .

(٥) (خ) : « ولكنه » .

(٦) زيادة من (س) ، (خ) .

(٧) (س) : « مبتدأ » .

قرأت القرآن والفقه على والدي ، والعريية أيضاً ثم على الشيخ نصير الدين الفاروئي^(١) ، وعلى الشيخ جمال الدين بن أبي الرجا شيخ في تربة علي بن سهل الصوفي ، وقرأت شيئاً من المعقول على صدر الدين تركا ، والمولى جمال الدين تركا ، وشيئاً من الطب والخلاف ، وقرأت عليه (نكت الأربعين) للنسفي ، وصنّف في تلك البلاد (شرح المختصر لابن الحاجب) للخواجا رشيد^(٢) ، وشرح (مطالع سراج الدين الأرموي) لقاضي القضاة عبد الملك ، وشرح (تجريد النصير الطوسي) باسم علي باشا^(٣) ، وصنّف أكثر من ربع العبادات على مذهب الشافعي مضافاً إليه مذهب أبي حنيفة ومالك إلى الاعتكاف ، وشرح (قصيدة الساوي) في العروض^(٤) و (تفسير آية الكرسي) ومختصراً^(٥) في المنطق سماء (ناظر العين)^(٦) ، كل ذلك صنّفه بتبريز .

ثم إنه انتقل إلى دمشق في التاريخ المذكور وشرح فيها (مقدمة ابن الحاجب) ، وتفسير قوله تعالى : ﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ﴾^(٧) ، وتفسير ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾^(٨) الآية ، وتفسير ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ ﴾^(٩) .

ثم إنه توجه إلى مصر في التاريخ المذكور وصنّف فيها (شرح البديع) للساعاتي في

(١) (خ) : « نصر الدين » ، تحريف . وهو عبد الله بن عمر الشيرازي (ت ٧٠٦ هـ) ، وقد سلفت ترجمته .

(٢) فضل الله بن أبي الخير الهمداني (ت ٧١٦ هـ) سلفت ترجمته .

(٣) سلفت ترجمته .

(٤) وهي قصيدة لامية لحمد بن ركن الدين بن محمد الساوي . انظر : الكشف : ١١٣٦/٢ .

(٥) في الأصل : « ومختصر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) .

(٦) سماء في الكشف ١٩٢١/٢ : « ناظرة العين » .

(٧) سورة آل عمران : ١٨/٢ .

(٨) سورة الأحزاب : ٥٦/٢٣ .

(٩) سورة الحج : ٥/٢٢ .

الأصولين باسم السلطان المللك الناصر^(١) ، وشرح (ناظر العين) ، وشرح (للنهاج) للبيضاوي ، وشرح (طوالع) القاضي ناصر الدين البيضاوي وتعاليق على مسائل . ثم صنّف مختصراً في أصول الدين ، وشرح (فصول النسفي) ، وتفسير سورة يوسف ، وسورة الكهف .

ثم إنه شرع في تفسير مستقل وصل فيه إلى حين اجتماعي به في سابع عشر شوال سنة خمس وأربعين وسبع مئة إلى قوله تعالى : ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ﴾^(٢) . وقال لي : كنت قد فسّرت جملة كبيرة^(٣) ، ولكن في فتنه قوصون عدمت المسودات فأنا الآن أغرمها .

وقال لي بعض الجماعة إنه يمتنع من الأكل في كثير من الأوقات لكلا يحتاج إلى الدخول إلى الخلا خوفاً من ضياع الزمان بلا كتابة في التفسير .

وكان خطّه قوياً وقلمه سريعاً ، ورأيته يكتب في هذا التفسير من خاطره من غير مراجعة ، وكان قد شرع قبل ذلك في مختصر لطيف في أصول الدين ، وجيز اللفظ ، كثير الفوائد والمباحث^(٤) .

وسمع (البخاري) مرتين على الحجّار بقراءة شيخنا البرزالي ، وسمع على أشياخ ذلك العصر ، وأذن لجماعة كثيرة بالشام ومصر في الإفتاء ، وانتفع به الناس في الشام ومصر كثيراً ، وأجاز لي بخطه في سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ولمّا بلغتني وفاته رحمه الله تعالى قلتُ أرثيه :

أَيُّهَا الْعَاذِلُ لَا تَلَحْ فَعَنَدِي مَا كَفَانِي

(١) (س) : « الناصر محمد » .

(٢) سورة النساء : ٨٠/٤ .

(٣) (خ) : « كثيرة » .

(٤) (س) ، (خ) : « كثير المباحث » .

كَيْفَ لَا تَسْفَحُ عَيْنِي دَمْعُهَا أَحْمَرُ قَانِي
أَظْلَمْتَ عَيْنِي لَمَّا فَقَدْتُ شَمْسَ الزَّمَانِ
وَعَلَا جَفْنِي قَرِيحاً بَاكِياً مِمَّا دَهَانِي
لَمْ يَفِدْهُ قَطُّ كُحْلٌ بَعْدَ فَقْدِ الْأُصْبَغَانِي

١٨٤٣ - محمود بن محمد بن إبراهيم بن جملة *

الشيخ الإمام الورع الخطيب جمال الدين بن جملة ، خطيب الجامع الأموي بدمشق .

كانت له طريقة ، سلكها فجعل مجازها حقيقة ، لازم بها الخطابة وركن ، ولزم مكانه بالجامع فما تحرك منه بعدما سكن ، واقتصر به على خاصة نفسه وملازمة خطابته وهواه ودرسه ، لا يتردد إلى أمير ولا كبير ولا صغير ، بل الأمراء يحضرون إليه ، ويتطفلون عليه ، ويلتمسون بركاته ، ويعدون سكناته وحركاته ، وإشاراته عند نواب الشام مشهورة ^(١) مقبولة ، وربوع أوقاته بالخيرات مأهولة ^(٢) :

حَسَنَتْ وَطَابَتْ فِي الْوَرَى أَخْبَارُهُ وَأَصَحَّهَا رَاوِي الْعَلَا أَصْحَا
وَكُنْ دَرّاً فَاهَ رَاوِي مَدْحِهِ مِمَّا رَوَى وَكَأَنَّ مِسْكَاً فَاحَا
قَدْ سَخَّرَ الْأَرْوَاحَ خَالِقَهَا لَهُ إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ سَخَّرَ الْأَشْبَا
فَإِذَا عَلَا يَوْماً ذَوَابَّةً مَنِيرٍ تَشْرُوا عَلَى كَلِمَاتِهِ الْأَرْوَاحَا

وأما جنازته فكانت آية بلغت من الاحتفال الغاية ، وجازت ^(٣) الحد في الكثرة

* البداية والنهاية : ٣٠٣/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٢٨٤/١ ، والنجوم : ٢٣/١١ ، والدُرر : ٣٣٢/٤ ، والذيل التام : ١٩٨ ، والشذرات : ٢٠٢/٦ ، وذيل العبر : ٣٦٧ .

(١) ليست في (خ) .

(٢) (خ) : « وربوع جيرانه مأهولة » .

(٣) في الأصل : « وحازت » ، وأثبتنا ما في (خ) .

والنهاية ، حُمِلت على الأصابع ولم تصل إليها الرؤوس ، وتناهب الناس آثاره ، واجتَلوا^(١) نعشه منصة وهو فيها عروس .

وما زال^(٢) على حاله إلى أن انفرد ابن جملة عن جملة الأحياء وأصبح في مماته من أعجب الأشياء^(٣) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم الاثنين العصر الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة أربع وستين وسبع مئة .

وكان قد ولي الخطابة بعد الخطيب تاج الدين بن جلال الدين القزويني في سنة تسع وأربعين وسبع مئة .

١٨٤٤ - محمود بن علي بن محمود*

ابن مقبل العراقي ، تقي الدين الدَّقوقي الحنبلي ، الإمام المتقن محدِّث بغداد ، شيخ المستنصرية .

أسمعه أبوه من المؤرخ علي بن أنجب^(٤) ، وعبد الصمد بن أبي الجيش ، وابن أبي الدنية^(٥) وجماعة ، من ذلك كلِّ جامع المسانيد من محمد بن أبي الدنية ، وطلب هو بنفسه يسيراً ، وكان يحدث الناس على كرسي ببغداد ، ويحضره خلق عظيم ويأتي بكل نفيس ، وله نثر ونظم ومعرفة بالنحو واللغة ، وكان يعظ في الأعزّية .

(١) في الأصل : « واختلوا » ، وأثبتنا ما في (خ) .

(٢) (خ) : « ولم يزل » .

(٣) في الأصل و (ط) : « وأصبح في تماديه من أصبح الأشياء » ، وأثبتنا ما في (س) .

* الذُّرر : ٣٣٠/٤ ، والشُّذرات : ١٠٦/٦ ، وذيل المعبر : ١٧٧ ، ومن هنا يبدأ الجزء الثاني عشر من نسخة (ق) ، وهي كما وُصفت نسخة المؤلف .

(٤) علي بن أنجب بن عثمان البغدادي السلامي المعروف بابن الساعي (ت ٦٧٤ هـ) . الشُّذرات : ٣٤٣/٥ .

(٥) في الأصل : « للدنية » ، تحريف ، وهو محمد بن يعقوب (ت ٦٨٠ هـ) ، وقد سلفت الإشارة إليه . وانظر المعبر : ٣٣٢/٥ .

وكان متقناً متحرّياً جهوريّ الصوت محبوباً إلى الناس لفضله وعلمه . وليّ مشيخة المستنصرية بعد ابن الدواليبي^(١) .

توفي - رحمه الله تعالى - في أوائل المحرم من سنة ثلاث وثلاثين ، أو أواخر الحجة من سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ولم يخلف درهماً ، وحُمِل نعشه على الرؤوس . ومولده سنة ثلاث وستين ومئة .

١٨٤٥ - محمود بن عزّي بن مشعل*

الشيخ الفقيه الفاضل جمال الدّين البصري .

كان فقيهاً جيداً حفظ (التنبيه) ثم حفظ (الوجيز) ، وكان يكرر عليه وينقل منه كثيراً .

توفّي في سابع عشري شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة ببصرى ودفن بها .

١٨٤٦ - محمود بن محمد بن عبد الرحيم**

ابن عبد الوهاب ، الشيخ بهاء الدّين ، الكاتب المجلّد المتقن المحرر السّلمي ، المعروف بأبن خطيب بعلبك .

كان فرداً في زمانه ، وندرةً في أوانه . كاتبٌ أين الرّياض من حروفه القاعدة ، والعقود من سطوره التي تبيت العيون في محاسنها ساهدة ، كم رؤّض قلمه طرساً ، وجلا على الأبصار عرساً ، وخضع له الكتّاب فلا تسمع إلّا همساً ، ألفاته أحسن اعتدالاً من

(١) محمد بن عبد الحسن ، سلفت ترجمته .

* الدّرر : ٣٣٢/٤ .

** البداية والنهاية : ١٧١/١٤ ، والدّرر : ٣٣٥/٤ ، وذيول العبر : ١٨٦ ، والنجوم الزاهرة : ٣٠٨/٩ ،

والشذرات : ١١٢/٦ .

القدود الرشيقة ، ولاماته أظرف انعطافاً من الأصداغ المسودة على الحدود الشريفة^(١) ،
وعَيْنَاتِه أسحر من العيون الدُّعج ، ونوناته أَسْلَبُ للقلب من الحواجب البُلج :

خَطٌّ كَأَنَّ الْعَيُونَ نَاشِدَةً سَوْدٌ أَنَاسِيَهْنَ مِنْ كُتْبِهِ
أَقْلَامُهُ كُنَّ لِلْوَرَى قَصَباً وَالسَّبْقُ لِلْحَتَوَى عَلَى قَصْبِهِ^(٢)

كتب عليه جماعة من أولاد الأعيان ، وبرع في الكتابة منهم شردمة مختلفة الأديان .

وكان فيه ديانة وعِفَّة وصيانة ، وتقوى تمنعه من التطلُّع إلى أولاد الناس وأمانة .
ولم يَزَلْ على حاله إلى أن جرى القلم بحلول حَيْنِه ، ووَدَّ كل كاتب لوفدائه بإنسان عَيْنِه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في يوم الثلاثاء سَلَخ شهر ربيع الأول سنة خمس وثلاثين
وسبع مئة بمزله في العقبية بدمشق ، ودفن بمدرسة الشيخ أبي عمر بالصالحية .

ومولده في إحدى المجاديين سنة ثمان وثمانين وست مئة .

وكان يخطب جيداً بصوت طَيِّب ، وأقام بدمشق مدة سنين ، وكان محبوباً لكرم
أخلاقه وعِفَّتِه . وكان من أحسن الأشكال ، تام الخلق ، وَصِفَ خطُّه للأمير
سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى ، فأحضره وأمره بأن يكتب له نسخة بالبخاري ،
فاعتذر له بأنه مشغول بتكتيب أولاد الناس ، فقال : أنا أصبر عليك ، فأغفله مدة
تزيد على سنة ، وطلبه فأحضره منه مجلداً ، فرماه إلى الأرض وضربه ضرباً كثيراً
مبرحاً ، ودفع إليه المَجْلَد ، ورأيتُه ، أعني المجلد ، في بعلبك وهو نسخ شيء عجيب إلى
الغاية^(٣) .

(١) في الأصل : « الشريفة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والشريفة : المشرقة .

(٢) (س) ، (ق) : « كن للمدى » .

(٣) قال في الدرر بعدما نقل كلام الصفدي هذا : « رأيتُه بخطه نسخة كاملة في ثلاث مجلدات ، وهي باسم
تنكز ، وقابلها المرّي بقراءة ابن كثير ، وهي أعجوبة في الحسن والصحة ، فكأنه أكل المجلد المذكور » .

وقلت : أنا في الشيخ بهاء الدين :

إِنَّ ابْنَ الْخَطِيبِ وَابْنَ هِلَالٍ لَيْسَ ذَا مِثْلَ ذَا عَلَى كُلِّ حَالٍ
أَيُّ نُونٍ أَمْسَكَتَ مِنْ خَطِّ هَذَا فَهِيَ مِنْ حُسْنِهَا بِأَلْفِ هِلَالٍ

١٨٤٧ - محمود بن محمد بن محمد*

ابن نصر الله ابن المظفر بن أسعد بن حمزة ، الصدر الرئيس العدل الكبير الفاضل الأصيل محيي الدين ، أبو^(١) الشفاء ابن الصدر الكبير شرف الدين ابن الصدر جمال الدين بن أبي الفتح التيمي الدمشقي بن القلانسي .

كان أحد الصدور الأعيان ، كان له إشغال وتحصيل ، وكان فيه خير وتواضع وملازمة لداره وعدم اختلاط بالناس ، وباشر نظرديوان البيوت وأوقاف الحرمين .

وكان قد سمع من ابن البخاري وعبد الواسع الأبهري .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في عَشْرِي ذِي^(٢) الحجة سنة ثلاثين وسبع مئة .

ومولده سنة سبع وسبعين وست مئة .

١٨٤٨ - محمود بن مسعود بن مصلح**

الإمام العلامة ذو الفنون قطب الدين أبو الشفاء الفارسي الشيرازي الشافعي المتكلم صاحب التصانيف .

* البداية والنهاية : ١٥٢/١٤ ، والدُّرَر : ٣٣٨/٤ .

(١) في الأصل : « أبي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) (س) ، (ق) : « عشرين من ذي » .

** تاريخ أبي الفداء : ٦٣/٤ ، والدُّرَر : ٣٣٩/٤ ، والبغية : ٢٨٢/٢ ، وذيول العبر : ٥٥ ،

والنجوم : ٢١٣/٩ .

كان أبوه طبيباً ، وعمّه من الفضلاء ، فقرأ عليها وعلى الشمس الكتيبي والزكي البرشكاني^(١) ، ورتب طبيباً في البيارستان وهو حدث .

وسافر إلى النصير الطوسي ولازمه وبحث عليه (الإشارات) وقرأ عليه (الهیئة) وبقية (الرياضي) وبرع .

واجتمع بهولاكو وأبغا ، وقال له أبغا : أنت أفضل تلامذة النصير وقد كبر ، فاجتهد لا يفوتك شيء من علمه . قال : قد فعلتُ ، وما بقي لي به حاجة .

ثم إنه دخل الروم فأكرمه البرواناه ، وولاه قضاء سيواس وملطية ، وقدم إلى الشام رسولاً من جهة الملك أحمد ، فلمّا قُتل أحمد ذهبَ قطبُ الدّین ، فأكرمه أرغون ، ثم إنه سكن تبريز مدة ، وأقرأ المعقولات وسمع (شرح السّنة) من القاضي محي الدّین ، وروی (جامع الأصول) في رمضانين ، قرأه الصدر القونوي عن يعقوب الهذباني^(٢) عن مصنفه .

وكان من أذكیاء العالم ومن ساسَ الناس وداهن وسالم ، مدّ يد الباع في كل الفنون ، سديد الرأي في مخالطة الملوك والتحرّز من العيون . صنف التصانيف المفيدة وأودعها الذخائر العتيدة ، وكان لفلك الفضائل قطباً ، ولشمس العلوم شرقاً وغرباً :

بِجُودٍ يَهْمَلُ السُّحْبَ احْتِقَاراً إِذَا مَا امْتَدَّ بَيْنَهُمَا الِهُمُولُ^(٣)
وَأَخْلَاقٍ كَبْكَارٍ الْغَوَانِي إِذَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِنَّ الشَّمُولُ

ولم يزل على حاله إلى أن دارت رحى المنون على قُطْبِهِ ، وجعلت شخصته في الثرى تربةً لتُربّه .

(١) في الدرر : « البركشائي » ، وفي البغية : « الركشاوي » .

(٢) يعقوب بن محمد بن حسن الهذباني (ت ٦٥٤ هـ) . الشذرات : ٢٣٣/٥ .

(٣) في الأصل : « المحول » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في رابع^(١) عشري شهر رمضان سنة عشر وسبع مئة .

ومولده بشيراز سنة أربع وثلاثين وست مئة .

وكان الشيخ قطب الدّين ظريفاً مزاحاً لا يحمل همّاً ، وهو بزي^(٢) الصوفية ، وكان يجيد اللعب بالشطرنج ويلعب به ، والخطيب على المنبر وقت اعتكافه .

وكان حليماً سمحاً لا يدخر شيئاً ، بل ينفق مامعه على تلامذته ويسعى لهم ، وصار له في العام ثلاثون ألف درهم ، وقصده صفي الدّين عبد المؤمن المطرب فوصله بألفي درهم ، وفي الآخر لازم الإفادة ، فدرّس (الكشّاف) و (القانون) و (الشّفا) وعلوم الأوائل .

وكان القان غازان يعظّمه ويعطيه ، وكان كثير الشفاعات ، وإذا صنّف كتاباً صام ولازم السهر^(٣) ومسوّدته مبيّضته .

وكان يحبّ الصلاة في الجماعة وينحضع للفقير ، ويوصي بحفظ القرآن ، وإذا مدح يخشع ويقول : أتمنى لو كنت في زمن النّبي ﷺ ، ولم يكن لي سمع ولا بصر رجاء أن يلحني بنظرة .

مرض نحو شهرين ، ولمّا مات رحمه الله أدّيت عنه ديونه .

وكان يتقن الشعبذة ، ويضرب بالرباب ويورد من الهزليات ألواناً بحضور خربندا ، وفي دروسه ، وكانت أخلاقه جميلة ومحاسنه وافرة .

ومن تصانيفه (غرّة التاج) حكمة ، و (شرح الإشراق) للسهروردي^(٤) ،

(١) (ق) : « في يوم ... رابع » .

(٢) في الأصل : « يرى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والدّرر .

(٣) في الأصل : « الشهر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) في الأصل و (س) : « وشرح الإسرار » ، تحريف ، وأثبتنا ما في الدرر . واسم كتابه : « حكمة الإشراق » .

و (شرح الكلّيات)^(١) و (شرح مختصر ابن الحاجب) و (شرح المفتاح للسكاكي) .

١٨٤٩ - محمود بن مسعود*

السلطان علاء الدّين بن شهاب الدّين صاحب الهند .

كان ملكاً عظيماً بنى بدلي منارة عظيمة ارتفاعها مئة وخسون ذراعاً مرجّلة الأساس عظيمة البناء ، عرضها من أسفل رَمِيَّةُ سهم ، ويراهها الناس^(٢) من مسيرة يومين .

ولم يزل في ملكه إلى أن وصل الخبر إلى مكة بوفاته ، وصُلّي عليه بها صلاة الغائب سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وتسلطن بعده^(٣) ولده غياث الدّين فدام سنة ، وخرج عليه أخوه قطب الدّين مبارك^(٤) وتملّك ، وسجن غياث الدّين ، ودام قطب الدّين مبارك في الملك إلى سنة عشرين وسبع مئة ، وقُتِل ، وتسلطن مملوكهم خسرو^(٥) التركي .

١٨٥٠ - محمود بن ديوانا**

كان قد ظهر في تبريز بمشيخةٍ وصلاح ، وخضع له المغول وغيرهم ، وكانت له زاوية في توريز^(٦) .

(١) في البغية : « الكلمات » ، تحريف ، وهو من كتب ابن سينا .

* الدُرر : ٣٤١/٤ .

(٢) (س) ، (ق) : « الإنسان » .

(٣) (ق) : « بعد » .

(٤) (ت ٧١٦ هـ) ، الدُرر : ٢٧٥/٣ .

(٥) في الأصل : « خسر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والدُرر .

** الدُرر : ٣٤٤/٤ .

(٦) في الدُرر : « تبريز » .

حكى الإربلي عز الدين الطبيب نقلاً عن التاج عبد الله الطيبي ما معناه أن آل فرنك أحد أولاد القانات كان مرشحاً للملك ، وكان محباً للفقراء ، فأتى يوماً إلى زاوية الشيخ محمود ديواناً ومدّ له سماًطاً ، وعمل له سماعاً ، ورقص الشيخ محمود وطاب ودار في الطابق ، وجذب آل فرنك إليه ، وألقى كلاهه^(١) عن رأسه وألبسه طاقية كانت على رأسه وقال : قد وليتكم السلطنة ، ورقص ورقص معه . فتقلت هذه الكلمة إلى غازان ، ف ضربَ عنق آل فرنك بين يديه .

وكان قسم الغصن في تشنيه ، وشقيق البدر أو ثانيه .

وأمر بإحضار الشيخ محمود ديواناً ، فلما رآه قال : أهلاً بالشيخ الذي قد صار يُؤلّي الملوك بطاقية ، وأمر به فشدّ بين دفتين ، ونُشر حق وقع نصفين بقسمة صحيحة سواء بسواء .

☆ المحوجب : شمس الدين محمد بن يوسف الجزري .

١٨٥١ - مختار *

الأمير الكبير الطواشي ظهر الدين المعروف بالبلبيسي^(٢) الخازن دار بقلعة دمشق .

كان حسن الشكل ، حسن الأخلاق ، فيه وقار وسكون ، وحفظ القرآن ، وكان يتلو بصوت حسن .

أنشأ مكتباً للأيتام قبالة القلعة ، ووقف عليه الجامكية . وكان له خبز بطبخاناه . ووليّ التقديم على الماليك السلطانية بمصر مكان الطواشي فاخر^(٣) .

(١) هو غطاء الرأس ، ويقال له أيضاً : الكلفتا .

* البداية والنهاية : ٧٨/١٤ ، والدُرر : ٣٤٤/٤ .

(٢) في البداية : « البكنسي » .

(٣) في الدُرر : « قامر » ، تحريف ، وهو فاخر المنصوري شهاب الدين (ت ٧٠٤ هـ) ، الدُرر : ٣١٩/٣ .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في آخر شعبان سنة ست عشرة وسبع مئة بقلعة دمشق ،
ودفن بربّا باب الجابية بترتبه التي عمرها ، ووقف عليها أوقافاً وقرّر فيها مُقرئين^(١)
بالنوبة ليلاً ونهاراً .

اللقب والنسب

- ☆ ابن مخلوف : محي الدين محمد بن علي . وقاضي القضاة علي بن مخلوف .
- ☆ ابن مراحل : علاء الدين علي بن عبد الرحيم .
- ☆ المرداوي^(٢) : موسى بن محمد .
- ☆ ابن المرحّل^(٣) : الشيخ شهاب الدّين عبد اللطيف بن عبد العزيز . والشيخ
صدر الدّين محمد بن عمر ، وأخوه عبد الوهاب .
- ☆ والمغربي : مالك بن عبد الرحمن .
- ☆ وزين الدّين : محمد بن عبد الله .
- ☆ ابن مختار الحنفّي : محمد بن مختار .
- ☆ الثّمرجاني : عبد الله بن محمد .
- ☆ ابن المخرميّ : إبراهيم بن الحسن .
- ☆ ابن المرواني : أحمد بن حسن^(٤) ، وأخوه علاء الدّين علي بن حسن ، وابنه
ناصر الدين محمد بن علي .
- ☆ المراكشي : فخر الدّين عبد الله بن محمد .
- ☆ وتاج الدّين : محمد ابن إبراهيم .
- ☆ والمريني : الأمير علاء الدّين مغلطاى .

(١) في البداية : « ووقف عليها القريتين ، وبنى عندها مسجداً حسناً ، ووقفه إمام » .

(٢) في الأصل : « ابن المرداوي » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « المرحل » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٤) (ق) : « شهاب الدّين أحمد بن الحسن » .

☆ **المريني** : السلطان عثمان بن إدريس .

☆ **والمريني** : عثمان بن يعقوب ، وولده السلطان علي بن عثمان .

١٨٥٢ - مريم بنت أحمد*

ابن أبي بكر محمد بن إبراهيم بن أحمد ، الدمشقية ، أم عبد الله ، بنت الجمال .

كانت امرأةً صالحةً خيرةً ، حضرت على الفقيه محمد بن عبد الملك بن عثمان المقدسي ، وأجازها الكاشغري ، وابن القبيطي ، وجماعة .

وتوفيت - رحمها الله تعالى - ثالث عشري جمادى الأولى سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولدها سنة خمس وثلاثين وست مئة .

وهي أخت الإمام محب الدين عبد الله المقدسي المحدث^(١) ، وزوجة الشيخ أحمد بن أبي محمد العطار إمام مغارة الدم^(٢) .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليها جزءاً من (فوائد أبي عروبة الحراني) وغير ذلك .

النَّسَبُ وَالْأَلْقَابُ

☆ **ابن مزهر** : القاضي فخر الدين محمد بن مظفر .

☆ **وشرف الدين** : يعقوب بن مظفر^(٣) .

☆ **ابن مَرْيُز** : تاج الدين الحوي أحمد بن إدريس .

* لم تقف على ترجمة لها .

(١) (ت ٦٥٨ هـ) . السير : ٣٧٥/٢٣ .

(٢) بجبل قاسيون ، معروفة .

(٣) (س) : « مزهر » .

☆ وعز الدين : عبد العزيز بن إدريس .

☆ الميزي : المؤقت محمد^(١) بن أحمد .

☆ والمزي : يوسف بن عبد الرحمن .

☆ المستكفي بالله : أمير المؤمنين ، أبو الربيع سليمان بن أحمد .

١٨٥٣ - مسعود بن أحمد*

ابن مسعود بن زيد ، الشيخ الإمام العالم ، المفتي الحافظ ، الجود فخر المحدثين ، قاضي القضاة بالديار المصرية ، سعد الدين الحارثي ، العراقي ، الحنبلي . والحارثية قرية قريبة من بغداد ، المصري المولد .

سمع من الرضي بن البرهان ، والنجيب عبد اللطيف ، وابن علاّق ، وطبقتهم . وبدمشق من جمال الدين الصيرفي ، وابن أبي الخير ، وابن أبي عمر ، وعدة .

وعني بهذا الشأن ، وكتب العالي والنازل ، وخرّج وصنّف ، وتميّز وتفرّد ، ودرّس بالناصرية بالقاهرة ، وبالصالحية ، وبالجامع الطولوني .

وولي القضاء بالديار المصرية في ثالث شهر ربيع الآخر سنة تسع وسبع مئة ، فأقام في ذلك سنتين ونصفاً ، وسار فيه سيرة مرضية ، وكان متيقظاً فيه محتاطاً متحرزاً ، وقدم الفضلاء والنبلاء من كل طائفة .

قال كال الدين الأدفوي : قال لي القاضي شمس الدين بن القمّاح : تكلمت معه في المذهب ، فقال : كل ما يلزم القول بالجهة أقول به . قال وحكى لي بعض أصحابنا أنه دخل للدرسة الكاملية ليجمع بالشيخ تقي الدين بن دقيق العيد ، فلما رآه الشيخ قام وقال : داعية ، ولم يجمع به . انتهى^(٢) .

(١) (ق) : « شمس الدين محمد » .

* الدرر : ٣٤٧/٤ ، والشذرات : ٢٨/٦ ، وذيول المعبر : ٦٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٢١/٩ .

(٢) وفي الدرر عن الذهبي : « وكان ابن دقيق العيد ينفر منه لقوله بالجهة : ويقول : هنا داعية ، ويمتنع من الاجتماع به » .

وشرح جملة من (سنن أبي داود) شرحاً جيداً ، وشرح قطعة من (المقنع) في مذهبه ^(١) ولم يكمله ، أتى فيه بفوائد ومباحث وتقول كثيرة ، ولو كمل لانتفع الناس به .

وكان قد قدم إلى دمشق على مشيخة دار الحديث النورية ، ثم إنه ضجر ورجع وحدث بدمشق ومصر .

وكان رئيساً فصيح الإيراد ، عذب العبارة ، قوي المعرفة بالمتون والرجال صيئاً ^(٢) ، وافر الحرمة ، فاخر البزة . وكان أبوه من التجار .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالقاهرة ^(٣) سحر الأربعاء رابع عشر ذي الحجة سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة اثنتين وخمسين وست مئة .

وخلفه في الفقه ولده الإمام شمس الدين عبد الرحمن ^(٤) .

١٨٥٤ - مسعود بن أوحـد بن الخطير *

الأمير الكبير بدر الدين ، أمير حاجب بالديار المصرية في أيام الملك الناصر محمد وفيما بعد ، ونائب السلطنة بغزة غير مرة ، ونائب طرابلس غير مرة ، وأكبر مقدمي الألوף بالشام .

(١) هو المقنع في فروع الحنبلية لموفق الدين عبد الله بن قدامة الحنبلي (ت ٦٢٠ هـ) ، الكشف :

١٨٠٩/٢ . وهو مطبوع .

(٢) (ق) : « دئيئاً صيئاً » .

(٣) (س) ، (ق) : « وتوفي قاضي القضاة سعد الدين للذكور بالقاهرة » .

(٤) سلفت ترجمته في موضعها .

* تحفة ذوي الألباب : ٢٧٩/٢ ، ووفيات ابن رافع : ٣١٥/١ ، والنجوم : ٢٩٢/١٠ ، والدُرر : ٣٤٨/٤ ،

وذيول العبر : ٢٩٢ .

كان عريقاً في الرئاسة ، غريقاً في الحشمة والنفاسة ، كريم الود والإخاء ، كثير البذل لأصحابه والسخاء ، وكان بابه حرمّ اللاجي ، وقبلة الراجي ، لا يخبأ جأهه عن قاصده ، ولا ماله عن وافده . كثير الاتّضاع كأن من يجالسه أخوه من الرضاع ، ألطف من النسيم إذا سرى ، وأرأف بالضعيف من والديه إذا عايناه به أمراً منكراً . وكان به للملك الناصري جمال ، و [هو] ^(١) لمن استجار به ثيال ، بل كان في ذلك الأفق بدر كاله ، وزينة موكبه في يمينه وشماله ، وصاحب رأيه الذي كم ^(٢) أسفر وجهه عن جماله . وحكمه الملك الناصر في الديار المصرية فحكم بالعدل ، وأفاض نيل نيله بالجود والبذل ، وزان دولته بحسن سيرته ، وصفاء باطنه وطهر سيرته :

يتكفّل الأيتام عن آبائهم حتّى ودّدنا أنّنا أيتام
يتجنّب الآثام ثمّ يخافها فكأنّا حسناته آثام
قد شرّد الإعدام عن أوطانه بالبذل حتّى استطرف الإعدام

ولم يزل يتنقل في الممالك تنقل البدور ، ويتوقّل في هضبات المعالي توقّل العقبان والنسور ، إلى أن اختار المقام بدمشق فأجيب ، وسكن ما بقلبها ^(٣) من الوجيب ، وكان في جأها للناس رحمة ، ولكلّ من نزلت به بليّة نعمة ، يدّ عليهم ظل شفقتة ، وينشر لهم جناح رحمته ^(٤) ، فما يبالون بمن عدل أو جار ، ولا يحفلون بمن بعد أو زار ، حتى نزل الأمر الخطير بابن الخطير ، ورأى الناس بالبكاء ^(٥) لموته كيف يكون اليوم ^(٦) للطير .

(١) طمست في الأصل ، وأثبتناها عن (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) ، زيادة : « شوقاً إليه » .

(٤) (س) ، (خ) ، (ق) : « رأفته » .

(٥) في الأصل : « البكاء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٦) في الأصل و (خ) : « الموت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الثلاثاء سابع شوال سنة أربع وخسين وسبع مئة .
ومولده سنة ثلاث وثمانين وست مئة ليلة السبت سابع جمادى الأولى بحارة
الخاطب بدمشق .

وأخذ^(١) إمرة العشرة بدمشق سنة ثلاث عشرة وسبع مئة^(٢) . وقربه الأمير
سيف الدين تنكز وأذناه وأحبه ، ثم إنه جهّزه إلى باب السلطان صحبة أسندمّر رسول
جوبان سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، فلما رآه السلطان أعجبه شكله وسمته ووقاره ،
ورسم له بالمقام عنده ، وأعطاه طبلخاناه ، فجعله حاجباً . ولم يزل في الحجويّة إلى أن
أمسك الأمير سيف الدين ألماس أمير حاجب سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، فولاه
السلطان مكانه أمير حاجب ، ولم يكن بمصر إذ ذاك نائب سلطنة إلا أمير حاجب ،
فكان يعمل النيابة والحجويّة ، وقيل : إنّ السلطان لمّا أعطاه إمرة الحجويّة كان على
حركة للصيد فأعطاه جملاً قيمته دراهم ، تقدير^(٣) سبعين ألف درهم إنعاماً عليه ، وقال
له : هذا برسم إقامة الرّخت وحركة الصيد ، وأحبه السلطان والناس أجمعون من
الأمرء والمشايخ وأمرء الحاصيّة ، وكان يمشي في خدمته الأمرء الكبار .

ولم يزل على حاله في وجاهة حتى أمسك الملك الناصر محمد الأمير سيف الدين
تنكز ، فرسم للأمير بدر الدين بنياية غزة ، فحضر إليها في مستهل صفر سنة إحدى
وأربعين وسبع مئة ، فأقام فيها سبعة أشهر^(٤) ، ثم إنه نقله إلى دمشق ، فحضر إليها في
أيام الأمير علاء الدين الطنبغا . فلما اتفق للأمير سيف الدين قوصون ما اتفق أيام

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) : « أخذ » ، بلا واو .

(٢) في (س) : « تسع عشر » . وفيها وفي (ق) ، (خ) زيادة : « وولي الحجويّة بدمشق سنة سبع
عشرة وسبع مئة » .

(٣) عبارته في التحفة : « فأنعم عليه بجملة دراهم تقدير .. » .

(٤) في التحفة : « تسعة أشهر » .

الملك الأشرف كجك طَلَب الأمير بدر الدِّين إلى مصر ، وأعادَه إلى وظيفة الحجويَّة وكان بها أمير حاجب في مستهل صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

ولَمَّا انفصل قوصون ^(١) خرج إلى غَزَّة ثانياً نائباً ، وأقام بها شهرين ، ثم حضر إلى دمشق ثانياً وأقام بها مدة ، وهو أكبر مقدمي الألوف . ثم إنه رُسم له بالتوجه إلى غَزَّة نائباً ^(٢) ثالث مرة ، فتوجه إليها في شهر رجب أو أوائل شعبان سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، ولم يزل بها إلى أن جرى للأمير سيف الدِّين يلْبغا ما جرى وقُتل ، فرُسم للأمير بدر الدِّين بنبابة طرابلس ، فتوجه إليها في جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وعاد منها إلى دمشق في أواخر شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة ، فإنه عَزَلَ بألجيغا الخاصكي ، ولَمَّا اتَّفَق حضور ألجيغا إلى دمشق ^(٣) وقُتِله أرغون شاه ، على ما مرَّ في ترجمته ، في سنة خمسين وسبع مئة ، وخلت دمشق من نائب يقوم بأمرها سدَّ الأمير بدر الدِّين النبابة ونفَّذ مهات الدولة ^(٤) ، وكاتبَه الملك الناصر حسن في البريد وسدَّ ^(٥) ذلك على أحسن ما يكون .

ثم إن السلطان رسم له بالعود إلى طرابلس نائباً بعد أن وُسِّط ألجيغا وأياز بسوق الخيل في دمشق ، على ما تقدم في ترجمتها .

فتوجَّه إليها في أوائل جمادى الأولى سنة خمسين وسبع مئة .

ولم يزل بطرابلس إلى أن طُلب إلى مصر ، فدخل إلى دمشق نهار عيد الفطر سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وخرج منها متوجَّهاً بطُلبه إلى مصر ، فلما وصل إلى الرملة ورد المرسوم عليه بعوده إلى دمشق ، فعاد إليها ودخلها في عاشر ذي القعدة ، وأقام

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) : « أمر قوصون » .

(٢) (خ) : « ثانياً » تحريف .

(٣) قوله : « إلى دمشق » ليس في (خ) .

(٤) (خ) : « ونفَّذ المهات » .

(٥) (س) : « وشدَّ » .

مدة^(١) بغير إقطاع ، ثم إنه أُعطي أخيراً خبز نوروز . ولم يزل كذلك إلى أن توجه في نوبة بيبغاروس صحبة الأمير سيف الدّين أرغون الكاملي نائب الشام والعسكر الشامي ، وأقاموا على لدّ ، وحضر الأمير عز الدّين طقطاي الدوادار وهم على لدّ ومعه تقليدّه الشريف بنيابة طرابلس مرة ثالثة ، فلبسه هناك ، وخدم به ، وأقام هناك إلى أن حضر السلطان الملك الصالح صالح من مصر ودخل إلى دمشق وهو مع نائب الشام ، ثم إنه توجه إلى حلب صحبة الأمير سيف الدّين شيخو ، والأمير سيف الدّين طاز إلى حلب في طلب بيبغاروس ، وأقاموا بحلب مدة ، فاستعفى الأمير بدر الدّين هناك من نيابة طرابلس ، وثقل عليهم^(٢) ، فأعفوه ، واستقر على حاله بدمشق .

وفي يوم عيد رمضان حُمِلَ الجُثَرُ^(٣) على رأس السلطان على العادة في مثل ذلك ، ولَمَّا عادت العساكر المصرية صحبة السلطان إلى القاهرة فَوُضَتْ إليه نيابة الغيبة بدمشق ، ولم يتحرك السلطان في تلك المدة بحركة في دمشق إلا برأيه وترتيبه ، لِقَدَمِ هجرته ومعرفته بِمُصْطَلَحِ الملك من الأيام الناصرية .

ولم يزل على حاله بدمشق إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في التاريخ المذكور وصلى عليه نائب الشام وأعيان الأمراء والقضاة . وكانت جنازة حافلة ، ودفن في الصالحية بتربتهم .

وكان قد حدّث عن ابن دقيق العيد .

ولَمَّا توفي - رحمه الله تعالى - قلتُ أنا أرثيه :

يا ذلّتي وشقاي بعد مسعود وطول حُزني وتعدادي لتعديدي
ويا نواحي الذي يَملا نواحي جي رون استعدّ واستزد لي فوق مجهودي^(٤)

(١) في (خ) ، (س) زيادة : « بها مدة » .

(٢) أي : أبطأ في نجتهم .

(٣) الجثر : هي المظلة على هيئة قبة من الحرير المزركش .

(٤) (خ) : « واستزدني » . وفي (س) : « فوق موجودي » .

سَطَا لجَانَا لَظْلٌ مِنْهُ مَمْدُودِ
 بَيْنَ الْأَنْسَامِ لِسُهُ تَقْضِي بِتَخْلِيدِ
 حُسْنًا وَأَيَّامُهُ أَيَّامَ تَعْيِيدِ
 يَخْتَالُ فِي حَلْقِي نَصْرٍ وَتَأْيِيدِ
 وَهَزَّ عَجَبًا بِهِ أَعْطَافَ أَمْلُودِ^(١)
 وَبَاتَ مِنْ ذَاكَ فِي اسْتِعَابِ تَهْمِيدِ
 لِبَاسِ سَابِغَةٍ مِنْ نَسَجِ دَاوُودِ
 أَعْدَاءُ فِي حَرْبِهَا مِنْ غَيْرِ تَجْرِيدِ
 وَوَجَنَةُ السَّيْفِ تَمْسِي ذَاتَ تَوْرِيدِ
 لِلدَّهْرِ مِنْ ظِلْمَاتِ فِي الْوَرَى سَوْدِ
 بَابًا لَنَيْلِ الْمَعَالِي غَيْرِ مَرْدُودِ
 بَادَتْ نَوَائِبُهَا عَنْهَا إِلَى الْبِيدِ
 عَلَى عَجَائِبِهِ بِالْفَضْلِ وَالْجُودِ^(٢)
 وَنَسَمَةُ الصُّبْحِ فِيهِ ذَاتَ تَرْدِيدِ
 أَصْلًا تَقَرَّعَ عَنْ أَبَائِهِ الصِّيدِ
 عَلَوْ مُجْدٍ بِفِرْعَ النَّجْمِ مَعْقُودِ
 بِجَوْهَرٍ تَزْدَهِي مِنْهُ بِتَنْضِيدِ^(٣)
 وَالشَّنْفُ فِي أَذْنِهَا وَالطُّوقُ فِي الْجِيدِ
 مِنْ عَيْنِ عَادٍ مَعَ الْمَعْدُومِ مَعْدُودِ
 فِ النَّجْمِ مَا بَيْنَ تَصْوِيتٍ وَتَصْعِيدِ
 بِنُورِهِ ثُمَّ أَضْحَى تَحْتَ جَلْمُودِ

مَاتَ الْأَمِيرُ الَّذِي كَانَ الزَّمَانُ إِذَا
 وَلَّى وَزَالَ وَقَدْ أَضَحَّتْ مَنَاقِبُهُ
 كَانَتْ لِيَالِيهِ أَعْرَاسًا لِنَاطِظِهَا
 وَكَانَ لِلْمَلِكِ عِطْفٌ مِنْ عَزَائِمِهِ
 [زَهَا بِهِ الْمَلِكُ مِنْ مِصْرٍ إِلَى حَلَبِ
 وَشَيَّدَتْ رُكْنَهُ مِنْهُ سِيَاسَتُهُ
 تَغْنِي بِسَالَتِهِ يَوْمَ الْكَرِيمَةِ عَنْ
 تَكَادُ أَسْيَافِهِ تَقْضِي عَلَى مَهْجِ الدِّ
 وَيَصْبُحُ الرَّمَحُ فِي يَمْنَاهُ ذَا هَيْفِ
 يَمْحُو بَبِيضَ أَيْدِيهِ الْكَرِيمَةِ مَا
 أَضَحَّتْ بِهِ غَزَةٌ فِي عِزَّةٍ فَتَحَتْ
 كَذَا طَرَائِلُسَ إِذْ صَارَ نَائِبُهَا
 وَجَاوَزَ الْبَحْرَ فِيهَا مِثْلُهُ وَرَبَا
 خِلَاقٌ مِثْلَ رَوْضِ زَهْرِهِ خَضِلٌ
 وَطَابَ رِيًّا كَمَا طَابَتْ أَرْوَمَتُهُ
 وَمَا تَوَاضَعَ إِلَّا زَادَ رَفْعَتُهُ
 وَزَانَ أَيَّامَهُ مِنْ بَعْدَمَا عَطَلَتْ
 فَالْتَّاجُ فِي رَأْسِهَا رَاقَتْ جَوَاهِرُهُ
 يَا حَاجِبًا كَانَ عَيْنُ اللَّهِ تَحْرُسُهُ
 أَخْلَيْتَ أَفْقَ دِمَشْقَ مِنْ سِنَاكَ فَطَرِ
 تَبْكِي الْكَوَاكِبَ بَدْرًا كَانَ يُوَسِّسُهَا

(١) زيادة من (س)، (خ).

(٢) (س)، (خ)، (ق) : « في الفضل » .

(٣) في الأصل : « هطلت » ، وأثبتنا ما في (س)، (خ)، (ق) .

أَبْقَى بَنِيهِ رَوَاةَ الْجَوْدِ عَنْهُ لَنَا فَنَحْنُ فِي سَنَدٍ فِيهِ ابْنُ مَسْعُودٍ^(١)
لَا زَالَ تَسْقِي ثَرَاهُ سَحْبٌ مَغْفِرَةٌ تَسْرِي لَهُ فِي طَرِيقٍ غَيْرِ مَسْدُودٍ^(٢)

وَلَمَّا كَانَ الْأَمِيرُ بَدْرُ الدِّينِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - بِطْرَابِلِسَ نَائِباً أَهْدَى إِلَى الْأَمِيرِ
سَيْفُ الدِّينِ أَرْغُونُ شَاهٍ ، وَهُوَ نَائِبُ دِمَشْقَ ، شَيْئاً مِنَ الْقَلْقَاسِ وَقَصَبِ السَّكْرِ
وَالْمَحْمَصَاتِ^(٣) ، فَكَتَبْتُ أَنَا الْجَوَابَ إِلَيْهِ عَنْ ذَلِكَ وَهُوَ : يَقْبَلُ الْبَاسِطَةُ الشَّرِيفَةُ الْعَالِيَةُ
الْمَوْلُويَةُ الْأَمِيرِيَّةُ الْكَبِيرِيَّةُ^(٤) الْبَدْرِيَّةُ ، لَا زَالَتْ أَيَْادِيهَا تَنْقُلُ الْغَوَارِبَ^(٥) ، وَتَبْعَثُ
نَفُوسَ مَحْبِيهَا^(٦) عَلَى التَّوَسُّعِ فِي نَيْلِ الْمَآرَبِ ، وَتُخَصِّمُهُمْ مِنْ تَحْفِهَا بِمَا يَجْمَعُ لَهُمْ بَيْنَ لَذَّةِ
الْمَنَاطِرَةِ^(٧) وَالْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ ، وَيُنْهِي بَعْدَ دَعَاءٍ تَفْسَحَتْ لَهُ بَيْنَ النُّجُومِ الْمَضَارِبِ ،
وَوَلَاءِ أَعْلَامِهِ خَفَاقَةُ الذَّوَائِبِ بَيْنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ ، وَرُودِ الْمَشْرِفِ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ
اللَّهُ تَعَالَى قَرِينَ مَا أَنْعَمَ بِهِ مَوْلَانَا أَعَزَّ اللَّهُ أَنْصَارَهُ مِنْ هَدَايَا طْرَابِلِسَ الْحُرُوسَةِ ، وَتَفَضُّلِ
بِمَا يَتَوَقَّعُ^(٨) بِهِ إِلَى مَعَاهِدِهَا الْمَأْنُوسَةِ ، فَوْقَ الْمَمْلُوكِ مِنْهُ^(٩) عَلَى رَوْضِ تَدَبُّجٍ ، وَكَافُورٍ
بِعَنْبَرٍ^(١٠) اللَّيْلِ تَسْبِجٍ . وَرَأَى بِحَرِّ فَضْلِهِ وَهُوَ بِأَمْوَاجِ سَطُورِهِ مُدْرَجٌ^(١١) ، [وَبِهِتَ لِرَصْفِ
سَطُورِهِ الَّتِي كَأَنَّهَا نَبَتْ عَذَارٍ فِي هَامِشِ الْخَدِّ مَخْرَجٌ]^(١٢) ، فَلَمْ يَلْمُوكِ مِنْهُ مَوْقِعَ الْاسْمِ

(١) تَوْرِيَّةٌ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودِ الصَّحَابِيِّ .

(٢) (س) ، (ق) : « لَا يَزَالُ » .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَالْمَحْمَصَاتُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، (خ) ، (ق) . وَسَيَأْتِي مَا يُؤَيِّدُ هَذَا .

(٤) لَيْسَتْ فِي (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) فِي (س) ، (خ) ، (ق) : « تَنْقُلُ الذَّرَا وَالْغَوَارِبَ » .

(٦) (خ) : « مَحْبِيهَا » .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « الْمَنَاطِرَةُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، (خ) ، (ق) .

(٨) (س) ، (ق) : « سَوَّقَ » ، (خ) : « شَوَّقَ » .

(٩) (خ) : « بِهِ » .

(١٠) (خ) : « بِغَيْرِ » . وَالسَّبْجَةُ : كِسَاءٌ أَسْوَدٌ ، وَتَسْبِجٌ : لِبْسُهُ .

(١١) (خ) : « تَدْرَجُ » ، (س) : « مُدْرَجٌ » .

(١٢) زِيَادَةٌ مِنْ (س) ، (خ) ، (ق) .

الكريم ، وقبّل منه خدّ كعابٍ وسالفة ريم ، ووصل ما أنعم به من الهدية الكريمة ، فن قلّاس يقصّر ابن قلّاس عن نعمته ، ويَعْجَزُ البحري [لوأنّه ^(١)] قواف عن نخته ، كل رأس منه يعود في طبخه كالمُخّ ، وتمشي النفس إليه وهو في رقعة الخوان مشي الرّخ ، رؤوسه كرؤوس العدا المحزوزة غلّفَتْها الدماء والمضاب ^(٢) ، وأصابه كأصابع العذارى إذا انغمست في الخضاب ، يتفرّى العنبر عن كافوره ، وينصدع الديجور منه بصبح بدا في سفوره ، وينزل في اللّهاء ليناً ونعومة وانغلاسا ، ويزدرد الحلقوم لذادة يخطفها ^(٣) من العيش اختلاسا ، ويكاد من نضجه يقول لطاهيه وأكله إذا شبّها وقاسا :

وإن سألوك عن قلبي وما قاسى فقل قاسى ، فقل قاسى

ومن قصب سكريّ كلّ عود له لدونة غصن البان ، وصفرة استعارها من العاشق إذا صدّ عنه الحبيب أوبان ، وحلاوة ذوق لولاها لما شبّهه إلا بالمرّان ، ومائيّة كريق الحبيب الذي ردّ الردى وصدّ الصدى عن القلب الحرّان ، فشكراً لجزرات الهند وما أهدت منه لأرض العجم والعرب ، وعجّباً للونه وطعمه ووصفه فما يُدرى هل هو قصبٌ ذهب ، أو قصب ضرب ، أو قصب طرب ، وبخربخ لجّزعه التي تمرّ بالخلق والازدردان لم يتنبّه ، وزاه زاه لحالاته المتناقضة فإنّ حزه كحزّ رقاب العدا ومصّه كمص شفاه الأحيّة ، ومن أترج أصفر وكبّاد أحمر ، هذا لونه لون الوجّل ، وهذا له حمرة الخدّ الخجل ، هذا تخرّج متضجّ ، وهذاك تهيج وما تدبّج ، لا تنهض بأوصافها ^(٤) قوائم المسودات والبيضات ، ولا يقرب منها الفواكه الحلوة لأنها تقول : مالنا وللدخول

(١) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) من (س) ، (خ) ، (ق) : « وتراب المضاب » .

(٣) في الأصل و (س) : « يحفظها » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) .

(٤) في (س) ، (خ) ، (ق) : « بأوصافها الحسنة » .

في هذه المحمّضات ، فالله يشكر هذه الأيادي التي جادت له بالبستان والقصر ، ومتّعته وهو في الشام بالمحاسن التي اذكّر بها أوقات مصر ، بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

وكان الأمير بدر الدّين - رحمه الله تعالى - قد جهّز إليّ من طرابلس ثوب صوف أزرق مربّعاً في غاية الحسن قرين كتاب منه . فكتبتُ أنا الجواب إليه أشكر إحسانه وهو :

يقبّل الأرض ، وينهي ورود المرسوم الكريم أعلاه الله تعالى ، فوقف المملوك له قائماً ، وقبل شفة عنوانه اللّعاء^(١) لاثياً ، وتوهم أن هذا طيف خيال من فرجه^(٢) وأنه كان حالماً ، ووضعه على رأسه وعينيه ، وقضه فقبّل الأرض وكرّر ذلك ، كأن مولانا - أعزّه الله تعالى - حاضر^(٣) والمملوك بين يديه ، ورآه متوجّاً بالاسم الكريم فعلم أنّ طالعه مسعود ، وفاح أرجه فقال : هذا إما لطخ عنبر أو مسّ عود ، ونزّه ناظره في تلك الحديقة التي تجدّولت بالسطور وتطوّلت^(٤) ببياض طرسها وسواد نقشها فقصر عنها كافور النّهار ومسك الديجور ، وعلم أن كاتبها حرسه الله تعالى قد تأنى فيها وتأنق ، ودبّجها بأنواع المنشور فقابل المملوك مافيها من الجبر والصدقة بدعاء يرفعه ، والملائكة بين سُرّادق العرش^(٥) تضعه ، والله الكريم لعلمه بإخلاصه يستجيب له لَمّا يسمعه ، فإن المملوك ماتوهم أن العبد يرعى له المولى حقوقه ، ولا أن المملوك يُجري بين أيديهم ذكر السّوّة ، ووصل ما تصدق به مولانا ملك الأمراء أعزّ الله أنصاره من الصوف^(٦) الأزرق المربّع :

(١) اللّعاء : سواد مستحسن في الشفة .

(٢) (خ) : « قزحه » .

(٣) (س) ، (خ) ، (ق) : « أعزّ الله أنصاره حاضر » .

(٤) في الأصل : « وتطوّلت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) في (س) ، (خ) ، (ق) : « العرش العظيم » .

(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) : « الثوب الصوف » .

فيا فخري به لَمَّا أتاني ويا شرفي به بين الصفوفِ
فزُرْقَتُهُ تُحَاكِي لَزُورْدًا على لَوْنِ السَّمَاءِ والبحرِ توفِي
ولم أَرِ قبلَهُ ثوباً رفيعاً غدا درعاً أَرَدَ به حُتُوفِي
يقولُ مساجلُ الأثوابِ فخرأ لقد أعيَا الحريري وصفُ صوفي

ياله من مَرَبَعٍ ^(١) يَوَدُّ المملوكُ لو وصفَهُ بِأَلْفِ مَحْمَسٍ، وذو لون أزرق يحسُن أن يكون سماءً تتبرَّج فيها ﴿الْجَوَارِي الْكُنَّسُ﴾ ^(٢)، ما أحسن لونه الأزرق لأنَّ البدر أهده، وما أحكم نسجه فإن صانعه أتقن ما ألهمه فيه وسدَّاه، وما أثقله من سحابه فإن الغائم تخجلُ من أيادي مَنْ أسداه. كم نال المملوكُ به من مسرةٍ بخلاف ما يزعمه المنجمون في الترييع، وكم استجلى من لونه الأزرق سوسناً فكأنَّ الزمان به زمان الربيع ^(٣)، وتعجبُ له من مَرَبَعٍ يحكمه أهل التثليث ويطيبُ الشاء على صانعه وأصله خبيث، ونشره المملوك من طيِّه فرأه مجراً وجنَّدَ رثته أمواجه، وقال: هذا خليجٌ جاء من بحر لا ينحرف عن الجود ^(٤) معاده ومعاجه ^(٥)، فكل أمره عجيب، وكلُّ ما فيه غريب، حتى إنه في غاية اللين وإن كان يصنعه عبَّاد الصليب. وقد غفر المملوك به من ذنوب الدهر ماضٍ وما بقي، وجعل تاريخ قدومه عيداً وما يُنكر تاريخ المسعودي ولا الأزرقي ^(٦)، والله يُوزع المملوك شكر هذه الصَّدقات التي عمَّ سحابها وأغرق. وروى جودها عن نافع بن الأزرق ^(٧)، فقد نُوِّهت بقدره، ونوعت له أسباب جبره،

(١) في (س)، (خ)، (ق): «من ثوب مربع».

(٢) سورة التَّكْوِير: ١٦/٨١.

(٣) قوله: «وكم استجلى» حتى ههنا ليس في (خ).

(٤) (خ): «لا ينحرف عنه».

(٥) (س)، (خ)، (ق): «ولا معاجه».

(٦) محمد بن عبد الله، مؤرخ له: أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، (ت ٢٥٠ هـ).

(٧) (ت ٦٥ هـ).

وَيُدِّيمُ اللَّهُ أَيَّامَ مَوْلَانَا مَلِكِ الْأُمَرَاءِ لِمَالِيكَ^(١) أَبْوَابِهِ وَغُلْمَانِهِ ، وَيَغْفِرُ بِإِحْسَانِهَا لَهُمْ ذُنُوبَ زَمَانِهِمْ ، فَإِنَّهُمْ مِنْ ظِلِّهِ الْوَارِفِ فِي أَمَانِهِ ، بِمَنْهَ وَكِرْمِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

١٨٥٥ - مسعود بن سعيد*

[ابن يحيى] ، سعد الدين المصري الجيزي المعروف بابن الحمامية .

كان صوفيّاً أديباً ، سمع من الحافظ العطار^(٢) ، وكان شيخاً حسناً ، حسنَ المحاورَةِ يكتب خطأً حسناً . وكان واسع الصدر ، كثير الاحتمال ، صحبَ بيدراً مملوك الأشرف^(٣) ، وكانت له صورة في أيامه ، وكان مع ذلك متواضعاً ، دخل عليه يوماً ولده ، فأساء عليه الأدب وسبّه وشمّه شتماً قبيحاً ، فلما فرغ قال له : ما نصطلح ؟ وكتب له ورقة بأربعين درهماً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده تخميناً سنة تسع وثلاثين وست مئة .

وكانت وفاته بالجيزة .

أنشدني من لفظه شيخنا أثير الدين ، قال : أنشدني للذكور لنفسه :

| | |
|--|---|
| عَلَامُ الْأَمِّ فِي خَلْوِ الشَّمَائِلِ | وَيَعَذَّبُ فِي الْهَوَى عَذْلُ الْعَوَازِلِ |
| غَزَالٌ هِمَّتْ مِنْ غَزَلِي عَلَيْهِ | إِذَا وَافَى بِجَفَنِيهِ يَغَاذِلُ ^(٤) |
| لَهُ وَجْهُ الْغَزَالَةِ حِينَ تَبْدُو | ضَحَى مِنْ فَوْقِ غَصَنِ الْبَانِ مَائِلِ |

(١) (خ) : « بماليك » .

* الدُّرَرُ : ٣٤٩/٤ ، وما بين حاصرتين زيادة من (ق) والدُّرَرُ .

(٢) يحيى بن علي (ت ٦٦٢ هـ) ، وقد سلفت الإشارة إليه .

(٣) قتل سنة (٦٩٣ هـ) ، الوافي : ٣٦٠/١٠ .

(٤) في (س) ، (ق) : « لديه » .

نَبِيَّ جَمَالٍ حُسْنٍ كَمْ أَقَامَتْ لَهُ الْأَحْظَافُ فِينَا مِنْ دَلَائِلِ^(١)

١٨٥٦ - مسعود بن أبي الفضائل *

علم الدين المعروف بابن حشيش الكاتب .

نقل طرائق خاله معين الدين هبة الله بن حشيش وزير المعظم بن الصالح أيوب وكتبه . وكان قد رتبته كاتب الوزارة بدمشق مدة ، ثم اجتذبه الأشرف موسى صاحب حمص^(٢) وحظي عنده ، وله فيه أبيات :

والله لولا الأشرف السلطان أن عنترة الجيوش
ما كان ابن حشيش بين الناس إلا كالحشيش^(٣)

ولما توفي الأشرف صاحب حمص استمر علم الدين مسعود كاتب درج النواب بعلوم من ديوان السلطان ، ثم نقل إلى كتابة الدرج بدمشق .

أقام مدة ثم إنه توفي سنة ست وتسعين وست مئة بدمشق ، وسيأتي ذكر ولده القاضي معين الدين هبة الله بن حشيش .

١٨٥٧ - مسعود بن قراسنقر **

الأمير سعد الدين بن الجاشنكير ، أخو الأمير سيف الدين قطلوبك ، وقد تقدم ذكره .

كان قد ولي الحجويّة بدمشق مدّة ، ثم إنه تولى القدس مدة .

(١) في الأصل : « نَبِيَّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

* لم نقف على ترجمة له .

(٢) هو موسى بن إبراهيم بن أسد الدين شيركوه (ت ٦٦٢ هـ) ، الشذرات : ٣١١/٥ .

(٣) في الأصل و (ط) : « ما كان لبن حشيش » . وأثبتنا ما في (ق) .

** الدرر : ٣٥٠/٤ .

ومات - رحمه الله تعالى - بدمشق ثانياً^(١) شهر ربيع الآخر سنة تسع عشرة وسبع مئة ، وتقل بعد ست ليال [إلى القدس]^(٢) ودفن هناك في تربة كان عمرها له .

١٨٥٨ - مسعود بن محمد بن محمد *

الإمام الفاضل قوام الدين ابن الشيخ برهان الدين ابن الشيخ الإمام شرف الدين الكرمانى الحنفى .

قديم دمشق في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وسبع مئة ، ونزل الخاتونية بالقصّاعين^(٣) ، وحضر عنده الجماعة ، ودخل إلى تنكز ، وتردد إليه الطلبة ، وكان يعرف الفقه والأصول والعربية ، وكان عنده بحث ونظر وجدال ، ولوالده وجدّه مصنّفات في العلوم^(٤) .

الألقاب والأنساب

- ☆ ابن المشهدي : محمد بن عمر .
- ☆ ابن مصدّق : الحسين بن عليّ .
- ☆ ابن مصعب : نور الدين أحمد بن إبراهيم .
- ☆ المطروحي : الأمير جمال الدين آقوش .
- ☆ المطعم : عيسى بن عبد الرحمن .
- ☆ ابن المطهر : الشيخ جمال [الدين]^(٥) الحسين بن يوسف .

(١) في (س) ، (ق) : « ثاني عشر » .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) .

* الدرر : ٣٥١/٤ ، والشذرات : ١٥٧/٦ .

(٣) (ق) : « ونزل بالخاتونية في القصّاعين » .

(٤) ووفاته سنة (٧٤٨ هـ) .

(٥) زيادة من (ق) .

☆ ابن معبد : الأمير علاء الدين علي بن محمود . وأخوه الأمير بدر الدين محمد بن محمود .

١٨٥٩ - المظفر بن محمد *

[ابن جعفر ^(١)] الصدر الكبير الأمير فخر الدين بن الطراح ، قد تقدّم ذكر أخيه قوام الدين الحسن بن محمد في مكانه من حرف الحاء .

كان عارفاً بتحصيل الأموال وعمارة الأرضين .

وليّ نيابة واسط والحلة والكوفة مدة طويلة ، وكان كريماً شجاعاً فاضلاً ينظم ^(٢) وينثر ، وله خبرة تامة بمباشرة الديوان .

ولم يزل على ذلك إلى أن قُتل ببغداد ، وكان عليه ديوان أكثر من مئة ألف درهم ، وصودر أهله وأقاربه وأتباعه ، وكان يكتب السلطان الملك الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون ، وقد مرّ طرف من ذكره في ترجمة أخيه قوام الدين .

١٨٦٠ - مظفر بن عبد الله **

ابن مظفر بن قرناص الشيخ فتح الدين أبو الفتح بن بدر الدين بن قرناص الخزاعي الحموي .

سمع بدمشق من ابن أبي اليسر سنة سبعين وست مئة .

وحدّث عنه ، وسمع منه ابن طویل وجماعة .

* لم نقف على ترجمة له ، وما بين حاصرتين زيادة من (ق) ، وهي زيادة صحيحة تتفق مع نسب أخيه .

(١) في الأصل : « ابن الصدر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٢) في الأصل : « وينظم » ، وأثبتنا ما في (س) .

** تاريخ أبي الفداء : ١٠٠/٤ ، والدور : ٣٥١/٤ .

وكان من أعيان بلده وعدولها ، وله نظم .
 ووليَ نظر المَعْرَة ، ونظر الجامع بحماة ، وله مُلك يقوم بأمره .
 وتوفي - رحمه الله تعالى - في نصف المحرم سنة ثلاثين وسبع مئة بحماة .

الألقاب والأنساب

☆ ابن المعلم : رشيد الدين الحنفي إسماعيل بن عثمان . وفخر الدين محمد بن محمد .
 وشمس الدين محمد بن يحيى . وتقي الدين يوسف بن إسماعيل .
 ☆ ابن معضاد : محمد بن إبراهيم .
 ☆ ابن المغازي : ضياء الدين عيسى بن أبي محمد .

١٨٦١ - مغلطاي *

الأمير علاء الدين الناصري الجمالي ، المعروف أولاً بمغلطاي خُرُز ، بضم الخاء
 للمعجمة والراء وبعدها زاي .

كان من أكبر ممالك السلطان الملك الناصر محمد ، أمير مئة مقدم ألف .
 ولأه السلطان الوزارة بعد صاحب أمين الدين في رابع عشري شهر رمضان^(١)
 سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، كان أستاذ دار وأمير منزل ، وتولى الوزارة مضافة إلى
 ذلك ، ولم يجتمع ذلك قبله لغيره .

وكان خيراً كريماً عديم الشر حليماً ، لا يستكثر شيئاً على أحد ، ولا يظلم من
 اعترف ولا جحد^(٢) ، وعمر داراً ومدرسة وتربة على التقوى إن شاء الله مؤسسة ، وذلك
 بدرب الملوخية داخل القاهرة . إلا أنه في الآخر تزلزلت عند السلطان مكاتته ،

* الدرر : ٣٥٥/٤ .

(١) في البداية والنهاية : ١١٢/١٤ : « في ثاني عشر رمضان » .

(٢) (ق) : « ولا من جحد » .

وخاتنه إعانته فرض وتعلل وظمئ إلى العافية وما تبلل ، وكلَّ حَدَّ سَعده وتغلَّل ، وتردَّى حلة الإدبار وتجلَّل ، وتوجه إلى الحجاز ، وانتقلت حقيقة حياته إلى الحجاز .

وتوفي - رحمه الله تعالى - عائداً بعقبة إيلات سنة ثلاثين وسبع مئة ، ولم يزل على الوزارة إلى أن مات رحمه الله تعالى .

وكان أستاذ داره سيف الدّين مازان وخزندهاره سيف الدّين طُراي هما المتحدثان في القطع والوصل والاستخدام والانفصال ، ولَمَّا وليّ الوزارة طلب الصاحب شمس الدّين غبريال من دمشق إلى مصر وجعله ناظر الدولة معه ، فأقام معه إلى أن سعى في عوده إلى الشام بعد سنتين ، وكان إذا توقف الأمير سيف الدّين أرغون النائب في العلامة على توقيع براتب أو بإقطاع أو بشيء من غير ذلك ، يقول الوزير : لأي شيء ما كتبت عليه ؟ فيقال له : يا خوند ، أستكثر ذلك على صاحبه ، فيقول : هو ما هو كثير عليه ، إقطاعه تعمل في السنة ألف ألف درهم^(١) ، ويعلم هو على التوقيع .

وكان قد حضر إلى دمشق متوجّهاً لكشف القلاع الحليّة في شهر رجب سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

١٨٦٢ - مغلطاي*

الأمير علاء الدّين البيسري ، أحد أمراء دمشق .

كان أميراً جيداً ، وله معرفة بالطيور وأمراضها .

ودفن^(٢) بالجليل ، وصلى عليه نائب السلطنة الأقرم بسوق الخيل ، وكانت وفاته في ثاني جمادى الأولى سنة سبع وسبع مئة .

(١) في (ق) زيادة : « وثلاث مئة » .

* الدرر : ٣٥٥/٤ .

(٢) في (س) ، (ق) : « دفن » بلا واو .

١٨٦٣ - مغلطاي *

الأمير علاء الدين بن أمير مجلس .

حضر إلى دمشق من القاهرة ، وكان في دمشق أمير مئة مقدم ألف ، وكان الأمير سيف الدين يحبه ويكرمه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ربيع ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بجبل قاسيون .

١٨٦٤ - مغلطاي **

الأمير علاء الدين الخازن النائب بقلعة دمشق .

توفي بها في عاشر صفر سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، ودفن في تربته بسفح قاسيون .

وكان رجلاً جيداً محباً للخير ، وله برّ ووقف ، وخلف تركة جيدة .

١٨٦٥ - مغلطاي بن قليج ***

ابن عبد الله ، الشيخ الإمام الحافظ القدوة علاء الدين البكجري - بالباء ثانية الحروف وبعد الكاف جيم وراء وياء النسبة - الحنفي مدرّس الحديث بالظاهرية بين القصرين بالقاهرة .

شيخ حديث ، يعرف القديم والحديث ، ويَطول في معرفة الأسماء إلى السماء بفرع أثيث ، وينتقي بعرفته الطيّب من الخبيث ، وليّ الظاهرية شيخاً للحديث بها بعد

* لم تقف على ترجمة له .

** البداية والنهاية : ١٧٥/١٤ ، والذّرر : ٣٥٥/٤ .

*** وفیات ابن رافع : ٣٧١/١ ، والذّرر : ٣٥٢/٤ ، وبدائع الزهور : ٥٨٦/١/١ ، والبدر الطالع : ٣١٢/٢ ، والنجوم الزاهرة : ١/١١ .

شيخنا العلامة فتح الدين بن سيّد الناس ، وعبث المصريون به لأجل ذلك ، ونظموا الأشعار والأزجال والبلاليق الأكياس^(١) ، ونفضوا ما عندهم في ذلك ولم يغادروا بقايا نفقات ولا فضلات أكياس .

وكان كثير السكون ، والميل إلى المَوَادعة والركون ، جمع مجاميع حسنة ، وألف توالييف أتعب فيها أنامله ، وكدّ أحفانه الوسنة .

ولم يزل على حاله إلى أن ابتلغته المقابر ، واستوحشت له الأقلام والمحابر .

وجاء الخبر إلى دمشق بوفاته في سلخ شهر رمضان للعظم سنة اثنتين وستين وسبع مئة^(٢) .

ومولده بعد التسعين وست مئة^(٣) .

كان يلزم قاضي القضاة جلال الدين القزويني وانتفع بصحبته كثيراً ، فلمّا مات الشيخ فتح الدين محمد بن سيّد الناس - رحمه الله تعالى - في سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، تكلم القاضي له مع السلطان ، فولّاه تدريس الحديث بالظاهرية مكانه ، وقام الناس وقعدوا لأجل ذلك ، ولم يبال بهم .

ولمّا كان في سنة خمس وأربعين وسبع مئة وقف له الشيخ صلاح الدين العلائي رحمه الله تعالى على تصنيف له^(٤) وضعه في العشق ، وكأنّه تعرّض فيه لذكر عائشة الصّدّيقة رضي الله عنها ، فقام في أمره وكفرّه ، واعتقل أياماً ، فقام في حقّه الأمير بدر الدين جنكلي بن البابا وخلّصه .

(١) في الأصل : « والأكياس » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) ووفاته كما في الدُرر في رابع عشري شعبان . وانظر النجوم .

(٣) وفي الدُرر : « وكان مغلطاي يذكر أنّ مولده سنة ٦٨٩ هـ » .

(٤) ليست في (س) ، (خ) ، (ق) .

وكان قد حفظ (الفصيح) لثعلب ، و (كفاية المتحفظ)^(١) ، وسمع من علي بن عمر الوالي ، ويوسف بن عمر الحتفي ، ويونس الدبائيسي ، وغيرهم ، ووضع شيئاً في (المؤتلف والمختلف)^(٢) ، وعمل (سيرة) مختصرة للنبي ﷺ ، وقرأ النسائي بنفسه ، ودرّس بجامع القلعة بالقاهرة بواسطة قاضي القضاة جلال الدين .

وكان ساكناً جامد الحركة يلزم المطالعة والكتابة والدأب ، وعنده كتب كثيرة وأصول صحيحة .

كتب إليّ من القاهرة وأنا بدمشق في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة :

| | |
|----------------------------------|-------------------------------|
| سـلام كما ازدا نـت بـروضِ أزاهـر | وذكر كما نامت عيون سواهر |
| تحية من شطت به عنك دائرة | وأنت له عين وسبع وناظر |
| فيا سيد السادات غير مدافع | ويا واحد الدنيا ولا من يفاخر |
| لك الشرف الأسمى الذي لاح وجهه | كما لاح وجه الصبح والصبح سافر |
| لئن سهرت في المكرّمات أوائل | لقد شرفت بالمأثرات أواخر |
| سجايَا استوت منهن فيك بواطن | أقامت عليهن الدليل ظواهر |

يقبل الأرض عبد كتب هذه الخدمة عن ود لا أقول كصفو الراح ، فإن فيها جناحاً ولا كسقط الزند ، فربما كان شاحاً ، ولكن أصفى من ماء الغمام ، وأضوا من قمر التمام ، مستوحش من خدمتك كثيراً ، ومعلن بالثناء وإن كان المملوك حقيراً ،

(١) في اللغة للأجداي ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن إسماعيل الأجداي (ت ٤٧٠ هـ) ، وكتابه مطبوع ، وكذا كتاب الفصيح لثعلب .

(٢) في أسماء الرجال للدارقطني علي بن عمر (ت ٣٨٥ هـ) ، ولعله الدين مغلطاي ذيل عليه كبير . الكشف : ١٦٣٧/٢ . وانظر النجوم .

(٣) سماها : الزهر الباسم في سيرة أبي القاسم . الكشف : ٩٥٨/٢ .

ومستعرض خدمتكم وحاجتكم^(٥) ليحصل له الشرف بمناجاتكم ، ويتطلب منكم الدعاء بظهر الغيب ، فإنه متقبل ولا سيما منكم بلاريب .

والمملوك أجلّ خدمتكم أن يكتب إليكم لما يقدحه خاطره ، ويسفره ناظره ، لكون باعه قصيراً في هذا العلم وغيره ، وجبركم أوجب هذا الإدلال .

فكتبت أنا الجواب إليه في ورق أحمر وهو :

| | |
|--|---|
| سُطُورٌ تَبَدَّتْ أَمْ رِياضٌ نَوَاضِرٌ | تَحَارَّ لَهَا مِمَّا حَوَتْهُ النَّوَاطِرُ |
| أَتَيْنَا فَخَلْنَاهَا أَزَاهِرَ رَوْضَةٍ | وَمَا هِيَ إِلَّا فِي السَّمَاءِ زَوَاهِرُ |
| وَمَا شَاهَدَتْ عَيْنِي سِوَاهَا رِسَالَةً | يُنَازِلُنِي مِنْهَا حِسَانَ سَوَاحِرُ |
| يُحَقِّقُ مَا فِيهَا مِنَ الْحُسْنِ بَاطِنًا | لَأَهْلِ الْمَعَالِي زُخْرُفٌ وَهُوَ ظَاهِرُ ^(٢) |
| صِنَاعَةٍ مِنْ تَمْسِي الْبَلَاغَةِ فَوْقَ مَا | يُحَاوِلُهُ مِنْ نَظْمِهِ وَهُوَ قَادِرُ ^(٣) |
| وَمَا كُلٌّ مِنْ عَانِي التَّرْسُلِ نَائِثٌ | وَلَا كُلٌّ مَنْ يُعْزَى لَهُ النَّظْمُ شَاعِرُ |
| أَيَا حَافِظًا قَدْ ضَاعَ عَرْفُ حَدِيثِهِ | وَمَا ضَاعَ بَلْ قَدْ أَحْرَزَتْهُ الدَّفَائِرُ |
| تَفَضَّلْتُ بَدْءًا بِالتَّحْيَةِ عَالِمًا | بَأَنِّي عَنْ غَايَاتِ فَضْلِكَ قَاصِرُ |
| وَبَاعَكَ قَدْ أَمْسَى مَدِيدًا عَلَى الْعَلَا | وَبَجَرَكُ فِي النَّظْمِ الْمُنْقَسِحِ وَافِرُ ^(٤) |
| إِذَا افْتَقَرَ لِلنَّشْيِ إِلَى بَعْضِ فَقْرَةٍ | فَعِنْدَكَ مِنْ خُرِّ الْكَلَامِ ذَخَائِرُ |
| وَمَا شِئْتُ إِلَّا أَنْ فَضْلَكَ بَعْدَمَا | تَرْحَلْتَ يَرْوِيهِ عَطَاءٌ وَجَابِرُ ^(٥) |

(١) في (س) ، (ق) ، (خ) : « خدمكم وحاجاتكم » .

(٢) في الأصل : « للمعالي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) : « المعاني » .

(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) : « طوع ما » .

(٤) (ق) ، (خ) : « قد أضحى » . وفي الأصل : « على العلا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) : « إلى العلا » .

(٥) هما : عطاء بن أبي رباح القرشي (ت ١١٤ هـ) . انظر : السيرة : ٧٨/٥ . وجابر بن عبد الأنصاري . انظر : الوافي : ٣٠/١١ .

فلا تُلْزِمَنِي بِالْجَوَابِ وَبِالْجَوَى لَبْعَدِكَ يَكْفِينِي الْحَنِينُ الْمَسَامِرُ
 وشوقي إلى مافاتني من فضائل لها تَقَصَّتْ عِنْدِي الْبَحُورُ الزَّوَاخِرُ
 وإني إذا ما غَنَّتِ الْوُرُوقُ نَادِبٌ وإني إذا نَامَ الْخَلِيُّونَ سَاهِرُ
 فلا زالت العلياءَ حَالِيَةَ الطَّلَى بألفاظك الحسنى فهنَّ جَوَاهِرُ

يَقْبَلُ الْأَرْضُ الَّتِي تَضَعُ الْمَلَائِكَةُ بِهَا الْأَجْنَحَةَ ، وَيُدْخِرُ بِهَا مِنْ بَرَكَاتِ الدُّعَاءِ
 نَفَائِسَ الْأَسْلِحَةِ ، تَقْبِيلَ مِنْ عَدَمِ أَنْسِهِ ، وَفَقْدَ مِنَ السَّرُورِ فَصْلَهُ وَنَوْعَهُ وَجَنَسَهُ ، وَعَلِمَ
 أَنْ يَهْجَتَهُ مِنَ الزَّمَنِ كَانَتْ عَارِيَةً فَاسْتَرَدَّهَا ، وَكَذَلِكَ الْعَوَارِي . وَتَبَيَّنَ أَنَّ الْفِرَاقَ جَعَلَ
 الْقَلْبَ مَمْلُوكَ الْجَوَى وَالْعِبْرَاتِ جَوَارِي ، وَتَحَقَّقَ أَنَّ الدَّهْرَ نَاقِدٌ فَأَعْدَمَ كُلَّ مُسْلِمٍ لِلنَّوَى
 شَرَطَ الْبَخَارِي .

وَكُنَّا كَمَا نَهَوَى فَيَا دَهْرُ قُلْ لَنَا أَفِي الْوَسْعِ يَوْمًا أَنْ نَعُودَ كَمَا كُنَّا^(١)

عَلَى أَنَّ الْمَمْلُوكَ يَصْبِرُ نَفْسَهُ عَلَى فِرَاقِ مَوْلَانَا وَيَتَجَلَدُ ، وَيَعْلَلُ قَلْبَهُ بِاجْتِمَاعِ الشَّمْلِ
 فَإِنَّهُ أَلْفَ الْعُودِ وَتَعُودَ ، وَيَحْمِلُ الْأَمْرَ فِي هَذَا الْبَيِّنِ عَلَى الظَّاهِرِ وَلَا يَتَأَوَّلُ ، وَيَتَسَكَّ^(٢)
 فِي بَعْدِهِ بِمَا قَالَهُ الْأَوَّلُ :

أَحْبَابَ قَلْبِي وَالَّذِينَ بِذِكْرِهِمْ وَتَرَدَّادَهُ طَوْلَ الزَّمَانِ تَعَلَّقِي
 لَئِنْ غَابَ عَنْ عَيْنِي بِدَيْعِ جَمَالِكُمْ وَحَارَ عَلَى الْأَبْدَانِ حَكْمَ التَّفَرُّقِ
 فَا ضَرْنَا بُعْدَ الْمَسَافَةِ بَيْنَنَا سَرَاثِرُنَا تَسْرِي إِلَيْكُمْ فَتَلْتَقِي

وَيَنْهِي وَرُودَ الْمَشْرِفَةِ الشَّرِيفَةِ ، لَا بَلْ كُنْزُ الْفَصَاحَةِ الَّتِي لَوْ أَنْفَقَ الْبَلِغُ مِثْلَ^(٣)
 أَحَدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مَدَّهَا وَلَا نَصِيفَهُ ، بَلْ كَعْبَةُ الْحَسَنِ الَّتِي لَا تَزَالُ^(٤) الْأَلْبَابَ بِهَا طَائِفَةً ،

(١) فِي الْأَصْلُ : « التَّوَسُّعِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، (ق) ، (خ) .

(٢) (خ) : « وَيَتَسَلَّ » .

(٣) فِي (س) ، (خ) ، (ق) : « فِيهَا مِثْلُ » .

(٤) فِي الْأَصْلُ : « لَا تَرَاك » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، (خ) ، (ق) .

والعيون مطيفة ، لا بل الغادة الحسناء التي تقرر بها الاستحسان في مذهب أبي حنيفة ، فوجد مقام الجواب عنها ضحكاً ، ووقف لها واستوقف وبكى واستبكى وقال :

لَكَ الْفَضْلُ سَبَاقاً بِهِ كُلُّ غَايَةٍ وَمَالِكَ فِيهِ مِنْ شَبِيهِ وَلَا مِثْلَ
وَقَدْ كُنْتُ مَسْعُوداً لَوَأْنِي سَابِقَ بَكَيْتِي عَنْ شَوْقِي وَلَكِنْ بَكَتْ قَبْلِي^(١)

وقد شجع المملوك نفسه وأرسل الجواب في هذا الورق الأحمر لأمر يرجو فيه خيراً ، ولأن الحمرة دليل الخجل إذا نشرت بين يدي مولانا الذي حمّد البيان عند صباحه سُرَى^(٢) وسيراً ، ولأنها متى أوردت حديث بديع قال لها حفظ مولانا وتقده : لا يصح حديث جاء فيه ذكر الحمير^(٣) ، ولولانا علو الرأي في الإتحاف بهذه الفوائد ، والمحاسن التي لا تزال غصون رياضها للمتطفلين على الآداب موائد ، والله تعالى يخرق ببقاء مولانا العوائد بمنه وكرمه .

١٨٦٦ - مغلطاي *

الأمر علاء الدين للرتيني ، بفتح الميم وسكون الراء ويعدها تاء ثالثة الحروف وياء آخر الحروف ، ونون .

ولي نيابة قلعة دمشق مرّات ، وولي الحجوية بدمشق أيضاً وغير ذلك .

وتوفي بقلعة دمشق نائباً في شعبان سنة تسع وأربعين وسبع مئة في طاعون

(١) في الأصل : « مسبوقة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « صاحبه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) . وفي المثل : (عند الصباح يحمد القوم السرى) .

(٣) هي عائشة . وأكبر الظن أن للراد بالحديث : حديث الإفك ، وقد سلف أن مغلطاي أتهم بأنه تعرّض لعائشة رضي الله عنها في كتاب (العشق) ، ولعلّ الصفدي يشير إلى ذلك ، وإلى تبرئته مما رمي به .

دمشق^(١) ، وكان قد جاء الخبر بوفاة ابن له بالقاهرة بأيام قلائل ، فمات رحمه الله تعالى عقيب ذلك .

وكان قد ولي قلعة^(٢) دمشق في وقت في جمادى الأولى سنة ست وثلاثين وسبع مئة ، وذلك بعد الأمير سيف الدين بنفجار .

١٨٦٧ - مغلطاي *

الأمير علاء الدين أمير آخور السلطان الملك الناصر حسن .

كان شديد الباس قوي النفس في دفع الإلباس ، لا يصبر على ذلة ، ولا يصاحب إلا العزمة المشملة^(٣) ، كثير الحسد ، لا يرحم عدوه ولو كان بين ماضني^(٤) أسد . وكان يتنافس الصعداء في حق الدولة ، ويظن أنه فارس الجوّ وصاحب الجولة ، ويرى أنه أحق بها منهم وأجدر ، وأنه أولى بذلك وأقدر ، فما زال يعمل على إبعاد مَنْ كرهه منهم ، وذهاب الحكم في الأمر والنهي عنهم ، وساعدته الأقدار على مراده ، وحكم فيهم بيض سيوفه وسمّر صعداه ، وزاد في التشفي وإظهار حقوده ، وتلظت نار غضبه بوقوده^(٥) :

حق لو ارتشق الحديد أذابه بالوقد من أنفاسه الصعداء

ثم إن مدة حكمه ما امتدت ، وشدة جبروته ما اشتدت ، فكبا جواد سعده في وسط ميدانه ، وخرّ بناؤه المشخر بعد علوّ أركانه ، فالتقلت الدولة عليه كما قلبها ، وجلبت البلية إليه كما جلبها ، ونزل من الثريا إلى الثرى ، وكان أمام الملوك فأصبح وراء السوق

(١) في الأصل : « مصر » سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « انظر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

* الدرر : ٣٥٥/٤ ، وانظر طرقياً من خبره في البداية والنهاية : ٢٤٩/١٤ .

(٣) المشملة : من صفات الناقة القوية .

(٤) (س) ، (خ) ، (ق) : « ولو رآه ما بين » . وفي (خ) : « ولو رآه بين خنمي » .

(٥) في الأصل : « بوقوده » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

من الورى ، وانخط منهبطاً^(١) إلى سيدوك^(٢) ، وقال له القدر : هذا القدر الذي لا يعدوك :

فيالها من محنة عاجلت قريبة العرس من المأتم

ثم إنه أفرج عنه من اعتقاله ، وحكم الدهر له بانتقاله ، فما فرح بالفضاء حتى عثر بالقضاء ، وناح عليه حمام حمّامه ، وبكاه الغيث بأجفان غمامه .

وتوفي بدمشق رحمه الله تعالى عاشر شهر رمضان سنة خمس وخمسين وسبع مئة .

كان يشاقق الأمير سيف الدين منجك الوزير ، ويسمعه الكلام الفجّ في كلّ وقت ، وكان الوزير يتقيّه ، فلما توجه الأمير ببيغاروس^(٣) إلى الحجاز ، عمل مغلطاي على إمساك الوزير ، لأنّه انفرد به ، وقلّب ذلك الحزب وأباده ، وسيرّ إلى الطريق وأمسك النائب ببيغا ، وهو أخو الوزير ، وتفرد بتدبير الحال ، وطلع من الإصطبل وصار رأس نوبة ، وسكن الأشرفيّة . وكان قد تزوّج بابنة الأمير سيف الدين أيتمش نائب الشام ، وأخرج الأمير سيف الدين شيخو إلى الشام على أنّه يتوجه إلى طرابلس ، ثمّ إنّه سير^(٤) إلى دمشق فأمسكه^(٥) ، وجهّزه إلى الإسكندرية ، وأخرج الأمير علاء الدين علي^(٦) المارديني إلى دمشق^(٧) ، وأخرج غيره ، وأراد^(٨) إمساك أحمد الساقى نائب صفد ، فجرى ما ذكرته في ترجمته ، واستوحش الأمير سيف الدين أرغون الكاملى

(١) (خ) : « وانبط منهبطاً » .

(٢) لم تقف على معناها .

(٣) (ق) ، (خ) : « سيف الدين ببيغاروس » .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) : « إلى طرابلس نائباً ثم سير .. » .

(٥) (ق) ، (خ) : « فأمسكه بدمشق » .

(٦) في (س) ، (ق) : « أمير علي » .

(٧) (خ) : « الشام » .

(٨) في الأصل : « وأمسك » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) .

نائب حلب ، فعمل على إمساكه ، وتخبّط أمر الشام ومن فيه ، وتعب الناس به ، وصاروا منه في أمر مريح ، وزاد في الإقدام على القبض والنقل ، وإخراج الأمراء من الديار المصرية .

ولم يزل شرّه ^(١) يتفاقم ، وضرره يتعاظم ، إلى أن خلع السلطان الملك الناصر حسن في يوم الاثنين ثامن ^(٢) عشري جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وذلك بعد ركوبهم إلى قبة النصر ، وأجلسوا السلطان الملك الصالح صالحاً على الكرسي ، ثم إن السلطان أمسكه في رابع يوم من ملكه ، وهو ثاني شهر رجب الفرد ، وأمسك معه جماعة ، منهم الأمير سيف الدين منكلي بغا الفخري ، وجّهزوا إلى الإسكندرية ^(٣) ، وفي مغلطاي يقول القائل :

سلطاننا في مغلطاي ي أطاع أمر الخالق
وشفى القلوب بحبسه وأذل كل منافق
وخبيصة البحر اغتدى وخراه منه تقانقي

ولم يزل مغلطاي معتقلاً إلى أن أفرج السلطان ^(٤) الملك الصالح عنه وعن الوزير منجك ، فوصل الأمير علاء الدين مغلطاي إلى دمشق في حادي عشري شهر ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وسبع مئة متوجّهاً إلى طرابلس ليكون بها مقيماً بطّالاً ، وأقام بها قليلاً ، فحصل له ضعف وتعلّل ، فسأل من السلطان أن يحضر إلى دمشق ليتداوى بها ويقيم فيها ، فرسم له بذلك ، فحضر إلى دمشق وأقام بها أياماً قلائل ، وهو في مرضه إلى أن مات في تاريخه المذكور ، رحمه الله تعالى .

وكانت مدة حكمه ثمانية أشهر ويومين ، لأنه أمسك الوزير ^(٥) منجك في رابع

(١) (خ) : « أمره » .

(٢) (خ) : « ثاني » .

(٣) في (ق) (خ) : « ثغر الإسكندرية » . وانظر البداية والنهاية : ٢٤٠/١٤ .

(٤) ليست في (خ) .

(٥) (خ) : « الأمير » .

عشري شوال سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، وأمسك هو في ثامن عشري جمادى الآخرة سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وذلك ثمانية أشهر ، لابل ثمانية أيام حسوما .
وقلتُ أنا في أمره لما أُمِسِكَ :

مَقَالِطُ مغلطاي مشْتُ قليلاً ورَوَّجَهَا الزمانُ لَهُ فراجَتْ
وعاجَتْ عن قليلٍ واضمحلتُ وما جاءتُ بِخَيْرٍ حينَ ماجَتْ

اللقب والنسب

- ☆ ابن المغيث : إسماعيل بن عبد العزيز .
- ☆ ابن مكتوم : تاج الدين أحمد بن عبد القادر .
- ☆ ابن المكرم : أبو بكر بن محمد . وجمال الدين محمد بن مكرم .
- ☆ ابن مكي : محمد بن محمد . وأخوه أحمد .
- ☆ المقصّاتي المقرئ : أبو بكر بن عمر .
- ☆ المقسمي : بهاء الدين إبراهيم بن عبد الرحمن .
- ☆ المقريزي : محي الدين عبد القادر بن محمد .
- ☆ المقاتلي : فخر الدين عثمان بن بلبان .
- ☆ ابن مقاتل الزجّال : علي بن مقاتل .
- ☆ ابن مقلّد : حاجب العرب علي بن مقلّد .
- ☆ بنو المَغِيْزِل : جماعة : منهم زين الدين أحمد بن محمد ، وفخر الدين عبد الله بن أحمد ، وبهاء الدين عبد الصمد بن عبد اللطيف^(١) ، وفخر الدين محمد بن

(١) في (س) ، (ق) زيادة : « وشرف الدين عبد الكريم بن محمد ، ونور الدين علي بن عبد الرحمن ، وشمس الدين عمر بن عبد اللطيف » .

عبد الكريم ، صلاح الدين يوسف بن محمد ، وناصر^(١) الدين عبد الرحمن بن أحمد .

١٨٦٨ - ملك آص *

الأمير سيف الدين .

كان أولاً بالديار المصريّة جاشنكيراً ، وقدم إلى دمشق ، ولم يزل على حاله ، وباشرشدّ الدواوين بدمشق^(٢) . ثمّ إنّه سأل الإغفاء ، فأجيبَ إلى ذلك ، وباشر عمارة التربة التي لأرغون شاه تحت قلعة دمشق . وكان قبل ذلك كلّه قد باشر نيابة جعفر ، وجرت له واقعة مع العرب ، ونجّاه الله منها ، ثمّ إنّه عاد إلى دمشق .

ولما أمسك السلطان الملك الناصر حسن الوزير منجك ، أمر بإمساك الأمير سيف الدين ملك آص والأمير شهاب الدين بن صبح ، لأنهما اتّهما بميلهما إلى الوزير ، فأُمسِكَ بدمشق في يوم الخميس عشري القعدة سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، واعتُقِلَا في قلعة دمشق^(٣) .

ولما كان في شهر ربيع الأول سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة أفرجَ عنها ، فأعيدا إلى طبلخاناه بعد ذلك ، فأقام الأمير سيف الدين ملك آص على حاله .

ولما حضر بيبغاروس إلى دمشق انتهى إليه ملك آص ، وبقي في خدمته ، ونَدَبَ في أشغالٍ ومهمّاتٍ ، فلما وصل السلطان الملك الصالح صالح إلى دمشق أمر بإمساك جماعةٍ منهم^(٤) الأمير ساطممش الجَلّالي ، والأمير زين الدين مصطفى البيري^(٥) ،

(١) في الأصل : « صلاح » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الدرر : ٣٥٧/٤ ، والذيل التام : ١٤٩ ، والنجوم : ٢٢٢/١٠ ، وذبول العبر : ٣٠٧ .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) البداية والنهاية : ٢٣٦/١٤ .

(٤) (س) ، (خ) ، (ق) : « وهم » .

(٥) في الدرر : ٣٥١/٤ : « بدر الدين مصطفى البيري (ت ٧٦٩ هـ) .

والأمير علاء الدين علي بن البشمقدار ، والأمير سيف الدين ملك آص ، والأمير حسام الدين حسام مملوك أرغون شاه ، وذلك في يوم الأربعاء خامس شوال سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، وتوجهوا بهم إلى الإسكندرية واعتقلوا بها جميعاً . ولم يزلوا^(١) بها .

ولما كان في يوم الأربعاء من شهر رجب الفرد سنة أربع وخمسين وسبع مئة وصل إلى دمشق الأمير سيف الدين ملك آص والأمير سيف الدين ساطلمش الجلاي ومن كان معها في الحبس ، وقد أفرج عنهم ورسم لهم بالإقامة في دمشق بطالين^(٢) .

ولم يزل ملك آص في دمشق بطالاً إلى أن كتب له الأمير علاء الدين أمير علي المارداني نائب الشام وسأل من السلطان أن يرتب له على الأموال الديوانية مرتباً ، فرسم له بذلك ، ورتب مقدار شهرين .

ثم إنه توفي - رحمه الله تعالى - في ثامن عشر شهر رمضان سنة ست وخمسين وسبع مئة ، ودفن رحمه الله تعالى في تربته المليحة المجاورة لداره بجوار جامع يلغا في سوق الخيل .

١٨٦٩ - ملكتمر *

الأمير سيف الدين الحجازي الناصري ، أحد المقدمين أمراء الألف ، أصهار السلطان الملك الناصر محمد ، أظنه تزوج بابنة السلطان التي كانت أولاً مع الأمير سيف الدين طغاي تمر الناصري .

كان في حركاته أشبه شيء بالقضيب إذا مأس ، وهب به نسيم السحر بارد الأنفاس ، ووجهه كالبدري إذا بدا ، والشمس إذا رام الحائر بها الهدى ، إذا التفت فلا

(١) أعاد الناسخ بعد هذه العبارة قوله : « وكان ذلك في يوم الأربعاء خامس شوال ... وسبع مئة » ،

وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) انظر : البداية والنهاية ٢٤٩/١٤ .

* الدرر : ٣٥٨/٤ ، والنجوم الزاهرة : ١٨٤/١٠ .

تلتفتُ إلى الغزال النافر ، ولا تحتج مع جبينه إلى الصّباح السّافر ، مع جودٍ من أين
للغام كرمه إذا سَفَحُ ، أو البحر^(١) نواله إذا طفح ، وخلق كأنه نسيم وُرد هبّ في
سَحَره^(٢) ، وجَرّ ذَيْلَه المبلولَ على زهره ، فهو كما قال أبو تمام في وليده وتغزل به في
قصيده^(٣) :

مَلِيٌّ بـأَن يَسْتَرِقَّ القُلُوبَ بَـعَى هـزْلَه وَعَلَى جَدّه^(٤)
وَأَن يَوْجَدَ السَّحْرَ فِي طَرَفِه وَأَن يُجَنِّتِيَ الْوَرْدَ مِنْ خَدّه
يَشِفُّ القُلُوبَ وَإِن أَكْـذَبَ الظَّنَّوْنَ وَأَخْلَفَ فِي وَعْدِه
بِمَا أَشْبَهَ الْبَدْرَ مِنْ حُسْنِه وَمَا شَاكَلَ الْغَصْنَ مِنْ قَدّه
وَالسَّنَةَ الْأَحْمَدَ مَجْمُوعَةً عَلَى شُكْرِه وَعَلَى حَمْدِه

وجرت له بعد أستاذه الناصر أمور ، وكُفِّفَ بدره وسط الديجور^(٥) ، وغرب نجما ،
ثم بزغ في سماء السعادة قرأتما .

ولم يزل بعد ذلك في مدارج صعود ، ومطالع صعود ، إلى أن غصّ من بريق
السيف بريق ، وأمسكه الأجل في المضيق .

وكانت قتلته في حادي عشري شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

ولم يكن عند أستاذه الناصر أحد في منزلته ولا من يُدانيه في علو مرتبته .

قال لي القاضي شرف الدين النشوّ : لو أنّ هذا الحجازي يلزم خدمة السلطان
ويواظبها أخذ منه شيئاً كثيراً إلى الغاية .

(١) في (ق) ، (ر خ) : « للبحر » .

(٢) (خ) : « شجره » .

(٣) في الأصل : « وتغزل في وليده » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٤) الأبيات ليست في ديوان أبي تمام .

(٥) في الأصل : « بعد الديجور » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

وقال لي الشيخ شهاب الدين أحمد العسجدي : اجتمعتُ به فرأيتُ^(١) على ذهنه مسائل فقهية يسأل عنها ، وذهنه جيد .

وقال لي كاتبه مجد الدين رزق الله : إنّه يلعب بجميع الملاهي ؛ بالعود^(٢) والدفّ وغير ذلك . وحكى لي أنّه يُصَفُّ له ثلاثة رؤس خيلاً وأنّه يهز نفسه فيعدّها في الهواء إلى الأرض من ذلك الجانب من غير أن يضع يده على شيء^(٣) منها .

ولقد رأيته أنا وهو في القاهرة^(٤) وفي صلاة الجمعة مع السلطان بجامع قلعة الجبل ، وما يكاد يستقرّ على الأرض لاقائماً ولا قاعداً ، لا يزال في حركة يتموّج وينعطف كالغصن^(٥) ، وكان من محبة السلطان فيه ما يدعه ينزل^(٦) يوم السبت إلى الميدان للعب بالكرة ، بل يدعه ينزل يوم الثلاثاء ويلعب بالكرة هو وخاصيته^(٧) من المجدارية الذين يألف بهم ويميل إليهم من مماليك السلطان ، وكان يقول له : يا ملكتر لما تلعب تبرقع حتى لا تؤثر الشمس في وجهك ، ولا يدعه يحضر الخدمة إلا في بعض الأوقات القليلة حتى لا يراّه أحد .

وكان المجازي في جملة من أمسكهم قوصون وحبسهم في واقعة المنصور أبي بكر^(٨) ، ولما حضر الناصر أحمد من الكرك أخرجه من الحبس ، وقتل قوصون ، وأبان في واقعة الكامل عن فروسيّة ورَجَلَة ، على ما تقدّم في ترجمة الأمير شمس الدين آق سنقر^(٩) .

(١) (س) ، (ق) : « فرأيتّه » .

(٢) (خ) : « وبالعود » .

(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) : « على ظهر شيء .. » .

(٤) في (س) ، (خ) ، (ق) : « في الخدمة » .

(٥) ثمة بياض بمقدار ثلاثة أسطر بعد هذه الكلمة في (ق) ، (س) .

(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) : « زيادة : » ينزل معه .

(٧) في الأصل : « وخاصة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٨) وذلك في سنة (٧٤٢ هـ) ، كما في الدرر .

(٩) في الأصل : « قراسنقر » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

وكان الحجازي أحد مَنْ قامَ بدولةِ الملكِ المظفرِ حاجي ، ولم يزلْ في غايةِ العظمةِ والوجاهةِ إلى أنْ تنكَّرَ له الملكُ المظفرُ بسببِ لعبِ الكرةِ وتحزُّبهم ، وكأنَّه أضمرَ الغدرَ ، فجاء أحدُ مَنْ اتَّفَقَ معه إلى السلطانِ وعَرَّفَه ^(١) أَنَّهُم قد عزموا يومَ الاثنينِ عشري شهرِ ربيعِ الآخرِ سنة ثمان وأربعين على الركوبِ إلى قبةِ النَّصرِ ليفعلوا كما فعلوا بالملكِ الكاملِ ، فطلبه السلطانُ الملكُ المظفرُ عشيةَ الأحدِ العصرِ ، وأمسكه [أمسك] ^(٢) الأمراءُ الستةَ المذكورين في ترجمةِ آقسنقر ، ويُقالُ إنَّ الأميرَ سيفَ الدينِ منجك وغيره من الخاصكيةِ ضربوه بالسيوفِ وبضَعوه ، فقال الأميرُ شمس الدينِ آقسنقر وقد أمسكوه أيضاً : هذا المسكين ما هو مسلم ^(٣) ؟! فضربوه بالسيوفِ وقطعوه .

وكان الأميرُ سيفَ الدينِ ملكتمر شاباً طويلاً حسنَ الوجه ، خفيفَ الحركةِ ، زائدَ الكرمِ ، قلَّ مَنْ يحضرُ بينَ يديه ويخرجُ بغيرِ خلعةٍ ولا إنعامٍ سواء كان ربَّ سيفٍ أو قلمٍ أو ربَّ صناعةٍ . وحكى لي بعضُ الفقهاء أَنَّهُ وَهَبَهُ مَرَّةً ألفَ دينارٍ ولم يجتمع به إلا مَرَّةً واحدةً .

وكان أخيراً قد لَفَّ عليه أولادُ الأمراءِ يركبون معه وينزلون في خدمته ويأكلون على ساطبه ويأخذون إنعاماته ^(٤) وإطلاقاته ، ولهذا أُمسِكَ معه جماعةٌ منهم واعتقلوا ، وكان السببُ في إمساكه وإمساك غيره ، شجاعُ الدِّينِ أغرلو المقدَّم ذكره .

وقلتُ أنا فيه رحمه الله تعالى :

بَغَا أَغْرَلُو عَلَى الْحِجَازِي وَكَانَ لِلْمُلُوكِ كَالطَّرَازِ
مَضَى شَهِيداً وَعَاشَ هَذَا يَرْتَعُ فِي اللَّؤْمِ وَالْمَغَازِي
فَمَضَى وَالشَّامُ فِي التَّهَابِ الْبَرْقُ الْيَابِي عَلَى الْحِجَازِي

(١) في الأصل : « وعَرَّفهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « منكم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٤) (خ) : « ويأخذون أفعاله وإنعاماته » .

١٨٧٠ - ملكتمر*

الأمير سيف الدين السعدي .

أظنه الذي جَهَّزَه القان بوسعيد إلى الملك الناصر محمد بن قلاوون هو والأمير سيف الدين أرغون شاه ، وحضر في وقتٍ إلى الشام وأقام به ثم طُلبَ إلى مصر وأقام بها إلى أن أمسك الأمير سيف الدين صرغتمش ، فرسم السلطان الملك الناصر حسن بإخراجه إلى قلعة المسلمين .

فخرج وهو مريضٌ ، فلما وصل إلى حماة توفي إلى رحمة الله تعالى في العشر الأول من ذي القعدة سنة تسع وخمسين وسبع مئة .

١٨٧١ - ملكتمر**

الأمير سيف الدين المعروف بالدم الأسود .

كان ^(١) أميرَ ستين فارساً بدمشق ، وسكن ^(٢) بالعقيبة عند حمام الجلال . توفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة .

اللقب والنسب

☆ ابن الملاق : محمد بن علي .

☆ ابن ملي : الشيخ نجم الدين أحمد بن محسن .

* الدرر : ٣٥٩/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣٣٢/١٠ . وفيه « السعدي » .

** الدرر : ٣٥٩/٤ .

(١) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (ن) .

(٢) (ق) : « وسكنه » . والعقيبة من أحياء دمشق القديمة في وسطها اليوم .

١٨٧٢ - المنجّا بن عثمان*

ابن أسعد [بن المنجّا] بن بركات بن المؤمّل ، العالم ^(١) العلامة المفتي زين الدين أبو البركات ابن الصدر عز الدين ابن الإمام الكبير الأّوحد العلّامة وجيه الدين التّوخي المعريّ الأصل ، الدمشقي المولد ، الحنبلي .

حضر على جعفر الهمداني ، وابن المقير ، وسالم بن صصرى ، وسمع من السخاوي ^(٢) ، والتّاج القرطبي ، والرّشيد بن مسلمة ، وتفقه على أصحاب جدّه ، وعلى أصحاب الشيخ الموفّق ، وقرأ الأصول على كمال الدين التّفليسي وغيره ، وبرّع في المذهب .

وتفقه عليه ^(٣) ابن الفخر ، وابن أبي الفتح ، وابن تيميّة ، وجماعة من الأئمة .

وشرح كتاب (المقنع) في الفقه شرحاً جيّداً ^(٤) في أربع مجلّدات ، وفسّر الكتاب العزيز ولكنّه لم يبيّضه ، وألقاه كلّهُ ^(٥) دروساً ، وشرّع في شرح (المحصول) ولم يكمله واختصر نصفه . وكانت له في الجامع الأموي حلقة للاشتغال والفتوى نحو ثلاثين سنة متبرّعاً . وكان يصوم الخميس والاثنين ، ويذكّر من حين يصلي الصبح [إلى أن يصلي الضحى] ^(٦) .

* البداية والنهاية : ٣٤٥/١٣ ، والشذرات : ٤٣٣/٥ ، والدارس : ٩٤/٢ . وما بين حاصرتين زيادة من

(ق) ، (س) ومصادر ترجمته .

(١) (ق) ، (س) : « الإمام العالم » .

(٢) في الأصل : « البخاري » ، سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ومصادر ترجمته .

(٣) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ومصادر ترجمته .

(٤) (ق) ، (س) : « حسناً » .

(٥) (ق) ، (س) : « جميعه » .

(٦) زيادة من (ق) ، (س) .

وكان له مع الصلوات تطوع كثير ، وفي آخر الليل تهجد ، ويفطر الفقراء عنده في بعض الليالي وفي شهر رمضان كله .

وسمع (صحيح مسلم) على السخاوي .

وكان له مملكة وثروة وحرمة وافرة ، وسأل الناس الشيخ جمال الدين بن مالك أن يشرح لهم (ألفيته) فقال : زين الدين ^(١) يشرحها لكم . وكان قد قرأ على ابن مالك وأجاز لشيخنا الذهبي جميع مروياته .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة ست وتسعين وست مئة .

ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة ^(٢) .

اللقب والنسب ^(٣)

☆ المنبجي : الأديب بدر الدين محمد بن عمر . ومحمد بن خلف .

☆ ابن منتاب : شمس الدين محمد بن داود .

١٨٧٣ - منتصر بن الحسن بن منتصر*

الشيخ ضياء الدين الكناني العسقلاني المحتد ، الأدفوي المولد والدّار ، خطيب أدفو .

سمع من الشيخ شمس الدين محمد بن إبراهيم بن عبد الواحد بن علي بن سرور

(١) (ق) : « زين الدين بن المنجا » .

(٢) سها المصنف في إثبات سنة وفاته ، والمشهور أنه توفي في شعبان سنة (٦٩٥ هـ) ، كما نقل صاحب

الدارس عن العبر للذهبي ، وكا في البداية والنهاية والشذرات .

(٣) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الطالع السعيد : ٦٦٠ ، والدرر : ٣٦٠/٤ .

المقدسي^(١) ، وأبي عبد الله بن النعمان^(٢) ، وغيرها . وقرأ الفقه ، ثم ورد إلى البلاد فقير من السعودية^(٣) فصحه وتصفو ، وعمر رباطاً بأدفو .

قال كمال الدين الأدفوي : وكان كثير المروءة ، كثير المكارم والحلم ، يبذل ماله ونفسه وجهه في حوائج الناس . وكان صحيح الاعتقاد وكان كل يوم جمعة يصلي الصبح بغلس ، ويخرج إلى المقابر يزور ويقرأ ويدعو ، لا يخل بذلك ولا ينقطع^(٤) عن الصلوات الخمس بالجماعة إلا لضرورة . وكان يحفظ مسائل من الفقه والكلام ، ويستحضر تواريخ وتراجم الناس وأنسابهم ، وكان من أحسن الناس خطابةً يُشجي سامعه .

وتوفي رحمه الله تعالى سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، وقال : قرأت عليه جزءاً من (الشفاء) .

[اللقب والنسب]^(٥)

☆ **بنو المنجا** : عز الدين المحتسب محمد بن أحمد . وقاضي القضاة علاء الدين بن المنجا . ووجيه الدين محمد بن عثمان . وشرف الدين محمد بن المنجا . وعز الدين محمد بن أحمد ناظر الجامع .

☆ **ابن المنذر** : فخر الدين محمد بن المنذر .

١٨٧٤ - منصور بن جمّاز *

منصور بن جمّاز بن شيخة الحسيني صاحب المدينة الشريفة النبوية .

(١) توفي سنة (٦٧٦ هـ) ، الشذرات : ٢٥٣/٥ .

(٢) محمد بن موسى بن النعمان التلمساني (ت ٦٨٣ هـ) . العبر : ٣٤٦/٥ .

(٣) كذا في الأصل ، والطالع . ولعلها : « السعيدية » وهي بلدة بمصر . (انظر التاج) .

(٤) في الأصل : « ولا يخل » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) . وهو موافق لما في الطالع .

(٥) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

* الدرر : ٣٦٢/٤ . ووقع في الأصل : « ابن حماد » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والدرر . وفي الدرر :

« شيخة » .

قُتِلَ رحمه الله تعالى سنة خمس وعشرين وسبع مئة في رابع عشر شهر رمضان ، قتله في البرية شاب من أقاربه .

وكان قد كبر وأسنَّ وشاخ ، وله مدَّة في إمرة المدينة من حياة والده ، لأنَّ والده كان قد كبر وعجز ، وكان يُخْطَبُ لهما معا إلى أن مات والده ، واستقرَّ في إمرة المدينة بعده ولده الأمير بدر الدِّين كَيْش .

١٨٧٥ - منصور بن عبد الكريم*

ابن أحمد الشَّيْخ الصَّالِح أبو أحمد السَّراوي المعروف بابن العجمي وبابن الحمصي .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : كان شيخاً صالحاً أقام بدمشق مدَّة في بستان جوار دار الطَّعم ، حضرت يوماً عنده فذكر أنَّ والدَه كان تاجراً من أهل تبريز ، وأنَّه قرأ القرآن ولازمَ التَّجارة مع والده إلى أن بلغ عشرين سنة ، فترك ذلك وحصل له إقبالٌ على الطاعة . وجاور وحضر واقعة حصص سنة ثمانين وست مئة ، ورأى الملائكة فيها ، وأنَّه نظَّم قصيدةً على حرف التَّاء أكثر من ألفي^(١) بيت في السلوك ، قال : وأنشدني بعضها ، وكان اجتماعي به في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين وست مئة .

ثم إنَّه بعد ذلك انتقل إلى حصص ، وتولَّى بها مشيخة الخانقاه إلى أن توفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

[اللقب والنسب]^(٢)

☆ المنصور : [جماعة]^(٣) : صاحب ماردن غازي بن قرا أرسلان .

* لم تقف على ترجمة له .

(١) (س) ، (ق) : « ألف » .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

(٣) زيادة من (س) .

- ☆ والمنصور : حسام الدين لاجين .
- ☆ والمنصور : أبو بكر بن محمد .
- ☆ والمنصور الكبير : والد المملوك سيف الدين قلاون .
- ☆ ابن منعة : محمد بن أحمد .
- ☆ المنفلوطي : شرف الدين محمد بن عبد المنعم .

١٨٧٦ - منكلي بغا*

الأمير سيف الدين الناصري .

كان سلحداراً من أكبر خاصية السلطان الملك الناصر محمد ، وكان شكلاً مليحاً طوالاً ، تام الخلق كبير الذقن ، وكان من خوشداشيه الأمير سيف الدين أرغون النائب ، وهو أمير مئة مقدم ألف ، وزوجه السلطان أخيراً بزوجه بنت برقطاي قريب القان أزبك ، فأقامت عنده قليلاً .

وتوفي عنها في سنة ثلاثين أو أوائل إحدى وثلاثين وسبع مئة .

ثم تزوجها الأمير سيف الدين موصون^(١) أخو قوصون .

١٨٧٧ - منكلي بغا**

الأمير سيف الدين الفخري الناصري .

كان في جملة أمراء دمشق ، ولما توجه^(٢) العساكر إلى مصر في نوبة السلطان أحمد ، توجه هو صحبة الفخري ، وأقام في القاهرة ، ثم جعل أمير جاندار .

* الدرر : ٣٦٦/٤ .

(١) في الأصل : « قوصون » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

** الدرر : ٣٦٧/٤ .

(٢) (خ) : « توجهت » .

(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « ثم إنه » .

وكان حسنَ الشكل بساماً^(١) ، فيه خيرٌ ومروءة وتعصّبٌ لِمَن يخدمه .

ولم يزلْ على ذلك إلى أن رَسِمَ له في أيام المظفر حاجي بنيابة طرابلس ، فحضر إليها على البريد ووصل إلى دمشق في ثاني عشري المحرم سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وحضر معه الأمير شجاع الدين أغرلو ، ليقَرّه في النيابة ويعود ، فأقام بها نائباً إلى أن جَرى للأمير سيف الدين يلبغا^(٢) ما جرى من هروبه وإمساكه ، على ما يأتي في ترجمته إن شاء الله تعالى ، فطلب منكلي بغا الفخري إلى مصر ، وجاء في طلبه الأمير سيف الدين طشباغا الجمدار ، ووصلَ إلى دمشق وتوجّهَ منها إلى القاهرة في ثامن عشر جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ، وأقام بمصر ، من أكبر أمراء المشور ، وزادت عظمتُهُ لما أُمسِكَ الأمير سيف الدين منجك الوزير ، لأنّه هو الذي عضدَ الأمير علاء الدين مغلطاى أمير آخور على إمساك الوزير .

ولم يزل في زيادة عظمة إلى أن خُلِعَ الملك الناصر حسن وتولّى الملك الصالح صالح ، فأمسك منكلي بغا المذكور في ثاني شهر رجب من السّنة المذكورة .

ولم يزلْ في الاعتقال بالإسكندرية إلى أن وصل الخبرُ إلى دمشق بوفاته في جمادى الأولى سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة . ووُجِدَتْ له أموال عظيمة .

١٨٧٨ - منكلي بغا*

الأمير سيف الدين^(٣) .

أنشأه الملك الصالح إسماعيل ، وصار من أكبر الخاصكية ، وحضر من مصر ليتوجّه

(١) (خ) : « شاباً » ، (س) : « تاماً » .

(٢) (خ) : « يلبغا الحيوي » .

* انظر خبراً عنه في النجوم : ١٩٣/١٠ . وخلصتُ (س) ، (خ) ، (ق) من لفظة « بغا » .

(٣) ثمة بياض بمقدار ثلاث كلمات في (ق) ، (س) بعد قوله : « سيف الدين » .

بالأمير بدر الدين أمير^(١) مسعود بن الخطير في أيام الملك المظفر حاجي ليرتبّه في نيابة طرابلس ويعود ، وأحضره من غزّة وتوجّه به إلى طرابلس وأقرّه فيها وعاد إلى دمشق فأقام بدمشق مدّة ثلاثة أيام .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثاني عشر شهر رجب^(٢) سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

١٨٧٩ - منكبرس *

الأمير الكبير ركنّ الدين أبو سعيد الجمالي التركي السّاقى ، وأحد غلمان الأمير جمال الدين إيدغددي العزيزي .

كان بطلاً شجاعاً مهيباً من أمراء الدولة المنصورية والأشرفيّة ، ولي نيابة غزّة في دولة المنصور لاجين .

سمع منه شيخنا الذهبي بحضرة ابن الظّاهري ، وشهد الواقعة ، فجاءته ضربة في وجهه ، فصرخ في أصحابه وحمل بهم في التّتار ، فجاءه سهمٌ واشتغل عنه أصحابه ، ثمّ عادوا إليه فوجدوه مستنداً إلى رحبه ، فلمّا سقط عجزوا عن دفنه .

وكانت قتلته^(٣) في سنة تسع وتسعين وست مئة .

١٨٨٠ - منكوتر **

الأمير سيف الدين مملوك السلطان حسام الدين لاجين .

(١) ليست في (خ) .

(٢) (خ) : « صفر » .

* العبر : ٤٠٦/٥ . والنجوم الزاهرة : ١٩٠/٨ . ووقع في الأصل : « منكبرس » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والعبر .

(٣) (ق) : « وقتلته » .

** العبر : ٣٩٠/٥ ، والنجوم : ١٨٨/٨ ، وبدائع الزهور : ٣٩١/١ .

كان عند مخدومه جزءاً لا يتجزأ ، ولدناً صلبت قناته وإن لان مهزاً ، لا يخرج عما يراه ، ولا يضرب به جبلاً إلا قطعه وفرّاه ، قد حكم عليه وملكه ، وأدار عليه فلكه ، وهو لا يرى خلافه ، ولا يرشف إلا سلافه ، فكان عنده ^(١) :

نافذ الأمر لو يحير من النق ص بدور الدجى لدام التّمام

فسلك في النيابة ما لا يجب ، وترك كل أمير من الأكابر وقلبه من الخوف يجب ، وجسّر أستاذّه على إمساك جماعة ، وهوّن عليه أمانيه وأطباعه ، فتغلّث ^(٢) الخواطر من الأمراء الأكابر ، وتوحّشوا بعد الأنس وأيقنوا أن السجون لهم مقابر . فقتلوا السلطان ، كما مرّ في ترجمته ، وجروا هذا ملكتمر على حزّ رقبته ، على ما تقدّم في ترجمة لاجين ، وذلك سنة ثمان وتسعين وست مئة .

وبنى المدرسة التي داخل القاهرة ، ودّرس بها في شوال سنة سبع وتسعين وست مئة . وكان قد وليّ كفالة الممالك بالقاهرة بعد إمساك قراستقر وجماعته في منتصف ذي القعدة سنة ست وتسعين وست مئة .

الألقاب والأنساب

☆ ابن منير : فخر الدين عبد الواحد بن منصور .

☆ ابن مهاجر : الشاعر أحمد بن عبد الله .

☆ ابن المهتار : مجد الدين أحمد بن محمد . ومجد الدين عليّ بن يوسف .

وناصر الدين محمد بن يوسف ^(٣) .

(١) (س) : « وهو عنده » .

(٢) تغلّث أي : أخضرت السوء ، وأصله : خلط الطعام بالسّم .

(٣) في (س) ، (ق) زيادة : « ومجد بن علي الصفي » .

١٨٨١ - المهدي*

كان قد خرج بعض الزنادقة من مدينة حماة وتوجّه إلى بلاد النُصيرية ودخل بلد جبلة ، ووردَ إلى دمشق محضّر من طرابلس ، مضمونه أنّه لما كان يوم الجمعة ثاني عشري ذي الحجة سنة سبع عشرة وسبع مئة بعد صلاة الجمعة حضرت النُصيرية الكفرة الفجرة إلى مدينة جبلة ، وعدّتهم أكثر من ثلاثة آلاف ، يقدمهم شخص تارة يدّعي أنّه محمد بن الحسن المهدي القائم بأمر الله تعالى ، وتارة يدّعي أنّه علي بن أبي طالب فاطر السماوات والأرض ، وتارة يدّعي أنّه محمد بن عبد الله ، وأنّ البلاد بلاده ، والمملكة الإسلامية ملكته وأنّ المسلمين كفرة ، وأنّ دين النُصيرية هو الحق ، وأنّ السلطان الملك الناصر محمد صاحب البلاد مات من ثمانية أيّام ، واحتوى المذكور على عقول جماعة من مقدّمي النُصيرية ، وعيّن لكلّ إنسانٍ منهم تقدمة ألف ، ونيابة قلعة من قلاع المسلمين من المملكة الإسلامية ، وفرّق عليهم إقطاعات الأمراء والحلقة ، وافترت الطائفة المذكورة ثلاث فرق على مدينة جبلة ، فرقة ظهرت قبلي البلد بالشرق فخرج عليهم عسكر المسلمين فكسّروهم وقتل جماعة عدتهم مئة وأربعة وعشرون ، وقتل من المسلمين نفر يسير ، وهربت الفرقة المذكورة ، وجرح من المسلمين منهم جمال الدين مقدّم العسكر بجبلة . وفرقة ثانية ظهرت قبلي جبلة بالغرب على جانب البحر ، وفرقة ثالثة ظهرت شرقيّ جبلة بشمال ، وكثروا على المسلمين وكسّروهم ، وهجموا على جبلة ، ونهبوا الأموال ، وسبوا الأولاد ، وهتكوا النساء ، وقتلوا جماعة من المسلمين بجبلة ، ورفعوا أصواتهم « لا إله إلاّ عليّ ، ولا حجاب إلاّ محمد ، ولا باب إلاّ سلمان » ، وسبوا أبا بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم . وبقي الشيوخ والنساء والصبيان يصيحون وإسلاماه ، واسلطاناه ، وامراءاه^(١) ، ولم يكن لهم^(٢) مُنجد في تلك الحالة إلاّ الله تعالى ، وجعلوا يتضرّعون ويبتهلون . وجرى في هذا اليوم أمرٌ عظيمٌ .

* انظر : البداية والنهاية : ٨٢/١٤ ، وذيول العبر : ٩١ .

(١) في البداية : « وأميراه » .

(٢) في الأصل : « له » ، وأثبتنا ما في (ق) .

ثم إنَّ الشَّخصَ المذكورَ جمعَ الأموالِ المذكورةِ المأخوذةِ وقَسَمَها على مقدِّمِهم ، وقال إنَّه لم يكن للمسلمين ذِكْرٌ ولا خَبْرٌ ولا دولةٌ ، ولو كنت في عشرةٍ بقضيبٍ واحدٍ لا بسيفٍ ولا بترسٍ ولا بِرُمُحٍ ، انتصرتُ عليهم ^(١) وقتلتُهم ، وأظهرَ دينَ النَّصيرِيَّةِ ونادى في البلادِ المقاسِمةِ عليهم بالعشر ، وأمرَ بخرابِ المساجد ، وجعلَها خُمارات ، وأمسك النَّصيرِيَّةَ جماعةً من المسلمين ببجيلة ، وأرادوا قَتْلَهم ، وقالوا لهم : آمِنُوا بِمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ ، وقولوا لا إلهَ إلاَّ عَليّ ، فَنُ قَالَهَا حقن دَمَهُ وَصَانَ مَالَهُ وَأَعْطَى فِرماناً .

وكانوا في اليومِ المذكورِ قَبْلَ دُخُولِ جبلةَ كبسوا ذوقَ سليمان التُّركياني وذوقَ تَرْكان من جهةِ حلب ، وأخذوا أموالَهم وأولادَهم وحريمَهم ، وكان الغالبُ على الجمعِ المذكورِ طائفةُ العبدِيَّين ، ومنهم الشَّخصُ المذكور ، وطائفةٌ من الحِرائِيةِ وجماعةٌ من بلدِ المَرْقَبِ والعَلِيقَةِ ^(٢) ، والمنيعَةِ . وفي عَشِيَةِ اليومِ المذكورِ ، وصلَ الأميرُ بدر الدين التَّاجِي مقدِّمَ عسكَرِ اللَّاذِقِيَّةِ ، وباتَ يحرسُ جبلةَ وأولادَهُ حُضورَ مَعَهُ ، ومعه العسكَرُ ، وكان قد عَزَمَ المذكورُ على دخولِ جبلةَ مَرَّةً ثابِنيةً ، والشَّخصُ المذكورُ في جامعِ ببجيلةَ بِخَيْلِهِ ورجالِهِ ^(٣) بقريةٍ اسمُها الصَّرِيفَةُ من عَمَلِ جبلةَ . وقد ثَبَتَ المحضَرُ المذكورُ على قاضي جبلةَ ، وقيل إنَّ المذكورَ كان يُرِيهمُ خياماً وعساكرَ في البَحْرِ ويقولُ لَجُمُعِهِ هؤُلاءِ المَلائِكَةُ يَقَاتِلُونَ مَعَكُمْ وينصرونكم . ثم إنَّ العسكَرَ الطُّرابِلِسِي ركبَ مَعَهُمُ إِلَيْهِمْ فَأَبَادُوهم ، وقتلوا منهم جماعةً وقَتَلَ كَبِيرَهُمُ المذكورَ ، وأراحَ اللهُ مَنَّهُم .

١٨٨٢ - مهدي *

الأمير عز الدين والي حلب .

(١) (ق) : « على المسلمين » .

(٢) كذا ضبطت في (ق) ، ولم تعجم في الأصل . وهي غير واضحة في (س) ، (ط) . والمَرْقَبُ : بلد وقلعة حصينة تشرف على مدينة جبلة على الساحل .

(٣) (ق) : « ورجلة » .

* الدرر : ٣٧٠/٤ .

ذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ وَتَاراً يَصْنَعُ الْأَوْتَارَ بِحَلْبٍ وَيَبِيعُهَا لِلْقَطَّانِينَ ، ثُمَّ إِنَّهُ تَوَصَّلَ وَعَمَلَ الْجَنْدِيَّةَ ، ثُمَّ أَخَذَ عَشْرَةَ ، وَعَمَلَ وَلايَةَ حَلْبَ ، ثُمَّ شَدَّ الدَّوَاوِينَ بِحَلْبَ .
وَكَانَ حَسَنَ الشَّكْلِ مَلِيحَ الذَّقْنِ وَالْحَوَاجِبِ ، أَسْوَدَ الشَّعْرِ ، حَلَوَ الْعِبَارَةِ ، عَلَيْهِ قَبُولٌ .

حَضَرَ مَعَ بِييَغَارُوسَ إِلَى دِمَشْقَ ، ثُمَّ إِنَّهُ أُمْسِكَ مَعَ مَنْ أُمْسِكَ وَحَضَرَ مَعَ الْجَمَاعَةِ الَّذِينَ جَهَّزُوا مَعَ الْأَمِيرِ فَارَسَ الدِّينَ الْأَبْكِي ، وَاعْتَقِلُوا بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ .
ثُمَّ إِنَّهُ أَخْرَجَ وَوَسَّطَ فِي ثَالِثِ شَوَالِ سَنَةِ ثَلَاثٍ وَخَمْسِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ فِي سَوَاقِ الْخَيْلِ هُوَ وَنَائِبُ صَفْدِ بَرْنَاقَ وَحَاجِي أَخُو أَحْمَدَ نَائِبُ صَفْدِ وَأَسْنَبَغَا الرَّسُولِي نَائِبُ جَعْبَرٍ وَأَسْنَبَغُ بَنُ خَلِيلِ الطَّرِيقِيِّ^(١) ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي تَرْجُمَةِ الطَّنْبِغَا بَرْنَاقَ .

١٨٨٣ - مهلهل بن سعيد *

الْفَقِيهَ نَجْمُ الدِّينِ الْخَلِيلِي .
كَانَ شَاهِداً عَاقِداً فَقِيهاً مَدْرِّساً بِالْفَرَّخْشَاهِيَّةِ الشَّافِعِيَّةِ وَمَدْرَسَةِ سَبْعِ الْمَجَانِينِ ، وَكَانَ ضَعِيفَ الْبَصَرِ ، مَعْرُوفاً بِخِدْمَةِ الْقَاضِي شَرَفِ الدِّينِ بِنِ فَضْلِ اللَّهِ .
تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي سَادِسِ عَشْرِ جُمَادَى الْأُولَى سَنَةِ عَشْرِ وَسَبْعَ مِائَةٍ .
☆ ابْنُ مَهْمَنْدَارِ الْعَرَبِ : يَوْسُفُ بْنُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ .

١٨٨٤ - مهنا بن عيسى بن مهنا **

أَمِيرُ آلِ فَضْلِ عَرَبِ الشَّامِ . مِنْ بَيْتِ أَوْلَهُمْ^(٢) مِنْ رَجُلٍ [مِنْ]^(٣) طَيِّبِ بْنِ

(١) فِي الْأَصْلِ : « الطَّرِيقِي » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، (ق) ، (خ) .

* الدَّرَرُ : ٣٧١/٤ .

** الْبَدَايَةُ وَالنَّهَايَةُ : ١٧٢/١٤ ، وَمَخْتَصَرُ أَبِي الْفَدَاءِ : ١١٦/٤ ، وَالْدَّرَرُ : ٣٨٨/٤ ، وَالشُّذْرَاتُ : ١١٢/٦ ، وَذِيُولُ الْعَبَرِ : ١٨٧ .

(٢) فِي (ق) ، (س) : « أَوْلُهُ » .

(٣) زِيَادَةٌ مِنْ (ق) ، (س) .

سلسلة بن عَنَيْن بن سلامان ، نشأ هذا الرَّجُل في أَيَّام أَتابك زنكي وأَيَّام ولده^(١) نور الدين الشهيد ، وَقَدْ عليه فَأَكْرَمَه وشَادَ بِذِكْرِه ، وإِلى هذا عَنِين يُنْسَبُ كُلُّ عَرَب عَنِين مَن كَانَ من ولده أَوْ من خُلَفَائِه^(٢) أَوْ من استخدمه الأُمراء الذين من ولده ، وهم يزعمون أَنهم من ولد جعفر بن يحيى بن خالد بن برمك^(٣) من العَبَّاسَة بنت المهدي أخت الرَّشيد هارون .

كان هذا الأمير حسام الدين مهنا طویل النجاد ، كثير الرماد^(٤) ، غزير العتاد ، ينخرط في سلوك الملوك ، وتقصر الشمس عن بلوغ مجده إِذا كانت في الدلوك ، يتطفل الملوك على وفادته ، ويرون سعادتهم دون سعادته ، يُبالغون في إنعاماته ، ويزيدون فيما يُجْزَوْنَه في إقطاعاته .

لم يزل معظمًا عند ملوك المغل والإسلام ، مفخمًا إِذا نشرت في الحروب مطويات الأعلام ، أَجَارَ قراسنقر والأفرم والزرد كاش ، وردَّهم بعد موتهم إِلى الانتعاش .

ولم تخفُرْ له ذمة ، ولم يَبَالِ بالسلطان أَمَدَحَه^(٥) أَمْ ذَمَّه ، وتشردَ بسببهم عن وطنه ، وَبَعْدَ لذلك عن عطنه ، وتماذت الأَيَّام والليالي على ما فَعَلَ ، واشتغل السلطان بأمره واشتعل ، وأتعب العساكر في تطلبه ، وكُلُّ البريد من تقاضي وعوده وتقليبه ، وحفيت الأقلام بما تخطَّ الرسائل ، وتَنَمَّق الاستعطاف والوسائل ، ونفذت بيوت الأموال في تَرْضِيهِ ، وتقضت الأعمار في تقاضيه :

إِلى كم ترد الرسل عما أتوا له كأنهم في ما وهبت ملام

(١) في الأصل : « والده » سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « خلفائه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « ابن يحيى بن جعفر برمك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « النجاد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٥) (س) : « إن مدحه » .

فَإِنْ كُنْتَ لَا تَعْطِي الذِّمَامَ طَوَاعَةً فَعَوُذُ الْأَعَادِي بِالكَرِيمِ ذِمَامٌ^(١)
وَأِنْ نَفْسًا أُمِّمْتُكَ ، مَنِيعَةٌ وَإِنْ دِمَاءً أُمِّلْتُكَ حَرَامٌ
إِذَا خَافَ مَلِكٌ مِنْ مَلِيكَ أَجْرَتَهُ وَسَيْفُكَ خَافُوا ، وَالْجَوَارِ يُسَامُ

إِلَّا أَنَّهُ قَازٍ فِي الْوَفَاءِ بِالثَّنَاءِ^(٢) السَّمَوَالِي ، وَفَاحَ بَعْدَ وَفَاتِهِ الذِّكْرُ الْمُنْدَلِي ، وَلَمْ يَزَلْ
يُدَافِعُ بَوَعُودِهِ ، وَيُمْنِي السُّلْطَانَ بِوَصَالِهِ بَعْدَ صُدُودِهِ مَدَّةَ تَرْيَدُ عَلَى الْاِثْنَيْنِ وَعَشْرِينَ
سَنَةً ، وَالسُّلْطَانُ يَرَى كُلَّ سَيِّئَةٍ يَأْتِي بِهَا حَسَنَةً ، إِلَى أَنْ دَاسَ بِسَاطِطِهِ ، وَأَوْقَدَ عَلَيْهِ
اِغْتِبَاطَهُ ، فَسَرَّ بِمَقْدَمِهِ ، وَلَمْ يَنْدِلْ قَطْرَةً مِنْ دَمِهِ ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ أَنْعَامًا^(٣) أَخْجَلَ الْبَحَارَ
مَدَدُهَا ، وَأَمَلَّ الْأَنْفَاسَ^(٤) وَالْأَنْفَالَ عَدَدُهَا ، وَعَادَ إِلَى بِيُوتِهِ سَالِمًا ، وَظَنَّ النَّاسُ بِهِ أَنَّهُ
كَانَ فِي هَذِهِ الْحَرَكَةِ حَالِمًا .

وَلَمْ يَزَلْ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ رَكِبَ مَطِيَّةَ الشَّرْجِ^(٥) ، وَعَزَّ عَلَى ذَوِيهِ الْمَآبِ
وَالْمَرْجِ .

وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ثَامِنِ عَشْرِ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ خَمْسٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعٍ مِئَةٍ
بِالْقُرْبِ مِنْ سَلَمِيَّةَ ، وَدُفِنَ بِتَرْبَةٍ لَهُ فِي قَرْيَةٍ بَيْنَهَا وَبَيْنَ سَلَمِيَّةَ مَسَافَةٌ بِرِيدَ ، وَحَزَنَ
الْعَرَبُ عَلَيْهِ ، وَأَقَامُوا لَهُ مَأْتَمًّا عَظِيمًا ، وَاجْتَمَعَ الرِّجَالُ لَذَلِكَ وَالنِّسَاءُ مِنَ الْبِلَادِ
وَالْقُرَى ، وَلَبَسُوا السَّوَادَ ، وَعَاشَ نِيْفًا وَثَمَانِينَ سَنَةً .

وَقُلْتُ أَنَا لَمَّا تَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

أَمْسَى مَهْنًا بِالْمَمَاتِ مَنْغَصًا فَصَائِبُهُ عَمَّ الْأَنْفَامَ وَخَصَّصَا
كَمْ شَقَّ مِنْهُ عَلَى الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا إِدْرَاكَ مُطْلُوبٍ وَقَدْ شَقَّ الْعَصَا

(١) (س) : « الْأَيَادِي » .

(٢) (س) : « بِالْهِنَاءِ » .

(٣) (س) ، (ق) : « نَعَا » .

(٤) (س) : « الْأَنْفَاسُ » .

(٥) الشَّرْجُ : النَعَشُ .

وأقامَ في نجدٍ بحصنٍ مانعٍ لا تستطيعُ له الجيوشُ تَخْلُصًا
حتى إذا وافتُ منيَّتُهُ ، وقد أمسى به ظلُّ الحياة مقلَّصًا
جَرَّتْ عليه الرِّيحُ ذَيْلَ هَوَانِهِ لَمْ يَدْرِ ضربَ الرَّمْلِ أو طَرُقَ الحَصَى

وهؤلاء آل فضل هم جهرة العرب ، وجمرة الحرب والحرب ، وسحبُ السَّاح إذا جرَّ الكرم ذيله وانسحب .

ومهنّا جدّه : هو الأمير مانع بن حُدَيْثَة بن فضل بن ربيعة الطَّائِي الشَّامِي التدمري^(١) ، كان أميرَ عَرَب الشَّام في دولة طغتكين صاحب دمشق ، ولم يصْرَح لأحد من هذا البيت بِإمرة على العرب بتقليدٍ من السُّلْطَان إِلَّا من أَيَّام العادل الكبير أبي بكر أخي السُّلْطَان صلاح الدِّين ، أَمَر منهم حُدَيْثَة ، ثُمَّ إِنَّ ابنه الكامل قَسَم الإمرة نصفين لمانع بن حُدَيْثَة ولغَنَام أبي طاهر بن غَنَام^(٢) ، ثُمَّ إِنَّ الإمرة انتقلت إلى أبي بكر بن علي بن حُدَيْثَة ، وعَلَا فيها قَدْرُهُ ، وَبَعَدَ صَيْتُهُ .

ولمّا كان من البحريّة ما كانَ ، ساقَتْ تصاريِفُ الدَّهْرِ الملوك الظَّاهِر بيبرس إلى بيوتهم وهو طريدٌ شريدٌ ، ولم يكنْ معه سوى فرس واحد يعوّل عليه ، فسأل عليّ بن حُدَيْثَة فَرَساً يركبه فلم يُعْطِهِ شيئاً ، وكانَ ذلك بمحضِر من عيسى بن مهنا ، فأخذه عيسى إليه ، وَصَمَّهُ وأَوَاهُ وأكْرَمَهُ وقراه ، وخَيَّرَهُ في رباط^(٣) خيله ، فاختارَ منها فَرَساً ، فأعطاه ذلك وزوَدَهُ ، وبالغَ في الإحسانِ إليه ، فعرَفَهَا الظَّاهِرُ له ، ولمّا تَسَلَّطَنَ الظَّاهِرُ ، انتزعَ الإمرةَ من أبي بكر بن علي ، وجعلها لعيسى بن مهنا ، وأتاه أحمد بن طاهر بن غَنَام وسأله أَنْ يُشْرِكَه معه في الإمرة ، فَأَرَضَاهُ بأنْ يُعْطِيَهُ إمْرَةً بَبوق^(٤) ،

(١) في الأصل : « المنذري » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « غلام » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) (س) ، (ق) : « ربائط » .

(٤) لم تعجم في الأصل . وفي (ق) : « بنوق » ، وأثبتنا ما في (س) . و (بوق) : موضع قرب رحبة

مالك بن طوق . انظر : معجم البلدان .

وبقي أبو بكر بن عليّ شريداً طريداً ، تارةً بنجد ، وتارةً بأطراف الشام إلى أن مات . وأمنه الملك الظاهر غير مرة وحلف له فَمَا وثق به وإطمان إليه .

وعلتُ درجةً عيسى بن مهنا عند الظاهر ولم يزل مُعظماً إلى أن مات .

ثم إن الإمرة صارت لولده الأمير حسام الدين مهنا هذا في أيام الملك المنصور قلاوون ، وعلتُ مكانته أكثر من مكانة أبيه .

قال شيخنا شهاب الدين محمود : حضرت طرنطاي المنصوري ، وهو مخيم بالخربة ، وقد حضره أحمد بن حجّي أمير آل مري^(١) يدّعي بألف بغير أخذتها آل فضل لعربيه ، ومهنا حاضر ، وكلّ منهما جالس إلى جانب من طرنطاي فألحّ أحمد بن حجّي في المطالبة واحتدّ^(٢) وارتفع صوته ، ومهنا ساكت لا يتكلم ، فلما طال تمادي أحمد في الضجيج وتقادى مهنا في السكوت ، أقبل طرنطاي على مهنا وقال : ما تقول يا ملك العرب ، فقال : وما أقول؟ نُعطيهم ما طلبوا ، هم أولاد عمّا ، وإن كنت لهم عندنا هذه البعيرت ، أعطيناهم حقّهم ، وإن كان مآلهم شيء ، فما هو كثير إذا أعطينا بني عمّا من مالنا . فقال أحمد : ألا قل ، تكلم ، وزاد في هذا ومثله ، ومهنا ساكت ، فلما زاد ، رفع مهنا رأسه إليه وقال : يا أحمد : إن كان كلامك عليك^(٣) هيناً فكلامي أنا عليّ ما هو هين ، وهذه الأباعر أقلّ من أن يحصل فيها كلام ، وأنا أعطيك إياها . ثمّ قام فقال طرنطاي ، هكذا والله يكون الأمير .

ولم يزل مهنا على إمرته إلى أن جاءت الدولة الأشرفيّة . ولما خرج الأشرف لفتح قلعة الروم مرّت العساكر بسرّمين^(٤) إقطاع مهنا ، فأكلت زروعها وأذت أهلها ، فشكوا

(١) توفي سنة (٦٨٢ هـ) . الشذرات : ٣٧٦/٥ .

(٢) في الأصل : « وأحد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « علينا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والدرر .

(٤) بلدة من أعمال حلب .

إلى مهنا أذية العساكر، فشكا إلى الأشرف، فعز على الأشرف^(١)، واستنقص همته وقال: كم جهد ما أودوا حتى تواجهني بالشكوى، وما كان يغتفر هذا الفعل لهذا الجيش العظيم الخارج لأجل إذلال العدو وقص جناح الكفر. وأشعة من هذا ومثله، ثم لما كان الفتح ركب الأشرف في الفرات في خواصه، ومعه جلساؤه من بني مهدي وكانوا يضحكونه، فجاء مهنا بن عيسى فأمر بمد الإسقالة له ليدخل، فلما دخل عليها غمز عليه فحركت الإسقالة فوقع في الماء وتلوث بالطين، فهزأت به بنو مهدي، وضحك الأشرف ومن حوله، وطوى مهنا جوانحه على ألها، ثم إنه استأذن في الانصراف إلى بيوته، فأذن له وقال: إلى لعنة الله: فأسرهما مهنا في نفسه ولم يُبديها، وركب من وقته وتوجه إلى أهله وأقام عندهم على حذر، ثم لما عاد الأشرف ونزل بحماة، بعث إليه مهنا بخيل وجمال، فقبلها وخلع على رسوله وبعث إليه خلعة سنية ليطمئنه بذلك ثم يكبسه، فلما جاءت إليه، لبسها إظهاراً للطاعة، وارتحل لوقته ضارباً وجه البرية، فلم يتم للأشرف ما أراده منه. وعاد إلى مصر وفي نفسه من إمساك مهنا وإخوته وبنيه. وظن مهنا أن لا حقد عنده، فلم يلبث الأشرف أن خرج إلى الكرك وخرج منها على أنه يتصيد كباش الجبل، فعمل له مهنا ضيافة عظيمة، فحضرها^(٢) الأشرف وأكل منها، ولما قرع من ذلك أمسك مهنا ومعه جماعة، وجهزهم إلى مصر وحبسهم في برج القلعة^(٣)، وضيق عليهم إلا في الراتب لهم.

وكان مهنا في الحبس لا يأكل إلا بعد مدة، وإذا أكل أكل ما يقيم رمقه، ويصلي الصبح، ويدير وجهه إلى الحائط ويصمت ولا يكلم أحداً حتى تطلع الشمس، ثم يقوم بعجلة وسرعة ويأخذ كفاً من حصى وتراب كان هناك، ثم يرمجر ويرمي به إلى الحائط كالأسد الصائل. فلما خرج الأشرف إلى الصيد، ترك ذلك الفعل، فقيل له في ذلك، فقال: قضى الأمر، ولم يرمسبسطاً إلا في ذلك الحين.

(١) (س)، (ق): «فعر عليه».

(٢) في الأصل: «فحضرها»، وأثبتنا ما في (س)، (ق).

(٣) في (س)، (ق): «في القلعة».

قال القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله : حَدَّثَنِي الْأَمِيرُ مَظْفَرُ الدِّينِ
مُوسَى بْنُ مَهْنَا قَالَ : لَمَّا كُنَّا فِي الْأَعْتِقَالِ كَانَ عَمِّي مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى مَغْرَى بِدُخُولِ الْمُرْتَفِقِ
وَالْتَّطْوِيلِ فِيهِ ، وَكَانَ الْمُرْتَفِقُ مُقَارِباً لِدُورِ حَرِيمِ السَّلْطَانِ أَوْ لِبَعْضِ الْأُمَرَاءِ ، فَقُلْتُ
لَهُ فِي ذَلِكَ فَقَالَ : يَا وَلَدُ مَهْنَا ، لَعَلِّي أَسْمَعُ خَبراً مِنَ النِّسْوَانِ ، فَإِنَّهُنَّ يَتَحَدَّثْنَ بِمَا
لَا يَتَحَدَّثُ بِهِ الرِّجَالُ . فَبَيْنَمَا نَحْنُ ذَاتَ يَوْمٍ ، وَإِذَا بِمُحَمَّدٍ قَدْ خَرَجَ وَقَالَ بِشْرَاكُم ، قَدْ
سَمِعْتُ صَائِحَةَ النِّسَاءِ تَقُولُ : وَاسْطَلْطَانَاهُ ، فَقُلْنَا لَهُ : دَعْنَا مِمَّا تَقُولُ ، فَقَالَ : هُوَ مَا أَقُولُ
لَكُمْ . وَكَانَ لَنَا صَاحِبٌ مِنَ الْعَرَبِ تَنَكَّرَ وَأَقَامَ بِمِصْرَ ، وَكَانَ يَقِفُ قِبَالَ مَرْمَى الْبُرْجِ
الَّذِي نَحْنُ فِيهِ وَيَوْمئِذٍ إِلَيْنَا وَنَوْمئِذٍ إِلَيْهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ لَا يَسْمَعُنَا وَلَا نَسْمَعُهُ ، فَلَمَّا كُنَّا فِي تِلْكَ
السَّاعَةِ وَمُحَمَّدٌ يَحْدِثُنَا ، وَإِذَا صَاحِبُنَا ^(١) قَدْ جَاءَ وَأَوْفَأَ ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ إِلَى التُّرَابِ وَصَنَعَ فِيهِ
هَيْئَةً قَبْرِ وَنَصَبَ عَلَيْهِ عُوداً ، عَلَيْهِ خِرْقَةٌ صَفْرَاءُ كَأَنَّهَا صَنْجَقُ سُلْطَانِيٍّ ثُمَّ نَكَسَهَا وَقَعَدَ
كَأَنَّهُ يَبْكِي ، ثُمَّ وَقَفَ قَائِماً وَرَقَصَ ، فَتَأَكَّدَ الْخَبْرُ عِنْدَنَا بِمَوْتِ الْأَشْرَفِ . فَلَمَّا قُتِحَ عَلَيْنَا
مِنَ الْغَدِّ سَأَلْنَا الْفَتَّاحَ وَالسَّجَانِينَ فَأُنْكَرُوا ^(٢) ، ثُمَّ اعْتَرَفَ لَنَا بَعْضُهُمْ ، فَكَانَ ذَلِكَ أَعْظَمَ
سُرُورٍ دَخَلَ عَلَى قَلْبِنَا .

ولما خرجوا من السَّجَنِ شَكُوا احتياجهُمْ إِلَى النِّسَاءِ ، فَأُطْلِقَ لَهُمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الْجَوَارِي
الْأَشْرَفِيَّاتِ ، وَلَمْ يَكُنْ مُرَادُهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا التَّشْفِيَّ ، وَأُعِيدَ الْجَمَاعَةُ إِلَى أَهْلِهِمْ إِلَّا مَهْنَا ، فَإِنَّهُ
أَخَّرَ مَدَّةً ثُمَّ جَهَّزَ ، وَلَمَّا خَرَجَ مِنْ دِمَشْقَ لِحَقِّهِ الْبَرِيدُ مِنْ دِمَشْقَ إِلَى ثَنِيَّةِ الْعُقَابِ بِأَنْ
يَعُودَ ، فَاِمْتَنَعَ وَتَوَجَّهَ إِلَى أَهْلِهِ ، وَكَانُوا قَدْ نَدِمُوا عَلَى إِطْلَاقِهِ ، ثُمَّ إِنَّهُ قَدِمَ مِصْرَ بَعْدَ
ذَلِكَ مَرَّاتٍ وَهُوَ كَالطَّائِرِ الْخَذِيرِ الَّذِي نُصِبَتْ لَهُ الْأَشْرَاكُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ، وَآخِرَ مَرَّةٍ قَدِمَهَا
فِي أَوَائِلِ الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ الْآخِرَةِ سَنَةَ عَشْرٍ وَسَبْعٍ مِائَةٍ ، وَكَانَ بِلَرْغِي الْكَبِيرِ مَمْلُوكٌ
مَهْنَا وَهُوَ الَّذِي قَدِمَهُ ، فَلَمَّا وَجَدَهُ قَدْ أَمْسَكَ تَحَدَّثَ فِيهِ مَعَ السَّلْطَانِ ، وَقَالَ هَذَا مَمْلُوكِي
وَقَدِمْتُهُ لِيُعْطَى إِقْطَاعاً فِي الْحَلَقَةِ فَأَعْطَى فَوْقَ حَقِّهِ حَتَّى جَعَلْتُوهُ مَلِكاً مِنَ الْمُلُوكِ ،
وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ تَأْخُذَ كُلَّ مَالِهِ وَمَمَالِيكِهِ وَتُعْطِيَنِي إِيَّاهُ [بِرَقَبَتِهِ] ^(٣) لِيَكُونَ عِنْدِي [إِلَى أَنْ

(١) (س) ، (ق) : « بصاحبنا » .

(٢) (س) ، (ق) : « فَأُنْكَرُونَا » .

(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

يموت [٣] ، فَوَعِدَ بذلك . ثُمَّ إِنَّ بِلَرْغِي مَاتَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ، فَقِيلَ لَهُ : قَدْ مَاتَ ، فَعَزَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنْ عَدَمِ قَبُولِ شَفَاعَتِهِ مَعَ مَا كَانَ يَتَّبِعُ بِهِ مِنْ سَوَابِقِ الْخُدْمِ لِلْسلْطَانِ لَمَّا كَانَ فِي الْكُرْكِ .

وخرج مهنا وقد طَارَ خَوْفًا وَرِعْبًا ، وَلَمَّا اجْتَمَعَ بِقِرَاسْنَقَرٍ ، وَكَانَتْ بَيْنَهُمَا صَدَاقَةٌ مُؤَكَّدَةٌ قَدِيمَةٌ ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا مُسْتَوْحِشٌ ، فَجَدَّ الْأَيْمَانَ وَالْعَهْدَ عَلَى الْمَضَافَةِ ، وَأَنْ لَا يَسْلَمَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ . وَلَمَّا تَوَجَّهَ قِرَاسْنَقَرٌ إِلَى حَلْبَ زَارَهُ مِنْهَا وَخِلَاءَ بِهِ ، فَأَرَاهُ قِرَاسْنَقَرٌ كِتَابًا مِنَ السُّلْطَانِ إِلَيْهِ فِيهِ إِعْمَالُ الْحِيلَةِ عَلَى إِمْسَاكِهَا ، فَقَالَ لَهُ مِنْهَا : فَمَا أَنْتَ صَانِعٌ ، قَالَ : أَنَا أَطِيعُهُ فَيْكَ وَأَجَاهِرُهُ ، وَهُوَ يَجْعَلُنِي وَكْدَةً وَذَأْبَةً ، فَنُ يُخَمِّنِي مِنْهُ إِنَّ قَصْدَنِي ، قَالَ لَهُ [مِنْهَا] (٣) تَجِيءُ إِلَيْنَا . فَتَحَالَفَا عَلَى ذَلِكَ . ثُمَّ إِنَّ مِنْهَا وَقَى لِقِرَاسْنَقَرٍ لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ - عَلَى مَآرٍ فِي تَرْجَةِ قِرَاسْنَقَرٍ وَأَجَارَهُ - .

وَأَمَّا زَوْجَةُ مِنْهَا عَائِشَةُ بِنْتُ عَسَّافٍ ، فَإِنَّهَا بَالِغَةٌ فِي خِدْمَةِ قِرَاسْنَقَرٍ ، وَكَانَتْ تَقُولُ لِمِنْهَا : يَا مِنْهَا ، ذَكَرَ الدَّهْرُ ، لَا تَدْعُهُ . وَكَذَلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى بْنِ عَلِي الْأَفْضَلِ بْنِ عَيْسَى بْنِ مِنْهَا أَخُو مِنْهَا ، فَمَا كَانَ رَأْيُهُ إِلَّا التَّقَرُّبَ بِإِمْسَاكِ قِرَاسْنَقَرٍ وَالْجَمَاعَةَ إِلَى السُّلْطَانِ ، فَكَانَتْ عَائِشَةُ تَقُولُ : تَعَسَّأَ لَأُمٍّ وَلِدْتَ الْفَضْلَ بْنَ مِنْهَا . وَكَتَبَ مِنْهَا إِلَى السُّلْطَانِ يَسْتَعِظُفُهُ وَيَقُولُ : هَؤُلَاءِ مَمَالِيكَ وَبِمَالِيكَ أَيْيُكَ وَكِبَارُ بَيْتِكُمْ ، وَقَدْ هَرَبُوا مِنَ الْمَوْتِ ، وَسَلَّلُوا أَنْ تَكْفَ عَنْهُمْ وَتَهَبَّهُمْ « الْبِيرَةَ » لِقِرَاسْنَقَرٍ ، الرَّحْبَةَ لِلْأَفْرَمِ ، وَهَسْنًا (٤) لِلزَّرْدَكَاشِ ، وَإِذَا حَصَلَ مِنْهُمْ جَامِعٌ لِلْإِسْلَامِ خَضَرُوا [إِلَيْهِ] (٥) وَجَاهَدُوا بَيْنَ يَدَيْكَ ، عَلَى مَآرٍ فِي تَرْجَةِ قِرَاسْنَقَرٍ .

وَمَا أَطَاعُوا ، وَجَهَّزَهُمْ مِنْهَا إِلَى خَرَبَنْدَا وَقَالَ لَهُ : مَتَى حَمَيْتَ هَؤُلَاءِ كُنْتُ أَنَا فِي

(١) فِي الْأَصْلِ : « عَبْدِي » ، وَمَا بَيْنَ حَاصِرَتَيْنِ زِيَادَةٌ مِنْ (س) ، (ق) .

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ (س) ، (ق) .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « هِنَسَا » ، وَأُثْبِتْنَا مَا فِي (س) ، (ق) .

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ (س) ، (ق) .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « فَلَا » ، وَأُثْبِتْنَا مَا فِي (س) ، (ق) .

طاعتك وخفرت الركب العراقي ، وسيّرهم مع ابنه سليمان ، وجَهَزَ معهم لخرابدا ومن حوله خيولاً مَسُومَةً من جهته ، فقبِلُوا بالإكرام والرعاية ، وخلع على سليمان ، وأطلق له أموالاً جمة ، وجَهَزَتْ لمهنا خلع وإنعامات وبرالغ^(١) بالبصرة له ولأهله ، ومعها الحلة والكوفة وسائر البلاد الفراتية ، واشتدت الوحشة بينه وبين السلطان الملك الناصر محمد ، فأعطى الإمرة لأخيه فضل ، وتظاهروا بمهنا بالمنافرة والمباينة والوحشة ، وحضر إلى خرابدا ، فأكرمه غاية الإكرام وأجله نهاية الإجلال ، وقرر أمر الركب العراقي ، وأعطى عصاة خفارة لهم وتأميناً ، وضاع الزمان وامتدت الأيام والليالي في المَراوغة من مهنا ، وهو يعد السلطان [أنه يحضر إليه]^(٢) ويمنيه ويسوف به من وقت إلى وقت ، والبريد يروح ويحيى ، والرسل^(٣) تردّد مثل الأمير بهاء الدين أرسلان الدواردار والأمير علاء الدين الطنبغا نائب حلب والشيخ صدر الدين بن الوكيل ، وما ألوى ولا عاج ، ثم كان أولاده وإخوته يتناوبون الحضور إلى السلطان وهو يُنعم عليهم بمئين ألف وبالإقطاعات العظيمة والأملاك ، وهم يُمتنونه حضوره ويعدونه بقدومه ، ومهنا لا يزداد إلا حذراً . والسلطان لا يزداد إلا طمعاً في حضوره ، ومع ذلك في هذه المدّة جميعها ما تنقطع المراسلات بينها والمكاتبات والشّفاعات ، وإذا ظهرت للمسلمين مصلحة نَبّه مهنا عليها وأشار إليها ، وكان السلطان يقبل نصحه .

ثم لما كان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة ، توجّه مهنا بنفسه من ذاته إلى السلطان ، ووصل إلى دمشق يوم الجمعة رابع ذي الحجة من السنة ، ودخل الديار المصرية ، فأكرمه السلطان غاية الإكرام وأنعم عليه بإنعامات كثيرة إلى الغاية . وعاد مهناً راجعاً إلى بلاده ، وكان دخوله قلعة الجبل نهار^(٤) الأحد عشري الحجة ، وعاد إلى دمشق قد دخلها

(١) أي : مراسيم .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « في الرسل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) (ق) ، (س) : « يوم » .

سادس المحرم سنة خمس وثلاثين وسبع مئة . ولم يَزَلْ بعد ذلك إلى أن توفي في التاريخ المذكور .

وله من الأولاد جماعة ، وهم : موسى وسليمان^(١) وأحمد وفيّاض وحمّام وهيارع وحيار^(٢) وجوّيف وقارًا وشُعْبَه^(٣) وتوبلة وعنقا .

ومن سيادة مهنا ما حكاه لي زغبان بن عبد المؤمن الشقاري التدمري حاجب الأمير معقل بن فضل يومئذ ، قال : كان قد دفن الأمير فضل دفيناً في الأرض من الذهب مئلفه اثنا عشر ألف دينار ، ثم إنه طلبه في وقتٍ ولم يجده في المكان الذي دفنه ، وإنه اتهم به محمد بن نجم حاجبه ، ولم يذكر له ذلك ، وإن ابن نجم بلغه ذلك ، فخاف ابن نجم من الأمير فضل ، وتوجّه إلى مهنا ، وشكا حاله إليه فأعطاه مهنا اثني عشر ألف دينار ، فأخذها ابن نجم وأحضرها إلى فضل ، فأبى أن يأخذها ، وقال : ما مهنا أكرم مني ، أنا ما طالبتك بها ولا أخذها ، فردّها ابن نجم على مهنا ، فقال : أنا خرجتُ عنها وهي لك ، ولم يأخذها .

☆ ابن المهندس : محمد بن محمد بن إبراهيم .

☆ ابن الموازيني : المسند شمس الدين محمد بن علي .

١٨٨٥ - موسى بن إبراهيم *

ابن يحيى ، الإمام المحدث المقتي نجم الدين الشقراوي ثم الصالح الحنبلي الشروطي ، شيخ العالمية^(٤) .

(١) (ق) : « سلمان » .

(٢) في الدرر : « جبار » ، تصحيف .

(٣) (س) : « شعيب » ، وفي (ق) : « شعبية » .

* الدرر : ٣٧١/٤ ، والشذرات : ٧/٦ .

(٤) في الدارس : « العالمية » تقع غربي سفح قاسيون تحت جامع الأفرم ، واقتتها الشيخة العاملة أمة اللطيف بنت الناصح الحنبلي (ت ٦٥٢ هـ) . الدارس : ٨٧/٢ .

روى عن الحافظ الضياء ، وإسماعيل بن ظفر^(١) ، وقرأ الكثير ونسخ وجمع .
وكان خلوا المحاضرة .

توفي رحمه الله تعالى في مستهل جمادى الأولى سنة اثنتين وسبع مئة .

وكان قد قرأ الكتب الكبار ، وسمع الناس بقرائه كثيراً ، وحديث ، وكتب كثيراً ، واشتغل كثيراً . وكان مفتياً^(٢) ، وله نظم ، وكان ينقل كثيراً من اللغة وعنده جملة من التاريخ ، وكان يفتي في مذهبه .

١٨٨٦ - موسى بن أحمد*

ابن الحسين بن بدران بن أحمد ، القاضي الرئيس الكبير ، قطب الدين بن ضياء الدين ، أبو البقاء ، ابن شيخ السلامية ، ناظر الجيوش الإسلامية بالشام ومصر ، الخاقاني ، نسبة إلى الفتح بن خاقان وزير المتوكل .

كان وقوراً مهيباً ، فاضلاً لبيباً ، يحب الفضلاء ، ويرب النبلاء^(٣) ، ويحسن إلى الفقراء ، ويؤاسي هم كبار الأمراء .

رأى من العز والوجاهة ، وعلو المرتبة والنباهة ما لا رآه غيره ، ولا قد مثله سيرة .

باشّر نظّر الجيوش بمصر والشام ، وتألّق برق سعوته حتى انتجعته كل أحد وشام ، فلاح بذر سياده ، وفاح زهر سعاده ، حتى كأن أبا تمام ، عناه بقوله دون الأنام^(٤) :

(١) في الشذرات : « مظفر » ، تحريف .

(٢) (ق) : « مفتنا » ، وما أثبتناه يوافق ما نقله صاحب الشذرات عن الذهبي .

* مختصر أبي الفداء : ١٠٧/٤ ، والبداية والنهاية : ١٦٠/١٤ ، والدرر : ٢٧٢/٤ ، والشذرات : ١٠٢/٦ ، والدارس : ٥٨/٢ ، وذيول العبر : ١٧٦ ، والنجوم الزاهرة : ٢٩٨/٩ .

(٣) يربهم أي : يلازمهم .

(٤) انظر : ديوان أبي تمام ، ١٩٤/١ ، من قصيدة في مدح خالد بن يزيد الشيباني .

جَعَلْتَ نِظَامَ الْمَكْرَمَاتِ فَلَمْ تَدْرُ رَحَى سُوْدَدٍ إِلَّا وَأَنْتَ لَهَا قُطْبُ
بِحُودِكَ تَبَيَّنَ الْخُطُوبُ إِذَا دَجَتْ وَتَرَجَعَ عَنِ أَلْوَانِهَا الْحَجَجُ الشَّهْبُ

لَمْ يَزَلْ فِي تَقَدُّمٍ وَتَكْرِيمٍ ، وَتَرَقَّ إِلَى غَايَاتٍ مَجْدٍ يَحْتَقِرُ مَعَهَا كُلَّ غَايَةٍ تَعْظِيمٍ ، إِلَى
أَنْ أَمْسَى مِنْ تَرَابٍ فَرَاشَهُ ، وَبَطَلَ حَتَّى الْمَعَادَ مَعَاشُهُ .

وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ الثَّلَاثَاءِ ثَانِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِ
مِئَةٍ .

وَمَوْلَدُهُ سَنَةِ إِحْدَى وَسِتِّينَ وَسِتِّ مِئَةٍ .

كَانَ أَوَّلًا صَاحِبَ دِيْوَانِ الْجَيْشِ وَالْقَاضِي بَدْرُ الدِّينِ بْنِ الْعِطَارِ^(١) نَاضِرًا فِي زَمَنِ
الْأَفْرَمِ ، وَلَمَّا جَاءَ السَّلْطَانُ الْمَلِكُ النَّاصِرُ مُحَمَّدٌ إِلَى دِمَشْقَ مِنَ الْكُرْكِ ، وَتَوَجَّهَ بِالْعَسَاكِرِ
إِلَى مِصْرَ ، تَوَجَّهَ مَعَهُ الْقَاضِي قُطْبُ الدِّينِ ، وَعَاذَ إِلَى الشَّامِ وَهُوَ نَاضِرُ الْجَيْشِ ، وَلَمْ
يَزَلْ كَذَلِكَ إِلَى أَنْ غَضِبَ السَّلْطَانُ عَلَى الْقَاضِي فَخَرَّ الدِّينَ نَاضِرُ الْجَيْشِ فَجَهَّزَ طَلَبَ
الْقَاضِي قُطْبُ الدِّينِ ، فَتَوَجَّهَ إِلَيْهَا هُوَ وَالْأَمِيرُ جَمَالُ الدِّينِ أَقْوَشُ نَائِبُ الْكُرْكِ ، وَكَذَلِكَ
فِي أَوَائِلِ سَنَةِ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَسَبْعِ مِئَةٍ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ ، وَوَلَّاهُ نَظَرَ الْجَيْشِ بِالْدِّيَارِ
الْمِصْرِيَّةِ .

وَلَمْ يَزَلْ هُنَاكَ إِلَى أَنْ عَمَلَ رُوكَ^(٢) الشَّامِ ، فَحَضَرَ إِلَى دِمَشْقَ بِأَوْرَاقِ الرُّوكِ فِي
شَهْرِ ذِي الْحِجَّةِ سَنَةِ ثَلَاثِ عَشْرَةَ وَسَبْعِ مِئَةٍ . وَاسْتَمَرَ نَاضِرُ الْجَيْشِ بِالشَّامِ إِلَى أَنْ حَضَرَ
الْقَاضِي مُعِينُ الدِّينِ بْنِ حَشِيشٍ عَلَى وَظِيفَةِ النَّظَرِ ، وَعَزَلَ الْقَاضِي قُطْبُ الدِّينِ تَقْدِيرَ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ . ثُمَّ إِنَّهُ وَرَدَ مَرْسُومُ السَّلْطَانِ بِأَنْ يَكُونَ الْقَاضِي مُعِينُ الدِّينِ شَرِيكًا لِلْقَاضِي
قُطْبُ الدِّينِ فِي النَّظَرِ ، وَأَنْ يَكُونَ لِكُلِّ مِمَّنْهَا مَعْلُومٌ مُسْتَقِيلٌ نَظِيرَ الْأَصْلِ . وَكَانَ
الْقَاضِي قُطْبُ الدِّينِ يُعَلِّمُ أَوَّلًا .

(١) مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ ، سَلَفَتْ تَرْجُمَتُهُ .

(٢) الرُّوكُ : مَسْحُ الْأَرْضِ لَتَقْدِيرِ الْخَرَاجِ الْمُتَرْتِبِ عَلَيْهَا ، وَقَدْ سَلَفَتْ .

ولم يَزَالاً كذلك إلى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة ، فطلبَ القاضي معين الدين إلى الديار المصرية لينوبَ عن القاضي فخر الدين في نظَر الجيش عند تَوَجُّهه إلى الحجاز ، وانفردَ القاضي قطب الدين أخيراً بالنظر ، إلى أن توفي رحمه الله تعالى في التاريخ . ورأى من السَّعادة والعزِّ والوجاهة والتمكُّن والتقدُّم في أيام تنكز ما لا رآه غيره ، ولما تنكَّر الأمير تنكز على المتعمِّمين وعلى صهره الصَّاحب شمس الدين غبريال توفي رحمه الله تعالى ، ولم ير منه ما يكرهه .

وكان الأدباء والفضلاء والشعراء يتردَّدون إلى محلِّه ويقضي حوائجهم ، وله نظمٌ ونثرٌ .

[أنشدني ^(١) من لفظه وَلَدَهُ الشَّيْخُ عز الدين حمزة ^(٢)] ، قال : أنشدني والدي لنفسه مواليا :

الحبِّ في الله يا محبوب لي مفسوخُ فداؤِ بالوصلِ مَنْ أضحى به مجروحُ ^(٣)
وارحمُ مُحِبّاً على فرش الضَّنا مطروحُ دمع مسفوحٌ ، وجفنٌ بالبكا مَفْرُوحُ ^(٤)
وبه قال أنشدني له :

بالله دَعُ عَنْكَ هجراني ودَعُ ذَا الصدِّ فقد تطاولَ بي الهجران فوق الحدِّ
كم ذا تجورُ عليَّ يا رشيْقَ القدِّ مُسْلِمٌ أنا ، ما أنا كافِرٌ ولا مُرْتَدُّ

وأنشدني من لفظه القاضي شهاب الدين بن فضل الله ، ومن خطِّه نقلتُ ، قال : أنشدني من لفظه لنفسه القاضي قطب الدين :

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) توفي سنة (٦٧٩ هـ) . الدرر : ٧٧/٢ .

(٣) في الأصل : « الله » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٤) (ق) ، (س) : « بالجفا » .

ما اخترتُ مقامي برُّبا لبنانُ فرداً ومشرّداً عن الأوطانِ
إلا لأراك أو أرى مَنْ نظرتُ عيناه إلى جالك الفتانِ

وكتب الشيخ علاء الدين علي بن غانم إلى القاضي قطب الدين ، رحمه الله تعالى ،
وهو بالقاهرة سنة اثنى عشرة وسبع مئة :

يا غائباً بينه وبينى من شقة البعد لي حجابُ
هجرت حتى ولا سلام ولا كلام ولا كتابُ
فكم بعثنا له كتاباً ماعاد عنها ولا جواب
عليه قد حَقَّ كلُّ عتب وما عسى ينفع العتاب
فقد أحبائي عن يقين بغير شك هو العذاب

فكتب القاضي قطب الدين إليه الجواب :

أقسمت بالله أن شوقي بضيق عن حصره كتابُ
وأنني إذ نسأت عنكم دموع عيني لها انسكاب
وأن كُتبي وإن تراخت فإن ودي له إياب
وإن يكن حُوق كل عتب يا حبذا ذلك العتاب^(١)

١٨٨٧ - موسى بن أحمد بن محمد *

ابن إبراهيم ، الصدر ، كال الدين أبو الفتح ابن قاضي القضاة شمس الدين بن
خلكان .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : سمعت منه يعلبك أحاديث من (جزء ابن

(١) هذا النص من (س) ، (ط) ، وهو ثابت أيضاً في الأصل و (ق) ؛ إلا أنه وقع بعد ترجمة موسى بن
أحمد بن محمد الآتي ذكره بعد هذا .

عرفة (عن النَجِيبِ الحَرَّانِي ، وله إجازةٌ من السَّبَط . وكان رجلاً عاقلاً عارفاً بالأمور . دَرَسَ بالمدرسة النَّجِيبِيَّة في حياة والده ، وبعده مدة ، وولِيَ نظَرَ الدَّواوين الحَكَمِيَّة .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم السبت سابع عشري شهر ربيع الأول سنة ثلاث وسبع مئة ، ودفنَ بسفحِ قاسيون عند قبر والده .

ومولده بالقاهرة سنة إحدى وخمسين وست مئة .

قُلْتُ : وهذا كمال الدين موسى كان السَّبَبُ في عَزْلِ والده ، وبذنبه عَزَلَ ، قيل : إنَّه شكَا يوماً عليه غريمٌ ودَفَعَهُ إلى قاضي القضاة ابن الصَّائغ على مبلغ ست مئة درهم ، فاستَحْيَا القاضي وَوَزَنَهَا ^(١) ، فتوجَّه كمال الدين موسى إلى والده وقال : اليوم تفضَّل قاضي القضاة وَوَزَنَ عَنِّي ست مئة درهم ، فقال والدُه : والله لو وَزَنَ سِتَّةَ آلاف دينار ما أنصَفَكَ ، يعني والده أنَّكَ أنتَ السَّبَبُ ^(٢) في عَزْلِ أبيك وولايته ^(٣) . وفيه يقولُ مجد الدين بن الظَّهير ^(٤) :

وكيف يَؤْتِي ^(٥) رَشْدَه حَاكِمٌ حَكَمَ في لِحْيَتِه موسى ^(٥) ؟

١٨٨٨ - موسى بن أحمد *

الشيخ مجد الدين الأقصري ، شيخ الشيوخ بسرياقوس .

- (١) (ق) : « قاضي القضاة » . وفي (ق) و (س) : « ووزنها عنه » .
 - (٢) في (س) (ق) زيادة : « كنت السبب » .
 - (٣) وفي الدرر : « لم يكن حسن السيرة ، ويقال : إنه كان السبب في عزله أبيه لسوء سيرته وطواعية أبيه له » .
 - (٤) (ت ٦٧٧ هـ) . انظر ، فوات الوفيات : ٣٠١/٣ .
 - (٥) في الأصل : « يَعْطَى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والدرر .
- * وفيات ابن رافع : ١٠٥/١ ، والدرر : ٢٧٢/٤ ، والنجوم : ٢٢٤/٩ . وقام نسبه فيها : « موسى بن أحمد بن محمود بن محمد » .

كان شيخاً كريم النفس إلى الغاية ، له بالمكارم أتم عناية ، يهب ما يملكه ، ويأتي على ما في يده ويتركه ^(١) ، رِيضَ الأخلاق حتى كأنها مَرَّ النَّسيم ، أو كأس رحيق مختوم مزاجها من تسنيم ^(٢) ، كثير الاحتمال ، غزير التضرع والابتهاال ، له أوراد يسردها من الذكر عُقَيْبَ الصَّلوات ، وأحوال تنزلُ عليه في أوقاتِ الخلوات ، قلَّ أن ترى العيون له نظيراً ، أو تجد له شهباً في الملوك وإن كان فقيراً :

يصبو إليه قلبٌ مَنْ هو عندَ أُرْ بابِ القلوبِ معشَقٌ مقبولُ
يهواه لا يُضْغِي لقولٍ مُفَنِّدٍ أبداً ولا يثنيه عنه عدولُ
كُلُّ يَهيمٍ بحبِّه وكذلك مَنْ مَلِكُ الإرادة أُمُرُه المفعولُ
ولم يزلْ على حاله إلى أنْ عرقَ جبينه ، ونَبَا حسُّه وربَّاً أنينه .

وتوفي رحمه الله تعالى ^(٣) سنة أربعين وسبع مئة .

وكان له سماع من عبد الله الصنّهاجي ^(٤) ، ومن أبي الحسن علي بن جابر اليمني ^(٥) .

وكان في الإسكندرية ، ثم وَلِيَ مشيخة خاتناه الأمير سيف الدين بكثر السّاقى بالقرافة ، ثم إنَّ السلطان نقله إلى الخانقاه التي لهُ بسرياقوس .

وكان آيةً في الكرم ، وعليه روحٌ وأنسٌ زائدٌ إذا دارَ في السّماع ، وله ذكر يورده

(١) في (ق) ، (س) : « ولا يتركه » .

(٢) اقتبس من قوله تعالى ﴿ يسقون من رحيق مختوم ﴾ ، وقوله : ﴿ ومزاجه من تسنيم ﴾ . المطففين : ٢٥/٨٢ ، ٢٧ .

(٣) ثمة بياض في (ق) ، (س) ، وفي الدرر : أن وفاته سابع عشر شهر ربيع الأول . وفي النجوم : « في شهر ربيع الآخر » .

(٤) عبد الله بن علي بن عمر (ت ٧٢٤ هـ) سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) في الأصل : « ابن خالد » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ت ٧٢٥ هـ) سلفت ترجمته في موضعها .

هو جماعة الصوفية عَقِيبُ كُلِّ صَلَاةٍ بِحَيْثُ إِنَّهُ يَتَّصِلُ ^(١) الذِّكْرُ عَقِيبَ الْمَغْرَبِ بِأَذَانِ الْعِشَاءِ الْآخِرَةِ . وَقُلْتُ لَهُ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَنَا اخْتَصَرْتُ لِأَجْلِ هَذَا الْجَمْعِ ، وَلَمَّا كُنْتُ بِالْإِسْكَانْدَرِيَّةِ كَانَ الْوَرْدُ أَكْثَرَ مِنْ هَذَا .

وكان السلطان يَعْظُمُهُ وَيَحْمِلُ إِلَيْهِ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِبلغ سبعة آلاف درهم ، للشيخ منها أَلْفَانِ ، والباقي للفقراء . وكان يَفْعَلُ ذَلِكَ مَعَهُمْ فِي كُلِّ شَهْرٍ ^(٢) ، يَطْلُعُ إِلَى الْخَانِقَاهِ ، وَيَقِيمُ عِنْدَهُمُ الْيَوْمَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ وَيَعُودُ يَجْلِسُ ^(٣) بَيْنَ الْفُقَرَاءِ وَيَقْضِي أَشْغَالَ النَّاسِ ، وكان النَّاسُ قد عَرَفُوا ذَلِكَ مِنْهُ ، وَكَانُوا يُؤَخَّرُونَ أَشْغَالَهُمْ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ إِلَى خَانِقَاهِ سَرِيقَاوُسَ ، وَهَذَا الْإِنْعَامُ كَانَ خَارِجاً عَنْ أَوْقَافِ الْخَانِقَاهِ ، لَكِنَّهُ قُطِعَ ذَلِكَ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَنَوَاتٍ .

وَلَبِسْتُ مِنْهُ خِرْقَةَ التَّصَوُّفِ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعَ مِئَةٍ ، وَقَالَ : لَبِسْتُ الْخِرْقَةَ الصُّوفِيَّةَ مِنْ يَدِ الشَّيْخِ الْعَارِفِ الْكَامِلِ كَالِ الدِّينِ الْعِجْمِيِّ ، وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ أَبِي مَنْصُورِ الْعِرَاقَلِيَّةِ [وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ بَدْرِ الدِّينِ الْعِرَاقَلِيَّةِ ، وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ أَوْحَدِ الدِّينِ الْكِرْمَانِيِّ] ^(٤) وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ أَبِي الْغَنَائِمِ رُكْنِ الدِّينِ السَّجَّاسِيِّ ، وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ قُطْبِ الدِّينِ الْأَهْرِيِّ ، وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ ضِيَاءِ الدِّينِ أَبِي النُّجَيْبِ السَّهْرُورِيِّ ، وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْغَزَالِيِّ ، وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ أَبِي الْفَرَجِ الزَّجَّاجِيِّ ، وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْأَسْوَدِ ، وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ النَّهَّائِنْدِيِّ ، وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ خَفِيفٍ ، وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ يَدِ الشَّيْخِ أَبِي الْعَبَّاسِ النَّهَّائِنْدِيِّ ، وَهُوَ سَمِعَ تَلْقِينَ الذِّكْرِ مِنْ أَبِي الْقَاسِمِ الْجَنَيْدِ الْبَغْدَادِيِّ وَصَحْبِهِ ، وَهُوَ لَبِسَهَا مِنْ سَرِيِّ السَّقَطِيِّ

(١) فِي الْأَصْلِ : « يَصِلُ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، (ق) .

(٢) فِي (س) ، (ق) زِيَادَةٌ : « كُلُّ قَرَشَةٍ » .

(٣) فِي (س) ، (ق) : « وَيَجْلِسُ » .

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ (س) ، (ق) .

وصحبه ، وهو من معروف الكرخي وصحبه ، وهو من داود الطائي وصحبه ، وهو من حبيب العجمي وصحبه ، وهو من الحسن البصري وصحبه ، وهو من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه وصحبه ، وهو من سيّد المرسلين والآخرين محمد رسول الله ﷺ .

وطريق أخرى : لبسها الشيخ أحمد الغزالي من يد الشيخ أبي بكر الزجاج النيسابوري ، وهو لبسها من يد الشيخ محمد النّساج ، وهو لبسها من الشيخ أبي بكر الشّبلي ، وهو لبسها من الجُنَيْد البغدادي رضي الله عنهم .

١٨٨٩ - موسى بن أبي بكر*

الأمير بدر الدين ابن الأمير سيف الدين الأزكشي .

جَهَزَهُ الأميرُ جمال الدين الأفرم [إلى] ^(١) الرحبة نائباً ، فأقام بها إلى أن نَزَلَ عليها خربندا ومعه عساكر المغل وقراسنقر والأفرم وسليمان بن مهنا ، وَنَصَبُوا عليها المجانيق فقاتلَ وصَابِرَ وَرَابِطَ ^(٢) وَحَصَّنَ القلعةَ وثبتَ ، جَزَاهُ اللهُ خيراً عن الإسلام إلى أن رحلَ خربندا بمن مَعَهُ مِنَ المَغْل ، وقد تَقَدَّمَ شيءٌ من طرقِ ذلك في ترجمة ^(٣) ذلك وفي ترجمة جوبان رحمه الله تعالى ، ثم إنه غَزَلَ وحضر إلى دمشق .

وبَقِيَ على إمْرَتِهِ إلى أن تُوفِّيَ رحمه الله تعالى في شعبان سنة خمس عشرة وسبع مئة بداره في القبيبات ، وحضر الأمير سيف الدين تنكر جنازته .

* الدرر : ٢٨٤/٤ .

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) (س) ، (ق) : « مقاتل ورابط وصبر وصابر » ، وفيها إفادة من قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا ﴾ آل عمران ٢٠٠/٣ .

(٣) (س) ، (ق) : « شيء من طرف ذلك في ترجمة جوبان » .

١٨٩٠ - موسى بن أبي بكر*

شرف الدين ، ملك التكرور ^(١) .

وَصَلَ إلى الديار المصرية في أوَّل شهر رجب سنة أربع وعشرين وسمِيع مئة بسبب الحجّ ، وصحبَه ^(٢) جمعٌ كثيرٌ ، ونَزَلَ بالقرافة الكبرى ، واستأذَنَ في الصَّعودِ إلى القلعة لتقبيلِ يَدِ السلطان ، فأذِنَ له ، فطُلعَ في طائفةٍ يسيرةٍ ، ولَمَّا وَصَلَ أَمَرَ بِتقبيل الأرضِ فامتنع ، فَأَلْزَمَ ، ففعلَ ذلكَ على كُرْهِه ، ولم يَمَكَّنْ مِنَ الجُلوسِ . فلَمَّا خَرَجَ ووصَلَ إلى بابِ القلعة قَدَّمَ له حصانٌ أشهبُ بزَناري أطلسُ أصفر ، وبعدَ ذلكَ خلعَ عليه السلطان خلعَةً سنيّةً ، وأَمَرَ له بِمركوبٍ ، وسَيَّرَ هو إلى السلطان أربعين ألفَ دينار ، وصَيَّرَ إلى نائبِ السُلطنة نحوَ عشرة آلافَ دينار ، وهَيَّأَ له السلطانُ مِنَ الهُجْنِ والنِّياقِ وآلاتِ الحجِّ أشياءَ كثيرةً ، وكذلكَ فَعَلَ به نائبُ السُلطنة .

وكانَ شاباً مَليحَ الشَّكْلِ حَسَنَ الوَجهِ ، له رغبةٌ في العلماء ، وهو فقيهة مالكيٌّ للذهب ، وقيلَ : إنَّه كانَ معه تقديرُ عشرة آلافَ تَكروري وجاءَ معهم ذهبٌ كثيرٌ حتَّى نَزَلَ الذهبُ ^(٣) في تلكَ المدَّةِ درهمين ، وحَصَلَ للنَّاسِ بهِمُ نَفْعٍ كثيرٍ ، وذكرُوا أنَّ تحتَ يده أربعةَ عشرَ ملكاً ، وسعةَ ملكه ثلاثَ سنين .

وحكى لي عنه الشيخ شمس الدين بن الأكفاني رحمه الله تعالى رئاسةَ كبيرة ^(٤) ، ووصلَ إليه منه جملةٌ كثيرةٌ مِنَ الذَّهَبِ ، وقالَ : كانتَ تحيَّةٌ مِنْهُ يَدْخُلُ إليه أنْ يضعَ

* الدرر : ٣٨٢/٤ . وانظر ذيول العبر : ١٣٣ ، ١٣٨ .

(١) هي بلاد تنسب إلى قبيل من السودان في أقصى جنوب المغرب ، وأهلها أشبه الناس بالنزوح . (معجم البلدان) وهي اليوم بلاد مالي .

(٢) (ق) : « وصحبته » .

(٣) في (س) ، (ق) : « حتى إنه نزل الدينار » .

(٤) في الأصل : « كثيرة » ، وأثجنتا ما في (س) ، (ق) .

عمامته ويكشف رأسه ، وهناك رماذ مفروش فيأخذ من ذلك الرماذ ويرشه على رأسه .

١٨٩١ - موسى بن رافع *

ابن مفرّج بن رافع بن عبد الواحد بن أحمد ، الشيخ الصالح الحمصي .
كان من أهل الخير والصّلاح ، ومن أهل القرآن والفهم والعرفة .
سمع من ابن هامل ، وحدث عنه .
وتوفي في شهر ربيع الآخر سنة خمس وثلاثين وسبع مئة .
ومولده سنة ثلاث وستين بمصر .

١٨٩٢ - موسى بن عبد الرحمن بن سلامة **

القاضي الرئيس بهاء الدين المدلجي المصري^(١) أحد كتّاب الإنشاء بالديار المصرية .
تولّى خطابة المدينة النبوية في ذي الحجة سنة ست وعشرين وسبع مئة^(٢) .

١٨٩٣ - موسى بن علي بن موسى ***

ابن يوسف ابن الأمير محمد شرف الدين الزرّازي .
أخبرني من لفظه شيخنا أثير الدين قال : هذا المذكور مولده بإربل في ثالث
عشري جمادى الآخرة سنة ثمان وخسين وست مئة .

* الدرر : ٣٧٥/٤ .

** الدرر : ٣٧٥/٤ .

(١) في الأصل : « للضري » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والدرر .

(٢) توفي في ثامن عشر شهر رجب سنة (٧٤٤ هـ) كما في الدرر .

*** الدرر : ٣٧٨/٤ ، وغاية النهاية : ٣٢١/٢ .

وذكر لي أن أباة قاضي القضاة ياربيل ، وأن جدّه أيضاً كان قاضياً .

وهو رجل ساكنُ النفس حسنُ الصورة ، عنده فضائل من فقه وأدب وغير ذلك .
وذكر لي أنّه سمع الحديث ، وأنّه قرأ على الكواشي (التفسير الصّغير) ، وسمع عليه كثيراً
من (التفسير الكبير) وأنّه سمع ببغداد من ابن الفويرة والقلانسي . وذكر لي أنّه نظم
(الوجيز) وأنشدنا^(١) منه أبياتاً .

وأنشدنا لنفسه من أبيات :

تواضع تكن كالنجم استبان لناظري على صفحات الماء وهو رفيع
ولم يك كالدخان يرفع نفسه إلى طبقات الجو ، وهو وضيع^(٢)

قال : وأنشدنا لنفسه ، وقد تردّد إلى بعض أهل الجاه بمصر مراراً :

لئن عاد موسى واقفاً باب هامان على كبره حتّى انقضت منه عامان^(٣)
فقد قام في أبواب فرعون قبله على كفره ، في مصر موسى بن عمران

قلت : أظنّه المعروف بالقطبي^(٤) ، ويلقبُ ضياء الدين ، كان يخطب بجامع
الأمير كراي بالحسينيّة ، ومتصدراً لإقراء السبع بالجامع الظاهري بالحسينيّة أيضاً ،
وكان من العلماء الصّالحاء . واتفق الناس على الثناء عليه .

وتوفي رحمه الله تعالى وهو ساجدٌ في الصّلاة في حادي عشر شهر رجب سنة
ثلاثين وسبع مئة ، وكانت جنازته حافلةً إلى الغاية ، ودُفِنَ بزاوية الشيخ ابن معضاد .

وحدّث عن ابن عزّون ، والنّجيب عبد الملطيف ، ومن في طبقتها . وأجاز لي في

سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة .

(١) في (س) ، (ق) : « وأنشدنا لنفسه » .

(٢) روي البيتان في الدرر بلفظ : « تواضع كالنجم ... ولأنك ... » .

(٣) في الأصل : « بين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) لسكنه في المدرسة القطبية بالقاهرة ، كما في غاية النهاية .

١٨٩٤ - موسى بن علي بن قلاوون*

أمير موسى ابن الملك الصالح ابن السلطان الملك المنصور .

كان أحد الأمراء بمصر ، وكان شكلاً مُحِبّاً حَسَناً ، فبلغ السلطان محمداً^(١) عمه عنه أمر ، فخافه^(٢) وندب الأمير علاء الدين أيدغدي شقير والأمير سيف الدين بكتر الحاجب للتوجه إليه والقبض عليه ، فتعَيَّب ، وخرج السلطان وزاد غضبه وقال : هذا [هو]^(٣) في القاهرة وما لحق يخرج منها ، وأمر بإحراقها ، فوقف الأمير سيف الدين أرغون النائب وبأس الأرض وتضرَّع ، وسأله إبطال ذلك وأن ينزل الجماعة ويتطلبوه . وتوجه المذكورون وأمسكوا مملوكاً صغيراً من الكتابية وضربوه فأقرَّ أن الفقيه الذي لهم تَوَجَّه هو والأمير ، فأمسكوا الفقيه وعاقبوه ، فأخذهم ودلَّهم على المكان الذي هو فيه ، وأتى بهم إلى دار أستاذ دار الفارقاني ، فكبسوا داره وفتشوا جميع داره ولم يجدوا أحداً وحلَّفَ أنه ما رآه ، فبقي هناك مكاناً لا يُؤْبَهُ ، له صورة خرستان^(٤) ، فقالوا : افتحوا هذا ، فحلَّفَ بالله والطلاق وبنعمة السلطان أن ما فيه ما يطلبونه ، فقال بكتر أنا ما أقدر أقول للسلطان إنه بقي مكان ما دخلنا إليه ، ففتحوه فإذا بأمير موسى هناك ، فشتم أمير موسى لبكتر الحاجب ، وسبَّه ، وبالع في ذلك وهو ساكت ، وأرادوا إخراجَه فقال : ما أخرج من هنا حتَّى تحلفوا لي بأن هذا صاحب هذه الدار لا يكلمه السلطان ولا يؤذيه ، فإنني والله ما أعرفه ولا أكلت معه خبزاً ، وإنما الفقيه^(٥) هو صاحبه ، وأنا الذي طَرَحْتُ شَرِّي عليه ورَمَيْتُ أذائي عليه ، فحلفوا على ذلك بالله وبالطلاق ، وأخذوه من هناك ، وطلعوا به إلى السلطان . فلما كان بعد ثلاثة أيام ، سَيَّر السلطان

* الدرر : ٣٧٧/٤ ، وترجمته أوفى مما ههنا .

(١) في الأصل و (ق) : « محمد » .

(٢) في الدرر أنه كان يسعى مع بعض الأمراء إلى الاستيلاء على السلطنة .

(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

(٤) ما يشبه الخزانة تكون في الحائط .

(٥) في (س) ، (ق) : « هذا الفقيه » .

إلى دار أمير موسى وقال : اِعْمَلُوا عَزَاءَهُ ، فدار جواريه بينَ القصرين وفي الشَّارِعِ مَدَّةً يَطْفَنُ بالدَّرَادِكِ ، وَأَمَّا أَسْتَازُ دارِ الفارقاني ، فَإِنَّهُ سَمَّرَ وَبَقِيَ مِنْ بَكْرَةٍ إِلَى الْعَصْرِ ، وَوَقَفَ الْأَمْرَاءُ وَشَفَعُوا فِيهِ ، فَأُفْرِجَ عَنْهُ وَعَاشَ بَعْدَ ذَلِكَ سَنَتَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ فِي سَنَةِ (١) ...

١٨٩٥ - موسى بن علي*

الشيخ الإمام الكاتب الجوّد المُنْتَقَنُ شيخ دمشق نجم الدين المعروف بابن البُصَيْصِ - بَيَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَصَادَتَيْنِ مَهْمَلَتَيْنِ وَبَيْنَهُمَا يَاءٌ آخِرُ الْحُرُوفِ - .

شيخ الكِتَابِ فِي زَمَانِهِ ، وَنَادِرَةٌ عَصْرِهِ وَأَوَانِهِ ، تَفَرَّدَ فِي الدُّنْيَا بِكِتَابَةِ الْمَزْدُوجِ وَأَتَقَنَهُ وَكُلَّ مَنْ تَقَدَّمَ فِيهِ سَمَجٌ ، وَاخْتَرَعَ قَلَمًا آخِرَ سَمَاءِ « الْمَعْجَزِ » ، وَأَتَى فِيهِ بِمَحَاسِنِ إِذَا أَطْنَبَ فِيهِ الْوَاصِفُ ظَنًّا أَنَّهُ مُوجِزٌ ، وَكَانَ خَطُّهُ كَأَنَّهُ حَدَائِقُ ذَاتِ بَهْجَةٍ ، وَسَطُورُهُ مِنْ حُسْنِهَا تُفْدَى بِكُلِّ مُهْجَةٍ ، لَوْ عَايَنَهُ الْوَلِيُّ التَّبْرِيْزِيُّ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَبْرِيْزٌ ، أَوْ ابْنُ الْعَدِيمِ لَاعْتَرَفَ لَهُ بِالتَّعْجِيزِ :

كَأَنَّ الْمَعَانِي فِي مُحَارِبِ طَرْسِهِ قَنَادِيلُ لَيْلٍ ، وَالسَّطُورَ سِلَاسِلُ
كُوَاكِبَ عَجَمٍ فِي أَهْلِيَّةِ أَحْرَفٍ بِدَوْرِ الْمَعَالِي بَيْنَهُنَّ كُوَامِلُ
كُتِبَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ مِنَ الْأَعْيَانِ وَسَادُوا ، وَأَبَانُوا بِفَضْلِهِمْ مَقَادِيرَ رَتَبِهِمْ فَأَبَانُوا مِنْ تَقَدُّمِهِمْ وَأَبَادُوا .

وَلَمْ يَزَلْ عَلَى حَالِهِ إِلَى أَنْ غَارَ فِي الثَّرَى نَجْمُهُ ، وَهَيْلٌ عَلَيْهِ تَرَابُهُ وَرَجْمُهُ .

وَتَوَفَّى رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةِ سِتِّ عَشْرَةٍ وَسَبْعِ مِائَةٍ .

وَمَوْلَدُهُ بِحِمَاةِ سَنَةِ إِحْدَى وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ .

(١) الَّذِي فِي الدَّرَرِ أَنَّ الْأَمِيرَ مُوسَى أَفْرِجَ عَنْهُ ، وَأُرْسِلَ إِلَى قَوْصٍ ، وَأَنَّهُ أَشْبَعُ مَوْتُهُ سَنَةِ (٧١٨ هـ) .

* الْبَدَايَةُ : ٧٩/١٤ ، وَالْدَّرَرُ : ٢٧٦/٤ ، وَذِيُولُ الْعَبْرِ : ٨٩ .

وكتب الأقلام السبعة وجودها ، وأقلامه الرطبة كلها لم يلحقه فيها أحد . ومَن كتب عليه : الشيخ كال الدين بن الزملاكاني ، والشيخ بدر الدين بن المحدث ، والقاضي علاء الدين بن الآمدي ، وجماعة آخرون .

وكتب هو شيئاً كثيراً إلى الغاية من الدروج والقطع والطرارز الذي في الطَّارمة^(١) ، والذي على باب دار السعادة ، والذي في الظاهرية الجوانية والذي على باب الأمير سيف الدين بهادر آص ، كلُّ ذلك بخطِّ يده ، وقد تغيَّر طراز دار السعادة مرَّات وأعاد عليه الدهَّانون ، وأصوله باقيةً ومعالم حسننها بادية . وكان يكتب على الطَّاسات وعلى ما يُنقش ، ويُطعمُ كل سطرٍ بدرهم ويكتب في اليوم جملة من ذلك مستكثرة .

وكان يعمل بالفأس في بستانه ويعمَّر باللبن وغيره ، ويكتب تلك الكتابة المليحة الرطبة ، ورزق الحظوة في خطِّه واشتهر ، وكان مأموناً على أولاد الناس ، عفيفاً خيراً^(٢) دِيناً . وقلتُ أنا فيه :

يَشْهَدُ لابن البَصِيصِ خُطٌّ يسلب مِمَّن يراه عَقْلُهُ
بأنَّه النَّجْمُ في عِلَاةٍ وما رأى مثله ابن مَقْلُهُ

وله شعرٌ في الحقيقة على رأي أهل التصوف ، وكان قليل البضاعة من العربية . ومن شعره ما نقلته من خطِّه على ما تراه من اللَّحْن الفاحش وفساد المعنى :

ألا كلَّ شيءٍ ما خلا الله نافد وكلَّ وجودٍ قد بدا فهو بَائِدُ
تفكر في هنا الوجودِ ووضعِهِ وفي حركاتِ الفلكِ وهي سوامِدُ
وفي حركاتِ النِّيراتِ بأَقْفِها وفي كلِّ جرمٍ لا يرى متبَاعِدُ

(١) علي باب الحديد من أبواب قلعة دمشق . والطَّارمة : بيت من خشب سقفه على هيئة قبة لجلوس السلطان ، وتطلق أيضاً على أعلى غرفة في البيت .

(٢) في الأصل : « حرا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وما ذاتها في رقة وكشافة
ترى كل ما في الكون لا بد زائل
وإيجادنا فيه وذلك آية
وكم آية غابت فليس ترى لنا
شهادة على الأشياء ليس بغائب
تحققت حقاً أنه لي محرّك
فحشت سعيلاً ثم أنقل مكرماً
وإني مهما عشت شاكر أنعم
فحسي تشريفاً أراه محققاً
وهل هي شيء دائم متوالد
له محدث باقي وذلك نافع
تدل على فردٍ تفرد واحد^(١)
تدل على وترتفد مآجد
على كل شيء من نواحيه شاهد
على أنه سبحانه لي واحد
إلى واحد إنعامه متزايد
عليّ توالى من نوالك حامد
بأنك ربّي ليس فيه معاند

١٨٩٦ - موسى بن علي بن بيدو*

ابن نوغاي تمر بن هولاكو^(٢) القان المغلي .

نشأ بسواد^(٣) العراق ، يقال إنه كان نَسَاجاً^(٤) ، فلما مات بوسعيد توثب علي باشا
وطلب موسى هذا وسلطنه ، وسار به إلى أذربيجان ، وعملاً مصافاً مع أرباكاوون^(٥)
المذكور في حرف الهمزة وابن الرّشيد مع ذلك ، وانتصر موسى وتملك بتوريز ، ثم إن
المغل تناخت مع الشيخ حسن ، وعملوا مصافاً يقل فيه جمع موسى ، وقتل عليّ
باشا^(٦) ، وتقهقر موسى ، وبقي في جبال الأكراد نحو أربعة أشهر ومعه محمد بيك والأمير

(١) (ق) ، (س) : « تعزّز واحد » .

* الدرر : ٣٧٦/٤ ، وذيول العبر : ١٩٣ - ١٩٤ .

(٢) في الدرر : « ابن طوغان بن هولاكو » .

(٣) في (س) ، (ق) زيادة : « نشأ هنا ... » .

(٤) في الأصل : « نساخاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « أرباكاوون » ، تحريف ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، وترجعه المؤلف باسم أريكوون .

(٦) في ذيول العبر : « علي باش » .

حافظ ، ومعه أيضاً الوزير نجم الدين ابن شروين ، وقصدوا بغداد ودخلوها ، وقتلوا طوغان ، وكان من كبار الظلمة المقدمين ، له سطوة وشجاعة ، فاستخف بهم وبرز للقتال ، فقتل هو وجماعة ، وطيف برأسه ورأس^(١) الأمير نصرت شاه معاً .

ثم حشد موسى وقصد أذربيجان ، فتصابر الفريقان أياماً وليالي ، ثم كبس أصحاب حسن بإعانة خلق من الأكراد موسى ، فاستجار موسى بأمر من الأكراد - وكان قد أحسن إليه - فأجاره . ثم إنه غدر به وحمله إلى حسن فهم باستبقائه ، فقام عليه الأمراء وقتلوه ، قصفوا ظهره ، فمات في سنة سبع وثلاثين وسبع مئة ، وقيل : إنهم قطعوا أنفه أولاً ثم ذبحوه .

وكان موسى حسن الشكل جيد العقل صحيح الإسلام ، وكانت قتلته يوم الأضحى بالأردو ، هو من أبناء الأربعين . وكان قد نشأ عند نصراني بدقوا يتعلم الحياكة .

قال شيخنا شمس الدين الذهبي : رأيت القاضي حسام الدين الغوري يُثني على عقله ودينه .

١٨٩٧ - موسى بن علي بن أبي طالب *

ابن أبي عبد الله بن أبي البركات العلوي الحسيني الدمشقي الحنفي ، عز الدين أبو القاسم^(٢) الموسوي ، من ذرية إبراهيم ولد موسى الكاظم .

سمع حضوراً من الفخر الإربلي ، وسمع (الموطأ) من مكرم القرشي ، وسمع من السخاوي ، وابن الصلاح ، وأبي طالب بن صابر ، وعدة .

وتفرّد وأكثر عنه^(٣) الطلبة ، وسكن مصر ، وحضر المدارس .

(١) (س) ، (ق) : « وبرأس » .

* الدرر : ٣٧٩/٤ ، والشذرات : ٢٨/٦ ، وذيول العبر : ٨٦ .

(٢) في الذيول : « أبو الفتح » .

(٣) في الأصل : « منه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وكان مليح الشكل حسن البزة ، تفرّد عن جدّه مدرّس المعينيّة رشيد الدين النيسابوري^(١) ، وأخذ عنه شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وشيخنا الذهبي والشيخ تقي الدين بن رافع والوائي .

ومات وهم يسمعون عليه (صحيح مسلم) ، فانتهاوا إلى نصف الكتاب ، وتوفّي رحمه الله تعالى سنة خمس عشرة وسبع مئة .
ومولده سنة ثمان وعشرين وست مئة .

١٨٩٨ - موسى بن علي بن منكوتر*

الأمير شرف الدين ابن الأمير علاء الدين ابن الأمير سيف الدين . قد تقدّمت ترجمة جدّه منكوتر .

كان الأمير شرف الدين المذكور أحد أمراء الطّبليّات بطرابلس ، ولكنّه أضيف إلى عسكر دمشق ، وإذا كان أوان يَزَكِه توجّه إلى طرابلس وعمل يزكه وعاد إلى [دمشق]^(٢) .

وكان شاباً ظريفاً مطبوعاً الحركات والسكنات ، نظيف اللباس ، طيّب الرائحة ، كأن غُصْنُ بَانٍ أَوْ قُضِيبَ رِيحَان .

ولم يزل على حاله إلى أن توفي في عشرين شهر الله المحرم سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

١٨٩٩ - موسى بن محمد**

ابن موسى بن يونس كمال الدين بن بهاء الدين ابن العلامة الفريد كمال الدين بن

(١) محمد بن أبي بكر (ت ٦٣٧ هـ) . العبر : ١٥٥/٥ ، والدارس : ٤٥٣/١ .

* الدرر : ٣٧٨/٤ .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

** الدرر : ٣٨١/٤ .

يونس قاضي الموصل وابن قاضيها .

توجه إلى ^(١) السلطانية في مهم له فأذركه أجله بها في جمادى الأولى سنة خمس عشرة وسبع مئة .

وكان فاضلاً إماماً علامةً ، وولي قضاء الموصل بعده ولده .

١٩٠٠ - موسى بن محمد بن أبي الحسين *

الشيخ الفاضل المؤرخ المعمر المسند بقيّة المشايخ ، قطب الدين أبو الفتح ابن شيخ مذهبه أبي عبد الله اليونيني البعلبكي .

سمع من أبيه ، والشرف الإربلي ، وشيخ الشيوخ عبد العزيز ، والرّشيد العطار ، وأبي بكر بن مكارم ، وابن عبد الدائم ، وعدة ، وأجاز له ابن رواج ، ويوسف الساوي وجماعة .

وكانت له صورة كبيرة وجلالة ، وفيه مروءة وعنده كرم ومعرفة تامّة بالشروط ، وصار شيخ بعلبك بعد أخيه أبي الحسين ، وروى الكثير بدمشق وبعلبك ، واختصر (مرآة الزمان) على نصف النصف ^(٢) ، وذيل عليها في أربع مجلدات ^(٣) .

ثم إنه أسنّ وكبر وعجز وتعلّل .

وتوفي رحمه الله تعالى في شوال سنة ست وعشرين وسبع مئة .

ومولده في صفر سنة أربعين وست مئة .

(١) في الأصل : « في » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

* الدرر : ٣٨٢/٤ ، والشذرات : ٧٣/٦ ، وذيول العبر : ١٤٥ ، والبداية والنهاية : ١٢٦/١٤ .

(٢) في (س) ، (خ) : « نحو النصف » .

(٣) الكشف : ١٦٤٧/٢ ، والكتاب مطبوع .

١٩٠١ - موسى بن محمد بن أبي بكر*

ابن سالم بن سلمان المرداوي الحنبلي .

كان فقيهاً صالحاً حسن الهيئة مليح الشّية .

قدم دمشق وحفظ (المقنع) و (ألفية ابن معطي) ، وحصل كتباً ، وكان يطالع وينقل ، وسمع من خطيب مردائها ، وبدمشق من ابن عبد الدائم ، وعمر الكرماني ، وجماعة . ومرض بالفالج مدةً طويلةً وانقطع عشرين سنة^(١) لا يقدر أن يصلي إلا بمن يعينه في السجود ويجلسه .

وتوفي رحمه الله تعالى^(٢) في سادس شهر رجب سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٩٠٢ - موسى بن محمد بن يحيى**

عماد الدين اليوسفي المصري ، المعروف بابن الشيخ يحيى ، أحد مقدّمي الحلقة^(٣) بالديار المصرية .

كان مشهوراً بالمروءة ، معروفاً بالعصبية التي هي في حنايا جوانحه مخبوءة ، يصحب الأكابر ، ويغالطهم بالمودّة ويكابر ، ويلازم صحبة الأعيان ويثابر ، لم تفته صحبة ربّ سيفٍ ولا قلم ، ولا حامل علمٍ ولا رافع علم ، يتقرّب إليهم بالخدم ويسعى على رأسه في قضاياهم لا على القدم :

* الدرر : ٣٨١/٤ .

(١) (ق) : « عشر سنين » . وفيها وفي (س) زيادة : « منها سبع سنوات » .

(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « بمرأ » .

** الدرر : ٣٨١/٤ .

(٣) ليست في (س) .

تَلَذَّ لَهُ المروءة وهي تؤذي ومن يعشق يَلَذَّ لَهُ الغَرَامُ^(١)

وكان يعاني شيئاً من النظم والنثر على عاميته ، ويأتي به طباعاً من غير تكلف سجيته ، فيأتي من ذلك بما^(٢) يضحك الثكالى ، وينشط القلوب للتعجب بعد أن كانت كسالى ، على أنه يأتي في ذلك بما يشبه التورية والاستخدام ، والاستعارة والجناس الناقص والتأم ، فما كنت أنا ولا شيخنا الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس تقضي العجب من ذلك ، ونقول له : ياسيدنا سحان من وسع عليك في هذا الفن المسالك ، فيعجبه ذلك ، ويقول : والله هذا ولم أقرأ (المقامات) ولا حفظتُ شيئاً من شعر المتنبي ، ولا اشتغلت بشيء من العربية ولا العلم ، فنقول له : هذه مواهب وقرائح .

ولم يزل على حاله إلى أن وهى ركن العماد ، ومال إلى خراب عمره وماد .

وتوفي بالقاهرة رحمه الله تعالى في أوائل سنة تسع^(٣) وخمسين وسبع مئة^(٤) بالقاهرة .

وجع لنفسه (تاريخاً) كبيراً ، يجيء في خمس عشرة مجلدة ، وله غير ذلك .

وكان يصحب الكبار مثل القاضي كريم الدين الكبير ، واختصَّ بجمال الكفاة وبالوزير علم الدين بن زنبور وبالأمر سيف الدين أيتش نائب الكرك وصفد ، وبالأمر بدر الدين جنكلي بن البابا ، وبالحاج أرقطاي لما عمل النيابة بدمشق ومصر^(٥) ، وبغيرهم ، واختص أخيراً بالأمر سيف الدين شيخو وسيف الدين صرغتمش .

(١) البيت للمتنبي . ديوانه : ٧٥/٤ .

(٢) (خ) : « ما » .

(٣) في الأصل : « سبع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) والدرر .

(٤) في (س) ، (ق) : « ومولده في سنة ست وسبعين وست مئة » .

(٥) في (س) ، (خ) ، (ق) : « بمصر » فقط .

وكان يكتب إلي قصائد وغيرها ، فأحتاج إلى أن أجيبه عن ذلك ، ومما كتبه إليه :

دار عماد الدين شوقي لها يحلّ أن يذكر بين العباد
ماراق طرفي بعدها منزلٌ لأنّها في الحسن ذات العباد
وكتبت إليه :

أوحشتني ياعمدي وعلى الحقيقة ياعمادي
يامن غدا وشعاره بين الورى بذل الأيادي
ولله محاسن نشرها متضوع في كل ناد
ومكارمٌ بحديثها فينّا ترنّم كل شاد^(١)
ومروءة أبناءها مشهورة بين العباد
يكفي محبك أنّه من بعد بعدك في جهاد
عنّ يذوب بنارها صمّ الصخور من الجماد
وصبابية إن قلت قلت ، فهي تصبح في ازدياد
والصبر كنت أظنّه ممن يوصلني بلادي
وحياتكم لم يرض أن يشقى وخالف في المبادي^(٢)
وكذا الكرى من عهدكم لأنّ لم يعرف وسادي
والله لم يخرج معي من عنّكم إلّا ودادي
فعدمت إلّا أدمعاً تحكي بصيّها الغوادي
ووجدت كلّ بليّة حاشاكم إلّا فؤادي
فغدوت أنشدّه وأطلب عوده ، ولن أنادي
وأظنّه في ربكم تجدونه بين الرماد

(١) هنا البيت خلت منه (خ) .

(٢) (خ) ، (س) ، (ق) : « وفارق في » .

أفسدتـوه بفضلكم لمّا غدا وفق المراد^(١)
يادهـر زدت من النوى وأطلت في هذا البعاد
ما أن [أن] تحنو، فقد أشمت بي كل الأعـادي^(٢)

١٩٠٣ - موسى بن مهنا*

الأمير مظفر الدين ابن الأمير حسام الدين أمير آل فضل ، تقدّم ذكر والده مهنا وعمّه فضل وأخويه سليمان وأحمد في أماكنهم .

كان والده مهنا يقول : فرحتُ بأربع : عقل موسى ، وشجاعة سليمان ، وكرم أحمد ، وحسن فيّاض .

وكان مأمّن أحد من العربان الأمراء إلا وقد أكل إقطاع التتار إلا موسى ، فإنه كان السلطان يغضب عليهم ويطردهم من بلاده ، وما يأكل إلا إقطاع السلطان . وكان يتنقل في إمرة آل فضل في حياة أبيه ، وأخذها [مرّة]^(٣) من عمه الأمير شجاع الدين فضل^(٤) .

وتوفي رحمه الله تعالى بالقعرة^(٥) فجأة بعد صلاة العشاء الآخرة في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

وبموسى هذا كان يُكنّى أبوه مهنا ، فيقال يا أبا موسى . ونقل من القعرة بعد موته إلى تدمر ودفن بها^(٦) .

(١) هنا البيت خلت منه (خ) .

(٢) الزيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

* الدرر : ٣٨٢/٤ ، وذيول العبر : ٢٣٠ ، والنجوم الزاهرة : ٧٦/١٠ .

(٣) زيادة من (خ) ، (ق) ، (س) .

(٤) زاد في (خ) : « في حياة أبيه » .

(٥) (خ) : « القعرة » ، وكذا فيما يأتي .

(٦) قوله : « ودفن فيها » ليس في (خ) .

١٩٠٤ - موسى بن يحيى بن فضل الله*

الأمير صلاح الدين ، تقدّم نسبه في ترجمة أخيه القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله في حرف الهمزة .

كان من أحسن الأشكال ، ومن لاشبهة^(١) في حسن صورته ولا إشكال ، مُتَرَكّ الوجه والعين ، تنصرف النفوس إلى رؤيته ولم تلتفت إلى الورق ولا العين .

أدخله والده القاضي يحيى الدين في جملة أرباب السيف ، ولم يُرَ أن يُهْدَى إلى^(٢) وظيفة الكتاب في يقظة ولا طيف ، فجَمَلَ به المواكب ، وكَمَلَ به الكواكب ، ثم إنّه عَدَّ في جملة الأمراء ، وكاد يستخدم الجَلَّة من الوزراء .

ولم يَزَل في مطالع سعوده ، ومعارض صعوده ، إلى أن فسد صلاحه ، ولم يسفر بالحياة صباحه .

وتوفي رحمه الله في صفر سنة ستين وسبع مئة .

ومولده سنة عشرة وسبع مئة .

هذا الأمير صلاح الدين توجّه مع والده وإخوته إلى^(٣) الديار المصرية ، وهو بزي الأتراك ، فأعطاه السلطان الملك الناصر محمد إقطاعاً في حلقة مصر . وهو شقيق القاضي علاء الدين صاحب دواوين الإنشاء الشريف ، أخذ له في أيام الناصر أحمد إمرة عشرة بمصر ، ثم أخذ له إمرة عشرين . وكان مقيماً عند أخيه ، وبعد كل فترة من السنين يحضر إلى دمشق لكشف أملاكه وتعلقاته ، ويعود إلى الديار المصرية ، وكان من أحسن الأشكال وأظرفها .

* الدرر : ٣٨٢/٤ .

(١) في الأصل : « شبه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) (س) ، (ق) ، (خ) : « أن يهدي إليه » .

(٣) (خ) : « في » .

ولما توفي رحمه الله تعالى ، وجد عليه أخوه القاضي علاء الدين وَجُداً عظيماً .
وكتبت أنا إليه من دمشق المحروسة أعزيه فيه :

قد شبَّ جمر الأسى في القلب واشتعلَا
موسى بن يحيى الذي قد كان طلعتَه
[موسى بن يحيى بن فضل الله ذونسبٍ
ذاك الأمير صلاح الدين خير فقي
قد كان موكبٌ مصر يستنير به
قد كان بدرا تضيء الليلَ طلعتَه
وكان ظلاً علينا وارفاً وبه
لولا وفاة صلاح الدين ما وجدت
فأعظمَ الله فيه أجر فاقده
والله يُبقيهِ في أمنٍ وفي دَعَاةٍ
فإنه في نهاياتِ العلا، فإذا

مذ قيل لي إن موسى قد قضى الأجلَا
كأنها الشمس لما حلت الحَمَلَا
به إلى عمر الفاروق قد وصلاً^(١)
قد زَيْنَ الدهرَ والأيام والدُّولا
إذا غَدَا بنجادِ السَّيفِ مشتملاً
إذا بَدَا، أفلا أبكي وقد أفلا!
نلقى الردى، أفلا نأسى إذا انتقلاً!
« لها النايَا إلى أرواحنا سُبُلَا »^(٢)
ولا استخف به من حزنه جبلا
والله أكرم مَدَعُو إذا سُبُلَا
أراد غايةَ مجْدٍ في الورى نَزَلَا

١٩٠٥ - موسى *

الأمير شرف الدين الحاجب مجلب .

أقام زماناً مجلب أمير حاجب ، إلى أن كرهه الأمير سيف الدين الكاملي ، ولما عاد
إلى حلب نائباً ثاني مرّة كتب فيه فتوجّه إلى قلعة الرّوم نائباً .

(١) زيادة من (س) ، (ق) ، (خ) .

(٢) عجز بيت للمتنبي ، صدره :

لولا مفارقة الأحباب ما وجدت

ثم نُقل إلى نيابة البيرة فأقام بها إلى أن توفّي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الآخر سنة ست وخمسين وسبع مئة^(١) بالبيرة ، وتوجّه عوضه الأمير جمال الدين آقوش الحاجب بحلب .

١٩٠٦ - موفقية*

ستّ الأجناس بنت أحمد بن عبد الوهاب بن عتيق بن وردان المصرية ، مسندة القاهرة .

سمعت من الحسن بن دينار^(٢) ، وعبد العزيز بن النقّار ، والعلم بن الصّابوني ، وطائفة ، وتفرّدت بسماع أجزاء .

أخذ عنها شيخنا فتح الدين بن سيّد الناس ، والواني ، وابن الفخر ، وسائر الطلبة .

وتوفيت رحمه الله تعالى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .
ومولدها سنة ثلاثين وست مئة .

اللقب والنسب

☆ الموفقى : نائب غزّة ، الأمير ركن الدين بيبرس .

☆ الموفق : محمد بن محمد .

☆ الموفق : ناظر الدّولة هبة الله ، ثم تسمى بعبد الله بن سعيد الدولة .

(١) وفي الدرر أنّ وفاته سنة (٧٥٠ هـ) .

* الدرر : ٣٨٤/٤ ، والشذرات : ٣١/٦ ، وذبول العبر : ٧١ .

(٢) الحسن بن إبراهيم بن هبة الله المصري (ت ٦٣٩ هـ) . الشذرات : ٢٠٤/٥ .

- ☆ ابن المولى الحموي : عبد الرحمن بن علي .
- ☆ المؤيد : صاحب حماة إسماعيل بن عليّ .
- ☆ المؤيد : صاحب الين داود بن يوسف .
- ☆ والمؤيد ابن خطيب عقربا : عليّ بن إبراهيم .
- ☆ ابن ميسّر : الصّاحب عز الدين أحمد بن محمد .
- ☆ ابن مينا : شمس الدين محمد بن محمد .

حرف النون

١٩٠٧ - ناصر بن منصور*

ابن شرف ، القاضي الإمام ناصر الدين التّغلي الزّرعي الشّافعي .
كان رجلاً جيّداً ، كريم النفس ، حسن الخلق ، تام الشكل ، مشكور السّيرة ،
نزهة عفيفاً .

كان أولاً خطيباً بزرع ، ثم ولي القضاء بها ، وولي قضاء أذرعات ، وقضاء عجلون
ونابلس وحمص ، وولي قضاء صفد وقضاء طرابلس ، وما باشر بلداً إلا وحصل الثناء
عليه .

توفي رحمه الله تعالى بنابلس في ثالث عشر شهر ربيع الآخر سنة ثمان وعشرين
وسبع مئة .

١٩٠٨ - ناصر بن أبي الفضل**

ابن اسماعيل ، الفقيه المقرئ ابن الهيثي الصّالحي ، ابن شرف الدين الشافعي .
كان مليح الصورة في صباه ، مطرب الصوت ، يقرأ القرآن في التّرب والختم ،
وحفظ^(١) (التنبيه) ، ثم إنّه ، على ما ذكره شيخنا الذهبي ، صحب الباجر بقي
وابن المعمار البغدادي والنّجم بن خلكان ، وتزندق ، واستخفّ بأمور الدّين ، وتقوّه

* الدرر : ٣٨٧/٤ .

** البداية والنهاية : ١٢٢/١٤ ، والدرر : ٣٨٦/٤ ، والشذرات : ٧٤/٦ ، وذيل العبر : ١٤٣ .

(١) في الأصل : « وقرأ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والبداية .

بعظائم ، وتزهّد وتوجه إلى مكة ، ثم إلى بغداد ، ثم إنه فرّ منها لما همّوا بقتله ، ثم هرب من ماردين ، فشهدوا عليه بكفرٍ ثانٍ بحلب ، فأمسكه قاضيها الشيخ كال الدين بن الزملكاني ، وبعثه مقيداً إلى دمشق ، فأقيمت عليه البيّنة عند قاضي القضاة شرف الدين المالكي ، فما أبدى عذراً وسكت ، لكنّه تشهد وصلى ركعتين وتلا القرآن ثم ضرب عنقه ، وما كفّن ولا غُسل .

وكانت قتلته في يوم الثلاثاء حادي عشري شهر ربيع الأول سنة ستّ وعشرين وسبع مئة ، وكان عمره نحواً من ستّين سنة .

قلتُ : قال لي جماعة إنهم لما توجهوا به ليضربوا عنقه أنشد :

إنّ كان سفك دمي أقصى مرادهم فما غلت نظرة منهم بسفك دمي^(١)

☆ ابن نبهان : الشيخ محمد بن نبهان . وولده الشيخ علي بن محمد .

١٩٠٩ - نجم الخطيني ***

اسمه أيوب بن أحمد ، وإنّا اشتهر بالنّجم الخطيني ، وحطّين بكسر الحاء المهملة وتشديد الطّاء المهملة وبعدها ياء آخر الحروف ونون .

كان أقفاً ، جريئاً على الأهوال فتناً ، لا يقدّم خوفاً من خالق ولا مخلوق ، ولا يبالي بعد إدراك غايته أهو سابق أم مسبوق ، يفتك نهراً جهاراً ، وإذا نزل بدار قوم رحل بخزية وترك عارا^(٢) ، ما حلّ في ناحية إلّا ملأها فجورا ، وكان له النقص فيها زائراً ومزوراً ، يفرّ من الشام إلى مصر ، ويخفر الذمّة ويخون الإصر .

(١) في الدرر : « مرامهم » .

* الدرر : ٣٨٨/٤ .

(٢) يشير إلى قول جرير في هجاء الفرزدق :

وكنّت إذا حللت بدار قوم رحلت بخزية وترك عارا

ديوانه : ٨٨٧/٢ .

ولم يزل يذهب ويحور ، ويظلم نفسه وغيره ويجور ، ويفوت كلَّ زُرِيَّةٍ ودُمه كما يُقال يفور ، حتَّى وقع بأعماله ، وقطع الدهر بخيبة آماله :

وساقه البغي إلى صرعة للحين لم تخطر على باله

وكان المذكور شيطاناً من الشياطين ، وإبليساً من الأباليس ، يسفك الدماء ، ولا يقف عند خُطَّةٍ شرع ولا غيره .

أول ما اتصل بخدمة الشيخ شمس الدين محمد بن أبي طالب شيخ الرِّبوة المقدم ذكره في المحمدين ، وكان الشيخ شمس الدين شيخ الخاتقاء التي بحطّين ، فاتَّفَقَ أنْ جاء إليهم فقيرٌ بات في الخاتقاء ، فرأى نجم هذا معه ذهباً ، فلما كان في الليل نبهه نجم ، وقال له : قُمْ فقد طلع الصُّبح ، فقام فوجد الليل باقياً ، فقال : لا عليك أنا أخفرك حتَّى تطلع من هذا الوادي ، فخرج به وعرَّج عن الطريق وذبحه وأخذ مامعه . وجرى لشيخه مع كراي نائب صفد ما ذكرته في ترجمته .

وهرب نجم إلى الديار المصرية ، ودخل إلى الصَّعيد واتصل ببعض الولاة وجرّت له هناك واقعةٌ أخرى من هذا النمط حدّثني بها الشيخ شمس الدين بن الأكفاني وأنسيت أنا كيفيتها .

ثم إنه حضر بعد ذلك إلى الشام فوجد شيخه الشيخ شمس الدين شيخ الرِّبوة بدمشق ، وأراد أن يعود إلى صحبته ، فأبعده ولم يقربه ، ولا أراه وجهاً لما تقدم منه .

وحدّثني الشيخ شمس الدين بن أبي طالب قال : كنتُ أتحقّق جرّاته وإقدامه وكنتُ أخافه على نفسي وأحذّره ، فما أنام في مقام الرِّبوة حتّى أتحصن وأحكم غلق الأبواب ، فأكون في بعض الليالي نائماً ، فما أشعر به إلا وقد أنبهنّي من نومي بإزعاج ويده سكين ويقول لي : يا أفخاذ الغنمة ، أو يا أفخاذ النّعجة ؛ إيش أعمل بك الساعة ؟ فأقول له : اتق الله وخَفّه ، وأترفق له وأتلطف حتّى يدعني ويمضي ، ومن رأى الرِّبوة وحصانتها تعجب من فعل المذكور .

ولم يزل بدمشق حتى أن أتى السلطان الملك الناصر محمد من الكرك إلى دمشق سنة تسع وسبع مئة ، فداخل ممالك السلطان والخاصكية واتصل بهم .

حدثني الشيخ نجم الدين بن الكمال خطيب صفد رحمه الله تعالى ، قال : لم نشعر يوماً بالنجم إلا وعليه تشریف هائل ، وقد جاء يسلم علينا ، فقلنا له : من أين لك هذا ؟ قال : من السلطان ، ومهما كان لكم من الحوائج قضيتها ، قلنا له : عرفنا هؤلاء أصحابك ، فقال : لا والله ، متى عرفتهم أنخستوني عندهم ، ولكن أنا أقضي أشغالكم ، قال : وقال لي إنني أنام في القصر الأبلق بين صناديق الخزانة الخاص ، وأرى السلطان في منامه وقيامه ، وليس بيني وبينه غير صندوق .

ثم إنه عمل ملحمة وعتقها وذكر فيها حلية واحد من ممالك السلطان اسمه جولجين . وقد تقدّم ذكره في حرف الجيم ، وذكر فيها أنه يلي الملك ، وذكر فيها أشاراً وعلائم توصل إلى رؤيتها في الحمام ، أو سأل عنها من البابكية ، ولعب بعقل ذلك المسكين إلى أن توهم أن ذلك يقع ، وكان يقول له ولخوشداشيته أوقعوا الفعل ، فيظهرون له الخوف ، فيقول لهم : إذا [لم] ^(١) تقتلوا السلطان ، أنا أقتله لكم ، فما قدر الله تعالى ذلك ، وتوجّه معهم إلى مصر وأقام عندهم سنتين .

ثم إنه جاء إلى حطين فاطلع السلطان على القضية ، فوسط جولجين ومعهم جماعة ، ثم بعث أخذ النجم على البريد من صفد وجهزه إلى دمشق مسرراً ، وكان الموكب واقفاً في سوق الخيل بدمشق ، وقد أقبل جملة ، وهو مبرقع ، فتوهم الناس أنه بكتر الحاجب .

وكان وصوله إلى دمشق مسرراً في يوم السبت سادس عشري شهر ربيع الأول سنة خمس عشرة وسبع مئة . وقلت أنا فيه :

لابد في الاسم من معنى يخصه بذلك اللفظ فافهم حكمه الأزلي
كنجم حطين شاء الله رفعته لكنّها بمسامير على جمل

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

١٩١٠ - نجمة التركاني *

خرج على الدولة وتحرم وتجرم ، وأخاف السُّبُل ^(١) ، وأخذ القفول ، ورَوَّع الناس ببلاد ماردين والموصل وسنجار ، جهزت إليه الفداوية ، فوقعوا عليه ، وضربوه بالسكاكين مرَّاتٍ وينجو ويقوم ويعود إلى الحالة الأولى .

ثم إنه في مستهل جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وسبع مئة ، انضوى إلى زبيد الأحلاف لما أبعدوا عن الرحبة ، وجاء إلى الشيخ حسن بن هندو حاكم سنجار ، وأخذ منه عسكرياً وتوجه به وبالأحلاف ومقدمهم محمد بن عبيد الزبيدي إلى الرحبة ، ولم يكن بها يومئذ يذك من عسكري دمشق ، فأغار على الرحبة وقتل بها ، وسفك الدماء ، وأسر ، وأثنى الجراح ، ونهب الأموال والمواشي ، وأبان في ذلك اليوم ، فكان يؤم أنه يرمي شخصاً بالنشاب ويفوق السهم إلى شخص بعينه ، ثم يطلق السهم على غيره . وبالع في أذى الرعيّة ، وعاد إلى سنجار ، فتوجهت العساكر إليه من دمشق وحلب وحماة ، وحاصروا [سنجار] ^(٢) ، ثم إنَّ حاكم سنجار أظهر الطاعة وحلف هو ونجمة لصاحب مصر وأظهرها التوبة والإنابة . ثم إنَّ الفداوية وقعت عليه وضربت خمس ضربات فأمسك الفداوية ، وحزَّ ^(٣) رؤوسهم ، وعلَّقها على باب سنجار . ثم إنه عوفي بعد مدّة ، ونزح من سنجار ، وتوجه إلى ماردين وأقام هناك يعبث ويغيّر ويؤذي ويعتمد كلَّ قبيلٍ ، إلى أن قتل هو وولده ونوابه ، وحزَّ رؤوسهم صاحب ماردين ، وجهزها ^(٤) إلى باب السلطان صحبة سيف الدين تيتير أمير آخور ، صاحب ماردين ، فلما وصل إلى حلب قال الأمير سيف الدين ببيغاروس نائب حلب : أيّ كلاب هؤلاء

* الدرر : ٢٨٨/٤ .

(١) (خ) : « السبيل » .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « وحزّوا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٤) (خ) : « جهزوا » .

حتى يتوجهوا برؤوسهم إلى باب مولانا السلطان ليسوا أمراء توأمين ولا ملوكاً ، هؤلاء حراميّة قُطّاع طريق ، وباب مولانا السلطان أجلُّ من ذلك ، وترك الرؤوس في حلب ، وجهاز أمير آخور صاحب ماردين بما على يده من المكاتبه ، وكان ذلك في شوال سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة .

وقلتُ أنا فيه :

إذا بغى المرء لم تُحمد عواقبه وقلّ باغٍ نجاً من قبضة العطب
كنجمة التركاني بات جثته في ماردين وصار الرأس في حلب

الألقاب والأنساب

☆ ابن النجبي^(١) : أبو بكر بن أبيك .

☆ ابن النجار : محمد بن أسد .

☆ ابن النحاس : جماعة ، منهم الشيخ بهاء الدين النحوي محمد بن إبراهيم .
وكال الدين الحلبي إسحاق^(٢) بن أبي بكر . وبهاء الدين بن النحاس الحنفي الحلبي
أيوب بن أبي بكر . وعلاء الدين والي دمشق علي بن إبراهيم بن خالد ، وولي أبوه
أيضاً مدينة دمشق . وأمين الدين محمد بن أبي بكر . وشهاب الدين يوسف بن محمد .

☆ وابن محلة : علاء الدين علي بن يحيى .

☆ ابن النحوية : الشيخ بدر الدين محمد بن يعقوب .

(١) في (س) زيادة : « حسام الدين » .

(٢) في الأصل : « محمد بن إسحاق » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

١٩١١ - نسب خاتون*

ابنة الملك الجواد مظفر الدين يونس بن شمس الدين ممدود ابن الملك العادل
أبي بكر بن أيوب .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليها نسخة أبي مشهر عن إبراهيم بن
خليل ، ولا أعلم أنها روت غيرها . وكانت سمعت أيضاً من خطيب مردا ، وابن عبد
الدائم ، وكانت كبيرة السن معمرة .

لم تزل شيخاً برباط بلدق إلى حين وفاتها . وكانت كثيرة الإقامة عند الحنابلة
بالدير تحبهم وتؤثرهم ، وعندهم سمعت الحديث .

وتوفيت رحها الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعين وست مئة .

الألقاب والأنساب

☆ ابن النشايي : عماد الدين حسن بن علي . وناصر الدين محمد بن الحسن .

☆ النشائي : الوزير ضياء الدين أبو بكر بن عبد الله .

☆ النشو : ناظر الخاص عبد الوهاب .

☆ النشائي : عز الدين عمر بن أحمد .

☆ ابن النشو : محمد بن عبد الرحيم .

١٩١٢ - نصر بن سلمان بن عمر*

الشيخ الإمام القدوة المقرئ المحدث ، النحوي ، الزاهد ، العابد ، القانت ، الرباني ، بقية السلف المنبجي ، نزيل القاهرة وشيخها .

سمع بحلب من إبراهيم بن خليل ، وبمصر من الكمال الضّير ، وتلا عليه بعدة كتب ، وعلى الكمال بن فارس ، وتصدّر في أيام مشايخه ، وشارك في العلوم وتفنن ، ثم إنه تعبّد وانقطع ، وتردّد إليه الكبار وكان يهرب منهم ، وارتفع ذكره جداً في دولة تلميذه الجاشنكير ، وكان ممن يؤذي الشيخ تقي الدين بن تيمية ، وهو الذي أحرف الجاشنكير عنه .

قال [ابن] أخته^(١) الحافظ عبد الكريم : ما دخلتُ عليه قط إلا وجدته مشغولاً بما ينفعه في آخرته ، وكان يتغالي في الشيخ محي الدين بن عربي ، ولا يخوض في مزمّناته .

قال شيخنا الذهبي : ولقد جلستُ معه بزاويته ، فأعجبني سمته وعبادته .

وتوفي رحمه الله تعالى يوم الثلاثاء بعد العصر سادس عشر جمادى الآخرة سنة تسع عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وثلاثين وست مئة بمبج .

* البداية والنهاية : ٩٥/١٤ ، والدرر : ٣٩٢/٤ ، والنجوم : ٢٤٤/٩ ، وغاية النهاية : ٣٣٥/٢ ، والشذرات : ٥١/٦ .

ووقع في بعض مصادر ترجمته : « ابن سليمان » .

(١) في الأصل : « قال أخيه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وعبد الكريم بن عبد النور ، سلفت ترجمته في موضعها .

١٩١٣ - نصير بن محمد بن محمد*

السلطان أبو الجيوش ابن السلطان ابن الأحمر الأنصاري المغربي .

خرج على أخيه واعتقله وقتله وتملك . وكانت دولته أربع سنين . ثم وثب عليه ابن أخته الغالب بالله وقهره ، وقرر أبا الجيوش أميراً بوادي آش ، فدام به نحواً من عشر سنين .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

١٩١٤ - نصير بن أحمد بن علي**

المنائي الحمّامي .

كان عامياً إلا في النظم الذي يأتي بسحره ، ويدير على الألباب كؤوس خمره ، وكان في تلك الحلبة في جياها المعدادة ، وسوابقها التي تذرّ الرياح الهوج وأنفاسها مكدوده ، قعدت معه التوريّة وجادت ، ورأست على كلام غيره وسادت ، معانيه بليغة وألفاظه فصيحة ، وأبكاره برزت حاسرة ولم تخش فضيحة^(١) ، وتراكيب كلماته في كلّ ما يأتي به في غاية الانسجام ، ومقاصده مليحة تطوف على النفوس منها بالأنس جام ، جاره فحول عصره وجاراهم ، وكتبوا إليه فأجابهم وباراهم وما ماراهم ، وربما أربى في اللطف على مجاريه ، ولو لم يكن حمّامياً لما عرف حرّ الأشياء وباردها وأخذ الماء من مجاريه^(٢) ، كم ألغز فالغى ذكر من تقدم ، وأوجز فأوجب أنّ الذي أداره على الأسباع كأس^(٣) السلاف المقدم ، وأعجز من أعجب السامعين ، فقالوا ما غادر هذا

* الدرر : ٣٩٢/٤ .

** الفوات : ٢٠٥/٤ ، والدرر : ٣٩٢/٤ ، والبدايع : ٤٤٣/١/١ ، ووقع في الأصل : « نصير » تحريف .

(١) قوله : « وأبكاره .. » حق ههنا ليس في (س) .

(٢) يشير إلى شعر للحمّامي سيأتي .

(٣) في الأصل : « كان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

الشاعر بعده من متردّم ، يقول من يسمع مقاطيعه الرائعة ، أو يفكر في مقاصده
اللائقة :

أحروف لفظٍ أم كؤوس مدامة واقتُ ونشوة سامعٍ أو شارِبِ
تَمَّا يَضُمُّ السِّلْكَ في جِيد المِها ة الرّود ، لا ماضٍ حبل الحاطبِ
تَحْلُو شَمَائِلَ حَسَنِهَا مَجْلُوَّةً كالرّوض تحت شمائل وجنائبِ

وكان في مصر يرتزق بضمان الحمامات ، ويُقيم بلاغة من فضالة^(١) تلك القِمامات ،
عادة جرى الدهر على قاعدتها مع الأدباء ، وغادة^(٢) لم تغن الأيام من كان كفؤها من
الألباء .

ولم يزل على حاله حتى أصبح للأعداء^(٣) رَحْمَةً ، وبكته معانيه الجمّة .

وتوفّي رحمه الله تعالى في سنة أربع وسبع مئة .

ومولده بمنية بني خصيب سنة تسع وست مئة .

أخبرني شيخنا العلامة أبو حيّان ، قال : كان المذكور أديباً بمصر كيّس الأخلاق
يتحرّف باكتراء الحمامات ، وأسنّ وضعف عن ذلك ، وكان يستجدي بالشعر .
وكتب^(٤) عنه قديماً وحديثاً .

وأنشدني قال : أنشدني المذكور من لفظه لنفسه :

لا تَفْقه مـا حَيَّيتَ إلّا بـخَيْر ليكون الجوابُ خيراً لـديكَ
قـد سمعت الصّدَى وذاك جـاد كل شيء تقـول ، رُدُّ عليكـا

(١) (س) ، (ق) : « فضالات » .

(٢) في الأصل : « وغادة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) (س) ، (ق) : « للعدو » .

(٤) في الأصل : « وكتب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

قلتُ أنا : قوله : « إِنَّ الصَّدَى جَادٌ » فيه نظرٌ ، لأنَّ الصدى هو الصوت العائد عليك عندما يقرع صوتك ما يقابلك من حائط أو غيره ، ولكن يمكن أن يتَحَلَّ له وجه ضعيف . والنصير رحمه الله تعالى أخذ هذا من قول ابن سناء الملك ^(١) :

بان عليها الذل من بعدهم ونراه حتى كاد أن لا يبين
فإن تقل أين الذين اغتدوا يقل صداها لك أين الذين ^(٢)

وأخذه ابن سناء الملك من الأرجاني حيث قال :

سأل الصدى عنه وأصغى للصدى كما يجيب ، فقال مثل مقالته ^(٣)
ناداه أين ترى محط رحاله فأجاب أين ترى محط رحاله
وقال ، أنشدني له أيضاً :

أقول للكأس إذ تبتت في كف أحوى أغن أحور ^(٤)
خربت بيتي ، وبيت غيري وأصل ذا كعبك المودور
وبه قال ، أنشدني له :

إن الغزال الذي هام الفؤاد به استأنس اليوم عندي بعدما نفرا
أظهرتها ظاهريات وقد ربضت فيها الأسود رآها الطيبي فانكسرا
وبه قال : أنشدني له :

قالوا افتضحت بحبه فأجبت لي في ذا اعتذار
من لي بكمتمان الهوى وبخده نم العذار

(١) ديوانه : ٧٩١ .

(٢) في الأصل : « اعتدوا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والفوات .

(٣) في الفوات : « كما يقول » .

(٤) في الفوات : « أقول والكأس » . وفي (س) ، (ق) والفوات : « تبتت » .

قلت : أحسن منه وأصرح قول الآخر :

لافتضاحي في عوارضه سبب والناس لـوأم
كيف يخفى ما أكابده والذي أهواه نمام

وبه قال : أنشدني له :

ما زال يسقيني زلال رضابه لما خفيت ضئيّ وذبت توقدا
ويظنّني حيّا، رويت بريقه فإذا دعا قلبي، يجاوبه الصدى

وبه قال : أنشدني له :

ماذا يضرك لو سمحت بزورة وشفعتهما بكارم الأخلاق
وردعت نفسك حين تمنعك اللقاء وتقول هذا آخر العشاق

وبه إجازة ، قال : أنشدني لنفسه :

إنّي لأكره في الأنعام ثلاثة ما إن لهم في عدها من زائد^(١)
قرب البخيل ، وجاهلاً متعاقلاً لا يستحي ، وتودّداً من حاسد
ومن البليّة والرزيّة أن ترى هذي الثلاثة جمعت في واحد

وأنشدني من لفظه القاضي جمال الدين إبراهيم^(٢) ابن كاتب سر حلب ، قال :
أنشدني من لفظه لنفسه :

لي منزلٌ معروفٌ به ينهلُ غيثاً كالسحب
أقبل ذا العذر به وأكرم الجار الجنب

وبه قال : أنشدني لنفسه :

(١) في (ق) والفوات : « لها » .

(٢) إبراهيم بن محمود بن سلمان . سلفت ترجمته في موضعها .

رأيت فتي يقول بشطّ مصر على درج بدت والبعض غارق
مقي غطّى لنا الدرج استقيناً فقلت: نعم وتنصلحُ الدقائق^(١)
قلت: في قوله « الدقائق » هنا نظرٌ ، وقد أشبعت القول في فساد ذلك في كتابي
المسمى « فضُّ الحُتام عن التورية والاستخدام » .

وبه قال : أنشدني له :

ومذ لزمتم الحمام صرت فتي خلّاً يداري من لا يداريه
أعرف حرّاً الأشياء وباردها وأخذ الماء من مجاريه
قلتُ : لما كتب أبو الحسين الجزّار إلى النصير قوله :

حسن التاني ممّا يعين على رزق الفتي والحظوظ تختلف^(٢)
والعبد مذ كان في جزارته يعرف من أين تؤكل الكتف
كتب النصير الحامي بيتيه المذكورين ، وقد أربى النصير على أبي الحسين ، لأنّ
الجزّار أتى بمثل واحد ، والحامي أتى بمثلين :

وقال النصير للسراج الورّاق : قد عملت قصيدةً في الصّاحب تاج الدين ، وأشتهي
أنك إذا قرئت عليه تزهزه لها وتشكرها ، وسيّرها إلى الصاحب ، فلما أنشدت بين يديه
بمحضرة السراج ، قال الورّاق بعدما فرغ من إنشادها :

شاقني للنصير شعراً بديعاً ولثلي في الشعر تقصيراً بصير
ثمّ لما سمعت باسمك فيه قلت: ﴿ نعم المولى ، ونعم النصير ﴾^(٣)

فأمر له الصاحب بدراهم وسيّرها إليه . وقال : قل له : هذه مئتا درهم

(١) الدرج والدقائق : وحدات لقياس منسوب نهر النيل آنذاك .

(٢) في الفوات : « التائي » .

(٣) اقتباس من سورة الأنفال : ٤٠/٨ .

صنجة^(١) ، فلما أدى الرسول الرسالة ، قال : قبل الأرض بين يدي مولانا الصاحب ،
وقل نسأل صدقاتك أن تكون عادة ، فلما سمع الصاحب بذلك أعجبه ، وقال : يكون
ذلك عادةً .

وكتب النصير إلى السراج^(٢) يتشوق :

وكدّرت حمامي بغيبتك التي تكدّر من لذاتها صفو مشربي
فما كان صدر الحوض منشرحاً بها ولا كان قلب الماء فيها بطيّب
قلت : وهذان مثلان أيضاً يتعلّقان بالحمام^(٣) .

وكتب أيضاً يستدعي^(٤) :

من الرأي عندي أن تواصل خلوة لها كبد حرّى وفيض عيون
تراعي نجوماً فيك من حرّ قلبها وتبكي بدمع فارح وحزين^(٥)
غدا قلبها صبّاً عليك ، وأنت إن تأخرت أضحى في حياض منون^(٦)

وكتب ناصر الدين بن النقيب إلى النصير ، وقد حصل له رمزٌ :

يقولون لي عين النصير تألّمت ولازمه في جفنه الحكُّ والأكلُ
فقلتُ : أعين الرأس أم عين غيره فلعلّو شيء لا يداوى به السفلُ
فقالوا : به العين التي تحت صلبه فقلت : لها التشييفُ عندي والكحلُ^(٧)

(١) الصنجة : ما يوزن به الدرّاهم عند سبكها .

(٢) في الأصل : « الحواق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) (س) ، (ق) : « وهذان مثلان آخران تتعلّق بالحمام أيضاً » .

(٤) عبارة الفوات : « يستدعي إلى حمامه » .

(٥) في (ق) ، (س) : « بدمعي » . وفي الفوات : « قارج » .

(٦) في الفوات : « إليك » . وفي الأصل : « وإنّا تأخرت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .

(٧) في الفوات : « بل العين » . وفي الأصول : « التشييف » ، وأثبتنا ما في الفوات ، وتشيف العين

مداواتها بالشياف ، وهو من أدوية العين .

وميل بماء الرّيق يتلّ سفله
وأغسلها بالبيض واللّبن الذي
فإن شاء وافيت الأديب مدانيا
فكتب النصير الجواب :

أيا من له في الطب علم مباشر
أتيت بطبّ قد حوى البيع والشرا
وإن كان لي بطبّك إنه
فلا عديم المملوك منك مداويا
وما كلّ ذي قول له القول والفعل
تبيّن لي في ذلك الخرج والدخل
بسقمي صعب ليس هذا به سهل^(٢)
وما زال للمولى على عبده الفضل
وكتب ابن النقيب إليه وهو بقرية^(٣) في خطه :

رغبت في كسب أجر
وهان ما كان فيه
ولست في أرض شام
وبيننا رمي سهم
وفي اغتنام مثوبه
من السراج صعوبه
ولست في أرض نوبه
غلطت بل رجم طوبه

فكتب النصير الجواب :

رحمك يا خير مولى
وأنت إن زدت عتبا
والعبء مازال يهوى
تموّز ففكرك والعب
ففي العتاب عقوبه
يغدو غلامك قوبه^(٤)
لا بل يحبّ الرطوبه
مدفكره فيك طوبه

- (١) في الأصل : « موافاة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .
(٢) في (س) ، (ق) « لي سهلاً » . وفي الفوات : « وإن كان ذا سهلاً » .
(٣) في (ق) ، (س) : « بقره » .
(٤) القوبة : تقلع الجلد من الجرب ، واغلاق الشعر ، والقوبة : ملازمة الدار .

قلت : ما كان يليق ذكر « تموز » وهو من شهور الروم ، وطوبه^(١) وهو من شهور القبط .

وكتب النصير إلى السراج الوراق :

كنتُ مثل الغزال والله يكفي
ولعمري لا ذنب لي غير أني
وهو لو جاءني وقد تبت حتى
فكتب الوراق الجواب ، ومنه :

وأق الظبي مُرسلاً منك فاستغ
ولكم جئت عادياً خلفه تل
غير أني نظرت عين صفي السد
فاترك التوبة التي قد رآها
واجتهد في رضاك عنه وقرب
فلكم رضى جامعاً في تراضيه

وكتب إلى السراج أيضاً ملغزاً في « نون » :

ما اسم ثلاثي يرى واحداً
يظهر لي من بعضه كله
أضف ثمانين إلى ستية
اطلبه في البرّ وفي البحر لا

وقد يعدّ اثنين مكتوبه
إذ كل حرف منه مقلوبه
إن شئت لا يعدوك محسوبه^(٤)
فاتحجى مولاي مطلوبه

(١) في (س) ، (ق) : « مع ذكر طوبه » .

(٢) في الأصل : « فلو » وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .

(٣) في الفوات : « نراها » .

(٤) في الفوات : « يعدوك » .

فكتب الوراق الجواب :

ياسالِب الألباب عن سحرِهِ
ألفزت في اسمٍ وهو حرفٌ وقد
وهواسمُ أنثى مُرْضَعٍ، طِفْلُهَا
مطرَد منعكسٌ شكلُـهُ
بمعجزٍ أعجز أسلوْبُهُ^(١)
يخفى علينا فيكَ محبوْبُهُ
غَيْرُ لبانِ الناسِ مشروْبُهُ
سيّان في العين مقلوبُهُ

قلت : قول النصير : « أضف ثمانين إلى ستة » وهَمَّ منه ، لأن النونين بمئة والواو بستة فيكون ذلك مئة وستة .

وكتب النصير إلى الوراق ملغزاً في « سَيِّل » :

أيا مَنْ له ذهْنٌ لدى الفكر لا يخبو
قصدتُ سراجَ الدين في ليل فكرةٍ
ليُرشد في شيئاً به يُدْرِكُ الْمُنَى
إذا ركب البيداء يُخشى ويَتَّقَى
بقلب يهدُّ الصَّخْرَ يَوْمَ لقائه
وَمَنْ لم يزل يحنُو ومن لم يزل يحبُّو
يكاد جوادُ العقل في سيلها يكبو
له قلبٌ صبٌّ كم فؤادٍ به صبُّ
ولم يشنه طَعْنٌ ولم يشنه ضربٌ^(٢)
ومن أعجب الأشياء ليس له قلبٌ

فكتب الوراق الجواب :

أراك نصير الدين عذبتَ خاطري
وأثبت قلباً منه ثم نَقَيْتَهُ
وأعرفُ منه أعيناً لا تحفُّها
ومن وصفه صبٌّ كما أنت واصف
فدونك ما ألفزته لي مُبَيَّنَا
وقد راق لي مِنْ لُغزِكَ المنهل العذبُ
وأعرفُه صبّاً وهام له قلبُ
جَفَوْنَ كعاداتِ الجُفَوْنَ ولا هُدْبُ
صدقت ولولاه لما عرف الحبُّ
وذلك ما يحتاجه العُجم والعُربُ

(١) في (س) ، (ق) والفوات : « من » .

(٢) (ق) : « ولم يبنه » .

وكتب النصير إليه أيضاً :

أتى فصل الخريف عليّ جداً بأمرضٍ لواعجها شِداداً^(١)
وأعذر عائدي إن لم يُعَدني ورُبَّ مريضٍ قوم لا يُعادُ^(٢)
فأجاب الوراق :

خلائقك الريح فليس تخشى خريفاً في الجسوم له اعتياد
ولا والله لم أعلمك إلا صحيحاً والصحيحُ فإِعادُ
وكتب النصير إليه أيضاً :

أيها المحسن الذي وهب الله تعالى الحُسنى له وزيادة^(٣)
ضاع ما كان من وصلات وصلي فتصدق بكتبها لي مُعادُ
أين تلك الطروسُ نظماً ونثراً منك تأتي على سبيل الإفادُ
كل طرسٍ يحلى [عروساً] بدرّ الـ قول كم من عقد وكم من قلادة^(٤)
كان عيشي إذا أتاني رسولٌ منك يحبي خلاّمت ودادُ^(٥)
شهد الله ليس لي غير ذكرها ك وإلا خرسٌ عند الشهادة
فكتب الوراق الجواب :

لم يرغب عن سواد عيني حبيبٌ حلّ من قلبي المشوق سوادُ^(٦)
فكأنني ولا أذوق لــــه رزٌ أأجريرٌ وذاك عند سَواده

(١) في الأصل : « إليّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .

(٢) في الأصل : « إلى لم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .

(٣) في الأصل : « للذي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .

(٤) (ق) والفوات : « يجلي » . والزيادة من (ق) ، (س) والفوات .

(٥) في الأصل : « يجلي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .

(٦) في الفوات : « لم يفارق سواد » .

ذو بيان أدنى بلاغته تَنْدُ
 جوهرى الألفاظ كم قلّد الأج
 فعبيد أدنى العبيد لديه
 ولأزجاله ابن قزمان يعنو
 فات دار الطراز منه خلال
 يا صديقي الذي غدا راغباً فـ
 هجروني كأنني مصحفٌ أو
 دمت نعم النصير لي ما تغنت
 سيك قسّاً وعَصْرَهُ وإياده
 ياد عقداً من نظمهِ وقلاذه
 وليبد عن نظمهِ ذو بلاذه^(١)
 فلتوشحه يَقَرَّ عِبَادَهُ^(٢)
 لَوْبها للسعيد تمت سعادَهُ^(٣)
 ي ولأصدقاء في زهادَهُ
 مسجدٌ قد أقيم أو سَجَّادَهُ
 ساجعاتٌ على ذُرّاً مِيَادَهُ

وكتب النصير إلى الوراق :

يا أيها المولى السرا
 يامن تجاوز فضْلُهُ
 يامن يلوح بوجهه
 يابـدرتم كم عليـ
 كم في السورى معنى تنيد
 وإذا مدحناه فـ
 لمبشري إن زرتني
 يا واعدى في السبت هـ
 متصدقاً زرنى فـ
 ج وماجداً أعلى منارَهُ
 حدّ القياس مع العبارة
 حسنٌ لناظره نضارَهُ
 ه غدت من الفضلاء دارَهُ
 ر ولم أقل طوراً وتارَهُ
 فيه صفاتٌ مستعارَهُ
 بشرى ويحظى بالبشارَهُ
 ذا السبت جاء وشنّ غارَهُ
 يوم التصدق والزيارَهُ

(١) أراد عبيد بن الأبرص ، وليبد بن ربيعة .

(٢) ابن قزمان محمد بن عيسى بن عبد الملك إمام الزجالين بالأندلس (ت ٥٥٥ هـ) . وعبارة بن ماء السماء ، أقام عماد الموشحات (ت ٤٢٢ هـ) ، وفوات الوفيات : ١٤٩/٢ .

(٣) في الأصل : « لونها » وأثبتنا ما في (ق) والفوات . وأراد القاضي السعيد ، ابن سناء الملك ، صاحب كتاب الطراز في الموشحات .

فكتب الجواب عن ذلك :

مولاي يا حلوا الخلا
ومنمقاً في الطرس رؤ
قد كنت يوم السبت ذا
لـ ولم تشن عليّ آ
نق والعبارة والإشارة
ضاً كاد أن يجري غضارَه
عزم على قصد الزيارَه
لامي - كفاك الله - غارَه

وكتب النصير ملفزاً في « النار » :

وما سمّ ثلاثي به النفع والضرر
وليس له وجه وليس له قفا
يدُ لساناً يختشي الرمح بأسه
يموت إذا ماقت تسقيهِ قاصداً
أيا سامع الأبيات دونك شرحها
له طلعة تُغني عن الشمس والقمر
وليس له سمع وليس له بصر
ويسخر يوم الضرب بالصارم الذكر
وأعجب من ذا أن ذاك من الشجر
وإلا فم عنها ونبّه لها عُمَرُ^(١)

فكتب الوراق الجواب :

أراك نصير الدين ألغزت في الذي
رأى معشراً أن يعشقوها ديانةً
وكلّ على قلب لهم ران اسمها
يعيد لمسك الليل كافور في السحر^(٢)
وتالله لا تبقي عليهم ولا تذُرُ
فسكنهم فيها ومأواهم سقر^(٣)

(١) يشير إلى بيت بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا فنبّه لها عُمراً ثم نم

ديوانه : ١٦٠/٤ .

(٢) في الفوات : « في التي تعيد » . وفي (ق) ، (س) والفوات : « كافوره السحر » .

(٣) في الأصل : « لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى ﴿ بل ران على قلوبهم ﴾ [المطففين : ١٤/٨٣] .

وقد وصفوا الحسناء في لهجة لها كما وصفوا الحسناء بالشمس والقمر^(١)
ولولم تكن ماطاب خبز لآكل ولا لذ ماء في حماك لمن عبّر

وكتب النصير إلى الوراق مُلغزاً في « ديك » :

أيا من لديه غامض الشعر يُكشَفُ ومن بَدَرُه بادي السناليس يُكشَفُ
عساك هدى لي إنني اليوم ذاهلٌ عن الرشـد فيما قد أرى مُتوقِّفٌ
أرى اسماً له في الخافقين ترفعُ أخوا يقظة ذكراً ولا يتعقِّفُ
رأيت به الأشياء تبْدُو وضدها فكان لهذا الأمر لا يتكيّفُ^(٢)
فعرقة ذو السمع وهو منكّرٌ ونكره ذو اللب وهو معرفٌ
فجاوبٌ لأحظى بالجواب فإنه إذا جاوب المولى العبيد يشرفُ

فكتب الوراق الجواب :

إليك نصير الدين مني إجابة بها أوضح المعنى الحفي وأكشف
رأيتك قد ألغزت لي في متوجٍ بتذكاره أساعنا تتشَفُ
يَنبِه قوماً للصلاة ومُعشراً عبادتهم آس وكاسٍ وقرقف^(٣)
له كرم قد سارعه وغيره وعرف به من غيره ظلّ يُعرفُ^(٤)
حَظِيّاً تراه وادعاً في ضرائر يُزَيِّنُه تاج وبرّد مفوف^(٥)
وفي قلبه كيدٌ ولكن صدّره غدا ضيقاً مثلي بذلك يوصفُ

(١) في الأصل : « لهجة لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات : « بهجة بها » .

(٢) في الفوات : « فكاد » .

(٣) القرقف : الخمر .

(٤) في الفوات : « وغيره » .

(٥) في الفوات : « خطي » .

وكتب إليه النصير ملغزاً في « نعامّة » :

| | |
|------------------------------------|---------------------------------------|
| بـحـذـف بعض الأحرف | [ومفرد جمعاً يُرى |
| فقال باقيه اكفف | اسمٌ نعى أكثره |
| في بُرده المـفـوِّف ^(١) | تراه يعدو مسرعاً |
| | فكتب الوراق الجواب [^(٢) : |

| | |
|--------------------|--------------------|
| مات لصدقـتـك في | لو قلت فمين قد نعى |
| يبغي رهين التلف | وكل باغ كالذي |
| في الأرض عنا ماخفي | ألفزت في اسم طائر |
| ربّ الفنـون تعرف | يفحص فافحص عنه يا |
| ء يُقـتـفى ويقتني | وهو لعمرى في السما |

وكتب النصير إلى الوراق ، وعنده أحد الزجال :

| | |
|-----------------------------------|----------------------------|
| وله فيك عشقة وغرام ^(٣) | عندنا من غدا مجبك مغرى |
| جاء صبح اللحى وولى الظلام | موصلي يهوى الملاح إذا ما |
| يب فاذا تقول يجدي الملام | فهولا ينتهي عن الشيب بالشـ |
| عن حبيب ولو تغنى الحمام | لا تسلي منه الفؤاد مُدام |
| ن غدا وهو عاشق مستهام | لو تبدى لعينه ابن ثمانيد |
| ومن الألس الشفاه ابتسام | يستبيه من العيون يياض |
| عنده أنت أنت بـدُر تـام | قر عيناً وطب فديتك نفساً |

(١) في الفوات : « يغدو » .

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من (س) ، (ق) والفوات .

(٣) في الفوات : « لوعة وغرام » .

فكتب الوراق الجواب :

حبذا من بنات فكرك عذرا
خِلْتُ مِمَّ الرُوي فاها وقد ضا
ولها من عقود لفظك حلي
أذكرت بالشباب عيشاً خليعاً
كيف لا كيف لا ولم أر صعباً
وبافيك من تأت ولطف
فهو نعم المولى ونعم النصير الـ

ء لها من فتيق مسك ختام
ق ومن ذاق، قال فيه مدام
لم يحز مثل درّه النظّام^(١)
نبت فؤديّه بعد أس ثمام^(٢)
قط يأتي إلا وأنت زمام^(٣)
أنا شيخ للموصلي غلام^(٤)
مرتضى أنت صاحباً وإمام^(٥)

وكتب النصير أيضاً إليه ملفزاً في « كُنافة » :

يا واحداً في عصره بمصره
تعرف لي اسماً فيهِه ذوق وذكا
والحلّ والعقد له في دُستهِه
إن قيل يوماً : هل لذاك كنية ؟

ومن له حُسن الثناء والسناء^(٤)
حلو الحياء والجنان والجنى
ويجلس الصدر وفي الصدر المنى^(٥)
فقل لهم : لم يخلُ ذاك من كنا

فكتب الوراق الجواب :

لبئيك يا نعم النصير والذي
عرّفتني الاسم الذي عرفته
له من الحور الحسن طلعة

أدنت به المنيّة لي كل المنى
وكاد يخفى سرّه لولا الكنى
تقابل المرأة منها الأحسنا

(١) في الفوات : « عقود فضلك » .

(٢) في الأصل : « كيف لا تكون ولا أرى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات .

(٣) في الفوات : « صاحباً والسلام » .

(٤) في (س) ، (ق) والفوات : « الشتاء » .

(٥) في الفوات : « ومجلس » .

وَحَدَّثَنِي عَنْ بَعْضِ أَهْلِ طَبَقَةِ غَدَا
وَهُوَ لِسَانُ كُلِّهِ وَبَعْدَ ذَلِكَ
وَفِي خِيَانِ الْمَجْدِ كَانَ مَأْلُفِي
أَصْدَقُ شَيْءٍ إِنْ بَلَّوْتُ الْأَلْيَنَاءَ^(١)
مَنْظَرُهُ عِنْدَ الْكَلَامِ الْكُنْأَ^(٢)
عِنْدَ الصِّيَامِ رَبٌّ فَاجِعٌ بَيْنَنَا
وَكُتِبَ النَّصِيرُ أَيْضاً إِلَى الْوَرَّاقِ مَعَ ظُرُوفٍ يَقْطِئِينَ فِي فَرْدٍ :

يَا مَنْ لَدَفَعَ الرَّدَى غَدَا جُنَّةً
هَدِيَّةً فِي الْإِنَاءِ يَتَّبِعُهَا
إِذَا بَدَا ظَرْفُهَا بِغَلَطَتِهِ
وَمَنْ لَهُ فِي قَبُولِهَا الْمُنَّةُ
خَيْرُ نَبِيٍّ وَهَكَذَا السُّنَّةُ^(٣)
يُودُّ فَتَحَ الْأَدِيبُ لَوْ أَنَّه
فَكُتِبَ الْوَرَّاقُ الْجَوَابُ :

يَا مَنْ غَدَا لِي مِنَ الْعَدَا جُنَّةً
جَاءَ بِهَا الْفَرْدُ وَهُوَ مَمْتَلِئٌ
وَكُلَّ ظَرْفٍ مِنْهَا بَنُوهُ عَلَى الدَّ
وَمَنْ بِجَمَامِهِ لَنَا جَنَّةً
مِثْلَ فُؤَادِ الْحِمَاةِ بِالْكِنَّةِ^(٤)
فَتَحَ فَحَقَّقَ فِي حُبِّهِ ظَنَّهُ
وَكُتِبَ النَّصِيرُ إِلَى الْوَرَّاقِ أَيْضاً :

رَبِّ رَاوٍ عَنِ النَّبِيِّ حَدِيثاً
قَالَ : قَالَ النَّبِيُّ قَوْلًا صَحِيحاً
وَفَهِمْتُ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ
قَالَ لِي : يَا أَدِيبُ أَنْتَ فَاقِيهِ
مُسْنَداً شَافِئاً كَلَاماً فَصِيحاً
قُلْتَ : قَالَ النَّبِيُّ قَوْلًا صَحِيحاً
وَسَمِعْتُ الَّذِي رَوَاهُ صَرِيحاً
قُلْتَ : لَا ، قَالَ : حَزَّتْ ذَهْنًا مَلِيحًا
فَكُتِبَ الْوَرَّاقُ الْجَوَابُ :

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْأَلْيَنَاءُ » ، وَأَبْتَنَّا مَا فِي (س) ، (ق) وَالْفَوَات .

(٢) فِي الْفَوَات : « تَنْظَرُهُ » .

(٣) فِي الْفَوَات : « ثَنَاءً » ، وَفِي بَعْضِ أَصُولِهِ : « نَبِيٍّ » .

(٤) فِي الْفَوَات : « مَلَأَ فُؤَادَهُ » .

إن فعلاً جعلته أنت قولاً
فأبني منه مضارعاً يظهر الخا
وتراه يبدو لعينيك معت
وهو فعل لم تأت أنت [يا] شيء
وقال النصير يصف « حمامة » :

حمام الأديب العارف
بها اسطول وما فيها اسطال
والعمال رأيتو بطال
وماريت فيها بلان
والزبال يعر القوسان
ذي دونه وقبها دون
والماء في المجاري مخزون
وتابوت على فسقية
خذوا من نصير الدية
ما يجري، وحالو واقف
والماء يتزن بالقسطال^(٤)
والاسكندراني ناشف
يسرح لحد بالإحسان^(٥)
قال والخاتمة يتصالف^(٦)
مبنية على مئة مجنون
والأنبوب معوج تالف
قلت مت بالكليّة
والأثنين متناسف^(٧)

وما أحسن ما كتب به^(٨) ابن دانيال وهو :

- (١) في (س) ، (ق) : « منك » .
- (٢) في الأصل : « كتبت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
- (٣) الزيادة من (س) ، (ق) . ومراده أن لفظة « قول » من حيث هي كلام للنبي توصف بالصحة ، أما من حيث اللفظ فهي معتلة .
- (٤) في الفوات : « وما فيه » . وأسطال : جمع سطل ، وهي الدلو . والقسطال : أنبوب يجري فيه الماء .
- (٥) البلان هو من يقوم بعمل الخنمة في الحمام . وفي (ق) والفوات : « الأحد » .
- (٦) في الفوات : « يتصالف » .
- (٧) (س) : « أنينا » ، وفي الفوات : « تتناصف » .
- (٨) في الأصل : « إلى » سهو ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

لئن فخرتُ بالمكرمات بنو مصر
فمازلت ذا النادي النديّ لقاصد
ونارك للعافين دأمة اللطى
وبيتك بيتٌ لم يزره مدّسٌ
وكم سقت يا قوتاً إليه وجوها
فلازلت ذا الرمح الطويل تهزّه
وتسلب أسلاب الرجال وإنه
وكم لك من مشمولة قد عصرتها
وكم تائب وفاك يكشف رأسه
فإنك بين الناس أجدر بالفخر
كثير رماد القدر مرتفع القدر
لهابٌ يبدو كألوية حُمُر
فيذهب إلا وهو معه على طهر^(١)
لزينته حتى نسبت إلى أمر
يمينك عند النقع للبيض والسر^(٢)
لسلب فتى لم يأت ذاك على عذر
معتقة للشرب طيبة النشر
فحققت منه أنه جاء عن عذر^(٣)

قلت : لقد جوّد هذا النظم ابن دانيال ، وحقق أن مثله لا ينال . وقوله :
« ومشمولة قد عصرتها » هو قول القاضي محي الدين بن عبد الظاهر بعينه ملغزاً في
« لسان الحرير » الذي يستعمله المصريون في عمائمهم ، وأبدع في ذلك غاية الإبداع ،
وهو :

ومشمولة راقت ورقّت فأصبحت
وما عصرت يوماً برجلٍ وكم لها
معتقة ما شئت بعد عصرها
على الشرب تزهى حين تهدي إلى الكاس
إذا ما أدبرت من صعود إلى الراس
لإثم وكم فيها منافع للناس

☆ ابن النصيبي : تاج الدين محمد بن أحمد . وضياء الدين محمد بن محمد .

☆ النصيبي القوسي : محمد بن محمد بن عيسى .

☆ ابن النصير : كاتب الحكم علاء الدين علي بن محمد .

(١) في (س) ، (ق) : « منه » .

(٢) في الأصل : « النفع » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

١٩١٥ - نُضَار*

- بضم النون - بنت محمد بن يوسف ، وهي ابنة الشيخ العلامة أثير الدين أبي حيان .

حجّت وسمعت بقراءة شيخنا البرزالي على بعض الرواة ، وحدثت^(١) بشيء من مروياتها وحضرت على الدمياطي ، وسمعت على جماعة ؛ وأجازها من الغرب أبو جعفر بن الزبير ، وحفظت مقدمة في النحو .

وعمل شيخنا أثير الدين والدها لَمَّا توفيت فيها كتاباً سَمَّاهُ (النضار في المَسْأَلَة عن نُضَار)^(٢) . وكان والدها يثني عليها ثناءً كثيراً .

وكانت تكتب وتقرأ ، وقال لي والدها : إنها خرّجت جزء [حديث]^(٣) لنفسها وإنها تعرب جيداً ، وأظنه قال لي : إنها تنظم الشعر . وكان يقول دائماً : ليت أخاها حيّان كان مثلها .

وتوفيت رحمها الله تعالى في جمادى الآخرة سنة ثلاثين وسبع مئة في حياة والدها ، فوجد عليها وجداً عظيماً ولم يَثْبُتْ ، وطلع إلى السلطان وسأله أن يدفنها في بيته بالبرقية داخل القاهرة ، فأذن له في ذلك ، وانقطع عند قبرها ولازمه سنة .

ومولدها في جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبع مئة .

ولما توفيت كنت بالرحبة فكتبت إلى والدها بقصيدة أولها :

بكيننا باللّجين على نُضَار فسيلُ الدمع في الحدين جار
فيالله جارية تولت فنبيكها بأدمعنا الجواري

* الدرر : ٣٩٥/٤ .

(١) في الأصل : « وحديث » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) أورد صاحب الكشف : ١٩٥٨/٢ كتاب : « النضار » لأبي حيان ، وذكر أنّ مؤلفه تحدّث فيه عن نفسه واشتغاله ورحلته وشيوخه .

(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

الألقاب

☆ ابن نفيس : علي بن مسعود .

☆ ابن النقيب : محمد بن سليمان .

١٩١٦ النعمان بن دولات شاه*

ابن علي الخوارزمي الشيخ علي .

وصل إلى دمشق في شهر رمضان سنة ثمانى عشرة وسبع مئة ، وأقام بها أياماً ، وتوجه إلى باب السلطان بالقاهرة ، وحج من هناك ، وأقام بالقاهرة مدة سنة ونصف ، ورجع إلى مخدومه القان أزبك .

وكان فاضلاً ، طاف البلاد ، واجتمع بالفضلاء ، وحصل المنطق والجدل والطب ، وعاد إلى بلده سنة إحدى [وعشرين ^(١)] وسبع مئة ، واتصل بملكها وخدم عنده طبيباً ، وصار رئيس الأطباء ببيارستان خوارزم .

ثم إنه أرسله إلى طقطاي بن بركة ملك دشت القبجاق ^(٢) ، فحظي عنده ، ولما مات وولي أزبك أعطى للنعمان مالاً كثيراً ليعمر من بعضه خاتقاه بالقدس ، ويفرق البعض على المجاورين .

ومولده سنة سبع وخمسين وست مئة .

وكان قد استصحب من كتب الطب شيئاً كثيراً من دمشق لما عاد إلى بلاده .

* الدرر : ٣٩٥/٤ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) والدرر .

(٢) (ت ٧١٢ هـ ، الدرر ٢٢٦/٢ ، الشذرات : ٣١/٦ .

١٩١٧ - نعمون بن محمود*

ابن نعمون بن عزيز ، الشيخ نجم الدين أبو محمد بن الشيخ الصالح غرس^(١) الدين الحزاني الحنبلي المؤذن بالجامع الأموي .

سمع من ابن أبي اليسر ، والمجد بن عساكر ، وجماعة . وحدّث وحج ، وله نظم وأشياء مما تليق بالمتذنة .

توفي في تاسع شعبان سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة إحدى وستين وست مئة .

وكان خفيف الروح مع الديانة .

النسب واللقب^(٢)

☆ الخراوي : عز الدين الفقيه عبد العزيز بن عبد الجليل .

☆ ابن فوح : الشيخ عبد الغفار بن أحمد .

☆ النهاوندي^(٣) : شرف الدين محمد بن عثمان ، ووالده جلال الدين بن أبي بكر .

١٩١٨ - نوروز**

نائب القان غازان محمود .

* الدرر : ٣٩٦/٤ .

(١) في الأصل : « زين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

(٢) زيادة يقتضيها منهج المؤلف .

(٣) في الأصل : « النهاندي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

** لم تقف على ترجمة له . وورد خبره في ترجمة غازان . انظر : الدرر ٢١٢/٣ ، وفيه : « نوروز بن أرغون » .

كان ديناً مسلماً عالي الهمة ، وهو الذي اجتهد وحرص وبالع في أمر غازان حتى أسلم ، وملّكه البلاد ، ثم إنه وقع بينها ، فقتل غازان أخا نوروز وأعوانه ، فجهز لقتاله النوين خطلوشاه ، فتغلل جمع نوروز ، واحتفى بهراة ، فقاتل أهلها عنه ، ثم إنهم عجزوا عن نصرته ، فقتل نوروز في سنة ست وتسعين وست مئة ، وبعث برأسه إلى غازان .

١٩١٩ - نوروز*

الأمير سيف الدين .

كان في مصر معظماً إلى أن عاد الأمير سيف الدين طاز من الحجاز فأقام قليلاً ورسم بإخراجه إلى دمشق على إقطاع الأمير سيف الدين شيخو القازاني^(١) الساقى ، وحضر إليها على ثلاثة رؤس من خيل البريد ، ووصل إلى دمشق في رابع عشر شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين وسبع مئة ، وأقام بها أميراً إلى أن ورد المرسوم على الأمير سيف الدين أرغون الكاملى نائب الشام يأمساكه ، فاعتقله بقلعة دمشق ، وجرى ما جرى في واقعة يبيغاروس ، وكان اعتقاله في حادي عشري شعبان من السنة المذكورة .

ثم أخرج عنه وتوجه إلى مصر فيما أظن ، ثم أعيد إلى دمشق ، ولم يزل إلى أن كانت واقعة بيدمر ، وحضر السلطان الملك المنصور محمد بن حاجي ، فقطعت إمرته .

ولما كان في العشر الأوسط من شوال سنة اثنتين وستين وسبع مئة توفي رحمه الله تعالى .

* البداية والنهاية : ٢٨٨/١٤ ، والدرر : ٣٩٨/٤ .

(١) (ق) : « القازاني » ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

اللقب والنسب

☆ النور الحكيم : عبد الرحمن بن عمر .

١٩٢٠ - نوغاي *

الأمير سيف الدين الجمدار .

أمر السلطان الملك الناصر محمد بإمساكه بدمشق في ذي الحجة سنة تسع وسبع مئة .

ولم يزل في الاعتقال بقلعة دمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة عشر وسبع مئة ، ودفن بالباب الصغير ، وبقي الحرس على قبره أياماً .

١٩٢١ - نوغاي **

الأمير سيف الدين الجمدار .

كان أميراً قديماً المهجرة بدمشق ، فلما توفي الأمير علاء الدين علي بن قراسنقر أعطي إقطاعه ، وتقدمته على الألف .

وأقام على ذلك مدة بدمشق إلى أن توفي رحمه الله تعالى ليلة الجمعة ثاني عشر شعبان سنة ست وخمسين وسبع مئة . ودفن قبالة جامع كريم الدين ^(١) بكرة الجمعة ، فخلف عليه ديوناً كثيرة ، وأعطي إقطاعه للأمير زين الدين قطليجا الدوادار .

* الدرر : ٣٩٨/٤ .

** الدرر : ٣٩٨/٤ .

(١) هو عبد الكريم بن هبة الله ، سلفت ترجمته في موضعها .

الألقاب والنسب

☆ ابن أبي النوق : عثمان .

☆ النويري : شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب . وفخر الدين عثمان بن يوسف . وعماد الدين [ناظر]^(١) الكرك وصفد وغيرها محمد بن محمد بن يعقوب .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

حرف الهاء

١٩٢٢ - هارون بن موسى بن محمد*

رشيد^(١) الدين ، المعروف بابن المصلي الأرمني .

قال كمال الدين الأذقوي : اجتمعت به ولم يعلّق بذهني منه شيء ، وله شعر كثير يأتيه من جهة الطبع ، ليس يُعرف له اشتغال ، وكان إنساناً حسناً فيه لطافة .

وتوفي رحمه الله تعالى بأرمينت سنة ثلاثين وسبع مئة .

وأورد له قوله :

| | |
|---|---------------------------------------|
| حَثَّهَا الشوقُ حَيْثُ مِنْ وَرَاهَا | فَتَرَاهَا عَانَقَتْ تُرْبَ ثَرَاهَا |
| وَاعْتَرَاهَا الْوَجْدُ حَتَّى رَقَصَتْ | طَرِباً أَسْكُرَنِي طَيْبُ شَذَاهَا |
| غَنَّنِي يَا سَاقِي الرَّاحِ بِهَا | لَيْسَ يُغْنِي فَاقِي إِلَّا غَنَاهَا |
| مَنْهَا فِي ذَمِّ الْحَشِيشِ وَمَدْحِ الْخَمْرِ : | |

| | |
|---------------------------------------|---|
| وَأَمَلْ لِي حَتَّى تَرَانِي مَيْتاً | إِنَّ مَوْتَ السُّكْرِ لِلنَّفْسِ حَيَاهَا |
| لَيْسَ فِي الْأَرْضِ نَبَاتٌ أَنْبَتَ | فِيهِ سَرَحِيرُّ الْعَقْلِ سَوَاهَا |
| رَامَتْ الْخَضَاءَ تَحْكِي سُكْرَهَا | قَتَلُوهَا بَعْدَ تَقْطِيعِ قَفَاهَا ^(٢) |

* الطالع السعيد : ٦٨٦ ، وفوات الوفيات : ٢٣١/٤ ، وفوات الوفيات : ٢٣١/٤ ، والدرر : ٣٩٩/٤ .

(١) في الأصل : « ابن رشيد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والفوات والدرر ، وفي الطالع « الرشيد » .

(٢) في الدرر : « تحكي فعلها » .

[قال]^(٣) : وكان في قبلي الذمقرات^(٤) قرية تسمى (بَيوَيّة) وفيها بَيروِيّة ؛ فقال فيها الرشيد المذكور :

بدوِيّه في بَيوَيّة ساكنّا صَيّرَت عندي المحبة ماكنّا^(٣)
اسمها ستّ العرب هيّجَت عندي الطُّربُ
أنا قاعد بين جماعة نستريح
عبرت وحده لها وجه مريح
بقوام اغدّل من الغُصن الرجيح
في الملاحه زايدّا
ووراهّا قايديّا
لو تكون لي رايدّا

كنت نعطيها ألف دينار وازنا وابن في^(٤) داخل بيوتي ماذنّا
وترى مني العجب في تصانيف الأدب
نفرت مني كما نفر الغزال
واسفرت لي عن جبين يحكي الهلال
ورنت^(٥) أرمت بعينيهّا نبال
ثم قالت يافلان
خذ من احداقي أمان
معك في طول الزمان

(١) زيادة من (ق) ، (س) . والقول ما زال للأدفي .

(٢) في الأصل : « الذمقرات » ، وفي الطالع : « الديمقراطية » . وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . وهي قرية في الصعيد الأعلى ، قرب : إسنا ، (معجم البلدان) .

(٣) في الأصل : « ساكنها » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . وفي الطالع : « كامنا » .

(٤) في الأصل : « لي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . وفي الطالع : « وابني داخل في » .

(٥) في الفوات : « ودنت » .

فأنا والله مليحه فاتنا ومن الحساد ما أنا آمننا
 والملوك واهل الرتب^(١) ياخذوا من الحسب
 قلت ياسقي أنا هوني نموت
 ادفنوني عندكم جوا البيوت
 والعذراى حولها يشوا سكوت
 ثم قالوا كلميه
 يا غريبه وارحيه
 ذا غريب لا تهجريه
 يشتهر حالك يصير لك كاينا يقتلوه أهلك وتبقى ضامنا
 ذا الحديث فيه العطب ليس ذا وقت الغضب
 قالت امض لا يكن^(٢) عندك ضجر
 واصطبر واعمل على قلبك حجر
 ما طريقي سابله^(٣) من جأ عبر
 ذي العذراى يعرفوك
 ما تراهم يسعفوك
 ظلموني وأنصفوك
 قم وعاهدني فإنا خاينا وأنا الليلة لروحي راينا
 مرّ وعبي لي الذهب فترى عقلك^(٥) ذهب

(١) في الفوات : « والملك » ، وفي الأصل : « الأدب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . والطالع .

(٢) في الفوات : « لا يكون » . وكذا في الطالع .

(٣) في الطالع : « سالكا » .

(٤) في الفوات : « والعذراى » .

(٥) في الأصل : « عقلي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) والفوات . وفي الطالع : « عقلك قد ذهب » .

عاهدتني^(١) وبقيت في الانتظار
 واورثتني الذل بعد^(٢) الانكسار
 والدجا قد صار عندي كالنهار
 عندما غاب القمر
 واظلم الليل واعتكر
 جف قلبي وانكسر
 وغربا في حديثي واهنا أمنه في سرها مطمئنا
 والفؤاد مني اضطرب ونشف^(٣) ذاك الطرب
 صرت نرى النجم إلى وقت الصباح
 إذ بدا^(٤) ذا الكوكب الدرّي ولاح
 وإذا^(٥) هي قد أتت ست الملاح
 والعذارى في عتاب
 مع عريبا في ضراب
 ثم قالت ذا الكلاب
 ينبحوا تأتي الرجال الطاعنا بالسيوف وبالرماح^(٦) الطاعنا
 يدركوني في الطلب يجعلوا رأسي ذنب

(١) في الفوات : « واعدتني » .

(٢) (ق) : « ثم » . وكذا في الطالع .

(٣) في الطالع : « ونسيت » .

(٤) في الفوات : « ذي » . وفي الطالع : « لي » .

(٥) في الفوات : « فإذا » .

(٦) في الطالع : « والرماح » .

اللقب والنسب

☆ ابن هارون المغربي : عبد الله بن محمد .

١٩٢٣ - هاشم بن عبد الله بن علي*

الشيخ الإمام الفاضل نجم الدين أبو محمد التنوخي البعلبكي الشافعي ، مدرّس المدرسة الصارميّة .

اشتغل بالعلم مُدّة عمره ، وكتب بخطه ، ونسخ وحصل الأجزاء والكتب ، وقرأ على الشيوخ ، وسمع بقراءة شيخنا البرزالي على الشيخ تاج الدين الفزاري وغيره . وتوجه في الجفل إلى القاهرة ، وسمع مع مقاتلي . وولي المدرسة المذكورة بعد^(١) عماد الدين ابن قاضي القضاة علم الدين الأحنائي ، ودرّس بها في تاسع شهر رجب الفرد سنة ...^(٢)

وتوفي رحمه الله تعالى يوم السبت العشرين من جمادى الآخرة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة الباب الصغير ، وحضر جنازته جماعة من الفقهاء .

ومن شعره :

ولقد سمعت بسكّرٍ من وصلكم فَعَسَاكُمْ أَنْ تَجْعَلُوهُ مَكْرَرًا^(٣)
وأظنه حُلُوا لذيذاً طعمه إذ كنت أسمع بالوصال ولا يرى^(٤)

* الدرر : ٣٩٩/٤ ، والدارس : ٢٤٧/١ .

(١) في الأصل و (س) و (ق) : « بعد » ، وهو سهو ، قال ابن كثير في البداية والنهاية : ١٥٣/١٤ :

« وفي هذا الشهر تولى عماد الدين ابن قاضي القضاة الأحنائي تدريس الصارميّة وهو صغير بعد وفاة النجم هاشم بن عبد الله البعلبكي الشافعي » . وعنه في الدارس ٢٤٨/١ .

(٢) (٧٣١ هـ) ، كما في البداية والدارس .

(٣) في الدرر : « من فضلكم » .

(٤) في الدرر : « ولا أرى » .

ومن شعره :

لا تَرَكْنِي إلى الخريف فجـوّه كدّر وخَفّقَ نسيه خطاف^(١)
يجري مع الأبدان جَرِي صديقها من لُطفه ومن الصديق يخاف
ومنه في الممش اللوزي :

أنكر العاشقون صُفرة لوني بعدما [كان] كالزبرجد أخضر^(٢)
مادروا أنني عشقتُ فلّوني اكتسى [صفرة] وقلبي تكسّر^(٣)

☆ الهاشمي : نور الدين علي بن جابر . وشمس الدين محمد بن هاشم .

١٩٢٤ - هبة الله بن عبد الرحيم *

ابن إبراهيم : شيخ الإسلام ، ومفتي الشام ، وأحد الأئمة الأعلام ، قاضي القضاة شرف الدين أبو القاسم ابن القاضي نجم الدين ابن القاضي الكبير شمس الدين أبي الطاهر بن المسلم الجُهني الحموي البارزي الشافعي ، قاضي حماة ، صاحب التصانيف .

سمع من أبيه وجدّه ، وابن هامل ، والشيخ إبراهيم بن الأرموي يسيراً ، وتلا بالسبع على التادفي ، وأجاز له نجم الدين الباذرائي ، والكمال الضريّر ، والرشيّد العطّار ، وعماد الدين بن الحرستاني ، وعز الدين بن عبد السلام ، وكمال الدين بن العديم .

برع في الفقه وغير ذلك ، وتشعبت به في الفضائل الطرق والمسالك ، وانتهت إليه

(١) في الدرر : « فحده » ، تحريف .

(٢) في (ق) ، (س) : « كان » .

(٣) الزيادة من (ق) ، (س) .

* نكت المميان : ٣٠٢ ، والإعلام : ٣١٢ ، والبداية والنهاية : ١٨٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٥٩/١ ،

وغاية النهاية : ٣٥١/٢ ، والدرر : ٤٠١/٤ ، والشذرات : ١١٩/٦ .

الإمامة في زمانه ، وتفرد برئاسة العلم في أوانه . وكان بجرأ من مجور العلم الزخارة ، وحبراً من أحباره ، الذين توقدوا للهدى مثل الكواكب السيارة ، تستحي ذكاء^(١) من ذكائه ، وتفيض علومه حتى يأخذ الغمام منها ملء^(٢) زكائه ، مكباً على الطلب لا يفتُر ولا يني [ولا يقول السأم لنفسه طالبي بالتي هي أحسن ولا يني]^(٣) قد جانب ملة الملل ، وتحقق أن الإخلال بذلك من الفساد والخلل ، هذا مع الصون والرزانة والتواضع الذي زاده رفعة وزانه^(٤) ، والوقار الذي خفت الجبال أن تكون وزانه ، والحلم الذي هو زينة العلم ، وطرار الحرب والسلم ، والخاصن التي ما بها سناها^(٥) ضوء صباح ولا حوتها الوجوه الصباح :

تراء إذا مازرتة متواضعا جليلاً على حشد الندي وحفله
وتعرف منه الفضل من قبل نطقه كما يعرف الهندي من قبل سلّه
وتبصر منه أمة وهو واحد وما زاد في ذي عدة مثل نبيله
إذا كان في أفق وأظلم حادث سرى خائف العشواء في ضوء^(٦) عقله

ولم يزل على حاله بحجة إلى أن ترك القضاء ، وذهب بصره فشكر القدر والقضاء . ثم إن البارزي^(٧) أضمره الضريح وأخفاه ، واستكمل الأجل واستوفاه . وتوفي رحمه الله تعالى في ذي العقدة سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة . ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

(١) الذكاء : الشمس .

(٢) في الأصل : « مسك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « زاد رفعة وزانه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « التي ما يحاسنها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٦) في الأصل : « وصف » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٧) (ق) ، (س) : « ابن البارزي » ، وكذا في الموضع الآتي .

فتوفي رحمه الله تعالى عن ثلاثٍ وتسعين سنة ، وحج مرات ، وحدّث بأماكن ، وحمل الناس عنه علماً جماً ، وأذن لجماعة بالإفتاء .

وبلغني أن الشيخ برهان الدين بن تاج الدين الفزاري كان يقول : أشتهي أن أروح إلى حماة ، وأقرأ (التنبيه) على القاضي شرف الدين البارزي .

وكان يرى الكفّ عن الخوض في الصفات ، ويثني على الطائفتين ، واقتنى من الكتب شيئاً كثيراً بحيث إنه كان عنده من كل شيء نسختان وثلاثة .

وكان إذا سمع بتصنيف لأحد من أهل عصره جهّز الدراهم واستنسخ ذلك . وباشر القضاء بلامعلوم لغناه عنه ، وما اتخذ درّة ولا عزّراً أحداً قط ، ولا ركب بمهاز ولا مقرعة ، وعيّن مرات لقضاء مصر فاستعفى ، وكانت جلالته عجيبة مع تواضعه .

وكان قد أخذ الفقه عن والده وجده [وجده ^(١)] ، عن القاضي عبد الله بن إبراهيم المحوي ، وعن فخر الدين بن عساكر ، وأخذ القاضي عبد الله عن القاضي أبي سعد بن أبي عصرون ، عن الفارقي ، عن أبي إسحاق الشيرازي ، عن القاضي أبي الطيب ، وأخذ فخر الدين عن ^(٢) قطب الدين مسعود النيسابوري ، عن عمر بن سهل السلطان ، عن الغزالي ، عن إمام الحرمين ، عن أبيه ، عن أبي بكر القفال .

ووقف القاضي شرف الدين كتبه وهي تساوي مئة ألف درهم . ولما توفي رحمه الله تعالى أغلقت أسواق حماة لمشهده .

وله من التصانيف : تفسيران ، وكتاب (بديع القرآن) وكتاب (شرح الشاطبية ^(٣)) وكتاب (الشريعة في السبعة) وكتاب (الناسخ والمنسوخ) ، و (مختصر جامع الأصول) في مجلدين ، و (الوفا في شرف المصطفى) ، و (الإحكام على أبواب

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ابن » ، سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

(٣) اسمه : الفريدة البارزّة في حل القصيدة الشاطبية ، انظر : الكشف ١٢٥٩/٢ .

وله مما يقرأ طرداً وعكساً : « سُوْر حِمْيَا بَرِّيْهَا مَحْرُوسٌ » .

وما جاء منه في الحديث قوله ﷺ : « يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا ، فإن منزلتك عند آخر آية » (٣) .

آسِ اِرمِ—لَا إِذَا عَرَا وَارِعَ إِذَا الْمَرْءُ أَسَا
الْأَيَّاتِ .

مودته تدوم لكّل هولٍ وهل كلّ مودته تدوم
وقوله أيضاً وهو مطلع قصيدة :
دام عــــلا العباد

(١) الأنبياء : ٣٣/٢١

(٢) المدثر: ٣/٧٤ .

(٣) انظر: إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري : ١١/١ .

ومما ينسب إلى القاضي الفاضل رحمه الله « أبداً لا تدوم إلا مودة الأدباء » وقول القائل :

أرانا الإله هلالاً أنارا

وقول الآخر : (مودتي لخلي تدوم) ، وكما قال العماد الكاتب : (سرفلا كبا بك
الفرس) فقال له الفاضل ^(١) رحمه الله تعالى : (دام علا العماد) .

وقد يكون هذا النوع كل كلمتين قلبها واحد ، كقولك : « أرض خضراء » « فيها
أهيف » « ساكب كاس » ، وكقول ابن النبيه :

لبق أقبل فيه هيف كل ما أم لك إن غنى هبه

وتارة تكون كل كلمة قلب نفسها ، كقول سيف الدين بن قزل المشد :

ليل أضاء هلاله أنى يضيء بكوكب

١٩٢٥ - هبة الله بن علي *

ابن السديد ، مجد الدين الشافعي .

اشتغل بالفقه على الشيخ بهاء الدين القفطي ^(٢) ، وكان يطالع (تفسير ابن عطية) ^(٣)
كثيراً . وبنى مدرسة يأسنا ، ووقف بساتينه عليها .

قال كمال الدين الأندلسي : اتفق أنه عند انتهاء عمارتها حضر الشيخ تقي الدين إلى
أسنا لزيارة بهاء الدين القفطي ، فسأله مجد الدين أن يلقي الدرس بها ، فألقى الشيخ

(١) (س) : « القاضي الفاضل » .

* الطالع السعيد : ٦٩٩ ، والدرر : ٤٠٢/٤ .

(٢) هو هبة الله بن عبد الله بن سيد الكل (ت ٦٩٧ هـ) . الطالع السعيد : ٦٩١ .

(٣) هو المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، وهو مطبوع .

درساً^(١)، وكان شيخنا تاج الدين الدشناوي^(٢) في خدمة الشيخ من قوص ، فقال
لمجير الدين : إذا فرغ الدرس قل للشيخ ياسيدي بدستور سيدي أخذ الدرس ؟ فيبقى
ذلك إذناً من الشيخ ، فقال : لا ، هذه مدرستي ، وأقول له : أنا هذا الذي قلت ،
فيسكت أو يقول : لا ، فينقل عني .

وكان يدرّس بها ويعمل للطلبة طعاماً طيباً عاماً ويقول لمن تتفق غيبته يافلان
اليوم الفوائد والموائد :

ارضَ لمن غاب عنك غيبته فذاك ذنبٌ عقابه فيه
وانتهت إليه رئاسة بلده ، وخطب بأصفون .
وتوفي رحمه الله في بلده سنة تسع وسبع مئة .

١٩٢٦ - هبة الله بن محمود*

ابن أبي القاسم بن أبي الفضائل بن أبي القاسم بن محمد ، الشيخ الإمام الزاهد العالم
الكامل^(٣) الفقيه أمين الدين بن قرناص الخزاعي الحموي الشافعي .

اشتغل بالفقه ، وسمع (جزء ابن عرفة) من شيخ الشيوخ الأنصاري ، وحدث
بجامة وحلب ودمشق ، وحج ، وحدث بني .

كان مدرساً بجامة ، فترك التدريس وصحب الفقراء ، وأعرض عن المناصب ، وغير
ملبوسه .

(١) في (ق) ، (س) زيادة : « بها درساً » .

(٢) في الطالع : « بهاء الدين بن الدشناوي » .

* الدرر : ٤٠٣/٤ ، وفيه : « هبة الله بن محمد » .

(٣) (س) ، (ق) : « العامل » .

قال شيخنا علم الدين : قرأت عليه (جزء ابن عرفة) .
وتوفي رحمه الله تعالى : سلخ شهر ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة تسع وأربعين وست مئة .
وتأسف صاحب حماة كونه لم يحضر جنازته لأنه كان غائباً عن حماة ، وكان قد
عاده في مرضه .

١٩٢٧ - هبة الله بن مسعود بن أبي الفضائل *

القاضي الفاضل معين الدين بن حشيش . قد تقدم ذكر والده في مكانه من حرف
الميم .

كان فاضلاً أديباً عاقلاً لبيباً ، ذا حافظة وذاكرة ، ونظم كثير الاستحسان له
شاكِرِه ، عارفاً بوقائع الناس وأيامهم وتراجم أعيانهم ^(١) وأعلامهم ، يشرّد من ذلك
ألوفاً ، ويقول لسان حاله : « خَلَقْتُ لَذَا أَلُوفاً » ^(٢) ، آية في الحافظة عجيبة ، متى دعاها
إلى شيء كانت له مُجِيبَة ، قد أتقن القلمين إنشاءً وحساباً ، وبلغ فيها الغايتين مآلاً
ومآباً ، وبارش الجيش شاماً ومصرأ ، ووهب الله بهيئته ^(٣) تأييداً ونصراً ، ودبر فأقبل
مأدبر ، ورجب المضائق بما نَمَقَ قلمه وحبر :

ورمى إلى الغرض البعيد بفكره فأصاب حنف كوامن ودقائق
يَقِظُ لأعقاب الأمور مجرباً طبّ بأدواء الممالك حاذقاً ^(٤)

* البداية والنهاية : ١٤٧/١٤ ، والدرر : ٤٠٣/٤ ، والشذرات : ٩٢/٦ ، وذبول العبر : ١٦٢ ، والنجوم :
٢٨٠/٩ .

(١) في الأصل : « أعيالهم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) فيه إشارة إلى قول المتنبي :

خلقت ألوفاً لو رجعت إلى الصبا لفارقت شيبي موجه القلب باكيا

(٣) في (س) (ق) : « له بهيئته » .

(٤) ضبط الصفدي بقلمه : « يقظ » ، وما بعدها من صفات بالكسر ، وإلا ففي البيت إقواء .

تنقل من الشام إلى مصر مرّات ، ونال من السلطان مكارم ومبّرات .
ولم يزل على حاله بمصر أخيراً إلى أن جمدت ^(١) حواسه ، وخدمت أنفاسه .
وتوفي رحمه الله تعالى في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة ست وستين وست مئة .

ودفن بالقرافة في تربة القاضي فخر الدين ناظر الجيش ، وكانت جنازة حافلة .
وكان ينظم شعراً جيداً ، وليس له نثرٌ جيد ، اللهم إلا إن ترسل وكتب بلاسجع ،
فإنه يأتي في ذلك بالمثل السائر والبيت المطبوع ، ويأتي بالشاهد على ما يحاوله وذلك
في غاية البلاغة والفصاحة ، يوفي المقام في ذلك حقّه ، وكان عجباً في القوّة الحافظة .
كان في مبدأ أمره كاتباً في الدبّابة ، حتى إنه كتب إلى الأعسر أو لغيره من مشدّي
دمشق من كان له الحكم في ذلك الوقت :

يا أميراً حاز الحيّا والبلاغة قتلّني روائح الدبّاغه

ثم إنه نقل إلى طرابلس وخدم في الجيش بها ، وكان يساعد ابن الذهبي كاتب
الإنشاء بطرابلس ، فاشتهر وعرف بالأدب ، فأحبّه الأمير سيف الدين أسندمر نائب
طرابلس ^(٢) ولم يزل إلى أن توجه أسندمر مع السلطان الملك الناصر محمد من دمشق إلى
القاهرة سنة تسع وسبع مئة ، فسيّعى له عند السلطان إلى أن استخدمه بديوان الجيش
بالديار المصرية .

وكان قد حضر معين الدين إلى دمشق في جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة
ناظر الجيش عوضاً عن القاضي شمس الدين بن حميد ^(٣) وأقام بدمشق إلى أن حضر

(١) في الأصل : « خدمت » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٢) كرر الناسخ هنا قوله : « فاشتهر ... بالأدب » .

(٣) انظر : البداية والنهاية ٦٦/١٤ ، وقد سلفت ترجمة أبي طالب في موضعها من حرف الطاء .

القاضي قطب الدين من الديار المصرية ، فتوجه القاضي معين الدين إلى مصر ، ولم يزل إلى أن أمسك القاضي قطب الدين ناظر الجيش بالشام في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، فحضر القاضي معين الدين عوضه في نظر الجيش بالشام^(١) ، ووصل إلى دمشق خامس جمادى الآخرة [سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة]^(٢) ، فانفرد بذلك قليلاً . ثم إنه شورك بينهما في النظر بعلوم لكل منهما نظير الأصل ، وكان القاضي قطب الدين هو الأكبر والعلامة له أولاً ، ولم يزل بدمشق إلى سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ولما عزم القاضي فخر الدين على الحجاز طلب السلطان معين الدين ليسد الوظيفة في الجيش عن القاضي فخر الدين^(٣) ، فأقام بالديار المصرية إلى أن مات في التاريخ . وكان يكتب خطاً قوياً ولا بدّ له إذا كتب اسمه « هبة الله بن حشيش » [أن]^(٤) ينقط الشين خوفاً من التصحيف .

اجتمعت به في دمشق وفي مصر مرات ، وأنشدني له كثيراً ، ومما أنشدني له شيخنا علم الدين البرزالي إجازة قوله :

| | |
|----------------------------|--|
| طيف ألم وطرف الهمّ وسنان | وناظر لا رتقاب الوصل يقظان |
| سرى وموكبه شوقي وموطنه | خدي وذلكما طرفة وميدان ^(٥) |
| حتى تضمنه الطرف السهيد وقد | غطى شهيد الكرى للدمع طوفان ^(٦) |
| فلم يزل دون تهويم يمتعنا | بالوصل زوراً وطرف النجم سهران ^(٧) |

(١) البداية والنهاية : ١٠٥/١٤ .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) .

(٣) البداية والنهاية : ١٣٥/١٤ .

(٤) زيادة من (س) ، (ق) .

(٥) الطرف : الفرس .

(٦) في الأصل : « تطمّنه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وفي (س) ، (ق) : « الجفن الشهيد » .

(٧) في الأصل : « تقويم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . والتهويم : النعاس .

فكم تلقى بصدري فرحة فرشت
إذا تمشى إلى جرح الجوارح يا
فشق باللطف عن قلبي وعزل عند
وراح يخلع جلباب السرور على
أهلاً به من خيال عادلي أمني
فالعيش رغد ودار الأنس دانية
ورقة البدر سهد والمنى حلم
فهذه منح الطيف الملم بنا

له السرائر فالأحشاء أوطان
سوه فكم طفت للوجد نيران
ه ما يشق قلبي اليوم فرحان
وقتي وقد مرّ دهر وهو غريان
به وعادني روج وريحان
وجيرة الحي بعد الهجر جيران
تحولنا ومغاني الحي أوطان
سراً فليت بواق السر إعلان

وكتب من طرابلس إلى الشيخ شهاب الدين أحمد بن غانم :

خيالك لما بان ركبك ما بانا
إذا ما اشتكى قلبي لهيب غرامه
نعمت بما ترضون لي يا أحبتي
وعذب عذابي فيكم وتحرقني

لأن له في ناظر العين أوطانا
لدمع يحاريه تأجج نيرانا
ولم أخش أشواقاً إليكم وهجرانا
وكم من عزيز في محبتكم هانا

فكتب شهاب الدين بن غانم الجواب إليه :

رقادي لما بنت يامنيتي بانا
وقلبي منذ ودعت لا علم لي به
على أن ما شطت نوى من غدت له ال
وحاشي لمثلي أن يرى متشكياً
وما زال توحيدي وشخصك والهوى

فكيف يزور الطيف مني أجفانا
وأخر عهدي أنه عندكم كانا
سرائر من صدري ربوعاً وأوطانا
صدوداً وأن يخشى ببعدك هجرانا
بقلي سكاناً أقاموا وجيرانا

ومن شعره قصيدة في المحون ، وجودها ، أولها :

لا والأَيُور الصُّلَع

منها يقول :

ما وَقَعَ الكسّ على قلب الخصي بَوَاقِع

١٩٢٨ - هدية بنت علي بن عسكر*

الشيخة أم محمد البغدادية ، اللبان أبوها ، الهراس جدّها .

كانت امرأةً صالحة ، كثيرة الصلاة والنوافل . رَوَتْ عن ابن الزبيدي ، وابن اللقي ، وجعفر الهمداني ، وغيرهم .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : قرأت عليها (مسند الدارمي) ، ورافقته في السفر من دمشق إلى القدس ، وقرأت عليها بعجلون ، والبيت المقدس ، وبلد الخليل عليه السلام ، وبالأردن عند جسر دامية ، وغير ذلك ، وكانت تتردد إلى بيتنا وتقيم عندنا الأيام المتوالية . وسمع منها جماعة من الطلبة .

ثم إنَّها توفيت رحمها الله تعالى بالقدس في ثامن عشر جمادى الأولى سنة اثنتي عشرة وسبع مئة .

الألقاب والنسب^(١)

- ☆ الهذباني : نجم الدين الحسن بن هارون . ونور الدين علي بن محمد .
- ☆ الهكاري : الشيخ شهاب الدين أحمد بن أحمد . عماد الدين داود بن محمد .
- ☆ ابن هود : الشيخ بدر الدين الحسن بن علي .
- ☆ الهرغي^(٢) : تقي الدين عبد الله بن محمد .
- ☆ ابن الهمام : ناصر الدين محمد بن الهمام .

* الإعلام : ٢٩٩ ، والدرر : ٤٠٣/٤ ، والشذرات : ٣١/٦ ، وذبول العبر : ٧٠ .

(١) هذا العنوان وضع بعد « الهذباني » في الأصل .

(٢) (ق) : « الهرفي » ، وقد سلفت ترجمته .

☆ أولاد ابن هلال : صاحب تقي الدين أحمد بن سليمان . ومعين الدين الحسين بن محمد . وفخر الدين عبد الرحمن بن عبد العزيز . ومخلص الدين عبد الواحد بن عبد الحميد . ونجم الدين علي بن محمد . وأمين الدين محمد بن محمد بن عمر .

[☆ ابن الهيثمي : صلاح الدين ناصر بن أبي الفضل]^(١) .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

حرف الواو

☆ ابن والي الليل : محمود بن رمضان .

☆ الوتار القوَّاس : علي بن إسماعيل .

☆ وحيد الدين إمام الكلاسة : يحيى بن أحمد .

☆ ابن ورّيدة : عبد الرحمن بن عبد اللطيف .

١٩٢٩ - وهبان بن علي*

ابن محفوظ بن أبي الحياء السبتي ، الشيخ زين الدين أبو الكرم المؤذن بباب السلطان ، الجزري .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : روى لنا عن ابن باقا الجزء الثالث من (البيوع) من مسائل الإمام أحمد الأثرم^(١) ، قرأته عليه بمنزله في علوّ خان مسرور بالقاهرة .

وتوفي رحمه الله تعالى في شهر ربيع الأول سنة تسع وتسعين وست مئة .

ومولده سنة أربع وست مئة بمجزيرة ابن عمر .

* العبر : ٤٠٧/٥ ، والشذرات : ٤٥٤/٥ .

(١) أحمد بن محمد ، أبو بكر الأثرم ، أخذ عن الإمام أحمد (ت ٢٦١ هـ) الأعلام : ٢٠٥/١ .

الألقاب والنسب

- ☆ ابن واصل : قاضي القضاة محمد بن سالم .
- ☆ الوافي : الشيخ برهان [الدين] ^(١) إبراهيم بن محمد بن أحمد المؤذن .
وشرف الدين عبد الله محمد بن إبراهيم .
- ☆ والواني : علي بن عمر بن أبي بكر .
- ☆ والواني : محمد بن إبراهيم .
- ☆ الواسطي : الشيخ عماد الدين أحمد بن إبراهيم . وتقي الدين عبد الرحمن بن عبد المحسن .
- ☆ ابن الواسطي : القاضي شهاب الدين غازي بن أحمد . وموفق الدين محمد بن إبراهيم . والمسند شمس الدين محمد بن علي .
- ☆ الوادعي : علي بن المظفر .
- ☆ الوردي : القاضي زين الدين .
- ☆ ابن الوردي : عمر بن مظفر . وأخوه القاضي جمال الدين يوسف بن المظفر .
- ☆ ولي الدولة : أبو الفرج .
- ☆ ابن الوحيد الكاتب : محمد بن شريف .
- ☆ ابن الوزيري : بدر الدين محمد .
- ☆ أبو الوليد المالكي : محمد بن أحمد .
- ☆ الوطواط الوراق : محمد بن إبراهيم .

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

حرف الياء

١٩٣٠ - يحيى بن إبراهيم*

الملك الناصر صاحب سنجار .

قتله القان خربندا ، وقتل معه الوزير سعد الدين الساوجي ، والوزير مبارك شاه في سنة إحدى عشرة وسبع مئة .

١٩٣١ - يحيى بن أحمد**

ابن خذاذاذ الخلاطي الشافعي ، وحيد الدين ، أبو حامد الرومي .

شيخ القراء ، إمام الكلاسة بالجامع الأموي .

توفي رحمه الله تعالى حادي عشري جمادى الأولى سنة عشرين وسبع مئة .

قرأ بالروم على الصائغ البصري^(١) . وولي إمامة الكلاسة نحو خمس عشرة سنة ، وقبلها كان يؤم بمشهد ابن عروة . وولي مشيخة الخاتقاء الأسدية ، وبها مات رحمه الله تعالى .

* الدرر : ٤١٠/٤ .

** الدرر : ٤١٠/٤ ، وغاية النهاية : ٣٦٥/٢ ، والذي في أصول الأعيان : « حداد » ، وشد وما أثبتناه هو ضبط ابن الجزري في الغاية ، وفي الدرر : « خداداد » .

(١) محمد بن محمد بن موسى صائغ الدين الهذلي البصري ، شيخ بلاد الروم في القراءات (ت ٦٨٤ هـ) . غاية النهاية : ٢٥٥/٢ .

وكان إماماً عارفاً بفنّ القراءات ، وبلغ الثمانين من عمره ، وحضر جنازته خلق عظيم .

١٩٣٢ - يحيى بن أحمد بن يوسف*

ابن كامل ، السيد العدل الرضي عماد الدين بن شهاب الدين الشريف الحسيني ، عرف بالبصراوي ، ناظر ديوان الأشراف .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : كان رجلاً جيّداً متواضعاً عدلاً من أهل السنّة ، روى لنا عن ابن الصلاح ، وابن مسلمة ، وسمع من ابن البراذعي ، وعتيق السلماني ، والسخاوي ، وغيرهم .

وتوفي رحمه الله تعالى ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة خمس وسبع مئة .

ومولده في شهر رمضان سنة ست وعشرين وست مئة .

١٩٣٣ - يحيى بن أحمد بن عبد العزيز**

ابن عبد الله بن علي بن عبد الباقي بن علي بن الصواف^(١) الجذامي الإسكندراني ، الشيخ الفقيه الإمام المحدث المقرئ العدل شرف الدين أبو الحسين ابن المحدث نجيب الدين أبي الفضل .

حصل له صم وكفّ بصره سنتين^(٢) ، وعمّر ، وكان يروي (الخلعيات) عن ابن

* تالي وفيات الأعيان : ١٧٦ ، والدرر : ٤١٣/٤ .

** نكت الهميان : ٣٠٧ ، والدرر : ٤١٠/٤ ، وغاية النهاية : ٣٦٦/٢ ، والشذرات : ١٣/٦ .

(١) في الأصل : « الأصوات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ومصادر ترجمته .

(٢) في (س) ، (ق) : « مدة سنين » .

عماد^(١) ، وسمع من جده أبي محمد عبد العزيز ، ومن ناصر بن عبد العزيز الأغماتي^(٢) ،
وعبد الخالق بن إسماعيل التنيسي^(٣) ، وإبراهيم بن عبد الرحمن بن الجباب^(٤) ، ومرتضى
بن العفيف^(٥) ، وجماعة . وقرأ القرآن بالروايات على ابن الصّفراوي^(٦) .

قال شيخنا علم الدين البزالي : وأجاز لنا في سنة إحدى وسبعين وست مئة ، ثم
قرأت عليه (جزء السلفي) بسماعه من ناصر الأغماتي ، والخامس من (الخلعيات)
بسماعه من ابن العماد .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن عشرين شعبان سنة خمس وسبع مئة .

ومولده بالإسكندرية في أحد الربيعين أو الجمادين سنة تسع وست مئة .

١٩٣٤ - يحيى بن أحمد بن نعمة*

ابن أحمد بن جعفر بن حسين بن حمّاد ، الشيخ الإمام بقية السلف يحيى الدين أبو
زكريا ابن الشيخ الإمام الصالح كمال الدين المقدسي الشافعي ، إمام مشهود علي بالجامع
الأموي^(٧) .

أول سماعه بالقدس في شعبان سنة أربعين وست مئة ، سمع مع والده مكّي بن

(١) محمد بن عماد بن محمد الجزري (ت ٦٢٢ هـ) . السير ٣٧٩/٢٢ .

(٢) في الأصل : الأغماتي ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ت ٦٣١ هـ) الشذرات : ١٤٧/٥ .

(٣) في الأصل : « التنسي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « الجباب » ، وسلفت الإشارة إليه .

(٥) مرتضى بن العفيف جماعة بن عباد الضير ، يعرف بابن اكشاش ، أخذ القراءات والشاطبية عن
الشاطبي . غاية النهاية ٢٩٢/٢ .

(٦) عبد الرحمن بن عبد الحميد بن إسماعيل الصّفراوي مؤلف كتاب : (الإعلان) ، (ت ٦٣٦ هـ) . غاية
النهاية : ٣٧٣/٢ .

* تالي وفيات الأعيان : ١٧٨ ، والدرر : ٤١١/٤ .

(٧) وهو المشهد الشرقي الشمالي بالجامع ، ويدعى أيضاً مشهد الحسين .

علّان والمرسي والفقير محمد اليونيني وشيخ الشيوخ شرف الدين الأنصاري وإسماعيل العراقي والنجم البلخي وابن خطيب القرافة وابن عبد الدائم وجماعة ، وأجاز له السخاوي والفرضي وعتيق الساماني وابن الصلاح والعزّ بن عساكر وعمر بن البرادعي وجماعة .

وكان له اشتغال بالعلم في أول عمره ، وعنده سكون وسلامة صدر ، وأعاد بدمشق والقاهرة ، وكان صالحاً مباركاً موصوفاً بالخير والدين .

توفي رحمه الله تعالى سادس عشري شهر رمضان سنة [ست]^(١) عشرة وسبع مئة ومولده سنة ثلاثين وست مئة تقريباً .

١٩٣٥ - يحيى بن إسحاق*

ابن خليل بن فارس ، القاضي الفقيه الإمام محي الدين أبو زكريا ابن القاضي الإمام العالم كال الدين أبي محمد الشيباني الشافعي .

كان شيخاً حسناً مباركاً ، ولي القضاء بشيزر وزرّع وأذرععات ، وكان حسن السيرة ، كثير التواضع فقيهاً ، اشتغل وحصل وكتب ، وكان من أصحاب الشيخ شرف الدين بن المقدسي .

وسمع الحديث من والده ، ومن الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، وأحمد^(٢) بن أبي الخير ، والقطب خطيب القدس ، وجماعة .

(١) زيادة من (س) ، (ق) ومصادر ترجمته .

* الدرر : ٤١٤/٤ .

(٢) في الأصل : « ابن أبي عمرو بن أحمد » ، وفيه خلل ، وأثبتنا ما في (س) (ق) .
وابن أبي عمرو هو عبد الرحمن بن محمد بن أحمد المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .
وأحمد بن أبي الخير سلامة بن إبراهيم الدمشقي (ت ٦٧٨ هـ) العبر : ٣١٩/٥ .

وخرّج له شيخنا الذهبي جزءاً ، وحدّث به .

توفي رحمه الله تعالى سلخ شهر ربيع الآخر سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة ثمان وأربعين وست مئة ، ودفن بجبل قاسيون .

١٩٣٦ - يحيى بن إسماعيل *

ابن محمد بن عبد الله ، القاضي الصدر الرئيس النبيل شهاب الدين ابن القاضي عماد الدين بن القاضي شرف الدين ابن الصاحب فتح الدين بن ^(١) القيسراني الخزومي ، تقدم ذكر والده القاضي ^(٢) عماد الدين ، وذكر غيره من بينهم .

كان القاضي شهاب الدين قد طبع على الرئاسة ، وجمع في أجزاءه من السيادة والسياسة ، يتجمل في مركوبه وملبوسه ، ويتحمل المضض من نكدِ دهره وبؤسه ، لا يشكو والدهر قد عضّه بنابه ، ولا يظهر الشّماتة بعدوّ ولا يقول في شدة : « ليت ما بنابه » ^(٣) ، ولا يتلفظ بسوء في حقّ من آذاه ويقول : من أطلق لسانه فليس بنابه . تخف الجبال الراسيات لوقاره ، وتتعبج السلافة من لطفه وهي في خزف ^(٤) الدّن وقاره ، أخلاقه كنسيم الصّبا ، فالخائل منها في خمول ، ومحاسنه كثيرة العدّد وعلى ظهر الزمان منها حوّل ، وبشرّ يتعجب من دوامه جليسه ، وتواضع يشهد بالرفعة له أنيسه .

* وفيات ابن رافع : ٣٠٧/١ ، والدرر : ٤١٤/٤ ، والنجوم : ٢٩٠/١٠ ، والشذرات : ١٧٥/٦ ، وذبول العبر : ٢٩٠ .

(١) ليست في (خ) .

(٢) ليست في (خ) .

(٣) إشارة إلى قول الشاعر :

عضنا الدهر بنابه ليت ماحلّ بنابه

(٤) في الأصل : « حرف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

شَيْتَةً حُرَّةً وَظَاهِرٌ بَشِيرٌ رَاحَ مِنْ خَلْفِهِ السَّاحُ يَشْفُ
هذا إلى كرم^(١) يضطرب موجّه ، ويشهد لمؤمّله بالفوز قُوْجَه .

ولاه السلطان الملك الناصر محمد كتابة السرّ بالشام إكراماً للأمير سيف الدين تنكز ، وتوهم فيه التقصير ، فبدأ منه كلُّ أمرٍ مُعْجَز ، فنَفَذَ مهات البريد ، وصان أسرارهِ ، وصال على أعاديهِ بكتبهِ التي يجهزها على الحرارة ، حتى دخل في عين تنكز وملاً قلبه ، وجعل إليه إيجابه وسلبه ، وألقى إليه مقاليد دولته . وروى الليث عنه أسانيد صولته ، فتقدم في تلك الدولة^(٢) ورأس ، وجنى من ثمرات^(٣) الشكر مما غرس ، فكان إذا جلس في صدر ديوانه كأنه كسرى في إيوانه مقدّد وسوّد ، وستور من الجلالة عليه ترخى ، وأطناب من المهابة تُمدّد :

بصفاته سَجَعَ الحماّم وهزّ عِطُ فيه قضيبُ البانةِ الأملود^(٤)
سلك المكارم والممالك عَزْمَةً فغدت وليس لنظمها تبديدٌ
من معشر مولودهم في مهده يَرْجى ومن قبل الفطام يسودُ

وكان خطّه أبهى من الرّوض وأبهج ، وسطوره في طروسه أنق من بحر كافور بالمسك قد تموج ، قد صَغَت حروفها وقعدت ووضعت تيجان الحسن على رؤوسها وعقدت .

إلا أن الزمان قطع عليه اللّذة ، وارتجع حسنّته الفضة ، فأمسك السلطان تنكز ، فاخل نظام السّعد ، وزالت تلك المحاسن و ﴿لِلَّهِ الْأُمُورُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾^(٥) ،

(١) (خ) : « كريم » .

(٢) (س) ، (ق) ، (خ) : « الأيام » .

(٣) في (س) ، (ق) ، (خ) : « وجنى ثمرات » .

(٤) الأملود : الناعم اللين .

(٥) الروم : ٤/٣٠ .

وأصابه في^(١) تلك المحنة شؤبوب ، ومَرَّ عليه من لامع برقها ألُهب^(٢) ، إلا أنها كانت شدة خفيفة ومحنة عفيفة ، فانتشع غيها ، وانجمع ضيها . ثم إنه أرسل سعه بعد فترة ، ورفع على رأسه جتر^(٣) ، وقالت له الأيام :

لُح في العلا كوكباً إن لم تُلَحْ قَمراً أو قم بها ربوة إن لم تَقْمْ علماً
فعاد إلى توقيع الدَّست ، وحطَّت نغمة نعمته في الدُّوكاة بعد أن طلعت في الرُّست^(٤) .

ولم يزل على حاله إلى أن انطوى بعد ماتألق ، وتعلَّى روحه إلى الجنة وتعلَّق .
وتوفي رحمه الله تعالى يوم الأحد ثاني عشر شهر رجب سنة ثلاث وخمسين وسبع مئة ، ودفن بمقابر الصوفية عند والده رحمه الله تعالى .
ومولده تقريباً سنة سبع مئة^(٥) ومات بعلة الاستسقاء بعدما عالج لواعجه قريباً من عشرة أشهر ، وصبر على الامتناع من رؤية الماء وشربه جملة كافية .
وقلت أنا فيه :

قلت إذا استسقى الرئيس السذي بالجوّد عمّ الغرب والشرقاً
عهدي أن البحر يسقي الوري مالي أرى البحر [قد] استسقى^(٦)

وكان القاضي شهاب الدين - رحمه الله تعالى - قد ورَد مع والده إلى دمشق من حلب ، وقد رُسم له من مصر أن يكون مع والده مقيماً بدمشق ، وأن يكون والدّه

(١) (س) : « من » .

(٢) ألُهب البرق : تتابع .

(٣) الجتر : المظلة .

(٤) الدوكاة والرّست : من مقامات الموسيقى .

(٥) قوله : « دفن » حتى ههنا ليس في (خ) .

(٦) (خ) : « عهدي بأن » . والزيادة منها ومن (س) ، (ق) .

موقعاً بالدست ، وأن يكون هو كاتب إنشاء ، فباشر ذلك على أتم ما يكون من التجميل في ملبسه وملوكه ودوابه^(١) ومركوبه إلى غير ذلك ، حتى كان القاضي يحيى الدين بن فضل يقول : هذا المولى شهاب الدين بن القيسراني^(٢) يجمّل هذا الديوان .

وكانت يكتب الرقاع مليحاً إلى الغاية . ولم يزل على ذلك إلى أن توفي والده رحمه الله تعالى ، على ما تقدم في ترجمته ، فرتّبهُ الأمير سيف الدين تنكز في توقيع الدست مكان والده . ولم يلبث بعد ذلك إلا قليلاً حتى كتب فيه إلى السلطان وسأل له أن يكون كاتب السر بدمشق ، فأجابه السلطان إلى ذلك . وكان تنكز يحبّه ويميل إليه ويعتد عليه اعتماداً كثيراً ، حتى إنّه كان في السفر لا يمسك قلماً ولا يكتب على شيء ، لا مطالعة إلى باب السلطان ولا غيرها ، بل يسطر قبل سفره ما يحتاج إليه من المطالعات وأوراق الطريق والمراسيم^(٣) التي على الخزانة بالتسافير والإنعامات والمطلقات وجميع ما يكتب إلى النواب وإلى غيرهم من هو في باب السلطان ، يفعل ذلك وثوقاً به .

ولم يزل كذلك إلى أن أمسك تنكز ورسم السلطان بعزل كل من هو من جهة تنكز^(٤) ، فأمسكه الأمير سيف الدين بشتاك ، وأخذ منه تقدير عشرين ألف درهم وأفرج عنه . وأقام بعد ذلك بطالاً إلى أن توفي السلطان .

وجاء الفخري وملك^(٥) دمشق ، فاستخدمه في كتابة الدست بدمشق . وتوجه مع الفخري والعساكر إلى الديار المصرية ، وعاد إلى الوظيفة المذكورة ، وأقام عليها بدمشق إلى أن توفي القاضي بدر الدين محمد بن فضل الله كاتب السر بدمشق ، فكتب

(١) في (ق) ، (س) : « ودوابه » .

(٢) قوله : « ابن القيسراني » ، ليس في (خ) .

(٣) (ق) : « والمراسم » .

(٤) (خ) : « كل من هو في جهته » .

(٥) (خ) : « وملك » .

الأمير سيف الدين يلبغا^(١) وكان يومئذ نائب دمشق في القاضي شهاب الدين بن القيسراني وسأل من السلطان أن يكون كاتب سرّ بدمشق ، فاقدر الله له بذلك . وحضر بريدي يطلبه إلى باب السلطان فتوجه إلى الديار المصرية ، فرسم له بأن يكون كاتب إنشاء بالقاهرة^(٢) فأقام على ذلك^(٣) قليلاً ، ورسم له الملك الكامل بأن يكون موقع الدست قدام السلطان^(٤) ، فعمل ذلك مديدة^(٥) . ثم إنه خرج إلى دمشق على عادته موقع الدست^(٦) ، فأقام على ذلك إلى أن مرض بعلّة الاستسقاء ، ومات في التاريخ المذكور ، رحمه الله تعالى .

وكان شكلاً حسناً تامّ الخلق ، مليح العمّة ، نظيف اللباس ، عطر الرائحة ، محبوب الشخص ، حسن الودّ ، صحيح الصّحة ، يملك أمر نفسه في حالتي الخير والشر ، لا يظهر عليه غضب ولا كراهة أحد ، يعامل صاحبه وعدوّه بظاهر حُسن وبشاشة^(٧) ، كثير الاحتمال ، صابراً على أخلاق من يصحبه أو يعاشره ، كثير الآداب والرئاسة ، وكان أخيراً^(٨) وهو كاتب السر يصوم الاثنين والخميس ، ويتعبّد ويذكر ، لا يقابل أحداً بما يكرهه^(٩) . لم أر مثله ، صحبته مدّة تزيد^(١٠) على ثلاث وعشرين سنة ، ما رأيت منه سوءاً قط ولا ما أكرهه^(١١) ، فجزاه الله عن الصّحة خيراً .

-
- (١) (خ) : « يلبغا الحيوي » .
 (٢) (خ) : « فرسم له بكتابة الإنشاء بالقاهرة » .
 (٣) قوله : « على ذلك » ، ليس في (خ) .
 (٤) قوله : « قدام السلطان » ليس في (خ) .
 (٥) (خ) : « مدّة » .
 (٦) (ق) : « موقع دست بدمشق » .
 (٧) قوله : « وبشاشة » ليس في (خ) .
 (٨) ليست في (خ) .
 (٩) (خ) ، (ق) : « يكره » .
 (١٠) (خ) : « أوفت » .
 (١١) قوله : « ولا ما أكرهه » ليس في (خ) .

وكان يحب الفقراء والصالحين ، ويتودد إليهم ويقضي حوائجهم ، وعمر العائز المليحة الغريبة العجيبة ، ولم أر أحداً حاز مثل ذهنه في العائز^(١) واستعمال الصنّاع والصبر على ما عندهم من المكاسرة والمدافعة .

وقلت أنا أرثيه ، رحمه الله تعالى :

مات يحيى فكيف يحيا اللبيب
لم يمّت إنما الرئاسة ماتت
كان للناس والأنام جلالاً
كان والله كاملاً في المعاني
كان في جوده فريداً فأماً
يلاً العين شكله وتسراً النف
ورئيس إن قلت فيه رئيس
خلق كالنسيم إن مرّ وهناً
وحياً لو أن بدرأ رآه
وحياء كأنه إذ يحياً
واحتال لكل ضم عظيم
وإذا نال حظوة من مليك
هو في منصب يسامي الثريّا
لم يشن لفظه بغيبة شخص
من سراة إن سار عنهم ثناء
إن مخزوم في قريش لريحاً

وبه كانت الحياة تطيب
والمعالي تخزمتها شعوب^(٢)
فهو للبدر في التام نسيب
وحياة للمعتفين رحيب
إن ذكرت الوفا فأمر عجيب^(٣)
س أوصافه فا تستريب
ماله في الأنام قطّ ضريب
في خلال الأزهار وهو رطيب
لاعتراه بعد الطلوع مغيب
عند ردّ السلام منك مريب
حيث رأس الوليد منه يشيب
فلكلّ الأصحاب منه نصيب
ونداء من المنادي قريب
يحضر الشخص عنده أم يغيب
مادّ منه غصن وماج كثيب^(٤)
نّ شذاه يوم الفخار يطيب

(١) (خ) ، (ق) ، (س) : « في العارة » .

(٢) في الأصل : « تخزمتها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٣) (ق) ، (س) ، (خ) : « غريب » .

(٤) في الأصل : « كثيب » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، (س) .

جَدَّهم خالِدٌ وخالِدٌ جدُّ
 كلَّهم كاتبٌ رئيسٌ كريمٌ
 كتب السرَّ عند تنكز دَهْرًا
 فأخاف العدا وسرَّ الموالي
 وعلى كَتَبِه حلاوة لفظٍ
 في طروس لِناتِشِفُ يياضاً
 دَبَّرَ الملكُ بُرْهَنَةً ليس فيها
 يتلقَى أغراضُ كلِّ مهمٍّ
 وإذا جَهَّزَ البريْدُ بأمرٍ
 ليس إلَّا اللفظ الذي هو سحر
 ولبعض الكلام رونقٌ حُسنٍ
 أيها الزاهِبُ الذي سار عَنَّا
 إن يكن شقٌّ فيك للصبح جيِّب
 كان دهري سِلاماً فذُ غبت عني
 كنت لا أختشي إذا اعتلَّ يوماً
 أه .. والوعتي وطولُ نحبي
 غير أني قضيت للودِّ حقاً
 كم أيادٍ أوْلِيَّتْنِيها ونعمي
 جعل الله بقعة أنت فيها

لهم والجناس شيء عجيب
 عالم فاضلٌ سريٌّ نجيب
 وهو ذاك الملك العظيم المهيِّب
 فلهذا يثني وهذا يثيب^(١)
 مقتضاه البيان والتهذيب
 وسطوٍر مدادها غريب^(٢)
 ما تراه سوءاً ولا ما تغيب
 فترى رأيه سهاماً تصيب
 فيه خوف فبالأمان يؤوب
 ولعنياه في القلوب ديب^(٣)
 منه تُنسى البلوى وتُمحى الذنوب^(٤)
 وغمامُ الدموع منا يصوب
 فلكم شَقَقْتُ عليك جيوب^(٥)
 نشأت بينه وبين حروب
 من أذى خطْبِه وأنت طبيب
 مع علمي أن ليس يُجدي النحيب
 برثاءٍ له عليّ وجوب
 ومحلّ الإحسان محلّ جديب^(٥)
 روضٌ عفوف هو الكريم الوهوب

(١) في الأصل : « مهيِّب » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، (خ) .

(٢) الغريب : الأسود الحالك .

(٣) في الأصل : « تنسى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٤) (س) ، (خ) ، (ق) : « قلوب » .

(٥) (س) : « وأياد » .

وكتبت أنا إليه من الديار المصرية أنه بكتابة السر بالشام في جمادى الأولى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة :

كم عدو يموت أيام يحيى
هذه دولة تقول الليالي
طالما اشتاقها الزمان بنفس
جمجم الدهر مدة بسواها
أطلعت في سما دمشق شهابا
أين من يطلب المعالي وتأي
لو أراد الزمان يأتي بمثل
كاتب السر سر كل محبة
بسجايانا من السحاب أندى
ذو سكون وعفة ليس يشكو
صرف الآن دهرنا يا شهاب الـ
ومر السعد بالذي تشتهيه
فلك الحمد والمآثر إرث
أنت من عصبية كرام غمام
عملوا صالحاً وحازوا المعالي
بك تزهى دمشق فامنع حاياها
قلم في بيان كفك يسعى
كل سطر كأنه إذ تبدى
ينثر الدر بل يري السحر حقا
فإذا ما أعلت في مهم

ومحب في العز والسعد يحيا
لعلاها أهلاً وسهلاً ورعيا
هي للمجد والمكارم ظميا
وهو منها يسر في القلب أشيا
منه شمس النهار في الأفق خزيا
من رئيس تأتي لمغناه سعيًا
لعلاه بين البرية أعيًا
وأعاد الجليل فينا وأحيا
وجنات من الحدايق أفيًا
من خطاه وجه الثرى قط وطيا
سدين مها أردت أمراً ونهيا
فهو يأتي في الحال ما اخترت جزيا
عن كرام زكوا ممتاً ومخيا
خالد بن الوليد في كل عليا
فهم الفائزون أخرى ودنيا
فلها من علاء في العز بقيا
فوق طرس أم حاك في الخط وشيا^(١)
شفة بالمداد الأسود لميا
حين يمل عليه فكرك وحيا
يستبيح الأعداء قتلاً وسبيا

(١) في (س)، (ق)، (خ) : « بنان » .

هذه الدولة التي كنت أرجو أن أرى لي بها مع السعد ثقياً
ويسر الفؤاد نيل الأمانى وأرى طعم صبره صار أزيماً^(١)
لا أراني لها الزمان انفصلاً ما اشتكى عاشق من الحب نأياً

يقبل الأرض ويهنئ نفسه والأنام ، ومملكة الشام والأيام ، وبيض الطروس وسمر
الأقلام وأرباب الطيالس وأصحاب الأعلام ، بهذه الرتبة التي طلع في سمائها شهاباً توقد
نوره وكتب سر كثر بمعالیه في ديوان الإنشاء شموسه وبدوره ، ووجدت الأقلام لها
في ميدان^(٢) البلاغة مجالاً ، وبلغت المعالي من قربها أمانيتها فلم تعد بمن^(٣) تهوى
اتصالاً^(٤) :

وزاد المرفهات ضياء عزم فصار على جواهرها صقلاً^(٥)
وأبصرت الذوابل منه عدلاً فأصبح في عواملها اعتدالاً

فالله يرزقنا^(٦) معاش الأرقاء شكر هذه النعمة التي أقر بها ليل الأمل والتحف
الدهر منها برداء المحاسن واشتمل ، وانتشخ خمائل فضلها من كانت الأيام آخرته حتى
خمل^(٧) ، وانتصف فيها من كانت واقعته تذكر الناس بأيام صفين والجمال :

وأضحى فضلها في الناس باد يدار بها على الشرب العقار

فهذه الأيام التي كانت بها الآمال في الضمائر أجنة ، وهذه الأوقات التي جرت
إليها سوابق الأماني مطلقات الأعنة ، وهذه الدولة التي جرت في رياض حماها جداول
السيوف تشق رياحين الأسنة ، ليس فيها ما يقال له : « كملت لو أن ذا كلاً » .

(١) الأري : العسل .

(٢) (خ) : « ديوان » .

(٣) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، (خ) .

(٤) للمعري ، شروح سقط الزند : ٧٠/١ .

(٥) في سقط الزند : « أفاد المرفهات » .

(٦) في (س) ، (ق) ، (خ) : « يوزعنا » .

(٧) في الأصل : « حل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

فأنتم يا بني القيسراني فضلكم مثل جدكم خالد ، ونَجَّم من عاندكم هابط ونجم
سعودكم صاعد ، وجنان الفضل تُرون فيها ﴿ مُتَكَثِّينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ﴾ ^(١) وتحيتكم
فيها المحامد ^(٢) ، وأيديكم تضرب من البلاغة في الذهب الذائب إذا ضرب غيركم من العي
في الحديد البارد ، وبنان حسانكم ينهل بالندى فهو جائد وبنان غيركم جامد . زينتم
الوجود من عصر نور الدين الشهيد سقي ضريحه رحمة وبراً ، وبدأت حسنات الأيام
بوجودكم من هناك وهلم جراً ، كم قد تجمل ^(٣) منكم منصب الصحابة بوزير ، وكم جلس
منكم كاتب سر بين يدي صاحب السرير ، وكم حلّيتم بدرر إنشائككم ^(٤) جيد قاضي وعنق
أمير ، وكم روى الإحسان منكم عن نافع وابن كثير ^(٥) .

أما فضائلكم فإنها ملأت الدفاتر ، وأقرّت بالتقصير عنها مآثر البواتر .

وأما تشدّدكم في الدين فقد تقياً الظل من سدرة المنتهى ، وبلغ غاية لم تكن
الشمس في علو المنزلة أختها .

وأما مكارمكم فما عهد الناس مثلها من البرامك ، ولا اجتلوا مثل أقمارها في
الدياجي الحوالك . وكيف لا يجد الناس بكم صفاء الأيام وفي وجودكم لذة ^(٦) العيش ، أم
كيف لا ينشقون أرج الخزامى وبنو مخزوم ريحانة قريش ، فالله لا يُخلي الوجود من
حسناتكم التي تفيد كل بهجة وتحوي من موت الفضائل كلّ مُهْجَة .

بقاؤكم عصمة الدنيا وعزكم ستر على بيضة الأيام منسدل

إن شاء الله تعالى .

(١) يس : ٥٦/٣٦ .

(٢) إشارة من قوله تعالى : ﴿ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾ [يونس : ١٠/٨٠] .

(٣) في الأصل : « تحمل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٤) (خ) : « أنسابكم » .

(٥) من القراء السبعة .

(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) : « لذ » .

وكتبت إليه وأنا بدمشق أتقاضاه وَغداً يَاقطاعُ عند بعض الأمراء لفتاي :
ياسيداً دأبي الثناء المجتبى عليه بالتصريح والرمز
أصبحتُ من جودك أغنى الورى لكنني أحلم بـ————الخبز

وكتبت أنا إليه عند وصولي إلى القاهرة أصف له مشقة كابدناها في الطريق بالرمل وغيره ، ونحن صحبة ركاب الأمير سيف الدين تنكز في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وهو مشتمل على نظم ونثر سقته جميعه في الجزء الحادي عشر من (التذكرة) .

١٩٣٧ - يحيى بن سليمان*

ابن علي ، الإمام العالم محي الدين الرومي الحنفي المعروف بالأسمر .
مدرس المدرسة الركنية ، تولاها^(١) بعد الفقيه الفاضل شمس الدين محمد بن المعلم الحنفي .

وكان شيخاً فاضلاً ، وله حلقة إشغال تفيد الطلبة بالجامع الأموي ، وقرأ عليه جماعة من الفقهاء .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث شهر رمضان سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٩٣٨ - يحيى بن صالح**

ابن عتيق ، القاضي محي الدين الزواوي المالكي .
كان فقيهاً فاضلاً ناب عن القاضي المالكي مدةً بدمشق ثم عزله ثم أعاده .
واستمر إلى أن مات في أوائل شوال سنة عشر وسبع مئة .

* الدرر : ٤١٦/٤ .

(١) يوم الأربعاء رابع عشري جادى الأولى سنة (٧٢٠ هـ) . انظر : البداية والنهاية : ٩٦/١٤ ،

والدارس : ٣٩٩/١ .

** الدرر : ٤١٦/٤ .

١٩٣٩ - يحيى بن عبد الله*

ابن عبد الملك ، الشيخ العلامة البار ، شيخ الشافعية أبو زكريّا الواسطي .
قرأ الفقه والأصليين ، وبرع في الفقه وتخرج به الأصحاب ، ودرّس بالشرابية
بواسط . تفقه على والده وحدّث ببغداد بكتاب (مطالع الأنوار النبوية في صفات
أفضل البرية)^(١) ، وكان يقال هو فقيه العراق في زمانه .

تفقه عليه ابن عبد المحسن ، وشمس الدين محمد بن القاسم الملحمي^(٢) الواعظ ،
والمجد عبد الله بن إبراهيم الدقيقي وغيرهم .

ولله سماع من الفاروئي (صحيح البخاري) بفوت . وأجاز له الشيخ
عبد الصمد^(٣) ، والكمال بن وضّاح^(٤) ، وابن أبي الدينة^(٥) ، وله مؤلف في النسخ
والمسوخ في الحديث وغير ذلك .

توفي بواسط في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة .

١٩٤٠ - يحيى بن عبد الرحمن**

الشيخ المحدث الكاتب المجوّد الحرّ الموسيقار نظام الدين بن النور الحكيم
الجعفري .

كان يكتب طبقه ، ويتقدم بحسن أوضاعه كل من سبقه ، فإذا رأيت خطه في

* الدرر : ٤١٩/٤ .

(١) والكتاب له . انظر : الكشف ١٧١٧/٢ .

(٢) في (س) ، (ق) ، (ط) : « ابن الملحمي » .

(٣) عبد الصمد بن أحمد بن عبد القادر بن أبي الجيش (ت ٦٧٦ هـ) . الشذرات : ٣٥٣/٥ .

(٤) علي بن محمد بن محمد (ت ٦٧٢ هـ) . الشذرات : ٣٣٦/٥ .

(٥) في الأصل : « للدينة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وسلفت الإشارة إليه .

** الدرر : ٤١٧/٤ .

المهاريق أنساك سحر الأحداق وزهر الحدايق ، وكان^(١) له عناية بالحديث ، وسامع القديم والحديث ، قرأ بنفسه ، وأسمع أولاده ، ورحل بهم عن أوطانه ، وفارق أحبائه وبلاده .

وكان موسيقاراً يتقن اللحن والأنغام ، ويقرّ له في هذه الصناعة ربُّها ويخضع له ولو أنه الضرغام ، فإذا أورد لحناً أعرب فيه عن أستاذيته ، وفتن أهل الغرب بمشقيته ، [وسلب عقولهم بمشقيته]^(٢) :

ما كان حين يُغني في مجالسهم إلا نسيم الصبا والقوم أغصانُ

قدم من العراق إلى الشام ، وانتجع بارق الملك الناصر وشام ، وتوجّه إلى الديار المصرية ، وطلب العود إلى دمشق لما عند نفسه الأبيّة من الحرية ، ثم إنّه عاد إلى عراقه وأذكر أوطانه لطيب أعراقه .

ولم يزل هناك يكتب عن الملوك وينظم در^(٣) رسائلهم في السلوك إلى أن انتظم النظام في سلك الأموات وعدّ بعد حياته^(٤) من الرّفات وفات .

وتوفي رحمه الله تعالى في سنة إحدى وستين أو سنة ستين وسبع مئة^(٥) . ورد خبر موته من بغداد .

كان هذا نظام الدين قد وصل من بغداد مع الوزير نجم الدين بن شروين وناصر الدين^(٦) خليفة بن علي شاه^(٧) لما وفدوا على السلطان الملك الناصر .

(١) (خ) : « كانت » .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) ، (خ) .

(٣) (خ) : « للملوك وينظم درر » .

(٤) في الأصل : « وفاته » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) وفي الدرر أنه مات بعد السبعين وسبع مئة . وفي بعض أصوله : بعد سنة سبع وسبع مئة .

(٦) في الأصل : « وناظر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٧) في الأصل : « باشا » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

حكى لي من لفظه قال : دخلنا مصر ، واستقر نجم الدين بن شروين أمير مئة مقدم ألف ، وناصر الدين خليفة طلبه الأمير سيف الدين تنكز من السلطان ، فسيره إليه ، وأعطاه إمرة طبلخاناه في دمشق ، وبقيت أنا عند الأمير سيف الدين قوصون ، إذ طلبني يقول لي : يا شيخ نظام الدين ، قول^(١) لنا ذلك البيشوره ، قول لنا ذلك القول ، قول لنا ذلك الساذج^(٢) الذي لحنته أنت : فقلت أنا في نفسي : متى فترت يا يحيى أداروك هؤلاء مغنياً لا غير ، فطلبت من السلطان العود إلى دمشق ، فجهزني إليها .

ولما ورد من باب السلطان أعطاه الأمير سيف الدين تنكز رحمه الله تعالى مشيخة الربوة ، فأقام بها مدة يُسمع أولاده الحديث ويقرأ بنفسه على الأشياخ إلى أن طلب العود إلى بغداد ، [لأجل أملاكه ، وكان أولاً يكتب الإنشاء عن حكام بغداد]^(٣) ، ولما عاد إليها استمر كذلك وكانت^(٤) الكتب ترد عن حكام بغداد إلى ديوان الإنشاء بخطه .

وكان والده النور حكيماً يطبّ ملوك المغل وغيرهم . وكان نظام الدين يكتب المنسوب ويضع الكوفي والمعلقي^(٥) من أحسن ما يكون وأجوده ، ووضع أشياء بخطه في بيت القاضي شهاب الدين يحيى بن القيسراني ، وهي في غاية الإتقان ، وأراني درجاً قد كتب فيه منازل الحج من بغداد إلى مكة ، وصوّر ذلك ، وشجّره في خرقة كتّان ، وهو من أحسن الأوضاع في التحرير^(٦) والإتقان .

وكان أستاذاً في علم الموسيقى ، له فيه أقوال وأعمال ينقلها عنه أرباب هذا الفن في

(١) (خ) : « قل » ، وكذا في المواضع الآتية .

(٢) البيشورة والساذج مقامات موسيقية .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « المغلي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) : « في غاية التحرير » .

الشام ومصر وكان إذا خلا بن أحب من الأكابر اندفع وغنى من غير آله أشياء غريبة ، سمعته غير مرة^(١) ، وكان ينظم أيضاً .

نقلت من خط الشيخ الإمام العلامة صلاح الدين العلائي قال : نقلت من خط نظام الدين المذكور قوله^(٢) :

أيها المالك الذي زين المُلد
وبجودٍ قد أخجل المُزنَ منه
ما اسم شيء مناسب الأجزاء
مستديرٌ لكونه فلکاً في
عَمَ حيناً مشارق الأرض والغُر
مُنزلٌ غير أَنَّهُ ليس قُرّاً
ذو عيون له قَمٌ وعليه
صيته أن ليس عنه غناء
فتراه طوراً على جبلٍ عا
تارة كالجماد يُلقي على الأر
منة بُرٌّ ومنه بحرٌ وفيه
وهو ركنُ الدنيا وغوثُ البرايا
وحياة النفوس في حلبة السب
فيه نونٌ وأول الاسم ميم

ك بفضلي يسمو على الوزراء
وبعلم يُربي على العلماء
مستطيلٌ إذا سعى في فناء
ه نجوم طوالع في سماء
ب وطاف الدنيا بالاستيلاء
ناً وأياته بلا إحصاء
شاربٌ وهو مفرطٌ بالحياء^(٣)
صوته مطربٌ بغير غناء
لٍ وطوراً يرى بيثر الماء
ضٍ وطوراً يطيرُ وسط الهواء
كل نفسٍ تولدت بسواء
وملاذُ الورى وعون الرواء
ق مبيد الأنام في الهيجاء^(٤)
ألفٌ تَلُوهُ بغير مرأ^(٥)

(١) (س) ، (ق) : « من غير » .

(٢) (س) ، (خ) ، (ق) : « المذكور له » ، والأبيات الآتية ألغز فيها نظام الدين في (ماء) .

(٣) الشارب هنا من شرب الماء .

(٤) في الأصل : « حلبة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) النون : الحوت .

ر وأوفى في خدمة الأنبياء^(١)
عُدَّ في الأولياء والأصفياء
وبرؤياه سن كل سناء^(٢)
ولله ضئلة على نفساء
ين لتخمير طينة الأشياء
ن وإن شئت رابع الخلفاء
مس منه عكس بغير خفاء
ه مع الاعتدال والاستواء
زائد ناقص مريء مرء^(٣)
ناصر قاصر شديد العناء
ر كفيت الروى وشر البلاء
وكتب الشيخ صلاح الدين رحمه الله تعالى الجواب عنه ، ونقلت من خطه :
كونه واسطاً لها بيهاء^(٤)
مشرقاً منه أنجم الجوزاء^(٥)
حاز وصف الزلال عند الصفاء
فلهمذا لم يغدّه بتناء
كل فكر لديه في إعياء
من بيان يعزُّ في الإحصاء
ه تناهت في دقة وخفاء
بمعين من الطف الأشياء

صاحب الأولياء في أول العم
واصطفى كل من تصوف حتى
فبلياه قام بالفرض قوم
كم له منة على كل نفس
واحد في صفاته ثاني اثنين
ثالث إن يعد في عالم الكو
ماله خامس ولكن في الخا
عجب الناس من تناقض ما في
ظاهر طاهر خفي خفي
صاعد نازل أمين خؤون
قابن ما ألغزت يا واحد العص
وكتب الشيخ صلاح الدين رحمه الله تعالى الجواب عنه ، ونقلت من خطه :
يا إماماً حلّى عقود العلاني
قد بدا لغزك اللطيف بديعاً
هو في دقة الهواء ولكن
فهو در والدر في الماء يلقي
نوع الوصف ما لغزت فأضحى
كيف لا واللي تضح بحر
ظاهر لفظه ولكن معانيه
وينابيعه تسح زلالاً

(١) (خ) : « من أول » .

(٢) في الأصل : « فبلياً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٣) المرئي : الذي يرى الناس أنه يفعل ولا يفعل بالنية .

(٤) في الأصل : « كونها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٥) في (س) ، (ق) : « شبه » .

ليست يخفى أني أشرتُ إلى ما ضمن اللغز في أتم جلاءٍ
فابق كنزاً للطالبين مفيداً وألق عزّاً ودمٌ بكل سناءٍ

يحيى بن عبد الرحيم*

الأرمني المعروف بابن الأثير الشافعي .

كان من الفقهاء الباركين ، درّس بمدرسة سيوط سنين كثيرة ، وتولى الحكم بأطفيح
وبمنفلوط وكانت سيرته حميدة ، وهو من بيت علمٍ ورئاسة وجلالة وأصاله .
وتوفي بسيوط في سنة ثمان وسبع مئة رحمه الله تعالى^(١) .

١٩٤١ - يحيى بن عبد الرحيم بن زكير**

يحيى الدين القوصي الشافعي .

كان معتبراً جيّد الإدراك حسن الفهم .

سمع من تقي الدين بن دقيق العيد ، وبدر الدين بن جماعة ، وجلال الدين أحمد
الدشناوي ، وأخذ عنه الفقه ، وأجازه بالإفتاء . ودرّس بقوص سنين كثيرة .

قال كمال الدين الأذفوي : حضرتُ عنده الدرسَ ست سنين أو ما يقاربها ، وكان
درساً مفيداً فيه تحقيق وقلة غلط ، يتقنه ويحرر^(٢) الكلام فيه ، وقرأ النحو والأصول
على جلال الدين ، وتولّى الحكم بقنا ، وناب في قوص ، وكان حميد السيرة محمود
الطريقة ، ولم يعب الناس عليه إلا أنه كان يداوم مسألة الحيلة في المعاملات ، يبيع

* الطالع السعيد : ٧٠٨ ، والدرر : ٤١٧/٤ .

(١) الترجمة أخذها من الطالع السعيد ، وفيه : « ومولده سنة أربع وخمسين وست مئة » .

** الطالع السعيد : ٧٠٩ ، والدرر : ٤١٨/٤ ،

(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « ويحققه ويحرر » .

السجادة ونحوها بألافٍ ويشتريها بما يعطيه في المعاملات التي قررت قبل المعاقدة .
وكان يقول : إذا طُولِبْتُ بها في غَدٍ ^(١) ، قلتُ هذا الشافعي وأصحابه جَوَّزوا ذلك ، وأنا مُقَلِّد .

ولم يزل إلى أن صُودر وأخذ منه مالٌ ، وتضعض وبقي في قوص .
وتوفي رحمه الله تعالى سنة ثمانى عشرة وسبع مئة .

١٩٤٢ - يحيى بن عبد اللطيف *

ابن محمد بن سند ، محي الدين بن سراج الدين التاجر الكارمي .
كان هذا محي الدين لطيفاً ظريفاً غاية في الكرم .
قال كال الدين الأدفوي ^(٢) : لم ترعيني أكرم منه ، عزيز النفس ، يحفظ من النظم
والنثر كثيراً ، وَزَرَ بالين ، وكان له حظ عند السلطان الملك الناصر محمد ، وكان محبوباً
عند الخاص والعام ، صحب جملة ^(٣) من الصالحين ، وكان جماعة من أصحابه يلومونه
على كثرة العطاء والنفقة ، فيقول : قال لي جماعة ممن لهم كشف : تُموت سعيداً :
توفي رحمه الله تعالى بمصر سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة وعمره ستة ^(٤) وأربعون
عاماً .

١٩٤٣ - يحيى بن عبد الوهاب **

ابن عبد الرحيم ، الشيخ الفقيه النحوي تاج الدين الدمنهوري الشافعي .

(١) في الطالع : « في الآخرة » . وقول الأدفوي أخذ مختصراً الصفدي .

* الدرر : ٤١٩/٤ .

(٢) في غير الطالع السعيد .

(٣) (س) ، (ق) : « جماعة » .

(٤) (س) : « ست » .

** الدرر : ٤١٩/٤ ، والبغية : ٣٣٧/٢ .

كان مصدراً لإقراء العربية بجامع الصالح خارج باب زويلة وبالجامع الظافري بالقاهرة ، بلغ السبعين من عمره ، وله مصنفات ، ووقف كتبه بالجامع الظافري .
كان قد غلب عليه التدين والانقطاع .

وتوفي رحمه الله تعالى ثالث عشر جمادى الأولى سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

١٩٤٤ - يحيى بن علي *

ابن تمام بن يوسف بن موسى ، الشيخ صدر الدين أبو زكريا السبكي الشافعي .
هو عم شيخنا العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي .
كان قد ولي قضاء المحلة وعدة مناصب . وروى عن ابن خطيب المزنة ، وسمع منه حفيده قاضي^(١) القضاة تقي الدين أبو الفتح محمد ابن عبد اللطيف^(٢) وغيره .
وكان إماماً عارفاً بأصول الفقه ، ومدرساً بالسيفية ، وتولاها بعده ابن أخيه العلامة تقي الدين .

وتوفي رحمه الله تعالى في حادي عشري صفر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

١٩٤٥ - يحيى بن علي بن أبي الحسن **

ابن أبي الفرج بن طاهر بن محمد ، الشيخ الإمام المسند الفقيه الفاضل المنشئ يحيى الدين بن الحداد الحنفي .

كان ناظماً ناثراً ، قاعداً بفن الترسل ماهراً ، كتب الإنشاء بطرابلس زماناً ، ونال

* الدرر : ٤٢٢/٤ .

(١) (ق) : « أقصى » .

(٢) سلفت ترجمته في موضعها .

** وفيات ابن رافع : ٣٣٧/١ ، والدرر : ٤٢٧/٤ ، وذيول العبر : ٣١٤ .

من طول المدة في عمره أماناً ، إلى أن تخلّى عن المباشرة ، وملّ المصاحبة من إخوانه
والمعاشرة وانقطع بدمشق مقبلاً على شأنه ، عالماً بخيانة إخوانه ، وزمانة زمانه .

ولم يزل إلى أن عُدّ فين أركبته المنايا على الأعواد ، ولم يحمل التطريق ابن
الحداد .

وتوفي رحمه الله تعالى بمنزلة في الكفتين^(١) داخل دمشق بعد العشاء الآخرة ليلة
الاثنين حادي عشري شوال سنة سبع وخمسين وسبع مئة ، ودفن بمقابر الصوفية إلى
جانب الشيخ جمال الدين الحصري الحنفي^(٢) .

ومولده سنة ست وستين وست مئة بدمشق ، وأصله رقي .

وكان قد تولى بالقاهرة نظر القنود^(٣) ، ثم دار الوكالة في سنة سبع عشرة وسبع
مئة ، فلما توفي شمس الدين الطيّبي كاتب الإنشاء بطرابلس تولى مكانه ، وخرج من
القاهرة في أواخر سنة سبع عشرة وسبع مئة .

أخبرني ولده الأمير ناصر الدين محمد ، أحد البريدية بدمشق قال : توجهت مع والدي
إلى عند قاضي القضاة تقي الدين السبكي - رحمه الله تعالى - وقال له وأنا أسمع : إن
والده أحضره إلى الشيخ محيي الدين النواوي - رحمه الله تعالى - بالرواحية وهو أمرد
ليشتغل عليه ، فقال له : هذا صبيّ أمرد ، وأنا مذهبي أن النظر إلى الأمرد حرام
مطلقاً ، ولكن توجه به إلى تاج الدين الفزاري ، فأخذه والده وجاء به إلى الشيخ
تاج الدين وهو يشتغل في الجامع الأموي ، أو كما قال .

وكتب الإنشاء بطرابلس نحواً من أربعين سنة ، وكانت له مباشرات بالشام في
دمشق وبعلبك وحمص وحماة وحلب في غير ما وظيفة من وظائف الديوان .

(١) في الأصل : « الكفتين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

(٢) (ت ٦٣٦ هـ) . الشذرات : ١٨٢/٥ .

(٣) هو عصير قصب السكر عندما يجمد .

وكان قد كتب هو إليّ لما ورد دمشق^(١) :

يا إماماً قد فاق سحبان بل قس
أنت للفضل قبلّة ولأهل الـ
فإذا ما نطقت أفنيت أفكا
وإذا ما وضعت في الطرس خطّاً
وإذا ما نظمت شعراً فللشعـ
وإذا ما نحوت نحواً فمن زبـ
أخجل النظم منك نظم وأودى
أترى أنت عالم بولائي الـ
ليس شكل من الصواب فلو حقّ
وعلى الحالّتين بعدّ وقرب
فكتبت أنا الجواب إليه عن ذلك :

لك مني حمد يفوق وشكر
وولاء عقّدتُ منه لواء
ودعاء حقّ بغير ادّعاء
وثناء أعليت منه بناء
قد تفضّلت بادياً بقريض
فهو ينهل في انسجام ويحلو
لي منه على مدى الدهر سكر
منه طي في الخافقين ونشر
فيه من سرعة الإجابة سرّ
فهو أفقّ نجومه منك زهر^(٢)
كل بيت فيه من الحسن قَصُر
فعلى كل حالة فهو قطر^(٣)

(١) (ق) : « إلى دمشق » .

(٢) في الأصل : « حضر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) : « الحضر » .

(٣) (ق) : « ولم نجم » .

(٤) (خ) ، (س) : « فيك » .

(٥) في (س) ، (ق) : « هو » .

وكان السطور روض مريع والمعاني كأنها فيه زهر
 أنت يا ابن الحداد صغت المعالي لك طوقاً فيه كلامك دُر
 بك قد أشرقت دمشق وتاهت فلها من سناك فجر وفجر
 أنت فيها بحر وقد سبق القول ل ضميري فقلت إنك حبر
 كيف يدعى بالبحر من كل بحر مستمد من فضله مستمر
 فابق في نعمة تفيد البرايا فضل علم يغشاه زيد وعمر

١٩٤٦ - يحيى بن فضل الله *

ابن المجلي بن دعجان ، القاضي الكبير الرئيس محي الدين أبو المعالي القرشي
 العدوي العمري ، كاتب السر السلطاني بالشام ، أولاً ، وبمصر أخيراً .

تقدم ذكر أخيه القاضي شرف الدين عبد الوهاب ، وذكر ولديه القاضي
 شهاب الدين أحمد ، والقاضي بدر الدين محمد [وذكر أخيه بدر الدين محمد] بن فضل
 [الله كل ^(١) منهم في مكانه .

كان سعيد الحركات إذا تحرك ، سديد السكنات ، كأن القدر تكفل له بحسن
 العقبي وتدرك ، متعه الله تعالى بالمناصب والأولاد ، والسعادة التي لها الجبال أوتاداً ،
 فرأى في مناصبه ما لا رآه غيره ، وفي أولاده من السعد ما لم يزجر به لغيرهم طيره .
 وكتب الخط الذي تودّ الرياض لو كانت أوراقه ، والعقود لو نظمت مثل سطره في
 حسن اللباقة . ما اعتقد أنه خدم الترك مثله ، ولا نبت في وادي أغراضهم إلا بأنة
 وأثله ، قد درّب مقاصدهم وألفها ، وفرّع مرامي مراميهم وعرفها ، طال عمره في
 السعادة وخدمته في آخر عمره بالحسنى وزيادة .

* البداية والنهاية : ١٨٣/١٤ ، وفيات ابن رافع : ٥٤/١ ، الدرر : ٤٢٤/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٦/٩ ،
 وبدائع الزهور : ٤٧٥/١/١ .

(١) ما بين حاصرتين في الموضعين زيادة من (س) ، (ق) . وانظر النجوم الزاهرة .

وكان يرعى حقّ من خدمه ، ويعلي كعب صاحبه وقدمه ، ولم يكن فيه لأحد أذى ، ولا رأى غيره من عينه قذى ، منجمّع عن الناس ، لا يجتمع بأحد في مآتم ولا أعراس ، شُغِّلَه بخويصة نفسه ، والاعتزال عن أبناء جنسه . وكان شديد الحزم ، مديد الهمة والعزم :

لا يقرع السنّ للفسّوات ولا يعضّ حرّ البنان من ندمه
يقلّ قدرُ الأنعام عنّه كما يصغرُ جنبُ الزمان في عظمه
ولم يزل على حاله إلى أن انهار به جُرفه ، وتهدّم من عمره شُرفه .

وتوفي رحمه الله تعالى في ثامن شهر رمضان سنة ثمان وثلاثين [وسبع مئة ^(١)] بالقاهرة ، ودفن بالقرافة ، وكانت جنازة عظيمة ، ثم إنّه نقل تابوته إلى دمشق ، ودفن بتربتهم التي في الصاحية في شهر ربيع الأول سنة تسع وثلاثين وسبع مئة ^(٢) .
ومولده سنة خمس وأربعين وست مئة .

وكتبتُ أنا إلى ولده القاضي علاء الدين كاتب السرّ أُرثيه بقصيدة وهي :

يا قاصد الفضل عدّ قد مات مُحْيِيهِ وغاب من كان بين الناس يُبْدِيهِ
وأوحش الدست ذاك لصُدْرٍ حين مضى فطالما كانت الأسرارُ تَأْوِيهِ
كم دبر الملك بالآراء فامتنعت ثغوره وحماء من أعاديهِ
ورقة السمر والبيض الصفاح فما اح تاج الشجاع لأنّ تجري مذاكيهِ ^(٣)
وكم كتاب له أَرْدَى الكتائب لَمْ مآبات في ساحة الديوان يُمْلِيهِ
مهما نسيت فما أنسى توجّعهِ لي من زماني إذ خانت لياليهِ

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) وفي وفيات ابن رافع ٧١٨ : « وفي ليلة الاثنين السابع والعشرين من صفر وصل القاضي يحيى الدين يحيى بن فضل الله ميتاً في تابوت من القاهرة إلى دمشق ، ودفن بتربته عند اليفغورية .

(٣) (س) ، (ق) : « البيض الرقاق » .

ولُطِفَهِ كَلِّمًا وَافِيَتْ جُلُوسَهُ
يَا ذَاهِبًا تَرَكَ الْأَسْمَاعَ مِنْ حَزَنِ
وَمِنْ مَضَى وَالْوَرَى تَدْرِي مُحَاسِنَهُ
أَقْسَمْتُ مَا خَدَمَ الْأَمْلَاقَ مِثْلَكَ فِي
وَلَا يَوْفِي الْأُمُورَ الْبَاهِظَاتِ إِذَا
رَبَّيْتُتُ فِيمَا مَضَى مِنْ دَهْرِنَا دَوْلًا
وَكَمْ وَصَلْتُ لِمَنْ قَدْ بَاتَ مُلْتَجِئًا
يُجْنِي عَلَيْكَ وَلَمْ تُظْهِرْ مَوَازِينَهُ
وَمَا بَرَحْتَ عَظِيمَ الْقَدْرِ ذَا شَرَفٍ
وَقَدْ مَضَيْتَ إِلَى اللَّهِ الْكَرِيمِ وَمَا
قَدِمْتَ فِي مِثْلِ شَهْرِ الصَّوْمِ حَضْرَتَهُ
فَقَرَّ عَيْنًا بِمَنْ خَلَقْتَ مِنْ وَلَدٍ
وَلَمْ يَمِتْ مَنْ بَنُوهُ سَادَةٌ تُجَبُّ
لَا سِيًّا وَعِلَاءُ الدِّينِ ثَالِثُهُمْ
كَفَايَةُ وَوَقَارٍ فِي رَسُوخِ نَهْيٍ
أَمَّا الْكِتَابَةُ فَاسْأَلْ كُلَّ يَانَعَةٍ
أَوِ الْعِبَارَةَ فَاسْأَلْ كُلَّ بَارِقَةٍ
أَوِ التَّرْسُلَ فَاسْأَلْ كُلَّ هَاطِلَةٍ
أَوِ الْخِلَاطِقَ فَاسْأَلْ كُلَّ نَافِحَةٍ
نَظْمٌ كَانَ سَلَفَ الدَّنِّ شَعَشَعَهَا

كَأَنَّمَا نَسَمَاتُ الرُّوْضِ لِي فِيهِ
تَوَدُّ لَوْ أَنَّهَا صُمَّتْ لِنَاعِيهِ
حَتَّى لَقَدْ شَكَرَ اللَّهُ مَسَاعِيهِ
سِرِّ تَبَيُّتٍ مِنَ الْأَعْدَا تَرَاغِيهِ
مَا أَظْلَمَ الرُّشْدَ حَقًّا أَنْتَ تَدْرِيهِ
مِنْ غَيْرِ عَجْزٍ وَلَا كِبَرٍ وَلَا يَتِيهِ
إِلَيْكَ رِزْقًا رَأَى لَا يُوَاتِيهِ
لَأَجَلَ ذَلِكَ تَعْلَمُونَ تَوَاتِيهِ
عِنْدَ الْمَلِكِ الَّذِي جَلَّتْ أَبَادِيهِ
يَضِيعُ مِثْلَكَ ضَيْفًا عِنْدَ بَارِيهِ
بُشْرَاكَ بُشْرَاكَ خَيْرٌ بَتَّ تَجْنِيهِ
فَإِنَّ حَقَّكَ كُلَّ النَّاسِ يَدْرِيهِ
كُلٌّ عَلَى حِدَةٍ يُحْيِي مَعَالِيهِ
يَفُوهَ بِالْمَسْكَ مَنْ أَضْحَى نَسِيهِ
فَمَا أَرَى أَحَدًا فِي ذَا يَوْفِيهِ
مِنْ الْحَدَائِقِ إِنْ كَانَتْ تَحَاكِيهِ
مِنْ الدِّيَا جَرِ إِنْ كَانَتْ تَجَارِيهِ
مِنْ السَّحَائِبِ إِنْ كَانَتْ تَبَارِيهِ^(١)
مِنْ النُّوَّاسِمِ إِنْ كَانَتْ تَضَاهِيهِ
فِينَا ضَحَى وَأَدَارَتَهَا قَوَافِيهِ

(١) في الأصل :

«أَوِ الْعِبَارَةَ فَاسْأَلْ كُلَّ هَاطِلَةٍ مِنْ السَّحَائِبِ إِنْ كَانَتْ تَبَارِيهِ»
وَوَاضِحٌ أَنَّ النَّاسِخَ لَفَقَهُ مِنْ بَيْتَيْنِ ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، (ق) ، (ط) .

وكل سجع لو أن البحر يعرف ما
يا من سردت معانيه وأقسم ما
يأتي به لاستحت منه لآليه
تدري الليالي له مثلاً فتحويه^(١)
إن كان يُنصف لارتقا مآقيه^(٢)
تَنَلُ من الله ما تغدو ترجيه
فأنت أولى بصبر القلب في حزن
ما غير فضلك فينا من يعانيه

ولم أر فمين عاصرتَه مَنْ كَتَبَ النسخ وخرَجَ التَّخاريج والحواشي أحلى ولا أظرف^(٣)
ولا أنق من القاضي محيي الدين بن فضل الله ومن الشيخ فتح الدين بن سيد الناس ،
نعم والقاضي جمال الدين إبراهيم بن شيخنا شهاب الدين محمود ، ولكن القاضي
محيي الدين رعشت يده في آخر عمره ، وارتجت كتابته أخيراً ، ورأيت بخطه (المثل
السائر) ، و (الوشي المرقوم)^(٤) وهما في غاية الحسن .

وأول ما كتب الإنشاء بدمشق في أيام أخيه القاضي شرف الدين عبد الوهاب سنة
إحدى وستين وست مئة ، ثم إنه جهّزه إلى حمص ، فأقام بها سنتين ، وتقل إلى دمشق ،
فأقام مدة ، ثم أعيد إلى حمص وأقام بها قريباً من خمس سنين ، ثم إنه نقل إلى دمشق ،
ولما توجه أخوه إلى كتابة السر بمصر وأقام بها إلى أيام السلطان حسام الدين لاجين
حصل للقاضي شرف الدين استرخاء ، فجهّز^(٥) السلطان أحضر القاضي محيي الدين سنة
سبع وتسعين وست مئة ، فأقام بمصر ينوب عن أخيه تسعة أشهر ، ثم إنه طلب العود
إلى دمشق ، فأعيد إليها .

(١) في (س) ، (ق) : « معاليه » .

(٢) ترقا : مخففة من « ترقأ » ، أي : تجف .

(٣) في الأصل : « أطراف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . ونقل هذا القول ابن تعزي بردي في النجوم ،
وفيه بعض اختلاف عما هنا .

(٤) الوشي المرقوم في حلّ المنظوم لضياء الدين بن الأثير (ت ٦٣٧ هـ) . الكشف : ٢٠١٢/٢ .

(٥) في الأصل : « فحضر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

ولم يزل بدمشق كاتب سر إلى أن حضر السلطان من الكرك إلى دمشق ، وتوجّه إلى مصر سنة تسع وسبع مئة وهو معه ، وعاد إلى دمشق على وظيفته إلى أن حضر أخوه القاضي شرف الدين عوضه بدمشق ، ثم إنه عطل من المباشرة مدة ، وأخذ منه مبلغ مئة ألف درهم ، وبقي مدة بلا خدمة ، ثم رسم له أن يكون موقعاً في الدست قدام الأمير سيف الدين تنكز ، فلبث بعد ذلك إلى أن باشر صحابة ديوان الإنشاء بعد القاضي شمس الدين ابن الشهاب محمود في رابع عشر ذي القعدة سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

وأقام على ذلك^(١) إلى أن طلبه السلطان الملك الناصر إلى مصر ، وولاه كتابة السر بها لما بطلت حركة القاضي علاء الدين بن الأثير ، وطلب معه القاضي شهاب الدين ، وولده^(٢) ، والقاضي شرف الدين أبو بكر^(٣) حفيد شهاب الدين محمود ، فوصلوا إلى القاهرة في تاسع عشر المحرم سنة تسع وعشرين وسبع مئة ، وأعيد شرف الدين إلى كتابة سر دمشق عوضاً عن محيي الدين ، وأقام بالقاهرة مدة إلى سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وكان شرف الدين قد طلع مع تنكز إلى مصر ، فرسم لشرف الدين أن يكون كاتب السر بمصر ، وأن يتوجه القاضي محيي الدين وأولاده مع تنكز إلى دمشق ، وذلك في نصف شعبان من السنة المذكورة ، ولم يلبث شرف الدين في المنصب إلا ريثما حج السلطان وعاد معه ، فرسم لشرف الدين بعوده إلى كتابة سر دمشق ، وطلب القاضي محيي الدين وأولاده إلى مصر ثانياً ، واستمر القاضي محيي الدين على ذلك إلى سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة ، فزاد ضعفه ، وكبرت سنّه ، فطلب من السلطان أن يعود إلى دمشق ليموت بها ، فرسم له بالتوجه إلى دمشق ، وألزم ولده القاضي شهاب الدين بالتوجه معه ، وكتب له توقيع عظيم في قطع الثلاثين بأن يستمر على صحابة الديوان بالممالك الإسلامية ، وأن يكون جميع المباشرين لهذه الوظيفة من بالباب^(٤) فمن دونه

(١) (س) : « على ذلك مدة » .

(٢) في (س) ، (ق) : « ولده » .

(٣) في (ق) : « أبا بكر » .

(٤) في (س) ، (ق) : « بالباب الشريف » .

نوابه ، وأنه حيث حلّ يقرأ القصص والمظالم والولايات والعزل والرواتب وغير ذلك ، ويوقع فيما يراه ^(١) ، وتجهز إلى مصر ليُعلم عليها العلامة الشريفة ، ورسم بعود أولاده معه خلا القاضي علاء الدين فإنه كان في صحابة ديوان الإنشاء الشريف بمصر .

وتجهز القاضي يحيى الدين وجماعته للسفر ، وشدّت الحفة على البغال لتدمن على حملها ، ولم يبق إلا سفره ، فأثقل في المرض ، وانقطع جملة كافية . فلبث أياماً قلائل ، وتوفي في التاريخ المذكور .

ولم أر في عمري من نال سعادته في مثل أولاده وأملاكه ووظائفه وعمره ، وكان السلطان قد بالغ أخيراً في احترامه وتعظيمه ، وكتب له في أيام الأمير سيف الدين الجاي الداودار توقيعاً بالجناب العالي ، فقبل الأرض واستغنى من ذلك وكشطها ، وقال : ما يصلح للمتعمم أن يُعَدَى به المجلس العالي ^(٢) .

وأجاز لي بخطّه في القاهرة سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

١٩٤٧ - يحيى بن محمد بن علي *

ابن زيد بن هبة الله رشيد الدين أبو طالب ، الفقيه الحنفي ، الأديب الشاعر . حدث بشيء من شعره ، ورواه ولده أبو المحاسن يوسف والفقيه ^(٣) ظهير الدين علي بن عمر الكازروني وابن الغوطي .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة إحدى وسبع مئة .

ومن شعره :

(١) (ق) : « ويوقع فيها بما يراه » .

(٢) نقله ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة عن الصفدي .

* الدرر : ٤٢٧/٤ .

(٣) في الأصل : « ابن الفقيه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

إن كنتَ من أهل الصباية والجوى فاسمُ ولا تبخل بنفسك في الهوى
من لا يذلّ لمن يحبّ فحظّه من حبه إما الصدود أو النوى
فاخضع له إن شئت عزّة قربه فلقد هديت ، فلا تكن ممن غوى

١٩٤٨ - يحيى بن محمد بن علي *

ابن أبي القاسم ، يحيى الدين ابن العدل بدر الدين العدوي الدمشقي ابن السكاري .

مولده سنة إحدى وخمسين وست مئة ^(١) .

وتوفي بدمشق في سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، ودفن بمقبرة باب الفراديس .
فاق في كتابه الشروط وسمع الحديث من جماعة ، وتزوج بقريب من ^(٢) المئة امرأة .

١٩٤٩ - يحيى بن محمد بن سعد **

ابن عبد الله بن سعد بن مفلح ، الشيخ الإمام الصالح المعمر ، مسند وقته
سعد الدين أبو زكريا ابن صاحب البليغ شمس الدين الأنصاري المقدسي الصالحي
الحنبلي .

سمع حضوراً في الثالثة من ابن اللقي ، وسمع في الخامسة من جعفر الهمداني ، واسمه
في الطباقي عليها « سعد » ، وبه يسمى أيضاً ، ما كان له أخ واسمه سعد ، وسمع من
أبيه ، والشرف المرسي ، والكفرطايي ، وابن عبد الدائم ، وجماعة ، وأجاز له ابن

* الدرر : ٤٢٨/٤ .

(١) في الأصل : « وسبع مئة » سهو .

(٢) ليست في (ق) .

** البداية والنهاية : ١٠١/١٤ ، والدرر : ٤٢٦/٤ ، والشذرات : ٥٦/٦ ، وذيول العبر : ١٢١ .

روزبه ، والقطيعي ، والأنجب الحمّامي ، وابن صباح الخزومي ، وعلي بن مختار العامري ، وعبد المحسن السطحي ، وأبو القاسم ابن الصفراوي ، وخلق كثير .

وتفرّد في وقته وروى الكثير على سدادٍ وخير ، وتواضع وحضور ذهن ، وحسن خلق ، وأكثر عنه ولده المحدث شمس الدين ^(١) .

وتوفي رحمه الله تعالى في رابع عشري ذي الحجة سنة إحدى وعشرين وسبع مئة . ومولده سنة إحدى وثلاثين وست مئة .

١٩٥٠ - يحيى بن محمد بن عبد الرحمن *

القاضي الرئيس جمال الدين بن الفويرة ، تقدم ذكر ولديه علاء الدين علي والشيخ بدر الدين محمد الحنفي في مكانيهما .

كان القاضي جمال الدين رئيساً في نفسه ، يتودّد إلى الناس ، ويخدمهم ، ويتجمل معهم .

توفي رحمه الله تعالى في أول جمادى الأولى سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

١٩٥١ - يحيى بن مصطفى **

الأمير جمال الدين ، أحد الأمراء العشرات بدمشق ، ابن الأمير زين ^(٢) الدين مصطفى البيري .

كان شاباً طوالاً حسن الوجه والقامة ، فيه خيرٌ ودين ، يلازم صلاة المغرب بالجامع الأموي .

(١) محمد (ت ٧٥٩ هـ) ، وسلفت ترجمته في موضعها .

* الدرر : ٤٢٧/٤ .

** لم نقف على ترجمة له .

(٢) في الأصل : « بدر الدين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

ولم يزل على طريقة جيدة ، إلى أن توفي رحمه الله تعالى في أواخر شهر رجب الفرد سنة سبع وخمسين وسبع مئة .

وكان كَمَا^(١) ، بقل عذاره ، تألم له والده والناس أيضاً .

١٩٥٢ - يحيى بن يوسف*

ابن أبي محمد بن أبي الفتوح ، الشيخ المعمر المسند شرف الدين أبو زكريا المقدسي ثم المصري .

روى شيئاً كثيراً بالإجازة من ابن رواج وابن الجوزي والمرسي والمنذري وغيرهم ، وأكثر عنه شهاب الدين أحمد بن أيبك الدمياطي ، والقاضي تقي الدين أبو الفتح السبكي وأقاربه ، وشمس الدين محمد [بن علي]^(٢) بن أيبك السروجي ، وكانت الإجازة قد أخذها له أخوه يحيى الدين محمد النحوي^(٣) .

وكان شيخاً حسناً لابأس به ، يتعاسر في التحديث .

توفي رحمه الله بمصر سنة سبع وثلاثين وسبع مئة عن نيف وتسعين سنة .

١٩٥٣ - يحيى الملك**

إمام الدين البكري القزويني ، صاحب الديوان بالعراق .

توفي رحمه الله تعالى بالحلّة سنة سبع مئة ، ونقل إلى بغداد ، ودفن بمدرسته بدرب فراشا ، وتولى بعده ابنه افتخار الدين مكانه .

(١) الكم : وعاء الطلع وغطاء النور .

* ذبول العبر : ١٩٧ ، والدرر : ٤٢/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣١٤/٩ ، والشذرات : ١١٦/٦ .

(٢) زيادة من (س) ، (ق) .

(٣) سلفت ترجمته في موضعها .

** لم تقف على ترجمة له . وفي الأصل : « يزداد الملك » ، سهو .

١٩٥٤ - يزداد *

الأمير سيف الدين أحد أمراء الطبلخانة بدمشق .
توفي رحمه الله تعالى تقريباً في شهر رجب سنة سبع وأربعين وسبع مئة .

١٩٥٥ - يعقوب بن إبراهيم **

الشيخ الفقيه شرف الدين ابن الشيخ الإمام صدر الدين ابن الشيخ عجي الدين
أحمد بن عقبة بن هبة الله بن عطاء بن ياسين بن عبد الله بن زهر البصروي ثم
الصالحي .

سمع شيئاً من (مسند) الإمام أحمد بن حنبل على الشيخ شمس الدين بن أبي عمر
والشرف السراج .

وكان فقيهاً ، وله شعرٌ ، وفيه خيرٌ ودينٌ وصلاح ، وكان قائماً بعياله .

توفي رحمه الله في مستهل شعبان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده في خامس عشري شعبان سنة اثنتين وأربعين وست مئة .

١٩٥٦ - يعقوب بن عبد الكريم ***

الرئيس الكبير صاحب شرف الدين ناظر حلب وطرابلس .

كان رئيساً نبيلاً ، سؤوساً جليلاً ، سمح اليد ، لا يبالي بما وهب ، ولا يفكر في
الدهر أنام عنه أم تيقظ له وهبٌ ، يتلقى الواردين عليه بالإحسان ، ويكرمهم
بكرامتي اليد واللسان .

* الدرر : ٤٢٢/٤ ، وفيه : « يزداد يحيى الذي تقدّم » ، ووقع في الأصل : « يعقوب » ، سهو ، وأثبتنا

ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

** الدرر : ٤٢٣/٤ .

*** الدرر : ٤٣٤/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٨٠/٩ .

وكان يخدم الأمير سيف الدين تنكز وحاشيته وجماعته وغاشيته وكان يرعاه إذا ورد من دمشق أو صَدَرَ ، ويكرم نزله إذا صعد أو انحدر .

وقضى في حلب سعادةً عظمى ، وأياماً نظمها الدهر في سلك السرور نظماً ، وتنقّل منها إلى بلد طرابلس مراتٍ ، والتقى من حروب الزمانِ كراتٍ ، وطُلبَ إلى مصرَ غير مرة ، وعاد منها ووجوه عداه مغبرةً .

يلاقي العدا بالقسم ، والوفد بالغنى ، وحُسادَه بالكبت ، والداء بالحسم
خبيرٌ بأخلاقِ الزمانِ يروضها بلينِ الهوينى أو بعارِضةِ الحزم
وكان يحبُّ الفضلاء ، ويقربُّ النبلاء .

ولم يزل على حاله إلى أن جفّت موادُّ لهواته ، وأكمل مدة حياته .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في إحدى الجُمادَيَيْن سنة تسعٍ وعشرين وسبع مئة بحماة .

كان أولاً مباشراً نظر الجيش بحلب قبل عود الناصر من الكرك إلى دمشق ، ثم إنه توجه إلى طرابلس^(١) سنة اثنتي عشرة وسبع مئة . ثم إنه تولى نظر حلب ، فأقام بها في سعادة ورياسة وسيادة إلى أن عُزِلَ في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

وتوجّه إلى نظر طرابلس فأقام بها إلى سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، ثم إنه عاد إلى نظر حلب ، ثم إنه نقل إلى نظر طرابلس فأقام بها دون السنة ، ومرض وتعلّل ، فتوجّه إلى حماة ليتداوى بها ، وأقام بها مدةً عليلًا ، وكان صاحب حماة الملك المؤيد يعوده ويزوره ويصله ، ولما مات مشى في جنازته ، وكان يخدمه لما عليه من الخدمة والمكارمة .

(١) - في (س) ، (ق) : « إلى نظر طرابلس » .

وفيه يقول جمال الدين بن نباتة^(١) :

قَالَتِ الْعَلِيَا لِمَنْ حَوَّلَهَا سَبَقَ الصَّاحِبُ وَاحْتَلَّ ذُرَاهَا
فَدَعُوا كَسْبَ الْمَعَالِي إِنَّهَا حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا

وكتب إليه شهاب الدين أحمد بن المهاجر^(٢) يهنيه بقدمه إلى حلب بعد القاضي جمال الدين ابن ريان ، ومن خطه نقلت :

أَبَدْتُ سُرُوراً وَهَذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ وَكَيْفَ لَا وَقَدُومُ الصَّاحِبِ السَّبَبُ
وَأَسْفَرْتُ مِنْ مَحِيَا الْبِشْرِ عَنْ حَسَنِ لَهُ إِذَا مَا انْتَهَى مِنْ وَصْفِهِ حَسَبُ
وَأَقْبَلْتُ تَتَهَادَى مِنْ غَلَائِلٍ فِي تِيهِ حَكَتْ أَنْ مِمَّنْ حَاكَهَا الطَّرْبُ
تَقُولُ لِلْبَرْقِ إِذْ تَفْتَرُ بِاسْمَةٍ «لَقَدْ حَكَيْتَ وَلَكِنْ فَاتَكَ الشَّنْبُ»^(٣)
وَتَشْدُ الدُّوْحَ إِذْ تَهْتَرُ نَاسِمَةٍ بَيْنِي وَبَيْنَكَ يَادُوحَ الْحَمَى نَسَبُ
لَكَ الْبِشَارَةُ يَا شُهْبَاءَنَا فَلَقَدْ أَمْسَى وَأَصْبَحَ مِنْ حَسَادِكَ الشَّهْبُ
لَقَدْ عَلَوْتَ بِهِ قَدْرًا وَلَا عَجَبُ فَإِنَّهُ رَجُلٌ تَعْلُو بِهِ الرَّتْبُ
يَكْفِيكَ مِنْ ذِي الْمَعَالِي أَنْ مَنْصِبِهِ قَدْ زَالَ عَنْهُ الْعَنَا وَالْبُؤْسُ وَالنَّصَبُ
وَأَنْ مَجْلِسَهُ الْمَأْنُوسَ مِنْهُ زَهَا رَوْضًا فَاضًّا إِلَيْهِ الْحُسْنُ يَنْتَسِبُ
مَا غَابَ عَنْهُ جَمَالٌ مِنْ حَوَى شَرَفًا «إِلَيْهِ آلُ التَّقْصِي وَانْتَهَى الطَّلَبُ»^(٤)

(١) البیتان لیساً فی دیوانه ، وأوردھا ابن تغری بردي فی النجوم : ٢٨٠/٩ .

(٢) أحمد بن عبد الله ، سلفت ترجمته فی موضعها .

(٣) عجز بیت لابن الخبیبی محمد بن عبد المنعم ، صدره :

یا بارقاً بأعالي الرقتین بدا

وقد سلفت ترجمته وقصة القصيدة .

(٤) عجز بیت هو مطلع قصيدة ابن الخبیبی التي سلفت الإشارة إليها ، صدره:

یا مطلباً لیس لی فی غیره أرب

١٩٥٧ - يعقوب بن مظفر*

ابن مزهر ، صاحب شرف الدّين . هو أخو القاضي فخر الدّين أحمد بن مظفر .
 كان صاحب شرف الدّين من أشياخ الكتّاب المعروفين بالنهضة والكفاية ،
 كثير^(١) البرّ لأهله وأقاربه ومن يلوذ به ، وكان المباشرون يخافونه ويخشون منه .
 باشر النظر بدمشق وحلب وطرابلس وصفد وغير ذلك من المناصب .
 توفّي - رحمه الله تعالى - بحلب في شعبان ثامن عشرة سنة أربع عشرة
 وسبع مئة .
 ومولده بنابلس سنة ثمان وعشرين وست مئة .

وكان وصوله إلى حلب في هذه المرة ناظر الدواوين بها في مستهل شعبان ، فأقام
 بها ثمانية عشر يوماً وتوفّي رحمه الله .

١٩٥٨ - يعقوب**

الأمير محيي الدّين ابن الملك الأشرف عبد الحق ابن السلطان الملك الصالح
 عماد الدّين إسماعيل ابن السلطان الملك العادل أبي بكر بن أيوب .
 كان جندياً وله إقطاع وعدة أولاد ، وعليه ديون كثيرة ، وكان يحفظ شعراً
 كثيراً .

وتوفّي بالمرّة ظاهر دمشق في ثامن ذي الحجة سنة ست وعشرين^(٢) وسبع مئة .

* تالي وفيات الأعيان : ١٧٧ ، والدّرر : ٤٣٦/٤ ، وذيل العبر : ٧٨ .

(١) (ق) ، (س) : « وكان كثير » .

** الدّرر : ٤٣٣/٢ ، وفيه : « مجد الدّين » .

(٢) وفي الدّرر : « سنة سبع وعشرين » .

١٩٥٩ - يلبسطي *

الأمير سيف الدين .

لما توفّي الأمير سيف الدين بلبان البدريّ نائب حصّ عيّن الأمير سيف الدين يلبسطي المذكور للنيابة^(١) ، وخلع عليه في خامس عشر ذي^(٢) القعدة سنة سبع وعشرين وسبع مئة ، وتوجه إليها وأقام بها .

١٩٦٠ - يلبغا **

الأمير الكبير سيف الدين يحيوي الساقى الناصري نائب حماة وحلب ودمشق ، ابن الأمير سيف الدين طابطا ، وقد تقدم ذكره في حرف الطاء .

كان جميل المُنحيا ، قد طال رِيّاً وطاب رِيّاً ، بشعر يفتُر عن أقحوانه ، وقوام يَهزُّ منه رَحاً لدناً ، غلُطتْ ، بل غصن بانه ، كريم السّجايا والأخلاق ، عديم النظر في مجموع محاسنه على الإطلاق ، لا يكاد يمنع سائله ولا يرد وسائله ، هذا إلى إقدام زَلَّتْ^(٣) عنه الأقدام ، وشجاعة يَرُدُّ عنها عنترة بوجه دام :

| | |
|-------------------------------|---|
| قمر يَروُقك في سحاب بنودِه | ضحك السيوفِ مِنَ البروق الخَلَبِ |
| طبَّ بأدواء الممالك راضها | بندی يدِ سَمحِ وسيفِ مقضبِ ^(٤) |
| ذو سطوة تَسَعُ البُغاة وتحتها | حلمٌ يَفِيضُ على المَسيء المَـذنبِ |
| بِسامحةٍ وحماسةٍ قد بيّنا | أنّ ليس يَمْنَعُ مَهْلِكٌ من مطلبِ |

* لم نقف على ترجمة له .

(١) (ق) ، (س) : « للنيابة المذكورة » .

(٢) (ق) ، (س) : « عشري » .

** تحفة ذوي الألباب : ٢٦٣/٢ ، والبناية والنهاية : ٢٢٢/١٤ وما بعدها ، والدُّرر : ٤٣٦/٤ ، والنجوم :

١٨٥/١٠ ، وإعلام الوری : ١٩ ، وولاية دمشق في عهد المماليك : ١٨٨ .

(٣) (ق) ، (خ) : « تزل » .

(٤) هذا البيت ليس في (خ) .

خرج على الملك الكامل ، ورماء بالذلّ الشامل ، وأراد أن يفعل مثلها بالمظفر ، فخرّ صريعاً لليدين وللنم^(١) وقد تعفّر ، وكان يظن الثانية مثل الأولى ، فعادت صحيفات العيون من أمانيه حولاً ، وحزّ رأسه عن جسده وما نفعه متّقف سمره ولا موضوع^(٢) زرده .

وكانت قتلته بقافون^(٣) في العشر الأواخر من جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

كان الأمير سيف الدين يلبغا من أكبر الأمراء الخاصكية ، ولم يكن عند أستاذه الملك الناصر محمد أعزّ منه ، وكانت الإنعامات التي تصل إليه لم يفرح أحد بمثلها^(٤) ، يطلق له الخيل بسروجها وعددها وآلاتها : الزركش والذهب المصوغ في سروجها مرصعاً بالجواهر الثمينة خمسة عشر خمسة عشر فرساً ، والأكاديش من الجشار^(٥) مئتين مئتين ، وتجهّز إليه التشاريف : الأطلس والحوايص الذهب والطرز الزركش وغير ذلك من التشاريف التي يحتاج هو إلى أن يعطيها من عنده لمن يحضر إليه ذلك .

حكى لي الحاج حسين أستاذداره قال : جرى يوماً بين يدي السلطان ذكر عشرين ألف دينار ، فقال يلبغا : والله يا خوند أنا عمري ما رأيت عشرين ألف دينار ، فلمّا خرج من عنده ، طلب القاضي شرف الدين النشوناظر الخاص وقال : أحضر إليّ الساعة خمسة وعشرين ألف دينار ، وخمسة تشاريف أطلس أحمر وطرزها وكلوتاتها

(١) يشير إلى قول الشاعر :

تناوله بالمرح ثم اتى له فخرّ صريعاً لليدين وللنم

وسلفت الإشارة إليه .

(٢) الموضونة : الدرع المنسوجة .

(٣) في الأصل : « بفاقون » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، وقد سلف ذكرها .

(٤) (س) ، (ق) : « غيره بمثلها » .

(٥) في الأصل : « والأكادش » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والتحفة . والجشار : ما يساق مع الجيش من

خيل وبقر وسوى ذلك .

وحوايصها ، فلما حضر^(١) ذلك قال : احمل التشاريف إلى عند يلبغا ، وقل له : إذا جاء الجمدارية بالذهب اخلع عليهم التشاريف^(٢) ، وطلب خمسة جمدارية وحمل كل واحد منهم خمسة آلاف دينار ، وقال : توجّهوا بهذا الذهب إلى يلبغا ، فأحضروها ، وخلع هو عليهم تلك الخلع ، وبني له الإصطبل الذي في سوق الخيل تحت القلعة ظاهر القاهرة ، ولم يُعمر قبله مثله ، وأنفق عليه ما لا يعلمه إلا الله تعالى ، وكان مهندس الصنّاع^(٣) فيه بنفسه ، ولمّا فرغ مدّ فيه سباطاً عظيماً ، وخلع على أمراء الدولة تشاريف وخيولاً . وبالجملّة فكانت إنعاماته عليه وإطلاقاته له خارجة عن الحد .

وكان هو والأمير سيف الدّين ملكمتر الحجازي قد توليا تمريض السلطان لمّا مات . ثم إن يلبغا سأل في أيام الصالح إسماعيل أن يكون نائب حماة ، فأجيب إلى ذلك ، وجاء إليها عوضاً عن الأمير علاء الدّين الطنبغا المارداني ، وتوجه المارداني إلى نيابة^(٤) حلب عوضاً عن الأمير سيف الدين طقزتمر ، وجاء طقزتمر إلى نيابة دمشق ، وذلك في سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

ولمّا مات الأمير علاء الدّين الطنبغا المارداني في حلب ، رسم للأمير سيف الدّين يلبغا بنيابة حلب ، ولما ملك الملك الكامل طلب طقزتمر من دمشق إلى مصر ليكون لها^(٥) نائباً ، ورسم للأمير سيف الدّين يلبغا بنيابة دمشق ، فدخل إليها يوم السبت ثاني عشر جمادى الأولى سنة ست وأربعين وسبع مئة^(٦) ، وتوجه الأمير سيف الدّين أرقطاي إلى حلب نائباً ، وأقام يلبغا الحيوي على حاله بدمشق ، وأرجف الناس كثيراً بأن الملك الكامل يريد إمساك يلبغا ، وذلك بعد إمساك الأمير سيف الدّين [آل ملك

(١) في (س) ، (ق) والتحفّة : « حضر » .

(٢) في (س) ، (ق) والتحفّة : « هذه التشاريف » .

(٣) زيادة من (س) ، (ق) : « وكان هو .. » . وفي التحفّة : « وكان هو مهندس العبارة » .

(٤) ليس في (خ) .

(٥) في الأصل : « لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) : « بها » .

(٦) البداية والنهاية : ٢١٧/١٤ .

وسيف الدّين ^(١) قماري ، فاستوحش الأمير سيف الدّين يلبغا من ذلك ، وبرّز إلى الجسورة ^(٢) بظاهر دمشق في خامس عشر جمادى الأولى سنة سبع وأربعين وسبع مئة ^(٣) ، وأقام هناك أياماً ، وحضر إليه الأمير حسام الدّين البشمقدار نائب حمص ، والأمير سيف الدّين آراق نائب صفد ، والأمير سيف الدّين أسندمر نائب حماة ، والأمير بيدمر البديري نائب طرابلس ، واجتمع الكل عنده بظاهر دمشق ، وعسكر دمشق جميعه ، واجتمعوا وأجمعوا على خلع الكامل ، وظاهره بالخروج عليه ، وكتبوا إليه مطالعة بذلك ، فكان ما كان من أمر الكامل ، على ما مر ذكره في ترجمته ^(٤) .

ولمّا تولّى الملك المظفر حاجي أقر سيف الدّين يلبغا على حاله في نيابة دمشق وجعل ابنه أمير محمد أميراً بطبلخاناه ، وأعطى ذواداره الأمير عزّ الدّين طقطاي بطبلخاناه ، وعمر يلبغا قبة النصر عند مسجد القدم مكاناً كان قد برز إليه ، وكان قد عمّر قبل ذلك القيسارية التي هي برّا باب الفرج ، وعمر الحمامين اللذين بحكر العنابة برّا الجابية بدمشق ، وشرع في عمارة الجامع الذي بسوق الخيل على نهر بردى في أول سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ^(٥) .

وفي ثامن عشري شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربعين وسبع مئة ورد إليه الخبر على البريد ^(٦) على يد الأمير شمس الدّين آقسنقر المظفري ^(٧) أمير جاندار بكتاب من

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : (س) ، (ق) : « الجسور » ، وأثبتنا ما في التحفة والبداية .

(٣) البداية والنهاية : ٢١٨/١٤ .

(٤) المصدر السابق : ٢١٩/١٤ .

(٥) انظر في آثاره : أمراء دمشق في عهد المالك : ١٩١ وما بعدها .

(٦) قوله : « على البريد » ، ليس في (خ) . وفي (ق) : « في البريد » .

(٧) في الأصل : « المظفر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

السلطان الملك المظفر بإمساك الأمراء الستة الذين تقدم ذكرهم في ترجمة الأمير شمس الدين آقسنقر الناصري ، وفيه إعلامه بالواقعة وإطابة خاطره وتسكينه . فكتب الجواب بالدعاء للسلطان وجَهَّز أستاذداره سيف الدين أشتقتر معه ، واستوحش يلبغا من هذه الواقعة كثيراً ، واستدعى أمراء دمشق بعد ذلك بيومين ، وهو في دار السعادة ، وعرفهم ماجرى ، وكتب إلى نواب الممالك بالصورة ، وجَهَّز الأمير سيف الدين ملك أص إلى حماة وحمص وحلب ، وجَهَّز الأمير علاء الدين القاسمي ^(١) إلى طرابلس . وجاءه ليلة الجمعة من زاده وحشة فلم يصبح له بدار السعادة أثر غير نسائه ، وانتقل إلى القصر الأبلق ^(٢) ، ونزل والده وإخوته وألزامه ومن معه من ممالিকে بالميدان ، وكان يركب وينزل إلى يوم الأربعاء ، فجاءه الأمير سيف الدين آراي أمير آخور بكتاب السلطان الملك المظفر يطلبه إلى مصر ليكون رأس أمراء المشور ، وأن نيابة الشام قد أنعم بها على الأمير سيف الدين أرغون شاه نائب حلب ، وقال سيف الدين آراي ذلك بغمة ^(٣) للأمراء دمشق ، فتحللت عنه العزائم ، وفلّت ^(٤) الآراء ، فتجهز وطلع إلى الجسورة ثانياً على العادة التي فعلها في السنة الماضية ، وكان ذلك بعد العصر خامس عشر جمادى الأولى ، وأقام إلى بعد الصلاة من يوم الجمعة سادس عشر جمادى الأولى ^(٥) ، وكانت اللطفات قد جاءت من السلطان إلى أمراء دمشق بإمساكه في عشية الخميس ، فأنزّلوا الصنّجق السلطاني من القلعة ، واجتمع عسكر دمشق تحته ، ولمّا علم بذلك ^(٦) ركب بسلّاحه في جماعته . ولمّا عاين أوائلهم هرب ^(٧) بمالিকে وأهله ، وهرب معه أيضاً

(١) في الأصل : « القاضي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) البداية والنهاية : ٢٢٢/١٤ .

(٣) في الأصل : « نعمة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والتحفة .

(٤) في الأصل : و (خ) : « قلت » ، وأثبتنا ما في (ق) .

(٥) البداية والنهاية : ٢٢٢/١٤ .

(٦) في الأصل : « ذلك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٧) (خ) : « ركب » .

الأمير سيف الدين قلاوون^(١) ، والأمير ناصر الدين بن جق^(٢) ، وتبعه الأمير علاء الدين بن طغريل^(٣) أمير حاجب ، والأمير شهاب الدين بن صبح وغيرهما من عسكر دمشق ، وعادوا بعد ما أوصلوه إلى ضمير ، وقتل من العسكر جماعة .

ثم إن الأمير فخر الدين أياز نائب صفد وصل بعسكر صفد إلى دمشق في بكرة الأحد ثامن عشر جمادى الأولى^(٤) ، وخرج العصر بعسكر دمشق أيضاً وصفد وتوجه بهم إلى حص وجدوا^(٥) ، وكان العرب قد أنكوه ومنعوا منه الماء ، واقتطعوا بعض نقله^(٦) ، وجد في طلبه سلاّر بن تتر البدوي^(٧) وأخوه بُريد ، ومنعوه النوم والقرار ، وكلّ هو من معه ، وملّوا من حمل السلاح ليلاً ونهاراً ، وحَمَي الحديد عليهم ، وعانوا الهلاك ، واختلف مماليكه عليه ، فقال لهم : بالله وسطوني أو اضربوا عنقي . كل هذا وهم ما بين القريتين إلى أمهين وصدد^(٨) ، ولمّا سمعت ذلك قلت :

تفرّق شملُ السعدِ عن يلبغا وقد بغى وغدا في عكسِه متورّطاً
فقالَ له السيِّفُ الذي شدَّ وسطه وقد بالغَ الأعرابُ في الجورِ والسُّطّا
تلذّذَ بقتلِ فيه للنفسِ راحةً وإن رُمّتْ أهنأ العيشِ فابغِ توسُّطاً^(٩)

وقال له مماليكه : أنت قلت لنا إن نائب حماة معك ، توجه بنا إليه ، فلم ير إلا المطاوعة ، فعبّر على ظاهر حص وتوجه إلى حماة ، فخرج إليه الأمير سيف الدين قلاطيجا المحوي النائب بحماة ، فتلقاه ودخل به إلى حماة^(١٠) ، ثم إنه أمسكه وأمسك والده

(١) سلفت ترجمته . وفي التحفة والدُّرر : « قلاوون » .

(٢) في التحفة : « محمد بن جق » .

(٣) في التحفة : « علي بن طغريل » .

(٤) البداية والنهاية : ٢٢٢/١٤ .

(٥) قوله : « وجدوا » ليس في (ق) ، (خ) .

(٦) (خ) : « نقله » .

(٧) في الأصل : « التبريزي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٨) أمهين وصدد : من قرى حص .

(٩) في الأصل : « فبه توسطاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، وهذا البيت خلت منه التحفة .

(١٠) في الأصل : « جماعة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

وأخويه قراکز وأسندمّر ، وعز الدّين^(١) طقطاي الدوادار وسيف الدّين جوبان وقلاوون ومحمد بن جحق ، وقَيّدهم وجَهّز سيوفهم إلى السلطان . ثم بعد ذلك جَهّز الأمير سيف يلبغا ووالده مقيّدَيْن إلى مصر ، فلما وصلا إلى قاقون تلقّاهما الأمير سيف الدّين منجك ، فأطلعه إلى قلعة قاقون هو ووالده وحبسهما^(٢) في بيتين منفردين ، ثم أنزل والده من قلعة قاقون ، وجَهّز وحده^(٣) على البريد إلى السلطان ، وطلع إلى الأمير سيف الدّين يلبغا مشاعليّان ، فأحسّ بذلك ، وسألها الوضوء وصلاة ركعتين ، ولما فرغ من ذلك قال لها : بالله هَوّناها عليّ . فقالا له : يا خوند إن أردت ذلك فدعنا ندير كتافك ، فكُنّهما من نفسه ، وخنقاه ، فسمع الناس شهقته من أسفل القلعة . ثم إنّه حَزَّ رأسه وجعل في غسل ، وجَهّز إلى باب السلطان ، ثم دفنت جثته بقاقون ، رحمه الله تعالى وسامحه وعفا عنه ، وذلك في العشر الأواخر من جمادى الأولى^(٤) في السنة المذكورة .

وقلت أنا في ذلك :

إنّ في يلبغا لكلّ لبیب عبرة أصبحت على السّدهر تُتلى
ما تساوى العزّ الذي قد رآه في دمشق بذلّ قاقون أصلا
وقلت أيضاً :

ألا إنّما الدنيا غرورٌ وباطلٌ فطوبى لمن كفّاه منها تفرّغا
وما عَجَبِي إلّا لمن بات وإثقا بأيام دهرٍ مارعت عهد يلبغا^(٥)

(١) في الأصل : « وأسندمر وجهزم أسندمر وعز الدّين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٢) (خ) : « فأطلعهما إلى قلعة ... وحبسهما » .

(٣) ليست في (خ) .

(٤) (خ) : « من » .

(٥) في الأصل : « بأيام عهد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) ، والتحفة .

ثم إن الأمير سيف الدين منجك وصل إلى حماة ، وجهاز إخوة يلبغا وجماعته الذين أسكوا مقيدين إلى باب السلطان .

وخلف الأمير سيف الدين يلبغا اثني عشر ولداً ، أكبرهم أمير محمد وعمره تقدير سبع سنين ، وكان له زوجتان : أخت صفار وأخت بززار ، وكان يحبها كثيراً ، وأم محمد وهي أخت الخوند أردو .

وكان يتلو القرآن جيداً ، ويلتزم تلاوته في المصحف ، ويحب أهل القرآن ويحب السهم ، ويحب الفقراء . ولم يكن فيه شر ولا انتقام . وقبل خروجه من دمشق أحضر^(١) إليه قاضي القضاة تقي الدين السبكي الشافعي إلى القصر ، ووقف أملاكه وخص الجامع الذي أنشأه بدمشق بمبلغ ستين ألف درهم في كل سنة من صلب ماله ، رحمه الله تعالى . ومضى كأن لم يكن .

ولم أر مثلاً ماناله من السعادة التي فاضت عنه على والده ووالدته وإخوته وأقاربه ومماليكه ، لأن والده كان أمير مئة مقدم ألف ، وأخواه أمير طبلخاناه ، وولده أمير طبلخاناه ، وذو قرابته الأمير شهاب الدين شعبان أمير طبلخاناه ، ودواداره الأمير عز الدين طقطاي أمير طبلخاناه ، ومملوكه سيف الدين جوبان أمير عشرة ، وبقية مماليكه جماعة منهم لهم الإقطاعات الجيدة القوية في الحلقة . واعتنى بجماعة من أهل حماة وحلب ودمشق ، وخلص لهم الطبلخانات .

وعلى الجملة فكانت سعادة زائدة عن الحد ، لكنها ختمت بهذا الشر الكبير الذي فاض عنه على ذويه ، فلا قوة إلا بالله العلي العظيم .

بِقَدْرِ الصُّعُودِ يَكُونُ الْمَبِو طُ فَيَايَاكَ وَالرُّتَبَ الْعَالِيَه

ومن جملة ما رأى من العز أنه كان قد توعك وحصل له سوء مزاج ، فكان عند

(١) في الأصل : « احتضر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

السلطان في المرقد وهو جالس ورجلاه إلى ^(١) ركبتيه في حجر السلطان وهو يُكبّسهما بيده ويرش الماورد ^(٢) على وجهه ، ويتولّى تمريضه وطبّه وعلاجه وخدمته بنفسه . وكان ولد السلطان وهو إبراهيم أكبر من أبي بكر قد مرض بالجدري فأتت إبراهيم ودفن ولم يره أبوه ولا عاده شُغلاً منه بتمريض يلبغا ، فهذا نهاية في العز .

ومن جملة الذلّ الذي رآه أن تولّى خنقه في قلعة قاقون مشاعليان ودفن في أرض قاقون جسداً بلا رأس ، اللهم خلّصنا من شرور هذه الدنيا ^(٣) الغرارة .

وقلت أنا فيه وقد التزمت الزاي المشددة :

| | |
|--------------------------------------|---|
| دع الدّهَر يعلي من أراد [إلى] السّهى | ودافعه من وقتٍ لوقتٍ وجزّه ^(٤) |
| فقد نال منه يلبغا فوق ما ابتغى | وقصّته تجلى على المتنزه |
| وأُنزل من عند الثريا إلى الثرى | وأمسكه صرف الردى في محزه |
| وأحفه العيش الغليظ رداءه | على لطف معناه ورقّة بزّه |
| فلا سعد إلا ما رأينا ناله | ولا ذل إلا ما رأى بعد عزّه |

☆ اليلداني : أبو محمد الصخراوي عبد الرحمن بن عبد المولى .

١٩٦١ - يلتطلو*

بنت أبغا الخاتون .

كانت امرأة دينية صيّنة تقيّة تقيّة ، محبة للخير وأهلها ، وكانت عمّة غازان وخريندا ، وكانت بين المغل جليلة القدر نبيلة الذكر ، وافرة الحرمة ، مسموعة

(١) (خ) : « على » .

(٢) (خ) : « ماء الورد » .

(٣) (ق) : « الدار » .

(٤) الزيادة من (س) ، (خ) ، (ق) ، والتحفة .

* الدّرر : ٤٤٢/٤ .

الكلمة ، ذات شهامة وفروسية ، وكانت مزوجة بعرب طي ، ومنازلها لا تبعد من أطراف بلاد الإسلام ، ولما مات زوجها المذكور ركبت بنفسها وقتلت قاتله وقطعت رأسه وعلقته في قلادة فرسها ، وبقي الرأس على هذا زماناً^(١) طويلاً حتى كَلِّمَتْ فيه فألقته ، وقيل إنما ألقته بأمر اليرلغ ، ولم تتزوج بعد عرب طي ، وحرص الأفرم على زواجها وكتب إليها في ذلك وأخذ كتب السلطان وسلّار إليها فيه ، وبذل لها حص وبلادها صداقاً عنه فنهرت رسله وردتهم بالخيبة ، وقالت : أنا أنصح أمة محمد - ﷺ - ما أنصح فلان وفلان وفلان ، فإن كانت مناصحاتي للمسلمين هي التي أطمعت الأفرم فيّ فما بقيت أناصحهم ، وكيف تجاسر^(٢) الأفرم عليّ ، ومن هو الأفرم ؟ وأنا أقل كوتلجي عندي مثل الأفرم .

وقَدِمَتْ هذه يلقطلو إلى الشام وتوجهت إلى الحج في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة .

قال القاضي شهاب الدين أحمد بن فضل الله : وكنت حاجاً في تلك السنة فكنت أرى منها امرأة تعد برجال حزمًا وعزمًا وكرمًا ، وعليها سياء الجلالة ووسامة الملك ، وتصدقت بأموال كثيرة ، قيل إنها تصدقت في الحرمين بثلاثين ألف دينار ، وكانت تركب في الطريق محفة ، وتركب الخيل ، وتشدّ في وسطها التركاش ويُشال عليها الجتر ، وكانت تضرب حلقات صيد وتتصيد طول الطريق . وكانت بحرّ كرم وغاية إحسان ، ولَمَّا قدمت دمشق خرج الأمير سيف الدين تنكز لَلْقِيَّهَا ولاطفها حتى دخلت دمشق بغير جتر على رأسها .

☆ اليميني : الشيخ تاج الدين عبد الباقي ، اسمه محمد بن أحمد .

☆ ابن يمين : قاضي القضاة الحنفي .

(١) (ق) ، (س) : « دهرًا » .

(٢) (ق) ، (س) : « يتجاسر » .

١٩٦٢ - ينجي *

الأمير سيف الدين السلاح دار .

كان من جملة الأمراء بدمشق ، ولَمَّا جاء الفخري وملك دمشق كان هو فيها مقيماً في شدّ الدواوين ، وكان يصدّ الفخري وغيره عن أشياء كثيرة من طلب الناس .
ومرض مدة بعد ذلك وتوفي - رحمه الله تعالى - في أوائل سنة ثلاث وأربعين وسبع مئة .

١٩٦٣ - ينغجار **

الأمير سيف الدين الناصري أخو الأمير سيف الدين أرغون الدوادار الناصري .
كان سكنه على بركة الفيل في حكر الخازن ، وأُخرج إلى الشام سنة^(١) ثلاثين وسبع مئة فيما أُظن ، وأقام بدمشق مدة ، وولي نيابة قلعة دمشق مدة ، وولي الرحبة^(٢) ، وولي نيابة بعلبك مديدة في أيام الأمير سيف الدين يلغا .
وتوفي - رحمه الله تعالى - بدمشق في ثامن عشر جمادى الأولى سنة ثمان وأربعين وسبع مئة .

* الدُرر : ٤٤٣/٤ .

** الدُرر : ٤٤٣/٤ .

(١) (ق) : « في سنة » .

(٢) في (ق) ، (خ) ، (س) زيادة : « وولي نيابة الرحبة بعد موت حسام الدين لاجين الغمي وولي نيابة .. » .

١٩٦٤ - يوسف بن إبراهيم بن جملة*

الشيخ الإمام العالم الفقيه قاضي القضاة بالشام ، الحوراني المحجّي^(١) الشافعي الأشعري .

كان قد تفقّه مدة لابن حنبل رضي الله عنه ، ثم إنه انتقل إلى مذهب الشافعي ، وتميّز وناظر الأقران ، وأخذ عن الشيخ صدر الدّين بن الوكيل ، وعن قاضي القضاة شمس الدّين بن النقيب ، وعن الشيخ كال الدّين بن الزملكاني . وصار من الأعيان ، ونظر القمر إلى جماله وهو خزيان ، وجالد^(٢) فرسان البحث وجادلهم ، وفضّ على الطلبة ما عنده في خزانة علمه^(٣) وجاد لهم .

ولما باشر قضاء الشام وتولّى بحكمه الأوامر والأحكام ، باشر ذلك بصف وأمانة ، وعفاف لم تتطرق إليها جناية ولا خيانة ، وكان ذا مهابةٍ وسطوةٍ على المريب ، وشدةٍ وطأةٍ على القريب والغريب :

قاضي إذا التبس الأمران عَنْ لَه
القائل الصدق فيه ما يُضَرُّ بِهِ
الفاصل الحكم عي الأولون بِهِ
رأي يفرق بين الماء واللبن
والواحد الحالتين السرّ والعلن
ومظهر الحقّ للسّاهي وللذهن

وكان فيه ديانة وحسن عقيدة ، وله محاسن كل منها بيت القصيدة .

وكان في أيام نيابته لقاضي القضاة جلال الدّين بدمشق قد قام على الشيخ تقي الدّين بن تيمية في مسألة الزيارة ، وسدّد سهمه إليه وأطلق زيّاره^(٤) ، وانتصب لهذا الأمر ، وأوطأ قدميه على الجمر ، ولم يصلّ على جنازته ، وتبرأ من حيازته .

* البداية والنهاية : ١٨٢/١٤ ، ووفيات ابن رافع : ٥٨/١ ، والدُّرر : ٤٤٣/٤ ، والشذرات : ١١٩/٦ ،

والدارس : ٢١٤/١ ، وذيول العبر : ٢٠٢ .

(١) المحجّي : نسبة إلى محجة من قرى حوران .

(٢) في الأصل : « وجال » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) (س) ، (ق) : « علومه » .

(٤) الزيار : القوس .

ولم يزل على حاله إلى أن وقعت له تلك الواقعة التي كان فيها غرضاً للسهم الرواشق ، ووقته في وقتها كل غاسق ، ودخل إلى دار السعادة وهو قاضي القضاة وخرج منها وهو فاسق ، واعتقل في القلعة مدة ، وحلت به في هذه الواقعة كل شدة ، ثم إنه أفرج عنه بعد مدة ، وأعطى تدريس السرورية بعد أن كاد يموت غماً ، كما جرى لسيبويه في المسألة الزنبورية^(١) .

ولم يزل بعد ذلك على حاله إلى أن غاض ماء حياته ، وفاض دمع باكياته .
وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة ثمانٍ وثلاثين وسبع مئة^(٢) ، ودفن بوادي العظام عند أهله .
ومولده سنة ستٍّ وثمانين وست مئة^(٣) .

وكان قد درس بالدولعية ، وخرج له شيخنا علم الدين البرزالي عن الفخر علي وجاعة .

ولما توفي قاضي القضاة علم الدين الأحنائي ولي هو بعده قضاء القضاة بدمشق ، وذلك في شهر ربيع الأول سنة ثلاثٍ وثلاثين وسبع مئة^(٤) ، لأن الأمير سيف الدين تنكز كتب في أمره للسلطان بعناية ناصر الدين الدوادار ، وباشر القضاء على أحسن ما يكون من الصلف والعفة . وكان فصيحاً بليغاً شديد العارضة في البحث .

ثم إن حمزة التركاني أحرف الأمير سيف الدين تنكز عنه وأغراه^(٥) ، ولم يزل به إلى عقره وقال عنه إنه رشا ناصر الدين الدوادار بالذهب على القضاء ، وهذا أمر أنا وغيري

(١) من مشهور أخبار سيبويه مع الكسائي . ويقال : إن هذه المسألة كانت سبب موته .

(٢) في رابع عشر ذي القعدة ، كما أُرِخ ذلك ابن رافع .

(٣) على ذلك يكون عمره اثنتين وخمسين سنة . وفي ذيول العبر أنه توفي « عن سبع وخمسين سنة » .

(٤) البداية والنهاية : ١٦١/١٤ .

(٥) في (س) ، (ق) : « وأغراه به » .

نستبعده من الجانبين . وكان تنكز قد قوَّض إليه الأمر في الشيخ ظهير الدِّين لأنه لم يصح ما نقله عنه ، فبالغ ابن جملة في تعزيز الظهير واستقصى ، والاستقصاء شؤم ، فعقد له مجلس في يوم الجمعة تاسع عشري شهر رمضان سنة أربع وثلاثين وسبع مئة^(١) ، وقد بيئت القضية له حمزة ، فدخل وهو قاضي القضاة في الشام ، وخرج وهو فاسق قد حكم بعزله وسجنه في القلعة . وكانت واقعة غريبة في تلك الأيام لم يعهد الناس مثلها .

أنشدني إجازة لنفسه القاضي زين الدين عمر بن الوردي :

دمشق لا زالَ رُبْعُهَا خَضِرًا بَعْدَهَا الْيَوْمَ يُضْرَبُ الْمَثَلُ
فَضَامِنُ الْمَكْسِ مَطْلُوقٌ فَرَحٌ فِيهَا وَقَاضِي الْقَضَاةِ مُعْتَقَلٌ^(٢)
وقلت أنا في ذلك :

العفو يارب من بلاءٍ . قوى الورى ما تطيق حمله
أمر جرى في الوجود فرداً ياعجباً وهو لابن جملة

وأقام في الحبس خمسة عشر شهراً إلى أن شفع فيه موسى بن مهنا ، وتحدث الأمير سيف الدِّين تنكز مع قاضي القضاة شرف الدِّين المالكي في عاشر صفر سنة ست وثلاثين وسبع مئة في إخراجه من الاعتقال^(٣) ، فقال القاضي : يكتب خطه ، ويُشهد عليه أن الحُكم الذي صدر منه في حقه صحيح ، فلم يُجب إلى ذلك ، وتردَّد الرسول إليه في ذلك غير مرة ، ثم إنه أجاب إلى أنه يمشي إلى مجلس المالكي ويسلم عليه ، فخرج من القلعة يوم الاثنين ثالث عشر صفر إلى دار القاضي المالكي ، ثم إلى الجامع ، ثم إلى أهله بالمدرسة المسرورية .

وولي القضاء بعده القاضي شهاب الدِّين بن المجد عبد الله .

(١) البداية والنهاية : ١٦٥/١٤ .

(٢) ضامن المكس : هو الذي يتمهد أماكن الفجور .

(٣) البداية والنهاية : ١٧٣/١٤ .

ولما خرج من الاعتقال أُعطي تدريس الدولعيّة ، ثم تَمَرَضَ ، وخلت المدرسة الشامية البرانية ، فدرّس بها أياماً بعد ذلك زين الدّين بن المرحّل ، وكانت وفاته بالمسروية .

وكنّت بالديار المصرية لَمّا رسم السلطان الملك الناصر بولايته قاضي^(١) القضاة ، فكتبت له تقليده بذلك ونسخته :

الحمد لله الذي أعلى منار الشرع الشريف بجماله ، وجلّى دُجَاهَ بَنِ تحسّدُهُ البدور في الأفق ليالي التمام على كماله ، وشيّد ركنه بِنِ يقصر باع السيف في جلاده عند جداله ، وحفظ قواعده بِنِ إذا أمسك قلم فتاويه تفيّأت الأحكام تحت ظلاله ، وأحيا سنّته بِنِ تتضح به سنن حرامه وحلاله ، ونشر لواء فضله بِنِ إذا ظمئ البحر المحيط فقلّ دع ذا فإنك عاجز عن حاله .

نحمده على نعمه التي ادرّخت لأيماننا الشريفة حَبِراً عزّ بوجوده اجتماع المثّلين ، واقتطف ثمار العلوم فما داناه أحد في الفروع ولا وصل معه إلى الأصلين ، وطال بالعلم ثم بالحلم وزاد في تطوّلاته ولم يقتصر على الطولين ، وأجمع الناس على استحقاقه ، فلم تكن المسألة فيه ذات قولين .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ندّخرها ليوم القضاء والفصل ، ونعلم أنها أصل الإيمان وما سواها فرعٌ والقياس ردُّ فرعٍ إلى أصل ، ونعتمد على بركات فضلها في الأمر والنهي والقطع والوصل ، وننال بإخلاصها على أعداء الدّين عزّ العزم ونصر النّصل .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله خير من قضى ومضى^(٢) ، وأعدل من مضى ،

(١) في (س) ، (ق) : « قضاء » .

(٢) الأولى بمعنى : قضى الأمر ، والثانية بمعنى : مات .

وسيف شرعه إذا استقبله مُشكل حكم فيه ومضى^(١) ، وأشرف من ساس الناس بحلقة الرضى وحكمة المرتضى ، وأعز من أغضى الشيطان لظهور ملته على جمر الغضا .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خير من أتبع شرعه في أحكامه ، وخاف مقام ربّه فشكر الله له حسن مقامه ، وقَصّر خطاه على ما أمره ونهاه ، فلم يكن له إقدام على حركة أقدامه ، واستبرأ لدينه في قضاياه فما أخطأت سهامه^(٢) مرامي مرامه ، صلاة تتألق بأنوارها البروق اللامعة ، وتتعلق بأستارها الخلائق في الواقعة ، ما قبلت ثغور الأقلام خدود المهارق الساطعة ، ورقمت إبر الغمام بروذ الحقائق اليانعة ، وسلّم تسليمًا كثيرًا^(٣) إلى يوم الدين .

وبعد :

فإن منصب الشرع الشريف لاشك في عموم نفعه ، ولا مَرية في أن السوابق جرت لنصبه ، والعوالي جرت لرفعه ، ولا ريب في أن شمم كلّ عرنين ينقاد صاغراً لوضعه ، ما حكنا في شيء حتى نعود إلى أمره^(٤) ونعوذ ، ولا خرجنا في السياسة عن حكمه لا على سبيل السهو ولا بحكم الشذوذ ، ولا برز أمره بحكم إلا وقال : سيفنا المنصور له دائم النفوذ .

وكانت دمشق المحروسة كالشامة في وجنة الشام ، وكالجوهرة التي أصبحت واسطة عقد الملك في الانتظام ، هذا إلى ما جاء في فضلها في السُّنة ، وثبت لنا في الخارج أنها أنموذج الجنة ، قد شغل منصب حكمها الشافعي من قاضي يسوس الرعايا ، ويحتهد في أحكامه حتى تدله الألعية على المقاتل الخفايا ، ويتوسم وجوه الخصوم وكلامهم فيكون ابن جلا وطلاع الثنايا ، أمهلنا آراءنا الشريفة هذه الفترة ، واستخرنا الله تعالى فيمن

(١) مضى الأولى بمعنى : ذهب ، والثانية : بمعنى أنفذ الحكم .

(٢) في الأصل : « سهام » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « كبيراً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٤) (ق) : « نعود لأمره » .

نحليه بهذا الطوق أو نخصه بهذه الدرة ، وذكر بين أيدينا الشريفة جماعة كل منهم جلّ إلا أن يكون قد جلّى ، واستوعب الشروط المعتبرة ، وكان بذلك الاستيعاب مُحَلّى ، فأشار مَنْ إشارته كالسهم الذي يصيب الإشارة ، وبركة رأيه خالصة من حظوظ النفس الأمّارة ، وعيّن من عزّت به الشريعة الشريفة منالاً ، وزان رتبها الجلييلة فازدادت به جمالاً ، وحَمَى حوزتها لأنه فارس الكلام الذي إذا التقت عليه مضائق الخصوم فرّجها علمه بمضائق الإصابة جدالاً ، وجالد فوارس البحث وجذّهم فجدّهم ونسف مغالط النسفي ولو كانت جبالاً ، وتَقَى وتَقَحّ كلام مَنْ مضى فكم قيّد مطلقاً يمرح وأطلق مقيداً برّسف ، وجلس في حلقة دروسه وكأنما تطلع من محراب داود ويوسف ^(١) ، يَغْرِقُ الْمَزْنِي فِي وَابِلِ فَضْلِهِ الصَّيِّب ^(٢) ، ويفوق عَرَفَ عِرْفَانِهِ عَلَى الْقَاضِي أَبِي الطَّيِّب ^(٣) ، ويتلَوْنَ الصَّبَاغَ فِي (شامله) ^(٤) من عجزه ، ويعترف الغزالي بأنه لم يكن من نسج طرزه ، قد صاغ ذهب أصوله وابن الحداد في (الفروع) ^(٥) ، والتدبُّ بكراه وصاحب (التنبيه) لا يذوق ^(٦) لذّة الهجوع ، وأنفق من محصوله وابن الحاجب في ضيعة من صيغة منتهى الجموع ^(٧) .

وكان المجلس العالي القضائي الجمالي هو مُظهر هذه الضمائر والمقصود بهذه الأدلة والأمائر ، لاتليق هذه الصفات إلّا بذاته ، ولا تحسن هذه النعوت إلّا بأدواته . فلذلك

(١) في (س) ، (ق) : « داود يوسف » .

(٢) في الأصل : « الطيب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري الشافعي ، له شرح مختصر المزني (ت ٤٥٠ هـ) ، السير : ٦٦٨/١٧ .

(٤) الشامل في فروع الشافعية لعبد السيّد بن محمد (ت ٤٧٧ هـ) ، الكشف : ١٠٢٥/٢ .

(٥) الفروع في مذهب الشافعي ل محمد بن أحمد المصري ، المعروف بابن الحداد (ت ٣٤٥ هـ) ، الكشف : ١٢٥٦/٢ .

(٦) (ق) ، (س) : « لا يطعم » .

(٧) ابن الحاجب هو : عثمان بن عمر بن أبي بكر (ت ٦٤٦ هـ) ، ولعلّه يشير إلى كتابه منتهى السؤل والأمل في علمي الأصول والجدل . انظر الكشف : ١٨٥٣/٢ .

رُسِم بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الناصري الناصري ، لزال^(١) الرعايا بعدله في أمان ، ومواقع اختياره ترتاد لهم الكافي الكافل^(٢) من رب السيف والطيلسان ، أن يفوض إليه قضاء القضاة الشافعية بالشام المحروس ولايةً أحكم عقدها ، وانتظم عقدها ، وتبلغ عُرْفُها وتأرج عُرْفُها . فليأمر بالمعروف ويُنه عن المنكر ، ويسير سيرة عمرية تتلى محاسنها وتشكر .

ولياخذ بحق المظلوم من ظلمه ، ويجر لسان قلمه بما قامت به البيّنة فعلمه ، وليتبع الحق إن كان مع المشروف أو الشريف ، ويطلب رضى الله تعالى في خذلان القوي ونصرة الضعيف .

وليُسوّ بين المتخاصمين في موقفهما عنده ، ويسمع الدعوى إذا تمت والجواب إذا أكمل قصده ، وليلن جانباً لمن حضره ، ويتمسك بأداب الشرع التي حضه عليها وأمره .

وليتحرّز من أمر الشهود في كل شيء ولينقّب عن أحوالهم فإن منهم من يموت على الشهادة وهو حي ، ويتبعهم بالمعيّته في كل أمر ، ويسمع شهادتهم بفطنة إياس وذكاء عمرو .

والأيتام فليولّ عليهم من يراقب الله في أموالهم ، ويخشى الله في معاملاتهم ، فكفى ما بهم من سوء حالهم ، ولا يركن في أمرهم إلا لمن اختبره المرة بعد المرة ، وعلم أن عفّته لا تسامحه في التماس الذرة .

والأوقاف فليجر أمورها على النظام البارع ولا يتعدّها شروط الواقفين ، فإن نصّ الواقف مثل نصّ الشارع .

والأيامى فليزوجهنّ من أكفأهنّ شرعاً ، ويمنع من يلبسهن^(٣) من العُضُل

(١) في (س) ، (ق) : « لزال » .

(٢) في الأصل : « الكامل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « تلبسهن » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

دُرْعاً^(١) . والأنكحة الأهلية يستوضح عقودها ، والخليّة يعتبر شهودها . ومال المحجور عليه يودعه حرزاً يُحفظ فيه ، ومال الغائب ، وكذلك الجنون والسفيه .

ووقائع بيت المال المعمور فلتكن مضبوطة النظام ، محفوظة الزّمام ، مقطوعة الجدل والخصام . ونوابه في البلاد والجهات والنواحي المتطرفات هو المطلوب عند الله بجنائيتهم ، والمحاسب على ما اجتروحه من ولايتهم . فلا يؤلّي من يراه فقيهاً ﴿ وإذا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا ﴾^(٢) ، ولا مَنْ أَتَصَفَّ بِالْجَهْلِ ، ورأى زينة المال^(٣) والأهل ، بل يتحرّ في أمورهم ، ويتّبع معاملتهم في غيبتهم وحضورهم ، فأنت أدري بما إليه الأمر يؤول ، وكلّم راع وكل راع مسؤول^(٤) .

والوصايا كثيرة ومنك تُعرّف ، وإليك ترجع وتصرف . فما نَعْلَمَ عوانك الخمرة^(٥) ، ولا نعرّف صنّاعك^(٦) كيف تصنع الشذرة ، فما تحتاج إلى أن نسردها ، بل نجمعها ولا نفردها ، وهي تقوى الله عزّ وجلّ التي مَنْ تَسَّكَ بِهَا فَازَ قِدْحُهُ ، وَأَمِنْ سَرْحُهُ ، وتعين ربحه وتبين نُجْحُهُ .

والله تعالى يتولّأكَ ، ويعينك على ما أولاك ، ويزيدك مما أولاك .

والخَطّ الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه . والله الموفق بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

(١) في الأصل : « الفضل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . والعضل : الإكراه . وفي التنزيل : ﴿ فَلَا تَفْضُلُوهُمْ أَنْ يَنْكَحْنَ أَرْوَاجَهُنَّ ﴾ [البقرة : ٢٣٢/٢] ، وفيه أيضاً : ﴿ وَلَا تَفْضُلُوهُمْ لِيَتَذَقُّوا بِنِعْمِ مَا آتَيْنَاهُمْ ﴾ [النساء : ١٩/٤] .

(٢) سورة البقرة : ٢٠٥/٢ .

(٣) في (س) ، (ق) زيادة : « زينة الدنيا المال .. » .

(٤) الجامع الصغير للسيوطي : ٩٥/٢ ، وسلفت الإشارة إلى هذا الحديث في سياق آخر .

(٥) من أمثالهم : « لا تعلم العوان الخمرة » . انظر تاج العروس (عون) .

(٦) في الأصل : « صناعتك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

١٩٦٥ - يوسف بن أحمد*

ابن عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن عبد^(١) الرحمن بن طاهر^(٢) ، الشيخ الإمام الفاضل الصدر الكبير بهاء الدين أبو المحاسن ابن الصدر كمال الدين بن العجمي الحلبي ، سبط صاحب كمال الدين بن المديم .

قال شيخنا البرزالي : روى لنا (جزء ابن عرفة) عن النجيب عبد اللطيف الحراني ، وسمع كثيراً ، وقرأ الفقه ، واشتغل [وحصل^(٣)] وكتب المنسوب ، ودّرس بحجة وولي كتابة الإنشاء بدمشق ، وحكم بحجة نيابة .

وكان صالحاً ديناً مشكوراً محبباً إلى الناس .

توفي - رحمه الله تعالى - سابع عشري جمادى الآخرة سنة ست عشرة وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وخمسين وست مئة .

ودفن بتربة خاله ، قبالة جوسق ابن العديم ظاهر دمشق .

وتوفي بعده ولده القاضي عزّ الدين محمد بعشرة أيام ، فإنه توفي - رحمه الله تعالى -

تاسع شهر رجب سنة عشر وسبع مئة وولي بعد القاضي بهاء الدين بن العجمي تدريس النجيبية^(٤) القاضي نجم الدين الدمشقي^(٥) الشافعي نائب الحكم .

* تالي وفيات الأعيان : ١٧٨ ، والبداية والنهاية : ٧٨/١٤ ، والدُّرر : ٤٤٦/٤ .

(١) في الأصل : « عبد الرحمن بن عبد الحسن بن عبد » ، وأثبتنا ما في (س) وما يتفق مع الدُّرر . ووقع في (ق) : « ابن الحسن عبد ... » .

(٢) في الدرر : « ظافر » ، وفي بعض أصوله : « ظاهر » .

(٣) زيادة من (س) ، (ق) .

(٤) وكان تولّاها سنة (٧٠٦ هـ) . البداية والنهاية : ٤٠/١٤ ، والدارس : ٣٦٠/١ .

(٥) أحمد بن عبد الحسن ، سلفت ترجمته .

١٩٦٦ - يوسف بن أحمد بن جعفر*

ابن عبد الجبار الفقيه الإمام العالم الفاضل جمال الدين الشاطبي الشافعي .
كان فاضلاً اشتغل بفنونه وحصل فضائل ، وله نظم ونثر ، وفيه أمانة ونهضة
وديانة ، وشهد له القاضي بدر الدين بن جماعة وغيره بأهلية التدريس والاشتغال
والإفادة .

وولي خطابة جامع جرّاح^(١) مدة يسيرة ، وكان يخطب بإنشائه .

وأدركه أجله دون الأربعين .

توفي - رحمه الله تعالى - حادي عشر شهر رمضان سنة سبع عشرة وسبع مئة .

١٩٦٧ - يوسف بن أحمد بن إبراهيم**

علم الدين الخطيب القناوي الشافعي الأديب .

كان من الرؤساء الأعيان الكرماء^(٢) الأجواد الأذكياء .

قرأ الفقه على جلال الدين أحمد الدشناوي ، وكانت له معرفة جيدة بجلّ الألفاز ،
ونظم فيها أشياء كثيرة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رجب سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

* الدُرر : ٤٤٦/٤ .

(١) خارج الباب الصغير بحلة سوق الغنم بالشاغور بدرب جراح ، كان أصله مسجداً للجنازات ، فجدّده
جرّاح المنيعي ، ثم جعله الأشرف موسى جامعاً سنة (٦٣١ هـ) .

انظر : فهارس وفيات ابن رافع : ٢٠١ .

** الطالع السعيد : ٧١٥ ، وفوات الوفيات : ٣٣٩/٤ ، والدُرر : ٤٤٥/٤ .

(٢) في الأصل : « الأكرماء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، والطالع والفوات .

وله لغز في « لابس » ، الثاني من قوله :

يبين إنَّ صَحَّفَ مَعَ قَوْلٍ لَا وَهُوَ إِذَا صَحَّفْتَهُ « لَا يَبِين » ^(١)
وله لغز في « مغني » ^(٢) :

مَا اسْمٌ إِذَا عَكَّسْتَهُ يُطْرِبُ إِنْ سَمِعْتَهُ
يُنْعِمُ بِالْوَصْلِ مَتَى صَحَّفْتَ مَا عَكَّسْتَهُ
وله لغز في (زغل) :

وَمَا لَغَزَّ إِذَا فَتَّشْتَ شِعْرِي تَرَاهُ مُسَطَّرًا فِيهِ مَسْمَى
وَإِنْ تَعَكَّسَتْهُ كَانَ مِنَ التَّحَرِّي إِذَا حَقَّقْتَهُ فِي الْبَيْرِ يُرْمَى ^(٣)
وَفَاعِلُهُ إِذَا نَمَّوْا عَلَيْهِ فَيَخْشَى أَنْ تُزَالَ يَدَاهُ حَتَّى ^(٤)

قال كمال الدين الأذفوي : تولَّى الخطابة ببلده ، وناب في الحكم في مواضع شتى ، منها دشنا وفاو من بلاد قوص ، والمنشأة ، وطوخ من بلاد إخم . وكان يكرم الوارد .

١٩٦٨ - يوسف بن أحمد بن أبي بكر*

ابن علي بن إسماعيل بن عمرو بن عبد المجيد ، المسند المَعْمَر ، بقية الرواة ، أبو علي الغَسَوَلِي المعروف بابن غالية .

سمع من موسى بن عبد القادر ، والشيخ الموفق ، وتفرَّد في وقته .

وسمع منه خلق ، فسمع منه شيوخنا الذهبي والبرزالي والنزي ، وسمع منه المقاتلي ،

(١) في الفوات والطالع : « صَحَّف » .

(٢) كذا في الأصل . وفي الطالع : « مغني » على القاعدة .

(٣) في الطالع : « في البر يرقى » .

(٤) في الفوات : « تَزَلَّ » .

* العبر : ٤١٢/٥ ، والشذرات : ٤٥٨/٥ ، والنجوم الزاهرة : ١٩٧/٨ .

وابن النابلسي ، والمحبة الصدر أبو بكر بن خطيب حماة ، والشهاب بن عديسة ، ونجم الدين القحفازي^(١) ، وخلق .

قال شيخنا الذهبي : كان شيخاً ساكناً فقيراً متعقفاً^(٢) ، بدت منه هنات وسط عمره ، ثم إنه كبر وصلحت حاله ، وكان حجّاراً ، ثم عجز ولزم بيته .
وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة سبع مئة .

وجي له الكفن ، ومولده بقاسيون سنة اثنتي عشرة وست مئة .

١٩٦٩ - يوسف بن أحمد بن محمد بن عمر*

الفقيه محب الدين المقدسي الحنبلي .

كان يشهد تحت الساعات بدمشق ، ولديه فضيلة ، وفيه إقدام وشهامة ، ودخل بلاد الروم وغيرها ، وسمع من خطيب مرّدا ، ولم يحدث .

توفي - رحمه الله تعالى - في ثاني عشر ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين وست مئة .

١٩٧٠ - يوسف بن أحمد بن يوسف**

ابن عبد الله بن علي بن الحسين بن عبد الخالق بن شكر ، الصدر نجم الدين بن علم الدين بن تاج الدين بن صاحب صفى الدين بن شكر المالكي .

كان مدرّساً بمدرسة جدّه بالقاهرة .

توفي - رحمه الله تعالى - في حادي عشر جمادى الأولى سنة عشر وسبع مئة .

(١) في الأصل : « الفخاري » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ضعيفاً » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

* لم تقف على ترجمة له .

** الدُّرر : ٤٨٤/٤ .

١٩٧١ - يوسف بن أحمد بن محمد *

ابن يوسف بن عبد الغني الجذامي الإسكندري الفقيه ، المالكي ، الأديب
صدر الدين ، عرف بابن غَنُوم - بغين معجمة ونون مشددة وواو بعدها ميم - موقع
الشعر .

كان فاضلاً ذكياً . كتب للقضاة زمناً طويلاً ، ثم إنه اقتطع بمنزله ، وخمس قصائد
للصرري .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة أربع وثلاثين وسبع مئة .

ومولده بالإسكندرية سنة ست وسبعين وست مئة .

قال كمال الدين الأدفوي أنشدني لنفسه ، وقد سألته أن ينشدني شيئاً من شعره :

يَا مَنْ يُسَائِلُ عَنْ شِعْرِي لِيُروِيهِ مَهْلًا فَلَيْسَ شِعَارِي نَظْمَ أَشْعَارِ
مُنْذُ حُلِّ زَائِرِ هَذَا الشَّيْبِ صَيَّرَنِي بَعْدَ الصَّبَا وَإِزَارِي ذِكْرَ أَوْزَارِي

قال : وأنشدني له أيضاً :

وَبِي غَرِيبِ الدَّارِ مُسْتَأْنَسٌ أَسْأَلَ دَمْعِي مِنْهُ خَدَّ أَسِيلُ
فَإِنْ أُمْتُ شَوْقاً إِلَى وَصْلِهِ فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ

قال : وأنشدني له ^(١) :

قُمْ نَفْتَرِجْ بَكَرَ الْمَدَامَةِ بُكْرَةً فِي رَوْضَةٍ حَسَنَتْ وَرَاقَتْ مُنْظَرَا
فَالرَّاحُ سَيْفٌ قَاطِعٌ لَهُمُومِنَا أَوْ مَاتَرَاهُ بِالْحَبَابِ مُجَوَّهَرَا

* الدُّرَر : ٤٤٧/٤ .

(١) في (ق) ، (س) زيادة : « أيضاً » .

قال : وأنشدني له أيضاً :

جَلَا مَسْوَاكُ ثَغْرِكَ خَيْرُ دَرٍّ فَجَلَّ بِذَاكَ وَاکْتَسَبَ الْمَزَايَا
وَأَنْشَدَ صَحْبَهُ تَيْهَاءً وَفَخْرًا «أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَاغُ الثَّنَايَا»

١٩٧٢ - يوسف بن أسعد بن علم السعداء*

القاضي الرئيس صلاح الدين ابن القاضي سعد الدين بن العسال .

شاب أنبته الزمان في رياض السؤدد وغرس ، وفرح به الجود لما نبغ ورأس ، لم أر في سنة من حاز رياسته ، ولا من ملك سعادته وسيادته ^(١) ، اتصف بلزوم المكارم ، وحمل عن رفاقه الكلف والمغارم ، هذا إلى صورة أبدعها الجمال ، وقامة كالغصن إذا هبت عليه الصبا فداد ومال ، يجلس في ديوانه ، ويرى إذا احتبى في إيوانه :

بوجهه يَمْلَأُ الدُّنْيَا جَمَالًا وَكَفَّ تَمَلَّا الْعَالِيَا نَوَالًا ^(٢).

قصف غصنه ، وأسلمه إلى الحيام حصنه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سنة تسع وثلاثين وسبع مئة .

كان قد زوجه الصاحب شمس الدين غبريال بابنته ، واحتفل بأمره ودخل به إلى ديوان الإنشاء بدمشق ، وأحضر له توقيعاً من السلطان بعلوم جيد من العين والغلة والخبز واللحم والعليق والكسوة . وكان مطبوعاً ظريفاً خيراً كريماً رئيساً فيه حشمة ، وتودد وحسن صحبة .

ولم يزل في خير وسعادة إلى أن أمسك الصاحب شمس الدين ، فأمسك هو أيضاً في جملة جماعته ، وصور وناله بعض أذى وعصر ، ثم طلب إلى مصر ، وعاد بطالاً من كتابة الإنشاء .

* الدُّرَر : ٤٤٩/٤ .

(١) (س) ، (ق) : « سيادته وسياسته » .

(٢) (س) ، (ق) : « الدنيا ضياءً » .

وكان قد عمر قاعة صغيرة ، فصنعتُ أنا له أبياتاً كتبت فيها وهي :

| | |
|-------------------------|-------------------------------------|
| دار يدُرُ نَداها | إذا رأت زائريها |
| ويتزلُّ الضيفُ منها | بجَنَّةٍ يَرْتَضِيها ^(١) |
| تَكَادُ مِنْ قَرطِ جُود | تَهْتَزُّ بِالضيفِ تيهاً |
| فكلُّ طالعٍ سَعِدِ | تَراهُ مِنْ نازليها |
| وللورى في بناها | أزاهرُ تَجْتَنِيها |
| وكم بُدورٍ تمامِ | من أهلها تَجْتَلِيها |
| والشَّمسُ في أفقها من | بنائها وبنيتها |
| لا غرَو إن أدَهَشْتَنّا | وحُسْنِ يوسف فيها |

١٩٧٣ - يوسف بن أسعد*

الأمير صلاح الدين الدوادار .

كان في مبدأ أمره نصف عامل في بيروت على ما قيل ، ثم إنه بطل الكتابة وتوصل بالجنديّة إلى أن صار دوادار الأمير سيف الدين قبجق ، ثم آل أمره إلى أخذ الأمرة بحلب ، وولي بها الحُجُوبية في أيام الأمير علاء الدين الطنبغا الحاجب ، ثم ولي بها شدّ الدواوين ، ثم طلب إلى مصر مرات ، ثم إن السلطان ولّاه ثغر الإسكندرية عوضاً عن بكثر والي الولاية في شهر رمضان سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، ثم إنه ولي منفلوط بالصعيد ، ثم إنه جعل مشدّ الدواوين بالقاهرة أيام وزارة الجمالي .

ثم عزل وبقي في مصر أميراً ، ثم إن السلطان جهّزه رسولاً إلى القان بوسعيد ، فعاد وقد أشاع الناس أنه يكون وزيراً ، فلما وصل إلى مصر سعي عليه ، فبطل ذلك ، فسعى له الأمير سيف الدين بكثر الساقى لَمّا مات الأمير شهاب الدين المهمندار ، فرسم له السلطان بالمهمندارية ، فأقام فيها قليلاً .

(١) (ق) : « في جَنَّة » .

* الدرر : ٤٤٩/٤ .

ولَمَّا توفي الأمير سيف الدِّين أَلجاي الدوادار جعله السلطان دواداراً مكانه ، وكان القاضي شرف الدِّين أبو بكر بن الشهاب محمود قد رُسم له بعده بيوميّات يسيرة بكتابة السر بمصر ، فقام شرف الدِّين منه شذائد ، وأنكاداً كثيرة ، وتوجّها صحبة السلطان إلى الحجاز سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة ، وهما في ذلك ، النكد والشر ، ولمّا حضرا من الحجاز أقام القاضي شرف الدِّين قليلاً وهو يعمل عليه إلى أن عَزَلَ وأُخرج إلى دمشق ، وبقي صلاح الدِّين في الدوادارية ، وقد استطال على الناس أجمعين ، واستطار شرّه خصوصاً على الكُتّاب ، فحسّنوا للسلطان أن يخرج كاشف الثغور الحلبية ، فتعلّل ، وانقطع في بيته مدة شهرين ، ولمّا قام ودخل إلى السلطان عزله في ثاني [عشر]^(١) شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبع مئة ، وحضر إلى صفد أميراً ، فأقام بها ، وتقل إلى طرابلس ، ثم نقل إلى حلب ، وجعل بها والي البر فيا أظن ، ثم إنه حج بعدما نقل من حلب إلى طرابلس .

وورد الخبر إلى دمشق بوفاته في جمادى الأولى سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

وكان يكتب خطاً حسناً ، وله مشاركة كثيرة^(٢) في تواريخ وتراجم الناس ، وكان كافياً ناهضاً فيما يتولّاه ، خبيراً بما يفوّض إليه ، إلا أنه كان مفرط الشّح إلى الغاية .

لومات من عطش والكوز في يده وكان مُمتزجاً بالشّهد ما شرباً
إلا إنه رحمه الله تعالى ، وقف داره وهي عظمى مجلب مدرسة على فقهاء المذاهب
الأربعة ، ووقف كُتّاب أيتام بالمدينة^(٣) .

(١) زيادة من (ق) . وفي (س) : « عشري » .

(٢) (خ) : « كبيّة » .

(٣) (خ) ، (ق) : « بالمدينة النبوية » .

وكان يدعي النظم ، أنشدني من لفظه صلاح الدين خليل بن رمتاش^(١) بصدد ،
قال : أنشدني من لفظه صلاح الدين الدوادار^(٢) وقال إنها له :

ما للعب في النار في الميلاد في سفه لكننا هولاء سلام مقصود^(٣)
يراد كتب النصارى أن ربهم عيسى بن مريم مخلوق ومولود

وكانت عنده كتب عظيمة من كل فن ، وكان إذا كان بطّالاً مثل الزلال الحلو
البارد ، فإذا ولي ولو حراسة الدرب مثلاً أنسلخ من ذلك اللطف ولبس لمن يعرفه
ولمن لا يعرفه جلد الثور ، وتحدث بحراسة الدرب في كل ما في الدولة من الوظائف ،
قال له يوماً الأمير علاء الدين أطنبغا نائب حلب لَمَّا ولي الشد بعد بطالته :
يا صلاح الدين ما في الدنيا مثلك إذا كنت بطالاً .

قلتُ : ولهذا لم تكن تطول له مدة في ولايته .

١٩٧٤ - يوسف بن إسماعيل *

ابن عبد الكريم بن عثمان ، الشيخ الجليل المسند تاج الدين الحلبي .

سمع من الضياء صقر الحلبي وغيره .

وتوفي رحمه الله تعالى بكرة الخميس ثامن عشر شوال سنة تسع وعشرين وسبع
مئة ، [أجاز لي رحمه الله في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة]^(٤) ، وكتب عنه الشيخ
تقي الدين محمد بن رافع .

(١) في الأصل : « رمتاش » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، (خ) .

(٢) في (س) ، (ق) : « من لفظه لنفسه » . وفي (ق) : « الأمير صلاح ... » ، وفي (خ) :
« صلاح الدين المذكور » .

(٣) (ق) ، (خ) : « بالنار » .

* الدُّرر : ٤٥٠/٤ .

(٤) زيادة من (س) ، (ق) .

١٩٧٥ - يوسف بن إسماعيل بن عثمان*

ابن محمد ، الشيخ الإمام [تقي الدين ابن الشيخ الإمام]^(١) ، العلامة رشيد الدين المعروف بابن المعلم .

كان فقيهاً ، درّس بالمدرسة البلخية^(٢) مدرسة والده بدمشق ، وكتب في الفتوى ، ثم إنه توجه هو ووالده في الجفل^(٣) إلى الديار المصرية ، وأقاما هناك مدة بجوار الجامع الأزهر .

وتوفي في خامس جمادى الآخرة سنة أربع عشرة وسبع مئة . وفقده والده ، ثم إنه عاش بعده شهراً واحداً ولحقه بالوفاة رحمها الله تعالى .

١٩٧٦ - يوسف بن أبي بكر**

الصدر الرئيس الكبير القاضي ضياء الدين بن خطيب بيت الأبار الدمشقي .

صدر صدره رحيب ، ورئس ماله في زمانه ضريب ، وكبير يكون الجبل الراسخ عنده صغيراً ، وكريم لا يزال الجود على ماله مغيراً ، ذو مروءة يسعى أجرها بين الصفا والمروة ، ونفس مأتري^(٤) أن تحل في المجلس إلا في الذروة ، منزله كعبة الرّواد ، وخوانه منهل الرّواد ، كان أهل الشام به يجدون الجدا^(٥) ، ويحتلون من وجهة قمر الهدى ، ويحتلون من بابه في مراتع الندى^(٦) .

* الدرر : ٤٥٠/٤ .

(١) زيادة من (س) ، (ق) .

(٢) الدارس : ٣٦٨/١ .

(٣) كان ذلك سنة (٧٠٠ هـ) . انظر ذيول العبر : ٧٨ ، في ترجمة والده إسماعيل .

** الدرر : ٤٨٢/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٣٣٧/١٠ .

(٤) في الأصل : « تربي » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (س) .

(٥) الجدا : العطاء .

(٦) (س) : « بانه » . وفي الأصل : « مراتع الهدى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

إِنْ جَادَ لِلْعَاقِي أَجَادَ وَإِنْ سَعَى فِي ضَيْقِ طَرَقِ لِلسَّعَادَةِ وَسْعَا^(١)
عَنْ نَشْرِهِ فَحَاحَ النَّسِيمُ مُعْنِبِرًا وَبَشَكَرِهِ غَنَى الْحِمَامُ مُرْجَعًا

انتقل من الشام إلى الديار المصرية بطلب السلطان ، ونسي بإقباله عليه ما ألفه
شبابه في نعيم الأوطان ، وياشر الوظائف الكبار فسدّها ، وأصلح فسادها وأحكم عقدها
بكفاية وأمانة ، وعناية وإعانة ، خلا أن الزمان خانته أخيراً ، وأراه بعد عزّه يوماً كان
من الذلّ عبوساً قمطريراً^(٢) .

فأقام في بيته عاطلاً ، ولم يزل الدهر ببلوغ أمانيه ماطلاً^(٣) إلى أن أمسى منزل
الضياء وقد أظلم ، وراح إلى من هو بسريرته علم .
وتوفي - رحمه الله تعالى^(٤) - في ذي الحجة سنة إحدى وستين وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة تسع وثمانين وست مئة .

كان أولاً بدمشق في^(٥) ديوان تنكز ، وفيه سيادة وعنده رياسة ، داره مألوف
الضيافان ، ومأوى الأصحاب والإخوان ، متى جاء الإنسان إلى منزله وجد كل ما يختاره
إن كان هو حاضراً أو لم يكن ، يجد جميع ما يحتاج إليه إلى أن يروح ولو أقام جمعة
وأكثر^(٦) .

ولما تولّى قاضي القضاة جلال الدّين القزويني قضاء الديار المصرية في سنة سبع
وعشرين وسبع مئة ، طلبه من السلطان ، فأحضره على البريد ، فولّاه نظر الصدقات
الحكيّة والأيتام ، وكان يحضر دار العدل مع القضاة .

(١) (س) ، (خ) ، (ق) : « للسّاحة » .

(٢) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴾ [الإنسان : ١٠/٧٦] .

(٣) (س) : « ماطلاً » .

(٤) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « بالقاهرة » .

(٥) في (خ) ، (ق) : « يباشري » . وفي (س) : « مباشراً » .

(٦) (خ) : « أو أكثر » .

وساد في القاهرة ورأس ، وأحبه المصريون لمكارمه ومُرَوَّته وحلمه ، وولاه
السلطان الملك الناصر محمد مطابخ السكر وولاه نظر الأهراء مع ما بيده ، وتولَّى نظر
البيارستان المنصوري ، فسلك فيه أحسن السلوك ، ورافق^(١) فيه الأمير جمال الدِّين
آقوش نائب الكرك ، وبعده الأمير علم الدِّين الجاولي ، وبعده الأمير بدر الدِّين
جنكلي بن البابا ، ووقع بينهما ، وغزل [منه]^(٢) في الأيام الصالحة إسماعيل ، ثم
تولاه ، ورافق فيه الحاج أرقطاي نائب مصر .

وكان قد تولَّى أيام الملك الناصر محمد حسبة القاهرة ومصر .

وكان^(٣) قبل ذلك محتسب القاهرة مع البيارستان ، [ولما] كان^(٤) الغلاء في سنة
ستٍّ وثلاثين وسبع مئة جمع له [السلطان]^(٥) بين الحسبتين .

ولما خرج القاضي جلال الدِّين من القاهرة إلى قضاء الشام تعصَّب^(٦) شرف الدِّين
النشوعليه ، وساعده عليه غيره ، وأخذوا منه الحسبتين والصدقات وأبقوا عليه
البيارستان .

فلما كانت أيام الصالح إسماعيل ولَّاه نظر الدولة مع البيارستان^(٧) ، فباشر ذلك
مديدة ، ولم يتناول معلوماً ، وطلب الإعفاء ، فأعفاه ، ثم ولَّاه الجوالي^(٨) مع حسبة
القاهرة والبيارستان ، ثم إنه وقع بينه وبين الأمير بدر الدِّين جنكلي ، فعزل من الجميع
في أواخر دولة الصالح ولزم بيته .

(١) في الأصل : « ووافق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) زيادة من (ق) ، (س) .

(٣) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٤) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) زيادة من (س) ، (ق) .

(٦) في الأصل : « بغضب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٧) قوله : « فلما كانت » حتى هنا ليس في (خ) .

(٨) في (خ) : « تولَّاه » . والجوالي سياقي ييناها في التقليد الذي كتبه المصنّف لصاحب الترجمة .

فلَمَّا كان في أيام الكامل تولَّى نظر البيارستان والحسبة بالقاهرة ، ثم إن علاء الدِّين بن الأطروش نازعه في وظائفه هذه مرات ، وتولَّاهَا ، ثم تعاد عليه ، ثم إن الأمير سيف الدِّين صرغتمش اعتمد عليه في الأوقاف بمصر والشام ، وكان يدخل به كل قليل إلى السلطان الملك الناصر حسن ، ويخرج من عنده بتشريف ، وزادت عظمته ووجاهته ، وبالع في إكرامه وتقديمه على الناس كلهم .

ولما أمسك صرغتمش قُبض عليه ، وضُرب وعُصر ، وأخذ منه شيء قليل ، وأخرجوه إلى قوص ، فتوجه إليها ، وأقام بها سنة وأكثر ، ثم رَسَم بعوده إلى القاهرة ، فأقام بها في بيته بطلاً إلى أن توفي .

وكان شكلاً تاماً غليظاً ، عليه مهابة وله عبسة ، وهو مع أصحابه الذين نعرفهم من ألطف ما يكون ، وما رأيت أكثر رياسة منه ، ومع ذلك طاهر اللسان ، لا يذكر أحداً إلا بخير ، ويعامل صديقه وعدوه بمعاملة واحدة . يملك نفسه ولا تظهر عليه كراهة لأحد ، وصدره على طعامه متسع ، وكان لأهل الشام نِعَم الذخيرة ، انتفعوا به كثيراً .

وقلت لَمَّا بلغتني وفاته بالقاهرة في ذي الحجة سنة إحدى وستين وسبع مئة ، رحمه الله تعالى :

مَالْنَا فِي سُوءِ عَيْشٍ عَمَّنَا فِيهِ الشَّقَاءُ^(١)
وَعَلَى الدُّنْيَا ظِلَامٌ أَتَرَى مَاتَ الضِّيَاءُ

وكان الشيخ شهاب الدِّين أحمد بن أبيك الدمياطي قد خرَّج له أربعين حديثاً عن أشياخه الذين سمع منهم في صغره ، وحدث بها في داره برأس حارة زويلة بالقاهرة في سنة خمس وأربعين وسبع مئة ، وكنت فين سمعها عليه ، وكتبت أنا عليها تقریظاً نظماً ونثراً ، من جملة ذلك :

(١) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

كريمٍ سادَ بالأفضالِ حتّى غداً في مجديهِ بادي السّناء
لَهُ ذِكْرٌ يطبّقُ كُلَّ أرضٍ فيملاً جَوّها طيبُ الثّناء
فَمَا تَخْفَى عِـلّـاهُ على بصيرٍ وإن تَخْفَى فذو حَسَدٍ مرّائي
«وهبني قلتُ هذا الصُّبحَ ليل أيّعمى العالمونَ عن الضّياء»^(١)

ولما كنت بالقاهرة في سنة خمس وأربعين وسبع مئة كتبت له عن السلطان الملك الصالح إسماعيل - رحمه الله تعالى - توقيعاً بنظر الجوالي بالقاهرة ومصر والوجهين قبليةً وبحريةً ، ونسخته :

الحمد لله الذي جملَ أيامنا الشريفة بضيائها ، وكَمَلَ دولتنا القاهرة^(٢) بحاسن أوليائها ، وجعل نعمنا الغامرة تكاثر الغمام بآلائها ، وضوّ ممالكنا العامرة بَنَ يجمَل النظر فيما يتولّاه من نواحيها وأرجائها .

نحمده على نعمه التي لا تزال تجول وتجود ، وتروم اختصاصنا بالمزيد من كرمها وتروء ، وتؤمّ حرماننا بأفضالها فتصول بنصول النصر على الأسود وتسود ، وترد على حمانا الرحب فتجود بوافر أحسابها^(٣) على أهل التهايم والنجود .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة ترغم من الكفار معاطسهم ، وتجدّ^(٤) بحدّها منابت بهتانهم ومغارسهم ، وتحسم بحسامها أبطال باطلهم وفوارسهم ، وتهدم بإقامة منار الإسلام معابد ضلالهم وكنائسهم .

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أعرض عن متاع الدنيا ، ورغب فيما أعدّ الله له في الآخرة من المقام المحمود والدرجة العليا ، وشغل بذكر الله تعالى في اليقظة وقلبه في الرؤيا ، وقام في نصرته الحق يسعى فشكر الله مقاماً وسعياً .

(١) البيت الأخير للمتنبي ، ديوانه : ١٠/١ .

(٢) (خ) : « الباهرة » .

(٣) (س) : « إحسانها » .

(٤) أي : تستأصل .

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا بهداه خير سبيل وفازوا لما أتبعوه بالفخر المعظم والمجد الأثيل ، ونصروا الدين الحنيف بطعن الأسمر المثقف ، وضرب الأبيض الثقيل ، وعزَّ وجود مثْلهم لما ضرب مثْلهم في التوراة والإنجيل ، صلاة لا يبلغ العدد أمدّها ، ولا يُنفِذ الزمن مُدّها ، ما تبسّم ثغر صباح عن لعس ظلام ، وتنسم روض أرض عن نفس شيخ أو ريح ^(١) خزام ، وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد

فإن المناصب تعلو بمن يلي أمرها ، وتشرف على غيرها بمن يعظم الناس لأجله قدرها ، وتفوق بمن يُطلع في ليالي ^(٢) التام والكمال بدرها ، وتكبر بمن إذا تحدث فيها أجرى بالأموال والأمواه بحرّها ، وتفخر بمن إذا تولى نظرها جمع نفعها ومنع ضرّها ، ونظر الجوالي التي ^(٣) في الوظائف الدينية عدادها ^(٤) ، وإلى القرب السنيّة معاجها ومعادها ، وإلى الشرع الشريف ميلها ^(٥) واستنادها ، وبسيفنا الذي تجرده مهابتنا انتصارها واعتضادها ، لأنه استخراج مالٍ قد تقرّر شرعاً ، وأخصب في الحل ^(٦) مرعى ، ودرّ بالبركات ضرعاً ، واتسع به الإسلام صدرأ لمّا ضاق به الكفر ذرعاً ، وقرّت به عيون الدين ، وكيف لا تقر العين إذا أخذت من ^(٧) عدوها وهو لا يستطيع منعاً ، لا يدخل الحول على ذمي إلا جاء إليه من يطلب الجالية ، وأحاط به الذلّ الذي

(١) (خ) ، (ق) : « أو أريج » .

(٢) (خ) : « ليل » .

(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « .. الجوالي من الوظائف التي .. » .

(٤) (س) : « عددها » .

(٥) في الأصل : « مثلها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٦) (خ) : « الحل » .

(٧) في (س) ، (ق) : « .. لا تقر إذا أخذت العين من .. » .

يقول معه ﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيهِ ﴾^(١) ، وتجددت له حال^(٢) حالكة وحالة الإسلام حالية ، على أن أهل الذمة في الذلة ماهرون ، وتماهم المصيبة أنهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون^(٣) .

وكان المجلس العالي القضائي الضيائي أبو المحاسن يوسف مِمَّنْ جَلَّ الدول ، وأسعفته الأيام بمراده حتى كأنها له من جملة الخول ، وفخر زمانه بوجود مثله ، وشهد حتى حسّاده بوفور فضله ، وأجرى الله تعالى نهر دُرْبته فكان غير آسن ، وبهر حُسن أوصافه حتى صدق من قال : إن يوسف أبو المحاسن ، ورفع الله خبره فانتصب تمييزاً ، ومضت له مدة في الشام والسعدُ يقول : هذا في مصر يكون عزيزاً ، وخُطب إلى الديار المصرية فوردها وحلَّ بها فحلَّ الأمور تصرفاً وعَقْدَها ، وولي المناصب العلية ، وباشر الوظائف السنية ، أحسن نظره في الأوقاف [وأجرى أموراً على أجل الأوصاف]^(٤) ، ونظر في أموال الأيتام فنا^(٥) حاصلهم وربا ، وأجل المعاملة لهم فما انتهى لهم سبب إلا أتبع سبباً ، وتولَّى نظر البيمارستان المنصوري فغمَّره بحسن النظر وعمَّره ، وأثر فيه بنياناً لآل الضياء^(٦) شمس وقمره ، وزاد أوقافه ريعاً وملكاً ، ونظم درّ تدبيره الجميل سلكاً ، وباشر الحسبة الشريفة ، فكانت بمعارفه أليق وأشبه ، وأصبح قدرها بولايته أنبل وأنبه ، وروّع أصحاب الغش بمهابته ، وما لكل محتسب عند الناس^(٧) حسبه ، إلى غير ذلك من نظر الأهرء^(٨) التي ملأها حبّاً ، وصبَّ الله البركات فيها بنيتها الطاهرة صبّاً ، ونظر دار القنود التي حلَّت بحديثه فيها ، وتميز ارتفاعها جملاً تُعجز واصفيها .

(١) سورة الحاقة : ٢٨/٦٩ .

(٢) (خ) ، (س) : « حاله » .

(٣) في التنزيل : ﴿ حَتَّىٰ يَعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩/١] .

(٤) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « فين » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) « بالضيء » .

(٧) في الأصل : « الله » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٨) (خ) : « الأوقاف والأهرء » .

هذا إلى صدر رحيب ، وخلق ماله مُشاكل ولا ضريب ، وثناء هو ^(١) في الذكر أبو الطيب ، ووجه إلى القلوب حبيب ، فكأنه كعبة قصّاد ، ومنزل رّواد ، ومنهل ورّاد ، وحلبة جود سَبَقَ فيها حاتمًا هذا الجواد . قد تورّع عن المناصب الديوية ، وعرضت عليه أيا من الشريفة وأيامَ والدنا الشهيد فلم يكن له فيها رغبة ولا نيّة ، وندبناه لنظر دولتنا الشريفة ، ورقيناه ^(٢) ذرًا شرفاتها المنيفة ، فجعل نجوم أموالها أهلةً ، وأمطر سحائبها المستهلةً ، وأعرض عنها فباشرها إلا تحلة ^(٣) ، ولوى جيده عنها واستعفى ، ورنق الإهمال في ناظره حتى أغفى ، فأجبنا قصده وأعفيناه ، وعلّمنا تورّعه فأثرنا راحته إلا بما استثنيناه ، وخبأنا له عندنا ما يناسب مراده ويوافق اجتهاده ، ويعاضد اعتاده ، علماً بإعراضه عن ^(٤) العرض الأدنى ، وزهداً فيما ورّزه يبقى وحطامه يفي .

فلذلك رَسِمَ بالأمر الشريف العالي المولوي السلطاني الملكي الصالح العمادي أن يفوّض إليه نظر الجوالي بمصر والقاهرة المحروستين والوجه القبلي والوجه البحري مضافاً إلى ما بيده .

فليباشر ما فوّض إليه مباشرة عهدت من حسن اعتاده ، وشهدت من وافر اجتهاده ، وهو بحمد الله غنيّ عن الوصايا التي تشير إليها أنامل الأقلام ، وتحقق بها من قعقعة الطروس أعلام ، فما نعلّم عوانه ^(٥) فيها خمره ، ولا نُطْلِع في أفق هذا التوقيع نجماً ، ولو شاء ^(٦) أطلع شمس الصواب وبذرّه ، ولكن تقوى الله تعالى ملاك الأمور

(١) في الأصل : « فهو » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ووفيناه » ، وأثبتنا في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٣) التَّحَلَّة : ما يكفر به .

(٤) في الأصل : « من » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) في الأصل : « خوانه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) . وهو من أمثالهم ، وقد سلف في غير موضع .

(٦) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « ولو شاء هو .. » .

المهمة ، والصايا^(١) التي إذا راعاها الإنسان لم يكن أمره عليه عَمَّة ، فليجعلها لعينه نصباً ولقربه من الله قُرْبى .

والله تعالى يُدِيم صونه ، ويجدّد في كل حال عونه .

والخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه ، والله الموفق بمنّه وكرمه إن شاء الله تعالى .

١٩٧٧ - يوسف بن أبي البيان *

رشيد الدين مقابل الاستيفاء بصدد .

كان شيخاً قديم الهجرة ، وكان يهودياً أولاً ، وخدم عند أرجواش ، ثم عند التلاوي ، وأسلم اختياراً من غيره إكراه ، لأنه كان يجتمع بالشيخ تقي الدين بن تيمية ، والشيخ صدر الدين بن الوكيل .

وكان شيخاً وادعاً لاشرفيه ، يحتمل الأذى ولا يكافي عليه ، قال : قال لي يوماً الشيخ تقي الدين بن تيمية : يارشد ، قال ابن حزم : أول كذبة كذبها بنو إسرائيل أنهم زعوا أنهم دخلوا إلى مصر في زمن يوسف الصديق ، وهم اثنان وسبعون نفساً ، وخرجوا منها مع موسى لمّا فروا من فرعون ست مئة ألف ، قال : وكنت إذ ذاك يهودياً ، فقلت له : ياسيدي هذا ابن حزم كان نبياً ؟ فقال : لا . قلت : ولا كان من الصحابة ؟ قال : لا . قال^(٢) : ولا من آل بيت النبي^(٣) ؟ قال : لا . قلت : هذا ابن حزم ما كان يعرف اثنين واثنين أربعة ؟ فقال : لأي شيء ؟ قلت : ما يعلم مولانا أن رقعة الشطرنج أربعة وستون بيتاً ، وإذا وضعت في الأول عدداً واحداً وفي الثاني

(١) (س) ، (خ) ، (ق) : « والأمور » .

* الدرر : ٤٨٣/٤ .

(٢) (خ) : « قلت » .

(٣) (خ) ، (ق) ، (س) : « النبوة » .

اثنين وفي الثالث أربعة وفي الرابع ثمانية وهلمَّ جرّاً ، هكذا تضاعف العدد في كل بيت فبلغ^(١) العدد أخيراً ثمانية عشر ألفاً ستّ مرّات ، وأربع مئة وستة وأربعين ألفاً ، خمس مرّات ، وسبع مئة وأربعة وأربعين ألفاً أربع مرّات ، وثلاثة وسبعين ألفاً ثلاث مرّات ، وسبع مئة وتسعة آلاف مرتين ، وخمس مئة واحداً وخمسين ألفاً وست مئة وخمسة عشر عدداً ، ومع ذلك فبنو إسرائيل إنما عدّوا^(٢) الرجال ، وأما النساء والصبيان والأشياخ الذين^(٣) هرموا فلم يذكروهم . فقلت له : إنا يامولى^(٤) رشيد الدين : قوم يخرجون في عدة ألف ألف نفس على القليل هارين على وجوههم من فرعون ، على ماذا حملوا زادهم ؟ وأي ماء إذا نزلوا عليه كفاهم^(٥) ، هذا بعيد من العادة . فلم يحرجوا . فقلت له : أنا أتبرع لك بالجواب ، وهو أنهم كان معهم موسى صلوات الله عليه ، وييده العصا التي يضرب بها الحجر فينفجر منه اثنتا عشرة عيناً ، وعناية الله تعالى بهم تحملهم وتعينهم على ما يحتاجون إليه من كل شيء ، وعلى الجملة فالذي استبعده ابن حزم لا ينكر ، لأن هذا عدد كثير على ما يزعمونه .

وكان هذا رشيد الدين يحفظ كثيراً من (ديوان العفيف التلمساني) ، وأظنه رآه واجتمع به ، وكان بيني وبينه صحبة ومودة .

ولما توفي - رحمه الله تعالى - بصفد في ثالث عشري شهر رجب الفرد سنة إحدى وأربعين وسبع مئة ، وكان قد عدّى الثمانين . حكى لي قال : رأيت في النوم كأنني قد أكلت اثنين وثمانين مثقالاً من الدرايق ، والأطباء يقولون : إن كل مثقال لسنة ، فلعلّي أعيش هذا العدد ، فعدّى الثمانين ، وربما تجاوز عدد المشاقيل ، وكان شيخاً طوالاً ، ولم يتزوج عمره .

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) : « فبلغ » .

(٢) في الأصل : « عدوا » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، (س) .

(٣) في الأصل : « الذي » ، وأثبتنا ما في (خ) ، (ق) ، (س) .

(٤) ليست في (خ) .

(٥) (ق) ، (خ) : « يقوم بكفائتهم » .

ولما توفي رحمه الله تعالى أخبرني بوفاته القاضي جمال الدين عبد الله الكاتب ، وهو ابن أخت المتوفى ، وهو إذ ذاك شابّ يانع غض الشبيبة ، فاشتغل خاطري عامة ذلك النهار بالقاضي رشيد الدين رحمه الله تعالى ، فلما نمتُ رأيتني في المنام وأنا كأني أنشد الحكيم الفخر الطيب ابن أخت رشيد الدين أيضاً وهو إذ ذاك شابّاً أيضاً :

النَّاسُ إِذَا قَادِمٌ فِي مَهْدِهِ أَوْ رَاحِلٌ فِي نَعْشِهِ يَتَحَاشَى
هَذَا لَزْهَرَةَ هَذِهِ الدُّنْيَا أَتَى غَضّاً وَهَذَا قَدْ دَوَى وَتَلَاشَى

فانتبهتُ وأنا أذكرهما ، وأعجبنى هذا المعنى ، ونظمت فيه في اليقظة ، فلم ألحق هذه الطبقة ، لكن فيه مقابلة أربعة بأربعة . وهو :

أَرَى أَنَّ الْبَرِّيَّةَ وَفَدَ زَهْرٍ وَفَعَلَهُمْ تَطَابُقَ بِالتَّسَاوِي
فَهَذَا قَدْ أَتَى فِي الْمَهْدِ غَضّاً وَهَذَا رَاحَ فَوْقَ النَّعْشِ ذَاوِي

١٩٧٨ - يوسف بن حمّاد*

الشریف جمال الدين الحسيني المشهدي الإمامي ، شيخ الشيعة ومفتيهم .
حجّ مرات ، وجاور بمكة^(١) ، وله نظم .
مات في المعترك سنة سبع وعشرين وسبع مئة .

١٩٧٩ - يوسف بن دانيال**

ابن منكلي بن صرفا ، القاضي الإمام الفاضل بدر الدين ابن القاضي ضياء الدين .

* الدُّرَر : ٤٥٢/٤ .

(١) في (ق) ، (س) : « البيت » .

** الدُّرَر : ٤٥٢/٤ .

تقدم ذكر والده في حرف الدال ، التركاني الكركي قاضي الشوبك .

كان فقيهاً فاضلاً ، قرأ على الشيخ تاج الدين ، وعلى ولده . وأقام بالكرك مدة يُفتي ويُدرّس ، ثم ولي القضاء بالشوبك .

وكان حسن الشكل مليح الهيئة ، فيه كرم ومروّة ، وسمع من الشيخ شمس الدين بن أبي عمر ، وابن البخاري ، ومن والده وغيرهم . وحدث بدمشق والكرك والشوبك .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ثاني شهر رمضان سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة .

١٩٨٠ - يوسف بن داود بن عيسى*

ابن محمد بن أيوب ، الملك الأوحّد نجم الدين أبو المحاسن ابن الملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر ابن الملك المعظم شرف الدين ابن الملك العادل أبي بكر .

كان من أعيان أولاد الملوك وأكابرهم المشهورين بالفضل والديانة والجلالة والمكانة والتقدم في المجالس عند الملوك ، وكان يُحسن إلى الضعفاء والمرضى ، يفرّق عليهم الأكحال والأدهان وغير ذلك بالقدس .

وتوفي سنة ثمانٍ وتسعين وست مئة بالقدس ، ودفن برباطه بالقدس^(١) عند باب حطّه .

ومولده في سنة ثمانٍ وعشرين وست مئة .

* العبر : ٣٩٠/٥ ، والبداية والنهاية : ٥/١٤ ، والشذرات : ٤٤٣/٥ .

(١) ليست في (س) .

١٩٨١ - يوسف بن رزق الله*

القاضي جمال الدين الموقع ، هو ابن أخت القاضي شرف الدين بن فضل [الله]^(١) وأخيه القاضي محي الدين .

أظنه باشر الجيش مدة ، ثم إنه انتقل إلى كتابة الإنشاء ، ورُسم له في وقت بكتابة الدرج في حماة عوضاً عن نجم الدين بن قرناص ، ولكن لم^(٢) يَكُنْ من المباشرة . ثم إن الأمير سيف الدين تنكز جهّزه إلى غزّة موقعاً ، فأقام بها مدة ، ثم إنه نقل إلى توقيع صفد ، وأقام بها مدة ، ثم إن تنكز تقم عليه^(٣) وعزله ، وأقام بطّالاً ، عزله بعلاء الدين بن نصر الله ، ولَمَّا أَمْسَكَ تنكز طلع القاضي جمال الدين إلى مصر ، وعاد إلى الوظيفة بصفد .

ولم يزل بها إلى أن توفي - رحمه الله تعالى - في شهر ربيع الآخر سنة خمس وأربعين وسبع مئة . وكان قد ثقل سمعه ، وأما باقي حواسه فإنه تمتع بها ، ولعله قارب التسعين ، وهُمّتْه كما كان ابن ثلاثين سنة .

وكان فيه كرم ومرّوة وعِشرة ، ودَفِنَ بصفد ومات له بدمشق ولدان^(٤) كانا شابين مليحين ، صبر على مصيبتها ، واحتسب .

وأنشدني من لفظه لنفسه في سنة أربعين وسبع مئة بدمشق :

بدا لنا ينفخ غُثُنُونُه وكَبُرَ العِمَّةُ واللَّحِيه
وعنّفص الأَنْفِ لأَفْسُو بِهِ فجئتُ أفسو طلعت خريه^(٥)

* الدرر : ٤٥٣/٤ .

(١) زيادة من (ق) ، (س) .

(٢) (ق) ، (س) : « قرناص ولم » .

(٣) في (ق) ، (س) : « تقم عليه شيئاً وعزله » .

(٤) في الأصل و (س) : « ولدين » ، وعبارة (ق) ، (ط) : « ودَفَنَ بصفد وبدمشق ولدَيْن » .

(٥) العَفَصُ : الالتواء في الأنف . والتعنّفص : الصِّلَف والخِيلاء .

١٩٨٢ - يوسف بن سليمان *

ابن أبي الحسن بن إبراهيم ، الفقيه الأديب الشاعر الخطيب الصوفي الشافعي النابلسي .

نشأ بدمشق وقرأ بها الأدب على الشيخ تاج الدين الياني ، وقرأ النحو على الشيخ نجم الدين القحفازي وغيره ، وحفظ (التنبيه) فيما أظن .

كان شاعراً قادراً على الارتجال ، ماهراً في ^(١) الإقامة على المعاني الجيدة والارتجال ، ينظم القطعة على ما يُطلب منه بدياً ، ويحيد الإتيان بها والتَّصَرُّف فيها .

وكان لذيذ المفاكة ، جميل التخلف والمواجهة ، صحب الناس وعاشرهم وجاملهم بالودّ وكاشرهم ، وحاسنهم وما خاشنهم ، وشاجنهم وما شاحنهم ، وصافهم وما نافهم ^(٢) ، فاشتغل الرؤساء على وده ، والتقطوا من منادمته جنيّ ورّده ، وكان كما قال الحريري ^(٣) :

وعاشرت كلّ جليس بما يُلائمه لأروق الجليسا
فبين الرواة أدير الكلا م وبين السّقاء أدير الكؤوسا

وكان مليح النادرة ، سريع الجواب في البادرة ، وتنسّك في آخر عمره وحسّن حاله في نهاية أمره ، وخطب فأشجى القلوب ، ونَدَّمَ على مائدٍ من الذنوب .

ولم يزل على حاله أن خلا من مقامه المنبر ، وما ذكره صاحبه إلاّ استعبر .

وتوفي - رحمه الله تعالى - ثامن عشر ^(٤) شهر ربيع الآخرين سنة خمسين وسبع مئة في طاعون دمشق ، انقطع يومين لا غير .

* فوات الوفيات : ٣٤٣/٤ ، والدُّرر : ٤٥٣/٤ .

(١) في الأصل : « على » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « ووافهم وما جافهم » .

(٣) في المقامة الطبيعية . وفيها : « فعند الرواة .. » .

(٤) (خ) : « عشري » .

وحج في سنة ثلاث وعشرين وسبع مئة ، ثم إنه حج في سنة سبع وأربعين وسبع مئة ، عقيب موت ولده سليمان ، فإنه حصل له ألم كبير بوفاته ، وما رأى لنفسه دواءً غير الحج .

وكان شاعراً يجيد المقاطيع لفظاً ومعنى ، وله في ذلك بديهة مطاوعة ، وفكرة متسعة ، وكان القاضي شهاب الدين بن فضل الله قد جدّد رسوم البدرية^(١) التي في أرض مقرى^(٢) ، وعمرها في أيام الأمير علاء الدين الطنبا ، وقرّر فيها خطبة يوم الجمعة ، وجعل هذا جمال الدين^(٣) خطيباً بها ، فهو أول من خطب بها ، وكان أول يوم خطب به يوماً مشهوداً ، اجتمع له القضاة والعلماء ووجوه الناس والأعيان ، وعمل القاضي شهاب الدين ذلك النهار طعاماً كثيراً ، وخلع فيه الخلع السنيّة ، وخطب جمال الدين المذكور خطبة جيّدة فصيحة الألفاظ بليغة المعاني ، واستمرّ إلى أن مات - رحمه الله - وهو يخطب من إنشائه .

وكتبت له توقيعاً بالخطابة ، ونسخته :

رُسِمَ بالأمر العالي لا زال يكسو المنابر جمالاً ، ويكسب أقرار الوجوه من الخطباء كلاً ، أن يُرتّب المجلس السامي جمال الدين في كذا ثقة ببلاغته التي يرف على مياهاها ريحانُ القلوب ، وفصاحته التي يكاد لفظها لمن يذوق يذوب ، وبراعته التي إذا قال : « أيها الناس » فقد غزا الأسماع بجيش غير مغلوب ، وعظاته التي إذا فاه بها بكى الناس ليوسف بأجفان يعقوب ، وعبارته التي نسج منها ابن المنير^(٤) على خير أسلوب ،

(١) المدرسة البدرية قبالة الشبلية التي بجبل قاسيون . الدارس : ٣٦٥/١ .

(٢) قرية من نواحي دمشق اندثرت بكاملها . (معجم البلدان) ، وانظر فهارس ابن رافع : ٢٤٦/٢ .

(٣) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « الصوفي » .

(٤) أحمد بن محمد بن منصور ابن المنير الإسكندراني ، له ديوان خطب (ت ٦٨٣ هـ) . فوات الوفيات :

ومقاصده التي قطف ابن نباتة زهره^(١) من روضها المحبوب ، لأنه في هذا العصر بحمد الله تعالى أفضل^(٢) مَنْ عَفَّ وَمَنْ بَرَّ ، وأفصح خطيب لو كلف مشتاق فوق ما في وسعه لسعى إليه المنبر^(٣) .

فليباشر ذلك مباشرة يُعقد على فخرها الإجماع ، وتُشَنَّف بِدَرَّها الأسماع ، ويثق من إحسان هذه الدولة ببلوغ مناه ، وإزالة عناه ، وإزاحة ما يحجب غناه . فطالما خلت وظيفة كان يظنها له ملاذاً ، وشعر منصب استسقى منه^(٤) رذاذاً ، ولاح رزق قلب^(٥) وجهه في سائه ، وهذه الولاية^(٦) تقول : ﴿ يَوْسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا ﴾^(٧) ، إلى أن لمع به^(٨) شهاب تألق ، وأغدق وإبل جوده الذي فاض وترقرق ، فرقاه خطيباً ، وهزّ بلطفه المنبر غصناً رطيباً ، وضوّع أرجاءه بأرجه حتى قيل إنه ضفّخ^(٩) طيباً فليجُرِّ بعظاتها الزاجرة^(١٠) سحب المدامع ، ويوقظ البصائر بإرشاده من كل ذي طرف هاجع ، ويُمِيل عطف من يسمعه فإنه على غصن منبره بليلٍ حَلَّتْه^(١١) بلبلٌ ساجع . وليستدرج القلوب الطائرة إلى لقط حب التوبة ، ويستخرج خبايا الندم على ما فات ،

(١) في (خ) : « زهرها » . وابن نباتة السعدي الفارقي صاحب ديوان الخطب المشهور ، سلفت الإشارة إليه .

(٢) (خ) : « أضعف » .

(٣) يشير إلى قول البحري :

فلو أنْ مُشتاقاً تكلف غير ما في وسعه لمشي إليك المنبر

(٤) في (س) ، (ق) ، (خ) : « استقى من وبله رذاذاً » .

(٥) في الأصل : « ولاح درق قلت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٦) في الأصل : « الولاية » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) . وفي (خ) : « الوظيفة » .

(٧) سورة يوسف : ٢٩/١٢ .

(٨) في الأصل : « بلغ به » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (خ) .

(٩) في (س) ، (خ) ، (ق) : « زيادة » : إنه صم خطيباً وضفّخ طيباً .

(١٠) في الأصل : « الزاخرة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(١١) في الأصل : « جلته » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

فكم للنفوس من أوبة بعد عظيم الحوبة ، ويغسل درن الذنوب بذكر المات فكم لصخر
القساوة به من لين ودَوْبَة . وإذا وعظ فلا يعظ إلا نفسه التي يحضها النصيحة ، وإذا
ذكر فليذكر في ذلك الجمع انفراداً إذا سكن ضريحه ، فإن ذلك أوقع في نفس السامع ،
وأجلب لسحّ الجفن الهامي بالدمع الهامع ، وليأخذ لذلك طيبه العاطر وزينته ، ويرق
درج منبره بوقاره الذي لا تُزعزع الرياح سكينته ، وليبلغ السامعين بإفهام واقتصاد ،
ويذكرهم بتقوى الله تعالى والموت والمعاد .

وليأت بأدب الخطيب على ما يعلمه . ويحذر من تغيير اللفظ الذي يكاد أن
يُعرّبه فيُجمّعه ^(١) ، وتقوى الله تعالى جنة واقية ، وجنة راقية ، وسنة باقية ، فليلبس
حلة شعارها ويغلي ^(٢) مناره منارها ، والله يلين لقاله جامد القلوب ، ويمنح ^(٣)
بعظاته ماسود الصُحف ^(٤) من الذنوب .

والخط الكريم أعلاه ، حجة بمقتضاه ، والله الموفق بمنه وكرمه إن شاء الله تعالى .

وكان القاضي محيي الدين بن فضل الله لما تولّى كتابة السر بعد شمس ^(٥) الدين بن
الشهاب محمود قد رتب جمال الدين المذكور في ديوان الإنشاء كاتب الغيبة على
الموقعين ، وكان يحضر الديوان بكرة وعصراً ، ويكتب اسم من تغيب ، ويؤخذ من كل
من غاب من جامكته ما يخص كل يوم ، ولازم الديوان مدة فتاقت ^(٦) نفسه ليكون من

(١) يشير إلى قول الخطيئة :

الشعر صعب وطويل سَلَمَه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الخفيض قَلَمَه يريد أن يعرّبه فيجمّعه

انظر : شرح أبيات اللفي للبغدادي : ٥٧/٤ .

(٢) في الأصل : « ويقل » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٣) في الأصل : « ويسح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٤) : « من الصحف » .

(٥) (خ) ، (ق) ، (س) : « القاضي شمس » .

(٦) (خ) ، (ق) ، (س) : « ولازم الديوان لذلك فتاقت » .

جماعة الجماعة في الموقعين ، وأخذ يرشّح نفسه لذلك وينجمع عن الناس ، وخلع ذلك الثوب الذي كان لبسه ^(١) ، فسَلَطُوا عليه الفخر عثمان النصيبي الذي كان يدخل إلى تنكز ، ويُمسخر بالناس عنده ، فدخل يوماً إلى تنكز وقال : يا خوند هناك ^(٢) صبيّ وما أقدر أعمل شغلاً إلا به ، فقال : اطلبوه ، فطلب في الحال ، فأحضر ، وأخذ عثمان يُمسخر وينزل في قذاله ، فتألم جمال الدين المذكور لذلك ألماً عظيماً وكاد ^(٣) يسافر من دمشق ، وتيقظ له جماعة الشعراء في ذلك العصر ، ونظموا فيه مقاطيع كثيرة ، وجمعها زين الدين عمر بن الحسام ^(٤) الشاعر ، وعملها صورة مقامة ، وكتب بها نسخ كثيرة ، ومما نظم في هذه الواقعة ^(٥) :

يوسف الشاعر من قصه يروم جهلاً رتبة الفاضل
تطلب التوقيع في جلق فجاء التوقيع في الساحل ^(٦)

وأنشدني من لفظه لنفسه في فرس أدهم :

وأدهم اللون فات البرق وانتظره فغارت الريح حتى غلبت أثره
فواضع رجله حيث انتهت يده وواضع يده أنى رمى بصره
شهم تراه يحاكي السهم منطلقاً وماله غرض مستوقف خبره ^(٧)
يعقر الوحش في البيداء فارسه وينثني وإدعاء لم يستثير غبره ^(٨)
إذا توقل قطب الدين صهوته أبصرت ليلاً بهيماً حاملاً قمره

(١) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « وانزل » .

(٢) (ق) ، (خ) : « هنا لي » .

(٣) في الأصل : « وكان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٤) هو عمر بن آقوش ، سلفت ترجمته .

(٥) في الأصل : « الرقعة » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٦) يكونون بذلك عن الصفع على القفا .

(٧) في الفوات : « سهم » .

(٨) هذا البيت ليس في الفوات .

وأنشدني أيضاً لنفسه :

قد مَضَتْ لَيْلَةُ الْوَصَالِ بِحَالِ قَصَّرْتُ عَنْ مُحْصَلِ الْأَزْمَانِ
أَخْبَرْتَنَا أَنَّ الزَّمَانَ جَمِيعاً قَدْ تَقَضَّى فِي لَيْلَةِ الْمَجْرَانِ^(١)

وأنشدني من لفظه لنفسه :

يَعْيِيُونَ مَنْ أَهْوَى بِكَسْرَةِ جَفْنِهِ وَعِنْدِي لِهَذَا الْعَيْبِ قَدْ تَمَّ حُسْنُهُ
فَقُلْتُ وَمَا قَصْدِي سِوَى سَيْفِ جَفْنِهِ إِذَا دَامَ فَتَكَ السَّيْفُ يُكْسِرُ جَفْنَهُ^(٢)

وأنشدني أيضاً ما قاله في بستان الصَّاحِبِ شمس الدِّين :

وَدَوْلَابُ يَحْنُ بِحَسِّ عُرْدٍ عَلَى وَتَرٍ يَسَاسُ بَغِيرِ جَسٍّ^(٣)
فَلَمَّا أَنْ بَدَتْ مِنْهُ نَجْمٌ حَكَى فَلَكاً يَدُورُ بِسَعْدِ شَمْسٍ

وأنشدني من لفظه له في مَليحٍ ينظر في مرآة :

سَقِيّاً لِمِرْآةِ الْحَبِيبِ فَإِنَّهَا أَمَسَتْ لَطَلَعَتِهِ الْبَهِيَّةَ مَطْلَعاً
وَاسْتَقْبَلَتْ قَرَّ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرَتْنِي الْقَمَرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعاً

وأنشدني من لفظه وكان الغَزَيَّ يدَّعيها :

كَانَ السَّحَابَ الْغَرَّ لَمَّا تَجَمَّعَتْ وَقَدْ فَرَقَتْ عَنَّا الْهَمُومُ بِجَمْعِهَا
نِيَاقُ وَوَجْهِ الْأَرْضِ قَعْبٌ وَثَلَجُهَا حَلِيبٌ وَمَرَّ الرِّيحِ حَالِبٌ ضَرْعُهَا

وأنشدني أيضاً ، والغَزَيَّ يدَّعيها :

وَنَوَارُ خَشْخَاشٍ بَكَرْنَا نَزْوَرَهُ وَقَدْ دُهِشَ الرَّائِي لِحَسَنِ صَفْوَفِهِ^(٤)
تَغْنَى بِهِ الشُّحُرُورُ مِنْ فَرْطِ وَجْدِهِ فَتَقَطَّ بِالْيَاقُوتِ مَلءٌ دَفْوَفِهِ

(١) (خ) : « عن الزمان » .

(٢) في الأصل : « سِوَى كَسْرٍ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) ، والفوات .

(٣) (خ) والفوات : « حَسٍّ » .

(٤) في الفوات : « صنوفه » .

وكننت قد سمعت له وأنا بصفد في حدود العشرين وسبع مئة :

كَأَنَّ ضَوْءَ الْبَدْرِ لَمَّا بَدَا وَنُورُهُ بَيْنَ غُصُونِ الْغُصُونِ
وَجَهَ الْحَبِيبِ زَارَ عُشَّاقِهِ فَاعْتَرَضَتْ مِنْ دُونِهِ الْكَاشِحُونَ

ونظم زين الدين عمر بن داود الصفدي أيضاً في ذلك قطعة ، وقد تقدمت في ترجمته فأعجبني نظم جمال الدين ، وقلت أنا فيه :

كَأَنَّا الْأَغْصَانُ لَمَّا انْتَشَتْ أَمَامَ بَدْرِ التَّمِّ فِي غَيْهِهِ
بِنْتُ مُلِكٍ خَلْفَ شِبَاكِهَا تَفَرَّجَتْ مِنْهُ عَلَى مُوَكِّبِهِ^(١)
وقلت أيضاً :

وَكَأَنَّا الْأَغْصَانُ تَشْنِيهَا الصَّبَا وَالْبَدْرُ مِنْ خَلَلِ يَلُوحُ وَيُحْجَبُ
حَسَنَاءُ قَدْ عَامَتِ وَأَرْخَتْ شَعْرَهَا فِي لُجَّةٍ وَالْمَوْجُ فِيهِ يَلْعَبُ^(٢)
وقلت أيضاً :

وَكَأَنَّا الْأَغْصَانُ فِي دَوْحِهَا يَلُوحُ لِي مِنْهَا سَنَا الْبَدْرِ
تَرَسٌ مِنَ التَّبْرِ غَدَا لَامِعاً يَقِيسُهُ أَسْوَدَ بِالشَّبْرِ
وكتبت أنا إليه ملفزاً في « مكوك الحايك » .

أَيَا مَنْ فَاقَ فِي الْآدَابِ حَتَّى أَقَرَّ بِفَضْلِهِ الْجَمُّ الْغَفِيرُ
وَأَحْرَزَ فِي النَّهْيِ قِصَبَاتِ سَبْقِ فَدُونَ مَحَلِّهِ الْفَلَكَ الْأَثِيرُ^(٣)
وَأَطْلَعَ فِي سَاءِ النَّظْمِ زَهْرًا يَلُوحُ فَمَنْ زَهِيْرًا أَوْ جَرِيرًا

(٢) في الفوات : « بنت مليح » .

(٢) في الفوات : « فيها » .

(٣) في الفوات : « في اللئى » .

فَسَأَلَكَ فِي مَنَاطِرَةِ نَظِيرٍ^(١)
 فَكَمْ ثَلَجَتْ بِمَا تَبْدِي الصُّدُورَ^(٢)
 فَذَهْنَكَ نَافِدٌ فِيهِ بَصِيرٌ^(٣)
 لَأَنَّكَ فِي الْحَجَى طَبٌّ خَبِيرٌ
 وَلَا هُوَ فِي السَّمَاءِ مِمَّا يَطِيرُ
 وَعَكْسِي قَصَّرْتُ عَنْهُ الطُّيُورُ
 وَيُسْحَبُ وَهُوَ مَغْلُوبٌ أَسِيرُ
 وَيُلْقَى وَهُوَ لِلْبُلُوبِ صَبُورُ
 وَلَا عَذْبٌ هُنَاكَ وَلَا غَيْرُ
 طَرَائِقُ دُونَهَا الرُّوضُ النَّظِيرُ
 وَيَفْتَرُّ حِينَ يعلُوهُ قُصُورُ^(٤)
 لَهُ فِي صَدْرِهِ مِنْهُ خَرِيرُ
 لَهُ مِنْ شَقَّةٍ لَمَّا يَطِيرُ^(٥)
 غَطَاءٌ وَهُوَ مَعَ هَذَا فَقِيرُ
 وَفِي أَحْشَائِهِ فَلَكَ يَدُورُ
 عَلَى مَجْمُوعِ فَضْلِكَ مَا أَشِيرُ
 وَعِزٌّ مَا سَقَى رَوْضاً غَدِيرُ^(٦)

قَطَعْتَ أَوَّلِي النَّهْيَ فِي الْبَحْثِ سَبْقاً
 إِذَا أَغْرَبْتَ فِي الْإِعْرَابِ وَجْهاً
 وَإِنْ قِيلَ الْمَعْنَى وَالْمُؤَرَّى
 وَهِيَ أَنَا قَدْ دَعَوْتُكَ لِلتَّحَاجِي
 فَمَا سَاعَ يُرَى فِي غَيْرِ أَرْضٍ
 تَرَاهُ مُرَدِّدًا مَـبَايِنَ طَرِدٍ
 وَيُلْطَمُ كُلَّمَا وَافَى مَـسَدَاهُ
 وَتَنْزَعُ كُلُّ أَوْنَةٍ حَشَاهُ
 وَيُزْشَفُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْهُ ثَغْرُ
 إِذَا مَاسَا رَآثُ فِي خَطَاهُ
 يَجْرُ إِذَا سَعَى ذَنْباً طَوِيلًا
 وَيُسْمَعُ مِنْهُ عِنْدَ الْجَرِيِّ صَوْتُ
 قَلِيلِ الْمَكْثِ كَمْ قَدِ بَاتَ تَطْوِي
 وَيَفْتَرِشُ الْحَرِيرَ وَيَرْتَدِيهِ
 وَتَظْهَرُ فِي جَوَانِبِهِ نَجُومُ
 فَأَوْضَحَ مَا ذَكَرْتَ فَعَبْرٌ خَافٍ
 وَدُمٌّ فِي نَعْمَةٍ وَسَعُودٌ جَدُّ

فَكُتِبَ الْجَوَابُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ :

- (١) فِي الْفَوَاتِ : « أَوَّلِي النَّهْيِ وَالْفَضْلُ بَحْثًا » .
- (٢) فِي الْفَوَاتِ : « أَغْرَبَ » .
- (٣) (خ) وَالْفَوَاتِ : « نَاقِدٌ » .
- (٤) (ق) ، (خ) ، (س) : « يَعْرِوهُ » .
- (٥) (ق) ، (خ) ، (س) وَالْفَوَاتِ : « يَسِيرُ » .
- (٦) فِي الْأَصْلِ : « وَسَوَادٌ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (ق) ، (خ) ، (س) وَالْفَوَاتِ .

أَوْجُهُكَ لَاحَ أَمْ قَرَّ مُنِيرٌ
 طَلَعَتْ طُلُوعُ شَمْسِ الصُّحُورِ صُبْحاً
 وَيَا لِلَّهِ رَوْضاً ضَمِنَ طَرْسِ
 رَمَيْتَ بِهِ إِلَيَّ فَقُلْتُ هَذَا
 أَرَانِي رَمَزَهُ الْوَضَاحُ حَسْناً
 وَإِنِّي مُلْحَقٌ بِأَقْلٍ صَنْفٍ
 فَمُذْ صَحَّفْتَهُ فِكْرِي مَلُولٌ
 هُوَ الْمَأْسُورُ بِالْمَأْسُورِ لَكِنْ
 نَشِيطٌ أَيْدٍ وَيَقَادُ طَوْعاً
 يُرَاعِ لَأَنَّ مَهْجَتَهُ يَرَاعُ
 يَحْـوُورُ إِلَى يَمِينٍ مِنْ شَمَالٍ
 غَدَا يَسْعَى بِأَرْبَعَةِ سَرَاعٍ
 يُخَالِفُ بَيْنَ رِجْلَيْهِ فَيَجْرِي
 لَهُ نَوَلٌ يَسِيرُ لِكُلِّ حَيٍّ
 إِذَا أَسَدَى إِلَيْهِ الْخَيْرُ مُسَدٍ
 كَذَلِكَ صِفَاتُكَ الْحُسْنَى وَلَكِنْ
 فَفَخْرًا ثُمَّ سَتْرًا ثُمَّ قَصْرًا
 وَذَكَرَكَ فَاحَ أَمْ نَشَرَّ عَبِيرٌ^(١)
 عَلَى فَرْسٍ حَكَى فَلَكَا يَسِيرُ
 زَهِيرٌ فِي جَوَانِبِهِ جَرِيرٌ^(٢)
 شِعَاعُ الشَّمْسِ مَأْخِذُهُ عَسِيرُ
 يَنْبُهِي عَلَى أَنِّي حَقِيرُ
 إِذَا مَا حَقَّقَ الْجُمُ الْغَفِيرُ
 وَمُذْ نَشَرَّتْهُ بَاعِي قَصِيرُ^(٣)
 لَهُ فِي أَسْرِهِ مَرَحٌ كَثِيرُ^(٤)
 بِخَيْطٍ مَتْنِهِ وَاهٍ طَرِيرُ^(٥)
 لَهُ فِي الْجُوفِ مِنْ خَوْفٍ صَغِيرُ
 وَمَا يَغْنَى بِذَا لَكِنْ يَخُورُ^(٦)
 وَلَيْسَ لِمَشْيِهِ بِهِمْ نَظِيرُ^(٧)
 وَتَرْفَعُهُ يَدَاهُ فَيَسْتَطِيرُ
 وَمَيِّتٌ فِيهِ إِحْسَانٌ كَثِيرُ^(٨)
 جَزَاءُ عَلَيْهِ وَهُوَ بِذَا قَدِيرُ
 بَدَأَتْ تَطَوَّلًا وَبَنَاقُصُورُ
 فَأَيْنَ الثَّمَدُ وَالْبَحْرُ الْغَزِيرُ

(١) في الفوات : « أم نفح العبير » .

(٢) في الفوات : « روض » .

(٣) في الفوات : « مكوك » .

(٤) في الأصل : « هو المأمور » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) ، والفوات .

(٥) في الفوات : « ويعاد » .

(٦) في الفوات : « يعيا » .

(٧) (ق) : « لمشبه » .

(٨) في (س) ، (ق) ، (خ) والفوات : « منه » .

وكتب هو يوماً متقاضياً :

إلى بابك العالي توجهتُ موقناً بسرعة نيل القصد قبل التوجه
وعادتُنا منك النجاحُ لقاصِدٍ نحاك وأنت الجاه للمتجوّه
ومن مسّ دهر من تأوّه من له سواك وأنت الجبر المتأوّه
فلاقاه بالحمدِ امرؤ وهو مطنب لخلقٍ ولست القصْدُ للمتفوّه

واقترح علينا يوماً القاضي شهاب الدين بن ^(١) فضل الله معارضة أحمد بن حسن الموصلي في موشحه الذي أوله :

باسمٍ عن لآلٍ ناسمٍ عن عطر نافرٍ كالغزال سافرٍ كالبدْر
فكان الذي نظمهُ ^(٢) ولم يلتزم قوافيه في الأغصان ولا الحشوات ، فقال :

زائرٌ بالخيالِ زائلٌ عن قربي باهرٌ بالجمالِ ناهرٌ ^(٣) بالعُجبِ
أيّ غصن نصير نزهة للنظر نزهة للنظر
لحظٌ عيني خفير ياله من غرير منة ورد الخفر منة ورد الخفر
ساحرٌ بالدلالِ ساخرٌ بالصّب في هـواه غرر في هـواه غرر
شذا المسكِ فاح فائقٌ في الكمالِ ثغر هذا الغزال لائقٌ بالحبِّ
باسمٍ عن أقاح ثغر هذا الغزال أوفريد اللال أوفريد اللال
ردّ نور الصّباح كظلام الليل كظلام الليل كظلام الليل
ريقه حين جال صرت بين الزلال في لماء العذب صرت بين الزلال
ذوق قوامٍ رطيب المنه تجنى الحرق والمنهوى في كرب المنهوى في كرب

(١) (ق) ، (خ) ، (س) : « أحد بن » .

(٢) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة « نظمهُ هو » .

(٣) (ق) : « قاهر » .

رامَ ظَلَمَ القَضِيبِ فَاشْتَكَى بِالْوَرَقِ
 فَتَشَنَّى الحَبِيبِ وَرَنَا بِالْحَدَقِ
 مِثْلُ (١) بَيْضِ النَّصَالِ مِنْ سَوَادِ الْهَدَبِ
 لَوْ رَأَى الْقَسُوسُ (٢) حَسْبَتَهُ الْمَسِيحُ
 وَهُوَ يَحْيِي النَّفْسُوسَ بِالكَلَامِ الْفَصِيحُ
 مَا تَبَيَّنَ الثُّمُوسُ عِنْدَ هَذَا الْمَلِيحُ
 خَلَّ عَنْكَ الْغَزَالُ يَرْتَعِي فِي الْكُشْبِ
 ثَغْرَهُ فِي بَرِيْقِ إِذْ جَلَاهُ بَرِيْقُ
 كُلِّ حَرٍّ رَقِيْقِ لِلْمَاءِ الرَّقِيْقِ
 خَدَّهَ وَالشَّقِيْقِ ذَا الْهَذَا شَقِيْقِ
 قَدْ بَدَأَ فِيهِ خَالَ كَسَوَادِ الْقَلْبِ
 مَا لَصَبَّ صَبَا مِنْهُ قَبْلَ الصَّبَا
 يَأْنِسِمُ الصَّبَا وَاجْتَهِدْ أَنْ تَنَالَ
 مِنْهُ طَيْبُ الْقُرْبِ جَائِرٌ قَدْ ظَهَرَ
 فِي الْوُجُودِ اشْتَهَرَ فِيهِ يَحْلُو السَّهْرُ
 صَدَّتْهَا وَقَالَ وَهُوَ يَبْغِي حَرِي

فَاشْتَكَى بِالْوَرَقِ
 وَرَنَا بِالْحَدَقِ
 وَالْعَوَالِي أَمَالِ بِالْقَوَامِ الرُّطْبِ
 حَسْبَتَهُ الْمَسِيحُ
 بِالكَلَامِ الْفَصِيحُ
 عِنْدَ هَذَا الْمَلِيحُ
 ثُمَّ قُلْ لِلْهَلَالِ يَحْتَجِبُ فِي الْغَرْبِ
 إِذْ جَلَاهُ بَرِيْقُ
 لِلْمَاءِ الرَّقِيْقِ
 ذَا الْهَذَا شَقِيْقِ
 إِذْ غَدَا فِي اشْتِعَالِ (٣) فَوْقَ نَارِ الْحَبِّ
 فِي هَوَاةٍ نَصِيبِ
 قَدْ عَلَانِي الشَّيْبِ
 جَزُ بِأَرْضِ الْحَبِيبِ
 ثُمَّ عُدْ بِالنَّوَالِ مِنْ هَدَايَا حَبِّي
 عُدْلُهُ فِي الْقَوَامِ
 مِثْلُ بَدْرِ التَّمَامِ
 وَيَمُرُّ الْمَنَامِ
 لَحَظْ عَيْنِي نَبَالَ قُلْتُ آهَ وَأَقْلَبِي

وكان الذي قلته أنا :

(١) في الفوات : « سَل » .

(٢) في (س) ، (خ) ، (ق) والفوات : « لَوْرَاتِهِ » .

(٣) في الأصل : « اشْتِعَال » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) والفوات .

جَامِحٌ فِي الدَّلَالِ جَانِحٌ لِلْهَجْرِ خَاطِرٌ فِي الْجَمَالِ عَاطِرٌ فِي النَّشْرِ
 غَصْنٌ بَبَانٍ رَطِيبٌ قَدْ زَهَا بِالطَّرِبِ
 يَنْشَتِي فِي كَثِيبٍ بِالصَّبَا عَنْ كَثَبٍ
 مَالِ الْقَلْبِ نَصِيبٌ مِنْهُ غَيْرُ النَّصَبِ
 قَمَرٌ فِي كَالٍ فَوْقَ غَصْنِ نَضْرِ طَالِعاً لَا يَزَالُ فِي دِيَاجِي الشَّعْرِ
 كَمْ جَلَا بِالسَّنَا فَرَّقُوهُ لِي الصَّبَاحِ
 وَحَلَا فِي الْجَنَى مَبْسَمٌ عَنْ أَقْصَاحِ^(١)
 إِنْ رَنَّا وَانْثَنَى أَوْ تَبَدَّدَى وَلَاخَ
 يَا حَيَاءَ الْغَزَالِ وَافْتِضَاحِ الشُّمْرِ وَاخْتِفَاءِ الْهِلَالِ وَكُسُوفِ الْبَدْرِ
 خَالَهُ كَالرَّقِيبِ لِلْعِذَارِ الرَّقِيبِ
 وَسَطَ نَارٍ تُذِيبُ حَوْلَ رَوْضٍ وَسِيمِ
 يَشْكَى اللَّهَيْبِ فِي النَّعِيمِ^(٢) الْمَقِيمِ
 ذَاقَ بَرْدَ الظَّلَالِ فِي لَهَيْبِ الْجَمْرِ وَاهْتَدَى فِي الضَّلَالِ بِبُرُوقِ الشَّعْرِ
 غَصْنٌ بَبَانٌ يَمِيسُ فِي رِيَاضِ الزَّهْرِ
 رَيْقُهُ الْخَنْدَرِيسُ فِي زَلَالٍ ظَهَرُ
 فِيهِ دَرُّ نَفِيسٍ فِي عَقِيْقَتِي بَهْرُ
 جَفَنُهُ حِينَ صَالَ فِي حَنَايَا صَدْرِي لَوْ كَفَانِي النَّبَالُ لَا كَتَفِي بِالسَّحْرِ
 شَقَّ قَلْبَ الشَّقِيقِ مِنْهُ خَدُّ أُنَيْقِ
 وَالْقَوَامُ الرُّشِيقُ فِيهِ مَعْنَى دَقِيقِ
 كَمْ سَقَانِي الرَّحِيقِ مِنْ قَمَرٍ كَالْعَقِيقِ
 بَعْدَ ذَاكَ الزُّلَالِ مَا حَلَا لِي صَبْرِي وَالْقَوَامُ الْمُهَالُ قَامَ فِيهِ عُذْرِي

(١) (س)، (خ) : « مَبْسَمٌ كَالْإِقَاحِ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « النَّعِيمِ » ، وَأَثْبَتْنَا مَا فِي (س) ، (خ) ، (ق) .

١٩٨٣ - يوسف بن سيف الدولة*

أبي المعالي بن زُمّاح - بالزّاي والميم المشدّدة وبعد الألف خاءً مشدّدة^(١) -
ابن بركة بن ثامة بن أبي المعالي بن سيف الدّولة بن حمدان التغلبي^(٢) المصري المعروف
بابن مهمندار العرب^(٣) ، بدر الدّين .

كان شيخاً متجنّداً فاضلاً ، شاعراً مؤرّخاً ، صنّف تصانيف منها كتاب في
الأنساب ، ومنها كتاب في البديع سَمَاهُ (الآيات البيّنات) .

أنشدني الشّيخ العلامة أثير الدّين ، قال : أنشدني المذكور لنفسه :

| | |
|--|--|
| وليلة مثل عين الطّبي وهي معي | قَطَعْتُهَا آمِناً مِنْ يَقْظَةِ الرُّقْبَا ^(٤) |
| أرَدَفْتُهَا فَوْقَ دَهْمِ اللَّيْلِ مُخْتَفِياً | وَالصُّبْحُ يَرِكُضُ خَلْفِي خَيْلَةَ الشُّهْبَا ^(٥) |
| حَتَّى دَهَانِي وَعَيْنِ الشَّمْسِ فَاتِرَةً | وَقَدْ جَذِبَتْ بِذِيلِ اللَّيْلِ مَا انْجَذَبَا |
| مَا هِيَ بِأَوَّلِ عَادَاتِ الصَّبَاحِ مَعِي | لَيْلُ الشَّبَابِ بِصَبْحِ الشَّيْبِ قَدْ ^(٦) هَرَبَا |

وبه قال : أنشدني له :

| | |
|---|--|
| أَعْلَى الْوَرَى هِمّاً أَوْفَاهُمْ ذِمّاً | أَسْنَاهُمْ كَرَمّاً فِي كُلِّ مُبْتَذِلٍ |
| مَاضِي الْعَزِيمَةِ وَهَبَ الْكَرِيمَةِ دَفّاً | سَاعَ الْعَظِيمَةِ ، وَثَابَ بِلَا فَشَلٍ |
| مُعْطِي الْأَلُوفِ وَمِطْعَامِ الضُّيُوفِ وَمِطْـ | عَانَ الصُّفُوفِ وَمُرْدِي الْحَادِثِ الْجَلَلِ ^(٧) |

* الفوات : ٣٤٩/٤ ، والذّرر : ٤٥٥/٤ .

(١) كذا في الأصول ، وعبارة الفوات : « والحاء المعجمة بعد الألف » .

(٢) في الأصل : « الثعلبي » ، وهو تصحيف وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

(٣) المهمندار : هو الذي يتلقّى الرّسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم دار الضيافة .

(٤) (ق) ، (س) : « وهو معي » .

(٥) (ق) ، (س) والفوات : « أردفته » .

(٦) (س) ، (ق) والفوات : « كم » .

(٧) في الأصل : « ومطعام الطعام » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

بادي الوَسَامَةِ ، دَفَاعَ الظَّلَامَةِ حَرَّ
صَافِي السَّرَائِرِ ، صَوَامَ الْمَوَاجِرِ قَوَّ
تَأْتِي الْوُفُودُ إِلَيْهِ لَا إِلَى أَحَدٍ
الذَّهْرَ جِسْمٌ وَأَعْضَاءُ جِسْمِهِ دَوْلٌ
سَالُ الْغَرَامَةِ ذُو عِلْمٍ وَذُو عَمَلٍ
أُمُّ الدِّيَاغِرِ وَالْإِصْبَاحِ وَالْأَصْلِ
وَمَنْ رَأَى الْبَحْرَ لَا يَأْتِي إِلَى الْوَشْلِ
وَأَنْتَ وَحْدَكَ فِيهِ جَوْهَرُ الدَّوَلِ

وأنشدني الشيخ فتح الدين سيّد النَّاسِ ، والشيخ أثير الدين كلاهما ، قال : أنشدنا
لنفسه :

فَلَا تَعْجَبْ لِحُسْنِ الْمَذْحِ مِنِّي
وَقَدْ تُبْدِي لَكَ الْمَرَأَةَ شَخْصاً
صِفَاتِكَ أَذْكَرْتَ حَكَمَ الْبَوَادِي^(١)
وَيُسَيِّعُكَ الصَّدَى مَا قَدْ تُنَادِي

وأنشدني الشيخ أثير الدين قال : أنشدني له :

مَاشِيَةُ الْعَرَبِ الْعَرَبَاءَ شَيْتَكُمْ
كَانَتْ سُلَيْمَى وَلُبْنَى وَالرَّبَّابَ إِذَا
وَدَارَ بَيْنَهُمَا فَحَوَى مُعَاتِبَةً
وَأَقَّةَ الصَّبِّ مِثْلِي أَنْ يَبِثَّ جَوَى
وَلَا بِهَذَا عُرِفَ الْخُرْدُ الْغِيدُ
أَزْمَعْنَ هَجْراً أَتَتْهُنَّ الْمَوَاعِيدُ^(٢)
أَرْقُ مِمَّا أَرَاقَتُهُ الْعَنَاقِيدُ
لِمَنْ يُحِبُّ وَلَا يُلَوِي لَهُ جِيدُ^(٣)

ومن شعره :

إِنْ كُنْتَ تَفْخَرُ أَنْ تَفُوهَ بِوَصْفِهِ
سَلْ عَنِ سَوَادِ الشُّعْرِ نَرْجِسَ طَرَفِهِ
حُسْناً وَمِثْلَكَ مَنْ يَفُوقُ قَرِيضَةً^(٤)
يُخْبِرُكَ بِاللَّيْلِ الطَّوِيلِ مَرِيضَةً

ومنه :

-
- (١) (س) ، (ق) والفوات : « أظهرت حكم » .
(٢) (س) ، (ق) والفوات : « الأناشيد » .
(٣) (ق) ، (س) ، والفوات : « ولا يُبْنَى » .
(٤) في (س) ، (ق) : « تعجز » .

ما إِنْ عَجِبْتُ لِكَوْنِ نَيْلِكَ فَاتَنِي لِسَوَادٍ لَحْظِي وَهُوَ بَحْرٌ مُزْبَدٌ^(١)
لَكُنِّي مُتَعَجِّبٌ كَيْفَ اخْتَفَى بَيْنَ الْأَيَادِي الْبَيْضِ حِظٌّ أَسْوَدُ
ومنه :

كُنَّا إِذَا جِئْنَا لِمَنْ قَبْلَكُمْ أَنْصَفَ فِي التَّرْحِيبِ قَبْلَ الْقِيَامِ^(٢)
وَالْيَوْمَ صِرْنَا حِينَ نَأْتِيكُمْ تَقْنَعُ مِنْكُمْ بِلَطِيفِ الْكَلَامِ
لَا غَيْرَ اللَّهِ بِكُمْ خِيفَةً مِنْ أَنْ يَجِيءَ مَنْ لَا يَرُدُّ السَّلَامَ
وَأُنشِدُنِي الشَّيْخُ قُطْبُ الدِّينِ عَبْدِ الْكَرِيمِ إِجَازَةً ، قَالَ : أَنَشِدُنِي لِنَفْسِهِ :

مَسَائِلُ دَوْرٍ شَيْبُ رَأْسِي وَهَجَرُهَا فَكُلَّ عَلَى كُلِّ لَهْ سَبَبٌ يُنْبِي^(٣)
فَأَحْلِفْ لَوْلَا الْهَجْرُ مَا شَابَ مَفْرَقِي وَتُقَسِّمُ لَوْلَا الشَّيْبُ مَا كَرِهْتُ قُرْبِي

قُلْتُ : كُنْتُ قَدْ سَمِعْتُ أَنَا الشَّيْخُ الْعَلَامَةُ تَقِيَّ الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ تَيْمِيَّةَ يَنْشُدُ هَذَيْنِ
الْبَيْتَيْنِ ، وَيَتَرَنَّمُ بِهِمَا ، فَأَعْجَبَانِي ، وَنَظَّمْتُ الْمَعْنَى مُخْتَصَرًا وَقُلْتُ :

مَسْأَلَةُ الدَّوْرِ بِنَا عَجِبْتُ مِنْ وُجُودِهَا
صَدَّتْ لَشَيْبٍ قَدْ بَدَا وَالشَّيْبُ مِنْ صُدُودِهَا

وَلَمَّا خَاضَ السُّلْطَانُ الْمَلِكُ الظَّاهِرُ بَيْبَرَسُ الْفَرَاتِ ؛ وَرَمَى بِنَفْسِهِ وَبِالْجِيُوشِ فِيهِ ،
قَالَ الْقَاضِي عَمِي الدِّينُ بْنُ عَبْدِ الظَّاهِرِ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى^(٤) :-

تَجْمَعُ جَيْشُ الشَّرِكِ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ وَظَنُّوا بَأَنَّا مَا نَطِيقُ لَهُمْ غَلْبًا^(٥)

(١) (س) : « لفرط نيلك » . وفي الأصل و (ط) : « مثلك » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) (س) ، (ط) : « بعد القيام » .

(٣) الدور : هو توقف أحد الأمرين على الآخر .

(٤) الأبيات في الوافي : ٣٣٣/١٠ ، والفوات : ٢٣٨/١ ، في ترجمة الظاهر بيبرس .

(٥) (س) ، (ق) ، والوافي والفوات : « كل فرقة » . وفي الأصل : « بهم غلبا » ، وأثبتنا ما في (س) ،

وجاءوا إلى شاطبي الفرات وما دروا
 وجاءت جنود الله في العدد التي
 بأن جياد الخيل تقطعها وثبا
 تميس بها الأبطال يوم الوغى عجباً^(١)
 فعمنا بسد من حديد سباحة
 إليه فما استطاع العدو له نقبا^(٢)

ولما سمع ابن مهندار العرب ذلك ؛ قال : أنشدني الشيخ أثير الدين ، قال :
 أنشدني لنفسه^(٣) :

لو عاينت عيناك يوم نزالنا
 وسنا الأسنة والضياء من الظبي
 والخيول تطفح في العجاج الأكر
 كشفنا لأعيننا قمام العثير^(٤)
 وقد اطلختم الأمر واحتدم الوغى
 ووهى الجبان وساء ظن المجتري^(٥)
 لرأيت سداً من حديد مائراً
 فوق الفرات وفوقه نار تری
 ورأيت سيل الخيل قد سد الربا
 ومن الفوارس أبحراً في أبحر^(٦)
 ظفرت وقد منع الفوارس مدّها
 تجري ولولا خيلنا لم تطفر
 حتى سبقتنا أسهما طاشت لنا
 لم يفتحوا للرمي منهم أعيننا
 قسابقوا هرباً ولكن ردّهم
 ملؤوا الفضاء فعن قليل لم ندع
 فوق الفرات وفوقه نار تری
 سدت علينا طرقنا قتلاهم
 منكم إلينا بالخيول الضمر^(٧)
 حتى كحلن بكل لشدن أسمى
 دون الهزيمة رمح كل غضنفر
 فوق البسيطة منهم من مخبر
 حتى جنحنا للمكان الأوغر

(١) في الفوات : « لها » .

(٢) في (س) ، (ق) : « إليهم » . وفي البيت اقتباس من قوله تعالى : ﴿ وما استطاعوا له نقباً ﴾ [الكهف : ٩٧/١٨] .

(٣) (ق) ، (ط) : « أنشدني له » ، والآيات في الوافي : ٣٣٤/١٠ ، والفوات : ٢٣٩/١ في ترجمة الطاهر .

(٤) العثير : القرباب ، والبيت ليس في الوافي .

(٥) اطلختم : اطرخم ، اسودّ وادهم .

(٦) في الوافي والفوات : « قد بلغ الزبي » .

(٧) في الأصل : « منها المنايا والخيول الضمر » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) ، (ط) ، والوافي والفوات .

ما كان أجرى خيلنا في إثرهم
 من كل أشهب خاض في بحر الدما
 كم قد قلّعنا صخرة من صرخة
 وجرى دماؤهم على وجه الثرى
 والظاهر السلطان في آثارهم
 ذهب العجاج مع النجيع بضقله
 إن شئت تمدحه فقف بإزائه
 لوأنهـا برؤوسهم لم تعثر
 حتى بدا لعيوننا كالأشقر^(١)
 ولكم ملأنا مخجراً من مخجر^(٢)
 حتى جرت منها مجاري الأنهر^(٣)
 يذري الرؤوس بكل غضب أبتـر
 فكأنه في غمده لم يشهر^(٤)
 مثلي غداة الرّوع وانظم وانثر

قلت : هذه الأبيات الأخيرة الأربع ليست من رواية الشيخ أثير الدين .

وكتب ناصر الدين ابن النقيب إلى بدر الدين بن مهمندار العرب :

أيوسف بدر الدين والحسن كله
 أتيت أخيراً غير أنك أول
 وأحسن ما في شعرك الحر أنه
 به ليس تستجدي ولا تتكسب
 ليوسف يعزى أو إلى البدر ينسب^(٥)
 تعد من الأحاد شعراً وتُحسب
 وتوفي بدر الدين - رحمه الله - في حدود السبع مئة^(٥) .

ومولده سنة اثنتين وست مئة .

ومن شعره العذب ، ونظمه الذي كأنه في الصقال غضب ، قوله :

عسى الليالي وفي قولي عسى خدع
 بانوا بأبهي من الدنيا وزينتها
 ترد لي من زماني بعض ما ذهب
 عندي وأكرم مطلوب إذا طلبا

(١) في (ق) ، (س) ، (ط) ، والوافي والفوات : « فلقنا » .

(٢) في (ق) ، (س) ، (ط) ، والوافي والفوات : « وجرت » .

(٣) في الوافي والفوات : « ذهب الغبار » .

(٤) في الفوات : « إذ إلى » .

(٥) وفي الفوات أنه توفي بعد الثمانين وست مئة .

كَالْفُصْنِ مُنْتَبِئًا كَالظُّبْيِ مُلْتَفِتًا كَالشَّمْسِ مُبْتَسِمًا كَالْبَذْرِ مُنْتَقِبًا
كَمْ بَتُّ أَرْشَفُ ثَغْرًا حَشُوهُ درر وَكَلَّمَا زِدْتُ لَكُمَا زَادَنِي لَهَبًا^(١)
منها في المديح :

مَنْ حَاتَمَ وَعَطَايَا جُودِهِ جَمَلٌ وَجُودٌ ذَا جَمَلٍ تَتَرَى وَلَا عَجَبًا
لَكِنْ هُوَ الْحِظُّ ذَكَرَ الْغَيْثَ سَارَ وَمَا هَمِّي لَجِينًا عَلَى عَافٍ وَلَا ذَهَبًا^(٢)
وَسَارَ جَدَوَاهُ فِي الدُّنْيَا وَسَاكِنَهَا فَأَدْبَرَ الْفَقْرُ عَنْهُمْ مُمَعِنًا هَرَبًا
فَاضْمُ يَدَيْكَ عَلَى مَالٍ حَبَاكَ بِهِ تَعَوَّدَ الْبَذْلَ، لَوْ قِيدَتَهُ وَتَبَا
وَارْفُقْ بِنَفْسِكَ لَا تَعْدِيكَ رَاحَتُهُ فَتَفَرَّقَ النَّاسُ مِنْ بَعْضِ الَّذِي وَهَبَا^(٣)

١٩٨٤ - يوسف بن شاذي*

ابن داود بن شيركوه بن محمد بن شيركوه بن شاذي ، الأمير صلاح الدين ابن الملك الأوحـد ابن الملك الزاهر ابن الملك المجاهد ، تقدّم ذكر والده الأوحـد في مكانه من حرف الشين .

كان الأمير صلاح الدين من أحسن الناس صورة ، وهو أمرـد ، وعمل الإمـرة من أحسن ما يكون . وكان ذهنه في العمائر وغيرها ذهنًا جيدًا صحيحًا ، ليس في دمشق أحسن من بستانه ، ولا من العمارة التي رتبها فيه . وكان الأمير سيف الدين تنكز قد مال إليه ، وأحبّه ، وكان يطلع إلى بستانه ، ويأكل ضيافته فيه ، وكانت تكون شيئاً عظيماً .

(١) في (س) ، (ق) ، (ط) : « برد » .

(٢) في الأصل : « العيب » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

(٣) في الأصل : « وافق » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) ، (ط) .

* تاريخ أبي الفداء : ١٣٢/٤ ، والدرر : ٤٥٦/٤ .

وَلَمَّا أَمْسَكَ السُّلْطَانُ تَنَكَّرَ وَأَمْسَكَ بَعْدَهُ الْأَمِيرُ سَيْفُ الدِّينِ بِشَتَاكَ الْأَمِيرِينَ^(١)
سَيْفُ الدِّينِ أَلْجِييغَا ، وَسَيْفُ الدِّينِ طِييغَا حَاجِي وَأَوْدَعَهَا الْاِعْتِقَالُ بِقَلْعَةِ دِمَشْقَ
لَاخْتِصَاصِهَا بِتَنَكَّرَ^(٢) دَاخَلَ الْأَمِيرَ صِلَاحَ الدِّينِ الرَّعْبُ وَالْفَرْعُ ، فَانْقَطَعَ فِي بَسْتَانِهِ
بِالْمَرَضِ جَمْعَةً .

وَمَاتَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - فِي صَفَرِ سَنَةِ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ وَسَبْعَ مِائَةٍ .

وَكَانَ قَدْ لَبَسَ خُلْعَةَ الْإِمْرَةِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ عَاشِرِ شَهْرِ رَجَبِ الْفَرْدِ سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةٍ
وَسَبْعَ مِائَةٍ لِأَنَّهُ كَانَ قَدْ تَوَجَّهَ إِلَى مِصْرَ بِتَقْدِمَةِ حَسَنَةِ مَلِيحَةٍ ، فَرَسِمَ لَهُ بِالْإِمْرَةِ .

١٩٨٥ - يَوْسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ *

ابْنُ مُحَمَّدَ بْنَ عَطَاءَ بْنِ حَسَنِ بَدْرِ الدِّينِ أَبُو الْحَاسَنِ الْعَدْلُ ابْنُ قَاضِي الْقَضَاةِ
شَمْسُ الدِّينِ الْأَذْرَعِيُّ الْحَنْفِيُّ الصَّالِحِيُّ .

كَانَ فَقِيهًا فَاضِلًا مَهِيْبًا . سَمِعَ مِنْ ابْنِ الزَّيْدي ، وَجَمَالِ الدِّينِ بْنِ الْحَصِيرِيِّ .
وَحَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ الْحُبَّازِ .

وَتَوَفِّيَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - سَنَةَ سِتٍّ وَتِسْعِينَ وَسِتِّ مِائَةٍ .

وَمَوْلَدُهُ سَنَةَ تِسْعِ عَشْرَةٍ وَسِتِّ مِائَةٍ .

١٩٨٦ - يَوْسُفُ بْنُ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ **

ابْنُ يَوْسُفَ بْنِ سَعْدِ جَلَالِ الدِّينِ أَبُو الْحَاسَنِ النَّابِلْسِيُّ الدِّمَشْقِيُّ الشَّافِعِيُّ .

(١) (ق) ، (س) : « لِلْأَمِيرِينَ » .

(٢) البداية والنهاية : ١٨٨/١٤ .

* الشذرات : ٤٣٧/٥ .

** الدرر : ٤٨٣/٤ .

كان قاضياً مفتياً ، سمع من خالد الحافظ ^(١) - وكان عمه - ومن مجد الدين الإسفراييني ، والمرسي ، وشيخ الشيوخ وطائفة .

وأمّ بالشّاميّة ، وأعاد بها ، وعرف بجودة النّقل ، وولي قضاء بعلبك ، وكان حميد الأحكام .

وتوفّي - رحمه الله تعالى - في حدود عشر وسبع مئة .

ومولده قبل الأربعين وستّ مئة .

١٩٨٧ - يوسف بن عبد الرحمن *

ابن يوسف بن علي بن عبد الملك بن أبي الزهر ، الشّيخ الإمام العالم العلامة الحافظ الفريد الرّحلة ، إمام ^(٢) المحدثين جمال الدّين أبو الحجّاج المزي بن الزّكي القضاعي الكلبّي ، الحلبيّ المولد ، خاتمة الحفاظ ، ناقد ^(٣) الأسانيد والألفاظ .

طلب الحديث في أوّل سنة خمس وسبعين وستّ مئة ، وهلمّ جرّاً إلى آخر وقتٍ ، لا يفتقر عن الطّلب والاجتهاد والرّواية والتّسميع .

سمع من أصحاب ابن طبرزد ، والكندي ، وابن الحرستاني ، وحنبل ، ثمّ ابن ملاعب الرّهاوي ، وابن البنا ، ثمّ ابن أبي لقمة ، وابن البن ، وابن مكرّم ، والقزويني ، ثمّ ابن اللّتي ، وابن صباح ، وابن الزّبيدي . وأعلى ما سمع بإجازة عن ابن كليب ^(٤) ،

(١) الزين خالد بن يوسف بن سعد (ت ٦٦٣ هـ) ، الشذرات : ٣١٣/٥ .

* البداية والنهاية : ١٩١/١٤ ، والفوات : ٣٥٣/٤ ، ووفيات ابن رافع : ١٥٠/١ ، والدّرر : ٤٥٧/٤ ، والشذرات : ١٣٦/٦ .

ووقع في الأصل : « يونس بن عبد الرحمن ... » ، وهو سهو من الناسخ .

(٢) (خ) : « الإمام ، إمام ... » .

(٣) في الفوات : « ناقد » .

(٤) عبد المنعم بن عبد الوهاب بن سعد بن كليب الحراني (ت ٥٩٦ هـ) ، السير : ٢٥٢/٢١ .

وابن بوش^(١) ، وأجَمَّال^(٢) ، و خليل بن بدر^(٣) ، والبوصيري^(٤) ، وأمثالهم ، ثم المؤيَّد الطَّوسِيّ ، وزاهر الثَّقَفِي^(٥) ، وعبد المعزَّ الهروي^(٦) . وسمع الكتب الأُمّهات المسندة ، والكتب الستة ، و (المعجم الكبير) ، و (تاريخ الخطيب)^(٧) ، و (النسب) للزُّبَيْر^(٨) ، و (السيرة) و (الموطأ) من طَرَق ، و (الزُّهد)^(٩) ، و (المستخرج على مُسلم)^(١٠) ، و (الحلية)^(١١) و (السُّنن) للبيهقي ، و (دلائل النبوة) ، وأشياء يطول ذكرها . ومن الأجزاء ألوفاً . ومشخته نحو الألف .

وسمع أبا العباس بن سلامة^(١٢) ، وابن أبي عَمَرَ ، وابن علَّان ، والشيخ محي الدين النَّوَوِيّ ، والزَّواوي ، والكمال عبد الرَّحيم ، والعزَّ الحَرَاني ، وابن الدَّرْجِي ، والقاسم الإربلي ، وابن الصَّابُونِي ، والرَّشيد العامري ، ومُحمَّد بن القَوَّاس^(١٣) ، والفخر بن البخاري ، وزينب^(١٤) ، وابن شيبان^(١٥) ، ومُحمَّد بن مُحمَّد بن مناقب ، وإسماعيل بن

- (١) في الأصل : « يونس » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وهو : يحيى بن أسعد بن يحيى (ت ٥٩٣ هـ) ، السير : ٢٤٣/٢١ .
- (٢) مسعود بن أبي منصور بن محمد الأصبهاني (ت ٥٩٥ هـ) ، السير : ٢٦٨/٢١ .
- (٣) خليل بن بدر بن ثابت الراراني (ت ٥٩٦ هـ) ، السير : ٢٦٩/٢١ .
- (٤) هبة الله بن علي بن مسعود بن ثابت البوصيري (ت ٥٩٨ هـ) ، السير : ٣٩٠/٢١ .
- (٥) زاهر بن أحمد بن حامد الثَّقَفِي الأصبهاني (ت ٦٠٧ هـ) ، السير : ٤٩٣/٢١ .
- (٦) عبد المعز بن محمد بن أبي الفضل الساعدي الهروي (ت ٦١٨ هـ) ، السير : ١١٤/٢٢ .
- (٧) أحمد بن علي ، الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣ هـ) . وكتابه تاريخ بغداد .
- (٨) ابن بكار (ت ٢٥٦ هـ) واسم كتابه : (جهرة نسب قریش) .
- (٩) للإمام أحمد بن حنبل .
- (١٠) لأبي عوانة ، يعقوب بن إسحاق الإسفراييني (ت ٣١٦ هـ) ، الكشف : ١٦٧/٢ .
- (١١) حلية الأولياء في الحديث ، لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) .
- (١٢) أحمد بن أبي الخير سلامة (ت ٦٧٨ هـ) ، العبر : ٣١٩/٥ .
- (١٣) محمد بن عبد المنعم بن عمر (ت ٦٨٢ هـ) ، العبر : ٣٤١/٥ .
- (١٤) زينب بنت مكي (ت ٦٨٨ هـ) ، العبر : ٣٥٨/٥ .
- (١٥) أحمد بن شيبان بن تغلب (ت ٦٨٥ هـ) ، العبر : ٣٥١/٥ .

العسقلاني ، والمجد بن الخليلي ، والعباد بن الشيرازي ، والحبي بن عصرون ، وأبا بكر بن الأنطاطي ، والصّفي خليلاً ، وغازياً الحلاوي ، والقطب بن القسطلاني^(١) وطبقتهم ، والدّمياطي شرف الدّين ، والفاروثي ، واليونيني ، وابن بلبان ، والشّريشي ، وابن دقيق العيد ، والظّاهري^(٢) ، والتّقي الإسعديّ ، وطبقتهم . وتنازل إلى طبقة سعد الدّين الحارثي^(٣) ، وابن نفيس^(٤) ، وابن تيميّة .

ولم يتهيأ له السّماع من ابن عبد الدّائم ، ولا الكرمانني ، ولا ابن أبي اليسر ، ونحوهم . ولم أجازوا له ، مع إمكان أن تكون له إجازة المرسي ، والمنذري ، وخطيب مردا ، واليلداني ، وتلك الحلبة .

وحفظ القرآن ، وعُني باللغة ، فبرع فيها ، وأتقن النّحو والتّصريف .

وكان^(٥) شيخنا الحُجّة جمال الدّين أبو الحجّاج شيخ الزّمان وحافظ العصر ، وناقد الأوّان ، لو عاصره ابن مأكولا كان له^(٦) مشروباً ومأكولاً ، وجعل هذا الأمر إليه موكولاً ، أو الحاكم^(٧) لقال : لأمرّة دائم النّفوذ ، وكان إلى حرمه [يعود وعليه^(٨)] يعول وبه يعود^(٩) ، أو ابن نقطة ؛ لأغرقتة بحاره الزّخّارة ، ورأى خطّه^(١٠) المستقيم خارجاً

(١) في الأصل : « العسقلاني » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (س) ، وهو محمد بن أحمد العسقلاني (ت ٦٨٦ هـ) . الأعلام : ٢٨٦ .

(٢) أحمد بن محمد ، جمال الدين ، سلفت ترجمته .

(٣) سعد الدين مسعود الحارثي (ت ٧١١ هـ) . البداية والنهاية : ٦٤/١٤ .

(٤) علي بن مسعود ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٥) في (ق) ، (خ) ، (س) : « كان » بلا واو .

(٦) (خ) : « كان له في الوقت » .

(٧) محمد بن محمد بن أحمد ، الحاكم النيسابوري (ت ٣٧٨ هـ) . السير : ٣٧٠/١٦ .

(٨) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٩) في الأصل : « النّفوذ .. يعود » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(١٠) (خ) : « ورأس الخط » .

عن دائرته ، وبذره لا يدخل معه في هذه الدارة ، أو ابن عساكر لعلم أنه ليس من أبطاله ، ولا عدّه الطلبة من أتباعه ولا رجاله .

أتقن أسماء الرجال ، وحرّر صيغها ^(١) ، وتجاوز الغاية ، ومن أول ما خطا بلغها ، وكان أمره في ذلك عجباً عجباً ^(٢) ، وإذا أم مقصداً في ذلك لم يجد له دونه حاجباً ، كأنها عنه السراج الوراق بقوله :

| | |
|---|---|
| أَيْنَ إِمَامٍ فِي الْحَدِيثِ مِثْلُهُ | تَضَرَّبَ أَبَاطاً إِلَيْهِ الْإِبِلُ |
| ذَاذَ عَنِ السُّنَنِ كُلِّ مُفْتَرٍ | بِهِ جُلِيَ الدُّجَا وَحُلَّ الْمُشْكِلُ |
| وَكَانَ فِي عِلْمِ الرِّجَالِ أَوْحَدًا | بَحِثُ قَالَ الْعِلْمُ: هَذَا الرَّجُلُ |
| أَتَقَنَهُمْ مَعْرِفَةً يَقُولُ ذَا | مُسْتَعْمَلٌ وَقَوْلُ ذَاكَ مُهْمَلٌ ^(٣) |

وأما اللغة : فأبو عبيدة يكون عبده ، والأصمعي أصمّ عيّه ^(٤) من يسمع كلامه

بعده .

وأما النحو : فليس لأبي علي معه حجة ^(٥) ، ولا لابن خالويه عنده قول يتوجّه .

وأما التصريف فما ابن جنّي عنده ابن آدم ، ولا المازني من رجاله إن صادفه ، أو صادم .

ولم يزل على حاله إلى أن خلت منه الربوع ، وجرّت الجفون عليه دماً بعد الدُموع .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ثاني عشر صفر سنة اثنتين وأربعين وسبع مئة .

(١) (خ) : « وحرر أشكالها وصيغها » .

(٢) (خ) : « عجباً أراه عجباً » .

(٣) لم ترد هذه الأبيات في ديوانه الذي نشره الدكتور وليد قصاب في عجمان ١٩٩١ م .

(٤) (خ) : « عنه » .

(٥) يشير إلى كتاب الحجة لأبي علي الفارسي ، وهو كتاب في علل القراءات .

ومولده بظاهر حلب في عشر ربيع الآخر سنة أربع وخمسين وست مئة .
ودفن بمقابر الصوفيّة .

وكان فيه حياة وسكون ، وحلم واحتمال ، وقناعة واطراح تكلف ، وترك التجمّل والتّودّد إلى النّاس ، مع الانجماع عنهم ، وعدم الكلام إلّا أن ^(١) يُسأل فيجيب ويُجيد ، وكلّما طالت مجالسة الطّالب له ظهر فضله ، لا يتكثّر بفضائله ، ولا يغتاب أحداً . وكان يصعد إلى الصّالحية ماشياً ، لا يركب بغلاً ولا حميراً ، وهو في عشر التّسعين ، ويستحمّ بالماء البارد في الشّيوخوخة ، إلّا أنّه كان قد امتحن بأمر المطالب ^(٢) ، وتتبعها ، فعثر به جماعة من الشّياطين ، وأكلوا معه ، فكان لا يزال في فقر لأجل ذلك .

وحجّ ، وسمع بالحرمين والقدس ودمشق ومصر وحلب وحماة وحمص وبلعبك ، والإسكندريّة وبلبيس وقطيا ، وغير ذلك . وأوذي مرّة ، واختفى مدّة من أجل سماع (تاريخ) الخطيب . وأوذي مرّة أخرى لأجل قراءة شيء من كتاب (أفعال العباد) ^(٣) ممّا يتأوّل الفضلاء المخالفون ، وحبس .

ولمّا توفيّ ابن أبي الفتح حصل له من جهاته حلقة الخضر والحديث بالناصرية ، فأضاعت بذلك حاله ، وأتسع رزقه ، ثمّ إنّهُ ولي دار الحديث الأشرفيّة بعد ابن الشّريشي سنة ثمان عشرة وسبع مئة ، التزم بمذهب الشّافعي ، وأشهد عليه بذلك ، وذكر الدّرس بالأشرفيّة في ثالث عشري الحجّة من السّنة المذكورة ^(٤) . وقال الشّيخ تقيّ الدّين بن تيميّة : لم يل هذه المدرسة من حين بنائها إلى ^(٥) الآن ، أحقّ بشرط

(١) (خ) : « إلى أن » ، وفي الفوات : « إلّا أنّه » .

(٢) جمع مطلب ، وهو الكنز ، والمطالي من يتتبع نبش الكنوز .

(٣) للبخاري . انظر : الكشف ١٣٣/١ .

(٤) انظر البداية والنهاية : ٨٩/١٤ .

(٥) (خ) والفوات : « وإلى » .

الواقف منه ، وقد وليها جماعة كبار مثل ابن الصّلاح ومحيي الدّين النّواوي ^(١) وغيرها ، لأنّ الواقف قال : فإن اجتمع من فيه الرواية ، ومن فيه الدّراية قدّم من فيه الرواية .

وأخبرني من لفظه شيخنا الذّهبي ، ونقلته من خطّه ، قال : ما رأيتُ أحداً في هذا الشّأن أحفظ من الإمام أبي الحجاج المزّي ، وسمعتُه يقول في شيخنا أبي محمّد الدّمياطي ^(٢) إنّه ما رأى أحفظ منه ، وكان الدّمياطي يقول : إنّه ما رأى شيخاً ^(٣) أحفظ من زكيّ الدّين عبد العظيم ، وما رأى الزّكيّ أحفظ من أبي الحسن علي ابن المفضّل ^(٤) ، ولا رأى ابن المفضّل أحفظ من الحافظ عبد الغني ^(٥) ، ولا رأى عبد الغني أحفظ من أبي موسى المديني ^(٦) ؛ إلّا أن يكون الحافظ أبا القاسم بن عساكر ، فقد رآه ، ولم يسمع منه ، ولا رأى ابن عساكر والمديني ؛ أحفظ من أبي القاسم إسماعيل بن محمّد التّيّمي ^(٧) ، ولا رأى إسماعيل أحفظ من أبي الفضل محمّد بن طاهر المقدسي ^(٨) ، ولا رأى ابن طاهر أحفظ من أبي نصر ابن مأكولا ^(٩) ، ولا رأى ابن مأكولا أحفظ من أبي بكر الخطيب ^(١٠) ، ولا رأى الخطيب أحفظ من أبي نعيم ^(١١) وأبي حازم العبدوي ^(١٢) ،

(١) (خ) : « الغوري » .

(٢) شرف الدّين ، عبد المؤمن بن خلف .

(٣) في الأصل : « شيخنا » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (خ) ، (س) .

(٤) علي بن المفضل بن علي (ت ٦١١ هـ) . السير : ٦٦/٢٢ .

(٥) عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٠٠ هـ) . السير : ٤٤٢/٢١ .

(٦) محمّد بن عمر بن أحمد (ت ٥٨١ هـ) . السير : ١٥٢/٢١ .

(٧) الملقب بـ (قوّام السّنة) (ت ٥٢٥ هـ) . السير : ٨٠/٢٠ .

(٨) محمّد بن طاهر بن علي (ت ٥٠٧ هـ) . السير : ٣٦١/١٩ .

(٩) علي بن هبة الله بن علي (ت ٤٨٧ هـ) . السير : ٥٦٩/١٨ .

(١٠) سلفت الإشارة إليه في هذه الترجمة .

(١١) سلفت الإشارة إليه في هذه الترجمة . وهو صاحب الحلية .

(١٢) في الأصل : « العبدري » ، وأثبتنا ما في (ق) . وفي الإعلام : ٧٥ ، والسير : ٣٣٢/١٧ :

« العبدوي » ، وهو عمر بن أحمد بن إبراهيم الهذلي المسعودي (ت ٤١٧ هـ) .

ولا رأياً أحفظ من الدَّارْقُطْنِي وأبي عبد الله بن منده^(١) ، ومعهما الحاكم . وكان ابن مندة يقول : ما رأيت أحفظ من أبي إسحاق بن حمزة الأصفهاني^(٢) . وقال ابن حمزة : ما رأيت أحفظ من أبي جعفر أحمد بن يحيى بن زهير التُّسْتَرِي^(٣) وقال : ما رأيت أحفظ من أبي زُرْعَةَ الرَّازِي^(٤) . وأمَّا الدَّارْقُطْنِي فإِذَا رَأَى مِثْلَ نَفْسِهِ ، وَكَانَ^(٥) الحاكم يقول : ما رأيت أحفظ من أبي علي النِّسَابُورِي^(٦) ومن أبي بكر الجعابي^(٧) ، وما رأى الثلاثة أحفظ من أبي العباس بن عقدة^(٨) ، ولا رأى ابن عقدة ، ولا رأى أبو^(٩) علي النِّسَابُورِي مِثْلَ النِّسَائِي ، ولا رأى النِّسَائِي مِثْلَ إِسْحَاقَ بْنِ رَاهُويَه ، ولا رأى أبو زُرْعَةَ أحفظ من أبي بكر بن أبي شيبة ، وقد^(١٠) رأى أبو علي النِّسَابُورِي مِثْلَ ابْنِ خَزِيمَةَ^(١١) ، ولا رأى ابن خزيمة مِثْلَ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الْبَخَارِي ، ولا رأى الْبَخَارِي - فَمَا ذَكَرَ - مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ الْمَدِينِي ، ولا رأى أيضاً أبو زُرْعَةَ وَابْنُ رَاهُويَه ، وأبو حاتم وأبو داود مِثْلَ أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ ، ولا مِثْلَ يَحْيَى بْنِ مَعِينٍ ، وابن رَاهُويَه ، ولا رأى أحمد ورفاقه مِثْلَ يَحْيَى بْنِ سَعِيدِ الْقُطَّانِ^(١٢) ، ولا رأى هو مِثْلَ شُعْبَةَ وَسُفْيَانَ

(١) عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق (ت ٤٧٠ هـ) . السير : ٣٤٩/١٨ .

(٢) إبراهيم بن محمد بن حمزة (ت ٣٥٣ هـ) . الوافي : ١١٧/٦ ، والسير : ٨٣/١٦ .

(٣) (ت ٣١٠ هـ) . السير : ٣٦٢/١٤ .

(٤) عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ (ت ٢٦٤ هـ) . السير : ٦٥/١٣ .

(٥) (ق) : « بلى وكان » ، وفي (خ) : « بل وكان » .

(٦) الحسين بن علي بن يزيد النيسابوري (ت ٣٤٩ هـ) . العبر : ٢٨١/٢ .

(٧) محمد بن عمر بن محمد بن سلم التيمي (ت ٣٥٥ هـ) . السير : ٨٨/١٦ .

(٨) أحمد بن محمد بن سعيد (ت ٣٣٢ هـ) . السير : ٣٤٠/١٥ .

(٩) في الأصل : « ابن أبو » ، سهو ، وأثبتنا ما في (خ) ، (س) ، (ق) .

(١٠) كذا في الأصول .

(١١) محمد بن إسحاق بن خزيمة السلمي (ت ٣١١ هـ) . السير : ٣٦٥/١٤ .

(١٢) (ت ١٩٨ هـ) . السير : ١٧٥/٩ .

ومالك^(١) ، ولا رؤوا مثل أيوب السَّخْستِياني^(٢) ، نعم ، ولا رأى مالك مثل الزُّهري^(٣) ، ولا رأى^(٤) مثل ابن المسيَّب ، ولا رأى ابن المسيَّب^(٥) أحفظ من أبي هريرة رضي الله عنه ، ولا رأى أيوب مثل ابن سيرين ، ولا رأى مثل أبي هريرة ، نعم ، ولا رأى الثَّوري مثل منصور ، ولا رأى منصور مثل إبراهيم^(٦) ، ولا رأى إبراهيم مثل علقمة^(٧) ، ولا رأى علقمة كابن مسعود ، فيما زعم .

وقال شيخنا الذَّهبي : لم يسألني ابن دقيق العيد إلا^(٨) عنه . وقال الذَّهبي أيضاً : وكان قد اغترَّ في شبَّيته ، وصحب عفيف الدِّين التَّمَّساني ؛ فلَمَّا تبَيَّن له ضلاله هجره وتبرَّأ منه . وقال الذَّهبي : وكان يترخَّص في الأداء من غير أصول ، ويُصْلِح كثيراً من حفظه ، ويسامح في دمج القارئ ولغط السَّامعين ، ويتوسَّع ، وكأنَّه يرى العمدة على إجازة المُسمع للجماعة ، وله في ذلك مذاهب عجيبه ، وكان يتمثَّل بقول ابن مندة : يكفيك من الحديث شمه .

وصنَّف كتاب (تهذيب الكمال) في أربعة عشر مجلداً . كسف^(٩) به الكتب

(١) شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) . السير : ٢٠٢/٧ .

وسفيان بن سعيد الثوري (ت ١٦١ هـ) . السير : ٢٢٩/٧ .

ومالك بن أنس (ت ١٧٩ هـ) . السير : ٤٣/٨ .

(٢) في الأصل و (ق) و (س) و (خ) : « السجستاني » تصحيف . وقد توفي سنة (١٣١ هـ) . السير : ١٥/٦ .

(٣) محمد بن مسلم بن عبيد الله (ت ١٢٤ هـ) . السير : ٣٢٦/٥ .

(٤) في الأصل : « أرى » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) سعيد بن المسيَّب (ت ٩٤ هـ) . السير : ٢١٧/٤ .

(٦) منصور بن المعتمر (ت ١٣٢ هـ) . السير : ٤٠٢/٥ .

وإبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف الزهري (ت ٩٥ هـ) . الوافي : ٤٢/٦ .

(٧) علقمة بن قيس (ت ٦٢ هـ) . السير : ٥٢/٤ .

(٨) (خ) : « قطَّ إلا » .

(٩) (خ) والفوات : « كشف » . والكتاب طبع في مؤسسة الرسالة .

المتقدمة في هذا الشأن ، وسارت به الرُّكبان ، واشتهر في حياته ، وصنّف كتاب (الأَطراف) للكتب الستة ^(١) في ستّة أسفار ، وخرّج لجماعة .

قال الذهبي : وما علمته خرّج لنفسه لا عوالي ولا موافقات ولا معجماً ، وكلّ وقت ألومه في ذلك فيسكت ، وقد حدّث بكتابه (التّهذيب) خمس مرّات ، وحدّث بـ (الصحيحين) مرّات ، وبـ (المسند) و (معجم الطّبراني) وبـ (دلائل النّبوة) وبكتب جمّة ، وحدّث بسائر أجزائه العالية وبكثير من النّازلة .

وقال الذهبي أيضاً : أعلى ما عنده مطلقاً (الغيلانيّات) و (جزء ابن عرفة) وابن الفرات ^(٢) بإجازة .

وسمع منه الذهبي سنة أربع وتسعين ، وأخذ عنه (صحيح البخاري) غير مرة . واستلم منه العلامة قاضي القضاة تقي الدين السبكي ، وقاضي القضاة عز الدين بن جماعة ، وشيخنا ابن سيّد الناس ، ومحب الدين وأولاده ، وشمس الدين السروجي ، وابن الدميّاطي وابن عبد الهادي وابن السفاقسي ^(٣) ، والشيخ تقي الدين بن رافع ، وسبط التنيّسي ، وخلّاق . وتخرّج به جماعة كشيخنا علم الدين البرزالي ، والشيخ صلاح الدين العلّائي ، والشيخ عماد الدين بن كثير ، وابن عبد الهادي ، وابن العطار ، وابن الفخر ، وابن الجعبري ، وغيرهم .

وقال شيخنا الحافظ فتح الدين بن سيد الناس في حقه : وجدت بدمشق الإمام المقدم ^(٤) ، والحافظ الذي فاق من تأخر من أقرانه ومن تقدم ، أبا الحجاج المزني بحر هذا العلم الزاخر ، القائل من رآه : كم ترك الأوائل للأواخر ^(٥) !، أحفظ الناس

(١) الكشف : ١١٦/١ . وفي الأعلام : ٢٣٧/٨ : « تحفة الأشراف بمعرفّة الأَطراف » . والكتاب مطبوع .

(٢) أحمد بن الفرات بن خالد الضبي الرازي (ت ٢٥٨ هـ) . الكشف : ٥٨٥ .

(٣) إبراهيم ومحمد ابنا الحسن بن عبد السلام ، وقد سلفت ترجمتهما .

(٤) في الأصل : « المعظم » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) والفوات .

(٥) (خ) : « كم ترك الأوّل للأخر » .

للتراجم ، وأعلم الناس بالرواة من أعراب وأعاجم ، لا يخص بمعرفته مصرّاً دون مصر ، ولا ينفرد علمه بأهل عصر دون عصر ، معتمداً آثار السلف الصالح ، مجتهداً فيما نيظ به في حفظ السنّة من النصائح ^(١) ، معرضاً عن الدنيا وأشباهها ، مقبلاً على طريقه التي أربى بها على أربابها ، لا يبالي ماناله من الأزل ، ولا يخلط جدّه بشيء من الهزل ، وكان بما يضعه بصيراً ، وبتحقيق ما يأتيه جديراً ^(٢) ، وهو في اللغة إمام ، وله بالقريض إمام ، وكنت أحرص على فوائده لأحرص منها ما أحرص ، وأستفيد من حديثه الذي إذا طال لا يملل ^(٣) ، وإن أوجز وددت أنّه لم يوجز ^(٤) ، وهو الذي حداني على رؤية الشيخ تقي الدين بن تيمية . هـ .

قلت : وكان معتدل القامة ، مشرباً حمرة ، قويّ التركيب ، متع بذهنه وبحواسه ، ولم أر بعد الشيخ فتح الدين بن سيّد الدين من يحكم ترقيق الأجزاء وترميمها مثل الشيخ جمال الدين ، ولم يستعمرني شيئاً فأعاده إلا وقد نبّه فيه على نكتة كنت محتاجاً إليها حتى في إجازة الشيخ فتح الدين بن سيد الناس لي . وفيه قلت ^(٥) :

درتُ على أشياخ عصري فيا فخري بما نلتُ ويا عزي
وذقتُ طعم الكلّ في علمهم فلم [أجد] أحلى من المزي ^(٦)

وسمعتُ (صحيح مسلم) على البندينجي ، وهو حاضر بقراءة ابن طغريل ، وعدّة

(١) في الفوات : « المصالح » .

(٢) (خ) : « خبيراً » .

(٣) (خ) ، (ق) والفوات : « إن طال لم يملل » .

(٤) فيه إشارة إلى قول ابن الرومي :

إن طال لم يملل وإن هي أوجزت
انظر الخصائص : ٣٠/١ .

(٥) في (س) ، (خ) ، (ق) زيادة : « قلت أنا » .

(٦) الزيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

نسخ حاضرة صحيحة ، يقابل بها فيرد^(١) الشيخ جمال الدين - رحمه الله - على ابن طغريل اللفظ ، فيقول ابن طغريل : ما في النسخة إلا ما قرأت ، فيقول من في يده بعض تلك النسخ الصحيحة : هو عندي ، كما قال الشيخ ، أو هو^(٢) مظفر عليه أو مضبب^(٣) أو في الحاشية تصحيح^(٤) ذلك ، ولما تكرر ذلك ، قلت أنا له : ما النسخة الصحيحة إلا أنت .

وقرأت عليه من لفظي (ديوان خطب ابن نباتة) و (الأربعين النووية) ، وسمعت عليه من الأجزاء كثيراً ، وسمع هو شيئاً من شعري بدار الحديث ، وقرأت عليه كتاب (الشمائل) للترمذي بعد ما كتبه بخطي ، ولم أرفي أشيأخي بعد شيخنا أثير الدين في العربية مثله خصوصاً في التصريف واللغة ، إلا أنه مع إتقانه لأسماء الرجال وله فيها هذا المصنف العظيم ، لم يكن يعتني بتراجم العالم من الخلفاء والملوك والأمراء والوزراء والقضاة والعلماء والقراء والأطباء والأدباء والشعراء ، ولا له فيها مشاركة البتة ، وإننا كان يعتني برجال الحديث لا غير ، ولقد^(٥) سألته مرة عن القالي بالقاف ، والقالي بالفاء ، فقال : لا أعرف إلا القالي بالفاء فعلت أنه ليس له عناية بغير رواة الحديث ، وإلا فأبو علي القالي بالقاف مشهور بين صغار الأدباء ، ولكن عندي من الشيخ جمال الدين فوائد وقواعد في أسماء رجال الحديث ، لم أخذها إلا عنه ، ولا وجدت في كتاب ، وكان أسماء الرجال الذين يجيء ذكرهم في سماعته وطرقه يجيد الكلام في طبقاتهم وأحوالهم وقوتهم وضعفهم ولينهم ، وكان في ذلك بجرأ لا يشقّ ثبجه^(٦) وعجاجاً لا ينحط قتامه .

(١) في الأصل : « فرد » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « هو » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٣) المظفر : هو ما أسابه أثر حك ، وأصله الحك أو الخدش بالأظفار . والتضبيب : الإخفاء . إشارة توضع على المکتوب الغلط .

(٤) في الأصل : « يصحح » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) طمست في الأصل ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) . وفي (خ) : « وقد » .

(٦) الشج : وسط الشيء ومعظمه .

ولما كان في سنة خمس وسبع مئة . تكلم الشافعية وغيرهم مع الشيخ تقي الدين بن تيمية وبحثوا معه في القصر الأبلق ، وبحث معه صفي الدين الهندي ثم كمال الدين بن الزملكاني ، وخرجوا ، وانفصلت القضية ، فلما كان بعد ذلك في يوم الاثنين ثاني عشري شهر رجب الفرد قرأ الشيخ جمال الدين المزيّ فصلاً في الردّ على الجهمية من كتاب (أفعال العباد) تصنيف البخاري ، وكانت قراءته لذلك تحت قبة النسر في المجلس المعقود لقراءة الصحيح ، فغضب لذلك بعض الفقهاء الحاضرين ، وقالوا : نحن المقصودون بهذا ، ورفعوا الأمر إلى قاضي القضاة الشافعي ، فطلبه ، وحبسه ، فبلغ ذلك الشيخ تقي الدين بن تيمية ، فتألم لذلك ، وأخرجه من الحبس بنفسه ، وخرج إلى القصر الأبلق ، واجتمع هو وقاضي القضاة هناك م وردّ عن المزيّ ، وأثنى عليه ، وغضب قاضي القضاة ، وأعاد المزيّ إلى الحبس بالقوصيّة ، فبقي أياماً ، ثم أفرج عنه ، ونادى الأفرم في دمشق أنّه أي من تكلم في العقائد حلّ ماله ودمه ^(١) .

وكننت قد كتبت أنا له توقيعاً بمشيخة دار الحديث النورية عوضاً عن الشيخ علم الدين البرزالي - رحمه الله تعالى - وذلك في المحرم سنة أربعين وسبع مئة ، ونسخته :

رسم بالأمر العالي ، لازالت أوامره المطاعة تزيد العلم الشريف جلالاً ، وتزيّنه بمن يفيد كمالاً ، أن يرتب المجلس السامي ^(٢) الشيخي الجمالي في كذا ثقة بأنّه الثقة ، والعالم الذي لغيره المقت وله المقة ، والمحدث الذي متى ^(٣) فاه بما عنده بادركل أحدٍ بالقبول ^(٤) وصدقه ، والخبر الذي إذا تكلم نسخ ^(٥) كلام من تقدّم بأقواله المحققة ،

(١) فصل في هذا ابن كثير : ٣٧/١٤ .

(٢) (خ) : « العالي » .

(٣) (خ) : « إذا » .

(٤) في الأصل : « بالقول » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) (خ) : « نسي » .

والحافظ الذي اجتحف^(١) سيله ابن تقطة فأغرقه ، والناقد الذي كدر على ابن معين صفوه ورتقه^(٢) ، والمصنف الذي شيب من ابن أبي شيبة مفرقه ، والمسند الذي لو عاصره عبد الرزاق^(٣) حرمه الرحلة إليه مما رزقه ، والمتأخر الذي لا يعرف بعد الدارقطني مثله ، وربما تقدمه في فنه المحرر وسبقه .

فليباشر ما فوض إليه مباشرة يتضوّع من نشر السنة بها النشر^(٤) ، ويكون للحدث الشريف حفظ يدوم إلى الحشر ، مجتهداً في البيان للطلبة ، والإعانة لهم على سلوك المعرفة ، فحجتها بالغموض منتقبة ، لأن تهذيب كماله ليس للبدر في تمامه كما له ، وأطرافه سار في الأطراف ، فما ينكره علماء الحديث ولا رجاله ، وإتقانه للأسماء إتقان تزار في غابة أسوده وأشباله ، ومحلّه من الحفظ محل يعزّ على صاحب (الاستيعاب) مثاله^(٥) ، وإعرايه لو عاصره أبو البقاء لم يظفر بلبابه^(٦) ، وتصريفه لو عاينه ابن جني ما دخل سوقه على تصنيفه (الملوكي)^(٧) برفع حجابيه ، ولغته^(٨) لو سمعها ابن الأعرابي^(٩) ما تقل شيئاً عن أعرايه .

ولينزل الطلبة منزل البنين في الحنوّ عليهم عند الهفوة ، ولا يكن فيه قسوة المعلمين

(١) في الأصل : « اجتحف » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) . واجتشفه : جرفه .

(٢) في الأصل : « ورتقه » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) . ورتقه : كثره .

(٣) عبد الرزاق بن همام الصنعاني . له : الجامع الكبير في الحديث . قال عنه الذهبي : وهو خزانة علم .

(ت ٢١١ هـ) . السير : ٥٦٣/٩ . وكتابه « المصنف » مطبوع . وكذلك مصنف ابن أبي شيبة . وفي الكلام تورية .

(٤) في الأصل : « البشر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) (خ) : « مثاله » . و (الاستيعاب في معرفة الأصحاب) لابن عبد البر ، مطبوع .

(٦) هو اللباب في علل البناء والإعراي ، لأبي البقاء عبد الله بن الحسين العكبري (ت ٦١٦ هـ) . الكشف : ١٥٤٣/٢ .

(٧) الملوكي مقدمة في التصريف لابن جني .

(٨) طمست في الأصل ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٩) محمد بن زياد (ت ٢٣١ هـ) ، له كتاب النوادر . الكشف : ١٩٨٠/٢ .

على من في ذهنه فترة ، ولم يكن من الفهم في الذروة ، وليجُلّ عليهم حسن وجه الإقبال ، وإذا كان المؤمنون إخوة فيوسف أحسن الإخوة ^(١) ، حتى يوضح لهم ما أبهم من الأسانيد المظلمة ، والأسماء التي هي لتساوي صورها ^(٢) مبهمة ، والألفاظ التي هي لولا القرائن موهمة .

ولينبّه على الصحيح إذا ورد ، والحسن إذا أضاء وجهه لمن انتقد ، والضعيف إذا اعتلّ متنه ولم يصحّ له سند ، والموضوع الذي لا يعرفه إلا من امتاز برتبته وانفرد ، وليحررهم الألفاظ إذا رواها ، وبحقّ مخرجها الصحيحة ^(٣) الفصيحة التي فاخر بها هذا ^(٤) اللسان العربي وباهى ، ويحترز في أدائها ، فقد قال صلى الله عليه وسلم : « نَصَرَ الله امرأ سمع ^(٥) مقالتي فوعاها » عاملاً في ذلك بشرط الواقف أثابه الله فيما يدي ويعيد ، ولا يتعدّ ماقرّره ، فإنّ الله تعالى يرى عمله ، وقد استفاض في الواقف أنّه شهيد ، والوصايا كثيرة ، وعنه تصدر بالإفادة جميع وفودها ، ومن أفق فضائله تتألق كواكب سعودها ، وتقوى الله عز وجل ملاك أمرها ، وسداد ثغرها ، فلا يتعرّ منها منكبه ، ولا يتعدّ عنها مركبه ، والله تعالى يمدّ في أجله ، ويبلغ كلاً من الطلبة في بقائه غاية أمله .

والخطّ الكريم أعلاه حجة في ثبوت العمل بما اقتضاه ، والله الموفق بمنه وكرمه ، إن شاء الله تعالى .

(١) يشير إلى قوله تعالى : ﴿ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِمَّا نَحْبِبُ ﴾ يوسف : ٨/١٢ . وفي كلامه تورية واضحة .

(٢) (خ) : « مظلمة » .

(٣) ليست في (خ) ، (ق) ، (س) .

(٤) ليست في (خ) .

(٥) (س) ، (خ) ، (ق) : نصّر الله من سمع . وانظر : الجامع الصغير للسيوطي : ١٨٧/٢ .

١٩٨٨ - يوسف بن عبد الغالب*

ابن هلال الإسكندريّ العلاف .

كان عامياً ، ولكن له النظم الحلو ، وروى عنه الفضلاء ، وكتبوا شعره .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في بلده سنة عشرين وسبع مئة .

ومن شعره ، وقيل إنه لابن الوحيد^(١) :

وخضراء لا الحمراء تفعل فعلها لها وثبات في الحشا وثبات
تؤجج ناراً وهي في العين جنة وتعطيك طعم المر وهي نبات^(٢)
ومنه :

كم قلت للحائك الظريف وفي يمينه طاقة يخلصها^(٣)
هل لك في ردّ مهجة لفتى ليس له طاقة يخلصها^(٤)

١٩٨٩ - يوسف بن عبد الحمود**

ابن عبد السلام ، الشيخ الإمام جمال الدين البتي الحنبلي .

كان من فضلاء العراق ببغداد .

توفي - رحمه الله تعالى - في حادي عشر شوال سنة ست وعشرين وسبع مئة .

وكان إليه المرجع في القراءات والعربية .

* الدرر : ٢٦٢/٤ .

(١) محمد بن شريف ، سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) (س) ، (ق) والوافي ١٥١/٣ : « تؤجج ناراً في الحشا وهي جنة » . وفي الوافي فقط : « وتبدي مرير الطعم وهي نبات » .

(٣) (ق) ، (س) : « وفي راحته » .

(٤) في (ق) ، (س) بعد هذين البيتين زيادة : « قلت : القافيتان واحدة » .

** الدرر : ٤٦٤/٤ ، وغاية النهاية : ٣٩٧/٢ ، والشذرات : ٧٤/٦ ، وذيل العبر : ١٤٨ .

١٩٩٠ - يوسف بن عمر بن الحسين*

الشيخ العدل المعمر بدر الدين الحتني - بالخاء المعجمة وفتح التاء ثالثة الحروف
وبعدها نون - المصري .

حضر في الرابعة على ابن رواج وتفرد به ، وسمع من صالح المدلجي ، والمرسي ،
والبكري ، وابن اللمطي ، وتفرد بأشياء ، وله مشيخة ، روى منها عن نيف وستين
نفساً ، وأكثر الطلبة عنه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - يوم الثلاثاء منتصف صفر سنة إحدى وثلاثين وسبع
مئة .

ومولده في سنة خمس وأربعين وست مئة .

١٩٩١ - يوسف بن محمد**

ابن مظفر بن حماد ، جمال الدين الحموي الشافعي ، مفتي حماة وخطيبها بالجامع
الكبير .

حدّث (بجزء ابن الأنصاري) عن مؤمل البالسي^(١) ، والمقداد القيسي^(٢) .

وكان على قدم متين من العلم والعمل والتعبد ونشر العلم .

وكان فقيهاً شافعي المذهب ، مشاركاً في الأصولين^(٣) والنحو ، أديباً شاعراً قدم

القاهرة ، وحدّث بشيء من شعره ، وكتب عنه الفضلاء .

* الدرر : ٤٦٦/٤ ، والشذرات : ٩٧/٦ ، وذيل العبر : ١٦٧ ، والنجوم : ٢٨٧/٩ ، وفيه : « .. حسان »
بذل حسين .

** تاريخ أبي الفداء : ١٠٧/٤ ، والدرر : ٤٧٤/٤ .

(١) في الأصل و (س) و (ق) : « النابلسي » ، سهو ، وأثبتنا ما في تاريخ أبي الفداء ، والدرر ، وقد
سلفت الإشارة إليه .

(٢) المقداد بن هبة الله (ت ٦٨١ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٣) (ق) ، (س) : « الأصولين » .

أنشد شيخنا العلامة أثير الدين أبو حيان ، قال : أنشدنا أبو المحاسن يوسف لنفسه :

وددت لو كان يهوى عاذلي ليرى حال الحبّ على الأشواق والفكر
يتلو الملام على سمعي فيكذبه قلبي بناءً على ما قد رأى بصري
يافاضح الغصن من عطفيه في هيف ومخجل الظبي من عينيه بالخور
إني ومدمع عيني سائلٌ أبداً حرمت جفني لذيد النوم بالسهر
عسى توفي غريم الحبّ قبلته فيلتقي الحسن بين الغصن والقمر
وعلى طيفك يسري نحو عاشقه إن استقرت به تهوية السحر
وأنشدنا أيضاً له :

ولمّا أن قضى أجلي بهجرٍ وسرت كلمٍ وجيدٍ لأحواله
بجانب خدّه أنست ناراً ولكنني وجدتُ بها ضلاله

وتوفي - رحمه الله تعالى - في آخر نهار الأحد سابع ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة عن أربع وستين سنة^(١) ، وتأسف الناس عليه ، رحمه الله تعالى .

١٩٩٢ - يوسف بن محمد*

الشيخ الإمام العالم صلاح الدين بن المغيزل الحموي الشافعي ، مفتي حماة وخطيبها .

كان كهلاً ، مفنّناً في العلوم مناظراً ، له محفوظات وفضائل ، وحدث عن الشيخ شمس الدين بن قدامة^(٢) .

(١) وفي الدرر نقلاً عن الكمال الأدفوي أن مولده في جمادى الآخرة سنة (٦٦٩ هـ) ، وموته في ذي الحجة سنة ٧٣٦ هـ .

* البداية والنهاية : ٩٥/١٤ ، والدرر : ٤٦٩/٤ ، وفيها : « يوسف بن محمد بن عبد اللطيف » .

(٢) عبد الرحمن بن محمد المقدسي (ت ٦٨٢ هـ) . العبر : ٣٣٨/٥ .

حكى لي شمس الدين بن النّصّيب^(١) بحلب ، قال : بحث يوماً صلاح الدين بن المغيزل هو والشيخ صدر الدين بن الوكيل بحضور ابن البارزي قاضي حماة من بكرة إلى أن قال المؤذن للظهر : الله أكبر ، فقال القاضي شرف الدين : طَوّلَ الله في عمري كما للمسلمين ، سروراً بهما^(٢) ، أو كما قال .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة تسع عشرة وسبع مئة بحماة .

١٩٩٣ - يوسف بن محمد *

صلاح الدين ابن الملك الحافظ غياث الدين ابن الملك السعيد شاهنشاه ابن الملك الأجد بهرام شاه بن فروخ شاه بن شاهنشاه بن أيوب .
سمع (جزء إسماعيل الصّفار) على إسماعيل العراقي حاضراً في الثالثة سنة ست وأربعين وست مئة .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في خامس عشري ذي القعدة سنة خمس وسبع مئة .

١٩٩٤ - يوسف بن محمد بن عثمان **

السيف ، الناسخ ، الدّلال على الكتب بجسر اللّبادين بدمشق .
أصله من سرخس ، رأيتّه غير مرة ينادي على الكتب ، وينسخ ، وهو شيخ قد أتقى^(٣) .

(١) كذا في الأصول والدرر . وأغلب الظن أنه تاج الدين بن النّصّيب ، محمد بن أحمد بن محمد ، وكيل بيت

المال ، وكاتب الدرج بحلب ، (ت ٧١٥ هـ) ، وقد سلفت ترجمته في موضعها .

(٢) في الأصل : « بهما سروراً بهما » ، وأثبتنا ما في (ق) ، (س) .

* الدرر : ٤٦٩/٤ .

** الدرر : ٤٧١/٤ .

(٣) رجل أتقى : دقيق القصب .

وكان رَزِيّ الحال . كتب كثيرا من الدواوين المتأخرة ، خصوصاً (ديوان ابن قزل المشدّ) و (ديوان ابن محاسن) الشوّاء .

وكان يقول : أنا قَبَلْتُ قُبلة بألف درهم ، يفتخر بذلك .

توفي - رحمه الله تعالى - سنة إحدى وعشرين وسبع مئة .

١٩٩٥ - يوسف بن محمد بن منصور ****

ابن عمران المحدث الفاضل أبو الفضل الهلالي الحوراني .

كتب (أحكام) الضياء^(١) ، وقرأه على [ابن] الكمال^(٢) ، وحفظ متوناً جّة ، وقرأ الحديث على ابن عبد الدائم ، وصحب محموداً الزاهد الدمشقي^(٣) ، وسمع بمصر من الرشيد العطار ، وكتب عنه الجماعة ، وكان يقرأ على كرسي بالجامع من حفظه^(٤) ، ورثاً قرأ في القرى ، فيهبونه .

وكان دَيِّناً قانعاً .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سنة عشر وسبع مئة .

١٩٩٦ - يوسف بن محمد بن يعقوب *****

ابن إبراهيم ، القاضي الإمام العالم شهاب الدين بن صاحب محيي الدين بن النحاس الحلبي الحنفي .

* الدرر : ٤٧٥/٤ ، وفيه : « ابن عمر » ، وسيكرر المصنّف هذه الترجمة بألفاظ قريبة .

(١) الأحكام في الفقه الحنفي لضياء الدين محمد بن عبد الواحد المقدسي (ت ٦٤٣ هـ) . الكشف : ٢٢/١ .

(٢) في الأصل : « الكمال » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والدرر . وهو شمس الدين محمد بن عبد الرحمن

(ت ٦٨٨ هـ) . العبر : ٣٥٩/٥ .

(٣) في الترجمة المكررة : « وصحب الشيخ محموداً الدشتي » .

(٤) في الدرر أنه أمّ بمسجد آدم بدمشق . وانظر ما يأتي في الترجمة المكررة .

** تالي وفيات الأعيان : ١٥٤ ، والبداية والنهاية : ٥/١٣ .

كان صدرًا كبيراً ، خلف والده في تدريس المدرستين الريحانية والظاهرية ،
وباشر في حياة والده نظر الخزانة ، وباشر بعد موته نظر الجامع مدة ، وكان معيناً
للمناصب الكبار .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وست مئة .

١٩٩٧ - يوسف بن محمد بن عبيد الله*

القاضي صلاح الدين كاتب الدرج السلطاني بالقاهرة .

كان كاتباً مأموناً ، اعتمد عليه القاضي فتح الدين بن عبد الظاهر ومن بعده . ولم
يزل مقدماً عند كاتب السر واحداً بعد واحد إلى آخر أيام القاضي علاء الدين بن
الأثير ، وكان يستكتبه في المهمات ، وكان يلزم الديوان ، تطلع الشمس وتغرب عليه
وهو في الديوان ، أقام كاتب درج مقدار خمس وخمسين سنة .

وكان ساكناً خيراً ، ليس فيه شرّ البتّة ، محتملاً أذى رفاقه ، رأيتهم وهم يسبّونه في
وجهه ، ولا يردّ عليهم ، خصوصاً القاضي قطب الدين بن المكرم ، كان يقول له : لعن
الله والديك يا كلب يا ابن الكلب ، يا عبد النّحس يا ابن الأمة ، ولا يردّ عليه حرفاً .
هذا وهو المقدّم على الجميع .

وكان أسمر اللون ، ققط^(١) الشعر ، صغير الذقن .

ولما حصل الفالّج للقاضي علاء الدين بن الأثير ، طلبه السلطان الملك الناصر محمد
ليكتب بين يديه شيئاً في السر على أن يجعله كاتب سر ، فلما أخذ الأمير سيف الدين
أجاي الدوادارية ، ودخل به في دهليز القصر ، أحدث في سراويله ، فأعفي من
الدخول ، وكبرت سنّه ، وعورت عينه ، وانهدّت أركان قواه ، وهو ملازم الخدمة ،

* الدرر : ٤٧٠/٤ .

(١) شمر ققط وقطط : جمع قصير .

فكنت أقول له : لو وفرت نفسك وقعدت في بيتك كان خيراً ، وكان يقول : أخاف أنهم يقطعون معلومي . ولم يكن أحد يقدم على ذلك لِقَدَمَ هجرته ، وثبت قدمه في الخدمة ، ولكن كل ذلك من ضعف نفسه ، وكان يكتب خطأ رديئاً ضعيفاً .
ولم يزل على حاله حتى توفي - رحمه الله تعالى - في سنة إحدى وأربعين وسبع مئة .

وكان معلوم القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر قد رُسم به للقاضي شهاب الدين محمود ، ولم يزل عليه إلى أن خرج إلى دمشق كاتب السرّ ، فأعطى المعلوم للقاضي صلاح الدين بن عبيد الله ، ولما توفي رسم بالمعلوم للقاضي جمال الدين إبراهيم بن الشهاب محمود^(١) .

١٩٩٨ - يوسف بن محمد بن محمد *

ابن عبد الرحمن بن علوان ، القاضي الأصيل بهاء الدين بن القاضي محيي الدين^(٢) الإسكندريّ الحلبي .

كان مشهوراً بقضاء سمرين وأعمالها ، وكان له هيئة حسنة ، وعنده كرم ، وله معروف وفيه رئاسة ومروءة .

قال شيخنا علم الدين البرزالي : وروى^(٣) لنا عن ابن قيرة وابن رواحة وابن خليل بجلب ودمشق والقاهرة وسمرين .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في سادس عشري شهر رجب سنة سبع مئة .

ومولده في شعبان سنة تسع وثلاثين وست مئة بجلب .

وكانت وفاته بدمشق ، ودفن بمقبرة الصوفية .

* لم نقف على ترجمته .

(١) وبه انتهت النسخة (خ) .

(٢) انظر في ترجمته : الوافي : ١٨٣/١ .

(٣) (س) ، (ق) : « روى » .

١٩٩٩ - يوسف بن محمد بن منصور*

الشيخ الصالح المحدث الهلالي العامري الكفيري^(١) الفراء .

كان رجلاً صالحاً ، يقرأ الحديث على كرسي بالجامع الأموي ، ويصلي بمسجد آدم عليه السلام ، وله كتب وأجزاء ، سمع بقراءته من ابن عبد الدائم ، وبصر من الرشيد العطار ، وحدث عنها ، وصحب الشيخ محموداً الدشتي^(٢) ، وسمع بعض تصانيفه .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر رجب الفرد سنة عشر وسبع مئة .

ومولده تقريباً سنة خمس وثلاثين وست مئة .

٢٠٠٠ - يوسف بن محمد بن أحمد**

ابن صالح بن صارم بن مخلوف ، القاضي نور الدين بن تقي الدين بن جلال الدين بن تقي الدين الأنصاري الخزرجي المعروف بالفَيّومي .

اجتمعتُ به بالديار المصرية ، وبصفد ، وبدمشق غير مرة . أعرفه وهو شاهد العائر في خدمة الأمير سيف الدين بكتر الساقى بالديار المصرية ، ثم إنه ورد إلى صفد ، وكان في ديوان نائبها الأمير سيف الدين طشتر الساقى . ثم توجه معه إلى حلب . ثم إنه عاد إلى مصر . واجتمعت فيها [به]^(٣) سنة خمس وأربعين وسبع مئة .

وكتب هو إليّ لما قدمت القاهرة في هذه السنة :

* سلف أن ترجم له المصنف بألفاظ مغايرة .

(١) في الدرر : « الكفري » .

(٢) في الترجمة التي كررها من قبل « الدمشقي » ، والدُّشْتُ : قرية من قرى أصبهان . انظر : (معجم البلدان) .

** الدرر : ٤٧٥/٤ ، وفيه : « يوسف بن محمد بن منصور بن أحمد ... » .

(٣) زيادة من (ق) ، (خ) . وفي (س) : « به فيها » .

وجدنا أنسَ مولانا فلما وجدنا الأنس لم تقنع بذاكا
وهام الطرف مني في انتظار يروم من الصبابة أن يراكا
عجزت عن المزار فكنت ممن نواك به كُفينا من نواكا^(١)
ولا عتبَ على شيخٍ ضعيفٍ إذا ماقام لم يملك حراكا
فعش لمسرة الأحياب إننا إذا ماعشت عشنا في ذراكا

وكان قد كتب إلي بالقاهرة في سنة ثمان وثلاثين وسبع مئة أبياتاً جيدة ، ضاعت من يدي ، وكتبت أنا الجواب في وزنها [ورويها]^(٢) وهو :

أهديت لي من نظمك الناضر زهر رُباً أفديه بالناظر
نظمته شعراً فألهى الورى عن كل معنى حسن نـادر
فجاء في لطف نسيم الصبا إذا سرى وهناً على حاجر
يكاد من رقّة ألفاظه يُشرب في كأس الطّلا الدائر^(٣)
من كل معنى فائقٍ لم يـدر في فكر نظّام ولا ناثر^(٤)
من أين أبدعت المعاني التي فيه وما مرّت على خاطر
لو كان في عصرٍ مضى [ما] رأى الـ ناس البكا في المنزل الدائر^(٥)
فلا روى العشاق مع وجدهم نسيب مجنون بني عامر
ولا رأى الناس غزال الحمى يروق فيه غزل الحاجري^(٦)
ولم يثـل بسوى لفظه شواهد في (المثل السائر)
فأنت أولى الناس فينا بأن تُعرف بالسّاحر لا الشاعر

(١) في الأصل : « عن المراء » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٢) زيادة من (س) ، (خ) ، (ق) .

(٣) قوله : « في » ليس في (ق) .

(٤) في الأصل : « يذر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (خ) ، (ق) .

(٥) الزيادة من (س) ، (خ) ، (ق) . وبها يستقيم الوزن .

(٦) عيسى بن سنجر بن بهرام ، شاعر رقيق الألفاظ ، حسن المعاني ، (ت ٦٢٢ هـ) ، وديوانه مطبوع .

علوت نور الدين في ذروة
لأنّ ما تنظمه لم يكن
شعر مقى ابتاعه مفلس
تالله قد بالغت في وصف ما
لأنني في أدبي قـاصـر
وليس ما أجمع مستحسناً
وربما يختار مولاي أن
فاسلم ودم ما ابتسمت روضة

تسمو على الواقع والطائر
لأول فينـا ولا آخر
بنفسه لم يك بالخاسر
يقلّ في الباطن والظاهر
أسبح في بحر النّهي السّزّخر
في أدب البادي ولا الحاضر
يكون من دون الوري جابري
بكي لها جفن الحيا الماطر

وأنشدته يوماً لغزاً نظمته في « قصب السكر » ، وهو :

عجبت لمعسول الرّضاب مهفهف
تناقض معناه الغريب فيولّه
وأنشدني هو من لفظه لنفسه فيه :

يحايي أناييب القنا حال نبتة
على الرّأس راسٍ والشوارب في استه

في حلب أبصرت أعجوبة
شخصاً رثيق القدّ عذب اللّمي
وهو بلا عقل جريح الحشا
لا يبرح البول على رأسه
له عيون وهو أعمى وفي
يامن سما بين الوري قدره

تُخرج أذكى الناس من عقله
لاتقدر الرّوم على مثله
والدّود لا يشبع من أكله
والقيّد لا ينفكّ عن^(١) رجله
عينيه أولادّ على شكله
اكشف لنا عنه وعن أصله

وأنشدني من لفظه لنفسه في « العُصفَر » :

أشبّه عصفراً في الروض يُزهي
ككنز فيه بلّور عليه

وتشبيهي لهيئتـه مقارب
دنائير ومهلكها عقارب

٢٠٠١ - يوسف بن محمد بن نصر*

ابن أبي القاسم الشيخ الفقيه جمال الدين المقرئ .

سمع من ابن علاق والنجيب الحراني .

أجاز لي بخطه بالقاهرة ، في سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة أربع وستين وست مئة^(١) .

وتوفي رحمه الله تعالى^(٢) .

٢٠٠٢ - يوسف بن محمد بن سليمان**

ابن أبي العز بن وهيب بن عطاء ، الشيخ الفقيه الإمام الصدر الكبير جمال الدين أبو المحاسن ابن الشيخ الإمام شمس الدين أبي عبد الله ابن الشيخ قاضي القضاة صدر الدين^(٣) ، الأذري الأصل الحنفي .

كان مدرساً بالعدراوية والإقبالية للطائفة الحنفية ، ثم إنه تركها في آخر عمره لولده صدر الدين علي^(٤) ، وولي نظر الجامع الأموي ، وتوكل جماعة من الأمراء ، ودرس قديماً بمدارس الحنفية بالقدس .

وسمع بالقاهرة من الرّضي بن البرهان الواسطي ، وله إجازة من عثمان بن خطيب

* وفيات ابن رافع : ٢٠٦/١ ، وفيه : « ابن قاسم » .

(١) في الدرر : « ولد سنة ٦٦٤ هـ ، وبخط ابن رافع سنة ٥١ ، وبخط غيره سنة خمسين » .

(٢) في الوفيات والدرر : أنه مات في الخامس عشر من صفر سنة (٧٤٥ هـ) وقد أسنّ جداً .

** الدرر : ٤٦٩/٤ .

(٣) (ت ٦٧٦ هـ) . الدارس : ٣٦٣/١ .

(٤) (ت ٧٣٧ هـ) . الدرر : ١٤٣/٣ .

القرافة ، وعبد الله بن الحشوعي ، والعماد بن عبد الهادي ، والصدر البكري ،
وأبي طالب بن السروري ، وحدث . وكان حسن الأخلاق ، وفيه مودة وكرم .
توفي - رحمه الله تعالى - ثالث عشر^(١) صفر سنة ثمان وعشرين وسبع مئة .
ومولده سنة إحدى وخمسين وست مئة .

٢٠٠٣ - يوسف بن مظفر*

ابن عمر بن محمد بن أبي الفوارس ، الفقيه الإمام جمال الدين المعري بن
الوردي ، أخو القاضي الفاضل زين الدين عمر بن الوردي ، وقد تقدّم ذكره في حرف
العين . وكان القاضي جمال الدين هذا هو الأكبر .

وكان فقيهاً جيداً ، قرأ (التنبيه) ، واشتغل (بالحاوي الصغير)^(٢) كثيراً . وكان
ينقل من الرافعي^(٣) ، ومن (الروضة)^(٤) كثيراً ، ذكر لي جماعة أنه كان فقيه النفس ،
وكان جواد بما يملكه ، اشتغل على القاضي شرف الدين البارزي ، وتنقل في القضاء
بالبلاد الحلبية ، وربما أنه تعدى السبعين سنة ، وكان ضعيف العربية .
وتوفي - رحمه الله تعالى - في أواخر ذي القعدة سنة تسع وأربعين وسبع مئة في
طاعون حلب .

٢٠٠٤ - يوسف بن موسى**

ابن محمد بن مسعود ، بهاء الدين بن الشيخ تاج الدين المراغي المعروف
بأبن الحيوان .

(١) ليست في الدرر .

* الدرر : ٤٧٨/٤ ، وذيول العبر : ٢٧٢ .

(٢) للقزويني ، عبد الغفار بن عبد الكريم (ت ٦٦٥ هـ) . الكشف : ٦٢٥/١ .

(٣) يريد : المحرر في فروع الشافعية للرافعي ، عبد الكريم بن محمد (ت ٦٢٣ هـ) . الكشف : ١٦١٢/٢ .

(٤) في الفروع للنووي ، يحيى بن شرف (٦٧٦ هـ) . الكشف : ٩٢٩/١ .

** لم تقف على ترجمة له .

كان شاباً ذكياً فاضلاً ، وله شعر واشتغال ومحفوظ ، ولازم ابن الباجر بقي بعدما^(١) تغفّر ، وكان يعظم الباجر بقي ، وامتدحه بقصيدة .

قال البرزالي : وسمع على جماعة من شيوخنا :

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شوال سنة تسع وتسعين وست مئة .

٢٠٠٥ - يوسف بن موسى بن أحمد*

القاضي الرئيس الصدر صلاح الدين ابن القاضي قطب الدين ابن شيخ السلامية . كان شاباً نشأ غصناً في رياض سعادة ، وطلع بدرأ بين الكواكب الوقادة ، قطف زهرة دنياه الغضة ، وأمطرت السما عليه ذهباً وفضة ، وفاز بلذات ما كان غيره يراها في الأحلام ، ورأس على صغرسنه على كل من في الشام . وكان تنكز يحبه ويكرمه ، ويوفر جانبه ويعظمه .

ولم يزل إلى أن ذوى غصنه اليانع ، وسقت قبره من العيون الغيوث الهوامع .

وتوفي - رحمه الله تعالى - تاسع عشر ذي الحجة سنة ثلاثين وسبع مئة .

وكان قد تزوج ابنة صاحب شمس الدين غبريال في جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة وسبع مئة .

٢٠٠٦ - يوسف بن أبي نصر**

ابن الشقاري ، الأمير^(٢) المسند عماد^(٣) الدين أبو الحجاج الدمشقي .

(١) (ق) : « بعدها » ، (س) : « بعده » . والباجريقي عبد الرحيم بن عبد المنعم بن عمر . (ت) ٦٩٩ هـ . سلفت ترجمته .

* البداية والنهاية : ١٥٢/١٤ ، والدرر : ٤٧٨/٤ .

** العبر : ٤٠٧/٥ ، والشذرات : ٤٥٤/٥ .

(٢) (ق) ، (س) : « الشيخ الأمير » .

(٣) في الأصل : « جمال » ، وأثبتنا ما في (ق) والعبر والشذرات .

سمع (الصحيح) من ابن الزبيدي ، وابن الصلاح ، والناصح بن الحنبلي ، والفخر الإربلي ، والرشد بن الهادي^(١) ، والسخاوي .

وولي إمرة الحاج مرات عديدة ، وأنفق في ذلك وفي وجوه البر أموالاً كثيرة .
وكان سليم الباطن وقف بالنيرب تربة مليحة بقبة ، وخانقاه ومسجداً ، ووقف على ذلك أماكن . وحدث بالصحيح غير مرة ، وقرأ عليه شيخنا الذهبي (الصحيح) في عشرة أيام .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر ربيع الآخر سنة تسع وتسعين وست مئة .
ومولده سنة عشر وست مئة .

٢٠٠٧ - يوسف بن هبة الله *

الإسرائيلي ، الشيخ جمال الدين بن الحلبي الطبيب الفاضل المعروف في القاهرة بالصفدي ، لأنه سكن صفد مدة .

وله كلام جيد على آيات تدل على ذكائه وإطلاعه .
توفي - رحمه الله تعالى - سنة ست وتسعين وست مئة .

٢٠٠٨ - يوسف بن هلال **

ابن أبي البركات جمال الدين الحلبي الحنفي أبو الفضائل الطبيب الصفدي .
أخبرني العلامة أبو حيان من لفظه ، قال : كان المذكور فيه تعبّد واعتكاف في شهر رمضان بجامع الحاكم ، وكان يؤثر الفقراء ويطبّهم ويبرّهم بالشراب والطعام الذي

(١) محمد بن عبد الكريم بن يحيى القيسي (ت ٦٨٢ هـ) . الشذرات : ١٨٦/٥ .

* لم نقف على ترجمة له .

** لم نقف على ترجمة له . وانظر كلام المصنف في آخر الترجمة .

يواتيهم في مرضهم ، وأنشدنا لنفسه بالكاملية يوم الأحد تاسع المحرم سنة إحدى وثمانين وست مئة :

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| بكمال حسنك يا مخاطب ذاتي | بلوائح أخفى من اللحظات |
| أنعم عليّ بترك ما هو عكس ما | قد جلّ عن حصر وعن كلمات |
| يا قهوة مني إلي شربتها | عندي إذا حظرت على الأموات |
| ارتجت الأرضون ثم تشقت | عن كلّ ميت فيه كل حياة |
| هي روح سر السرفهي إذا بدت | تستغرق الأرواح في الأوقات |
| من دونها موتٌ وفيها عيشةٌ | فالروح أول نقدة يأت |
| ماذا أقول وما أصرّح واصفاً | قد قلت في الحركات والسكنات |
| فوصفت ظاهرها بما أظهرته | والسر في سري ولا بصفات |

قال شيخنا الذهبي : كان أديباً عالماً ، له أرجوزة في الخلاف بين أبي حنيفة والشافعي .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالقاهرة ثالث عشري المحرم سنة ست وتسعين وست مئة .

قلتُ : الظاهر أنه هذا الذي تقدم أنفاً ، وإنما وهم أثير الدين في اسم أبيه .

٢٠٠٩ - يوسف بن يوسف*

ابن إسرائيل بن يوسف بن أبي الحسن الفقيه الفاضل بدر الدين ابن الشيخ المقرئ جمال الدين الصالح الحنفي^(١) .

* الدرر : ٤٨٢/٤ .

(١) (ت ٧٢٤ هـ) ، الدرر : ٤٤٩/٤ .

كان فقيهاً مشغولاً بالفقه والأصول ، حسن المناظرة ، باشر إعادة المدرسة الظاهرية وغيرها .

وتوفي - رحمه الله تعالى - سادس عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، وله من العمر سبع وثلاثون سنة ، ورثاه العباد القطان بقصيدة .

٢٠١٠ - يوسف حوك*

النصراني الزغلي .

كان من أهل الكرك . أول ما عرفت من أمره أنه أمسكه والي الشقيف من بلاد صفد بزغل^(١) ، وجهّزه إلى صفد ، وكان النائب بها إذ ذاك الأمير سيف الدين أرقطاي في شهور سنة أربع وعشرين وسبع مئة ، فدخل إليه ، وطلب الخلوة به ، فقال له : أحضر لي صائغاً خلوة ، فلما حضر قال له : قصّ من هذه النحاسة التي معك شيئاً ، فقصّ ذلك قدراً زنته^(٢) أربعة خمسة دراهم ، ووضعها في البوتقة ، ولما ذابت : ألقى عليها شيئاً مما معه مثل الذرود ، فصارت فضة حجر ، ليس فيها ريبة ولا شبهة ، فقال النائب للصائغ : ما تقول في هذه ؟ ، فقال : هذه فضة حجر طلغم ليس فيها شيء ، فأطلعه إلى القلعة ، واعتقله بها . وبقي خائفاً من الأمير سيف الدين تنكز ، لا هو الذي يخرج من الاعتقال ، ولا هو الذي يتمكّن منه ليعمل له الذي توهمه فيه . ولم يزل يوسف معتقلاً بقلعة صفد إلى أن كتب ذلك قصّة وجهّزها في سنة ثلاثين وسبع مئة أو ما قبلها إلى تنكز ، وطلب فيها الحضور ، فأحضره تنكز من صفد ، ودخل إليه ، وعمل بين يديه كما عمل قدام نائب صفد ، وكان تنكز سعيد الحركات والآراء ، فقال له : أحقّ ما عملت هذه الصنعة بين يدي مولانا السلطان ، فكنتي مطالعة بصورة

* لم تقف على ذكر له .

(١) الزغل : تزييف النقود .

(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « يكون زنته » .

الحال ، وجّهه تحت الترسيم إلى السلطان الملك الناصر ، فدخل إليه ، وعمل ذلك العمل أيضاً ، فطار عقل السلطان به ، وقال له : أنا أعمل الذهب أيضاً .

وبقي عند السلطان ينام في المرقد ، ويركب من خيل النوبة ، وينزل إلى القاهرة ، وأوهم الناس ، وأخذ منهم الذهب ، ومن بكثر الساقى ومن الخدام شيئاً كثيراً من الذهب ، وصار يقول لهم : كل من أحضر لي خمس مئة دينار أخذها خمسة آلاف ، فطمع الناس ، وأعطوه ذهباً كثيراً ، وهو يأخذ الجميع ، ويدكه في الفحم ، ويحرك به البوتقة ، ويفرغ ذلك ذهباً أحمر لا مرية فيه :

أعياء الفلاسفة الماضين في الحقب أن يصنعوا ذهباً إلا من الذهب
أو يصنعوا فضة بيضاء خالصة إلا من الفضة المعروفة النسب

وبلغ في أمره أن كان السلطان يطلب له الخمر من الأقباط ، ويشربه قدامه ، ويقول له : يا خوند ما أقدر على الزئبق ورائحته إلا بهذا ، وكان يحتمل له السلطان هذا مع كراهيته في الخمر ، وشرع يدافعه من وقت إلى وقت ، إلى أن قال له : هذا يريد حشيشة ما رأيتها إلا في جبال الكرك ، فجهزه تحت الترسيم على خيل البريد إلى الكرك ، ولو قدر هناك على الهروب هرب . لكن الترسيم^(١) الذي عليه ، احتفظوا به ، وأحضروه .

ثم إنه هرب من القاهرة ، وتطلبه السلطان ، وأمسك أناساً ضمنوه^(٢) ، وقتلهم بالمقارع ، و بالغ في طلبه إلى أن أمسك في الصعيد ، وأحضر إلى السلطان في أواخر الحجة سنة إحدى وثلاثين وسبع مئة ، فسلمه إلى والي القاهرة ، فقتله من بعد صلاة الجمعة إلى المغرب ألف شيب^(٣) ، فأصبح وقد ورم جسده جميعه ، وسمر على جبل ، وطيف به ، وهلك .

(١) (ق) ، (س) : « التراسيم » .

(٢) في (ق) ، (س) زيادة : « كانوا ضمنوه » .

(٣) الشيب ، بالكسر : سير السوط .

والذي كان في ذهني منه أنه كان قد ظفر من أحد بيعض شيء من إكسیر ، فكان يعمل بين يدي أولياء الأمر منه قليلاً قليلاً ، والذي يتعيش به على الناس كله من الزغليات ، ولهذا كان لا يعمل إلا ثلاثة^(١) دراهم أو أربعة .

٢٠١١ - يونس بن إبراهيم*

ابن عبد القوي بن قاسم بن داود ، فتح الدين الكنباني العسقلاني أبو النون الدبائيسي ، مسند الديار المصرية^(٢) .

قرأت عليه جميع القدر المسموع من كتاب (القناعة) لابن أبي الدنيا^(٣) من أول الجزء الأول إلى قوله : « فكأنما ملئت غنًى » ، وذهب عني ما كنت أجده بسماعه من الشيخ أبي الحسن بن أبي عبد الله بن المقير سنة اثنتين وأربعين وست مئة ، وجزءاً فيه ثلاثة أحاديث من رواية الشيخ أبي أحمد عبيد الله بن محمد بن أحمد الفرضي^(٤) بسماعه من ابن المقير ، وجزءاً فيه الأسانيد^(٥) الحسنة المختارة من رواية الشيخ أبي غالب شجاع بن فارس^(٦) الذهلي الحافظ عن شيوخه بسماعه من ابن المقير ، وجزءاً فيه أحاديث منتقاة من أصول الشيخ الجليل أبي الرجاء محمد بن أحمد الجركاني^(٧) ، وجزءاً فيه أحاديث عن مشايخ الإمام أبي طاهر السلفي ، وجزءاً فيه موعظة الأوزاعي للمخليفة بإجازته من ابن المقير ، وجزءاً فيه خطب الإمام علي بن أبي طالب في وفاة

(١) في (س) ، (ق) زيادة : « وزن ثلاثة » .

* الدرر : ٤٨٤/٤ ، الشذرات ٩٢/٦ ، وذبول العبر : ١٦١ .

(٢) في (س) ، (ق) زيادة : « هو أحد الأشياء الذين سمعت عليهم بالديار المصرية » .

(٣) عبد الله بن محمد بن عبيد (ت ٢٨١ هـ) . انظر : هدية العارفين : ٤٤٢/٥ .

(٤) (ت ٤٠٦ هـ) . السير : ٢١٢/١٧ .

(٥) (س) ، (ق) : « الأناشيد » .

(٦) في الأصل و (س) و (ق) : « فارس بن شجاع » ، وهو سهو ، (ت ٥٠٧ هـ) . انظر : السير :

٣٥٥/١٩ .

(٧) (ت ٥١٤ هـ) ، وهو منسوب إلى جركان ، قرية من قرى أصبهان . (معجم البلدان) .

أبي بكر الصديق رضي الله عنها بإجازته من ابن المقيّر ، وجزءاً فيه مجلس من مجالس القاضي أبي المحاسن عبد الواحد بن إسماعيل الروياني^(١) عن شيوخه بإجازة المسمع من السبط .

وسمعت عليه بقراءة غيري أجزاء آخر كثيرة .

وكان قد سمع بإفادته عنه المحدث داود [و]^(٢) ابن أبي الحسن علي بن عبد الله^(٣) بن المقيّر . وأجاز له ابن المقيّر ، وفخر القضاة أبو الفضل أحمد بن محمد بن الحباب ، وأسعد بن عبد الغني بن قادوس^(٤) ، وحمزة بن عمر بن أوس^(٥) ، وشعيب بن يحيى بن أحمد الزعفراني ، وظافر بن طاهر بن شحم المطية^(٦) ، وأبو الحسن علي بن محمود الصابوني^(٧) ، وعبد الوهاب بن ظافر بن رواج الجوشي^(٨) ، والفقيه بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله بن بنت الجميزي^(٩) الشافعي ، وعبد الرحمن بن مكي بن الحاسب سبط السلفي^(١٠) ، وعبد العزيز بن عبد المنعم بن النّقار ، وأبو الرضا علي بن زيد بن علي التّسارسي^(١١) ، ومحمد بن أبي الحسن بن يحيى بن ياقوت ، ومحمد بن إبراهيم بن الحباب ، وأبو المنصور مظفر بن عبد الملك بن عبد القوي ، ومنصور بن

(١) (ت ٥٠٢ هـ) . السير : ٢٦٠/١٩ .

(٢) زيادة يقتضيها السياق .

(٣) في السير : ١١٩/٢٣ « عيد الله » . ووفاته سنة (٦٤٣ هـ) ، وأشارته إلى سماع يونس عنه .

(٤) (ت ٦٣٩ هـ) . الشذرات : ٢٠٣/٥ .

(٥) (ت ٦٤١ هـ) . الشذرات : ٢١١/٥ .

(٦) في الأصل : « ظاهر بن طاهر » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وفي العبر : ١٧٢/٥ ، والشذرات ٢١٢/٥ « ابن شحم » ، ولم ترد فيها لفظة : « المطية » ، ووفاته سنة (٦٤٢ هـ) .

(٧) (ت ٦٤٠ هـ) . السير : ٨٢/٢٣ .

(٨) (ت ٦٤٨ هـ) . العبر : ٢٠٠/٥ .

(٩) (ت ٦٤٩ هـ) . الشذرات : ٢٤٦/٥ .

(١٠) (ت ٦٥١ هـ) . السير : ٢٧٨/٢٣ ، ووقع في الأصل : « الحاجب » سهو ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) والسير .

(١١) (ت ٦٤١ هـ) . السير : ٩٢/٢٣ .

سند بن الدباغ^(١) ، وأبو البركات هبة الله بن محمد المقدسي^(٢) ، ويوسف بن عبد المعطي بن الخيّلي^(٣) ، ويوسف بن محمود الساي^(٤) ، وأبو علي الحسن بن إبراهيم بن دينار ، وأبو بكر محمد بن الحسن السفاسي^(٥) ، وأبو الفضل المرجا بن أبي الحسن بن شقيرة ، ويعقوب بن محمد المذباني ، ومنصور بن أبي القاسم الجهني ، وعبد العزيز بن عبد الوهاب بن عوف^(٦) ، وعبد القوي بن عزون ، وابنه إسماعيل ، وأحمد بن يحيى بن صباح ، وعبد الحق بن عبد الله بن علاّق^(٧) ، والحسن بن علي الفارسي^(٨) ، وأبوطالب محمد بن علي [بن]^(٩) الخيمي ، ومحمد بن إبراهيم التلمساني^(١٠) ، ويوسف بن عبد الكافي بن الكهف ، ومحمد بن محمود الأموي ، وزهير بن محمد المهلي^(١١) ، وعبد المنعم بن رضوان بن مناد . وله رواية عن غير هؤلاء .

وحدّث بالكثير ، وسمع منه أبو الحجاج المزي سنة ثلاث وثمانين ، وأبو محمد البرزالي ، وسمع منه الحافظ أبو العلاء الفرضي .

وكان شيخاً أُمياً ساكناً ديناً ، له جلد على إسماع الحديث ، وتفرّد بغالب شيوخه ، وعلا سنده ، وانتفع الناس به ، وازدحم الطلبة عليه ، وهو آخر من حدث بالقاهرة عن ابن المقيّر ، وعن خلق من أصحاب السلفي بالإجازة .

- (١) (ق) ، (س) : « الدماغ » (ت ٦٤٦ هـ) . العبر : ١٩١/٥ .
- (٢) (ت ٦٥٠ هـ) . العبر : ٢٠٦/٥ .
- (٣) في الأصل : « المجتلي » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . (ت ٦٤٢ هـ) . السير : ١١٦/٢٣ .
- (٤) توفي سنة (٦٤٧ هـ) . العبر : ١٩٥/٥ .
- (٥) (ت ٦٥٤ هـ) . السير : ٢٣٨/٢٣ .
- (٦) (ت ٦٤٧ هـ) . الشذرات : ٢٣٨/٥ .
- (٧) في الأصل : « علان » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .
- (٨) ويقال أيضاً : « الفاسي » ، (ت ٦٦١ هـ) . العبر : ٢٦٤/٥ ، وحسن المحاضرة : ٢٨٠/١ .
- (٩) زيادة من (س) ، (ق) .
- (١٠) (ت ٦٥٦ هـ) . الشذرات : ٢٨٣/٥ .
- (١١) هو البهاء زهير (ت ٦٥٦ هـ) .

وأجاز لي سنة ثمان وعشرين وسبع مئة بالقاهرة ، وأذن في الكتابة عنه الشيخ شهاب الدين أحمد العسجدي .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بالقاهرة في مستهل جمادى الأولى سنة تسع وعشرين وسبع مئة .

ومولده سنة خمس وثلاثين وست مئة تقريباً بالقاهرة .

قلت أنا فيه :

إن الرواية تحتاج العلوَّ فمن يسمع على صغري يصعد بتأسيس
ولم يكن لي في الإسناد مرتبة تعلو وقد حصلت لي بالدبائسي

٢٠١٢ - يونس بن إبراهيم*

ابن سليمان ، الشيخ الإمام الفاضل بدر الدين الصرخدي الحنفي خطيب صرخد^(١) .

كان فاضلاً فقيهاً أديباً عارفاً بالنحو واللغة ، وأقام بالمدرسة العزية التي بالكجك^(٢) بدمشق مدة منقطعاً عن الناس بنفس شريفة تقنع بالقليل . طُلب في أواخر عمره لخطابة صرخد ، فأجاب ، وفرح به أهله ، وذكر أنه سمع من الصريفيني^(٣) .

وتوفي بصرخد في ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وست مئة^(٤) .

* بغية الوعاة : ٣٦٥/٢ .

(١) مدينة من أعمال حوران ، وتعرف اليوم بـ (صلخد) .

(٢) عبارة الدارس ٤٢٧/١ : « الكشك » ، وهو درب في دمشق .

(٣) إبراهيم بن محمد بن الأزهر (ت ٦٤١ هـ) . الشذرات : ٢٠٩/٥ .

(٤) ومولده سنة (٦١٤ هـ) كما في بغية .

ومن شعره :

ظمئت إلى سلسال حسنك مقلّة
تشتاق روضاً من جالك طالما
حجبوك عن عيني وما حجبوك عن
هل ينقضي أمد البعاد وملتقي
وتضمنا بعد البعاد منازل
وأفيق من وهي عليك وينقضي
رويت محاجرهما من العبرات
سرحت به وجنت من الوجنات^(١)
قلبي ولا منعوك من خطراتي
بلوى المحصّب أو على عرفات
بالخيف أو بنى على الجمرات
شوقي إليك وتنطفي جراتي

٢٠١٣ - يونس بن أحمد *

ابن أبي الجن ، ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي رضي الله عنهما .

كان كبير الأشراف بدمشق ، يدعى ناصر الدين .

توفي - رحمه الله تعالى - سنة ست وعشرين وسبع مئة^(٢) .

سمع من خطيب مردا ، وروى عنه . وقصده الطلبة ، وسمعوا عليه لشرفه

ونسبه .

وكان جيداً متودداً ، له شهرة بين الناس .

٢٠١٤ - يونس بن أحمد بن صلاح **

الشيخ الإمام المفتي شرف الدين أبو النون القرقشندي^(٣) الشافعي .

(١) في الأصل : « الجنات » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

* الدرر : ٤٨٥/٤ ، وقام نسبه ثمة ، وذيل العبر : ١٤٤ ، والشذرات : ٧٤/٦ .

(٢) ومولده سنة (٦٤٥ هـ) ، كما في الدرر .

** الدرر : ٤٨٥/٤ ، والنجوم الزاهرة : ٢٦٥/٩ .

(٣) نسبة إلى (قرقشندة) قرية بأسفل مصر . (معجم البلدان) وفي النجوم : « القلقشندي » . وها

كان فقيه مصر ، وسمع من عبد الهادي قطعة من (الموطأ) ، وطلب السماع عليه ، فامتنع . وكان معيداً بزاوية الشافعي بجامع مصر .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في حادي عشري شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسبع مئة ، ودفن بالقرافة .

وقع في وقت بينه وبين الشمس المحوجب نزاعاً في مسألة ، وانفصلا من غير تراضٍ ، فجاء إليه المحوجب ثاني يوم ، واستغفر له ، وقال : رأيت الشافعي في النوم ، وقال : لا تنازعه فإنه ينقل مذهبي .

٢٠١٥ - يونس بن حمزة*

ابن عباس الإربلي ، الشيخ الصالح الكبير المعمر أبو محمد العدوي القطان ، الساكن بالصاحية .

كان مشهوراً بطول العمر ، روى بالإجازة العامة عن داود بن معمر بن الفاخر^(١) ، وكان يمكن أن يروي عن هو أقدم منه ، ولكن لم يقدم الطلبة على ذلك ، لأنه ذكر أن مولده سنة ست وست مئة ياربيل .

وتوفي - رحمه الله تعالى - في نصف ذي القعدة سنة ثمان عشرة وسبع مئة ، وحضر جنازته خلق كثير .

٢٠١٦ - يونس بن عبد المجيد**

ابن علي بن داود الهذلي ، القاضي سراج الدين الأرميني .

كان من الفقهاء الفضلاء ، الأدباء الشعراء ، الحمودين السيرة في القضاء .

* الدرر : ٤٨٦/٤ .

(١) (ت ٦٢٤ هـ) . السير : ٢٦٨/٢٢ .

** الدرر : ٤٨٦/٤ ، والشذرات : ٧٠/٦ ، والطالع السعيد : ٧٢٩ .

سمع من الشيخ مجد الدين بن أبي الحسن بن علي بن وهب القشيري ، والحافظ أبي الحسين يحيى بن علي العطار^(١) ، وعمر بن موسى العامري ، وقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة .

وحدث بقوص وغيرها ، واشتغل على مجد الدين القشيري ، وأجازه بالفتوى ، وورد مصر للاشتغال ، وأعاد بالمدرسة المعروفة بزين التجار ، كان هو والفقهاء نجم الدين بن الرفعة معيدين بها ، قال نجم الدين بن الرفعة : كنت مرة في الإعادة ، فصار الطلبة يأتون إليّ ، ولا يجلسون إليه ، حتى وصلت الحلقة إليه ، فقام ، وأخذ سجادته على كتفه ، ونظر إليّ ، وقال : أروح إلى الجامع ، أخذاً دروساً في الأصول والنحو ، يعني أنك ما تدري هذا .

وكان حسن المحاضرة ، مليح المحاورة ، صنف (المسائل المهمة في اختلاف الأئمة)^(٢) ، وكتاب (الجمع والفرق)^(٣) .

ولاه قاضي القضاة تقي الدين بن بنت الأعز القضاة بإخميم ، وعملها ، ثم أقره الشيخ تقي الدين مدة ، ونقله إلى البهنسا ، فأقام بها فوق عشرين سنة ، ثم ولاه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة بلبيس والشرقية ، ونقله إلى قوص بعد كمال الدين السبكي .

وتوفي - رحمه الله تعالى - بقوص من لسعة ثعبان في خامس عشر شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين وسبع مئة .

ومولده بأرمنت سنة أربع وأربعين وست مئة .

وكان لأبيه نظم وأدب .

(١) هو الرشيد العطار (ت ٦٦٢ هـ) ، وسلفت الإشارة إليه .

(٢) الكشف : ١٦٧٠/٢ .

(٣) الكشف : ٦٠١ / ١ .

قال كمال الدين الأدفوي : أنشدته ارتجالاً حين خرج من عند ابن جماعة :

سراج الدين سر في طيب عيش قرير العين محمود الفعـال
وقـد كملت مسرتكم ومّت وقيت النقص من عين الكمال^(١)

قال : ورأيت بخطه على كتاب :

الحال مني يـافـتى تغني عن الخبر المفـيد
وبغير سكين ذبح ست وأدرجوني في الصعيد^(٢)

وكان كذلك لم يخرج من قوص ، وكان يروي (التنبيه) و (المهذب)^(٣) بالسند .

قال : وأنشدني لنفسه في شروط « الكفاءة » :

شرط الكفاءة حرّرت في ستّة ينبئك عنها بيت شعر مفرد
نسب ، ودين ، صنعة ، حرية ، فقد العيوب ، وفي اليسار تردّد

قلت : الكفاءة عند الشافعي واجبة ، فلا يجوز لأحد من الأولياء أن يزوج المرأة من غير كفء إلا برضاها ورضا سائر الأولياء ، فإن رضوا بإسقاط الكفاءة ؛ صحّ النكاح ، خلافاً للإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه ، حيث ذهب إلى أن الكفاءة شرط في الصحة ، وسبيل من سلك الطريق القطعي في بطلان مذهبه أن يقول : فقد تزوج على بن أبي طالب بفاطمة رضي الله عنها ، وأبوها سيّد البشر .

والكفاءة سبعة أمور : وهي الدين ، والنسب ، والصناعة ، والحرية ، والتنقي من العيوب ، واليسار على أحد الوجهين ، وأن لا يكون الزوج مولىً للزوجة أو أهلها ، فوالى قريش ليسوا أكفاء لقريش ، وفي وجه أنهم أكفاء لأن موالي القوم منهم .

(١) في الطالع : « من جهة الكمال » . وفيه : « فقال : أحسنت أحسنت » .

(٢) في الطالع : « فغير » .

(٣) المهذب في الفروع للشيرازي ، إبراهيم بن محمد الشافعي (ت ٤٧٦ هـ) . الكشف : ١٩١٢/٢ .

(٤) في الأصل : « يتزوج » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

وقال كمال الدين الأديفي^(١) : وأنشدني لنفسه في التعارض بين الاحتمالات ،
وتقديم بعضها على بعض :

مجاز وإضمار ونقل وبعده اش
متى ما يكن إثنان منها تعارضا
قال : وأنشدني له :

إن ترمك الأقدار في أزمة
فافزع إلى ربك في كشفها
ومن شعره :

وشادن زار بعد يأس
وبات يجلو عليّ كأساً
ولم نثث إذا اختلسنا
فقلت والليل في شباب
مثمر ذيلــــه لسير
بالله يا صبح لاتزرننا
كالغيث وافي على قنـــــوط
جاءت بجلّ الدم العبيط^(٥)
إلا بياثم بنا محيط
عاجله الصبح بالوخوط
تشمير ذي الرحلة النشيط
والصبح حرب لقوم لوط

ومن شعره :

يا أهل ودي وما أهلاً دعوتكم
أبدعة ظهرت في الحب حادثة
بالحق لكنها العادات والدرب
بالغدر أم رجعت عن دينها العرب

(١) في (س) ، (ق) زيادة : « أيضاً » .

(٢) في الطالع : « تقدّم » .

(٣) أجرامك : ذنوبك .

(٤) اقتباس من قوله تعالى : ﴿ أَرَأَيْتَ الْآزِفَةَ . ليس لها من دون الله كاشفة ﴾ النجم : ٥٨/٥٣ .

(٥) في الأصل : « تحلّ » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

ومنه :

أيامِي إِنَّ الْبَيْنَ أَعْمَى بصيرتي
وإِنِّي لَأَسْقِي حَيْكَمَ مِنْ مَدَامَعِي
وقلبه مواليا فقال :

لما بدت بين أتراب لها من طي
قلت ^(١) سقيتُ بدمعي حَيْكَمَ يَامِي

ومنه :

يا صاحبي ديار غلوة
والصبّ يوثقه الجوى
فقفنا وإلا فالهوى
وسلا على قدري كما
لا بأس أن يشكو المعاء
ياسطوة البين المش
خلفتني أشكو الصفا
بتأوه أعيى الصدا
بأبي أو يطآن تسقي
بلوا حظ شهدت سرا
وأننا المطيع الحب إلا
سافرت في العلياء حتى صرت شهوة كل شهوة
لا أستجيب لغير مدح الشيخ شمس الدين دعوه

ظهر الهوى الخافي الموه
وتخلف الرفقاء جفوه
يستوقف المشتاق عنوه
فأعز ما في الحب سلوه
هد، أو يبت الدار شجوه ^(٢)
ت وهل لغير البين سطوه
شكوى الخليل خليل صفوه
لو كان ينجو من تأوه
ت الهوى فيهن قهوه
اهـا بقلبي ألف غزوة
في تأمره بخلوة
سافرت في العلياء حتى صرت شهوة كل شهوة
ح الشيخ شمس الدين دعوه

(١) في الأصل : « فقلت لها » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

(٢) في الأصل : « ويبت » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) .

٢٠١٧ - يونس بن عيسى *

ابن جعفر بن محمد ، القاضي شرف الدين الهاشمي الأرمني .

كان من الفضلاء النبلاء ، قليل الكلام ، كثير الاحتشام ، واسع الصدر ، رئيساً ساكناً .

سمع من أبي العباس أحمد بن محمد ^(١) القرطبي ، واشتغل بالفقه على خال أمه الرضي الأرمني ، وعلى الشيخ جلال الدين الدشناوي .

وتولى الحكم بعدة أماكن منها : دشنا ، وأدفو ، وأسنا ، وأسوان ، وقولا وما معها من القرى ، وتقادة . وناب بقوص قريباً من ثلاثين سنة ، وأهلها راضون عنه .

وله معرفة بالفرائض والحساب والوراقة ، ودرس بالمدرسة العزية ظاهر قوص ، وأعاد بالمدرسة الشمسية مدة .

قال كمال الدين الأديوي : وكان حلو الخلوة ، ينبسط ^(٢) ويتبسم ، وفيه قعدد ، وعليه مهابة ، فقيه النفس يتكلم على (الوسيط) كلاماً حسناً . ولما حج آخر حجة اجتمع بقاضي القضاة بدر الدين بن جماعة ، وتحدث معه ، فأعجبه ستمته ، وأحسن إليه ، وأضافه ضيافة حسنة كبيرة ، وخطر له أن يوليه الشرقية ، فذكرت له ، فقال : أنا في آخر العمر ، ما أخرج من وطني ، وأيضاً فأنا في قوص أي من ولي أقرني على حالي ، والكذب على غيري .

* الدرر : ٤٨٨/٤ ، والطالع السعيد : ٧٣٣ .

(١) في الأصل : « ابن أحمد » . سهو . وأحمد بن محمد القرطبي توفي سنة (٦٧٢ هـ) . انظر ترجمته في الطالع السعيد : ١١٢ .

(٢) في الأصل : « وينبسط » ، وأثبتنا ما في (س) ، (ق) . وهو موافق لما في الطالع .

وقع من علوّ ، فمات - رحمه الله تعالى - بعد ساعة ، سنة أربع وعشرين وسبع مئة .

★ اليونيني : الشيخ شرف الدين علي بن محمد . وقطب الدين موسى بن محمد .

تمّ الكتاب بحمد الله تعالى وعونه وحسن توفيقه ، نهار الجمعة الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة (٩٧٣ هـ) من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام ، بخط العبد الفقير المعترف بالذنوب والتقصير ، الراجي عفو ربه القدير أبو بكر^(١) بن عبد الرحمن بن أبي بكر العوّاجي نزيل مكة المشرفة .

عفا الله عنه بمنّه وكرمه ، آمين ، آمين .

(١) كذا بالرفع على الحكاية .

فهرس المصادر والمراجع

- أدب الصنّاع : تأليف د. محمود سالم - دار الفكر - دمشق - ١٩٩٣ م .
الأعلام : للزركلي - دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٩ م - ط . رابعة .
الإعلام بوفيات الأعلام : للذهبي ، تح . رياض مراد وعبد الجبار زكار - دار الفكر - ١٩٩١ .
إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء : للطباخ الحلبي - علق عليه محمد كمال - دار القلم العربي - حلب - ١٩٨٨ .
إعلام الوري بن ولي نائباً من الأتراك بدمشق الشام الكبرى : لابن طولون - تح . أحمد دهان - وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٦٤ م .
الأغاني : لأبي الفرج الأصبهاني : مؤسسة جمال للطباعة والنشر - بيروت - مصورة عن طبعة دار الكتب .
الأمالي : لأبي علي القالي ، دار الحكمة - لبنان .
إنباء الغمر بأبناء العمر : لابن حجر - تح . محمد أحمد دهان - دمشق - ١٣٩٩ هـ .
إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون : لإسماعيل باشا البغداد - مكتبة المثنى - بغداد - مصورة .
بدائع الزهور في وقائع الدهور : لابن إياس ، تح . محمد مصطفى - الهيئة المصرية العامة - القاهرة - ١٩٨٣ . ط . ثانية .
البداية والنهاية : لابن كثير - مكتبة المعارف - بيروت - ١٩٨٣ م .
البدر الطالع بحاسن من بعد القرن السابع : للشوكاني - دار المعرفة - بيروت - مصورة .
بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي ، تح . محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية - لبنان .
تاج العروس : للزبيدي - طبعة الكويت - والطبعة المصرية المصورة .
تاريخ أبي الفداء = المختصر في أخبار البشر .
تاريخ التراث العربي : د . فؤاد سزكين - نشر جامعة الإمام محمد بن سعود - الرياض - ١٩٨٣ م .
تالي وفيات الأعيان : للصقاعي ، تح . جاكين سوبلة - المعهد الفرنسي - دمشق - ١٩٧٤ .
تحفة ذوي الألباب في حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب : للصفدي - تح . إحسان خلوصي وزهير حيدان - وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٩١ م .

- تذكرة الحفاظ : للذهبي - تح . عبد الرحمن المعلمي اليماني - حيدرأباد - ١٣٧٧ هـ .
- تذكرة البنية في أيام المنصور وبنيه : لابن حبيب - تح . د . محمد محمد أمين - الهيئة المصرية العامة - القاهرة - ١٩٧٦ .
- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى : لمحمد قنديل البقلي - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ٢٩٨٤ .
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : للشعالبي - تح . محمد أبو الفضل إبراهيم - دار المعارف - القاهرة - ١٩٨٥ م .
- الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير : للسيوطي ، دار الكتب العلمية - بيروت .
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية . تح . الحلو والطناحي - القاهرة .
- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : للسيوطي - تح . محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة - ١٣٨٧ هـ .
- خريدة القصر : للأصفهاني محمد بن محمد : قسم شعراء مصر - تح . شوقي ضيف وآخرين - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥١ م .
- الدارس في تاريخ المدارس : للنعمي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٩٠ .
- الدر المنثور في طبقات ربات الخدور : لزينب العاملي - مكتبة ابن قتيبة - الكويت - مصورة .
- الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة : لابن حجر - دار الجيل - بيروت - مصورة .
- ديوان ابن الرومي : تح . د . حسين نصار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٣ م .
- ديوان ابن سناء الملك : تح . د . حسين نصار - دار الكتاب العربي - القاهرة - ١٩٦٨ م .
- ديوان ابن نباتة : دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- ديوان ابن الوردي : مطبعة الجوائب - القسطنطينية - ١٣٠٠ هـ .
- ديوان أبي تمام : تح . محمد عبده عزام - دار المعارف - مصر - ط . رابعة .
- ديوان أبي فراس الحمداني : دار صادر - بيروت - ١٩٥٩ .
- ديوان أبي نواس : تح . أحمد عبد المجيد - دار الكتاب العربي - بيروت .
- ديوان البختري : تح . حسن كامل الصيرفي - دار المعارف - القاهرة - طبعة ثانية .
- ديوان بشار بن برد : تح . محمد الطاهر بن عاشور - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٥٠ م .
- ديوان جرير بشرح ابن حبيب : تح . د . نعان طه - داد المعارف - مصر .
- ديوان حسان بن ثابت : تح . د . سيد حنفي حسنين - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٧٤ .

- ديوان ذي الرمة : تح . د . عبد القدوس أبو صالح - مجمع اللغة العربية - دمشق - ١٩٧٢ م .
- ديوان الشاب الظريف : تح . شاكر هادي شكر - مكتبة النهضة وعالم الكتب - بيروت - ١٩٨٥ م .
- ديوان الشافعي : تح . محمد عبد المنعم خفاجي - مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة .
- ديوان الشريف الرضي : المطبعة الأدبية - بيروت - ١٣٠٩ هـ .
- ديوان الشماخ : تح . صلاح الدين الهادي - دار المعارف - مصر .
- ديوان صفي الدين الحلي : دار صادر - بيروت .
- ديوان العفيف التلمساني : مخطوط - الظاهرية برقم (٥٩١٧) .
- ديوان الفرزدق : دار صادر - بيروت .
- ديوان قيس بن الخطيم : تح . د . ناصر الدين الأسد - دار صادر - بيروت - ١٩٦٧ م .
- ديوان لبيد بن ربيعة : تح . د . إحسان عباس - سلسلة التراث العربي - الكويت - ١٩٨٤ .
- ديوان التلمس الضبعي : تح . حسن كامل الصيرفي - معهد المخطوطات العربية - القاهرة - ١٩٧٠ .
- ديوان المتنبي بشرح العكبري : تح . السقا - الأياري - شلي - دار المعرفة - بيروت - مصورة .
- ديوان مجنون ليلى : جمع وتحقيق عبد الستار فراج - مكتبة مصر - القاهرة .
- الذيل التام على دول الإسلام : للسخاوي : تح . حسن مروة - دار ابن العباد - بيروت - ١٩٩٢ م .
- ذيل العبر : للحسيني - تح . محمد رشاد عبد المطلب - الكويت - ١٩٧٠ ، مع ذيل الذهبي .
- ذيل العبر : للذهبي - تح . محمد رشاد عبد المطلب - الكويت - ١٩٧٠ ، مع ذيل الحسيني .
- الذيل على العبر : لابن العراقي - تح . صالح مهدي عباس - مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٩٨٩ م .
- ذيل العبر = من ذيل العبر (ذيل العبر للذهبي ، وللحسيني) .
- ذيل مرآة الزمان : لليوني - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة ١٩٩٢ م - طبعة مصورة .
- السلوك لمعرفة دور الملوك : للمقريزي - تح . محمد مصطفى زيادة - القاهرة - طبعة مصورة .
- سير أعلام النبلاء للذهبي : تح . مجموعة بإشراف شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت .
- شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العباد - دار المسيرة - بيروت - ١٩٧٩ - مصورة .
- شرح أبيات المغني للبغدادي : تح . رباح والدقاق - دار المأمون - دمشق - ١٩٧٣ .
- شرح حسانة أبي تمام للتبريزي : عالم الكتب - بيروت .
- شرح ديوان الحسانة للمرزوقي : تح . أحمد أمين وعبد السلام هارون - لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة - ١٩٦٧ .
- شرح ديوان لبيد = ديوان لبيد .
- شرح المفضليات : للتبريزي : تح . علي البجاوي - دار نهضة مصر - القاهرة .
- صبح الأعشى في صناعة الإنشا : للقلقشندي - دار الكتب - القاهرة - ١٩٢٢ . مصورة .

- صحيح البخاري : طبع دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٢ - ١٩٩٢ .
- صحيح مسلم : تح . محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت .
- الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد : للأدقوي - تح . سعد محمد حسن وطه الحاجري - الدار المصرية للتأليف والترجمة - القاهرة - ١٩٦٦ م .
- طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة = عيون الأنباء .
- طبقات الشافعية : للسبكي - تح . الطناجي - والحلو - القاهرة - ١٩٧٦ م .
- العامل الحالي والمرخص الغالي : للحلي ، تح . د . حسين نصار - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة - ١٩٨١ م .
- العبر في خبر من غبر : للذهبي : تح . صلاح الدين المنجد - سلسلة التراث العربي - الكويت - ١٩٨٤ م .
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ١ - ٤ : للعيني - تح . د . محمد محمد أمين - الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٨٧ .
- عيون الأنباء في طبقات الأطباء : لابن أبي أصيبعة - تح . د . نزار رضا - دار مكتبة الحياة - بيروت .
- غاية النهاية في طبقات القراء : لابن الجزري - تح . برجستراسر - مكتبة المتنبي - القاهرة - مصورة .
- الغيث المجسم في شرح لامية العجم : للصفدي - دار الكتب العلمية - بيروت - ١٩٧٥ م .
- فصل المقال في شرح كتاب الأمثال : لأبي عبيد البكري - تح . د . إحسان عباس وعبد المجيد عابدين - بيروت - مؤسسة الرسالة - ١٩٨١ م .
- فقه اللغة وسر العربية : للثعالبي - تح . السقا والأبياري وشلي - مط . البابي الحلبي - القاهرة - ١٩٧٢ م .
- فوات الوفيات . لابن شاکر الکتبي - تح . د . إحسان عباس - دار صادر - بيروت .
- القاموس المحيط : للفيروز أبادي - مؤسسة الرسالة - بيروت .
- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لحاجي خليفة - مكتبة المثنى - بغداد .
- الكشف عن وجوه القراءات : لمكي بن أبي طالب - تح . محي الدين رمضان - مؤسسة الرسالة - ١٩٨١ .
- الکليات : للکفوي : تح . د . عدنان درويش ومحمد المصري - وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٨٢ .
- لسان العرب : لابن منظور - دار صادر - بيروت .
- لسان الميزان : لابن حجر - حيدر آباد ١٣٢٩ هـ .
- مجمع الأمثال : للميداني - تح . محمد محي الدين عبد الحميد - مطبعة السنة المحمدية - مصر - ١٩٥٥ م .
- المختار من شعرا بن دانيال : للصفدي - تح . محمد الديلمي - مكتبة بسام - الموصل - ١٩٧٩ م .

- مختارات من شعر الأندلس : د . شاعر الفحام - جامعة دمشق - ١٩٧٩ .
- المختصر في أخبار البشر : لأبي الفداء - استانبول - ١٢٨٦ هـ - مصورة .
- المذكر والمؤنث : لابن الأنباري - تح . طارق الجنابي - دار الرائد العربي - بيروت - ١٩٨٦ .
- مرآة الجنان وعبرة اليقظان : لليافعي - دار الكتاب الإسلامي - القاهرة - ط . ثانية - ١٩٩٣ م .
- مسند الإمام أحمد : المكتب الإسلامي - بيروت .
- معجم البلدان : لياقوت الحموي - دار صادر - بيروت - ١٩٧٧ م .
- مفتاح السعادة : لطاش كبري زادة - تح . كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور - دار الكتب الحديثة - القاهرة .
- المفضليات : للمفضل الضبي : تح . أحمد شاعر وعبد السلام هارون - دار المعارف - مصر - ١٩٦٤ م .
- مقامات الحريري : للحريري - بيروت - مصورة .
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي : لابن تغري بردي / ج ١ - ٧ / تح . مجموعة من الباحثين - الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة .
- من ذبول العبر = ذيل العبر للذهبي - وذيل العبر للحسيني .
- ميزان الاعتدال في نقد الرجال : للذهبي - تح . علي البجاوي - القاهرة - ١٩٦٣ م .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : لابن تغري بردي - تح . د . إبراهيم علي طرخان - طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب - القاهرة .
- النشر في القراءات العشر : لابن الجزري - دار الكتب العلمية - بيروت - بلا تاريخ .
- نظم العقيان : للسيوطي ، تح . فيليب حتي - المطبعة السورية الأمريكية - نيويورك - ١٩٢٧ م .
- نفس الطيب من غصن الأندلس الرطيب : للمقري - تح . د . إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٩٦٨ م .
- نكت الهميان في نكت العميان : للصفدي - تح . أحمد زكي بك - مصر - ١٩٨٤ م .
- النهاية في غريب الحديث : لابن الأثير - تح . طاهر الزاوي والطناحي - دار إحياء التراث - بيروت - مصورة .
- هدية العارفين : لإسماعيل باشا البغدادي - مكتبة المثنى - بغداد - مصورة .
- الوافي بالوفيات : للصفدي - تح . مجموعة - النشرات الإسلامية - بيروت .
- الوفيات : لابن رافع السلمي : تح . عبد الجبار زكار - وزارة الثقافة - دمشق - ١٩٨٥ م .
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان : لابن خلكان - تح . د . إحسان عباس - دار صادر - بيروت - ١٩٧٨ م .
- ولاية دمشق في عهد الماليك : محمد أحمد دهمان - دار الفكر - دمشق - ١٩٨١ م .